



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عمر
عليه السلام

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

تاريخ الأدب العربي

من الفرس إلى السعد

تأليف الدكتور الكبير

إدوارد جرانفيل براون

الأستاذ بجامعة تكساس سابقاً

مترجم إلى العربية

الدكتور إبراهيم الشوازي

الناشر
مكتبة الشحاتز الألفية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تاريخ الادب فى ايران من الفردوسى الى السعدى

كاتب:

ادوارد براون

نشرت فى الطباعة:

مكتبه الثقافه الدينيه

رقمى الناشر:

مركز القائميه باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٣٢	تاريخ الادب فى ايران من الفردوسى الى السعدى
٣٢	اشارة
٣٢	محتويات الكتاب
٣٧	كلمة المترجم
٣٧	[ارتباط حياة «براون» بحياة «إيران»]
٣٧	[قصة تأليف هذه «الموسوعة الأدبية»]
٣٩	[تحصيلات المترجم]
٣٩	[ترجمة «على أصغر حكمت» هذه الموسوعة إلى الفارسية]
٣٩	*** [مدة الترجمة تسع سنوات لمجلدين من هذه الموسوعة]
٤٠	*** [إما الصعوبات التى تكلفتها فى نقل هذا الكتاب إلى العربية]
٤٠	*** [إعجابات المؤلف للحضارة الإسلامية و الإيرانية]
٤١	*** [القارئ العربى سيعجب ب «براون» و بمؤلفاته]
٤١	[الشكر فى الختام]
٤١	المكتبة الفارسية [و كتب المترجم]
٤٢	مقدمة المؤلف
٤٢	[تاريخ الأدب فى إيران من نهاية القرن الرابع الهجرى إلى منتصف القرن السابع الهجرى]
٤٢	[الاعتراف على مواضع القصور]
٤٣	*** [الشكر على الإمعان]
٤٤	*** [تقديم خالص شكرى]
٤٥	الفصل الأول تمهيد و ترديد
٤٥	موضوع الكتاب:
٤٥	موضوع الجزء السابق:

- ٤٦ الفتح العربي و تأثيره في فارس:
- ٤٦ اللغة العربية و مركزها الفريد:
- ٤٧ العلوم العربية:
- ٤٧ صلاحية العربية للأغراض العلمية:
- ٤٧ اعتداد العرب بلغتهم:
- ٤٧ عود إلى الجزء الأول من كتاب «تاريخ الأدب في إيران»:
- ٤٨ العصر الذي نتحدث عنه في هذا الكتاب:
- ٤٨ العباسيون و خصومهم من أهل الشيعة:
- ٤٨ الفتح المغولي في القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري):
- ٤٩ النهضة الفارسية:
- ٤٩ ثبات اللغة الفارسية:
- ٥٠ تطور الذوق الأدبي و قواعد النقد:
- ٥٠ دولتشاه و فساد ذوقه الأدبي:
- ٥٠ الأسلوب الفارسي و الصناعة البديعية:
- ٥١ خصائص الأشعار الفارسية المبكرة من حيث الصيانة و الاسلوب:
- ٥١ فنون الشعر و البديع لدى الفرس:
- ٥٢ علم البديع:
- ٥٢ اشارة
- ٥٢ ١- النشر
- ٥٣ ٢- النظم
- ٥٣ [عدد ضروب النظم في الفارسية]
- ٥٣ البيت و المصراع
- ٥٤ ضروب النظم الفارسية:
- ٥٤ اشارة

- المثنوى: ٥٤
- الغزل: ٥٤
- القصيدة: ٥٥
- القطعة: ٥٨
- الرباعي: ٥٨
- الارتجال و أثره: ٦٠
- الترجيع بند و التركيب بند: ٦٠
- المسمط: ٦١
- المستزاد: ٦٢
- أقسام الشعر بحسب موضوعاته: ٦٢
- الشعر الخليط: ٦٣
- قصيدة قوامى الكنجوى: [التي تضم أهم أنواع الصناعات البلاغية]. ٦٣
- اشارة ٦٣
- [«حسن المطلع» و «الترصيع»] ٦٤
- [«الترصيع» و «التجنيس»] ٦٤
- اشارة ٦٤
- [«التجنيس الزائد»] ٦٤
- [«التجنيس الناقص»] ٦٤
- [«التجنيس الزائد»] ٦٤
- [التجنيس «المركب»] ٦٥
- [التجنيس «المكرر»] ٦٥
- [التجنيس «المطرف»] ٦٥
- [«تجنيس الخط»] ٦٥
- [الاستعارة] ٦٥

- ٦٥ [«مراعاة النظير» أو «التناسب»]
- ٦٥ [«المدح الموجه»]
- ٦٥ [«المحتمل للوجهين»]
- ٦٦ [«تأكيد المدح بما يشبه الذم»]
- ٦٦ [«الالتفات»]
- ٦٦ [«الإيهام»]
- ٦٦ [أنواع «التشبيهات»]
- ٦٧ [«سياقة الأعداد»]
- ٦٧ [«تنسيق الصفات»]
- ٦٧ [أنواع «الحشو»]
- ٦٧ اشارة
- ٦٧ ٢٧- الحشو القبيح:
- ٦٧ ٢٨- الحشو المتوسط:
- ٦٧ ٢٩- الحشو المليح:
- ٦٨ [أنواع «السجع»]
- ٦٨ اشارة
- ٦٨ ٣١- السجع المتوازي:
- ٦٨ ٣٢- السجع المتوازن:
- ٦٨ ٣٣- السجع المطرف:
- ٦٨ [أنواع «المقلوبات»]
- ٦٨ اشارة
- ٦٨ ٣٤- مقلوب البعض:
- ٦٨ ٣٥- مقلوب الكل:
- ٦٨ ٣٦- المقلوب المجنح:

- ٣٧- المقلوب المستوى: ٦٨
- [«رد العجز على الصدر»] ٦٩
- [«الإعانات» أو «لزوم ما لا يلزم»] ٦٩
- [«المزدوج»] ٧٠
- [«المتلون»] ٧٠
- [«إرسال المثل»] ٧٠
- [«اللغز»] ٧٠
- [«المطلع ذو القافيتين»] ٧١
- [«تجاهل العارف»] ٧١
- [«السؤال و الجواب»] ٧١
- [«الموشح»] ٧١
- [«الملمع»] ٧١
- ٦٨- المقطع: ٧١
- ٦٩- الموصل: ٧٢
- ٧٠- المجرد: ٧٢
- ٧١- الرقطاء: ٧٢
- ٧٢- الخيفاء: ٧٢
- [«المعما»] ٧٢
- [«التضمين»] ٧٢
- [انواع «الإغراق»] ٧٢
- اشارة ٧٣
- [الغلو] ٧٣
- [«الجمع» و «التفريق» و «التقسيم»] ٧٣
- اشارة ٧٣

- ٧٦- الجمع: ٧٣
- ٧٧- التفريق: ٧٣
- ٧٨- جمع و تقسيم: ٧٣
- ٧٩- جمع و تفريق: ٧٣
- ٨٠- تقسيم و تفريق: ٧٣
- ٨١ و ٨٢- جمع و تفريق و تقسيم: ٧٣
- [«التفسير»] ٧٤
- [«الكلام الجامع»] ٧٤
- [«حسن التخلص» أو «حسن المخلص»] ٧٤
- [«الزلزل»] ٧٤
- [«الإبداع»] ٧٤
- [«التعجب»] ٧٥
- [«حسن التعليل»] ٧٥
- [«الطرد و العكس»] ٧٥
- [«المكرر»] ٧٥
- [«حسن الطلب» و «حسن المقطع»] ٧٥
- و لكن هناك أنواعا أخرى يمكن أن يطلع عليها الباحث المتمق ٧٦
- اشارة ٧٦
- ١- التأريخ: ٧٦
- ٢- التلميح ٧٦
- التلميح من أجمل الصناعات البلاغية و أحسنها، ٧٦
- صعوبة استعمال التلميح فى الأشعار الإسلامية: ٧٧
- ٣- التصحيف: ٧٧
- ٤- الهجو و الجواب: ٧٧

- ٧٨ التشبيهات و الاستعارات تسودها روح المحافظه:
- ٧٩ الشعر الاسلامى تسوده روح المحافظه:
- ٧٩ أساس النقد فى الموضوع و الأسلوب:
- ٧٩ ابن خلدون و رأيه فى الأسلوب:
- ٨٠ روح المحافظه فى أساليب الشعر و النثر فى الفارسية:
- ٨٠ التصنع صفة عارضة فى الاساليب الفارسية:
- ٨١ الفصل الثانى عصر الدولة الغزنوية منذ بدايته إلى وفاة السلطان محمود الغزنوى
- ٨١ حالة فارس فى نهاية القرن العاشر الميلادى «١»:
- ٨١ [الأوضاع العامة فى ذلك الوقت]
- ٨١ [«البويهيين» «السامانيين» «الزيارين»]
- ٨١ منزلة الأدب فى خراسان و طبرستان و جنوب فارس:
- ٨٢ السلطان محمود الغزنوى:
- ٨٣ ابن سينا يفر من قبضة محمود:
- ٨٣ البيرونى و السلطان محمود الغزنوى:
- ٨٤ أبو الفتح البستى:
- ٨٤ رعاة الآداب و كثرتهم:
- ٨٤ أبو منصور الثعالبى:
- ٨٤ أبو ريحان البيرونى:
- ٨٥ مراكز الحضارة الأربعة فى إيران:
- ٨٥ الصاحب بن عباد:
- ٨٥ شمس المعالى قابوس:
- ٨٦ السلطان محمود، أخلاقه و ألقابه:
- ٨٦ أبو ريحان البيرونى:
- ٨٦ ابن سينا:

- ٨٦ [مكتب ابن سينا]
- ٨٧ [نبذة من حياة ابن سينا]
- ٨٧ قصائد ابن سينا الفارسية:
- ٨٨ رباعيات الخيام الجائلة:
- ٨٨ قصيدة ابن سينا عن الروح:
- ٨٩ بديع الزمان الهمذاني:
- ٨٩ مهيار الديلمي:
- ٩٠ المجوسى الطيب:
- ٩٠ شعراء الفارسية:
- ٩٠ اشارة
- ٩٢ عنصرى:
- ٩٤ عسجدى:
- ٩٤ فرخى:
- ٩٧ الفردوسى:
- ٩٧ [قصة مشهورة فى مدينة «غزنه»]
- ٩٨ رواية «جهار مقاله»
- ١٠١ رواية دولتشاه:
- ١٠٢ مؤلفات الفردوسى:
- ١٠٥ يوسف و زليخا:
- ١٠٥ غزليات الفردوسى:
- ١٠٦ اسدى:
- ١٠٦ [أسدى الكبير «أبو نصر أحمد ابن منصور الطوسى»]
- ١٠٦ [حياة «الأسدى»]
- ١٠٦ [«الأسدى» هو الذى أكمل و أحكم «شعر المناظرة»]

- ١٠٧ [مناظره شب و روز: از گفتار أسدی]
- ١٠٩ أبو الفرج السجزي:
- ١٠٩ منوجهرى:
- ١١١ غضائرى:
- ١١١ بهرامى:
- ١١٢ پندار الرازى:
- ١١٣ الكسائى:
- ١١٥ الفصل الثالث العصر السلجوقى الأول منذ ظهور «طغرلىك» إلى وفاة «ملكشاه» و يتضمن الحديث عن مذهب الحشاشين و نشأتهم
- ١١٥ [ظهور السلاجقة الأتراک]
- ١١٦ أصل السلاجقة:
- ١١٧ الخلفاء الفاطمىون
- ١١٧ الدولة الغزنوية:
- ١١٧ الدولة البويهية:
- ١١٧ هجرة السلاجقة جنوبا:
- ١١٧ مسعود و السلاجقة:
- ١١٨ تأسيس الدولة السلجوقية:
- ١١٨ الخليفة يعترف بطغرل:
- ١١٨ موت طغرل:
- ١١٨ *** الب ارسلان:
- ١١٨ [تولى الملك بعد طغرل]
- ١١٩ نظام الملك:
- ١١٩ [حياة] ألب أرسلان
- ١٢٠ أعمال ألب أرسلان
- ١٢٠ موت ألب أرسلان

- ١٢١ ملكشاه:
- ١٢١ [حياة «ملكشاه»]
- ١٢٢ سقوط نظام الملك:
- ١٢٣ قتل نظام الملك:
- ١٢٤ موت ملكشاه:
- ١٢٥ قصة نظام الملك و الصباح و الخيام:
- ١٢٦ نشأة الحشاشين:
- ١٢٦ الشيعة:
- ١٢٦ المعتدلون و الغلاة:
- ١٢٦ الاسماعيلية:
- ١٢٧ الدولة الفاطمية:
- ١٢٧ مذهب الاسماعيليه:
- ١٢٧ العدد سبعة في مذهب الاسماعيلية:
- ١٢٨ المستنصر:
- ١٢٨ ناصر خسرو:
- ١٢٨ الحسن بن الصباح:
- ١٣٠ مراتب الحشاشين:
- ١٣٢ ناصر خسرو:
- ١٣٢ الفصل الرابع الأدب في العصر السلجوقي الأول نظام الملك و معاصروه:
- ١٣٢ نظام الملك و كتابه «سياستنامه»:
- ١٣٢ [الكلام في نشر هذا الكتاب و نسخه]
- ١٣٣ [أهمية و قيمة هذا الكتاب]
- ١٣٣ [فصول هذا الكتاب]
- ١٣٤ [الأخطاء التاريخية في هذا الكتاب]

- ١٣٤ ناصر خسرو:
- ١٣٤ [الحكايات حول شخصه]
- ١٣٦ آثار ناصر خسرو
- ١٣٦ كتاب سفرنامه
- ١٣٦ ناصر خسرو فى مصر
- ١٣٦ وصف القاهرة فى كتاب سفرنامه
- ١٣٧ ديوان ناصر خسرو:
- ١٣٧ [مقدمة فى اشتراك الاسم]
- ١٣٨ دراسة الديوان
- ١٣٩ أما الأماكن المذكورة فى الديوان
- ١٣٩ أما الأشخاص الذين ورد ذكرهم فى الديوان
- ١٤٠ و فيما عدا الإسلام يذكر «ناصر خسرو» من الأديان الأخرى ما يأتى:
- ١٤٠ [ذكر أصحاب المذاهب الإسلامية]
- ١٤٠ [الإشارة إلى حياته]
- ١٤٠ آراؤه الدينية:
- ١٤١ مترجمات من أشعاره
- ١٤٨ أشعار الإلحاد المنسوبة إلى ناصر خسرو
- ١٤٨ بقيه آثاره:
- ١٤٨ روشنائى نامه:
- ١٤٩ شعراء الرباعيات: [فى هذا العصر]
- ١٤٩ اشارة
- ١٤٩ عمر الخيام
- ١٤٩ [نبذة من ترجمته]
- ١٥٠ أحدث الأبحاث عن حياة عمر الخيام

- ١٥٠ كتاب «عمر الخيام و الرباعيات الجائلة» للأستاذ «فالنتين ژوكوفسكى» [
- ١٥١ كتاب «مرصاد العباد»
- ١٥١ كتاب «تاريخ الحكماء» للقفطى:
- ١٥٢ كتاب «نزهة الارواح» للشهرزورى:
- ١٥٢ كتاب «آثار البلاد» للقزوينى:
- ١٥٣ كتاب «جامع التواريخ»:
- ١٥٣ كتاب «فردوس التواريخ»:
- ١٥٣ كتاب «التاريخ الألفى»:
- ١٥٤ الآداب الخيامية
- ١٥٥ الرباعيات الجائلة:
- ١٥٦ *** بابا طاهر الهمدانى
- ١٥٦ اشارة
- ١٥٦ [طبع رباعياته]
- ١٥٦ حياة «بابا طاهر»
- ١٥٧ *** أبو سعيد ابن أبى الخير:
- ١٥٧ [مولده و حياته]
- ١٥٨ أبو سعيد و التصوف
- ١٦٠ عبد الله الانصارى:
- ١٦٠ [نسبته إلى أصل عربى]
- ١٦٠ و إليك نبذة مترجمة من «مناجاته»:
- ١٦٠ [آثاره]
- ١٦١ [الحديث عن طائفة من شعراء هذا العصر الذين لم يشتهروا بالتصوف]
- ١٦١ اشارة
- ١٦١ قطران التبريزى

- ١٦٢ أسدى الاصغر
- ١٦٢ فخر الدين الجرجانى
- ١٦٢ [حياته و آثاره]
- ١٦٣ [«فصيحى الجرجانى»]
- ١٦٣ قصة «وامق و عذرا»
- ١٦٤ [كتب منشورة فارسية]
- ١٦٤ قابوس نامه:
- ١٦٤ [موضوعات هذا الكتاب]
- ١٦٥ قائمة بالحكايات المروية فى «قابوس نامه»
- ١٦٦ [أشعار قابوس نامه]
- ١٦٧ [الأشخاص الذين ذكرهم المؤلف فى حكاياته]
- ١٦٧ أسلوب «قابوس نامه»:
- ١٦٩ كتب أخرى منشورة
- ١٦٩ «نزهت نامه»
- ١٧٠ الماوردى
- ١٧٠ أبو العلاء المعرى
- ١٧١ الغزالى:
- ١٧٢ الفصل الخامس عصر السلطان سنجر و اخوته (٤٨٥ - ٥٥٢ هـ - ١٠٩٢ - ١١٥٧ م)
- ١٧٢ الفترة التى نقدم على دراستها فى هذا الفصل تستغرق خمسا و ستين سنة،
- ١٧٣ عصر سنجر من الناحية العلمية و الأدبية
- ١٧٣ *** [سنتحدث أولا على الوضع السياسى لإيران و البلاد المجاورة لها خلال هذا العصر]
- ١٧٣ اشارة
- ١٧٤ [أولاد ملكشاه]
- ١٧٤ اشارة

- ١٧٤ [١- «بركيارق»]
- ١٧٤ ٢- محمد بن ملكشاه:
- ١٧٥ اشارة
- ١٧٥ محمود بن محمد
- ١٧٥ ٣- سنجر [بن ملكشاه]
- ١٧٥ سلاجقه كرمان:
- ١٧٦ الخلفاء العباسيون المعاصرون
- ١٧٦ الغوربون و الغزنويون:
- ١٧٧ ملوك خوارزم أو الخوارزمشاه:
- ١٧٧ شعراء سنجر و أتسز:
- ١٧٧ اشارة
- ١٧٧ أما «المعزى»
- ١٧٧ [«الأديب صابر»]
- ١٧٨ [«الأنورى» و «رشيد الدين الطواط»]
- ١٧٨ الاسماعيلية فى ألموت أو الحشاشون:
- ١٧٨ [«الحسن بن الصباح» و حياته]
- ١٧٩ [بيان قليل من نجاحات هذه الطائفة]
- ١٧٩ [تخريب حصن «شاهدژ» بالقرب من أصفهان]
- ١٨٠ الحركة الادبية فى هذا العصر
- ١٨٠ اشارة
- ١٨١ أولا- شعراء الفرس
- ١٨١ اشارة
- ١٨١ سنائى:
- ١٨١ [حياته]

- ١٨١ [آثاره]
- ١٨١ حديقة الحقيقة:
- ١٨٣ *** أما ديوان سنائي -
- ١٨٥ أزرقى:
- ١٨٥ مسعود سعد سلمان «٢»
- ١٨٧ أبو طاهر الخاتوني:
- ١٨٧ معزى:
- ١٨٩ رشيد الدين الوطواط:
- ١٩٠ أديب صابر:
- ١٩١ [«عمق البخارى» و «الرشيدى»]
- ١٩١ نظامى عروضى سمرقندى:
- ١٩٣ عبد الواسع الجبلى:
- ١٩٤ سوزنى:
- ١٩٤ صغار الشعراء [فى هذا الزمان]
- ١٩٤ [من نسى ذكرهم من الشعراء]
- ١٩٤ اشارة
- ١٩٥ مهستى
- ١٩٥ [فريد كاتب عماد زوزنى أو عماد الزوزنى سيد حسن الغزنوى]
- ١٩٥ [«الأنورى» و «الخاقانى» و «نظامى الگنجوى»]
- ١٩٦ التواليف الفارسية المنثورة فى هذا العصر
- ١٩٦ [«حدائق السحر» «چهار مقاله» «كيمياى سعادت»]
- ١٩٦ [ثلاثة كتب منثورة أخرى]
- ١٩٦ اشارة
- ١٩٦ ذخيره خوارزمشاهى:

- ١٩٦ مقامات حميدى: مقامات حميدى: ١٩٦
- ١٩٧ كليله و دمنه: كليله و دمنه: ١٩٧
- ١٩٩ الكتب العربية فى هذا العصر الكتب العربية فى هذا العصر ١٩٩
- ١٩٩ اشارة اشارة ١٩٩
- ١٩٩ و أهم كتاب العربية و علمائها الذين توفوا فى هذا العصر و أهم كتاب العربية و علمائها الذين توفوا فى هذا العصر ١٩٩
- ٢٠٠ الباخرزى: الباخرزى: ٢٠٠
- ٢٠١ الرويانى: الرويانى: ٢٠١
- ٢٠١ الحريرى: الحريرى: ٢٠١
- ٢٠٢ أنو شروان بن خالد: أنو شروان بن خالد: ٢٠٢
- ٢٠٢ الزمخشري: الزمخشري: ٢٠٢
- ٢٠٢ الشهرستاني: الشهرستاني: ٢٠٢
- ٢٠٣ الفصل السادس الشعراء الأربعة النابهن فى نهاية القرن الثانى عشر الميلادى (السادس الهجرى) الفصل السادس الشعراء الأربعة النابهن فى نهاية القرن الثانى عشر الميلادى (السادس الهجرى) ٢٠٣
- ٢٠٣ اشارة اشارة ٢٠٣
- ٢٠٣ مقدمة: مقدمة: ٢٠٣
- ٢٠٣ ١- الأنورى ١- الأنورى ٢٠٣
- ٢٠٣ [شهرة «الأنورى»] [شهرة «الأنورى»] ٢٠٣
- ٢٠٤ مصادر دراسة الأنورى مصادر دراسة الأنورى ٢٠٤
- ٢٠٤ نشأة الانورى: نشأة الانورى: ٢٠٤
- ٢٠٥ [رسالة الأستاذ «فالنتين زوكوفسكى بعنوان «أوحد الدين الأنورى»] [رسالة الأستاذ «فالنتين زوكوفسكى بعنوان «أوحد الدين الأنورى»] ٢٠٥
- ٢٠٥ [هذه الرسالة مكتوبة باللغة الروسية] [هذه الرسالة مكتوبة باللغة الروسية] ٢٠٥
- ٢٠٥ و الرسالة الروسية الأصلية تحتوى على: و الرسالة الروسية الأصلية تحتوى على: ٢٠٥
- ٢٠٦ [الأسباب التى دعتة إلى اختيار القصائد الست] [الأسباب التى دعتة إلى اختيار القصائد الست] ٢٠٦
- ٢٠٧ [اختار «زوكوفسكى» أربع غزليات فقط] [اختار «زوكوفسكى» أربع غزليات فقط] ٢٠٧
- ٢٠٧ [حاول «زوكوفسكى» أن يميز بين ثلاثة عصور مختلفة فى تطور الشعر الفارسى] [حاول «زوكوفسكى» أن يميز بين ثلاثة عصور مختلفة فى تطور الشعر الفارسى] ٢٠٧

- ٢٠٧ أما مولد «الأنورى» و صباه
- ٢١١ و أشهر قصيدة معروفة للأنورى فى أوروبا
- ٢١٣ شعر الأنورى:
- ٢١٣ صعوبة أشعار الأنورى:
- ٢١٣ أسلوب الأنورى:
- ٢١٤ ٢- خاقانى
- ٢١٤ [نبذة من حياته]
- ٢١٤ خاقانى و أبو العلاء الكنجوى:
- ٢١٦ تحفة العراقيين:
- ٢١٦ [زيارة «خاقانى» مدينة أصفهان]
- ٢١٧ [حبسه فى قلعة «شابران»]
- ٢١٧ فن الخاقانى:
- ٢١٨ ٣- نظامى الكنجوى
- ٢١٨ [رسالة الدكتور «ولهم باخر»]
- ٢١٨ [اسمه و حياته]
- ٢١٩ مكانة نظامى:
- ٢١٩ مخزن الأسرار
- ٢٢٠ خسرو و شيرين
- ٢٢١ ليلى و مجنون:
- ٢٢٣ هفت پيكر أو بهرامنامه (الصور السبع أو كتاب بهرام)
- ٢٢٤ اسكندرنامه أو كتاب الاسكندر
- ٢٢٤ ٤- ظهير الدين الفاريسى
- ٢٢٤ [اسمه و ديوانه]
- ٢٢٥ الملوك و الأمراء الذين اتصل بهم ظهير الدين:

- ٢٢٧ حياة ظهير الدين:
- ٢٢٧ [موطنه و مسكنه]
- ٢٢٧ [معاصريه الكبيرين]
- ٢٢٨ [مذهبه و شربه للخمر]
- ٢٢٨ [الشعراء على دين ملوكهم]
- ٢٣٠ [التهديد بالهجاء]
- ٢٣٠ [منزلته في العلم]
- ٢٣١ خاتمه: [في علة الإطالة الكلام فيه]
- ٢٣١ الفصل السابع مملكة خوارزم
- ٢٣١ غارة المغول على خوارزم، و استيلاؤهم على بغداد و تحطيمهم للخلافة العباسية
- ٢٣١ «ذكر خروج التتر إلى بلاد الإسلام» [في كلام ابن الأثير]
- ٢٣٢ [كلام «ياقوت الحموي» حول جنایات المغول]
- ٢٣٤ [ذكر مرجعين مراجع للتحقيق في تاريخ المغول]
- ٢٣٤ [اطمع و خيانة ملك خوارزم «علاء الدين محمد» هو السبب لوقوع غارة المغول]
- ٢٣٥ [الإهانة برسل «جنگيز خان»]
- ٢٣٥ [ذكر عدد من جنایات المغول في فتح المدن]
- ٢٣٦ [ذكر شيء عادات المغول الكارهة]
- ٢٣٦ [المغول في أمور الدين]
- ٢٣٧ [تأثيرها في أوربا]
- ٢٣٧ [الإعتاق بالدين الإسلامي]
- ٢٣٨ عهود استعلاء نفوذ المغول في إيران:
- ٢٣٨ [عهد التدمير]
- ٢٣٨ [عهد لاستعلاء]
- ٢٣٩ جلال الدين خوارزمشاه

- ٢٤٠ اوكدائ (أوكتائ):
- ٢٤١ كيوك:
- ٢٤١ منكو:
- ٢٤١ هولاكو:
- ٢٤٢ الحشاشون أو الاسماعيلية فى الموت:
- ٢٤٢ اشارة
- ٢٤٢ [الحسن بن الصباح]
- ٢٤٢ [ابنه «نور الدين محمد»]
- ٢٤٣ [حملة «هولاكو»]
- ٢٤٣ [عطا ملك الجوينى و التواليف القيمة]
- ٢٤٤ الهجوم على بغداد
- ٢٤٤ [الإندارا إلى الخليفة «المستعصم بالله»]
- ٢٤٤ [تلاقى جيوش المغول مع جيوش الخليفة فى تكريت]
- ٢٤٤ [تلاقى الجيوش المرة الثانية بالقرب من دجيل]
- ٢٤٥ [اعدد الهلكى فى بغداد]
- ٢٤٥ أما الطريقة التى اتبعها المغول فى قتل الخليفة
- ٢٤٥ و بدأت الغارة على بغداد فى يوم ١٣ فبراير سنة ١٢٥٨ م- منتصف المحرم سنة ٦٥٦ هـ
- ٢٤٥ أما الخسارة التى أصابت الحركة العلمية الإسلامية
- ٢٤٥ ابن العلقمى: [أو الدور الذى لعبه فى تسليم بغداد]
- ٢٤٦ المستعصم:
- ٢٤٦ جدول بأسماء كتاب العصر المغولى الأول [وفقا لورود ذكرهم فى الفصل التالى]
- ٢٤٧ الفصل الثامن كتاب العصر المغولى الأول ٦٠٠-٦٦٠ هـ- ١٢٠٣-١٢٦٢ م
- ٢٤٧ مقدمة:
- ٢٤٧ ١- أصحاب التواريخ العامة

- ٢٤٧ ابن الأثير:
- ٢٤٨ ابن العبرى:
- ٢٤٨ منهاج السراج:
- ٢٤٩ جرجيس المكين:
- ٢٤٩ ٢- أصحاب التواريخ الخاصة
- ٢٤٩ اشارة
- ٢٤٩ الجرباذقانى:
- ٢٤٩ الفتح البندارى:
- ٢٥٠ عطا ملك الجوينى:
- ٢٥٠ أحمد النسوى:
- ٢٥١ ٣- كتاب التراجم
- ٢٥١ ابن خلكان:
- ٢٥١ القفطى
- ٢٥٢ ابن أبى أصيبعة:
- ٢٥٢ محمد عوفى:
- ٢٥٣ ٤- أصحاب التواريخ المحلية
- ٢٥٣ ابن اسفنديار
- ٢٥٤ ٥- الجغرافيون و الرحالون [الكتب الجغرافية و كتب الأسفار]
- ٢٥٤ اشارة
- ٢٥٤ ياقوت:
- ٢٥٤ القزوينى:
- ٢٥٥ ابن جبير:
- ٢٥٥ ٦- الفلاسفة
- ٢٥٥ اشارة

- ٢٥٥ فخر الدين الرازى:
- ٢٥٥ نصير الدين الطوسى:
- ٢٥٦ ٧- أصحاب التواليف العربية
- ٢٥٦ اشارة
- ٢٥٦ ابن ميمون
- ٢٥٦ البونى
- ٢٥٦ ابن البيطار
- ٢٥٦ التيفاشى
- ٢٥٦ عز الدين الزنجانى:
- ٢٥٦ جمال القرشى:
- ٢٥٦ ابن الحاجب:
- ٢٥٦ المطرزى:
- ٢٥٧ ضياء الدين بن الأثير:
- ٢٥٧ مجد الدين بن الاثير:
- ٢٥٧ البيضاوى:
- ٢٥٧ ياقوت المستعصمى:
- ٢٥٧ ٨- مؤلفون آخرون
- ٢٥٧ أبو نصر الفراهى:
- ٢٥٧ شمس قيس الرازى:
- ٢٥٧ سعد الدين الوراوينى:
- ٢٥٨ ٩- كتاب الصوفية
- ٢٥٨ [كاتبين عربيين و كاتبين فارسين]
- ٢٥٨ روزبهان
- ٢٥٩ نجم الدين كبرى:

- ٢٦٠ مجد الدين البغدادي:
- ٢٦٠ سعد الدين الحموي
- ٢٦٠ نجم الدين داويه:
- ٢٦١ شهاب الدين السهروردي:
- ٢٦١ محيي الدين بن العربي «٢»:
- ٢٦١ [مولده و حياته]
- ٢٦٢ كتاب فصوص الحكم:
- ٢٦٣ ابن الفارض:
- ٢٦٤ الفصل التاسع شعراء العصر المغولي الأول
- ٢٦٤ اشارة
- ٢٦٤ ١- فريد الدين العطار
- ٢٦٤ [عدد تأليفاته]
- ٢٦٤ حياة العطار:
- ٢٦٥ موت العطار:
- ٢٦٦ منطق الطير:
- ٢٦٨ ٢- جلال الدين الرومي
- ٢٦٨ اشارة
- ٢٦٨ حياة جلال الدين
- ٢٦٩ ديوان شمس تبريز:
- ٢٧٠ قيمة المثنوي
- ٢٧٠ مترجمو جلال الدين إلى الانجليزية:
- ٢٧٢ ديوان شمس تبريز:
- ٢٧٣ ٣- سعدى
- ٢٧٣ [صيت السعدى و شهرته]

- ٢٧٣ حياة السعدى:
- ٢٧٥ أسفار السعدى:
- ٢٧٦ سعدى و تعليم الأخلاق:
- ٢٧٦ مؤلفات السعدى:
- ٢٧٧ سعدى اللغوى:
- ٢٧٧ قصائد سعدى:
- ٢٧٧ غزليات سعدى:
- ٢٧٩ أشعار سعدى الواردة فى الكلستان و ديوان حافظ:
- ٢٨٠ ٤- صغار الشعراء
- ٢٨٠ اشارة
- ٢٨٠ (ا) شرف الدين شفروه:
- ٢٨٠ (ب) كمال الدين اسماعيل:
- ٢٨١ خاتمة الكتاب
- ٢٨١ كشف
- ٢٨٢ اشارة
- ٢٨٢ ١- أسماء المؤلفات
- ٢٨٢ اشارة
- ٢٨٢ [أ]
- ٢٨٢ (ب)
- ٢٨٣ (پ)
- ٢٨٣ (ت)
- ٢٨٤ (ج)
- ٢٨٤ (چ)
- ٢٨٤ (ح)

- ٢٨٤ (خ)
- ٢٨٥ (د)
- ٢٨٥ (ذ)
- ٢٨٥ (ر)
- ٢٨٦ (ز)
- ٢٨٦ (س)
- ٢٨٦ (ش)
- ٢٨٧ (ص)
- ٢٨٧ (ط)
- ٢٨٧ (ظ)
- ٢٨٧ (ع)
- ٢٨٧ (غ)
- ٢٨٧ (ف)
- ٢٨٨ (ق)
- ٢٨٨ (ك)
- ٢٨٨ (گ)
- ٢٨٨ (ل)
- ٢٨٩ (م)
- ٢٨٩ (ن)
- ٢٩٠ (ه)
- ٢٩٠ (و)
- ٢٩٠ (ى)
- ٢٩٠ ٢ أسماء الأعلام
- ٢٩٠ (ا)

- ٢٩٣ (ب)
- ٢٩٤ (پ)
- ٢٩٤ (ت)
- ٢٩٥ (ث)
- ٢٩٥ (ج)
- ٢٩٦ (ح)
- ٢٩٧ (خ)
- ٢٩٨ (د)
- ٢٩٨ (ذ)
- ٢٩٨ (ر)
- ٢٩٩ (ز)
- ٣٠٠ (ژ)
- ٣٠٠ (س)
- ٣٠١ (ش)
- ٣٠٢ (ص)
- ٣٠٢ (ض)
- ٣٠٢ (ط)
- ٣٠٣ (ظ)
- ٣٠٣ (ع)
- ٣٠٥ (غ)
- ٣٠٦ (ف)
- ٣٠٧ (ق)
- ٣٠٧ (ك)
- ٣٠٨ (گ)

- ٣٠٨ (ل)
- ٣٠٩ (م)
- ٣١٢ (ن)
- ٣١٤ (ه)
- ٣١٤ (و)
- ٣١٤ (ى)
- ٣١٥ ٣ أسماء الأمكنة
- ٣١٥ (ا)
- ٣١٦ (ب)
- ٣١٦ (پ)
- ٣١٧ (ت)
- ٣١٧ (ج)
- ٣١٧ (چ)
- ٣١٧ (ح)
- ٣١٨ (خ)
- ٣١٨ (د)
- ٣١٨ (ر)
- ٣١٩ (ز)
- ٣١٩ (س)
- ٣١٩ (ش)
- ٣١٩ (ص)
- ٣٢٠ (ط)
- ٣٢٠ (ع)
- ٣٢٠ (غ)

٣٢٠ (ف)

٣٢٠ (ق)

٣٢١ (ك)

٣٢١ (گ)

٣٢٢ (ل)

٣٢٢ (م)

٣٢٢ (ن)

٣٢٣ (ه)

٣٢٣ (و)

٣٢٣ (ى)

٣٢٣ تعريف مركز القائمة باصفهان للتمريرات الكمبيوترية

- أقسام الشعر بحسب موضوعاته ٦٠
الشعر الخليط ٦٣
قصيدة «قوامى الكنجوى» فى الصناعات البلاغية ٦٣
التأريخ بالأشعار ٩٠
التلميح ٩١
صعوبة استعمال التلميح فى الأشعار الإسلامية ٩٢
التصحيف ٩٤
الهجو و الجواب ٩٥
التشبيها و الاستعارات تسودها روح المحافظة ٩٨
الشعر الإسلامى تسوده روح المحافظة ٩٩
أساس النقد فى الموضوع و الأسلوب ١٠٠
ابن خلدون و رأيه فى الأسلوب ١٠١
روح المحافظة فى أساليب الشعر و النثر فى الفارسية ١٠٣
التصنع صفة عارضة فى الأساليب الفارسية ١٠٤
الفصل الثانى عصر الدولة الغزنوية حالة فارس فى نهاية القرن العاشر الميلادى (الرباع الهجرى) ١٠٥
متزلة الأدب فى خراسان و طبرستان و جنوب فارس ١٠٦
تاريخ الادب فى ايران من الفردوسى الى السعدى/ تعريب، المقدمة، ص: ٣
السلطان محمود الغزنوى ١٠٩
ابن سينا يفر من قبضه محمود ١١٢
البيرونى و السلطان محمود الغزنوى ١١٣
أبو الفتح البستى ١١٤
رعاة الآداب و كثرتهم ١١٥
أبو منصور الثعالى ١١٦
أبو ريحان البيرونى ١١٦
مراكز الحضارة الأربعة فى إيران ١١٧
الصاحب بن عباد ١١٨
شمس المعالى قابوس ١١٩
أخلاق السلطان محمود ١٢٠
البيرونى و ابن سينا ١٢١
قصائد «ابن سينا» الفارسية ١٢٤
رباعيات «الخيام» الجائلة ١٢٥
قصيدة «ابن سينا» عن الروح ١٢٧
بديع الزمان الهمذانى ١٢٨
مهيار الديلمى ١٣٠
المجوسى الطبيب ١٣١
شعراء الفارسية ١٣٣
عنصرى ١٣٩
عسجدى ١٤٣
فرخى ١٤٤
الفردوسى ١٥٢
رواية «جهار مقالة» عن الفردوسى ١٥٧
رواية دولتشاه ١٦٥
مؤلفات الفردوسى: ال «شاهنامه» ١٦٨
يوسف و زليخا ١٧٥
غزليات الفردوسى ١٧٦
أسدى الطوسى ١٧٨
تاريخ الادب فى ايران من الفردوسى الى السعدى/ تعريب، المقدمة، ص: ٤
أبو الفرج السجزي ١٨٧
منوچهرى ١٨٨
غضائرى ١٩٣
بهرامى ١٩٤
بندار الرازى ١٩٦
الكسائى ١٩٩
الفصل الثالث العصر السلجوقى الأول مقدمة الفصل ٢٠٧
أصل السلاجقة ٢٠٩
الخلفاء الفاطميون الدولة الغزنوية ٢١٢
الدولة البويهية ٢١٣
هجرة السلاجقة جنوباً- مسعود و السلاجقة ٢١٤
تأسيس الدولة السلجوقية ٢١٥

- الخليفة يعترف بطغرل ٢١٦
 موت طغرل- ألب أرسلان ٢١٧
 نظام الملك ٢١٩
 ألب أرسلان ٢٢٠
 أعمال ألب أرسلان ٢٢١
 موت ألب أرسلان ٢٢٣
 ملكشاه ٢٢٥
 سقوط نظام الملك ٢٢٩
 قتل نظام الملك ٢٣١
 موت ملكشاه ٢٣٥
 قصة نظام الملك و الصباح و الخيام ٢٣٦
 نشأة الحشاشين ٢٣٩
 الشيعة ٢٤٠
 المعتدلون و الغلاة-الإسماعيلية ٢٤١
 تاريخ الادب في ايران من الفردوسى الى السعدى/ تعريب، المقدمة، ص: ٥
 الدولة الفاطمية ٢٤٢
 مذهب الإسماعيلية- العدد سبعة في مذهبهم ٢٤٣
 المستنصر ٢٤٥
 ناصر خسرو ٢٤٦
 الحسن بن الصباح ٢٤٧
 مراتب الحشاشين ٢٥٢
 الفصل الرابع الادب في العصر السلجوقي الأول نظام الملك و كتابه «سياست نامه» ٢٥٩
 ناصر خسرو ٢٦٥
 آثار ناصر خسرو- كتاب «سفرنامه» ٢٦٩
 ناصر خسرو في مصر- وصف القاهرة في كتاب سفرنامه ٢٧١
 ديوان ناصر خسرو ٢٧٤
 دراسة الديوان ٢٧٧
 آراء ناصر خسرو الدينية ٢٨٢
 مترجمات من ديوانه ٢٨٤
 أشعار الالحاد المنسوبة إلى ناصر خسرو ٢٩٩
 بقية آثاره- روشنائى نامه ٣٠١
 شعراء الرباعيات ٣٠٣
 عمر الخيام ٣٠٤
 أحدث الأبحاث عن حياة الخيام ٣٠٧
 كتاب «مرصاد العباد» و ما أورده عن الخيام ٣٠٨
 كتاب «تاريخ الحكماء» و ما أورده عن الخيام ٣٠٩
 كتاب «نزهة الأرواح» و ما أورده عن الخيام ٣١٠
 كتاب «آثار البلاد» و ما أورده عن الخيام ٣١٢
 كتاب «جامع التواريخ» و ما أورده عن الخيام ٣١٣
 كتاب «فردوس التاريخ» و ما أورده عن الخيام ٣١٥
 كتاب «التاريخ الألفى» و ما أورده عن الخيام ٣١٥
 تاريخ الادب في ايران من الفردوسى الى السعدى/ تعريب، المقدمة، ص: ٦
 الآداب الخيامية ٣١٨
 الرباعيات الجائلة ٣١٩
 باباطاهر الهمداني ٣٢٢
 حياة باباطاهر ٣٢٣
 أبو سعيد بن أبي الخير ٣٢٥
 أبو سعيد و التصوف ٣٢٩
 عبد الله الأنصاري ٣٣٦
 قطران التبريزي ٣٣٨
 أسدى الأصغر ٣٤٠
 فخر الدين الجرجاني ٣٤٢
 قصة وامق و عذرا ٣٤٤
 قابوس نامه ٣٤٦
 أسلوب قابوس نامه ٣٥٤
 كتب أخرى مثورة- نزهت نامه ٣٦٢
 الماوردى ٣٦٣
 أبو العلاء المعرى ٣٦٤
 الغزالي ٣٦٨

الفصل الخامس عصر السلطان سنجر و إخوته	
مقدمة الفصل ٣٧١	
عصر سنجر من الناحية العلمية و الأدبية ٣٧٣	
محمد بن ملكشاه ٣٧٧	
محمود بن محمد- سنجر ٣٧٨	
سلاجقة كرمان- الخلفاء العباسيون المعاصرون ٣٨٠	
الغوريون و الغزنويون ٣٨١	
ملوك خوارزم ٣٨٣	
شعراء سنجر و آتسنز ٣٨٥	
تاريخ الادب في ايران من الفردوسى الى السعدى/ تعريب، المقدمة، ص: ٧	
الإسماعيلية في الموت أو الحشاؤون ٣٨٨	
الحركة الأدبية في هذا العصر- شعراء الفرس ٣٩٥	
سنائي ٣٩٥	
حديقة الحقيقة ٣٩٧	
أزرقى ٤٠٦	
مسعود سعد سلمان ٤٠٧	
أبو طاهر الخاتوني ٤١١	
معزى ٤١٣	
رشيد الدين الطوطاط ٤١٧	
أديب صابر ٤٢١	
نظامى عروضى سمرقندى ٤٢٥	
عبد الواسع الجبلى ٤٣٠	
سوزنى ٤٣٣	
صغار الشعراء ٤٣٥	
مهستى ٤٣٦	
التوليف الفارسية المنتورة في هذا العصر ٤٣٨	
ذخيره خوارزمشاهى ٤٣٨	
مقامات حميدى ٤٣٩	
كليله و دمنه ٤٤٣	
الكتب العربية في هذا العصر ٤٤٨	
الباخرزى ٤٥١	
الرويانى ٤٥٤	
الحريرى ٤٥٦	
أنو شروان بن خالد ٤٥٧	
الزَمْخْشَرى ٤٥٨	
الشهرستاني ٤٥٩	
تاريخ الادب في ايران من الفردوسى الى السعدى/ تعريب، المقدمة، ص: ٨	
الفصل السادس الشعراء الأربعة النابهون	
مقدمة ٤٦١	
١- الأنورى ٤٦٢	
مصادر دراسة الأنورى ٤٦٣	
نشأة الأنورى ٤٦٤	
شعر الأنورى ٤٩٢	
٢- الخاقانى ٤٩٥	
خاقانى و أبو العلاء الكنجوى ٤٩٦	
تحفة العراقيين ٥٠٢	
فن الخاقانى ٥٠٥	
٣- نظامى الكنجوى ٥٠٦	
مكانة نظامى ٥١٠	
مخزن الأسرار ٥١١	
خسرو و شيرين ٥١٣	
ليلى و مجنون ٥١٦	
هفت بيكر ٥٢٠	
إسكندرنامه ٥٢٤	
٤- ظهير الدين الفاريابى ٥٢٥	
الملوك و الأمراء الذين اتصل بهم ظهير الدين ٥٢٨	
حياة ظهير الدين ٥٣١	
الفصل السابع مملكة خوارزم	
غارة المغول على خوارزم و استيلائهم على بغداد و تحطيمهم للخلافة العباسية ٥٤٥	

- عهد استعلاء نفوذ المغول فى إيران ٥٦٥
- تاريخ الادب فى ايران من الفردوسى الى السعدى/ تعريب، المقدمة، ص: ٩
- جلال الدين خوارزمشاه ٥٦٩
- أوگداى ٥٧٣
- كيوك ٥٧٣
- منگو ٥٧٥
- هولاكو ٥٧٦
- الحشاشون أو الإسماعيلية فى الموت ٥٧٦
- الهجوم على بغداد ٥٨٣
- ابن العلقمى ٥٨٧
- المستعصم ٥٨٥
- الفصل الثامن كتاب العصر المغولى الأول
- مقدمة ٥٩١
- ١- أصحاب التواريخ العامة ٥٩٢
- ابن الأثير ٥٩٢
- ابن العبرى ٥٩٣
- منهاج السراج ٥٩٥
- جرجيس السكين ٥٩٦
- ٢- أصحاب التواريخ الخاصة ٥٩٧
- الجرىباذقانى ٥٩٧
- الفتح البندارى ٥٩٩
- عطا ملك الجوينى ٥٩٩
- أحمد النسوى ٦٠٠
- ٣- كتاب التراجم ٦٠٢
- ابن خلکان ٦٠٢
- القطفى ٦٠٤
- ابن أبى أصيبعة ٦٠٥
- محمد عوفى ٦٠٦
- تاريخ الادب فى ايران من الفردوسى الى السعدى/ تعريب، المقدمة، ص: ١٠
- ٤- أصحاب التواريخ المحلية ٦٠٨
- ابن إسفنديار ٦٠٨
- أبو عبد الله الديبى ٦١٠
- ٥- الجغرافيون و الرحالون ٦١١
- ياقوت ٦١١
- القزوينى ٦١٢
- ابن جبير ٦١٤
- ٦- الفلاسفة ٦١٥
- فخر الدين الرازى ٦١٥
- نصير الدين الطوسى ٦١٥
- ٧- أصحاب التوايف العربية ٦١٨
- ابن ميمون، البونى، ابن البيطار، التيفاشى ٦١٨
- عز الدين الزنجانى، جمال القرشى، ابن الحاجب، المطرزى ٦١٩
- ضياء الدين بن الأثير، مجد الدين بن الأثير ٦١٩
- البيضاوى، ياقوت المستعصمى ٦٢٠
- ٨- مؤلفون آخرون ٦٢١
- أبو نصر الفراهى، شمس قيس الرازى ٦٢١
- سعد الدين الورائى ٦٢٢
- ٩- كتاب الصوفية ٦٢٣
- روزبهان ٦٢٤
- نجم الدين كبرى ٦٢٥
- مجد الدين البغدادى ٦٢٩
- سعد الدين الحموى ٦٣٠
- نجم الدين داية ٦٣١
- شهاب الدين السهروردى ٦٣١
- محبى الدين بن العربى ٦٣٣
- كتاب فصوص الحكيم ٦٣٦
- ابن الفارض ٦٣٨
- تاريخ الادب فى ايران من الفردوسى الى السعدى/ تعريب، المقدمة، ص: ١١
- الفصل التاسع شعراء العصر المغولى الأول

- مقدمة ٦٤٢
- ١- فريد الدين العطار ٦٤٢
- حياة العطار ٦٤٣
- موت العطار ٦٤٥
- منطق الطير ٦٤٨
- ٢- جلال الدين الرومي ٦٥٤
- حياة جلال الدين ٦٥٤
- ديوان شمس تبريز ٦٥٨
- المتنوى ٦٥٩
- مترجمو جلال الدين إلى الإنجليزية ٦٦٠
- ديوان شمس تبريز ٦٦٤
- ٣- سعدي ٦٦٧
- حياة السعدي ٦٦٨
- أسفار السعدي ٦٧٢
- سعدي و تعليم الأخلاق ٦٧٤
- مؤلفات السعدي ٦٧٦
- سعدي اللغوي ٦٧٧
- قصائد سعدي ٦٧٨
- غزليات سعدي ٦٧٩
- أشعار سعدي ٦٨٢
- ٤- صفار الشعراء ٦٨٦
- شرف الدين شرفه ٦٨٦
- كمال الدين إسماعيل ٦٨٧
- خاتمة الكتاب ٦٨٩
- كشاف
- ١- أسماء المؤلفات ٦٩١
- ٢- أسماء الاعلام ٧١١
- ٣- أسماء الأئمة ٧٣٧

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، المقدمة، ص: ١٣

كلمة المترجم

[ارتباط حياة «براون» بـ«بغية إيران»]

في مطلع القرن العشرين، لمع في أفق «الدراسات الشرقية» اسم مستشرق عظيم هو: «إدوارد جرانفيلد براون» الأستاذ بجامعة كامبردج، فقد استطاع بتخصصه في لغات الأمم الإسلامية و إتقانه لثلاث منها هي «العربية» و «الفارسية» و «التركية»، أن يدخل نفسه في عداد كبار المستشرقين كافة، و أن يصبح كذلك زعيم المستشرقين الإنجليز في هذا القرن من الزمان.

ارتبطت حياة «براون» بـ«بغية إيران» ارتباطاً عجيباً منذ سنة ١٨٨٠ م، حينما بدأ و هو في الثامنة عشرة من عمره يدرس اللغة الفارسية و آدابها، فلما اكتملت له وسائل التحصيل و انتهى من دراساته الجامعية، جعل حياته وفقاً على هذه الأمة الخالدة، و شغل نفسه بتوحيها التاريخية و الفكرية و الاجتماعية، حتى أصبحت «إيران» همه الدائب و شغله الشاغل، يكتب عن أمجادها القديمة، كما يكتب عن حركاتها الحديثة، فتصبح كتاباته في كلا الناحيتين العماد و المرجع، و تصبح سجلاً كاملاً يتضمن كل ما عرف عن «إيران» منذ مشرق التاريخ حتى نهاية الربع الأول من هذا القرن الذي نعيش فيه.

و الكتب و الأبحاث التي ألفها «براون» أو التي تولى ترجمتها، أو التي قام على تصحيحها و إخراجها، تبلغ العشرات و العشرات؛ كل واحد منها يمتاز في موضوعه امتيازًا خاصاً، لا يستطيع أن يجحده جاحد أو ينكره معاند ... و لكن أهم هذه الكتب على الإطلاق هو الكتاب الذي جعله بعنوان: «تاريخ الأدب في إيران» و جعله «موسوعة أدبية» موزعة على أربعة مجلدات كبيرة، تربو صفحاتها على ألفين و مائتين من الصفحات، تستوعب مشتملاتها الحياة التاريخية و الفكرية للإيرانيين منذ أقدم ما عرف من أخبارهم و تواريخهم إلى سنة ١٩٢٤ م، أي خلال فترة تقرب من خمسة و عشرين قرناً.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، المقدمة، ص: ١٤

[قصة تأليف هذه «الموسوعة الأدبية»]

و قصة تأليف هذه «الموسوعة الأدبية» قصة طريفة، تسربت بعض أخبارها في ثنايا الكتابات التي كتبها المؤلف نفسه، فهو يقول في مقدمته على المجلد الأول: إن نفسه تنوق منذ سنوات إلى كتابة تاريخ يسجل فيه الحركة العقلية و الأدبية للإيرانيين، على نسق الكتاب المدهش الذي ألفه «جرين» عن تاريخ الشعب الإنجليزي؛ لأن هذا الكتاب - في معتقده - مفخرة لكل من احتذاه، يندر من يستطيع تقليده و مجاراته، و يتعدم من يرجو إدراكه أو التفوق على مستواه !!!

و لكن «براون» سرعان ما عاد عن فكرته في احتذاء نمط هذا الكتاب.

خشية أن يضطر إلى إخراج كتاب يكون شديد الإيجاز و الاختصار، فالتمس نموذجاً آخر يحتذيه، يكون في احتذائه مجالاً للتطويل و التفصيل، فكان نموذجاً في هذه المرة الكتاب الممتع الذي ألفه «جوسيراند» باسم «تاريخ الآداب الإنجليزية» فقد أعجب بفكرته و طريقة إخراجها إعجاباً شديداً، جعله يقرر في النهاية أن يخرج «تاريخ الأدب في إيران» على نسقه و منواله.

و عقد «براون» العزم على أن يتم كتابه في مجلد واحد، يضمه تاريخ إيران برمه حتى مطلع القرن الحالي، و لكنه سرعان ما تحقق من استحالة بغيته، فرجا أن يصل به على الأقل إلى غارة المغول على الديار الإسلامية، باعتبارها نقطة فاصلة من نقط التحول في التاريخ الإسلامي، و لكنه لم يلبث أن تأكد أيضاً من استحالة ذلك لاتساع الموضوع و تشعب نواحيه، فاضطر اضطراراً إلى أن يختم المجلد

الأول من كتابه بالحديث عن العصر الذي سبق «الفردوسي» بقليل من الزمن.

و انتهى «براون» من كتابة المجلد الأول في ١٤ سبتمبر سنة ١٩٠٢ م، وجعله بعنوان: «تاريخ الأدب في إيران، منذ أقدم الأزمنة إلى زمان الفردوسي».

A LITERARY HISTORY OF PERSIA: From the Earliest Times until Firdaws

و قد تضمن هذا المجلد الحديث عن «جاهلية إيران» والحديث عن القرون الأربعة الأولى من حياتها الإسلامية.

و انقضت بعد ذلك أربع سنوات تقريبا، فلما كان اليوم السادس عشر من

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، المقدمة، ص: ١٥

شهر مايو سنة ١٩٠٦ م نشر «براون» المجلد الثاني من موسوعته بعنوان:

«تاريخ الأدب في إيران، من الفردوسي إلى السعدي».

A LITERARY HISTORY OF PERSIA: From Firdaws to Saadi

وجعله وصلا للمجلد السابق، يتضمن تاريخ الأدب في إيران في الفترة الواقعة بين نهاية القرن الرابع الهجري ومنتصف السابع الهجري، أي بداية القرن الحادي عشر ومنتصف القرن الثالث عشر الميلادين.

و انقضت بعد ذلك فترة تبلغ أربع عشرة سنة، انشغل فيها «براون» بأحداث إيران الثورية و الدستورية، فكاد ينصرف عن عمله في مواصلة إتمام هذه الموسوعة التي بدأها بالمجلدين السابقين، لأنه وجد من الحق بل من الواجب عليه أن ينسى قليلا أمجاد إيران الغابرة و أن يأخذ بيدها في أحداث حياتها الحاضرة؛ فلما ساهم بنصيبه في ذلك، عاد إلى موضوعه الأصلي، فأصدر في ٥ إبريل سنة ١٩٢٠ م المجلد الثالث من موسوعته الأدبية عن إيران بعنوان جديد، هو:

«تاريخ الأدب الفارسي، من سنة ١٢٦٥ م إلى سنة ١٥٠٢ م»

(أي من سنة ٦٦٤ هـ إلى سنة ٩٠٨ هـ)

(A HISTORY OF PERSIAN LITERATURE) ١٢٦٥- ١٥٠٢

و قد تضمن هذا المجلد تاريخ الأدب في إيران من «السعدي» إلى «جامي» أي من موت «هولاكو» محطم الخلافة العباسية في بغداد إلى قيام الدولة «الصفوية» في إيران.

و بعد ذلك بأربع سنوات تقريبا، استطاع «براون» أن يتم موسوعته بإصدار المجلد الرابع و الأخير منها في ١٢ يونيو سنة ١٩٢٤ م و جعله بعنوان:

«تاريخ الأدب الفارسي: من سنة ١٥٠٠ إلى سنة ١٩٢٤»

أي من سنة ٩٠٦ هـ إلى سنة ١٣٤٢ هـ

(A HISTORY OF PERSIAN LITERATURE) ١٥٠٠- ١٩٢٤

و تضمن هذا المجلد تاريخ الأدب في إيران في عصورها الحديثة والمعاصرة.

و قد ابتهج «براون» بإخراجه ابتهاجا كبيرا لأنه حقق به أملا ظل يتردد في

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، المقدمة، ص: ١٦

جوانبه، و عملا ظل يشفق على نفسه من شدائده و متاعبه، حتى استطاع في النهاية و قبل وفاته بعام واحد و نصف العام أن يتوج سائر مجهوداته بإتمام هذه الموسوعة عن «الأدب في إيران» و أن يجعلها الأثر الخالد لسائر كتاباته أو كما يقول الفرس «شاهكار» كتبه و مؤلفاته.

و قد نشر «براون» المجلدين الأخيرين من هذه الموسوعة في دار نشر غير الدار التي نشرت له المجلدين الأولين، و علل ذلك بسببين هما:

أولاً- أنه أراد أن يسهل للمقتسبين أن يقتسوا من كتاباته كما أراد أن ييسر للمترجمين أن يحصلوا على الإذن بترجمة مؤلفاته؛ فرأى أن يتجه إلى دار نشر جديدة، تحقق هذه الغرضين و تعين عليهما.

ثانياً- أنه أراد أن ينشر النصوص الشرقية التي تعرض لها في كتاباته أو التي استشهد بها في مؤلفاته، بلغاتها الأصلية و بالحروف التي تكتب بها عادة في هذه اللغات، حتى ييسر للدارسين سبيل الانتفاع بها، فسعى إلى ناشر جديد، لديه من الأبهة و الاستعداد، ما يستطيع بهما أن يتلافى النقص الذي أصاب المجلدين السابقين فحرمهما من ذكر الشواهد بنصوصها الأصلية.

و لم يكن ناشره الجديد إلا- «دار طباعة جامعة كامبردج» فأخرجت المجلدين الأخيرين إخراجا حقق رجاء «براون» فيها، و رصعت صفحاتهما بإيراد الأمثلة و الشواهد بنصوصها الأصلية في الكتابات «العربية» و «الفارسية» و «التركية»، كما حققت للمترجمين و المقتسبين سبيل الاقتباس و الترجمة، فلم تبخل بالإذن إلى ذلك، بل و يسرته تيسيرا سخيا كريما، كان من نتيجته ترجمة بعض مجلدات هذه الموسوعة إلى الفارسية، ثم صدور هذه الترجمة العربية التي نسعى إلى نشرها لسائر المجلدات.

و قد نتج عن صدور مجلدات هذه «الموسوعة» في دارين من دور النشر أمور، جعلت المجلدين الأولين منها يتميزان بسمات تختلف عن السمات التي يتميز بها المجلدان الأخيران، ربما كان أظهرها و أوضحها أمران:

أولاً- أن المجلدين الأولين صدرا في البداية بعنوان موحد، هو:

A Literary History of Persia

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، المقدمة، ص: ١٧

أما المجلدان الأخيران فصدرا في البداية بعنوان آخر، هو:

"A History of Persian Literature"

ثانياً- أن المجلدين الأولين يخلون خلوا يكاد يكون تاما، من إيراد الشواهد في أصولها الشرقية: العربية أو الفارسية أو التركية، أما المجلدان الأخيران فترخر صفحاتهما بالشواهد الأصلية مطبوعة بالحروف التي تكتب بها هذه اللغات.

و في رأيي أنه لو امتد الأجل بالاستاذ «براون» لتدارك النقص الذي عاب المجلدين الأولين، و لضممتها كما فعل في المجلدين الأخيرين سائر الشواهد في نصوصها الشرقية الأصلية، و لجعل المجلدات الأربعة وحدة، مشتركة الصفات، متشابهة السمات.

و لكن من أسف أن الموت عاجله، و لم يمهله القدر إلا- عاما و نصف العام منذ فراغه من آخر المجلدات، فتوفي في الخامس من يناير سنة ١٩٢٦. و كل ما حدث بعد ذلك أنه منذ أخذت «دار طباعة جامعة كامبردج» حقوق طبع «الموسوعة» برمتها، أنها وحدت تسمية مجلداتها الأربعة، فجعلتها جميعها بعنوان واحد هو:

"A LITERARY HISTORY OF PERSIA"

و هو العنوان الذي استصوبت ترجمته إلى العربية بعبارة:

«تاريخ الأدب في إيران»

و صدرت الطبعة التالية بهذا العنوان، و تسلسلت مجلداتها على هذا النسق:

المجلد الأول: «تاريخ الأدب في إيران، منذ أقدم الأزمنة إلى الفردوسي»

المجلد الثاني: «تاريخ الأدب في إيران، من الفردوسي إلى السعدي»

المجلد الثالث: «تاريخ الأدب في إيران، أثناء حكم التار»

المجلد الرابع: «تاريخ الأدب في إيران، في الأزمنة الحديثة»

و حققت دار النشر بذلك، الفكرة التي ارتسمت في خاطر «براون» من جعل مجلداته الأربعة التي صور فيها الحياة الأدبية و الفكرية للإيرانيين موسوعة كاملة الدورات متصلة الحلقات.

[تخصيلات المترجم]

و لقد خلبتني هذه الموسوعة منذ قبض الله لي في سنة ١٩٣١ أن التحق بجامعة لندن لدراسة اللغات الشرقية و التخصص في اللغتين الفارسية و التركية على يدي أستاذ جليل من

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، المقدمة، ص: ١٨

تلاميذ «براون» هو المرحوم «السير دينيسون روس»، و أصبحت بتلميذتي لهذا الأستاذ وثيق الصلة بأستاذه «براون» و بسائر كتبه و مؤلفاته.

و تملكنتي رغبة جامحة، منذ أيام الطلب و التحصيل، في أن أنقل إلى العربية بعض مؤلفاته، و على الأخص موسوعته عن «تاريخ الأدب في إيران» حتى تكون نقطة البداية التي نبدأ بها دراساتها للأدب الفارسي في الجامعات المصرية الحديثة، لأنني تحققت من أن ترجمة كتاب من كتب المستشرقين، يكون جامعا لأطراف الموضوع، شاملا لخلاصة أبحاثهم فيه خلال القرون الطويلة التي سبقونا فيها إلى دراسة الأدب الفارسي، توفر علينا ضياع الوقت و الجهد في بحث أمور سبقت معالجتها و البلوغ بها إلى غاياتها أو ما يدنو من غاياتها، و أنه أجدي علينا أن نخصص جهودنا لتصرفها فيما يكون وصلا لما انقطع، و فيما يخرج بنا إلى بحوث جديدة، نضيفها إلى التراث العام الذي خلفه سائر المشتغلين بالدراسات الشرقية من مختلف الأجناس و القوميات و لو استطاع كل متخصص في علم من العلوم أو فن من الفنون أن ينقل إلى العربية كتابا واحدا من أمهات الكتب المتعلقة بموضوع تخصصه، لكان للعربية من مجموع هذه الترجمات ثروة طائلة، كفيلة بأن تجدد الفكر العربي و اللغة العربية تجديدًا كاملا ينتهي بنا إلى نهضة كاملة شاملة كالتى حدثت في أوروبا عندما نقلت إلى لغاتها الكتب العربية و الشرقية في سالف الوقت و الزمان، و لاستكملنا بهذه الثروة العريضة ما نقصنا في الفترة التي وقفنا فيها موقف الفطور و التكاثر و التخلف و التواكل.

[ترجمة «على أصغر حكمت» هذه الموسوعة إلى الفارسية]

و قد أحس الأيرانيون أنفسهم بخخطر الموسوعة التي أصدرها «براون» عن «تاريخ الأدب في إيران» فأقبلوا عليها يتدارسونها و يقتبسونها منها و يتبهون إلى أهميتها، و سعى منذ ثلاثين عاما تقريبا أحد رجالتهم الذين قدرت له تولى وزارة المعارف فيما بعد، و هو الأستاذ الكبير «على أصغر حكمت» أن يترجم هذه الموسوعة إلى الفارسية، و أقرته وزارة المعارف الإيرانية على مقترحه الذي يعود على العلم و الأدب بفائدة محققة، و حصل فعلا من الأستاذ «براون» في سنة ١٩٢٥ على إذن بنقل هذه الموسوعة إلى الفارسية، ثم وزع مجلداتها الأربعة على أربعة من كبار أدباء

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، المقدمة، ص: ١٩

إيران و محققها، كان هو نفسه واحدا منهم، و لكن الظروف و الأقدار شاءت ألا تصدر من الترجمة الفارسية حتى الآن إلا ترجمة المجلدين الأخيرين من هذه الموسوعة فأصدر المرحوم «رشيد ياسمي» الأستاذ بجامعة طهران ترجمة المجلد الرابع في سنة ١٣١٦ الهجرية الشمسية (١٩٣٧ م) بعنوان: «تاريخ أدبيات إيران از آغاز عهد صفوية تا زمان حاضر» ثم انقضت فترة تبلغ إحدى عشرة سنة استطاع بعدها وزير المعارف الإيرانية الأسبق الأستاذ «على أصغر حكمت» أن يخرج في سنة ١٣٢٧ الهجرية الشمسية (١٩٤٨ م) الترجمة الفارسية للمجلد الثالث من مجلدات براون بعنوان:

«از سعدي تا جامي: تاريخ ادبي ايران از نيمه قرن هفتم تا آخر قرن هشتم هجري، عصر استيلاء مغول و تاتار».

و أما المجلدان: الأول و الثاني، فما زال الأمل كبيرا في نقلهما إلى الفارسية، و ليس سبقنا إلى نقلهما إلى العربية من باب المصادفة المحضة فهما يشتملان على كثير من الأمور العربية التي تبرر لنا هذا السبق و تجعل لنا حقيرا فيه.

*** [مدة الترجمة تسع سنوات لمجلدين من هذه الموسوعة]

و لقد يسر الله لي حتى إبريل سنة ١٩٤٥ أي منذ تسع سنوات تقريبا أن أتم ترجمة المجلدين الأولين من موسوعة «براون» و طمعت في أن تعينني وزارة المعارف المصرية على نشرهما أو أن أجد الناشر الذي يرفع عن كاهلي كثيرا من النفقات و التكاليف، و لكنني لم أظفر للأسف بما يحقق البغية و يبسر المطلوب، فتوقفت السنوات الماضية أتدبر الأمور و أسعى إلى إكمال ترجمة المجلدين الأخيرين، حتى هيا الله لي في هذا العام الوسائل لنشر مجلد واحد منها، سأظل بعده أنتج الفرصة لنشر باقي المجلدات، و تحقيق أمل رجوته منذ سنوات.

و قد وقع اختياري على المجلد الثاني ليكون طليعة نشري لهذه المجلدات في نسختها العربية، و ربما كثرت الأسباب التي بررت لي البدء على هذا النحو الغريب، و لكن أهمها و أبرزها ما يأتي:

أولاً- أن المؤلف نفسه اعتبر كل مجلد من مجلداته وحدة قائمة بذاتها، تدرس عصرا معينا من عصور الأمة الإيرانية بحيث يمكن اعتبار كل واحد منها كتابا مستقلا لا بأس من طبعه على حدة:

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، المقدمة، ص: ٢٠

ثانياً- أن المجلد الأول لا يشتمل الا على الأصول الثانية التي لا تهم دارس الآداب الإسلامية بقدر ما تهم دارس الحضارات الإيرانية القديمة، و من أجل ذلك فصله المؤلف فصلا تاما عن المجلد الثاني و جعله تمهيدا له، لأنه يتعلق أكثر ما يتعلق ب «جاهلية إيران». أما المجلد الثاني ففيه بداية الحديث عن الآداب الفارسية بمعناها الفني الدقيق، أي منذ أخذ الفرس ينشئون آدابهم باللغة الفارسية التي نشأت بعد الفتح العربي لإيران، و ظلت مستعملة منذ ذلك الوقت حتى أيامنا هذه، فهو في الحقيقة نقطة البدء لدارس الآداب الإسلامية التي نشأت في إيران بعد الإسلام.

ثالثاً: أن كثيرا من المقدمات و التمهيدات التي اشتمل عليها المجلد الأول، قد تعرضت لها كتب عربية مختلفة، مما جعل قراء العربية

يعرفونها بوجه من الوجوه و يلمون بها إلى حد من الحدود، و في هذا ما يعرض عليهم هذه المقدمات إذا تأخر نشرها قليلا، و ما يجعل ابتداءهم بالمجلد الثاني بداية غير شواء و لا بتراء.

رابعا: أن المجلد الثاني هو أكثر المجلدات التي تهتم قراء العربية؛ فقد اشتملت على دراسة كثير من المسائل العربية التي أخرجتها عقول إيرانية، و من أجل ذلك فهو يهيم العرب بقدر ما يهيم الإيرانيين، و إذا كان «براون» قد عنى في سائر مجلداته بكثير من مسائل النتاج العربي الذي أخرجته عقول إيرانية، فإن النصيب الأوفى من هذه العناية كان من نصيب المجلد الثاني بحكم الظروف التي جعلت موضوعه مجالا لإظهار هذه الحقيقة و إثباتها.

لهذه الأسباب جميعها، و لأسباب عملية أخرى تتعلق بدراساتنا للأدب العربية و الفارسية في الجامعات المصرية، رأيت البدء بنشر المجلد الحاضر من مجلدات «براون»، راجيا أن تهيا لي الظروف التي تمكن من نشر سائر مجلداته باللغة العربية، حتى يكون لقراء العربية مثلما كان لقراء الإنجليزية: «هدية إلى هذه الجماعة الصغيرة المتزايدة من هواة الآداب الفارسية الذين تعلموا من المترجمات التي نشرتها أن يجيوا شعراء الفرس و أدباءهم، و أن لا يدخروا وسعا في تنمية معلوماتهم اللغوية و الأدبية لشعب من أقدم شعوب الأرض، اختص بكثير من المواهب العالية، و الصفات السامية ..

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، المقدمة، ص: ٢١

و لا شك أن هؤلاء الجماعة من «الهواة» هم العماد الذي تعتمد عليه في دراسة اللغات الشرقية و آدابها ... في بلد لا يغري على مثل هذه الدراسات و تنقصه المعاهد الشرقية المنظمة كالتى توجد في العواصم الغربية الأخرى!!!.

*** [إما الصعوبات التي تكلفتها في نقل هذا الكتاب إلى العربية]

فأكثر من أن ينسج المجال لذكرها تفصيلا؛ و لترجمته قصة لا تقبل روعة عن قصة تأليفه، بل ربما كانت أشد عناء و أكثر بلاء ... لأمر عامه يعرفها كل من كابد الترجمة و عانى النقل من لغة إلى أخرى، و لأمر خاصة أحب أن أنبه إلى بعضها في هذا المقام، و أهمها و أخطرها ما يأتي:

أولا: إن هذا الكتاب عبارة عن موسوعة أدبية، اشتملت على كل ما تعلق بإيران أى البلاد الفارسية منذ أول ما عرف من أمرها حتى السنة التي أتم فيها المؤلف كتابه أى إلى سنة ١٩٢٤، و من أجل ذلك تضمن الكتاب أمورا معقدة في القدم، ما تزال تتدرج في تاريخ هذه البلاد و ما أنتجت من علم و أدب حتى تصل بنا إلى نهاية الربع الأول من القرن الذي نعيش فيه، و لقد حرص المؤلف على أن يجعل كتابه «دائرة معارف» يثبت فيها كل ما نشر من كتب و مقالات و أبحاث تتعلق بسائر العصور التي تعرض لها كتابه، و ترتب على ذلك أنه أصبح لزاما على من يتصدى لترجمته أن تكون له سابقة اطلاع على كتابات الشرفيين و المستشرقين التي ذكرها في ثنايا كتابه، و أن يكون على قدر كبير من الخبرة بحيث يأمن الزلّة و يتجنب العثرة.

و لطالما صادفتني إشارات اضطرت فيها إلى الرجوع إلى المكتبات العامة و الخاصة في مصر فوجدت فيها بغيتي أو انصرفت عنها بخيبي لعدم عثورى على المرجع الذي أطلبه، ثم ظلت أسعى إلى تحقيق ما أريد بوسائل أخرى كلتني رهقا و جهدا كبيرا.

ثانيا: إن هذا الكتاب و قد مضت سنوات على تأليفه، يتطلب من مترجمه أن يزود ترجمته بكثير من الحواشى و التعليقات. فمنذ فرغ «براون» من كتابته، نشرت كثير من الأبحاث و المقالات، و صدرت كثير من الكتب و المؤلفات التي تتعلق

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، المقدمة، ص: ٢٢

بالموضوعات التي احتواها الكتاب؛ و أصبح لزاما على المترجم أن يشير إلى هذه الأمور و إلى أمور أخرى تتعلق باختلاف وجهة النظر و إثبات الآراء الجديدة.

و لقد شئت أن أوفى الترجمة حقا فأزودها بما في الوسع من تحشيات و تعليقات و لكنى وجدت أن حجم الكتاب يتضاعف إذا فعلت ذلك، فاكنت مضطرا بجعل تعليقاتي تقتصر على الأهم دون المهم، و أن ينصرف أكثرها إلى التنبيه إلى المسائل الفارسية دون غيرها من المسائل الغربية أو العربية التي ذكرها «براون». و إنى أحس خاصة بكثير من الأسف لعدم التعليق على الأمور العربية، و لكنى من ناحية أخرى مؤمن بأن القارئ العربي ليس في حاجة ملحة إلى مثل هذه التعليقات فهو عارف بها و بأصحاب البحوث الحديثة فيها، لا يطمع في أن يذكرها بها كتاب كتب خاصة للتعريف بحياة «إيران» العقلية و الفكرية.

ثالثا: اعتمد «براون» في تأليف كتابه على كثير من المراجع الشرقية، و استشهد بالطبيعة بالتأليفات «العربية» و «الفارسية» و «التركية» و لكنه لم يستطع في الغالب الأعم أن يورد لنا شواهدا في نصوصها الأصلية في هذه اللغات، و اكتفى بإيراد ترجمتها إلى الإنجليزية، و لم يكن من المستمع عقلا أو المقبول فنا، أن أعود فأترجم هذه المترجمات إلى العربية، لأن الترجمة عن ترجمة لا شك تضلل المترجم و تبعده عن الأصل. و من أجل ذلك ألزمت نفسى بإثبات الشواهد العربية بنصها التي وردت به في الكتب العربية اللهم إلا إذا كان الكتاب مخطوطا و ليست له نسخة في دور كتبنا، كما ألزمت نفسى أن أترجم الشواهد الفارسية و التركية عن أصولها في هاتين اللغتين و أن أثبت أصولها في متن الكتاب أو هامشه حتى تكون في متناول القارئ المتخصص الذي يريد التحقيق و المقارنة. و لربما اختلفت ترجمتي مع ترجمة «براون» و لكن هذا الاختلاف بقدر ما يسمح به النقل إلى العربية دون إخلال بالمعنى و المبني.

رابعا- إن صاحب هذا الكتاب، بالإضافة إلى تميزه في إتقان جملة من لغات الأمم الإسلامية، كان مبرزا كذلك في طائفة غير قليلة من اللغات الأوروبية القديمة و الحية، و من أجل ذلك كثر نقله عن اللغات «اليونانية» و «اللاتينية» و «الفرنسية» و «الألمانية».

و غير ذلك من اللغات. و بعض هذه اللغات أعرفها بعض المعرفة و بعضها الآخر

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، المقدمة، ص: ٢٣

أجهله جهلا تاما، و من أجل ذلك اضطرت اضطرارا إلى أن ألجأ إلى أصدقائي كلما صمد في وجهي شاهد من هذه اللغات، فاستطاعوا مشكورين أن يعينوني على نقله و ترجمته.

خامسا- يعتبر صاحب هذا الكتاب من كبار أدباء الإنجليزية، يستطيع أن ينشئ في الإنجليزية نثرا فنيا رائعا و شعرا فنيا شائقا، و من أجل ذلك أغرم بترجمة النثر الفنى الشرقى إلى نثر فنى إنجليزى، و شغف بترجمة الشعر الشرقى إلى شعر إنجليزى، فصار من العسير على المترجم في الحاليتين أن يتأقن تأقنه في اصطلاح الأساليب و إبداع التراكيب، و أصبح عليه أن يتكلف كثيرا من الجهد للوصول إلى قرارة هذه العبارات الأثيقة و الوصول إلى معانيها الدقيقة.

*** [عجبايات المؤلف للحضارة الإسلامية و الإيرانية]

و في الحق ... إن ترجمة مؤلفات «براون» الذي جمع تراث الشرق و الغرب، و استطاع أن يجعل الشرق و الغرب يلتقيان في شخصه، لمن الأمور التي طالما ترحمت من التصدى لها، و الإقدام عليها، و لم يدفنى إليها إلا الأهمية التي يبتنها فيما سبق لكتابه «تاريخ الأدب في إيران» و إلا خلة أخرى أعرفها في «براون» و يعرفها كل من قرأ كتاباته، و هى أنه من المستشرقين القلائل الذين أنصفوا

الشرق والشرقيين، و أعجبوا إعجابا شديدا بالإسلام و حضارته العربية الفارسية. و من أقواله الخالدة التي يجب أن نحمدها له و أن نعيها عنه قوله:

«إني أحس في قرارة نفسي بإعجاب شديد للإسلام و حضارته العربية الفارسية»
 «و أجد لزاما عليّ إن اعترف بهذا الإعجاب اعترافا صريحا في هذا الوقت الذي
 «حرم فيه الإسلام من إنصاف الأوربيين الذين أساءوا فهمه و تصويره، طائين»
 «أنهم وحدهم يحتكرون كل ضروب الحضارة و التمدن، و أن الله قد وكل إليهم»
 «أن يفرضوا على العالم أجمع نظمهم في السياسة بل و في أساليب التفكير و الثقافة»
 «أيضا...!! و من أسف إنه كلما تقدمت السنون أخذ عدد الدول الإسلامية المستقلة»
 «في النقص و القلة، و أخذ ما بقي منها مستقلا يهدده التدخل الأوربي بكل أنواعه»
 تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، المقدمة، ص: ٢٤
 «و ليس من شك عندي في أن المسلمين أنفسهم مسئولون عن ذلك بعض الشيء»
 «و أن الشعور بالفتور و الإهمال اللذين ركبا في أنفسهم يساعد الأوربيين، بما»
 «ركب في طباعهم من جشع في امتلاك الكون و نهم للغزو و الفتح، على أن»
 «يعجلوا بالقضاء على هذه الدول الحرة و الولايات المستقلة. و من أسف أيضا أن العقول»
 «العربية لا تفكر إلا في الواقع المادي، و لن يأخذها شيء من الرحمة و الشفقة» «في سبيل القضاء على هذه الدول الإسلامية؛ بل إن
 أوداجها لتنتفخ بهذه» «الفتوحات الجديدة التي أعدوها لأولادهم و رؤوس أموالهم...!! و مع ذلك كله فإن»
 «عددا قليلا ممن خير الشرق و أهلها، و عرف كيف يحبه و يحبهم، ليتحقق من»
 «مقدار ديننا لهم بأغلب الأفكار الروحية العظيمة التي جعلتنا نشعر بلذة الحياة»
 «و قيمتها، و يدرك أنه كلما زالت من الوجود واحدة من هذه الدول الإسلامية»
 «المستقلة، فإن العالم يفقد بفقدها شيئا لا يمكن تعويضه.»

*** [القارئ العربي سيعجب ب «براون» و بمؤلفاته]

و إني لموقن بعد ذلك كله أن القارئ العربي سيعجب ب «براون» و بمؤلفاته، و أن هذا الأعجاب سيكون سبيل لي لدي في اغتفار مواضع الزلل و العثار، و وسيلتي إليه كلما تطلبت الحجج و الأعداء، و لظالما هدا من روعي، و خفف من وجلي بيتان من الشعر، صغتهما همسا، و ظلت أرددهما طوال المدة التي ترجمت فيها هذا الكتاب فكاننا بالنسبة لي حذاء يدعو القافلة الى المثابرة و المسير، و بالنسبة للقارئ دعاء يدعو الى مغفرة الزلل و التقصير. فأما هذان البيتان فهما:
 لقد تعب المؤلف و المترجم فليتك قدر هذا الجهد تعلم
 كلانا دائب يسعى و يشقى فهل ألقىك عند السهو ترحم ***

[الشكر في الختام]

و إني أشكر في ختام كلمتي «دار طباعة جامعة كامبردج» فقد يسر لي حضرة مديرتها الأستاذة «ر. و. دافيد: R.W. David» - سبيل الحصول على الإذن اللازم لنشر هذا
 تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، المقدمة، ص: ٢٥
 الكتاب في نسخته العربية، و لو لا ما أبداه من روح طيبة قبلي، و ترحيب كبير بعملتي لظلت بين العزم و الإحجام و التردد و الإقدام.
 كما أشكر أيضا صاحب «مطبعة السعادة» و مديرتها الأستاذة «علي محمد إسماعيل» فقد خصص الكتاب بعنايته و تكلف معي كثيرا من
 الجهد و الصبر حتى استطاع تهيئة الأسباب التي ذلت الصعاب بما يستحق الحمد و الإعجاب؟
 السبت ٢٨ شعبان سنة ١٣٧٣ هـ
 أول مايو سنة ١٩٥٤ م
 ابراهيم أمين الشواربي
 تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، المقدمة، ص: ٢٦

المكتبة الفارسية [و كتب المترجم]

مجموعة من الكتب يصدرها الدكتور ابراهيم أمين الشواربي ليعين القارئ على دراسة الفارسية و آدابها و الاطلاع على ما بها من
 درر روائع و فرائد زواهر.
 صدر منها حتى الآن الكتب و الأبحاث العلمية الآتية:
 ١- القواعد الأساسية لدراسة الفارسية.
 و هو أول كتاب وضع بأسلوب علمي حديث لتعليم اللغة الفارسية لأبناء العربية، و هو مطبوع ببلجنة التأليف و الترجمة و النشر في سنة
 ١٩٤٣ م و صدرت له طبعة ثانية في مطبعة السعادة سنة ١٩٤٩ م
 ٢- أغاني شيراز أو غزليات حافظ الشيرازي (في جزءين كبيرين) و هو عبارة عن أول ترجمة عربية لديوان حافظ الشيرازي تقع في
 جزءين كبيرين، طبعا ببلجنة التأليف و الترجمة و النشر، الأول منهما في سنة ١٩٤٤ و الثاني في سنة ١٩٤٥ م.
 ٣- حافظ الشيرازي: شاعر الغناء و الغزل في إيران
 و هو عبارة عن دراسة واسعة مفصلة لأحوال هذا الشاعر الإيراني الكبير، تضمنت وصفا مسهبيا لموطنه و عصره و ظروف حياته و
 مواضيع فلسفته و محتويات ديوانه.
 و قد طبع هذا الكتاب بدار المعارف و مطبعتها سنة ١٩٤٤ م.
 ٤- حقائق السحر في دقائق الشعر:
 أول كتاب في علوم البلاغة الفارسية، وضعة باللغة الفارسية أصلا «رشيد الدين محمد العمري» الكاتب البلخي المعروف بال «وطواط»
 تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، المقدمة، ص: ٢٧
 المتوفى سنة ٥٧٣ هـ و قد نقله الدكتور ابراهيم أمين الشواربي إلى العربية لأول مرة في سنة ١٩٤٥ م و طبعه بمطبعة لجنة التأليف و
 الترجمة و النشر.

٥- قصة الحضارة الفارسية.

بحث طريف في أسلوب ممتع، نشره الأستاذ «ول دورانت» بالإنجليزية ضمن كتابه «قصة الحضارة» و قد نقله الدكتور إبراهيم أمين الشواربي إلى العربية و طبعه على حدة في مطبعة السعادة سنة ١٩٤٧.

٦- بحث فيما نقله الجاحظ من أخبار الفرس.

منشور في مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول (القاهرة) بالجزء الثاني من المجلد الرابع سنة ١٩٣٩ م.

٧- مصادر فارسية في التاريخ الإسلامي.

بحث علمي مطول منشور في مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول (القاهرة) بالمجلد السابع سنة ١٩٤٢ م.

٨- نشأة الشعر الفارسي الإسلامي.

بحث علمي منشور في العدد الثامن من مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول (القاهرة) بالمجلد الأول سنة ١٩٤٦ م.

٩- رحلة في إيران.

مقالات منشورة في مجلة الراوي الجديد بالسنة الثامنة سنة ١٩٤٣ م.

١٠- العربية في إيران.

مقالة منشورة في «حوليات كلية الآداب بجامعة إبراهيم» بالعدد الأول الصادر سنة ١٩٥١ م.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١

مقدمة المؤلف

[تاريخ الأدب في إيران من نهاية القرن الرابع الهجري إلى منتصف القرن السابع الهجري]

يعتبر هذا المجلد وصلا لمجلد سابق قدمته لقرأ هذه المجموعة منذ أربع سنوات.

و المجلد الحاضر يشتمل على تاريخ الأدب في إيران في الفترة الواقعة بين بداية القرن الحادي عشر ومنتصف القرن الثالث عشر الميلادي (أي الفترة الواقعة بين نهاية القرن الرابع الهجري ومنتصف القرن السابع الهجري) وهذه الفترة قصيرة حقا ولكنها رغم قصرها- تشتمل على سيرة أغلب النباه من شعراء الفرس وكتابهم.

فلا غرابة إذا توقعتم مقدما أن يتهمني بعض النقاد البارعين بالتقصير في إيراد التفاصيل و بعدم توفيق الموضوع حقه من الدرس و التمهيص. و مع ذلك فلو قدر لي النجاح في تنفيذ مشروعي الأول الذي عزمت فيه على دراسة «تاريخ الأدب في إيران» منذ بدايته إلى وقتنا الحاضر، لاحتاجت دراستي للقرن الباقي و مقدارها ستة قرون و نصف القرن إلى مجلد آخر في حجم هذا المجلد الحاضر «١».

[الاعتراف على مواضع القصور]

و إنني أبادر- و قد تم طبع هذا الكتاب- بالاعتراف بأنني واقف على مواضع القصور فيه. و في رأيي أنها ناتجة جميعا عن كتابته في فترات مختلفة من فترات العطلة و الفراغ. و قد اضطررتني ذلك إلى كتابة الفصل الواحد من فصوله، ثم الانتظار بعد الفراغ منه مدة شهرين أو أكثر قبل أن أشرع في كتابة الفصل الذي يليه. و ساعد على ذلك أن جامعة «كمبردج» أصبحت في الأيام الأخيرة من أقل الأماكن مناسبة لهذا النوع من البحث الهاديء الذؤوب. و إذا امتازت بأنها غنية بكتب المراجع التي لا يستغنى الباحث عنها، فإنها من ناحية أخرى للأسف، تضطر الباحث أن يلتزم أوقات الفراغ و الدعة في غيرها من الأماكن. و حالها في ذلك شبه بما يقوله الشاعر «صائب» في هذا البيت:

شگوفه با ثمر هرگز نگردد جمع در یک جامحالمست آنکه با هم نعمت و دندان شود پیدا

(١) المترجم: احتاج الأمر في الحقيقة إلى مجلدين آخرين كتبهما الأستاذ «ادوارد براون» ليكمل بهما مشروعه.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢

و معناه:

لا تجتمع الأزهار و الأثمار مطلقا في مكان واحد كما يستحيل اجتماع النعم الطيبة و الأسنان السليمة في فم واحد و قد ترتب على ذلك فيما أعلم، أن هذا المجلد أصبحت نعيه التذ المتكررة و كذلك يعيبه التفكك و عدم الاتصال بين سائر أجزائه. و إنني أرجو القارئ أن يعفو عني لمثل هذه الهنات و الزلات، و أن يتأكد من أنني عوضت عليه هذا النقص باجتهادي في الرجوع إلى المصادر الأصلية و تكوين الآراء الشخصية المستقلة التي ساعدني على الوصول إليها حسن توفيقتي إلى العنور على جملة من المؤلفات النادرة التي لم تكن في متناول من سبقوني من الكتاب و الباحثين، و أذكر من بين هذه المؤلفات الكتب الآتية على وجه التخصيص:

«جهاز مقاله» أي المقالات الأربع تأليف «نظامي العروضي السمرقندي»

«لباب الألباب» تأليف «محمد عوفى»

«المعجم في معايير أشعار العجم» تأليف «شمس القيس الرازي»

«جهان گشا» أي فاتح العالم تأليف «عطا ملك الجويني»

«جامع التواريخ» تأليف «رشيد الدين فضل الله»

و قد استولى هذا العمل على مجمع قلبي، و كان بودي لو استطاع أيضا أن يملك كل عتائتي غير مقسمة و لا موزعة. ذلك لأني أحس في قرارة نفسي بإعجاب شديد للإسلام و حضارته العربية الفارسية، و أجد لزاما على أن أعترف بهذا الإعجاب اعترافا صريحا في هذا الوقت الذي حرم فيه الإسلام من إنصاف الأوروبين الذين أساءوا فهمه و تصويره ظانين أنهم وحدهم يحتكرون كل ضروب الحضارة و التمدن، و إن الله قد و كل إليهم أن يفرضوا على العالم أجمع نظمهم في السياسة بل و في أساليب التفكير و الثقافة أيضا !!

(١) المترجم: طبعت جميع هذه الكتب و نشرت في أوقات مختلفة ضمن «سلسلة جب التذكارية» ما عدا الثاني فقد نشره الأستاذ براون

سنة ١٩٠٣ م في مجموعة كتب النصوص التاريخية الفارسية، و كذلك الأخير فقد نشرت بعض أجزائه في أوقات و أماكن مختلفة كما إن دور الكتب المختلفة تشتمل على بعض أجزائه مكتوبة بالعربية أيضا.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣

و من أسف أنه كلما تقدمت السنون أخذ عدد الدول الإسلامية المستقلة في النقص و القلة، و أخذ ما بقي منها مستقلا، مثل إيران و تركيا و بلاد العرب و مراكش «١» يهدده التدخل الأوروبى بكل أنواعه. و ليس من شك عندى في أن المسلمين أنفسهم مسئولون

عن ذلك بعض الشيء و إن الشعور بالفتور و الإهمال اللذين ركبا في نفوسهم الأسيوية، يساعد الأوروبيين بما ركب في طباعهم من جشع في امتلاك الكون ونهم للغزو و الفتح، على أن يعجلوا بالقضاء على هذه الدول الحرة و الولايات المستقلة. و من أسف أيضا، أن العقول الغربية لا تفكر إلا في الواقع المادي و لن يأخذها شيء من الرحمة أو الشفقة في سبيل القضاء على هذه الدول الإسلامية، بل إن أوداجها لتنتفخ بهذه الفتوحات الجديدة التي أعدوها لأولادهم و لرؤوس أموالهم.

و مع ذلك كله، فإن عددا قليلا ممن خبير الشرق و أهله، و عرف كيف يحبه و يحبه، و تحقق من مقدار ديننا لهم بأغلب الأفكار الروحية العظيمة التي جعلتنا نشعر بلذة الحياة و قيمتها، يدركون مع المستر «تشستر تون»^(١) إنه كلما زالت من الوجود واحدة من هذه الدول الإسلامية المستقلة، فإن العالم يفقد بفقدائها شيئا لا يمكن تعويضه. و مناقشة هذا الرأي لن تصل بنا إلى نهاية مجدبة، و سيكون حالتنا في هذه المناقشة كحال الذي يتمادي في الجدال ليفاضل بين حديقة غرس فيها نوع واحد من أنواع الخضر المفيدة، و بين أخرى غرست فيها شتى أنواع الزهور ذات الألوان المختلفة و الروائح المتباينة. و حسبتنا في هذا الصدد أن نكتفي بما يعترف به كل محب للشرق، مدرك لروحه و عقلية، فنقول إنه آخذ في التقلص و الزوال النهائي حتى و لو سيطرت عليه خبير أنواع الإدارة الأوروبية و أكثرها عطفًا و حديبا عليه.

و من أجل ذلك فقد أصبحت «القسطنطينية» و «شيراز» و «فاس» تمتاز- رغم ما بها من عيوب- بشيء من العناصر و الخصائص الفنية و العقلية و الروحية التي زالت و أخذت في الزوال من مدن إسلامية أخرى مثل «القاهرة» و «دهلي» و «الجزائر» و «تونس».

(١) المترجم: منذ ذلك الوقت قضى على استقلال مراكش؛ و قد أصدر براون الطبعة الأولى من هذا الكتاب في سنة ١٩٠٦ م.

(٢) ذكر ذلك في كتابه (Man in Green by Chesterion).

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٤

و لسنا ندري هل يظل الإسلام يدمى حتى يموت متخنا بجراحه التي أصابته بدايةً على أيدي «المغول» منذ أكثر من ستة قرون و نصف القرن، أم هل يحذو حذو «اليابان» التي أقامت الدليل على أن العنصر الأسيوي لا يقل في شيء عن العنصر الأوروبي حتى من حيث الحيوية الجسدية، فينهض فجأةً من كبوته، و يقوم مرة ثانية من عثرته...!؟
هذه مسألة شائكة، ذات خطر بالغ، لا يتسع المجال لتقريرها أو بحثها في هذه الصفحات.

*** [الشكر على الإيعان]

و إنى مدين بشكري الخالص لشقيقتي الآتسة «إ. م. بروان E. M. Brune» و لصديقي و زميلي المستر «إ. د. منس E. H. Minns» فقد تفضلا بقراءة مسودات هذا الكتاب، و أصلحا بعض ما وقع فيه من أخطاء لغوية بسيطة، كما تفضلا على بمقترحات عن آراء لها أهميتها و خطرها. و لا بد أن أذكر أيضا أنى مدين بشكر آخر للمستر «منس» لقاء تكممه بترجمة جملة من المقالات التي كتبها نفر من مشاهير المستشرقين الروس، فتمكنت بذلك من الإشارة إليها في صفحات هذا الكتاب، و لو لا مساعدته الكريمة لبقى ما كتبته في صحف مغلقة مقلقة. و أجد لزاما على أن أذكر في هذا المقام واحدا من الانتقادات الهامة التي تكرم بتوجيهها إلي، فقد حدثني أنني لم أكن مبينا و لا مفصحا عندما تحدثت في الفصل الأول من هذا الكتاب عن «الشعر الفارسي و أوزانه» بحيث لم أوضح لقرائي العاديين من غير المستشرقين طبيعة «البيت» الفارسي و القوانين الأساسية لتطبعه وفقا لقواعد العروض. فأما المسألة الأولى التي تتعلق بطبيعة «البيت» فإنني أكرر ما سبق لي أن قلته في غير هذا المكان من أن المسلمين يعتبرون «البيت» وحدة قائمة بذاتها، و من أجل ذلك فإني أرى من الخطئ ترجمته بكلمة Couplet كما جرت بذلك عادة بعض الكتاب في ثانيا كتبهم الأوروبية.

و ليس أظهر في الدلالة على أن «البيت» وحدة قائمة بذاتها من الحقيقة الماثلة لعيان في أن البيت إذا اشتمل على ست تفعيلات أو ثماني تفعيلات فإنه يسمى «مسدسا»

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٥

أو «مشنا» وفقا لعدد تفعيلاته. و من أسف أن العادة المتبعة في الشرق جرت على كتابة «البيت» أو طبعه في سطر واحد، و لكن هذا البيت إذا كتب بحروف رومانية فإنه يتطلب حيزا أوسع بحيث يقتضى منا بالضرورة أن نطبعه في سطرين كما حدث ذلك في كتابة البيت الذي طبعناه بحروف رومانية في منتصف الصحيفة رقم (١٥) و كذلك في البيت الذي نشرناه في السطرين الخامس و السادس من الصحيفة التالية. و هذه الطريقة من طرق الطبع، إذا أضفنا إليها بالنسبة للمثل الأول من هذين المثليين أنه عبارة عن «مطلع» لإحدى الغزليات، و إنه باعتباره مطلقا يستلزم بالضرورة وحدة القافية بين جزءيه أو شرطيه فإن كل هذا قمين بأن يمويه الحقائق على القارىء العادي فيفترض خطأً أن عليه أن يقنع بما يفهم من مدلول كلمة Couplet دون أن يتحقق من دلالة هذه الوحدة المستقلة التي نطلق عليها كلمة «بيت».

و أما المسألة الثانية التي تتعلق بقواعد العروض و الوزن في الشعر الفارسي فإنها بسيطة للغاية بحيث لا توجهنا إلى كتاب مفصل فيه، نرجع إليه لبيان كمية الحركات أو حروف اللين. فالحركات الممدودة جميعها تعتبر من المقاطع الطويلة. و ليس هناك صعوبة في معرفة هذه الحركات، فإن تصوير الكلمة كتابة و نطقا كفيلا بأن يبين لنا حركاتها دون عسر أو إشكال. فأما الحركات القصيرة فإنها تعتبر مقاطع قصيرة إلا إذا أعقبها حرفان ساكنان، سواء أكانا في كلمة واحدة، أم عرض أحدهما في نهاية كلمة من الكلمات و ثانيهما في بداية الكلمة التالية.

و هذه القواعد سهلة للغاية، يستطيع كل مشتغل بالدراسات القديمة أن يتبينها و يدركها. و لكننا نذكر فيما يلي بعض المواضع التي تخصص بها الفارسية دون غيرها من اللغات:

فكل كلمة من الكلمات تنتهي بحرفين ساكنين أو بحرف واحد ساكن مسبق بحرف مد طويل (فيما عدا إذا انتهت الكلمة بحرف النون فإنه لا يحسب حرفا بل يعتبر صوتا أنفيا) فإن مثل هذه الكلمة توزن كما لو كانت منتهية بحركة قصيرة زائدة «ا». و هذه الحركة القصيرة الزائدة يسميها المشاركة باسم «نيم فتحه» أى

(١) هذه الحركة القصيرة الزائدة لا تحتسب في نهاية «البيت» أو في نهاية «المصراع»

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٦

«نصف فتحه» و يسميها الفرنسيون خطأً باسم «الإضافة للوزن l'izafet meterique» و يظهرها الهنود فعلا- في نطقهم، و لكن الفرس يمتنعون عنها بتاتا، رغم أنه يجب احتسابها دائما في الوزن، اللهم إلا إذا لتهنا كلمة مبدوءة بحرف من حروف المد. و يجب تطبيق هذه القاعدة أيضا على المقاطع.

و فيما يلي بعض الأمثلة التي توضح ما ذكرناه آنفا:

فكلمات مثل: باد ساكنة الآخر بمعنى: ربح

بيد ساكنة الآخر بمعنى: شجرة الصفصاف

بود ساكنة الآخر بمعنى: كان

كار ساكنة الآخر بمعنى: عمل

شير ساكنة الآخر بمعنى: أسد

مور ساكنة الآخر بمعنى: نملة

توزن كما لو كانت مفتوحة الآخر و مكتوبة «باد» و «بيد» و «بود» .. الخ .. أي مكونة من مقطع طويل ثم آخر قصير هكذا: (U -)

لا كما يظن أولا من مقطع طويل واحد هكذا: (-)

و مثل هذا القول ينطبق تماما على كلمات كالأية:

دست [الحرفان الأخيران ساكنان] بمعنى: يد

بند [الحرفان الأخيران ساكنان] بمعنى: رباط

گرد [الحرفان الأخيران ساكنان] بمعنى: غبار

فإنها توزن كما لو كانت مفتوحة الآخر و مكتوبة «دست» و «بند» و «گرد».

و مثل هذا أيضا ينطبق على كلمات مثل:

بادگیر ... بمعنى: مروحة

شيرمرد ... بمعنى: رجل شجاع كالأسد

دوربين ... بمعنى: منظار

دست کش ... بمعنى: قفاز

فإنها توزن في الكلمتين الأوليين كما لو كانتا مفتوحتي الآخر و مكتوبتين.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٧

بادگیر أي مكونة من مقطع طويل ثم قصير ثم طويل ثم قصير (U - U -)

شيرمرد أي مكونة من مقطع طويل ثم قصير ثم طويل ثم قصير (U - U -)

و في الكلمتين الأخيرتين كما لو كانت الأولى منهما مفتوحة الآخر و الثانية ساكنة:

دوربين أي مكونة من مقطع طويل ثم قصير ثم طويل (U -)

دست کش أي مكونة من مقطع طويل ثم قصير ثم طويل (U -)

أما كلمات مثل:

جهان ... بمعنى: الدنيا

نگین ... بمعنى: فص الخاتم

درون ... بمعنى: داخل

فإنها توزن على أنها مكونة من مقطع قصير ثم طويل (U-) لأن هذه الكلمات تنتهي بحرف النون.

فإذا أخذنا بعد ذلك بيت الشعر الذي نشرناه في صحيفة ١٦ و هو على وزن الرمل المسدس المحذوف.

-----/-----/-----/-----/فاعلاتن / فاعلاتن / فاعلات

فإن تقطيعه يكون بالصورة الآتية «١»:

آفرین و / مدح سود آ / يدهمی

گر بگنج ان / در زیان آ / يدهمی

و هناك فيما عدا ذلك طائفة قليلة أخرى من خصائص العروض الفارسي، نذكر منها على سبيل المثال أن الكلمات المكونة من مقطع

واحد ينتهي بالواو مثل:

تو ... بمعنى: أنت

دو ... بمعنى: اثنان

چو ... بمعنى: مثل، لما

(١) المترجم: يشير المؤلف إلى رقم الصحيفة في الأصل الانجليزي، و كتابة هذا البيت على أصله هكذا

آفرین و مدح سود آید همی گر بگنج اندر زیان آید همی

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٨

فإنه يمكن وزنها على أنها مكونة من مقطع طويل أو من مقطع قصير وفقا لما يقتضيه الحال.

هكذا الحال مع كسره الاضافه.

أما المقطع الوحيد الذي يقيد العطف و يكون بمعنى «واو العطف» فإنه يمكن اعتباره حرف مد طويل «أو» أو قصير «أو حرفا ساكنا

قصيرا محركا بحركة الفتحة «و». تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب النص ٨ الشكر على الإمعان ص : ٤

ذا اعتاد القارئ هذه القواعد و الخصائص التي ذكرناها فيما سبق، فلن يصادف فيما عداها إلا قلة قليلة من المسائل التي تستثنى من

أحكامها، و لكن ذلك لن يعوقه عن تقطيع ما يعترضه من الأشعار الفارسية.

*** [تقديم خالص شكري]

و قد كان اليوم الأول من شهر مايو من السنة الحالية مخددا لنشر هذا المجلد، و لكن ظروفًا قاهرة اضطررتنا مكرهين إلى تأجيل صدوره

في هذا التاريخ. و إنني مع إحساسي بالأسف لهذا التأخير أقدم اعتذارى لصديقي المستر «فيشر أونوين Fisher Unwin» كما أقدم

له شكري لقاء ما أبداه من أريحية في قبول العذر الذي وضحته له و اعتباره كافيا في التعويل عليه. و انتهز هذه الفرصة لتقديم خالص

شكري لحضرات الطابعين «إخوان أونوين و شركائهم» في مدينتي «وكتنج» و «لندن» لما أبدوه من عناية فائقة في طبع هذا المجلد

الذي يشتمل على كثير من الصعوبات المطبعية؟

١٦ مايو سنة ١٩٠٦

أدوارد جرانفيل براون

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٩

الفصل الأول تمهيد و ترديد

موضوع الكتاب:

كُتبت من قبل كتابا عن تاريخ الأدب في إيران منذ أقدم الأزمنة إلى عصر الفردوسي، قصدت به أن يكون وحدة قائمة بذاتها و أن يكون كذلك تمهيدا لهذا الكتاب الذي أقدمه الآن للقارئ، و قد استطعت أن أدرس فيه «تاريخ الفرس» من الناحيتين الثقافية و الأدبية منذ أقدم أزمنتهم إلى الفترة المبكرة من العصر الغزنوي حينما أشرقت (حوالي سنة ١٠٠٠ ميلادية - ٣٩١ هـ) عبقريه «الفردوسي» فأكدت أن «النهضة الأدبية الفارسية» التي بدأت قبل ذلك بما يزيد على قرن من الزمان لا بد أخذت في النجاح و الازدهار و إيتاء خير الثمار.

و على ذلك فالكتاب الحالي لا شأن له بهذه الأصول الثانية التي تحدثت عنها في الكتاب السابق، بل هو يحدثنا عن «الأدب الفارسية» بمعناها الفني الضيق أي منذ أخذ الفرس يدونون آدابهم ب «اللغة الفارسية» المعروفة حاليا، و نقصد بها اللغة التي نشأت مع الفتح العربي و اعتناق الفرس للإسلام في القرن السابع الميلادي و استمرت مستعملة منذ ذلك الوقت حتى أيامنا هذه.

و سوف نتعرض في هذا الكتاب لذكر بعض العوامل الخارجية و العقلية التي أثرت في «التاريخ الفارسي»، و لكن نتعرضنا لهذه المسائل سيكون بالقدر الكافي الذي يعيننا على فهم ما يعترضنا من أمور متعلقة بهذا التاريخ.

و نحن حينما نتحدث عن «الأدب الفارسي الإسلامي» نقصد شيئا واحدا محجدا، هو هذه الآداب التي نشأت تدريجيا بعد الإسلام و بعد ما فتح العرب «البلاد الفارسية» و تمكن الإسلام من التغلب على ديانة «زردشت». و قد بدأوا يدونون هذه الآداب منذ ألف سنة تقريبا كما تشهد بذلك الأسانيد المكتوبة الموجودة في أيدينا.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٠

و قد تغيرت «اللغة الفارسية» في هذه الفترة الطويلة تغيرا يسيرا لا يكاد يذكر، حتى ليستطيع الرجل الفارسي المعاصر أن يفهم أشعار الشعراء الأقدمين من أمثال «حظلة البادغيسي» و «١١» و «٢» على قدر ما يفهم الإنجليزي المعاصر مؤلفات «شكسبير».

و من الواجب على طلاب «الأدب الفارسي» أن يتفهموا هذه الحقيقة جيدا، و أن يدركوا دائما أن «الفارسية» قد أصابها قليل جدا من التغيير خلال السنوات الألف الماضية، ربما لا يبلغ في مدها مدى التغيير الذي أصاب اللغة الإنجليزية خلال القرون الثلاثة الأخيرة. و لا شك أن أقدم الآثار الأدبية في اللغة الفارسية الإسلامية لا تكاد تتميز عن الآداب الفارسية المعاصرة إلا ببعض الخصائص اللغوية المتعلقة بالمفردات و الأساليب. و إنني لعلني يقين من أنه لا يوجد بين المشتغلين بالفارسية، سواء منهم من كان وطنيا أو أجنبيا، من يستطيع أن يعين لنا تاريخا تقريبا لكتاب من الكتب التي ألفت في القرون الخمسة الأخيرة إذا لم يكن هذا الكتاب يحمل اسم مؤلفه أو يشتمل على إشارات تاريخية تعين على تحديد الفترة التي تم فيها تأليفه.

موضوع الجزء السابق:

و لست أستطيع في هذا الكتاب أن أردد الحقائق التاريخية التي ذكرتها في تفصيل عن تاريخ «البلاد الفارسية» في عصرها السابق للإسلام و في الفترة المبكرة من عهدها الإسلامي. فلقد ضمنت ذلك جميعه كتابي السابق الذي تحدثت فيه عن «تاريخ الأدب في إيران منذ أقدم الأزمنة إلى عصر الفردوسي» فوصلت به إلى العصر الذي أخذت تضمحل فيه «الخلافة العباسية» في بغداد بعدما بلغت ذورة المجد و العظمة على أيام «هارون الرشيد» و ابنه «المأمون» (٧٨٦ - ٨٣٣ م - ١٧٠ - ٢١٨ هـ)

(١) المترجم: شاعر عاش في القرن التاسع الميلادي (٨٢٠ - ٨٧٢ م) و قالوا إنه توفي سنة ٨٧٢ م (٢٢٠ هـ).

(٢) المترجم: شاعر عاش في أواخر القرن التاسع و بداية العاشر الميلادي و قالوا إنه توفي سنة ٣٢٩ هـ.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١١

و قد بدت بوادر هذا الانحلال بانفصال الولايات المختلفة عن الحكومة المركزية في بغداد، حتى إذا أقبلت جموع المغول في سنة ١٢٥٨ م (٦٥٦ هـ) و أغاروا على بغداد حطموها هذه الخلافة و قتلوا آخر خليفة من بني العباس.

و يكفي الطالب العادي الذي يدرس «الأدب الفارسية» - إذا شاء معرفة شيء عن أصولها القديمة - أن يذكر أن اللغة التي سبقت «الفارسية» هي اللغة «البهلوية» و هذه اللغة الأخيرة هي اللغة الرسمية التي سادت في «البلاد الفارسية» أيام «الساسانيين» (٢٢٦ - ٦٥١ م) و هي التي استمرت لغة الدين بين الموابذة الزردشتيين طوال القرنين أو الثلاثة اللاحقة لذلك.

و قد قدر «اللدكتور وست» (١١) أن «الأدب البهلوية» الموجودة في أيدينا تبلغ في حجمها حجم التوراة و أنها في الغالب تتعلق بموضوعات دينية أو فقهية، يضاف إليها بعض النقوش البهلوية المكتوبة على الصخور أو النقود أو المجوهرات التي يرجع تاريخها إلى منتصف القرن الثالث الميلادي.

و على الطالب أن يذكر أيضا أن «اللغة البهلوية» ما هي إلا تطور متأخر للغة «الفارسية القديمة» التي لا نعرف من أمرها إلا بقدر ما بقي مسجلا منها في هذه النقوش المنحوتة في الصخر في «برسيبوليس» و «بستون» و مواضع أخرى أمر بكتابتها دارا الأكبر و من لحقه من ملوك الدولة الأكمنية.

كما أن عليه أن يذكر أخيرا أن اللغة التي تعرف باسم «لغة الأفيستا» - أو خطأ باسم الزند - و هي اللغة التي كُتبت فيها تعاليم «زردشت» هي لغة شقيقة للغة «الفارسية القديمة» و كذلك للغة «السنسكريتية» و أنها بناء على ذلك لا تتصل بالفارسية الحديثة و إن كانت لا تزال تتمثل في بعض اللهجات المحلية في فارس و كذلك في اللغة الأفغانية المعروفة باسم ال «پشتو» كما يزعم المستشرق «دار مستتر».

(١) المقصود به: E. W. West. و هو من أكبر المستشرقين الذين تخصصوا في اللغة البهلوية و آدابها.

(٢) المترجم: مدينة تعرف في الفارسية باسم «تخت جمشيد» و تقع إلى شمال مدينة شيراز الحالية بالقرب من موقع «اصطخر» القديمة.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٢

و لو أننا شئنا أن نبين الحقائق السابقة في جدول منسق لصورناها على هذا النحو:

أولا: «اللغة الفارسية القديمة» التي استعملت أيام الدولة الأكمنية (٥٥٠ - ٣٣٠ م) و تمثلها النقوش المنحوتة في الصخر.

أما «لغة الأفيستا» فهي اللغة التي كُتبت فيها كتاب «زردشت» المعروف بهذا الاسم، و من أقدم أجزاءه التراثيل المعروفة باسم «گاتها» و

ينسبون كتابتها إلى «زردشت» نفسه أو إلى بعض تلاميذه (حوالي ٦٠٠ ق.م فيما يقرون).

ثانيا: غزوة الإسكندر وفتح فارس في سنة ٣٣٣ ق.م.

وتمتاز هذه الفترة بخلوها من الآثار الأدبية، وقد استمرت خمسة قرون ونصف القرن وانتهت بقيام «الدولة الساسانية».

ثالثا: الدولة الساسانية ٢٢٦ - ٦٥١ م

أصبحت اللغة البهلوية على أيامها اللغة الرسمية للدولة وللدين الزردشتي.

وهذه اللغة هي وليدة «اللغة الفارسية القديمة» وقد ولدت بدورها «اللغة الفارسية الحديثة».

رابعا: الفتح العربي ٦٤١ - ٦٥١ م.

وقد نتج عن هذا الفتح أن أسلم أكثر الفرس وحلت اللغة العربية محل الفارسية وأصبحت لغة الدولة والأدب.

خامسا: عصر النهضة الفارسية.

وهو العصر الذي يبدأ بالفترة التي نتحدث عنها في هذا الكتاب.

وهذا العصر يبدأ في حوالي سنة ٨٥٠ م (٢٣٦ هـ) ثم يأخذ في الوضوح كلما استطاعت «فارس» التحرر من ربقة الخضوع لخلافة بغداد وتحقق استقلالها السياسي.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٣

الفتح العربي وتأثيره في فارس:

هذه هي الحدود التي تبديها لنا النظرة العاجلة إلى تاريخ الآداب الفارسية، ولكن الطالب المشتغل بهذه الآداب، مهما أقع نفسه بهذه الخلاصة التي ذكرناها لأحوال الأدب الفارسي قبل الفتح العربي، لا يستطيع أن يمر سريعا على آثار هذه الحادثة الهامة ذات الأثر الخالد في الأدب الفارسي. ومن أجل ذلك فسأسمح لنفسي بأن أعيد هنا قولا للمشتشرق «نولدكه» ذكرته في الكتاب السابق، وهو قول كبير المعنى مؤداه «إن الحركة الهلينية لم تمس من الحياة الفارسية إلا السطح والقشور، بينما استطاع الدين العربي والحياة العربية أن ينفذا إلى قرارة الحياة الإيرانية ولبابها...»

اللغة العربية ومركزها الفريد:

واللغة العربية تمتاز بأنها لغة دين عظيم. ونحن نختلف عن المسلمين في كوننا نعتبر الإنجيل إنجيلا سواء أقرناه في اللغات الأصلية التي كتب بها أم في لغتنا الحالية.

أما المسلمون فيعتبرون «القرآن» كلمة الله وأنه تنزيل من رب العالمين. فإذا قرأنا مثلا «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» فإن الله وحده هو الذي يخاطبنا بهذا القول ولا يمكن أن يفسرها أحد بأن النبي هو الذي يحدثنا به؛ ولذلك جرى المسلمون على أن يقولوا:

«قال الله تعالى» إذا شأوا الاستشهاد بأية من آيات القرآن، بينما يقولون: «قال النبي عليه الصلاة والسلام» إذا استشهادوا بحديث من أحاديث النبي. وبناء على ذلك قالوا إن القرآن لا يمكن ترجمته ترجمة صحيحة إلى لغة أخرى، لأن المترجم مضطر إلى أن يورد في ترجمته قدرا من التفسير يستعين به على إظهار معانيه وهذا القدر قد يفسد المعنى أو يمس الأصل. ولست أعلم إلا-أن المستشرقين وحدهم هم الذين أقدموا على نشر ترجمات للقرآن لا يصحبها الأصل العربي، أما المسلمون فقد جروا على أن يكتبوا الترجمات «الفارسية» أو «التركية» أو «الأردية» بين سطور الأصل

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٤

العربي وإن يقصروا مهمهم على الترجمة الحرفية للألفاظ والمفردات «١».

بالإضافة إلى ذلك فإن المسلم سواء أكان «فارسيًا» أم «تركيًا» أم «هنديًا» أم «أفغانيا» أم من أهل «الملايو» عليه أن يؤدي الصلوات خمس مرات يوميا بالعربية، وأن يتلفظ بالشهادة أو ما في حكم ذلك من الصغى الدينية باللغة العربية أيضا، ولذلك وجب عليه أن يلم الإماما ولو يسيرا بهذه اللغة، فإذا تعمق فيها فقد استحق بين أهله وأبناء قومه مكانة رفيعة ومنزلة عالية.

يضاف إلى كل ذلك أننا نجد أن لغات الشعوب التي اعتنقت الإسلام قد غمرها منذ البداية سيل من الألفاظ العربية يتكون من العبارات الفنية المتعلقة بالدين والفقه، ثم من مصطلحات العلوم الوضعية التي نشأت في ظلال الحضارة الإسلامية، ثم من مجموعة من الألفاظ العادية استطاعت أن تحل محل الكلمات الأصلية في لغات هذه الشعوب.

ولو أن أحدا أراد أن يكتب شيئا «بالفارسية» بحيث تكون كتابته خلوا من الألفاظ «العربية» لتعسر عليه الأمر كما يتعسر على الذي يريد أن يكتب شيئا بالإنجليزية بحيث تكون كتابته خالية من كل كلمة يرجع اشتقاقها إلى أصل «يوناني» أو «لاتيني» أو «فرنسي». وربما استطاع بعض الناس أن يفعلوا ذلك على نطاق ضيق ولكن كتاباتهم تظل عسيرة الفهم إذا لم يستعن القارئ على فهمها بمعجم من المعاجم اللغوية.

وقد وصلني وأنا أكتب هذا الفصل نموذج لمحاولة من هذه المحاولات تضمنتها مقالة تقع في مائة سطر نشرتها جريدة «اختر» في ٢٧ أكتوبر سنة ١٨٩٠ لجماعة من مجوس مدينة «يزد» وهي مقالة تتعلق بموضوع عادي، قليلة الأفكار والمعاني التي تحتاج إلى بيان أو توضيح، ومع ذلك فقد اضطر كاتبها إلى أن يوضحوا

(١) يحتاج هذا القول إلى شيء من التحقيق لأن زميلي وصدريقي «الحاج ميرزا عبد الحسين خان» عند عودته إلى إنجلترا استطاع أن يجلب معه مخطوطا نفيسا هو عبارة عن ترجمة فارسية للقرآن أمر بها «نادرشاه» وهذه الترجمة غير مصحوبة بالأصل العربي.

(٢) مجلة فارسية كانت تصدر في استانبول ثم توقف صدورها.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٥

في الهوامش بمفردات غريبة، معاني ما لا يقل عن أربعة عشر لفظا من الألفاظ التي استعمالوها. وربما اضطر القارئ العادي إلى تفسير مجموعة أخرى من الكلمات الواردة بهذه المقالة حتى يستطيع أن يدعي أنه ألم بموضوعها ومعناها.

فكلمة «آويژه» مثلا يجب أن تفسر بكلمة «خاص».

و «درد» مثلا يجب أن تفسر بكلمة «صوره».

و «خهر» مثلا يجب أن تفسر بكلمة «وطن».

و «فرهيوخت» مثلا يجب أن تفسر بكلمة «أدب».

إلى آخر هذه المجموعة من الكلمات التي لا يمكن تفسيرها إلا بكلمات عربية خالصة.

وقد حاول «الأمير جلال» مثل هذه المحاولة ولكنه باء بالفشل عندما كتب كتابه المسمى «خسروان نامه» أي «كتاب الملوك» وهو تاريخ مختصر للدول التي قامت في فارس قبل الإسلام وقد نشر في مدينة فينا في سنة ١٢٩٧ هـ - ١٨٨٠ م وعلق عليه المستشرق موردتمان في الجزء الثامن والعشرين من مجلة «جماعة المستشرقين الألمان» (١).

و الشاهنامة نفسها وقد ألفها «الفردوسي» منذ ألف سنة تقريبا وقصد متعمدا - كما تدلنا على ذلك المقارنة بينها وبين الشعر المعاصر لها- أن يصوغها في أقدم العبارات والأساليب، لا يستطيع أحد أن يدعي أنها خالية من الألفاظ العربية كما يظن ذلك بعض الناس ممن لا قدرة لهم على التحقيق والتحجيص.

العلوم العربية:

قصرنا الحديث فيما سبق على التأثير اللغوي الذي أصاب «الفارس» على أيدي العرب، ولكن تأثير العرب في الفرس لم يقتصر على هذه الناحية وحدها بل تعداها إلى نواح مختلفة أخرى؛ فبدأ على أشده في الأمور الدينية والفقهية، كما امتد أيضا إلى

(١)

٥٠٨- ٥٠٦. Zeitschrift der Deutschen Morgenlandischen Gesellschaft, تاريخ الادب في ايران من

الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٦

«النحو» و «البلاغة» و «الشعر» و كل العلوم التي اشتغل بها المسلمون. وهذه العلوم هي في الغالب نتاج لأصول مشتركة أخذ يستعيرها العرب من أمم سبقتهم في الحضارة كالفرس واليونان، خاصة في الفترة المبكرة من العصر العباسي أي ما يقابل النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي (أي الثاني الهجري).

ولقد أحسنوا تقسيمها في كتبهم كما هو مذكور في كتاب «مفاتيح العلوم» فجعلوها على ضربين؛ الأول منهما عبارة عن العلوم الأصلية في العربية وتشمل «الفقه» و «التفسير» و «النحو» و «الكتابة» و «الشعر» و «العروض» و «التاريخ» و الثاني عبارة عن العلوم الغربية أو الأجنبية وتشمل «الفلسفة» و «المنطق» و «الطب» و «الحساب» و «الرياضة» و «النجوم» و «الموسيقى» و «الميكانيكا» و «الكيمياء». و جميع هذه العلوم تضمنتها «الحضارة العربية الفارسية» أثناء الخلافة العباسية في بغداد وأصبحت تعرف خطأ باسم «العلوم العربية»، و يقصد بها في الحقيقة مجموعة العلوم التي نشأت عن مصادر مختلفة متباينة ولكنها أصبحت «وحدة مركبة» معروفة لدى كافة المسلمين، بحيث لا تزال تؤثر فيهم تأثيرا عميقا يكاد يبلغ في مده تأثير الدين الإسلامي في أنفسهم، مما ساعد على توحيد العواطف توحيدا شديدا للوضوح بين كافة المسلمين في أرجاء الأرض قاطبة.

صلاحية العربية للأغراض العلمية:

و العربية في الحقيقة من أصلح اللغات لتأدية الأغراض العلمية فهي غنية بالأصول و بالمشققات الناتجة عن هذه الأصول. و المشققات فيها كثيرة، و هي تتفق مع الأصل في اتصالها به من حيث المعنى و إن تحور معناها قليلا بحسب اشتقاقها أو صياغتها. و لكي نبرهن على ذلك يحسن بنا أن نسوق المثلين الآتيتين: فأما أولهما فمستمد من الاصطلاحات الطبيعية القديمة، و أما الثاني فقياس عليه ليمثل لنا فكرة حديثة.

للفعل العربي صيغ تبلغ الاثنتي عشرة صيغة، كل منها تمتاز بمعنى خاص متصل بمعنى الفعل الأصلي؛ فإذا أخذنا صيغة «الاستفعال» من «غفر» أمكننا أن نشق كلمة

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٧

«استغفار» بمعنى طلب الغفران، و كلمة «استغفر» بمعنى طالب الغفران؛ و كذلك يمكننا أن نشق من كلمة «كمل» كلمتي «استكمال» و «مستكمل» و هكذا في بقية الأفعال.

فلما ظن أطباء العرب أن مرض الاستسقاء ناتج من كثرة الشرب، أسموه بهذه التسمية التي اشتقوها من كلمة «سقى» و أسموا المريض به «مستسقى». فلما بدت الحاجة في العصور الحديثة إلى مرادف لكلمة «أرنتالست

Orientalist

« لجأوا في العربية إلى مادة «شرق» و صاغوا منها قياسا على ذلك كلمة «مستشرق» بمعنى «الرجل الذي يطلب الشرق» أو «يجد المتعة في دراسته». و هذان المثلان فيهما الكفاية للتدليل على مقدار اليسر الذي يصادفه الكاتب العربي إذا شاء التعبير عن أفكار جديدة أو مستحدثة، فما عليه إلا أن يلجأ إلى أنواع الصيغ و المشققات، و إن يختار منها ما يناسب التعبير عن فكرته، و سيكون في كل الأحيان موافقا في حسن الأداء و رعاية الدقة حتى و لو لم تكن الكلمة التي اختارها قد استعملها أحد من قبله.

اعتداد العرب بلغتهم:

و العرب أنفسهم، و كذلك كل الشعوب التي تتحدث بلغتهم، يعزون باللغة العربية أشد الاعتزاز، و هم محقون تماما إذا رددوا في فخر قولهم المشهور: «الحمد لله الذي خلق اللسان العربي أحسن من كل لسان» و سواء أصدقاهم في هذا القول أم لم تصدقهم، فمما لاهم في معرفة العربية ضرورة لكل من يحاول أن يتفقه في لغات البلاد الإسلامية أو آدابها كالفارسية و التركية و الأردية أو أية لغة أخرى يتحدث بها المسلمون في أنحاء الأرض؛ و من المحقق قطعا أنه كلما ازدادت معرفتنا بالعربية كلما ازداد مقدار تدوقنا لما نعرض له من آداب اللغات الإسلامية الأخرى.

عود إلى الجزء الأول من كتاب «تاريخ الأدب في إيران»:

في الكتاب السابق الذي جعلته بعنوان «تاريخ الأدب في إيران منذ أقدم الأزمنة إلى عصر الفردوسي» كتبت مقدمة عن تاريخ الأدب الفارسي تحدثت فيها عن اللغات الثلاث القديمة في البلاد الفارسية و هي: «الفارسية القديمة» و «لغة الأستا»

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٨

و «الپهلوية» و كذلك عن بعض اللهجات الحالية المتصلة بها. و لقد شرحت المذاهب الدينية التي انتشرت في إيران كالأزدشتية و المانوية و المزدكية؛ ثم تحدثت عن تاريخ دولة آل ساسان العظيمة، فلما انتقلت بعد ذلك إلى «العرب» الذين فتحوا البلاد الفارسية في القرن السابع الميلادي و أثروا فيها كل هذا التأثير البالغ الذي شمل الدين و اللغة و الأدب و الحياة و الفكر، تحدثت عنهم حديثا مختصرا تناولتهم في أيام جاهليتهم قبل ظهور الدعوة الإسلامية ثم ذكرت شيئا عن «معلقاتهم» و أشعارهم التي ينسبونها إلى القرن الخامس الميلادي و التي ما زالت المثال الأوحى الذي يحتذ به الشعراء و الناظمون حتى اليوم؛ ثم انتقلت بعد ذلك إلى الحديث عن

الدعوة النبوية ثم عن الإسلام ثم عن فوز المسلمين في حروبهم و غزواتهم ثم عن الخلفاء الراشدين الأربعة ثم عن نشأة الشيعة و الخوارج، و تحدثت بعد ذلك عن حكم «الأمويين» و عن الحركات الثورية التي قامت بها الشعوب الخاضعة للدولة الإسلامية و خاصة الفرس و هي الحركات التي تمثلت في منتصف القرن الثامن الميلادي (- الثاني الهجري) في الثورة الكبرى التي قام بها الخراسانيون بقيادة «أبي مسلم الخراساني» و انتهت بموقعة «الزاب» و تحطيم الدولة الأموية و قيام الخلافة العباسية التي استمرت قائمة ما يقرب من خمسة قرون حتى أصابها الطامة الكبرى على أيدي المغول الذين حطموها في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي «١» (- السابع الهجري).

العصر الذي نتحدث عنه في هذا الكتاب:

أما العصر الذي نتحدث عنه في هذا الكتاب فيبدأ بعد فترة طويلة من انقضاء العصر الذهبي الذي عاش فيه «هارون الرشيد». و قد استطاع الخلفاء العباسيون الأوائل أن يفسحوا رقعة الإمبراطورية التي أنشأها خلفاء النبي الذين سبقوهم، و لم يكن ينقصهم إلا الاستيلاء على «إسبانيا» لتتضم إلى ملكهم الفسح الذي امتد من «مراكش» إلى «السند» و من «عدن» إلى «خوارزم» (أو خجوه) و كان

(١) بقي أثر من هذه الخلافة مثلًا في «الخلفاء العباسيين في مصر» حتى دخل السلطان سليم مصر في سنة ١٥١٧ م - ٩٢٣ هـ و أعلن نفسه خليفة على المسلمين بعد حصوله من الخليفة العباسي الأخير على الألقاب الخلافة و شعائرها.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٩
يشمل شمال أفريقيا و مصر و سوريا و بلاد العرب و العراق و أرمينيا و البلاد الفارسية و بلاد الأفغان و بلوچستان و جزءا كبيرا من تركستان و جزءا صغيرا من بلاد الهند و جزيرتي كريت و قبرص.

و يمكن أن يقال أن أول خطوة اتخذت لإضعاف هذه الإمبراطورية الكبيرة و زلزلة أركانها هي الخطوة التي خطاها المأمون بن هارون الرشيد في سنة ٨٣٠ م - ٢٠٥ هـ عندما كافأ قائده طاهر بن الحسين المعروف ب «ذي الميئين» بولاية خراسان و جعل حكومتها له و لأولاده من بعده فاستمروا يتوارثونها حتى كانت سنة ٨٧٢ م - ٢٥٩ هـ حينما نجح «الصفاريون» في التغلب عليهم و تأسيس دولتهم «الصفارية». و تعتبر الدولة «الطاهرية» أولى الدول الفارسية التي قامت بعد الإسلام. و من الثابت أنهم أنفسهم لم يحاولوا الاستقلال التام عن خلافة بغداد و لم يفضموا كل علاقة بينهم و بين الخلافة، و لكنهم مع ذلك يمتازون عن سائر الحكام و الولاة بأن ولايتهم خراسان بقيت لهم يتوارثونها فيما بينهم، بينما كان الوالي العادي حتى ذلك الوقت معرضا للنقل من ولاية إلى أخرى وفقا لما تراه الحكومة المركزية في بغداد.

و لقد تدرج الأمر بعد ذلك فتطورت هذه «الولاية المتوارثة» إلى «إمارة» مستقلة تمام الاستقلال «١» و لكن هذا التدرج كان بطيئا غير متصل الحلقات؛ فالدولة «الصفارية» مثلا كانت في أيامها الأولى أقل خضوعا و أكثر استقلالًا من الدولة «السامانية» التي أعقبتها. و كذلك كان الحال مع أكبر حكام الدولتين «الغزنوية» و «السلجوقية» فإنهم كانوا يعتبرون أنفسهم مندوبين عن الخليفة و ينظرون إليه نظرة السيد المتسلط الذي تستمد منه الألقاب و مراتب التشريف.

و لقد حدثت مع ذلك بعض الأحداث التي أدت إلى ثورات مكشوفة على الخلافة و خروج ظاهر عليها، فسار «يعقوب بن ليث الصفار» و هجم على بغداد و اشتبك مع قوات الخليفة المعتمد «٢» في سنة ٢٦٢ هـ - ٨٧٥ - ٨٧٦ م، كما حاول «ملكشاه

(١) أول من تلقب بلقب «سلطان» هو محمود الغزنوي.

(٢) تفصيل ذلك موجود في كتاب «سياسة نامه» تأليف «نظام الملك» أنظر طبعة «شيفر» ص ١١-١٤.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٠

السلجوقي» في سنة ١٠٨٠ م - ٤٧٣ هـ إن يضطر الخليفة «المقتدى» إلى أن ينقل عاصمته من بغداد إلى دمشق أو الحجاز «١»، بل أظهر من ذلك كله، هذا العراك الذي نشأ بين «سنجر» و «المسترشد» في سنة ١١٣٣ م - ٥٢٨ هـ و انتهى أمره بحبس الخليفة و قتله في محبسه في سنة ١١٣٥ م - ٥٣٠ هـ على أيدي «الإسماعيلية» بتحريض من «سنجر» نفسه فيما يقولون و كما يخبرنا «البنداري» في كتابه عن السلاجقة «٢».

و مع ذلك فقد بقي أمراء المسلمين من أهل السنة - فيما عدا أمراء إسبانيا - يعترفون بالسلطة الإسمية لخليفة بغداد و قد استمروا على ذلك منذ تأسيس «الخلافة العباسية» حوالي سنة ٧٥٠ م - ١٣٢ هـ إلى تحطيمها في سنة ١٢٥٨ م - ٦٥٦ هـ و قد استتبع ذلك أن ظلت «بغداد» طوال هذه القرون الخمسة تعتبر صمة العالم الإسلامي و مركز حضارته و ثقافته، كما ظلت اللغة العربية تعتبر لغة السياسة و الفلسفة و العلم و الأدب و الحديث المهدب.

العباسيون و خصومهم من أهل الشيعة:

كان «الفاطميون» في مصر هم أكبر خصوم العباسيين من الناحية الدينية و السياسية، و كانوا يمثلون فريقا واحدا من الفريقين العظيمين اللذين انقسم إليهما المشيعون لعلى، فأما الفريق الأول فهم «السبعة» أو «الإسماعيلية» الذين إليهم تنسب الفاطميون و قد ذكرنا نشأتهم و تاريخهم في الجزء الأول من هذا الكتاب حينما يحدثنا عنهم و عن المنضمين إليهم من «القرامطة». و أما الفريق العظيم الآخر من فرق الشيعة فهم «الاثنا عشرية» و كان الفرس دائما يميلون إلى مذهبه حتى يحذوه مذهبها رسميا لهم عند قام «الدولة الصفوية» على يد «الشاه إسماعيل» في

(١) أنظر تاريخ السلاجقة للبنداري طبعة «هوتسما» ص ٧٠.

(٢) المرجع السابق ص ١٨٧.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢١

سنة ١٥٠٢ م - ٩٠٨ هـ «١» و قد ظلت الغلبة السياسية في «البلاد الفارسية» حتى الفتح المغولي في القرن الثالث عشر الميلادي في أيدي «الإسماعيلية» الذين كانوا يتحصنون بقلعة «الموت» و الذين كانوا يعرفون أيضا باسم «الحشاشين».

الفتح المغولي في القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري):

أظهر حادث أصاب العصر الإسلامي في آسيا هو «الفتح المغولي» فقد أصاب الحضارة الإسلامية بلطمة قاصمة لم تستطع أن تفيق من شدتها حتى الآن. فهم بتحطيمهم للخلافة العباسية في بغداد قد قضوا نهائيا على وحدة العالم الإسلامي. و قد بدأ الفتح المغولي بغارة

«جنگيز خان» في بداية القرن الثالث عشر الميلادي و انتهى بالغارة على بغداد و قتل الخليفة العباسي «المستعصم» على يد «هولاكو خان» في سنة ١٢٥٨ م - ٦٥٦ هـ. و كان الخراب الذي أصاب «إيران» شديدا فقد كانت جموع المغول كالذئاب المتعطشة إلى الدماء، فأخذوا يقتلون كل من يصادفهم و يحرقون و يدمرون كل ما يعترض سبيلهم دون أن تأخذهم في قسوتهم رحمة أو شفقة، حتى أثر عنهم هذا القول المشهور بأنهم «جاءوا و خربوا و حرقوا و قتلوا و سلبوا و ذهبوا»^{٢٢} و قد نطق بهذا القول واحد من القليلين الذين نجوا بحياتهم عند ما أغاروا على «بخارى» و قتلوا من أهلها ثلاثين ألفا. و لم تكن «بخارى» وحدها هي المدينة التي أصابها هذا البلاء المستطير بل ما أكثر المدن التي أصابها ما هو شر من ذلك و أنكى. و غارة «تيمور» رغم ما تنازت به من شدة و قسوة لم تبلغ في حدتها المبلغ الذي وصلت إليه غارة هؤلاء المغول، و لعل السبب في ذلك أن «تيمور» كان مسلما يحس في قرارة قلبه بشيء من التقديس للمساجد و أماكن العبادة و بشيء من التقدير للمكتبات و رجال العلم، بينما كان «جنگيز خان» و «هولاكو خان» لا يدينان بدين من الأديان و يتعطشان إلى سفك الدماء و إهدارها بحيث إذا اعترض سبيلهما معترض أو قتل واحد من قوادهما في المعركة

(١) انتشر هذا المذهب من قبل في طبرستان و كذلك اعتنقه حكام البويهيين.

(٢) أصل العبارة بالفارسية كما هي مذكورة في كتاب «تاريخ جهان گشا» هي:

«آمدند و کتند و سوختند و کشتند و بردند و رفتند».

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٢

فالتامة كبرى، و البلاء شامل، و الفتك الذريع نصيب للصغير و الكبير و القوى و الحقيق و العالم و الجاهل. و لقد كان من دأبهما أن يعلقا الخيول في المساجد و أن يحرقا المكتبات، و أن يجعلا الكتب الثمينة طعاما للثيران و المواعيد، و أن يخربا المدن العامرة حتى تستوى أعاليها بأسافلهما، و أن يقتلا كل كائن فيها حتى تصبح خرابا يبابا لا تصلح لزراع أو ضرع.

و من رأيي أن هناك فجوة تفصل بين ما سبق هذه الكارثة و ما تلاها، فقد أتزلت بالحضارة الإسلامية و العلوم و الآداب كثيرا من الانحطاط الذي لم يمكن إصلاحه حتى الآن. و من أجل ذلك فلا غرابة إذا احتجنا في دراسة فترة القرنين و النصف القرن التي سبقت هذه الكارثة إلى مثل الجهد و النطاق اللذين نحتاج إليهما في دراسة القرون السبعة التي أعقبها «١».

النهضة الفارسية:

بخشنا في الجزء الأول كيف نشأت «النهضة الفارسية» و كيف تطورت حتى انتهت إلى ظهور «الفردوسي» و أقرانه من الشعراء المعاصرين، و لا بأس من أن نعيد هنا في إجمال ما سبق لنا شرحه في تطويل و تفصيل.

المعروف وفقا لما ذكره «عوفي» و هو أقدم من ترجم لشعراء الفرس في القرن الثالث عشر الميلادي (أوائل القرن السابع الهجري) أن أول من أنشأ قصيدة فارسية هو شخص يسمى «العباس»، أنشأها ليستقبل بها المأمون عند قدومه إلى «مرو» في سنة ١٩٣ هـ - ٨٠٨ - ٨٠٩ م و قد أخذ الدكتور «آيته» هذه النبذة المستقاة من «لباب الألباب» و فيها أربعة أبيات من هذه القصيدة فترجمها و نشرها في مقال ممتع عنوانه: «السابقون و اللاحقون للروديكي»^{٢٣}.

و لكني أختلف معه في الرأي فيما يتعلق بهذه القصيدة و أتابع رأي «كازمرسكي»^{٢٤}

(١) المترجم: في الأصل القرون الستة و نصف القرن و قد أضفت إليها نصف قرن مضى منذ كتابة هذا الكتاب.

(٢) عنوانه بالألمانية: ٣٨ - ٣٦ pp Rudagi's Vorlauffer und Zeitgenossen

(٣) المقصود به: A. de Biberstein Kazimirski.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٣

الذي يرى أن هذه القصيدة زائفة منتحلة «١».

و لعل من أقدم الأشعار الفارسية التي وصلت إلينا هي هذه الأبيات التي حدثنا بها «نظامي عروضي سمرقندي» في كتابه «جهار مقاله» (أو المقالات الأربع) «٢» فقال إنها أوحت إلى «أحمد الخجستاني» أن يثور في وجه الدولة الصفارية في سنة ٢٦٢ هـ - ٨٧٥ - ٨٧٦ م عندما قرأ البيتين الآتين:

مهتری گر بکام شیر در است شو خطر کن ز کام شیر بجوی

یا بزگی و عز و نعمت و جاه یا جو مردانت مرگ رویاروی و معناهما:

- إذا كانت العظمة في أشدق أسد كاسرفالتمسها من أشدقه و تقدم إليه و خاطر

- فإما وصلت إلى العظمة و العز و النعمة و الجاه و أما لاقيت حنضك في رجولة و عدمت الحياه و قد ذكر «نظامي العروضي السمرقندي» هذين البيتين عندما أراد أن يبرهن لنا على أن الشعر عبارة عن «صناعة يتمكن الشاعر بواسطتها من أن يسوق المقدمات الخيالية و الوهمية و أن يجعلها تنفق و تلتئم مع القياسات المنتجة العملية، بحيث يجعل من المعنى الصغير معنى كبيرا، و من الكبير معنى صغيرا، و بحيث يلبس الجميل صورة القبيح أو القبيح صورة الجميل، فإذا أثار قوى النخوة أو الشهوة في سامعيه استطاع أن يوحى إليهم بالسرور أو الانقباض و أن يحدث كثيرا من عظامم الأمور في هذا العالم».

(١) أنظر ديوان منوچهری ص ٨ - ٩ و أظن أن المستشرق الإيطالي پتزی Fizzi يرى نفس هذا الرأي؛ و أنظر أيضا مقالا متعنا بقلم

الأستاذ «مارجوليو» نشره في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية في أكتوبر سنة ١٩٠٣ ص ٧٦٧ بعنوان «مستند فارسي يهودي من ختن».

(٢) طبع هذا الكتاب في سلسلة أوقاف جب التذكارية و قد نشر الأستاذ براون ترجمة إنجليزية له في عدد أكتوبر سنة ١٨٩٩ من مجلة الجمعية الملكية الآسيوية.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٤

نبات اللغة الفارسية:

بدأ الشعراء ينظمون الشعر بالفارسية منذ أكثر من ألف سنة من الزمان «١». و قد شملهم بالرعاية حكام الدولات المستقلة أو الشبيهة بالمستقلة التي نشأت مع اضمحلال الخلافة و انحلالها، و لم تتغير اللغة الفارسية خلال هذه المدة الطويلة إلا قليلا، و ربما لا يلاحظ هذا التغيير إلا في أمثلة قليلة لبعض الكلمات المهجورة أو الإملاء القديم. و قد ترتب على ذلك أننا نستطيع أن نفهم أقدم الأشعار الفارسية الباقية في أيدينا دون أن نحس بشيء من العسر أو الغرابة أو البعد عن الأساليب الفارسية المستعملة في الوقت الحاضر.

و مع ذلك فهناك في رأيي شيء من الاختلاف يمكن إحساسه فيما يتعلق بالذوق الأدبي و بالشعور الذي توحى به هذه الأشعار

القديمة، فالأشعار التي نشأت في عهد الدولتين «الصفارية» و «السامانية» هي في الحقيقة أشعار بسيطة خالية من الصناعة البديعية و هي أقرب إلى الطبع و أدنى إلى سلامة الأداء و تصوير الموضوع.

تطور الذوق الأدبي و قواعد النقد:

ولا يمكن أن يكون هناك ما هو أدل على تطور الذوق الأدبي في مدى ثلاثة قرون و نصف القرن من أن نقارن نقديين لقصيدة واحدة شهيرة أنشأها الشاعر المعروف «رودكي» الذي تنفق الآراء على اعتباره أكبر شعراء الفرس في الفترة السابقة لقيام الدولة «الغزنوية». فاما أحد هذين النقيدين فهو الذي تضمنه كتاب «چهار مقاله» لمؤلفه «نظامي العروضي السمرقندي» (حوالي سنة ١١٥٥ م- ٥٥٠ هـ) و أما ثانيهما فهو المذكور في كتاب «تذكرة الشعراء» لمؤلفه دولتشاه (حوالي سنة ١٤٨٧ م- ٨٩٢ هـ). و القصيدة التي كانت موضوعا للنقد في هاتين العريتين هي التي مطلعها:

(١) أثرت في الجزء الأول مسألة الشعر و هل كان له وجود في عهد الدولة الساسانية...، و قلت إننا بفرض القول بوجوده فقد ضاع جملة و لم يبق شيء من أمثلة في أيدينا، و كل ما بقي من الأشعار الفارسية هي هذه الأشعار التي قبلت في العصر الإسلامي. تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٥ بوى جوى موليان آيد همى بوى يار مهربان آيد همى «١» و معناها بالعربية:

روائع «موليان» «٢» تهب دو ما بذكر أحتي و منى زمانى
و لمسى رمله العاتى خير لددى من الحرير الخسروانى
يفيض النهر كى يلقاك بشراو يضحك ماؤه و الشاطنان
فعيشى يا «بخارى» فى نعيم أميرك مقبل و اليجن دانى
فأنت سماؤه يأتيك «نصر» «٣» كيدر التم بيسم للأمانى

و أنت رياضه يأتيك «نصر» شبيه السرو فى أبهى مكان «٤»، و قد تحدث الناقد الأول عن الأثر الشديد الذى أحدثته هذه الأبيات فى نفس الأمير «نصر بن أحمد الساماني» فقال إنها أثرت فيه تأثيراً شديداً بحيث أجزل لقاتلها العطاء و اختصه بكثير من النعم، و بدأ ذلك شيئاً طبيعياً فى نظر الناقد «لأن الرودكى رجل قد برز على من عداه فى قول الشعر و لا يستطيع أحد أن يداينه فى الجزالة و العذوبة و يكفى دليلاً على ذلك البيت الآتى:

آفرين و مدح سود آيد همى گر بگنج اندر زيان آيد همى و معناها:
مدح الناس مكسبة و فخرو أما المال آخره الضياع «٤»

(١) المترجم فيما يلي بقیة هذه الأبيات وفقاً لما ورد فى «چهار مقاله» ص ٣٨ طبع برلين سنة ١٩٢٧:

ريگ آموى و درشتى راه اوزير پايم پرنیان آيد همى
آب جيحون از نشاط روى دوست خننگ مارا تاميان آيد همى
أى بخارا شاد باش و دير زى مير زى تو شادمان آيد همى
مير ماهست و بخارا آسمان ماه سوى آسمان آيد همى
مير سرو است و بخارا بوستان سرو سوى بوستان آيد همى
(٢) «موليان» نهر بالقرب من بخارى أو هو نهر جيحون.
(٣) المترجم: هو الأمير نصر بن أحمد الساماني.
(٤) المترجم: هذه الأبيات من نظمي.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٦

و قد استشهد الناقد بهذا البيت فقال «إنه يتضمن فى أصله الفارسي سبع صناعات بديعية» هي الآتية:

١- المطابقة ٢- التضاد ٣- الترديف ٤- بيان المساواة ٥- العذوبة ٦- الفصاحة ٧- الجزالة

و اختتم الناقد نقده بهذه العبارة: «و يستطيع كل أستاذ له تبحر فى علوم الشعر أن يفكر قليلاً ليرى أننى مصيب فيما قلت» «١» و أنا شخصياً إذا أتيت لى أن أبدي رأيي فى هذا الأمر أجد نفسى ميلاً إلى تصديقه و موافقته. فالمطابقة ظاهرة و واضحة لأن الشاعر يريد من الأمير شيئاً من العطاء و أشارته إلى ذلك هيئة و لكنها واضحة؛ و أما التضاد فقد عبر عنه الشاعر و أجاد عند ما ذكر «ضياع المال» و «كسب الفخر»؛ و أما الترديف فظاهر فى جزئى البيت و إن كان الأعر لا يقتضيه عادة إلا فى الشطر الأخيرة منه؛ و أما «المساواة» فظاهرة أيضاً مما يتاله الأمير لقاء سخائه؛ و أما «العذوبة» و «الفصاحة» و «الجزالة» فكلها ظاهرة و واضحة من قراءة البيت الفارسي.

دولتشاه و فساد ذوقه الأدبي:

فإذا جئنا إلى «دولتشاه» و قرأنا نقده الذى كتبه عن هذه الأبيات بعينها حوالى سنة ١٤٨٧ م- ٨٩٢ هـ وجدناه يقول ما أتى «٢»:
«هذه القصيدة طويلة جداً بحيث لا يمكن إيرادها برمتها فى هذا الكتاب. و هم يقولون إنها أطربت الأمير و وقعت موقعا حسنا فى نفسه بحيث أن الأمير امتطى جواده قاصداً الذهاب إلى «بخارى» دون أن ينتبه إلى وضع حدائه فى قدميه. و إن العقلاء لا شك ليدهشون إلى هذه الحالة التى انتابت الأمير، لأن هذه الأبيات بسيطة»

(١) أنظر ص ٣٩ من «چهار مقاله».

(٢) أنظر ص ٣٢ من «تذكرة الشعراء» طبع ليدن سنة ١٩٠٠ م.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٧

للغاية ليس فيها شيء من المتانة أو الصناعة؛ و لو أن أحداً من الشعراء فى هذه الأيام أقدم على عرض أشعار شبيهة بهذه الأبيات فى مجلس الأمراء و السلاطين لاستوجب إنكار الجميع له و لأقواله. و لكن من الجائز أن نقول أن الأستاذ «الرودكى» كان خبير بالأوتار و الموسيقى فاستطاع أن ينشئ لنا عرضاً فى هذه الأبيات على وقع الأغاني و الأنغام فحلت محل القبول و الإعجاب. و مع ذلك فلا يجوز لنا أن نستخف بشأن الرودكى بسبب هذه الأبيات، فمما لا جدال فيه أنه كان خبيراً بسانن العلوم و الفنون و الفضائل كما كان يجيد القول فى سائر ضروب الشعر و خاصة «القصائد» و «المثنويات» مما جعله عظيم الشأن مقبول القول لدى الخاص و العام.

الأسلوب الفارسي و الصناعة البديعية:

يتصور كثير من الناس أن «الأدب الفارسية» تمتاز بأنها مصطنعة متكلفة تمتليء بالصناعات البيعية و تزخر بالمجازات والاستعارات؛ ولكن هذا الرأي ليس صحيحاً إلا فيما يتعلق بمجموعة من الآداب نشأت في ظروف خاصة و بيئات خاصة كالتى نشأت في كنف الفاتحين الأجانب من «المغول» أو «الأتراك». فتاريخ المغول الذى ألفه «١» «الوصاف» حوالى سنة ١٣٢٨ م- ٧٢٩ هـ هو من أكبر الأمثلة على هذا الأسلوب المصطنع الملىء بالمحسنات البيعية. وكذلك نجد أن «روضه الصفا» «٢» و «أنوار سهيلي» «٣» وكذلك طائفة من التأليفات المعاصرة التى نشأت في رعاية الأمراء التيموريين في نهاية القرن الخامس عشر و بداية السادس عشر (- القرن العاشر الهجرى) كلها تقوم دليلاً على صدق هذا الرأى الذى ذهبنا

(١) هذا التاريخ عنوانه «تجزية الأمصار و تزجية الأعصار» و يعرف اختصاراً باسم «تاريخ الوصاف» و مؤلفه هو أبو عبد الله بن فضل الله الشيرازى.

(٢) من تأليف محمد بن خاوند شاه المعروف ب «مير خواند» المتوفى سنة ٩٠٣ هـ- ١٤٩٧ م.

(٣) عبارة عن كتاب «كليه و دمنه» بلغة فارسية كثيرة المحسنات البيعية، و هو من إنشاء «حسين واعظ كاشفى» المتوفى سنة ٩١٠ هـ- ١٥٠٤ م.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٨

إليه «١». و مع ذلك فلم يصل هذا الأسلوب المصطنع الكرى إلى نهاية مده إلا في عصر الأتراك العثمانيين كما تشهد بذلك كتابات «ويسى» و «نرغسى». و لعله من الخير أن نذكر أن ناقدا تركيا حديثاً تناول بالنقد ما كتبه هذان الشاعران فقال: «إن الفارسي إذا قرأ أشعارهما يستطيع أن يتبين أنهما لم يكونا يحاولان الكتابة بالفارسية، و كذلك إذا فعل التركى فإنه يعجز أن يتخيل أنهما كانا يكتبان بالتركية أيضاً !!!»

خصائص الأشعار الفارسية المبكرة من حيث الصيانة و الاسلوب:

في الجزء السابق من «تاريخ الأدب في إيران» الذى نشرته في سنة ١٩٠٢ أوردت أمثلة شعرية من أقوال سبعة عشر شاعراً عاشوا في العصر السابق للدولة الغزنوية. و هذا القدر كاف- في نظرى- لتكوين فكرة عن خصائص هذه الأشعار المبكرة. و لكن من الأسف أننا إذا استثنينا الألف بيت من الشعر التى أنشأها «الدقيقى» و أبقاها «الفردوسى» في شاهنامه فإننا لا نجد مثلاً آخر للمثنويات أو القصائد المطولة التى يمكن نسبتها إلى العصر الساماني أى العصر السابق لهذا العصر.

و ليس من شك في أنهم أنشأوا في ذلك الوقت بعض القصائد القصصية المطولة كالترجمة المنظومة التى قام بها «الرودىكى» لكتاب «كليه و دمنه» و هى الترجمة التى بقي منها ستة عشر بيتاً من الشعر محفوظة في كتاب «أسدى» المعروف ب «لغت فرس» و هو المعجم الفارسي الذى جمعه «أسدى» حوالى سنة ١٠٦٠ م- ٤٥٢ هـ و نشره «پول هورن» في طبعة أنيقة جميلة.

أما ما بقي في أيدينا من أمثلة هذه الأشعار المبكرة فلا يعدو بعض «المقطعات» و «الرباعيات» و «الزليات» بالإضافة إلى «المثنويات» و «القصائد» التى لا شك في أنها قيلت في ذلك الوقت و التى بلغت ذروة رفعتها في أيام الفردوسى حوالى سنة ١٠٠٠ م- ٣٩١ هـ و هى السنة التى نبدأ بها العصر الذى نحن فيه.

و «القصيدة» و «القطعة» هما ضربان من ضروب النظم استعارهما

(١) انتقلت هذه الآداب إلى الهند عند تأسيس «بابر» للدولة المغولية في الهند.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٩

الفرس من العرب، و قد وضعوهما على نسق المعلقة الجاهلية من حيث الصياغة و الأسلوب و إن كان قد أصابهما شيء من التعديل على أيدي الفرس كما فعلوا أيضاً ب «الغزل».

أما «الرباعي» و «المثنوى» «١» فهما ضربان من النظم ابتكرهما الفرس ابتكاراً. و في رواية معروفة عن أول ما قيل من الشعر الفارسي أن «الرباعي» أو ال «دوبيت» هو أول ضروب النظم التى نشأت في إيران «٢».

و أما «الشعر الصوفي» الذى تضادفه بكثرة من القرن الثانى عشر الميلادى (السادس الهجرى) فأثنته قليلة نادرة في فاتحة هذا العصر الذى ندرسه.

فنون الشعر و البديع لدى الفرس:

لعله من الخير- لكى نتفادى كثرة التفريعات و التفسيرات في الفصول التالية- أن نستعرض أنواع الأساليب الأدبية التى يتبعها الفرس، و أن ننظر إلى فنونهم البلاغية التى يستعملونها في أقوالهم، و إلى أوزانهم الشعرية التى يصوغون فيها أشعارهم. و قد أغنانى عن الإفاضة في مثل هذه الموضوعات ما كتبه صديقى المرحوم «إ. ز. و. جب» في أبحاث قيمة ألحقها بمقدمة كتابه الخالد «تاريخ الأشعار العثمانية» «٣» فقد تحدث في الجزء الأول من هذا الكتاب عن الفكر الشرقى و عالج فنون الشعر و البلاغة و الأدب التى يطبقها «الأتراك» و «الفرس» و كذلك «العرب» و سائر الشعوب التى تتحدث بلغة من اللغات الإسلامية الأخرى. و هذه

(١) المترجم: المثنوى عبارة عن النظم المؤلف من أزواج من الأشرطة كل اثنين منها متفقان في الروى مستقلان عما عداهما.

(٢) أنظر ص ٣٠- ٣١ من تذكرة الشعراء، و كذلك ص ٨٨- ٨٩ من «المعجم في معايير أشعار العجم»

(٣) إسمه بالإنجليزية Gibb History of the Ottoman Poetry.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٠

المقدمات التى ساقها «جب» تعتبر من أهم الموضوعات التى يجب أن يبدأ بدراستها كل من يريد أن يشتغل بالأدب الإسلامية. فقد تحدث في الفصل الثانى من الكتاب الأول عن الفقه و الفلسفة و التصوف. كما تحدث في الفصل الثالث عن ضروب الشعر و العروض و البلاغة.

كذلك يحسن الرجوع في هذه الموضوعات إلى مصادر أخرى أهمها:

١- كتاب «أبحاث في البلاغة و العروض و القافية لدى الفرس» تأليف «جلادوين» «١».

٢- كتاب «النحو و الشعر و البلاغة عند الفرس» تأليف «روكوت» «٢»

٣- كتاب «العروض الفارسية» تأليف «بلوخمان» «٣».

٤- كما يحسن الرجوع إلى الكتاب الآتى فيما يتعلق بالمقارنات بين شعراء الغزل:

و هو ترجمة «أوبار» ٤٤» لكتاب «أنيس العشاق» من تأليف «شرف الدين رامى» ٥٥».

أما الكتب الفارسية التي تناولت هذه الموضوعات فكثيرة و من أهمها:

١- كتاب «ترجمان البلاغة» من وضع «فرخى» و هو من الشعراء المعاصرين للفردوسي. و قد ذكر دولتشاه اسم كتابه في ص ٩ و ٥٧ من تذكرة الشعراء كما ذكره أيضا حاجى خليفه (طبعة فلوجل. ج ٢ ص ٢٢٧).

(١)

Dissertations on the Rhetoric, Prosody and Rhyme of the Persians: by Gladwin, Calcutta

١٨٠١.

(٢) اسمه بالألمانية: Poetik und Rhetorik der Perser, Grammatik. تأليف: Ruckert و قد نشره في مجلدين سنة

١٨٢٧-١٨٢٨ ضمن ال Wiener Jahrbucher و أعاد طبعه Pertsch في سنة ١٨٧٤ م.

(٣) اسمه الأصلي بالإنجليزية: Prosody of the Persians. by Blochmann:

C.Huart(٤)

(٥) المترجم: هو من رجال القرن الثامن الهجرى و ذكروا له تأليفا آخر اسمه «حقائق الحدائق».

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣١

٢ و ٣- كتاب «غاية العروضين» و كتاب «كنز القافية» و كلاهما من وضع «بهرامى السرخسى» و كان معاصرا للفردوسي أيضا. و قد امتدح كتابيه كثيرا صاحب كتاب «جواهر مقاله».

و جميع هذه الكتب الثلاثة مفقودة و ليس في أيدينا نسخة منها «١». و أما الكتب الفارسية الباقية في أيدينا حتى الآن فأهمها و أقدمها كتابان هما:

٤- «حقائق السحر في دقائق الشعر» من تأليف «رشيد الدين الوطواط» ٢٠» المتوفى سنة ١١٨٢ م- ٥٧٨ هـ.

٥- «المعجم في معايير أشعار المعجم» من تأليف «شمس قيس الرازى».

وضعه أثناء القرن الثالث عشر الميلادى (بعد سنة ٦١٤ هـ- ١٢١٧-١٢١٨ م).

علم البديع:

إشارة

و فيما يلى سأحدث عن «علم البديع» مراعى أن أختار أكثر شواهدى من كتاب «حقائق السحر» دون أن أتقيد بالنظام الذى سار عليه «الوطواط» إذ بدا لى فى بعض المواضع أنه لم يحسن التنظيم و الترتيب. و سأجتهد فى أن أسوق بعض الأمثلة الإنجليزية التى تساعد القارىء الإنجليزية على تفهم الفنون البلاغية المختلفة و تقربها من ذهنه «٣».

(١) المترجم: نشر من هذه الكتب أخيرا فى تركيا كتاب «ترجمان البلاغة».

(٢) المترجم: يقول البعض أن وفاته كانت فى سنة ٥٧٣ هـ و قد نقلت هذا الكتاب إلى العربية و نشرته فى سنة ١٩٤٥ بعنوانه الأصلي الذى عرف به فى الفارسية.

(٣) المترجم: سأعرض عن ذكر هذه الأمثلة لأن القارىء العربى ليس فى حاجة إليها.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٢

١- النثر

النثر على ثلاثة أنواع: (١) النثر العارى: و هو ما لا وزن له و لا قافية.

(ب) النثر المرجز: و هو ما له وزن و ليس له قافية.

(ج) النثر المسجع: و هو ما له قافية و ليس له وزن.

و لسنا فى حاجة إلى أن نتحدث عن النوع الأول فشأنه ميسور بسيط؛ أما النوع الثانى فيحتاج إلى شىء من الدراسة لأن الاعتراف به كنوع مستقل من أنواع النثر يعتمد على ما نسميه بالمذهب الفقهي؛ أما النثر المسجع فقد نزلت كثير من آيات القرآن على نمطه، و لكننا نعثر فى بعض الأحيان على آية من الآيات تقع موزونة على وزن من الأوزان الشعرية المعروفة كما ورد فى سورة البقرة فى الآيتين ٧٨ و ٧٩ حيث قال تعالى:

«ثُمَّ أَفْرَزْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ، ثُمَّ أَنْتُمْ هَوْلَاءٌ تَقْتُلُونَ».

فهاتان العبارتان موزونتان على بيت من «الرملى» مكون من «فاعلاتن» ست مرات مع جعل التفعيلة الأخيرة من كل مصراع على «فاعلات». و لما كان خصوم النبي قد اعتادوا أن يتهموه بأنه «شاعر مجنون» و هو ينفى التهمة بكل ما يملك من قوة، اضطر اتباعه إلى أن يصوغوا تعريفا للشعر لا ينطبق على أية آية من آيات القرآن أو على أية عبارة من عباراته فلما وجدوا أن بعض آياته- كما رأينا- موزونة و مقفاة أضافوا إلى شرط «الوزن» و «القافية» شرطا ثالثا هو «القصد» أى أن يقصد القائل أن يقول شعرا. و على ذلك قالوا إن «النثر المرجز» هو عبارة عن شعر صدر عفوا فى وسط كلام متنور و لم يقصد قائله أن يجعله شعرا:

و من أمثلة هذا النثر المرجز قوله صلى الله عليه و سلم فى حديث نبوى:

الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم

فهذه العبارة موزونة على الرمل المشتمن.

و النوع الثالث من النثر و هو «المسجع» يعرض كثيرا فى كتابات اللغات الإسلامية المختلفة و هو على ثلاثة ضروب:

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٣

(١) المتوازي: و ذلك إذا وجدت فى جملتين أو أكثر كلمات متفقة فى الوزن و عدد الحروف و الروى؛ و مثاله من القول النبوى:

«اللهم اعط متفقنا خلفا، و اعط ممسكا تلقا».

(ب) المطرف: و ذلك إذا وجدت فى آخر جملتين أو أكثر كلمات متفقة الروى و لكنها مختلفة من حيث الوزن و العدد.

و مثاله قوله تعالى: «ما لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً».

(ج) المتوازن: و هذا النوع يرد فى النثر و الشعر معا، و يكون بأن ترد فى أول الجملتين أو آخرهما، أو فى أول المصراعين أو آخرهما كلمات تتفق مع بعضها من حيث الوزن و لكنها تختلف فى حروف الروى.

و مثاله من القرآن الكريم: «وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُتَشَبِّهَ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ».

و أجمل تقليد في اللغات الأوربية للنثر المسجوع موجود في اللغة الألمانية و من أحسن أمثله ما ورد في الترجمة الألمانية لبعض مقامات بديع الزمان الهمذاني (المتوفى سنة ١٠٠٧-١٠٠٨ م- ٣٩٨ هـ) و هي الترجمة التي نشرها «فون كرامر» في الجزء الثاني من كتاب «تاريخ الثقافة» (١).

٢- النظم

[عدد ضروب النظم في الفارسية]

ذكر «روكوت» أن ضروب النظم في الفارسية عبارة عن أحد عشر ضربا كما أوردها صاحب كتاب «هفت قلم» (أو البحار السبعة) و هي على الترتيب الآتي:

- (أ) الغزل
- (ب) القصيدة
- (ج) التشبيب
- (د) القطعة
- (هـ) الرباعي
- (و) الفرد
- (ز) المثنوي
- (ح) الترجيع بند
- (ط) التركيب بند
- (ي) المستزاد
- (ك) المسقط

(١) أنظر ص ٤٧١-٤٧٥ من كتاب Cul turgeschichte المترجم: أعرضت عن ذكر المثل الألماني الذي أورده «براون» من ترجمة المقامات كما أعرضت أيضا عن ذكر المثل الإنجليزي الذي نقله براون من كتاب: George Puttenham. ١٥٨٩ تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٤ و يمكن أن نضيف إلى هذه الضروب «المرجع» و «المخمس» و «المسدس» و «المسبح» و «المثنى» و «المتنع» و «المعشر». كما يمكن أن نضيف إليها أيضا «الموشح» و إن كان نادر الاستعمال لدى الفرس و لم يستعمل بكثرة إلا في الأندلس و بلاد المغرب. أما الشعر «الملمع» و هو الشعر الذي يتكون من أبيات أو مصاريع منظومة في لغتين أو أكثر فلا يتقيد بصياغة خاصة؛ و من أجل ذلك فمن الخير أن نرجع الحديث عنه إلى أن نعرض للكلام على «موضوعات القصيدة».

... و التقسيم الذي ذكره كتاب «هفت قلم» يشوبه الخفاء و عدم الإقناع.

فالتشبيب مثلا ما هو إلا هذا الجزء الذي يصف فيه الشاعر في مطلع قصيدته «أيام الشباب و ما يراه من جمال و ما يحس به من حب و هيام» و يجعله مقدمة لما يريد أن يسوقه من أغراض. و كذلك «الفرد» و «القطعة» و «البيت» لا يصح أن تعتبر من ضروب النظم المختلفة لأن «الفرد» أو «البيت» ما هو إلا الوحدة التي تقوم عليها سائر ضروب النظم بينما «القطعة» ما بقي إلا جزء من قصيدة طويلة أو جملة أبيات نظمت على حدة و لم يقسم لها أن تطول لتبلغ مبلغ القصائد كما نشاهد في آثار بعض الشعراء و على الخصوص أشعار «ابن يمين» المتوفى سنة ١٣٤٤ م- ٧٤٥ هـ، فإنها برمتها من هذا النوع الذي يعرف بالمقطعات.

و كذلك النوعان المعروفان باسم «بند» يمكن اعتبارهما ضربا واحدا سواء رجع بيت بعينه بين أقسامها أم ذكرت أبيات مختلفة بعد كل قسم من الأقسام، بحيث تكون متفقة القافية فيما بينها و إن كانت لا تقفى مع سائر أقسام البند. و كذلك الحال مع «المرجع» و «المخمس» و «المسدس» .. الخ فإنها تعتبر نوعا واحدا.

أما «الموشح» و «المسقط» و «المرجع» فلا تعدو أن تكون «قصائد» مصطنعة أو «غزليات» من نوع خاص.

و قبل أن نحاول تقسيم «الشعر الفارسي» تقسيما علميا يكون أقرب إلى طبيعته بحيث تظهر لنا ضروبه المختلفة، نجد لزاما علينا أن نتحدث أولا عن عناصره التي يتركب منها.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٥

البيت و المصراع

و البيت هو الوحدة التي تتركب منها كل منظومة من المنظومات؛ و هو يتركب بدوره من قسمين متساويين كل منهما يسمى «مصراعا» و يشتمل البيت على عدد معين من التفعيلات تبلغ الثماني إذا كان البيت «مثنيا» أو الست إذا كان البيت «مسدسا» و نقل عن ذلك في بعض الأحوال.

و لسنا في حاجة إلى بيان الأجزاء التي تتركب منها التفعيلة الواحدة و كيف أنها تتركب من «الأوتاد» و «الأسباب» و «الفواصل» و لكننا نكتفي بأن نقول إن هذه التسميات الفنية التي اصطلاح عليها عروضيو العرب، و تابعهم فيها أصحاب العروض من الفرس و الترك و أهل الأمم الإسلامية الأخرى، كلها قد بنيت على قياس خاطيء في تشبيه «البيت من الشعر» ب«الخيمة» أو «بيت الشعر» الذي يسكنه الأعراب. فقالوا إنك إذا نظرت إلى الخيمة أو «بيت الشعر» من قدام وجدت أن بابها يتركب من مصراعين، فاستعمل العروضيون كلمة «مصراع» للدلالة على كل قسم من القسمين اللذين منهما يتركب «بيت الشعر». و قد ذكر «بلوخمان» في كتابه «العروض الفارسي» (١) جملة من الأسباب و التفصيلات التي أدت إلى هذه المقايسة الغريبة بين «بيت الشعر» و «بيت الشعر» لعل أغربها و أجملها هو قولهم أن «بيت الشعر» يضم في أرجائه الغيد الحسان من نساء القبيلة و كذلك الحال مع «بيت الشعر» فإنه يشتمل على إبداع الأفكار التي تجول في خاطر الشاعر.

و قد اصطلاحوا في الإنجليزية على ترجمة كلمة «بيت» بكلمة

~ Couplet

و على ترجمة «مصراع» بكلمة ~ Hemistich. و لا شك أن ترجمة هاتين الكلمتين على هذا النحو مما يؤسف له، لأن الكلمة الإنجليزية الأولى توحى لنا بأن «البيت» مكون من وحدتين، كما أن الكلمة الثانية توحى لنا بأن «المصراع» عبارة عن نصف وحدة، و

يترتب على ذلك بالطبع أن أربعة مصارع لازمة لإنشاء البيت الواحد من الشعر. ولذلك أجد أنه من الخير أن ترجم كلمة «بيت» بالكلمة

(١) أنظر: ٢١- ٢٠. Persian Prosody ;by Blochmann .pp

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٦

الإنجليزية Verse و كلمة مصراع بكلمة Half-verse و إن كان لا اعتراض لدى على الاستمرار في تسمية «المصراع» بكلمة Hemsistich بشرط أن نصلح من الآن على تسمية البيت بكلمة Verse أو Stichos. و في هذه الحالة يصبح الرباعي مكوناً من أربعة مصارع أو من بيتين و تطبق كذلك تسميته في الإنجليزية على تسميته التي عرف بها في الفارسية حيث اصطلاحاً على تسميته باسم «دوبيت».

و على كل حال يجب ألا يغيب عن بالنا أن «البيت» هو الوحدة في كل المنظومات.

و إن قولنا بيت مسدس أو مثنى لا يدل على شيء إلا على عدد التفعيلات التي يشتمل عليها. كما يجب ألا يغيب عن بالنا أيضاً أن جميع أبيات المنظومة يجب أن تكون متساوية في عدد تفعيلاتها فلا يجوز مطلقاً الجمع فيها بين «المثنى» و «المخمس» كما نجد عادة في الأشعار اللاتينية.

و من الملاحظ في بعض الكتب المنثورة من قبيل «گلستان» أن الكاتب يسوق «البيت» أو «المصراع» للاستشهاد به على قول معين أو حادثه بعينها وربما نظم هذا «البيت» أو هذا «المصراع» لهذه المناسبة وحدها؛ و في هذه الحالة يسمون «المصراع» باسم «الفرد».

ضروب النظم الفارسية:

إشارة

و يحسن بنا و قد فهمنا الأشياء التي ذكرناها فيما سبق أن نتقدم لدراسة ضروب النظم الفارسية المختلفة، فنقول إن أول تقسيم لهذه الضروب مناه القافية. فهناك نوع من الأشعار تكون القافية فيها مستلزماً بين مصراعي البيت الواحد دون تقيد بما يسبقه أو يليه من الأبيات. و هناك نوع آخر تستلزم فيه القافية في نهاية الأبيات جميعها دون تقيد بتقيد المصارع الأولى منها إلا في بيت المطلع دون سواه من الأبيات.

و النوع الأول من هذين القسمين يمثل «المنثوي» و يمكن تسميته بالقسم الذي تتعدد فيه القوافي. أما النوع الثاني فموحد القافية و أمثلته واضحة في «القصيدة» و «القطعة» و «الغزل» و «الترجيع بند» و «التركيب بند» و كذلك «الرباعي»

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٧

أما «المربع» و «المخمس» و «المسدس» إلى «المعشر» فيجب فصلها عن هذين النوعين و وضعها في قسم خاص قائم بذاته.

المنثوي:

لسنا في حاجة إلى الإفاضة في القول عن هذا الضرب من ضروب النظم لأن أكثر الشعر الأوروي الذي له قافية يقع على غراهه. و القافية فيه تكون في جزئي البيت الواحد و تتغير بعد ذلك بتغير الأبيات. و من أجمل أمثله في الإنجليزية قصيدة الشاعر تينسون Tennyson التي عنوانها Locksley Hall فهي كثيرة الشبه بما يعرف فنياً في العروض الفارسي باسم «منثوية على وزن الرمل المثنى المحذوف» (١).

---/---/---/---

فاعلاتن/ فاعلاتن/ فاعلاتن/ فاعلن

و كل المنظومات الطويلة في اللغة الفارسية- سواء أ كانت قصصية أم تعليمية- تقع في هذا الضرب من النظم، و من أمثلتها:

الشاهنامه: «كتاب الملوك» من نظم الفردوسي

بنج گنج: «الكنوز الخمسة» من نظم نظامي الكنجوي

هفت اورنگ: «العروش السبعة» من نظم جامي

المنثوي المعنوي: «العروش السبعة» من نظم جلال الدين الرومي

و هذا الضرب فارسي النشأة لم تعرفه الأشعار العربية القديمة، و إن كان بعض الشعراء الذين كانوا من أهل فارس قد استخدموه في نظم الأشعار العربية المتأخرة التي عرفت باسم «المزدوج» منذ نهاية القرن العاشر الميلادي (أواخر الرابع الهجري) (٢).

(١) المترجم: أورد براون بيتين من المنظومة الإنجليزية على سبيل المثال و لم تر حاجة إلى كتابتهما بنصهما.

(٢) أنظر مثلاً لهذه المزدوجات في ج ٤ من يتيمه الدهر ص ٢٣ من طبعة دمشق و منها:

من مثل الفرس ذوى الأبصار الثوب رهن في يد القصار

إن البعير يبغيض الخشاشالكنه في أنفه ما عاشا-

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٨

الغزل:

إذا أتينا الآن إلى ضروب النظم الموحدة القافية و هي التي تتقيد بوحدة القافية في جميع أبياتها دون تقيد بتقيد المصارع الأولى منها إلا- في بيت المطلع، وجدنا أن أهم هذه الضروب ضربان هما «الغزل» و «القصيدة» و فيهما يمكن استعمال سائر الأوزان الشعرية المعروفة؛ و يمكن أيضاً تقفية مصراعي المطلع؛ و لكن يجب أن تقفى أواخر الأبيات جميعاً على قافية واحدة.

و «الغزل» لا يختلف عن «القصيدة» إلا من حيث الموضوع و عدد الأبيات فهو لا يتعلق إلا بموضوع غزلي أو صوفي و كذلك لا تزيد أبياته عن الإثنى عشر بيتاً إلا في القليل النادر من الأحوال؛ أما القصيدة فقد يتعلق موضوعها بالمديح أو الهجاء أو التعليم أو الفلسفة أو الدين.

و قد تعود الشعراء في أزمنة متأخرة (بعد الفتح المغولي فيما أظن) أن يذكروا تخلصهم أو لقبهم الشعري في البيت الأخير أو «بيت

المقطع من الغزل. و لكنهم لم يعودوا أن يفعلوا ذلك في قصائدهم.
و فيما يلي ترجمة لغزلية معروفة من غزليات «حافظ الشيرازي» مطلعها:
اگر آن ترک شیرازی بدست آرد دل ما را بخال هندویش بخشم سمرقند و بخارا را و معناها بالعربية «١»:
لك الدنيا و ما فيها ... أيا تركي شيراز سمرقند لك الأخرى و تتلوها بخارا ها

نال الحمار بالسقوط في الوحل ما كان يهوى و نجا من العمل
في المثل السائر للحمار قد ينهق الحمار للبيطار

و العنز لا يسمن إلا بالعلف لا يسمن العنز بقول ذي لطف

(١) المترجم: أنظر ص ٥٤ من الجزء الأول من كتابي «أغاني شيراز» المطبوع في القاهرة سنة ١٩٤٣ و سنة ١٩٤٧.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٣٩ فيا ساقى .. لنا الباقي ففي الجنات لا تمشي على حافات
«رکناباد» أو روض «مصلاها» «١»

و يا حزني ... و قد عاشوا على سلبى منى قلبى كفعل الترك قد عاشت على أسلاب قتلاها
جمال الخل تغنيه عن التذليل في عشقى حدود لونها صاف بلون الورد سواها
و يوسف من كمال الحسن و الإعراض في تيه «زليخا» تلك أحيائها على وجد و أضناها
رعاك الله أن تمضى بإبلامى و تجريحي فمر القول لا يجرى نغر رشفناها
فيا روى ... استمع نصحي، فصح الشيخ مقبول لدى الشبان رده و قل: ذكرى و عينها
حديث المطرب اسمعه، و سر حياتنا دعه فما حلوا من الأيام و الدنيا معماها
تعال أنظم لنا شعرا و هيء نظمه درافقد شدت لك الأبراج في عقد ثرياها

القصيدة:

و طول القصائد الفارسية يجعل من العسير على أن أؤدى إحداها نظما بالإنجليزية بحيث أحفظ بوحدة القافية في سائر أبياتها. و قد
بذنى في ذلك صديقي المرحوم «جب» حينما ترجم بعض القصائد التركية في كتابه الكبير «تاريخ الأشعار العثمانية» فقد كان من دأبه
أن يترجم هذه القصائد بحيث يحتفظ بوزنها الأصلي و بحيث تكون موحدة القافية أيضا. و إنى أعرف بأنى أقل مهارة منه في صياغة
النظم، و من أجل ذلك اضطررت اضطرارا عند ترجمة «القصائد» و بعض «الغزليات»

(١) «رکناباد» نهر بشيراز و «المصلى» محله بها، كان يقيم فيها حافظ.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٤٠

إلى أن ابتعد عن خطته هذه و أن أترجمها كما لو كانت من نوع «المثنوى»، فنجاسرت بذلك على أن أحدث بها شيئا من التغيير في
القافية و الوزن كما يفعل الشريون أنفسهم في أغلب الأحوال، و قد سبق لى أن ذكرت في ص ٤٤٤ من الجزء الأول من «تاريخ
الأدب في إيران» إن العرب و الفرس كانوا إذا شأوا إظهار براعتهم في الترجمة نظما من الفارسية إلى العربية أو من العربية إلى
الفارسية فإنهم كانوا يؤدون الترجمة في وزن مخالف للوزن الأصلي. أو يؤدون «المثنوية الفارسية» في «قصيدة عربية» «١». فإذا راعينا
أن هاتين اللغتين يستعملان طريقة واحدة في العروض لا تستعملها اللغة الإنجليزية، و راعينا كذلك أن أهل هاتين اللغتين قد أباحوا
لأنفسهم عند الترجمة عدم التقيد بالأصل من حيث الوزن و القافية وجدنا أنفسنا - و قد حررنا من هذه الميزات التي مهدت لهم -
معدورين حقا إذا تابعنا مثالهم و لم نحرض عند الترجمة على الاحتفاظ بالوزن أو القافية.

و لما كان الحديث في هذا المكان مقصورا على ضروب النظم فسأسوق أمثلة قليلة لهذا النوع من القصائد الموحدة القافية التي لم
أستطع المحافظة على قافيتها في ترجمتي لأن «القصيدة» عادة تترك من أبيات عديدة تزيد كثيرا على ما يترك منه «الغزل» و قد
تزيد في أغلب الأحوال على المائة بيت.

و أول أمثلة التي أسوقها للقصيدة عبارة عن ستة أبيات من مرقية «الشيخ سعدي الشيرازي» لمدينة بغداد عندما أغير عليها المغول و
قتلوا الخليفة العباسي الأخير «المستعصم بالله» و أهل بيته. و لهذه القصيدة أهمية خاصة لأنها تصور لنا الأثر الذي تركته هذه الغارة
المفرعة في نفس واحد من المسلمين المعاصرين. و قد نقلت هنا الأبيات الستة الأولى منها كما هي مذكورة في الجزء الأول من
كتاب «خرابات» تأليف «ضيا پاشا» «٢» و القصيدة برمتها تبلغ الواحد و العشرين بيتا و هي من نوع الرمل المثنى المحذوف.

(١) كما فعل «البنادري» أحيانا في ترجمته العربية للشاهنامه.

(٢) أنظر ص ١٥٦ من الجزء الأول من «خرابات» طبع القسطنطينية سنة ١٢٩١ هـ.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٤١

و مطلعها:

آسمان را حق بود گر خون بریزد بر زمین بر زوال ملک مستعصم أمير المؤمنين «١» و الأبيات الخمسة التالية للمطلع هي الآتية:

أى محمد گر قيامت می بر آری سر ز خاک سر بر آور و بین قیامت در میان خلق بین

نازنینان حرم را موج خون بی دروغ ز آستان بگذشت و ما را خون دل در آستین

زیهار از دور گیتی و انقلاب روزگار در خیال کس نگشتی کانچنان گردد چنین

دیده بردار ای که دیدی شوکت بیت الحرام قیصران روم سر بر خاک و خاقان بر زمین

خون فرزندان عم مصطفی شد ریخته هم بر آن خاکی که سلطانان نهادند جبین و معناها:

- للسماء حق إذا بکت دما على وجه الأرضين،

لزوال «ملك المستعصم» أمير المؤمنين.

- و يا «محمد» إذا أخرجت رأسك من أطباق الثرى في يوم الدين

فأرفعها الآن حتى ترى هذه القيامة التي نزلت بقومك من المسلمين

- و انظر إلى أمواج الدماء و قد فاضت على أعتاب الحرم الأمين

و انظر إلى دماء الفؤاد و هي تقطر من أكامم الأردية و القفاطين
- و يا صاحبي ... الحرص الحرص من دورات الفلك و تقلبات الأيام و السنين

(١) المترجم: للسعدي قصيدة عربية في هذا المعنى مطلعها:

حبست بجفني المدامع لا تجرى فلما طغى الماء استطال على السكر

نسيم صبا بغداد بعد خرابها تمنيت لو كانت تمر على قبري

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٢

فلم يجلب بخاطر أحد أن يحدث مثل هذا الحدث اللعين ...

- و يا من رأيت شوكة البيت الحرام ارفع بصرك الحزين

ثم أغمضه عن هذا المكان الذي كانت تسجد عنده القياصرة و الخواقين

- فدماء أولاد عمومة المصطفى أخذت تجرى و تندفق في الظن

و تسيل على هذا الثرى الذي كانت تسجد عليه جباه السلاطين !!!

و هذه القصيدة لا تمثل تماما القصائد القديمة التي كانت تبدأ عادة بالتشبيب ثم تنتقل إلى المدح بييت يعرف فنيا باسم «گریزگاه»
أى «بيت الانتقال». و ربما كان خير مثل للقصائد القديمة هو قصيدة «منوچهری» الشاعر المعاصر للفردوسي.

فهذه القصيدة تحتوى على اثنين و سبعين بيتا سأقتصر على ذكر طائفة منها اخترتها دون مراعاة لترتيبها الأصلي، و لكنى سأذكر إمامها
أرقاماً تبين موضعها في القصيدة الأصلية. و هذه القصيدة من نوع الهزج المسدس المحذوف.

---/--/---

مفاعيلن/ مفاعيلن/ فعولن/

و مطلعها:

ألا ياخيمنگی خيمه فرو هل كه پيش آهنگ بيرون شد ز منزل و معنى الأبيات الخمسة الأولى منها كما يلي «١»:

١- ألا يا أيها الخيام ... أنزل خيمتك

فقد تقدم دليل القافلة و خرج عن هذا المنزل

٢- و قد دق صاحب الطبل طبله

و أخذ الحمالون يعقدون الرحال

٣- و قد قربت صلاة العشاء

و ها أنذا أرى الشمس و القمر يتقابلان في هذه الليلة

(١) المترجم: فيما يلي النص الفارسي لهذه الأبيات:

ألا ياخيمنگی خيمه فرو هل كه پيش آهنگ بيرون شد ز منزل

تبيره زن بزد طبل نخستين شتربانان همي بندند محمل

نماز شام نزديك است و امشب مه و خورشيد را بينم مقابل

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٣

٤- و لكن القمر يصعد في كبد السماء

بينما تغيب الشمس وراء جبال بابل

٥- فكأنهما الميزان ذو الكفتين الفضييتين؛ تميل إحدى كفتيه إلى أسفل، و الأخرى تشيل إلى أعلا

ثم يذكر الشاعر بعد ذلك فراقه لمعشوقته فيقول: «١»

٦- و لم أكن أعرف ... يا صنوبرتي الفضية

إن النهار سيعجل بالزوال على هذا النحو ...!!!

٧- و كلانا غافل ... و لكن الشمس و القمر

لا تأخذهما غفلة في دورة هذا الفلك ...!!!

٨- فتعالى إلى ... يا حبيبتى ... و لا تبكى

فأمل العاشقين لا يتم و لا يتحقق ...!!!

٩- و الأيام حبالى بالهجر و الفراق

و لا بد للحامل أن تضع حملها في يوم من الأيام

١٠- فلما شاهدتني حبيبتى على هذه الحال من الحزن

أمطرت من خلال أهدابها وابل من الدموع

١١- و كأنما كانت تمسك بالفلفل المسحوق في أصابعها

ثم أخذت تنثره في أجفانها و مآقيها ...!!!

-

و ليكن ماه داره قصد بالافرو شد آفتاب از كوه بابل

چنان دو كفه سيمين ترازو كه اين كفه شود زان كفه مايل

(١) المترجم: فيما يلي نص الأبيات الفارسية:

ندانستم من آي سيمين صنوبركه گردد روز چنين زود زائل

من و تو غافليم و ماه و خورشيدبر اين گردون گردان نيست غافل

نگارين منا بر گرد و مگوي كه كار عاشقان را نيست حاصل

زمانه حامل هجر است و لا بدنهديك روز بار خويش حامل

نگار من چو حال من چنين ديدبباريد از مژه باران وابل

تو گوئي پليل سوده بكف داشت پراكتد از كف اندر ديده پليل

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٤

١٢- ثم أقيمت على قائمة قاعدة

كانها الظير الذبيح قد بسملا عليه

١٣- و طوقت عنقي بساعديها كحمائل السيف

و استلقت على صدرى كما تتدلى الحمامل

١٤- و قالت لى: إني أقسم لك... أيها الغادر

لقد اطربت في الحاسد و أفرحت العاذل

١٥- و لست أدري إذا كنت ستعود إلي ثانية

في الوقت الذي تعود فيه القوافل

١٦- و لظالم رأيتك كاملا في كل الأمور

و لكن من أسف أنك لست كاملا في العشق...!!

ثم يحاول الشاعر بعد ذلك تهدئة معشوقه حتى ينصرف عنه و يتركه وحيدا فينظر حول المنازل فلا يرى إنسيا أو جنيا و لا راكبا أو قاعدا و لا- يجده إلى جانبته إلا- بعيره و هو «بزمجر كالشيطان المقيد بالسلاسل» فيضع عليه رحله و ينهض به في نفس الطريق التي سلكتها القافلة، و يأخذ في عد الخطى حتى يدخل الصحراء المقفرة فيصفها بأنها «قاحلة موحشة لا يستطع داخلها أن يخرج منها» ثم يأخذ في وصف رباحها العاصفة فيقول «أنها تجعل الدم يتجمد في العروق» ثم يأخذ في وصف الثلج فيصفه بأنه رقائق الفضة قد نثرت على الرمال الذهبية المنبسطة في هذا الفضاء الفسيح. فإذا ما انبثق الفجر بصفائه عشى الشاعر بنوره و ضيائه، ثم تأخذ الثلوج في الذوبان كما يذوب العليل المسلول، و تنشأ من ذوبانها أو حال لرجة تتعلق بأقدام بعيره كأنها الغراء المصنوعة من عظام الأسماك. ثم تبدو له في النهاية القافلة التي كان يريد الوصول إليها، فيقدم عليها، و يدنو من مخيمها «فيرى الوادى و ما به من رماح

بيامد أوفتان خيزان بر من چنان مرغی که باشد نیم بسمل

دو ساعد را حمایل کرد با من فرو آویخت از من چون حمایل

مرا گفت ای ستمکاره بجانم بکام حاسدم کردی و عاذل

چه دانم من که باز آئی تو یا نه بدان گاهی که باز آید قوافل

ترا کامل همی دیدم بهر کارو لیکن نیستی در عشق کامل

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٥

و حراب كأنه ملىء بالسنابل و الأعواد» و ترن في أذنه أصوات الخلاخيل كأنها أصوات الجلاجل، و تتجاوب الأجراس بمختلف الحكايات و كأنها أهاليج العنادل و البلابل.

ثم يستمر الشاعر فيقول «١»:

٤٨- ثم التفت إلى بعيري النجيب، و قلت له: خفف من سرعتك

يا معين الأفاضل.... و لا تسرع في مشيتك

٤٩- و كل في هذا المرعى... و ليجعل الله مراعاك في هذا العنبر النضير

و تبخرت... و ليجعل الله مفاصلك من الحديد المتين

٥٠- و اطو الفياقي... و اجتز الجبال العالية

و دق المنازل... و أقطع المراحل القاصية

٥١- ثم أنزني على أعتاب الوزير الكامل

كما نزل الأعشى ببابل

ثم يأتي الشاعر إلى بيت الانتقال «گريز گاه» فيقول «٢»:

٥٢- على أعتابه الرقيقة العالية؛ فقد ملك المعالي عاليها و سافلها

ثم يذكر إسم ممدوحه في البيت الأول من الأبيات الآتية فيقول:

٥٦- و هو يرتع في نعم الحياة على عهد الأمير مسعود «٣»

كما نعم النبي على عهد أنو شيروان العادل

(١) المترجم: النص الفارسي لهذه الأبيات كما يلي:

نجيب خویش را گفتم سبک تر آلا یا دستگیر مرد فاضل

بجرتک عنبرین بادا چراگاه بجم کت آهتین بادا مفاصل

بیابان درنورد و گوہ بگذار منزلها بکوب و راه بگسل

فرورد آور بدرگاه وزیرم فرود آوردن أعشى ببابل

(٢) المترجم: نصه بالفارسية:

بعالی در که دستور کوراست معالی از اعالی و از اسافل

(٣) يقصد به الأمير مسعود بن محمود الغزنوي الذي حكم من سنة ١٠٣٠-١٠٤٠ م- ٤٢١-٤٣٢ هـ و نص الأبيات الفارسية كما يلي:

همی نازد بعهد میر مسعود چون پیغمبر بنو شیروان

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٦

٥٧- و بدره المال تدخل عليه فينثرها كقارون

و السائل يدخل عليه و كأنه من أصحاب الجاه و المال

٥٨- فيخرج السائل و قد بطنت بالذهب حواشيه

و أما كيس الأمير فيخلو مما كان يشتمل عليه و يحتويه «١»

و فيما يلي الأبيات السبعة الأخيرة من هذه القصيدة و هي التي يسعى فيها الشاعر إلى إثارة مخدومه و استجلاب رضاه و الحصول على منحه و هداياه. و إذا استطاع الشاعر أن يذكر لممدوحه ما يظلمه منه بطريقة حلوة و أسلوب لطيف سمي ذلك ب «حسن الطلب».

أما الأبيات الثلاثة الأخيرة من هذه الأبيات السبعة فتمثل لنا الصنعة المعروفة بـ «حسن المقطع» وهو أن يجعل الشاعر آخر أبيات القصيدة مستملحة مستعذبة وأن يختمها بألفاظ فصيحاً ومعاني لطيفة، لأن أقرب أبيات القصيدة إلى سماع السامع إنما هي أبياتها الأخيرة، فإن كانت مليحة بقيت لذتها وأصبحت الأبيات السابقة، مهما قلت جودتها أو كانت رديئة، نسياً منسياً.

٦٦- فيا مولاي .. لقد أقبلت عليك «٢»، وكلى أمل فيك و في عطايك

٦٧- و في بجوحة عيشك يرتع الأفاضل

لأن الفاضل لا يقصد إلا فاضلا مثله

٦٨- فإذا رزقتني و أنا في خدمتك

قلت فيك المديح كما قال «الأعشى» و «دعبل»

٦٩- أما إذا حرمت في خدمتك، فسأحرق قلبي و امزق أناملي

در آيد پیش او بدره چو قارون در آید پیش او سایل چو عاغل

(١) المترجم: لم أعر على نص هذا البيت بالفارسية.

(٢) المترجم: النص الفارسي لهذه الأبيات:

خداوند من اینجا آمدستم بامید تو و امید مفضل

أفاضل نزد تو نازند همواره که زی فاضل بود قصد أفاضل

گرم مرزوق گردانی بخدمت همان گویم که أعشى گفت و دعبل

و گر از خدمت محروم ماندم بسوزم کلک و بشکافم أنامل

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٧

٧٠- و اینی ادعو الله ... مادام الدراج و القمری یغردان

و ما دام اسم العنقاء و اسم الصقر مقترنان

٧١- این یثیت کیانک و بنیر بصیرتک

و أن یظهر قلبک و یجعل حظک مقبلا

٧٢- و أن یهیننی و أنا أنظم الشعر فی مدحک

قلب «بشار» و طبع «ابن مقبل»

القطعة:

هي كما يدل عليها اسمها عبارة عن قطعة من قصيدة كاملة انفصلت عنها لسبب من الأسباب، وقد تكون أيضا جزءا من قصيدة لم يقدر لها أن تكمل، كما قد تكون وحدة قائمة بذاتها أنشأها الشاعر من البداية ليصوغ فيها غرضا من الأغراض، فلما سجله فيها تركها على حالها و لم يفكر مطلقا في أن يضيف إليها أبياتا أخرى؛ و في كثير من الأحوال يدل أسلوب القطعة و موضوعها على أن الشاعر قصد بها منذ البداية أن تكون وحدة قائمة بذاتها.

و فيما يلي ترجمة لقطعة من قول الشاعر «الأثوري» المتوفى سنة ١١٩١ م- ٥٨٧ هـ.

و هي تدل دلالة واضحة على أنها كاملة و أن الشاعر لم يفكر في أن يضيف إليها أبياتا أخرى:

قال لي أحد الأصدقاء في خفة و اعتدال عليك بالصبر ... إذا شئت بتحقيق الآمال

- و هذا هو الماء سيعود إلى النهر فتمتليء به شطانه و هذه آمالك سيحققها الزمان و جريانه !!..

ألا تا بانگ دراجست و قمری آلا تا نام سیرمگست و طغرل

ننت پاینده باد و چشم روشن دلت پاگیره باد و بخت مقبل

دهاد ایزد مرا در نظم شعرت دل بشار و طبع ابن مقبل

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٨

فظرت إليه و قلت له: يا صاحبي ... ما الفائدة؟! إذا عادت المياه .. و كانت الأسماك قد ماتت و أضحت هامدة «١»؟!..

الرباعي:

الرباعي عبارة عن بيتين من الشعر و من أجل ذلك أسموه في الفارسية باسم ال «دوبيت» و اعتبره البعض أربعة شطرات من الشعر، و من أجل ذلك أسموه بالرباعي أو الرباعية.

و قد يكون الرباعي عبارة عن بيتين مأخوذين من مطلع «قصيدة» أو «غزل» و يشترط فيه دائما أن يكون على وزن من الأوزان الخاصة المستخرجة من «الهمزج» كما يشترط فيه أن يكون واقيا بالعرض الذي أنشئ من أجله.

و لست أجد نفسى في حاجة إلى زيادة الإيضاح عن هذا الضرب من ضروب النظم فإن الترجمة الجميلة التي قام بها «فترجالد» لرباعيات الخيام جعلت هذا الضرب معروفا لدينا معشر الإنجليز؛ و مع ذلك فلي كلمة قصيرة أحب أن أدلى بها في هذه المناسبة و هي أنني لاحظت أن بعض المعجبين بترجمة «فترجالد» يتصورون أن الرباعيات يتصل بعضها بعض، بحيث تنشأ منها قصيدة واحدة، فأود أن أؤكد لهم أن سبب «الوحدة» الظاهرة في هذه الترجمة راجع فقط إلى الترتيب الذي اختاره «فترجالد» للرباعيات التي انتقاها و ترجمها على هذا النحو. أما هذه الرباعيات في الأصل فيجب أن تكون كل واحدة منها منفصلة عما عداها و قائمة بذاتها و نحن نجد أن شعراء الفرس لا يرتبونها في دواوينهم إلا على نحو واحد يتبعون فيه حرف القافية الأخير.

و يجب أن يكون الرباعي على وزن من الأوزان المستخرجة من الهمزج، و يجب أن تتفق مصاريعه الأول و الثاني و الرابع مع بعضها،

بينما يكون المصراع الثالث مقفى مع هذه المصاريح أولا يكون كما هو الغالب والأعم.

(١) المترجم: شبيه بهذا المعنى ما قاله الخيام في رباعيته التالية:

بايط ميگفت ماهيء در تب و تاب باشد که بجوى رفته باز آيد آب

گفتا: چو من و تو هر دو گشتيم كباب دنيا پس مرگ ما چه دريا چه سراب

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٩

و فيما يلي رباعيتان قالهما الشاعر «معزى» على البداة للسلطان السلجوقي «ملكشاه» أسوقهما مثلا لهذا الضرب من النظم دون أن يكون لهما أهمية خاصة من الناحية الأدبية إلا فيما يتعلق بدلالاتهما التاريخية فقد تحدث الشاعر نفسه إلى صاحب كتاب «جهار مقال» فذكر له الأسباب والظروف التي قال فيها هاتين الرباعيتين، فقال:

«... و في مدينة قزوین انتقل أبی أمير الشعراء برهانی رحمه الله من عالم الفناء إلى عالم البقاء، و كان ذلك في أوائل أيام دولة

ملكشاه. و قد سلمني أبی إليه و كل إليه أمر تربيتي بمقتضى بيته المعروف:

من رقتم و فرزند من آمد خلف صدق او را بخدا و بخداوند سپردم و معناه:

إني ذاهب و ها هو ابني قد جاء خلف صدق لي. فإلى الله و إليك ... يا مولاي ... أودعه و أسلمه.

«و قد حولوا إلى مرتب أبی، و أصبحت بعد ذلك شاعر السلطان و بقيت في خدمته سنة كاملة، و لكنني لم أتمكن من رؤيته إلا عن بعد، و لم أستطع أن أحصل على شيء من مرتبي، و ازدادت نفقاتي و ثقل الدين في عنقي حتى اضطرت الأمور في رأسي.

و لم يكن الوزير «نظام الملك» رحمه الله على حظ من معرفة الشعر، و من أجل ذلك فإنه لم يكن ليقدرة أو ليقدرة قائله من أنمة الشعراء و المتصوفة.

«... و في اليوم السابق لشهر رمضان وجدت نفسي لا أملك دانقا واحدا من نفقات هذا الشهر أو من نفقات العيد، فذهبت و الحزن يملأ صدري إلى الأمير علاء الدولة «علي بن فرامرز» و كان صهرا للسلطان و نديما خاصا له، و كان أميرا محبا للشعراء يمتاز بالجرأة في القول و علو المنصب و كان يتعهدني برعايته، فقلت له:

«أطال الله بقاء مولاي ... إن الولد لا يستطيع أن يفعل ما فعله والده أو أن يأتي بما أتى به أبوه، و قد كان أبی رجلا نشيطا جسورا رزقه الله بصناعته رزقا كثيرا.

و كان السلطان الشهيد «ألب أرسلان» يقر به و يتعهده بعنايته ... و لن أستطيع أن أقوم بما قام به لأن حياتي بمعنى من ذلك و لأن طبعي العاجز يساعد على ما أنا فيه من ضنك، و قد قمت بخدمة السلطان سنة كاملة، أصبحت مدينا فيها بألف دينار،

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٠

لم أحصل منها على داتق واحد، فأرجو أن تلتبس لي الإذن في العودة إلى مدينة نيسابور حتى أستطيع أن أؤدي ما علي من دين و أن أعيش على ما يتبقى لدي من مال، و إنني أدعو بعد ذلك للسلطان و لدولته القاهره».

«فقال لي الأمير علي: لقد تحدثت صدقا، و قد قصرنا حقا في شأنك، و سيخرج السلطان عند صلاة المغرب ليرى طلعة الهلال فيجب أن تكون حاضرا معنا حتى ترى ما يصنع المحظ لك...».

«ثم أمر لي بمائة دينار لأعد بها العدة لشهر الصيام، فأحضروها لي على الفور في كيس مشتملة على مائة دينار نيسابورية، فأخذتها و رجعت مسرور الخاطر، و أخذت أعد العدة لشهر رمضان، حتى إذا حانت صلاة العصر، ذهبت إلى سراق السلطان، فوصلت إليه في نفس اللحظة التي وصل فيها الأمير «علاء الدولة» فقدمت له احترامي. فالتفت إلي و قال: لقد أحسنت صنعا و جئت في موعدك .. ثم ترجل عن دابته و توجه إلى السلطان».

«فلما اصفرت الشمس ساعة الأصيل، خرج السلطان من سراقه و في يده قوس و على يمينه «علاء الدولة» فجريت و أدت فروض الخدمة و شملني الأمير على بطفه، ثم أخذ يتطلع إلى الهلال الجديد، و كان السلطان أول من رآه و قد سر بذلك سرورا عظيما. عند ذلك التفت إلي الأمير علي و قال: «يا ابن البرهاني ... قل لنا شيئا من الشعر في هذا الهلال الجديد ...»

فقلت على الفور هذا ال «دوبيت».

أى ماه جو ابروان يارى گوئی یا نی چو کمان شهريارى گوئی

نعلي زده از زر عيارى گوئی در گوش سپهر گوشوارى گوئی و معناها:

- أيها الهلال ... كأنني بك حاجب عين الحبيب. لا ... بل كأنني بك القوس في يد الملك المهييب.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥١ - أو كأنك حدوة الجواد صيغت في خالص الذهب العجيب. أو كأنك القرط، تتدلى من أذن هذا الفلك الرهيب ...!! «فلما فرغت من قول هذا الرباعي استحسنته «الأمير علي» و قال لي السلطان:

«ذهب و خذ من الاسطبل الجواد الذي يعجبك». فلما اقتربت أنا و الأمير علي من الاسطبل أشار الأمير علي إلى جواد خاص، فأحضروه لنا، و أعطوه لغلمان، و كان يساوي ثلاثمائة دينار نيسابورية، ثم ذهب السلطان إلى المصلى فضلنا معه صلاة المغرب، ثم جلسنا معه على مائدة؛ فالتفت إلي الأمير علي و قال: «يا ابن البرهاني ... لم تقل لنا شيئا من الشعر في شكر هذا الشريف الذي اختصنا به المليك .. فقل لنا على الفور رباعية في هذا المعنى ...».

«فانتصبت على أقدامي و أدت فروض الطاعة و قلت على البدئية هذه الرباعية:

چون آتش خاطر مرا شاه بديداز خاك مرا بر زير ماه كشيده

چون آب يكي ترانه از من بشنيد چون باد يكي مركب خاصم بخشيد و معناها:

- عندما رأى المليك خاطري فوجده «كالتار» المتقدة اللامعة. رفعتي من حضيض «التراب» و جعل مقعدى على الأقمار الساطعة.

- و سمع مني لحننا جميلا كالغياح الدافقة الرائعة. فوهبني جوادا كريما كالرياح الشديدة المسرعة ...!! «فلما فرغت من أداء هذه الرباعية أبدى الأمير علي استحسانه الشديد لها و أمر لي السلطان بألف دينار. عند ذلك قال علاء الدولة: إن مرتبه لم يصل إليه و سأذهب إلى الوزير غدا فأجلس إلى جواره إلى أن يأمر له براتبه و أجره، و يكتب بذلك إلى «إصفهان». فقال الملك: عليك أن تفعل ذلك فلا قدرة لأحد عليه سواك و عليك أن تلقب هذا الشاعر بلقبى ...».

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٢

«و كان السلطان يتلقب بلقب «معز الدنيا و الدين» فأسماني الأمير علي باسم «المعزى» و لكن السلطان أبى إلا أن يسميني باسم «الأمير معزى» و اختصني الأمير علي برعايته، بحيث إذا أصبح الصباح و أذن المؤذن للفجر، وجدت أنه قد بعث إلي بمنحة تشتمل على ألف دينار؛ و كذلك بألف دينار و مائتين من راتبي، كما أرسل إلي بألف حمل من القمح. فلما انتهى شهر رمضان استدعاني إلى مجلسه

و جعلني نديما للسلطان. و أخذ حظي يتسنم معارج الإقبال، و أخذ الأمير يتولاني دائما بعطفه و عنايته. و جميع ما أملكه اليوم إن هو إلا من فيض كرمه وجوده، فليتر الله قبره بأتوار رحمته و ليشمله بمنه و بركته...».

الارتجال و أثره:

و القصة السابقة تصور لنا مقدار الأثر الذي كان ينتج في هذه العصور المبكرة من القدرة على الارتجال في الشعر و قوله على البديهة. و هناك أمثلة أخرى شبيهة بهذه القصة نجدها مسجلة أيضا في كتاب «چهار مقاله» و من بينها القصة المروية عن السلطان «محمود الغزنوي» عندما أمر - و هو سكران - بقطع طرة غلامه و معشوقه «أياز» فلما أصبح الصباح أحس بالدم على فعلته و استولى عليه خمار الشراب حتى ساءت حاله، فلم يستطع أحد أن يدنو منه، حتى أنشد الشاعر «عنصري» هذا الرباعي الذي طار له خاطره و هو:

كي عيب سر زلف بت از كاستن استچه جای بغم نشستن و خاستن است

جای طرب و نشاط و می خواستن است کاراستن سرو ز پیراستن است و معناها:

- متى كان في قطع طرة الحبيب ما يعيبه...! فلماذا إذن يقعد الملك و يقوم و الحزن نصيبه...؟!

- و الفرصة مواتية للطرب و اللهو و الشراب. لأن جمال سرو إنما يكون بتشذيبه و تهذيبه...!

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي / تعريب، النص، ص: ٥٣

و كذلك نجد أن رباعيا آخر قاله الشاعر «أزرقى» فاستطاع أن يهديء به نائرة مولاة الشاب الملك «طغانشاه» عند ما كان يلعب الترد فأراد ستين، و لكنه عندما رمى بالكعبتين حصل على واحدتين. و هذا الرباعي هو الآتي:

گر شاه دوشش خواست دو يك زخم افتادتا ظن تیری كه كعبتين داد نداد

آن زخم كه كرد رای شاهنشاه ياددر خدمت شاه روی بر خاك نهاد و معناها:

- إذا شاء المليك ستين انقلبت ضربته إلى الواحدتين. و لكيلا تظن أنه لم ينل رغبته من الكعبتين.

- فإن هذه الرمية جاءت وفقا لرغبة المليك. فوضعت وجهها على التراب خشوعا حتى لا تراه رأى العين.

و إذا نظرنا إلى الرباعيتين السابقتين وجدنا أنهما يشتركان في أمرين:

أولا: إن المصارع الأربعة في كل منهما تجرى على قافية واحدة مع أن تقفية المصراع الثالث مع بقية المصارع ليست مشترطة في الرباعيات.

ثانيا: إن كليهما مثل للصنعة البديعية المعروفة ب «حسن التعليل» حيث يعلل الشاعر حقيقة واقعة بسبب من الأسباب الخيالية الموهومة. فلننضم الآن في دراستنا للأشكال الباقية من ضروب النظم، و هي عبارة عن نوعين من القصائد الموشحة يعرفان باسم الترجع بند و التركيب بند و كذلك الأنواع المختلفة من القصائد المركبة (كالمرج و المخمس و المسدس ... الخ) و المسط و المستزاد.

الترجع بند و التركيب بند:

هذان النوعان من القصائد الموشحة يشتمل كل واحد منهما على عدد من الوحدات تكون في العادة متساوية في عدد أبياتها، و تكون كل واحدة منها على قافية واحدة

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي / تعريب، النص، ص: ٥٤

و يفصل بين الوحدة و الأخرى بيت مستقل من الشعر ليبين لنا نهاية الوحدة التي سبقته و بداية الوحدة التي تليه؛ فإذا تكرر بيت بعينه بعد نهاية كل وحدة (بند) فإن المنظومة تسمى ب «الترجع بند» أما إذا تكررت أبيات مختلفة بعد نهاية الوحدات و كانت هذه الأبيات متفقة القافية مع بعضها و مختلفة عن سائر الوحدات فإن المنظومة تسمى في هذه الحالة ب «التركيب بند».

و يجب أن تجرى المنظومة من هذين النوعين على وزن واحد في جميع أبياتها.

و ليس في استطاعتنا أن أترجم منظومة من هذين النوعين بحيث أحافظ على قوافيها كما هي في الأصل الفارسي و لذلك سأكتفي بأن أترجم بعض الأبيات الواردة في «ترجع بند» مشهور من نظم الشاعر «هاتف الاصفهاني» الذي عاش في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي (نهاية الثاني عشر و بداية الثالث عشر الهجري).

(بند أول)

ای فدای تو هم دل و هم جانوی نثار رخت هم این و هم آن

دل فدای تو چون تویی دلبرجان نثار تو چون تویی جانان

دل رهاندن ز دست تو مشکل جان فشاندن بیای تو آسان

راه وصل تو راه برآسیب درد عشق تو درد بی درمان

بندگانیم جان و دل در کف چشم بر حکم و گوش بر فرمان

گر سر صلح داری اینک دلور سر جنگ داری اینک جان

..... الخ

که یکی هست و هیچ نیست جز او وحده لا إله إلا هو (بند دوم)

از تو ایدوست نگسلم پیوندور به تیغم برند بند از بند

الحق ارزان بود ز ما صد جانوز دهان تو نیم شکرخند

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي / تعريب، النص، ص: ٥٥ ای پدر بند کم ده از عشقم که نخواهد شد اهل این فرزند

بند آنان دهند خلق ای کاش که ز عشق تو میدهندم بند

من ره کوی عافیت داتم چکنم کاوفتاده ام بکنم

..... الخ

که یکی هست و هیچ نیست جز او وحده لا إله إلا هو و معنى هذه الأبيات:

- يا من فداء لك القلب و الروح و يا من يكون نثارا في سبيلك جميع ما نملك - و القلب فداؤك لأنك تسي القلوب

و الروح نثار لك لأنك محبوب الروح - و من الصعب تخليص القلب من قبضتك و لكن من السهل التضحية بالروح تحت قدمك -

و طريق وصالك طريق مشحون بالأذى

و داء عشقك داء لا دواء له. - و نحن عبيد ... أرواحنا و قلوبنا في كفك، و عيوننا تنتظر حكمك و آذاننا تنتظر أمرك.

- فإذا كانت لك رغبته في المصالحة فهذه قلوبنا، وإذا كانت لك رغبة في المحاربة فهذه هي أرواحنا.

- الخ

- وإنه واحد، ولا يوجد إله وحده لا إله إلا الله

- ولن أستطيع .. يا صديقي .. أن أخلف عهدي معك .. ولو قطعوا أوصالي بالنصال والسيوف.

- وفي الحقيقة أن آلاف الأرواح لترخص أمام ابتسامه صغيرة حلوة من ثغرك.

- فيا أبتى .. أقصر نصحي عن العشق .. فلن يكون ولدك أهلاله.

- و يا ليت الخلق ... يا ربى .. ينصحن ويخرجون من ينصحنى ويخرجونى فى حبك.

- و إنى لأعلم طريق العافية، و لكن ماذا أصنع و قد وقعت فى فخك.

- الخ

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي / تعريب، النص، ص: ٥٦

- وإنه واحد، ولا يوجد إله وحده لا إله إلا الله

و هذه المنظومة تشتمل فى الأصل على ست وحدات يفصل بين الواحدة منها و الأخرى بيت يتكرر بعينه و المنظومة برمتها (بما فى

ذلك البيت الذى يرجع خمس مرات) تبلغ ١٤٨ بيتا مقسمة على هذا النحو:

الوحدة الأولى- ٢٣ بيتا+ بيت الترجع

الوحدة الثانية- ١٣ بيتا+ بيت الترجع

الوحدة الثالثة- ١٧ بيتا+ بيت الترجع

الوحدة الرابعة- ١٥ بيتا+ بيت الترجع

الوحدة الخامسة- ١٨ بيتا+ بيت الترجع

الوحدة السادسة- ٥٧ بيتا

و لو أن الشاعر أتى فى نهاية الوحدة الثانية ببيت من الشعر مختلف فى قافيته عن البيت الوارد فى نهاية الوحدة الأولى و كان مصراعا

على قافية واحدة لأصبحت هذه المنظومة من نوع ال «تركيب بند»^(١). و يجب ألا يغيب عن بالنا إن كل «وحدة» تبدأ بمطلع يكون

موحد القافية بين مصراعيه.

المصطلح:

يقول «روكوت» أن المسمط عبارة عن مصطلح عام يشمل جميع أنواع القصائد المركبة؛ و لكن «رشيد الدين الطوطا» يجعله شبيها

بما عرف لدى المغاربة باسم «الموشح» حيث يقسم الشاعر قصيدته إلى أجزاء أو أشطر تتفق أوائلها فى الروى و أما أواخرها فتكون

موافقة لنظائرها فى القصيدة كلها و مثاله قول الحريرى فى المقامات «٢»:

(١) الأبيات التى تأتى بعد الوحدات فى التركيب بند يجب أن يكون مصراعا كل بيت منها على قافية واحدة، و يجوز أحيانا أن تكون

هذه الأبيات جميعها على قافية واحدة.

(٢) المترجم: المثل الأصلى الذى أورده «براون» عبارة عن ترجمة أربعة أبيات من قصيدته للشاعرة البائية «قرة العين» و لم اعثر على

اصلها الفارسى فاخترت المثلين اللذين أوردهما رشيد الدين فى كتابه «حدائق السحر فى دقائق الشعر» و قد ترجمنا هذا الكتاب إلى

العربية و نشرناه فى سنة ١٩٤٥.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي / تعريب، النص، ص: ٥٧. نخل إدكار الأربع و المعهد المرتب و الطاعن المودع و عد

منه و دع

و أندب زمانا سلفا سودت فيه الصحفوا لم تزل معتكفا على القبيح الشنع

كم ليلة أودعتها ما تما أبدعتها لشهرة أطلعها فى مرقد و مضجع و مثاله من الشعر الفارسى قول أمير الشعراء «معزى»:

ای ساریان منزل مکن جز بر دیار یار من تا یک زمان زاری کنم بر ریع و أطلال و دمن

ریع از دلم پر خون کنم أطلال را جیحون کنم خاک دمن گلگون کنم از آب چشم خویشتن

کز روی یار خرگهی آیوان همی بینم تهی و از قد آن سرو سهی خالی همی بینم چمن و معناه:

- أيها الحادى لا تنزل إلا بديار الحبيب حتى أتمكن من البكاء لحظة على الريح و الأطلال و الدمن.

- فاملاً الريح بدماء قلبى، و أجعل الأطلال نهراً جارفاً، و اجعل التراب أحمر اللون، بدموع عيني.

- فقد خلا إلا يوان كما أرى من وجه حبيبي، و خلا البستان من قده الفارغ المديد

و يظهر أن «منوچهرى» كان أكثر الشعراء المتقدمين غراماً بالمسمط كما أن «ميرزا داورى الشيرازى» كان أكثر الشعراء المتأخرين

إحياء له «١».

و للتمثيل على الصيغة العادية للمسمط، اكتفى بإيراد البذتين الآتيتين من مسمط لم ينشر للشاعر «داورى».

أى بجه عرب صبحك الله بخير أصبح است صبحى بده آن ساغر مى را

زان مى كه بقطب ار بدهى جرعه و برابر پات بساید سر إكليل جدى را

كردند بناتش بفا چون تو بنى راجون جرخ زنى گرد خم باده جدى وار

(١) المترجم: من شعراء القرن التاسع عشر الميلادى.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي / تعريب، النص، ص: ٥٨. گر نیست ترا باده يكى شيشه ببر كش برخيز و عبا را

عربى وار بسر كش

همچو عربان دامن خود تا بكم كش يك دست عبا شيشه بدان دست دگر كش

با دامن تر ممت از آن دامن تر كش وز خانه برو تا بدر خانه خمار و معنى هذه الأبيات:

- يا فتى العرب .. صبحك الله بالخير .. إنه الصباح، فاعطني الصبوح، و ناولتى كأس الخمر

- من هذه الخمر التى لو أعطيت جرعة منها لقطب من الأقطاب لألقى بك إلى مدار الجدى

- و لقد تفديك بناته .. أيها البنى .. حينما ترقص و تدور حول دن الشراب كما يدور الفلك.

- و إذا لم تتهياً لك الخمر، فاضمم الرجاجة إلى صدرك، ثم انهض و ارفع العباءة على رأسك كما يفعل العربي.
 - ثم اربط حافة ثوبك على وسطك، كما يفعل العرب، و امسك بإحدى يديك العباءة و بالأخرى الرجاجة.
 - و قدم الشكر و حافة ثوبك مبللة بالخمر، ثم أمض عن منزلتك و اذهب إلى حانوت الخمار.
 و قافية هذا النوع من المسمط، و هو أكثر أنواع المسمطات جريانا، يمكن تصويرها على النحو الآتي:

ا ا ا ا ا ا س

ب، ب، ب، ب، ب، س

ج، ج، ج، ج، ج، س

... الخ

و هناك نوع آخر من المسمطات جعله «منوچهری» يشتمل على وحدات كل منها تشتمل على ستة مصاريع مقفاة على هذا النحو:

ا ا ا ا ا ا ا ا

ب، ب، ب، ب، ب، ب

ج، ج، ج، ج، ج، ج

... الخ

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي / تعريب، النص، ص: ٥٩

و النوع الأول من هذين النوعين الأخيرين شبيه بالمخمسات تماما و لا يفتقر عنها إلا في كون الوحدة الأولى من المخمسات تتألف من خمسة مصاريع مقفاة مع بعضها ثم تختلف القافية بعد ذلك في سائر المصاريع ما عدا في المصراع العاشر و الخامس عشر و العشرين و الخامس و العشرين ... الخ فإنها تكون متفقة مع قافية الوحدة الأولى.
 و المنظومة «الركبة» يكون أساسها في الغالب «غزلا» من الغزليات، يأخذها الشاعر فيضيف إلى كل بيت منه مصراعين ليصنع منه «مربعا» ... أو ثلاثة مصاريع ليصنع منه «مخمسا» ... أو أربعة ليخرج منه سدسا ... و هكذا دواليك.

و مثال المخمس قول حافظ الشيرازي «١»:

در عشق تو ای صنم چنانم کز هستی خویش در گمانم

هر چند که زار و ناتوانم گز دست دهد هزار جانم

در پای مبارکت فشانم

کو بخت که از سر نیازی در حضرت چون تو دلنوازی

معروض کنم نهفته رازی هیات که چون تو شاهیازی

تشریف دهد باشیانم.... الخ و «المسدس» و «المسبح» و «المثنى» و سائر أنواع المنظومات المركبة تجرى على هذا النسق و لا حاجة بنا إلى سوق أمثلة لها.

المستزاد:

أما المستزاد فعبارة عن «رباعية» أو «غزلية» أو «قصيدة» يزداد بعد نهاية كل

(١) المترجم: مثل «براون» للمربع و الخمس بمثلين باللغة الإنجليزية صاغهما ترجمة لقصيدة منوچهری التي سبق ذكرها في هامش ص (٤٢-٤٧) و لم تر وجهها لذكرهما.

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي / تعريب، النص، ص: ٦٠

مصراع من مصاريعها زائدة موزونة لا يستلزمها المعنى أو الوزن؛ و هذه الزوائد تقفى مع بعضها و يكون معناها متصلا بحيث يمكن اعتبارها قصيدة منفصلة قائمة بذاتها:

أو للحريرى فى مقاماته قصيدة ربما أمكن أن يقال عنها إنها كانت محاولة للنظم على هذا الأسلوب فى الشعر العربى «١»:

يا خاطب الدنيا الدنية ... إنها شرك الردى ... و قرارة الأكدار دار متى ما أضحكت ... فى يومها أبكت غدا ... يا لؤمها من دار

... الخ

و يجب ملاحظة أن معنى القصيدة و كذلك قافيتها تتوافران بغير الزيادة، و إنه ليس من الضروري أن تبنى القصائد المركبة أو المستزادة على منظومة أخرى سابقة، فلقد أنشئت بعض القصائد أساسا فى ضرب أو آخر من هذه الضروب.

أقسام الشعر بحسب موضوعاته:

بالإضافة إلى التقسيم السابق الذى تناول الشعر بحسب ضروبه هنالك تقسيم آخر يتناوله بحسب موضوعه. و يتصل هذا التقسيم بالقصيدة أكثر مما يتصل بغيرها من ضروب النظم المختلفة التى رأيناها، و ربما انطبق أيضا على القطعة و «المثنوية».

و على ذلك يمكن تقسيم القصيدة بحسب موضوعها إلى الأقسام الآتية:

(١) مديحه - إذا قصد منها المدح.

(ب) هجويه - إذا قصد منها الهجاء.

(ج) مرثيه - إذا قصد منها الرثاء.

(د) حكميه - إذا قصد منها الفلسفة و الحكمة و التصوف.

(هـ) ربيعيه - إذا قصد بها وصف الربيع. تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي / تعريب النص ٦٠ أقسام الشعر بحسب

موضوعاته: ص : ٦٠

(و) شتائيه - إذا قصد بها وصف الشتاء.

(ز) خزائيه - إذا قصد بها وصف الخريف.

(١) المترجم: أورد المؤلف مثلا للمستزاد بالإنجليزية ترجمة للقصيدة السابقة و لكننا وجدنا من الخير للقارئ العربى ان نستشهد بالمثل الذى اوردناه.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦١

(ح) مناظره- إذا قصد منها المناظرة كمنظرات «أسدى» بين «الليل والنهار» أو بين «الرمح والقوس» أو بين «المجوسى والمسلم» أو بين «الأرض والسماء».

(ط) السؤال والجواب- إذا نظمت القصيدة على طريق محادثة بصورة السؤال والجواب.

وقد يتبع الشاعر طريقه «السؤال والجواب» في الغزليات، كما قد يتبع طرقاً أخرى ربما كان أهمها «التلميح»... والشعر الملمع عبارة عن المنظومة التي تصاغ بعض أبياتها أو مصاريعها بالعربية وبعضها الآخر بالفارسية أو أية لهجة أخرى من اللهجات الإيرانية.

ولدينا نوع آخر من المنظومات يعرف باسم «الفهلويات» أنشأه الشعراء في لهجة من اللهجات الإيرانية الخاصة واستمروا يستعملونه حتى القرن الثالث عشر الميلادي، ثم قل استعمالهم له بعد ذلك.

يبقى بعد ذلك أنواع أخرى من الشعر أهمها:

(ا) الموشح «١» (ب) الغز

(ج) المعنى

(د) النظرية: و هي المنظومة التي يصوغها الشاعر قياساً على قصيدة أخرى أو تقليداً لها.

(هـ) التضمين: و هو أن يضمن الشاعر في منظومته قصيدة أخرى ليست من شعره.

و المثل الوحيد الذى أذكره لهذا النوع الأخير في اللغة الإنجليزية منحصر في القصيدة التي كتبها «لويس كارول» Lewis Carroll -
في كتابه Phantasmagoria الذى أعيد نشره بعنوان Rhyme and Reason فقد ضمن فيها أبيات القصيدة المشهورة التي

مطلعها I never loved a dear gazelle.

و إليك الأبيات الأولى من قصيدته:

(١) الموشح العربي الذي كثر استعماله لدى أهل الأندلس والمغرب يشبه المسمطات الفارسية ولكنه يختلف عن الموشح الفارسي.

المترجم: انظر تعريف التوشيح لدى الفرس في ترجمتى العربية لحدائق السحر ص ١٦٠.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٢
I never loved a dear gazelle, Nor
anything that cost me much: High prices profit those who sell,
But why should I be fond of
.. such

الشعر الخليط:

و يجب ألا ننسى الإشارة إلى «الشعر الخليط» macaronic verse - و هو الذى يستعمل فيه الشاعر ألفاظاً فارسية و يعاملها معاملة الألفاظ العربية «١»، و أمثلة هذا الشعر موجودة في أشعار الشيخ «سعدي» و لكن غير مثل لها موجود في كتاب ابن أسفنديار المسمى «تاريخ طبرستان» (مؤلف حوالي سنة ١٢١٦ م - ٦١٣ هـ) ففيه قصيدة طويلة مكونة من أربعة و سبعين بيتاً من هذا النوع من الشعر كتبها القاضي «هشام» في هجاء واحد من معاصريه. و قد أعدت نشر هذه القصيدة في ص ٨١- ٨٥ من ترجمتى الإنجليزية المختصرة لكتاب تاريخ طبرستان التي نشرتها في سنة ١٩٠٥ في «سلسلة جب التذكارية».

و مطلع هذه القصيدة كما يلي:

أى بفرهنگ و علم داراء ليس ما را بجز تو همتاء

منم و تو که لا حیا لناهزل را کرده ایم آحیاء و خیر أمثلة للشعر الخليط في اللغات الأوروبية منحصر في مثلين:

الأول: القصيدة التي عنوانها Macaronicorum Poema التي نشرها في سنة ١٥٢٩ م الشاعر «ميرلینوس كوكايوس» Merlinus Coccaius.

الثاني: القصيدة التي عنوانها Polemo - Meddina و هي من نظم «وليم درموند» Wiliam Drummond - و نشرت في أكسفورد في أكتوبر سنة ١٦٩١ م «٢».

و هناك مصطلحات أخرى يستعملونها في تسمية الأشعار بالنظر إلى موضوعها

(١) المترجم: ضرب المؤلف هنا مثلين في الإنجليزية عوملت فيهما بعض الألفاظ الإنجليزية معاملة الألفاظ اللاتينية و لم تر وجهاً لذكرهما.

(٢) المترجم: أورد المؤلف نبذة من القصيدة الأخيرة لم تر حاجة إلى إيرادها بنصها.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٣

فهناك «الكفريات» و هي القصائد التي تتعلق بالإلحاد و المروق من الدين، و هناك «الخمريات» و هي التي تتعلق بالخمير و مجالس الشراب... و هناك أنواع أخرى كثيرة لا نجد أنفسنا في حاجة إلى تعدادها لأنه لا يمكن ذكرها على وجه التحديد و لأنه لا خفاء في معرفة موضوعها من التسميات التي أعطيت لها.

و فيما عدا ما ذكرناه، هناك جملة كبيرة من الصناعات البلاغية التي يستعملها كتاب النثر المنمق و الشعر المصنوع؛ و من الواجب على كل من يريد أن يدرك طبيعة الكتابات الأدبية في الفارسية أو العربية أو التركية أن يلم بها و لو إلمامة بسيطة حتى يتذوق هذه الكتابات و يستسيغها. و كثير من هذه الصناعات لا تعرف في الإنجليزية الآن و لكن جماعة من كتاب القرن السادس عشر كانوا يستعملونها بكثرة و يهتمون بها اهتماماً كبيراً، و من أحسن أمثلتها ما كتبه «جورج پتنهام»

George Pultenham

«عن «فن الشعر الإنجليزي» Arte of English Poesie و نشره في سنة ١٥٨٩ م ثم أعيد طبعه في سنة ١٨٦٩ و أغلب أنواع «التجنيس» يمكن الاطلاع على شواهداها في كتابات «توم هود» Tom Hood و في «Ingoldsby - Legends» و ما شابه ذلك من الكتب.

قصيدة قوامى الكنجوى: [التي تضم أهم أنواع الصناعات البلاغية]

إشارة

و في الفارسية قصيدة مصنعة تضم أهم أنواع الصناعات البلاغية التي استعملها البلاغيون والشعراء «١». وهذه القصيدة من إنشاء الشاعر «قوامي الكنجوي» شقيق الشاعر المشهور «نظامي الكنجوي» «٢» و هو من رجال القرن الثاني عشر الميلادي (أي السادس الهجري) و قد ضمنها مائة بيت مذكورة برمتها في الجزء الأول من كتاب «ضيا پاشا» المعروف باسم «خرابات» ص ١٩٨-٢٠١ و فيما يلي نص هذه القصيدة أوردته بيتا بيتا مع ترجمة متوفرة له و شرح يبين كنه الصناعات البلاغية التي تقصد به.

(١) المترجم: تعرف هذه القصيدة في الكتب الفارسية باسم «بدایع الأسحار في صنایع الأشعار».

(٢) المترجم: هذا هو القول المشهور و لكن هناك من يشك في صحة هذا النسب.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٤

[«حسن المطلع» و «الترصيع»]

١- أي فلک را هوای قدر تو باروی ملک را ثنای صدر تو کار و معناه:

يا من يكون هوى قدرك هو الحمل العسير للملك، و يا من يكون الثناء على فضلك هو الشغل للملك فهذا البيت يتضمن صنعتين معروفتين إحداهما تعرف ب «حسن المطلع» و تكون كما يقول «جلادوين» بأن يجتهد الشاعر في أن يجعل أول بيت من منظومته مطبوعا بحيث ترتاح الأذان لسماعه و تنشط الطباع لإدراكه؛ و أما الصنعة الأخرى فهي «الترصيع» و معناه اللغوي وضع الجواهر في الذهب و معناه البلاغي أن يقسم الكاتب أو الشاعر عبارته إلى أقسام منفصلة ثم يجعل كل لفظ منها في مقابل لفظ آخر يتفق معه في الوزن و حرف الروي و فيما يلي مثال بالإنجليزية له:

O Love who liest on my breast so light, O dove who fliest to thy nest at night

و مثال باللاتينية هو كما يلي «١»:

Quos anguis tristi diro cum vulnere stravit Hos sanguis Christi miro tum munere lavit

أو الترصيع في البيت الفارسي ظاهر في الألفاظ المتفقة في الوزن و الروي و هي «فلک» و «ملک» و «هوای» و «ثنای» و «قدر» و «صدر» و «بار» و «کار».]

[«الترصيع» و «التجنيس»]

اشارة

٢- تیر چرخت ز مهر دیده سپرتیر چرخت ز مهر دیده سپار معناه:

إن سهم قوسك يرى في السماء درعاو نجم المشتري حيا فيك يثبت عينه عليك في هذا البيت أيضا صنعتان هما «الترصيع» الذي سبق لنا ذكره و كذلك «التجنيس». و التجنيس على سبعة أقسام كلها ممثلة في هذا البيت و الأبيات الستة التالية. أما الألفاظ التي تمثل النوع الأول من الجناس أو التجنيس التام في هذا البيت فهي متشابهة من حيث الهجاء و التقط و النطق. فكلمة «تیر» تكون بمعنى كوكب المشتري كما تكون أيضا بمعنى «السهم» و كذلك كلمة «چرخ» تكون بمعنى

(١) أنظر ص ١٠١ من كتاب: Morgan's Macaronic Poetry ' ,New york ١٨٧٢

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٥

الفلک كما تكون بمعنى «القوس» و كذلك كلمة «مهر» تكون بمعنى الشمس كما تكون بمعنى الحب و كذلك كلمة «دیده» تكون بمعنى «رأى» أو تكون بمعنى «العين» و كذلك كلمة «سپر» تكون بمعنى الدرع أو تكون «سپار» و هي المادة الأصلية من المصدر «سپردن» بمعنى أن يودع و كلمة «دیده سپار» في نهاية البيت صفة مركبة بمعنى يودع العين أو «يثبت البصر».

[«التجنيس الزائد»]

٣- جود را برده از میانه میان بخل را داده از کناره کنار و معناه:

و لقد احتضنت الجود، فأخذته من وسط الجميع و طرحت البخل جانبا، فانتحى إلى ناحية و التجنيس الذي يمثله هذا البيت هو من النوع الثالث الذي يعرف باسم «التجنيس الزائد» و له مثل آخر في البيت الخامس و قد سمي كذلك لأن الكلمتين تتجانسان في الحروف و الحركات و لكن إحداهما تنتهي بحرف زائد كما نجد في «ميان» و «ميانه» و في «کنار» و «کناره» «١».

[«التجنيس الناقص»]

٤- ساعد ملک و رخش دولت راتو سواری و همت تو سوار و معناه:

و على ساعد الملك، و على جواد الحظ و الإقبال «٢» أنت السوار، و همتك هي الراكب الفارس (السواري) في هذا البيت مثل للنوع الثاني من التجنيس و هو «التجنيس الناقص» حيث تنفق الحروف في الكلمات المشابهة و لكنها تختلف في الحركات «٣». [شاهده كلمة «سوار» بكسر السين تكون بمعنى ما يلبس على المعصم. و أما كلمة «سوار» بفتح السين فمعناها الراكب أو الفارس].

[«التجنيس الزائد»]

٥- پست بارفعت تو خانه خان تنگ با فسحت تو شارع شار و معناه:

و بالقياس إلى رفعتك يكون قصر «الخان» حقيرا

(١) المترجم: أورد المؤلف مثلا بالإنجليزية للتجنيس الزائد لم نر حاجة إلى إيراد.

(٢) المترجم: ترجمنا كلمة «رخش» بمعنى جواد لأن جواد رستم البطل الإيراني عرف بهذه التسمية.

(٣) المترجم: أورد المؤلف مثلا بالإنجليزية للتجنيس الناقص لم نر داعيا لإيراده.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٦ و بالقياس إلى فسحتك يكون شارع «الشار» ضيقا صغيرا

«١»

في هذا البيت نجد مثلا للنوع الثالث من التجنيس و هو التجنيس الزائد الذي سبق لنا الحديث عنه.

[التجنيس «المركب»]

-٦-

بي وفای تو مهر جان ناچیزبا وفای تو مهران چو بهار و معناه:

و بغير الوفاء لك لا يكون حسي لروحي شيئاً مذكورا ووفائي لك يبدو لي الخريف ربيعاً نضيراً في هذا البيت مثل للتجنيس «المركب» يوجد في كلمة «مهر جان» الأولى بمعنى «حب الروح» و كلمة «مهر جان» الثانية بمعنى عيد الخريف «٢».

[التجنيس «المكرر»]

-٧-

صبح بدخواه ز احتشام تو شام گل بدگوی ز افتخار تو خار و معناه:

و بحشمتك بصير صباح من يتمنى السوء لك ... ليلاو بفخارك بصير ورد الذي يتحدث بالسوء عنك ... شوكا في هذا البيت مثل للتجنيس «المكرر» [حيث يجعل الكاتب أو الشاعر في نهاية الأسجاع أو أواخر المصارع لفظين متجانسين متاليين و يجوز أن يكون في صدر اللفظ الأول منهما زيادة] مثلما نجد هنا في توالي اللفظتين «احتشام» و «شام» و كذلك في اللفظتين «افتخاره» و «خار» «٣».

[التجنيس «المطرف»]

-٨-

عدلت آفاق شسته از آفات طبعت آزاد بوده از آزار و معناه:

و لقد طهر عدلك الآفاق من الآفات و تحرر طبعك من عناصر الأذى و إلساءات فهنا مثل للتجنيس «المطرف» موجودة في كلمتي «آفاق» و «آفات» و في كلمتي «آزار» و «آزاد» فالكلمتان تتجانسان في جميع حروفهما ما عدا الحرف الأخير منهما «٤».

(١) الخان أي الملك و «الشار» لقب كان يتلقب به حكام ولاية غرجستان بالقرب من الغور.

(٢) المترجم: هنا أيضا يورد المؤلف مثلاً للتجنيس المركب و لم نر داعياً لآيراده لأنه بالإنجليزية

(٣) المترجم: هنا أيضا يورد المؤلف مثلاً للتجنيس المكرر و لم نر داعياً لآيراده لأنه بالإنجليزية

(٤) المترجم: حذفنا المثل الإنجليزي الذي أورده المؤلف لهذا النوع.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٧

[تجنيس الخط]

-٩-

از تو بیمار ظلم را دارووز تو أعدای ملک را تیمار و معناه:

و بك يكون الشفاء لمن أصابه الظلم و بك يكون الكفاء لأعداء الملك و الدولة و التجنيس هنا هو من نوع «تجنيس الخط» فكلمة «بیمار» تشابه في الكتابة كلمة «تیمار» و لا تختلف عنها إلا من حيث الأفعال أي النقط.

[الاستعارة]

-١٠-

جز غبار نبرد تو نبردديده عقل سرمه ديدار و معناه: و لن تكنحل عين العقل إلا بغبار حروبك و ستجعل منه الكحل لبصيرتها فهنا مثل للاستعارة في قوله «ديده عقل» أي عين العقل بمعنى العقل البصير أو المدرك للأشياء كأنه يراها.

[«مراعاة النظر» أو «التناسب»]

-١١-

در گل شرم یافت بی گل توشانه چرخ ماه آيينه دار و لست أعرف معنى لهذا البيت و ربما كان نصه مضطرباً و لكن الشاعر يمثل به للصنعة المعروفة ب «مراعاة النظر» أو «التناسب» و تكون بأن يجمع الشاعر في بيت من أبياته جملة أشياء من جنس واحد كالشمس و القمر، و السهم و القوس، و الشفة و العين، و الوردة و زهرة اللعل «١».

[و مراعاة النظر هنا واضحة في ذكر أشياء متشابهة مثل «چرخ» و ماه و شانه و آيينه].

[«المدح الموجه»]

-١٢-

آن کند کوشش تو با أعدا که کند بخشش تو با دینار و معناه:

و سعیک يفعل بالأعداء و الخصوم ما يفعله جودك بالدنانير و الدراهم.

فهنا مثل «المدح الموجه» فالشاعر يريد أن يمدح شجاعته ممدوحه في مواقع القتال و النزاع فيقول له إن شجاعتك تودي بأرواح الأعداء كما يذهب جودك بالدراهم و الدنانير.

(١) المترجم: حذفنا المثل الإنجليزي الذي أورده المؤلف لهذا الصنعة.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٨

[«المحتمل للوجهين»]

-١٣-

با هوای تو کفر باشد دین بی رضای تو فخر باشد عار هذا البيت يمثل لنا «المحتمل للوجهين» أي ما يمكن تفسيره على معنيين متضادين. ولما كان معنى هذا البيت يتوقف على تحديد الفاعل والمفعول فإنه ترجمته بإحدى هاتين الترجمتين.

(أ) و بهواک یکون الکفر دینا، و بغیر رضاک یکون الفخر عارا

(ب) و بهواک یکون الدین کفرا، و بغیر رضاک یکون العار فخرا

و يرى «پنتهام Puttenham» في كتابه «فن الشعر الإنجليزي» ص ٢٦٦ أن هذه الصفة تعتبر من عيوب الأسلوب إلا إذا كانت متعمدة كما يفعل الشريون عادة عند ما يريدون المدح ظاهرا و يقصدون في الحقيقة القدر و الهجاء. ولقد ذكر مورير Morier في كتابه «حاجي بابا» حديثا ورد على لسان الشاعر «عسكر» قال فيه «فكبت قصيدة جعلتها على وجهي انتقمت فيها لنفسى مما لاقيته من صاحب الخزائن من سوء معاملة و كذلك حرصت على أن تكون على ظاهرها مبدية لمحاسنه و مفاخره فكانت برمتها من ذات المعنيين، ولقد اعتقد لجهله أنني قصدت المدح بينما أنا في الحقيقة لم أقصد إلا القدر، و ظن أنني أعني بالكلمات العربية الفخمة كثيرا من الحمد و الثناء، بينما هي في نفسها لا تشتمل إلا على أشد عبارات الفحش و الهجاء، ولقد أخفيت المعاني التي أردتها بحيث لم يكن أحد يستطيع الوصول إليها بغیر مساعدتي له بالشرح و البيان..»

و لقد روى «رشيد الدين الوطواط» في كتابه «حدائق السحر» حكاية عن أحد الطرفاء من أهل الفضل قال لحائك ثياب اسمه «عمرو» كانت له عين واحدة:

«لو أنك استطلعت أن تحيك لي ثوبا بحيث لا يقدر أحد أن يتبين إن كان قباء أو حية فإني سأقول فيك بيتا لا يستطيع أحد أن يتبين منه إن كان مدحا أو هجاء.»

فحاك له «عمرو» هذا الثوب، و قال الشاعر فيه هذا البيت:

خاط لي عمرو قباليث عينيه سوا فقى هذا البيت تمنى الشاعر لو كانت عيننا عمرو سواء و ليس يعلم أحد أ يريد هما

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٩

سواء في الأبصار أم في عدم الإبصار ... لأن الشطرة الأخيرة تحتل المعنيين «١».

[«تأكيد المدح بما يشبه الذم»]

١٤-

هست رايت زمانه را عادل ليك دستت خزانه را غدار و معناه:

و رأيك هو الحكم العادل للزمان، لكن يدك غدارة بالخزائن ليس لها أمان.

هذا البيت يمثل لنا الصنعة المعروفة ب «تأكيد المدح بما يشبه الذم» لأن المصراع الثاني يفيد تأكيدا للمدح الذي ذكر في المصراع الأول و ما غدر يده بالخزائن إلا دليلا جديدا على كرمه و سخائه و عدله.

[«الانفتاح»]

١٥-

فلک افزون ز تو ندارد کسی ای فلک نیک گیر و نیکش دار و معناه:

و الفلك لا يرفع أحدا أكثر من رفعتك فتمسك به أيها الفلك ... و احفظه في هناء هذا البيت يمثل لنا صنعة «الانفتاح» و هي عبارة عن انتقال الخطاب من شخص إلى آخر، و تكون بانتقال العبارة من المخاطبة إلى المغايبية أو من المغايبية إلى المخاطبة. و قد ذكر جلاذوين أمثلة كل نوع في كتابه «البلاغة لدى الفرس» ص ٥٦-٥٨ «٢».

[«الإيهام»]

١٦-

بخت سوی درت خزان آید راست چون بت پرست سوی بهار و معناه:

و الحظ يزحف إلى بابك كما يفعل عابد الأصنام نحو معبد البهار هذا البيت يتضمن الصنعة المعروفة ب «الإيهام» و تكون بأن يذكر الكاتب أو الشاعر في نثره أو نظمه ألفاظا يكون لها معنيان أحدهما قريب و الآخر بعيد، فإذا سمعها السامع انصرف خاطره إلى المعنى القريب بينما يكون المراد منها هو المعنى البعيد أو الغريب.

(١) المترجم: حذف المثل الإنجليزي الذي أورده المؤلف لهذه الصنعة.

(٢) المترجم: هذه الأمثلة موجودة في كتاب «حدائق السحر» لرشيد الدين الوطواط و يمكن الإطلاع عليها في الأصل الفارسي أو في الترجمة العربية التي نشرتها في سنة ١٩٤٥ لهذا الكتاب.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٧٠

و الإيهام هنا موجود في كلمة «خزان» فمعناها القريب هو «الخريف» و معناها البعيد هو «زاحف» و كذلك في كلمة «بهار» فمعناها القريب هو «الربيع» و معناها البعيد عبارة عن معبد من معابد الأصنام في آسيا الوسطى انتسب إليه أسرة البرامكة المشهورة.

و قارئ هذا البيت ينصرف ذهنه لأول وهلة إلى المعنى القريب لهاتين الكلمتين و لكن الشاعر في الحقيقة لم يقصد إلا المعنى الآخر البعيد «١».

[«أنواع التشبيهات»]

و الأبيات الثمانية التالية أوردها جملة لأن كل واحد منها شاهد على نوع من أنواع «التشبيهات» المختلفة التي تبلغ ثمانية أنواع، هي الآتية بحسب ترتيب الأبيات:

(أ) التشبيه المطلق (ب) تشبيه التفضيل (ج) تشبيه التأكيد

(د) التشبيه المشروط (ه) تشبيه الإضمار (و) تشبيه التسوية

(ز) تشبیه الکنایة (ح) تشبیه العکس

و لستنا فی حاجة الی بیان کل نوع من هذه الأنواع فإن تسمياتها تكفي لإيضاح مدلولاتها. و فيما يلي الأبيات الثمانية التي تمثلها:

۱۷-

تیغ تو همجو آفتاب بنورسیر دارد زمانه را ز نگار

۱۸- چرخ و ماهی نه نیستی تو از آنک نیست این هر دو را قوام و قرار

۱۹- بلکه از تست چرخ را تمکین بلکه از تست ماه را اظهار

۲۰- ماهی ار ماه ناورد کاهش چرخي ار چرخ نشکند زنهار

۲۱- گر تو چرخي عدو چراست نگوینور تو ماهی عدو چراست نزار

۲۲- جای خصمت چو جای تست رفیع آن تو تخت وان خصمت دار

۲۳- چون تو در روز شب کنی پیداچون تو از خار گل کنی دیدار

۲۴- شام گردد چو صبح سرخ لباس صبح گردد چو شام تیره شعار و معنی هذه الأبيات:

- و سيفك كالشمس المنيرة يجعل الزمان مليئا بالجمال و البهاء.

(۱) المترجم: حذف هنا مثلين بالإنجليزية أوردهما المؤلف للتمثيل على هذه الصنعة في لغته.

تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الی السعدی/ تعریب، النص، ص: ۷۱

- و أنت الفلك و القمر، لا بل لست كذلك، لأن كلا منهما لا قوام له و لا قرار.

- بل الفلك يستمد تمكينه منك و كذلك القمر يستمد بهاءه من طلعتك.

- و أنت القمر لو استطاع القمر ألا يصيبه نقصان، و أنت الفلك لو استطاع الفلك ألا يكسر وعده.

- و إذا كنت الفلك فلماذا عدوك هو المقلوب، و إذا كنت القمر فلماذا عدوك هو الهزيل الآخذ في النقصان.

- و مكان عدوك رفيع كمكانك، و لكن مكانك هو العرش، و مكانه هو المشنقة.

- و عندما تجعل النهار يبدو كالليل، و عندما تجعل الورد يبدو من الأشواك «۱».

- يصبح المساء كأنه الصبح قد احمر لباسه، و يمسي الصباح كأنه المساء قد أظلم شعاره.

[«سبأة الأعداد»]

و الصنعة التالية تعرف ب «سبأة الأعداد» و فيها يسوق الكاتب أو الشاعر عددا من الأسماء المفردة على نسق واحد بحيث يكون كل واحد منها له معنى قائم بذاته و يكون كذلك تعليلا لشيء آخر كما يبدو من البيت الآتي:

۲۵-

دست برد است گاه عرض هنرسخا و وفا و عدل و يسار و معناه:

و قد فاز في وقت عرض الفضل بالسخاء و الوفاء و العدل و اليسار

[«تنسيق الصفات»]

۲۶- نورت از مهر، لطف از ناهیدبیزت از ابر، جودت از کوهسار معناه:

و نورك من نور الشمس و لطفك من لطف «الزهرة» و برک من بر السحاب و جودك من فيض الجبال هذا البيت فيه تمثيل لصنعة «تنسيق الصفات» عندما يذكر الشاعر شيئا بجملة أسماء أو جملة صفات متواليه دون أن يراعى فيها الترتيب أو التنظيم.

(۱) جعل النهار يبدو كالليل كناية عن الظلام الذي يصيب النهار بسبب ما يرتفع في معركة من غبار قاتم يحجب ضياء الشمس، و جعل الورد يبدو من الأشواك كناية عن أهدار دم الأعداء بأطراف الرماح و السيوف.

تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الی السعدی/ تعریب، النص، ص: ۷۲

[أنواع «الحشو»]

إشارة

و الأبيات الثلاثة التالية تمثل لنا صناعة «الحشو» التي تكون بإضافة كلمات لا يستلزمها المعنى؛ و الحشو أما «قبيح» إذا كان اللفظ الزائد لا محل له بحيث يفسد البيت بوجوده؛ و إما «مليح» إذا حسن به الكلام و ازداد رونقه؛ و إما «متوسط» إذا تساوى ذكر اللفظة الزائدة و عدم ذكرها فلا تكون مستقبحة غاية القبح و لا مستحسنة غاية الاستحسان.

۲۷- الحشو القبيح:

قهرت ار مجتهد شود ببرد آسمان را بسخره و ببيگار

۲۸- الحشو المتوسط:

ليك لطف تو ای همایون رای بلطف در بر آورد ز بحار

۲۹- الحشو المليح:

باغ عمرت که تازه باد مدام چشم بد دور روضه ایست ببار و معنی هذه الأبيات:

- و قهرک إذا سعی، فإنه يحمل السماء على أن تكون مسخرة لك و خاضعة.

- و لكن لطفك- یا صاحب الرأي الملكي- يستطيع أن يجلب الدرر من البحار.

- و بستان عمرک، و اینی ادعو لك بالنصرة على الدوام، هو روضه مثمرة، ادعو الله ان يبعد عنها عين المسود.

و البيت التالي يمثل الصنعة المعروفة بـ «الاشتقاق» أو على الأصح «شبه الاشتقاق» و هي في الحقيقة نوع من «التجنيس» تبدو فيه الألفاظ كأنها مشتقة من أصل واحد و لكنها في الحقيقة ليست كذلك:

[أنواع «السجع»]

إشارة

۳۰-

روز کوشش چو زیر ران آری آن قدر پیکر قضا پیکار و معناه:

و فی يوم الجهاد عندما تتركب جوادک فلک صورة القدر و تصميم القضاء

تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الی السعدی/ تعریب، النص، ص: ۷۳

هنا نجد أن كلمة «پیکر» و كلمة «پیکار» تبدوان كأنهما من أصل واحد و لكنهما ليستا في الحقيقة كذلك، و الأولى بمعنى «صورة» و الثانية بمعنى «عزم» أو «تصميم» «۱».

و الأبيات الثلاثة التالية تمثل لنا أنواع «السجع» التي تسمى على التوالي:

(ا) السجع المتوازي: حيث تتفق الكلمات في الوزن و عدد الحروف و الروي.

(ب) السجع المطرف: حيث تتفق الكلمات في الروي دون الوزن و عدد الحروف.

(ج) السجع المتوازن: حيث تتفق الكلمات في الوزن دون الروي.

۳۱- السجع المتوازي:

در سجودت نوان شوند ز پیش بر وجودت روان کنند نثار

۳۲- السجع المتوازن:

سرکشان جهان حادثه وراختران سپهر آینه دار

۳۳- السجع المطرف:

آردت فتح در مکان امکان دهدت کوه بر فرار قرار و معنی هذه الأبيات:

- و فی السجود لك يأتون أمامك في ذلة و خضوع

و على وجودك ينثرون الأرواح و الأنفس

- المتعظرون في هذا العالم المليء بالحادثات

و نجوم هذا الفلك الممسك بالمرأة.

- و الفتح يجلب لك الإمكان في كل مكان.

و عزمك الشبيه بالجبل يعطيك القرار و الثبات لا الفرار.

[أنواع «المقلوبات»]

إشارة

و الأبيات الأربعة التالية تمثل لنا أنواع «المقلوبات» الأربعة و هي:

(ا) مقلوب الكل: حيث تكون الكلمة مقلوبة الحروف لكلمة أخرى كما نجد في «گرم» و «مرگ».

(۱) المترجم: حذفنا الأمثلة الإنجليزية التي أوردتها المؤلف للاشتقاق.

تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الی السعدی/ تعریب، النص، ص: ۷۴

(ب) مقلوب البعض: حيث يكون في الكلمتين تقديم و تأخير في بعض الحروف بحيث لا يشمل ذلك الحروف كلها على التوالي كما نجد في «شك» و «شكر».

(ج) المقلوب المجتج: و هو عبارة عن «مقلوب الكل» و لكن الشاعر يضع إحدى الكلمتين في أول البيت و الثانية في آخره.

(د) المقلوب المستوي: و يكون بأن تستطيع أن تقرأ جملة متتورة مركبة من بضعة ألفاظ، أو مصراعاً من الشعر، أو بيتاً كاملاً منه، بحيث إذا قلبت الجملة أو المصراع أو البيت كان كل واحد في هذه الثلاثة منقلب مع مقلوبه. و هذا النوع هو أصعب أنواع المقلوب و لكنه أكملها و أجملها.

۳۴- مقلوب البعض:

رشک قدرت برد سپهر و نجوم شکر فتحت کند بلاد و دیار

۳۵- مقلوب الكل:

گرم دارد ز تاب دل بیکان مرگ بارد بخضم بر سوافار

۳۶- المقلوب المجتج:

گنج نصرت دهد گراش جنک رای دولت زند حمایت یار

۳۷- المقلوب المستوي:

رامش مرد گنج باری و قوت تو قوی را بجنگ در مشمار و معنی هذه الأبيات:

- إن الفلك والنجوم لتحسدك على قدرك وإن البلاد والديار لشكرتك على فتحك.
- وإنه ليشحد طرف الرمح ويجلوه من نار القلوب فيمطر سهمه الموت على خصمه و عدوه.
- وطريقة إنفاذه للحرب تجلب له كنوز النصر و حمايته للأصدقاء تمهد له سبيل الملك.
تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٧٥
- و راحة الإنسان في جمع الكثر و القوت
فلا تعتبر القوى قويا في الحرب و القتال.

[«رد العجز على الصدر»]

- و الأبيات الثمانية التالية تمثل الأنواع المختلفة من «رد العجز على الصدر» و هي صنعة غير مستفضة كما يدل عليها إسمها و تقتصر (كما يقول جلادوين) على ذكر كلمة بعينها في أي جزء من شطري البيت «١»:
-٣٨
كار عدل تو ملك داشتن است عدل را خود جز اين نباشد كار
-٣٩- به يسار تو جود خورد يمينا شد يمينا زمانه بر تو يسار
-٤٠- خصم تيمار دولت تو كشد خصم نيكوتر است در تيمار
-٤١- در مقامی كه بار زر بخشي ريزش ابر را نباشد بار
-٤٢- می گذاری برمح وام عدوكس ندید است رمح وام گذار
-٤٣- چرخ از آزار تو نیازد بندگان را كجا كند آزار
-٤٤- نارد از خدمت تو بیرون سرورچه بشكافیش به نيزه چو مار
-٤٥- دشمنان را بدآوری و خلاف با تقاضای گنبد دوار
-٤٦- قهر و كینت به باد داده چو خاك لطف و قهرت بآب گشته چو نار و معنی هذه الأبيات:
- وعد لك مشغول بامتلاك الملك، و لا شغل للعدل إلا في هذا الأمر.
- و الجود يقسم يمينا صادقة على يسارك، و يمينا الزمان أصبحت يسارا لك.
- و الخصم دائم العناء بسبب دولتك، و من الخير أن يبقى الخصم في عناء.
- و عندما تهب أحمال الذهب و العطايا، لا يبقى للسحاب مجال لأن يسقط غيثه و أمطاره.

(١) المترجم: يذكر المؤلف أن هذه الصنعة قريبة بما يسمى في الشعر الإنجليزي باسم Epanalepsis أو Echo sound أو باسم Epizeuxis أو Cuckoo - spell أو Ploche أو the doubler و قد حذفت الأمتلة اللاتينية و الإنجليزية التي وردت في الأصل.

- تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٧٦
- و برمحك، تستطيع ان تسدد الدين للعدو،
و لم ير أحد من قبل أن الرمح يقوم بسداد الديون.
- و الفلك لا يتأذى بما تفعله فيه من ضرر؛
و كيف يعقل أنك تؤذي خدمك و أتباعك؟!...
- و لن يحاول ان يخرج برأسه عن خدمتك؛
و لو شققته برمحك كما تشق الأفعى!!!
- و لقد أودى القهر بأعدائك بما هم فيه من خوف و خلاف، قضت بهما أحكام هذه القبة الدائرة.
- و قد أسلم قهرك و غضبك أعداءك للرياح، فأصبحوا كالتراب؛
و قتلهم ماء لطفك و قهرك، كما تفعل الماء بالنار.
و البيت الأخير و كذلك البيت التالي يمثلان ما يعرف «بالمضاد» حيث يذكر الشاعر في البيت الواحد ألفاظا يكون الواحد منها مضادا للآخر كما فعل عند ذكر العناصر الأربعة في آخر الأبيات التي ذكرناها فيما سبق.

[«الإعانات» أو «لزوم ما لا يلزم»]

و البيتان التاليان يمثلان صنعة «الإعانات» حيث يتكلف الشاعر شيئا لا لزوم له ليزين به كلامه، كأن يلزم في آخر الأبيات حرفا قبل حرف الروى تستقيم القافية بدونه، أو كأن يلزم بتكرار كلمة أو أكثر في جميع الأبيات «١»:
-٤٧

- ای نیکوخواه دولت تو عزیزو ای بداندیش روزگار تو خوار
-٤٨- هر كه زهار خوار عهد تو نشد سپارش بعالم خونخوار و معنی هذين البيتين:
- فيا من ... يصبح مرید الخير لدولتك ... عزيزا،
و يا من ... يصبح مرید السوء لأيامك ... حقيرا.
- إن من لا يرعى عهدك و ميثاقك؛
عليك أن تسلمه لهذا العالم الغادر.
و هذه الصنعة تسمى أيضا ب «لزوم ما لا يلزم» و تشتد صعوبتها (خاصة في ثاني

(١) المترجم: أورد المؤلف ثلاثة أمثلة بالإنجليزية لهذه الصنعة لم أر فائدة من ذكرها.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٧٧
صورها الموضحة في البيتين الفارسيين السابقين) إذا أراد الشاعر أن يصطنعها في قصيدة طويلة.

[«المزدوج»]

و البيت التالي يمثل «المزدوج» حيث يضمن الشاعر أبيانه ألفاظا مزدوجة يراعى فيها السجع و ذلك بالإضافة إلى القافية

-٤٩-

كاه ريزه به نيزه برنای جون کتی عزم رزم اینت سوار و معناه:

- و أنت تخطف قلامه القش بطرف رمحك، و عندما تعزم على الحرب ... فيا لك من فارس ماهر ...!!

[«الملتون»]

و البيت التالي مثال «الملتون» حيث يقول الشاعر بيتا من الشعر تمكن قراءته على وزن مختلفين.

٥٠- ای بوده قدوه وضیع و شریفوی شده قبله صغار و کبار و معناه:

- فیا من أنت قدوة للوضیع و الشریف؛

و یا من أنت قبله للصغیر و الکبیر.

فهذا البيت يمكن وزنه كسائر أبيات القصيدة على أحد الوزنين الآتين:

(١) الخفيف المخبون المقصور

-/-/---

فاعلاتن / مفاع لن / فعلان

(ب) السريع المطوي:

-/-/---

مفتعلن / مفتعلن / فاعلان

[«إرسال المثل»]

و الصنعة التالية هي التي تعرف «إرسال المثل» و يلحق بها صنعة؟؟؟

«إرسال المثلين» ١١».

(١) المترجم: يذكر المؤلف أن هذا شبيه بما يعرف في الإنجليزية: Proverial Commission

و يذكر أن «پنهام» يقسمه إلى Gnotne و Parinia و يضرب مثلا للنوع الأخير بالإنجليزية لم نر حاجة إلى ذكره.

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي / تعريب، النص، ص: ٧٨

و قد امتاز بهذه الصنعة جملة من شعراء الفرس ربما كان أشهرهم «صائب الأصفهاني» المتوفى سنة ١٦٧٧ م - ١٠٨٨ هـ و قد أصبحت

أشعاره نماذج يحتذى بها عدد كبير من شعراء الأتراك؛ و كذلك امتاز بها «أبو الفضل السكري المروزي» الذي حدثنا عنه التعاليبي في

يتيمة الدهر فقال إنه «١» كان مولعا بنقل الأمثال الفارسية إلى العربية:

٥١- نکشد آب خصم آتش تونشکند تاب نور مهره مار

٥٢- گر مهی فارغ از هوای خسوف گر می ایمن از بلای خمار و معناه:

- و ماء خصمک لا يستطيع أن يطفىء نارك،

كما أن حجر «٢» الأفي لا يستطيع أن يتغلب على وهج النور.

- و إذا كنت قمرا فإنك فارغ البال لا تفكر في الخسوف؛

و إذا كنت خمرا ... فإنك في أمن من بلاء الخمار.

و الأبيات العشرة التالية أوردها الشاعر مثلا لصنعة «الغز»:

[«الغز»]

٥٣- چیست آن دور و اصل او نزدیک چیست آن فرد و فعل او بسیار

٥٤- خام او هر چه علم را پخته مستی او هر چه عقل را هشیار

٥٥- دلشکن لیک درددل بیوندخوش گذر لیک روزگار گذار

٥٦- رنج او نزد بی دلان راحت خوار او نزد زیرکان دشوار

٥٧- چون دعا خوش عنان و بی مرکب چون قضا رهنورد و بی هنجار

٥٨- اندهش همچو لهو راحت بخش آتشش همچو آب نوشگوار

٥٩- نعره در وی شکنج موسیقی ناله در وی نوای موسیقار

٦٠- عشق اُصلیست کز منازعتش عقل غمگین بود روان غمخوار

٦١- خاصة عشق بتي که در غزلش مدحت شاه می کنم تکرار

٦٢- شاید از زان غزله بنیوشدزین نوا این غزل بنغمه زار

(١) أنظر ج ٤ من يتيمة الدهر ص ٢٢ - ٢٥.

(٢) يزعمون أن الأفي تحمل حجرا شديدا البريق والضياء، و يعتقد ذلك أهل الشرق و الغرب على لسواء.

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي / تعريب، النص، ص: ٧٩

و معنى هذه الأبيات:

- ما الشيء البعيد و أصله قريب ... و ما الشيء الفرد و فعله كثير ...!؟

- ساذجه ينضح العلم و يزيد، و السكر به يجعل العقل يقيق من نشوته.

- يحطم القلوب، ولكنه شفاء لآلام القلوب؛ بطنىء المرور، ولكن مروره بالأيام سريع
- آلامه راحة لدى من لا قلوب لهم، وذلك صعبة لدى المهرة الأذكيا.
- طيب كالدعاء ... لا عنان له ولا مركب، واقع كالتضاء ... لا دافع له ولا راد.
- غمه شبيه باللهو الذى يجلب الراحة، وناره شبيهة بالماء الصافى يطيب لشاربه.
- ونعته شبيهة باللحن الموسيقى، ونحيبه شبيهة بالحان الموسيقىار.
- والعشق أصل، يصبح العقل بمنازعاته محزوناً، وتصبح الروح بثوراته أسيفة مغمومه.
- وعلى الخصوص عشق هذه الدمية، التى أكرر فى التغزل بها مدائح المليك.
- فإذا استمعت الغزاة (أى الشمس) وبكت حزناً،

لهذه النعمة التى أورها فى هذا الغزل الحزين .. حتى لها ذلك.

والأغاز تكون غامضة فى أغلب الأحوال و من أجل ذلك يؤسفنى أن أعترف بأننى لم أوفق إلى معرفة حل هذا اللغز السابق. ولكن هناك طائفة أخرى مذكورة مع حلولها فى كتاب «روكرت» عن الشعر الفارسى والبلاغة الفارسية (أنظر ص ٣٣٦-٣٣٨).
يأتى بعد ذلك «المطلع ذو القافيتين» وهو عبارة عن مطلع توجد فى داخله قافيتان أو مطلع جديد تقفى فيه شرطه الأولى مع الثانية.

[«المطلع ذو القافيتين»]

٦٣- از دلم سوسنش ببرد قراربىرم نرگش سبرد خمار و معناه:

- وقد سلب سوسنها (صدرها الأبيض) الراحة من قلبى

و أودع نرجسها (عينها) الخمار فى رأسى

و يتلو ذلك التمثيل للصنعة المعروفة ب «تجاهل العارف» و هى شبيهة بما يسميه بنتهام باسم The Doubtful Aporia

تاريخ الادب فى إيران من الفردوسى الى السعدى/ تعريب، النص، ص: ٨٠

[«تجاهل العارف»]

٦٤-

ويحك .. آن نرگس است يا جادويا رب آن سوسن است يا گلنار و معناه:

- ويحك ... هل هذه نرجسة أم سحر مبین ...!! او يا رب هل هذه سوسنة أم هى زهرة الرمان ...!!

[«السؤال و الجواب»]

و يتلو ذلك التمثيل لصنعة «السؤال و الجواب».

٦٥- گفتم: از جان بعشقى بيزارم گفتم عاشق ز جان بود بيزار

- قلت: إننى معنى بالحياة بسبب العشق، قالت: و العاشق يعنى بالحياة عادة ...!!

[«لموشح»]

و البيت التالى مثال «لموشح» و يؤسفنى أن أعترف ثانية بأننى لم أوفق إلى حله «١»:

٦٦- دوست ميدارمش كه يار منست دشمن آن به كه خود نباشد يار

- و إنى أحبها ... لأنها صاحبتى و صديقتى؛ و من الخير الا يكون الصديق عدوا ...

[«الملمع»]

و فى البيت التالى تمثيل للشعر «الملمع» و قد ذكرناه فيما سبق و قلنا إن أمثله الإنجليزية و اللاتينية كثيرة الوجود فى Ingoldsby

٢. Legends -

٦٧- سوخت در آتشم چه ميگويم أحرقتنى الهوى بغير النار

- أحرقتنى بالنار فما عسأى أقول؛ أحرقتنى الهوى بغير النار ... و الأبيات الخمسة التالية تمثيل للصناعات التى تتعلق بالحروف العربية

من حيث وصلها و فصلها. و من حيث إعجامها أو إهمالها. و من أجل ذلك لا يمكن التمثيل لها فى اللغة الإنجليزية، و أول أنواعها:

هو «المقطع» حيث لا تتصل الحروف ببعضها

(١) المترجم: التوشيح فى الفارسية صنعة يورد بها الشاعر فى أول الأبيات أو وسطها حرفاً أو كلمات، بحيث إذا جمعت بعينها أو مع تصحيفها، خرج لنا منها بيت أو مثل أو اسم أو لقب.

(٢) المترجم: حذف مثلين بالإنجليزية فى الأصل كان التلميح فيهما باللغة اللاتينية.

تاريخ الادب فى إيران من الفردوسى الى السعدى/ تعريب، النص، ص: ٨١

و ثانيها: هو «الموصل» حيث تتصل جميع الحروف ببعضها و لا تقبل التقطيع؛ و ثالثها: هو «المجرد» و هو ضرب من الصنعة لم أستطع الحصول على تعريفه «١» فيما لدى من كتب البلاغة؛ و رابعها: هو «المرقط» أو «الرقطاء» حيث يكون أحد الحروف منقوطة و الآخر عاطلاً؛ و خامسها: هو «الأخيف» أو «الخيفاء» حيث تكون كلمة برمتها منقوطة تتلوا كلمة أخرى عاطلة:

٦٨- المقطع:

زار و زردم ز درد دورىء اودرد دلدار زرد دارد و زار

٦٩- الموصول:

تن عيشم نحيف گشت بغم گل بختم نهفته گشت بخار

٧٠- المجرد:

چهره روشنش که روز منستزیر زلفش مهیست در شب تار

٧١- الرقطاء:

غمزه شوخ آن صنم بکشاداشک خونم ز چشم خون آثار

٧٢- الخيفة:

دل شد وهم نبیند از وی مهرسر شد وهم نیچند از تن کار و معنی هذه الأبيات:
- وأنا هزيل مصفر بسبب بعدى عنها، و الحزن على الحبيب يجعل المرء هزيبا معتلا.
- و قد هزلت حياتي بما أصابني من غم، و اختفت وردة حظي بين الأشواك المتكاثرة.
- و وجهها الرضاء هو نهاري الواضح المنير، و تحت ذؤابتها قمر أضاء في وسط ليها المظلم.
- و قد جعلت هذه الدمية الجميلة تفتح بغمزاتها الجسورة، سيول الدموع من عيني الدامية.
- و ذهب قلبي ... و لم يظفر منها بآية من آيات الحب،
و ذهب عقلي ... و لم ينش عما هو فيه من غواية.

[«المعما»]

و البيت التالي تمثيل لصنعة «المعما» و لست أستطيع حله أيضا:

(١) المترجم: ربما يقصد به صنعة «الحذف» و هي التي يطرح بها الشاعر أو الكاتب حرفا من حروف المعجم فلا يستعمله في شعره أو نثره.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٧٣٨٢- موج و دود دل و دو دیده من برد دریا و ابر را مقدار و معناه:

- و أمواج قلبي و أذنته المتصاعدة و عيناى الغارقان في البكاء، قد فاقت البحار الواسعة و السحب الهامية ...

[«التضمين»]

و الصنعة التالية هي «التضمين» حيث يدخل الشاعر في شعره بيتا قاله شاعر آخر.
و يشترط في البيت المضمن أن يكون معروفا متداولاً على الألسن و إلا وجب على الشاعر أن يشير إشارة صريحة على تضمينه لهذا البيت خشية أن يتهم بالسرقة و الانتحال «١».
و فيما يلي مثال من «التضمين» تجاسرت على صياغته في أشعار فارسية من نظمي، و قد دعاني إلى نظمه أحد أصدقائي فقد كان يتعشق فتاة اسمها «مي: May» - و هي كلمة تنطق كما تنطق كلمة «مي» الفارسية بمعنى «الخمر». و قد أخذت البيت المضمن من قول «السعدي الشيرازي» في كتابه «گلستان»:

مست می بیدار گردد نیم شب مست ساقی روز محشر بامداد و معناه:

- إن السكران بالخمير (مي) يصحو من نشوته في منتصف الليل، أما السكران بالساقى فلا يصحو من نشوته إلا في صبيحة يوم الحشر. فضغت منه تضمينا احتوى على صفتين آخرين هما «التجنيس التام» في كلمة «مي» و كذلك «الإغراق» و هذا هو قولي:
مست می بیدار گردد نیم شب فرمود شیخ آن اگر چه قول شیخ است نیست جای اعتماد
من می دانم که هر گاه مست آن گردد کسی سر ز مستی بر ندارد روز محشر بامداد و معنی هذين البيتين:
- قال الشيخ سعدي: إن السكران بالخمير (ب مي) يفيق في منتصف الليل من خماره.

(١) المترجم: حذف المثل الإنجليزي الوارد في الأصل

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٨٣

و هذا القول من أقوال «الشيخ سعدي» صحيح و لكن لا يجب تصديقه و الاعتماد عليه.

- فإني أعرف فتاة اسمها «مي» كلما سكر بحبها شخص، لا يستطيع أن يرفع رأسه و يتخلص من نشوته حتى صبيحة يوم الحشر.

٧٤- وصل خواهم ندانم آنکه بکس رایگان رخ نمی نماید یار و معناه:

- و أنا أريد الوصل ... فهلا علمت، إن الحبيب لا يبدي طلعه لأحد مجاناً ...

و هنا يجب أن أعترف بحقيقة مزعجة، و هي أنني لا أعرف الجزء المضمن من هذا البيت، و لا من أي الشعراء استعارة ناظم هذه القصيدة، و ربما ساعد ذلك كله على أن أتهم بالجهل، و نسي النقاد اتهام الناظم بالسرقة لأنه لم يبين صراحة المكان الذي استقى منه تضمينه.

[انواع «الإغراق»]

إشارة

و فيما يلي تمثيل لصنعة «الإغراق» و هي نوع من أنواع «المبالغة» الثلاثة التي تشتمل على:
 (أ) التليغ (المبالغة): حيث تكون المبالغة ممكنة عقلا و عملا.
 (ب) الإغراق: حيث تكون المبالغة ممكنة عقلا و لكنها غير محتملة عملا.
 (ج) الغلو: حيث تكون المبالغة مستحيلة عقلا و عملا.

[الغلو]

و من أمثلة الغلو ما أورده «دولت‌شاه» في صحيفهٔ ٣٣ من «تذكرة الشعراء» في البيتين التاليين من قول الشاعر «غضائري الرازي» في مدح السلطان محمود الغزنوي:
 صواب كرد كه پيدا نكرد هر دو جهان يگانه ايزد دادار بي نظير و همال
 و گرنه هر دو ببخشيدى او بروز سخايمد بنده نمايندى بايزد متعال و معناهما:
 - و كان من الصواب إن الله الفرد العادل الذي لا نظير له و لا شبيه؛
 لم يظهر للإنسان كلا العالمين (الدنيا و الآخرة).
 - و لو أنه فعل ذلك ... لجاد الملك بهما جميعا في يوم الجود و السخاء؛
 و لم يبق للعبد بعد ذلك مطمع آخر في رب السماء ...!!
 تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٨٤
 و أبلغ من ذلك في «الغلو» ما قال نبيال الزرندي (من بلدة زرنند) في «بهاء الله» رئيس البائية:
 خلق گویند خدائی و من اندر غضب آیم برده برداشته میسند بخود ننگ خدائی و معناه:
 - إن الخلق يقولون: إنك الله، ولكنني غاضب مما يقولون ...! فأرفع الحجاب عن نفسك، و لا ترض لنفسك بعار الألوهية «١» ...!! و
 فيما يلي البيت الذي ورد في قصيدة «قوامي» تمثيلا للإغراق:
 ٧٥- ور نماید ز بس صفا که در اوست راز من در رخس بود دیدار و معناه:
 - و إذا أظهرت وجهتها ... فلكترة الصفاء الذي يبدو فيها تبدو أسرارى ظاهرة لعين الراى ...!!

[«الجمع» و «التفريق» و «التقسيم»]

إشارة

و الأبيات السبعة التالية أوردهما الشاعر أمثلة للصناعات التي تعرف باسم «الجمع» و «التفريق» و «التقسيم» و الأبيات نفسها تكشف لنا عن الصنعة التي تشتمل عليها:

٧٦- الجمع:

بر لبش زلف عاشق است جو من لا جرم همجو منش نیست قرار

٧٧- التفريق:

باد صبح است بوی زلفش نی نبود باد صبح عنبر بار

٧٨- جمع و تقسيم:

من و زلفین او نگو نساریم لیک او بر گل است و من بر خار

٧٩- جمع و تفريق:

هست خطش فراز عالم روآن یکی ابر، و این یکی گلزار

(١) أنظر ترجمتي «التاريخ الجديد: New History» ص ٣٩٥. و ذكر أنني سمعت أن هذا البيت قاله أصلا أحد غلاة الشيعة في الحسين بن علي رضي الله عنه.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٨٥

٨٠- تقسيم و تفريق:

غم دو چیز مرا دو چیز سپرددیده را آب، و سینه را زنگار

٨١ و ٨٢- جمع و تفريق و تقسيم:

همجو چشم توانگر است لبش آن باشك، و این بلولوی شهوار

آب آن تیره، آب این روشن آن این گریه، و آن او گفتار و معنی هذه الأبيات:

- و طرفها عاشقة لشفتهها، كما انا عاشق لها

و من أجل ذلك فهي مثلي، لا تعرف الهدوء و لا الاستقرار

- و رائحة طرفها شبيهة بنسيم الصباح، غير أن نسيم الصباح لا يكون محملا بالعبير و العبير ...!!

- و أنا و طرفها مقلوبان رأسا على عقب، و لكن طرفها انقلبت على الورد (أي الخدود) و أما أنا فقد انقلبت على الأشواك (أي الأحزان).

- و قد علا الشعر فوق وجهها، فكان كالسحاب، و كان وجهها كروضة الورد

- و لقد حزن علي شيئين، فأعطاني الحزن عليهما شيئين

ففاضت عيني بالماء، وامتلاً صدري بصدأ الأحران !!
 - وأصبحت شفتها غنية مثل عيني؛
 فامتلت عيني بالدموع، كما امتلاً ثغرها باللاكيء و الدرر الغالية
 - و أسود ماء عيني، و صفا بالضياء ماء شفتها
 فكان البكاء من نصيب عيني، و كان الحديث الحلو من نصيب ثغرها ...

[«التفسير»]

و الأبيات الأربعة التالية تمثل للصنعة التي تعرف ب «التفسير» و هي تنقسم إلى قسمين:
 (أ) تفسير الجلي.

(ب) تفسير الخفي.

و النوع الثاني من هذين النوعين ممثل في البيتين التاليين:

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٨٦ ٨٣- جگر و جان و چشم و چهر منستدر غم عشق آن
 بت فرخار

٨٤- هم بغم خسته، هم بتن مهجورهم بخون غرقه هم زخم افکار و معناها:

و كبدي (١) و روي (٢) و عيني (٣) و طلعتي (٤) في عشق تلك الدمية الجميلة.

أضناها الحزن (١)، و فارقت الجسد (٢)، و غرقت في الدماء (٣)، و أنختت بالجراح (٤).

أما النوع الأول فممثل في البيتين التاليين:

٨٥- خورد و خوردم بعشق آن ناکام هست و هستم ز هجر او ناچار

٨٦- او مرا خون، و من ورا اندوه او ز من شاد، و من ازو غمخوار و معناها:

- و تجرعت ... و تجرعت ... في عشقها بغير رغبة أو حيلة، و كانت ... و كنت ... من هجرها عاجز الأسباب و الحيلة

- فتجرعت دمي، و تجرعت الأحران من أجلها و كانت مسرورة بفراقها، و كنت محزوناً لفراقها

[«الكلام الجامع»]

و البيتان التاليان تمثل لصنعة «الكلام الجامع» حينما يحاول الشاعر أن يدخل في آياته شيئاً من الحكمة أو الموعظة أو تجارب الزمان:

٨٧- موم از غم سپید گشت چو شیردل ز محنت سیاه گشت چو قار

٨٨- این ز عکس بلا کشید خضاب و ان ز راه جفا گرفت غبار و معناها:

- و ابيض شعري، فأضحى كاللبن الصافي بسبب حزني عليها و اسود قلبي، فأمسى كالقار الأسود بسبب محتى التي أنا فيها

- فتخضب هذا بلون البلاء الذي أصابني و تغير ذلك بغير طريق الجفاء و الهجر ...!!!

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٨٧

[«حسن التخلص» أو «حسن المخلص»]

و الصنعة التالية هي «حسن التخلص» أو «حسن المخلص» و هي عبارة عن أن ينتقل الشاعر عند ما يصل إلى بيت الانتقال أو ال «گریزگاه» في الغزل أو النسيب إلى مدح ممدوحه أو إلى أى قصد آخر يقصده بحيث يكون انتقاله على وجه مستطاب و طريقة مستملحة:

٨٩- غم دل گر بیست بازارم مدح شه میکشایدم بازار و معناها:

- و قد أغلقت أحزان قلبي الأسواق في وجهي، و لكن مدحى للمليك يفتح لى الأسواق المقفلة.

[«الترنزل»]

و الصنعة التالية هي «الترنزل» و يوصف الكلام بها فيقال «الترنزل» و هي- كما قال جلادوين (ص ٣٢) عبارة عن أن يذكر الشاعر لفظاً بحيث إذا غير حركة واحدة من حركات حروفه تحول الكلام من المدح إلى الهجو:

٩٠- شاه قول ارسالن که دست و دلش هست خصم شمار و خصم شمار و معناها:

- و الملك هو «قول ارسالن» الذى يده و قلبه يحوطان بالأعداء و لا يحوطهما العطاء

[«الإبداع»]

و الصنعة التالية هي «الإبداع» و هي في أبواب البلاغة عبارة عن إبداع (أو أداء) معنى جديد من معنى آخر قديم قاله شاعر سابق أو كاتب متقدم بحيث لا يكون بين المعنيين خلاف إلا من ناحية الصياغة، و هذا قريب جداً من «السرقات الشعرية» و لكنه لا يعاب على قائله، بل يعتبر دليلاً على فضله و تبريزه؛ و هو في هذا مخالف لسائر أنواع السرقات الشعرية التي تشمل «الانتحال» و «المسخ» و «السلخ»^{٢٠}.

و من الضروري أن يكون في حوزتنا المعنى القديم حتى نستطيع أن نتبين مدى «الإبداع» في المعنى الجديد؛ و من أسف أنني لا أعرف أصل البيت التالي:

(١) من أتابكة اذربيجان حكم ما بين سنتي ١١٨٥- ١١٩١ م- ٥٨١- ٥٨٧ هـ.

(٢) أنظر كتاب «روكرت» ص ١٨٨- ١٩١.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٨٨ ٩١- حزمش آورده باد را بسكون عزمش افکنده خاک را

بمدار و معناه:

- و حزمه ... يوقف الرياح و يجعلها في هدوء و سكون و عزمه ... يجعل الأرض في دورة دائمة.

[«التعجب»]

و البيت التالي يمثل صنعة «التعجب»:

٩٢- جای در گر میانه دریاست از چه معنیست دست او دربار و معناه:

- و مکان الدر و الالکی کائن فی وسط البحر، و لکن ... یا عجبا ... لماذا تمطر يده الدر و الجواهر ...!.

[«حسن التعليل»]

و البيت التالي فيه الإجابة على السؤال السابق و هو تمثيل للصنعة المعروفة ب «حسن التعليل» حيث يفسر الشاعر حقيقة واقعة بعلة خيالية أو شعرية:

٩٣- رغم دریا که بخل می ورزداو کند مال بر جهان ایثار و معناه:

- و برغم البحر الذي يؤثر البخل و يرضن بما فيه، فإنه يؤثر الدنيا بماله و جزيل عطائه

فهننا نجد أن جود الملك سببه ما يشعر به من كراهية لبخل البحر و شحه، و البحر في العادة معروف بكرمه حتى أصبحوا يصفون الكرم بأنه «دریادست» أي له يد تجود بالعطاء كالبحر.

و مع ذلك فالبيت التالي في رأيي أجمل في تمثيل هذه الصنعة من البيت السابق:

حسن ماه را با تو سنجیدم بمیزان قیاس پله مه بر فلک شد، و تو ماندی بر زمین و معناه:

- لقد وزنت بميزان القياس حسن القمر مع حسنك، فشالت كفة القمر و ارتفعت إلى السماء، بينما بقيت كفتك أنت على الأرض

[«الطرد و العكس»]

و الصنعة التالية هي «الطرد و العكس» و هي عبارة عن تغيير مواضع العبارات في المصراع الأول و ذكرها معكوسة في المصراع الثاني:

٩٤- چه شکار است نزد او چه مصافح چه مصافست پیش او چه شکار

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٨٩

و معناه:

- و سواء لديه الخروج للصيد او الخروج لميادين القتال، و سواء لديه ميادين القتال أو الخروج للقتل و الصيد.

[«المكرر»]

و البيتان التاليان تمثيل لصنعة «المكرر» و هي شبيهة بالصناعات التي أسماها «پننهام» باسم Epanalepsis و Anadiplosis و Epizeuxis و خاصة النوع الأخير الذي من أمثله قولهم:

It was Maryne, Maryne that wrought mine woe-

و قولهم:

The chefcst staff of mine assured stay With no small grief is gone, is gone away-

و قول «السير و النثر رالي»:

With wisdom's eyes had but blind fortune seene-

.Then had my love, my love for ever beene

٩٥- بدره بدره دهد بسائل زردجله دجله كشد بيزم عقار

٩٦- گشته زان بدره بدره بدره خجل برده زان دجله دجله دجله بسار و معناها:

- و هو يعطى السائل بدره بدره، و يجلب العقار إلى الحفل دجله دجله

- و قد أصبحت كل بدره خجلة من بدراته. و اغتنى دجله من فرط منحه و هباته

[«حسن الطلب» و «حسن المقطع»]

و الأبيات الأربعة الأخيرة من القصيدة تمثيل للصنعتين اللتين تسميان ب «حسن الطلب» و «حسن المقطع»

٩٧- خسروا ... با زمانه در جنگم که بغم من گدازدم هموار

٩٨- چه بود گر کف تو برگیرداز میان من و زمانه غبار

٩٩- تا عیان است مهر را تابش تا نهان است چرخ را اسرار

١٠٠- روز و شب جز سخا مبادت شغل سال و مه جز طرب مبادت کار و معناها:

- أيها المليك ... إني دائم الكفاح مع الزمان،

لأنه يذيني دائما في نار الغوم و الأخران.

- فماذا عليك لو استطاعت يدك القدرة، أن ترفع ما بيني و بين الزمان من غبار و نثار

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٩٠

- و ما دام ضياء الشمس مرثيا للعيان، و ما دامت أسرار الفلك خافية عن التقرير و البيان

- فإني أدعو الله ... ألا يكون لك شاغل طوال الليل و النهار سوى السخاء، و ألا يكون لك عمل تعلمه طيلة السنين و الشهور غير

الطرب و الهناء

و قد اشتملت القصيدة السابقة على أكثر أنواع الصناعات البديعة و أهمها،

و لكن هناك أنواعا أخرى يمكن أن يطلع عليها الباحث المتعمق

إشارة

فيما كتبه «جلادوين» و «روكوت» و يجدر بنا أن نضيف إلى ما ذكرناه الأنواع الآتية:-

١- التاريخ:

و هو عبارة عن أن يذكر الشاعر أو الكاتب تاريخ حدث من الحوادث في عبارة أو مصراع أو بيت بحيث إذا حسبت الحروف التي تتضمنها العبارة أو البيت بحساب «أبجد» أو الجمل خرج لنا التاريخ المذكور.

و ربما كان خير أداء بالإنجليزية لمثل فارسي لهذه الصنعة هو ما قام به «هرمان بيكنل» مترجم حافظ حينما ترجم «التاريخ» المشهور الذي يذكر سنة وفاة حافظ في البيت الآتي:

چو در خاک مصلی ساخت منزل بگو تاریخش از «خاک مصلی».

و معناه:

- و لما كان قد جعل مقامه في «أرض المصلی» فابحث عن تاريخه في عبارة «خاک» «١» مصلی - ٦٠٠

١- ا

ک- ٢٠

م- ٤٠

ص- ٩٠

ل- ٣٠

ی- ١٠

المجموع - ٧٩١ أى سنة ٧٩١هـ - ١٣٨٩ م

(١) المترجم: كلمة «خاک» بالفارسية بمعنى أرض أو تراب و «المصلی» مكان في شيراز به مدفن حافظ

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي / تعريب، النص، ص: ٩١

و صعوبة «التاريخ» في اللغة الإنجليزية أن سبعة من أحرفها فقط هي التي لها قيمة حسابية و هي الأحرف: X و M و V و I و D و C و مع ذلك فقد استطاع «بيكنل: Bicknell» أن يتغلب على هذه الصعوبة و أن يؤدي البيت الفارسي بالعبارة الإنجليزية الآتية:-

Thrice take thou from MUSALLA'S EARTH) M G L G L- ١١٠٠ (ITS RICHEST GRAIN(I G I G C
(G I- ١٠٣* ٣- ٣٠٩

فإذا طرحنا ٣٠٩ من ١١٠٠ كان الناتج ٧٩١ و هو تاريخ وفاة حافظ «١».

٢- التلميح

التلميح من أجمل الصناعات البلاغية و أحسنها،

و هو عبارة عن الإشارة إلى قول مأثور أو حكاية مشهورة أو بيت معروف من الشعر

و أمثاله في الإنجليزية ما ورد في: Ingoldsby Legends حيث يقول:

Such a tower as o poet of no maen calibre I once knew and loved poor, dear Reginald
Heber, Assigns to oblivion a den for a she- bear

فالتلميح هنا في قول «هير» في قصيدته «فلسطين».

And cold Oblivion midst the ruin laid, Folds her dank wing beneath the ivy shate-

و من أجمل أمثله الفارسية ما ورد في «بستان» الشيخ سعدي «٢» حيث يقول:

چه حاجت که نه کرسیء آسمان نهی زیر پای قول ارسالان و معناه:

- و ما الحاجة إلى أن تضع الكراسي التسع للسموات، تحت أقدام قول ارسالان !!!

و التلميح هنا إلى قول «ظهر الفارياي»: «١»:

(١) انظر جملة من التأريخات الأوربية في ص ٢٣- ٢٥ من كتاب: Morgan's Macaronic Poetry

و من أجمل و أبسط هذه التأريخات تسجيل وفاة الملكة اليبابا في العبارة الإنجليزية الآتية:-
My day is closed in (Immortality) MDCIII- A. D ١٦٠٤

و كذلك تاريخ وفاة «مارتن لوتر» في عبارة لاتينية تسجل سنة ١٥٤٦ م

(٢) أنظر ص ٢٨ من طبعة جراف: Graf.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي / تعريب، النص، ص: ٩٢ نه كرسى فلک نهاد انديشه زیر پای تا بوسه بر ركب قول ارسالان نهاد و معناه: إن الفكر قد وضع تحت أقدامه كراسي الفلك التسعة حتى يقبل ركب «قول ارسالان».

و كان «عبيد الزاكاني» من أشهر شعراء التهكم بين الفرس، و قد توفي قبل «حافظ» بما يقرب من عشرين سنة. و له فيما نظم «مثنوية» لا زالت تدرس للأطفال في إيران عنوانها «الفار و القظ: موش و كربة» و هو يصور فيها قظا عجوزا يلبس لبوس الصلاح و التقوى ليخدع

الفتران و يتمكن من اصطيادها؛ و قد ذهب الفتران إلى ملكهم يخبرونه إن القظ قد تاب و أناب و اشتغل بالتقوى و الصلاح.

مؤدگانا ... که گریه زاهد شدعابد و مؤمن و مسلمانا ...!! و معناه:

- البشرى البشرى ... لقد تاب القظ و أصبح زاهداعبادا ... مؤمنا ... مؤمنا ...!! و قد اشتهرت هذه القصة بحيث أضحت عبارة «كربة زاهد شد» أى «لقد تاب القظ و أصبح زاهدا» من العبارات التي يشيرون بها إلى كل أئيم زعيم يتظاهر بالتقوى و الصلاح ليخدع من

حواله و يستطيع جمع ما يشتهي من مكاسب و مغانم؛ و لقد لمح «حافظ» إلى هذا القول في بيته المشهور:

أى كبك خوش خرام !!.. كجا ميروي ؟.. بايست ..اگره مشو كه «گره عابد» نماز كرد!! و معناه:

- فیا آیتها القطة التي تختال في مشيتها ... إلى أين تذهبين .. قفى .. ولا تتخدي إذا حفظ العابد بين المصلين «١» !!..

صعوبة استعمال التلميح في الأشعار الإسلامية:

و التلميحات من أصعب المسائل التي يصادفها الباحث الأوربي الذي يشتغل بأداب

(١) المترجم: أنظر الغزل ١١١ من «أغاني شيراز».

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٩٣

اللغات الفارسية أو العربية أو التركية أو الإسلامية على العموم. ذلك لأن الثقافة التاريخية أو الأدبية التي يشترك فيها المتعلمون في البلاد الإسلامية، تختلف تمام الاختلاف عن مثيلتها لدى الأوربيين والأمم المسيحية. وقد نتج عن ذلك أن التلميح مثلا إلى آية قرآنية يكون ظاهر الدلالة والوضوح للرجل المسلم المتعلم، بينما يتكلف القارىء المسيحي جهدا كبيرا للتحقق من مصدره والوصول إلى دلالة، و أنا أكتفى بمثل واحد لبيان هذه الصعوبة، ربما كانت قصته متحللة ولكن دلالة كافية فيما نريد.

و خلاصة الخبر أن «الفردوسي» حينما غضب على السلطان «محمود الغزنوي» لعدم تقديره لملمحته الرائعة «الشاهنامه» كتب هجوية لاذعة «١» تركها لدى واحد من أصحابه و أخبره ألا يذيعها إلا بعد فترة من الزمن يتمكن فيها من الذهاب إلى طبرستان و الاحتماء بحاكمها «الاصهيد شيرزاد» «٢» فلما ذاعت هذه الهجوية و قرأها السلطان محمود امتلا غيظا و حقا على قائلها و أرسل إلى أمير طبرستان يطلب إليه تسليم الفردوسي، و هدده بأنه سيحرف عليه بأقواله و يخرب بلاده و دياره، و يقتل شعبه و رجاله، إذا هو امتنع عن إجابته إلى مطلبه، فلما وصلت الرسالة إلى الأمير اكتفى بأن يكتب على ظهرها الحروف الثلاثة «ل. م. م». ثم بعث بها ثانية إلى السلطان محمود. و قد قيل أن السلطان لم يفهم في البداية قصده من كتابة هذه الأحرف، و لكن وزراء و رجال حاشيته تبنوا على الفور مقصده، و علموا أنه يشير تلميحا إلى ما أصاب «برهه» عند ما اعتمد على أقواله و أراد أن يعتدى على «مكة» في نفس السنة التي ولد بها النبي (صلى الله عليه و سلم) و هي السنة التي عرفت فيها بعد بسنة الفيل. و قد نزلت في «أصحاب الفيل» سورة قصيرة هي سورة الفيل و في مطلعها هذه الأحرف الثلاثة «ل. م. م» كما يبدو من آياتها القرآنية الآتية:

«أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلْنَا رَبَّكَ بِأَحْبَابِ الْقَيْلِ، أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّلٍ، وَ أَرْزَقْنَا عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ، فَجَعَلْنَاهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ».

و قد كان التلميح إلى هذه الآيات القرآنية وافيًا بالغرض حتى ليقال أن السلطان محمودا انثنى عن عزمه و رجع عن تهديده!

(١) هذه الهجوية موجودة في مقدمة النسخ المطبوعة من الشاهنامه.

(٢) بعض المصادر تسميه «شهریار بن شرزین».

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٩٤

و لا شك أن إبداء المهارة في اقتباس الآيات القرآنية أو التلميح إليها يعتبر من أجمل الصناعات التي يعجب بها المسلمون عامة و التي تحتل مكانة أثرية في قلوبهم.

و سنتتبع في الفرصة ثانية للحديث عن هذا الموضوع في نهاية هذا الفصل.

٣- التصحيف:

و التصحيف من أجمل الصناعات. و هو عبارة عن تغيير مواضع النقط التي تستعمل في كثير من حروف الأبجدية العربية، فإذا تغيرت مواضع هذه النقط و بقي بناء الأحرف على شكلها الأصلي تغير معنى العبارة «المصحفة» تغيرا تاما. و من أمثله ما ورد في «بستان الشيخ سعدي» «١».

مرا بوسه گفته بتصحيف ده كه درويش را توشه از بوسه به و معناه:

- إعطيت قلبه «بوسه» مع تصحيفها

فإن الزاد «توشه» خير للدرويش من القبله «بوسه» «٢»

و لا يمكن التمثيل لهذا الضرب من الصناعة إلا باستعمال الحروف العربية، و لو لا ذلك لاستشهدت بقصيدة رائعة أوردها «رشيد الدين» في كتابه «حدائق السحر» «٣».

لو صحفت آياتها لتغير معنى كل منها و انتقل مغزاها من المدح و الثناء إلى القدح و الهجاء. فمثلا لو أخذنا المصراع الذي يقول فيه:

* هست در أصلت بلندی بی خلاف*

و معناه:

* و الرفعة في أصلك بلا خلاف*

ثم صحفناه لأصبح المصراع:

(١) صفحة ١٦٦ من طبعه جراف.

(٢) المترجم: كلمة «بوسه» في الفارسية بمعنى قبله، و كلمة «توشه» بمعنى زاد أو قوت.

(٣) المترجم: أنظر ص ١٧٠ من ترجمتي العربية لكتاب «حدائق السحر».

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٩٥ * هست در أصلت پلیدی بی خلاف*

و معناه:

* و الضعة في أصلك بلا خلاف*

٤- الهجو و الجواب:

و لقد يبدو في هذه المرحلة أنه من الواجب علينا أن نتحدث في إجمال عن الهجو Satire و الجواب Parody.

أما الهجو فقد كان لدى العرب، منذ جاهليتهم، من أقوى الأسلحة التي يتزودون بها، و كان الشعراء يذكرون في قصائدهم المعروفة

باسم «المثالب» كل ما ينسب إلى خصومهم من دواعي الخزي والعار وأسباب الشين والسنار؛ وربما كانت هجوية «الفردوسي» في السلطان محمود- وهي التي أشرنا إليها فيما سبق- من أوائل القصائد الفارسية التي قبلت في الهجاء. وهذه القصيدة لأدعة حقا ولكنها خالية من عبارات الفحش والإقذاع التي تشوه كثيرا من الهجويات العربية والفارسية على السواء وفيما يلي ترجمة الأبيات الخمسة الأولى من أبياتها:

- و لظالما بذلت في إكمال الشاهنامه الجهود المضنية والسنين الطويلة
- لكي يهني الملك نقوده الوفيرة و عطايه الجلييلة
- فلم يعطني شيئا إلا الضجر والعناء، ولم أفز منه بشيء إلا التافه الهباء !!!
- و لو كان والد الملك من أصل ملكي عزيز
- لتوج رأسي بتاج من الذهب الخالص الإبريز !!!
- و لو كانت أمه سيدة كريمة الأصل عالية القدر،
- لأغرقتني إلى ركبي في ذهب و فضة بغير حصر !!!
- و لكنه محروم من كل عظمة في أصله و نجاره
- و من أجل ذلك لم يستطع أن يسمع أسماء العظمة في أسمازه «١» !!!

(١) المترجم: فيما يلي النص الفارسي هذه الأبيات نقلا عن تذكرة الشعراء ص ٥٣

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٩٦

ولمن شاء أن يعرف مثلا- من أمثلة الفحش الذي يحط من قيمة كثير من الهجويات الفارسية أن يقرأ في دقة وتمعن مجموعة الهجويات المنظومة التي تبودلت في العراق الذي نشأ بين الشاعر خاقاني (المتوفى في سنة ١١٩٩ م- ٥٩٦ هـ) وبين أستاذه و معلمه «أبي العلاء الكنجوي» وهذه الهجويات منشورة مع ترجمتها في المقال الممتع الذي نشره «خانقوفا» بعنوان «مقالة عن خاقاني الشاعر «١» الفارسي في القرن الثاني عشر»، وفيما يلي الرباعية التي قالها «أبو العلاء» فافتح بها هذا النزاع المستطير الذي وقع بين الشاعرين، وهذه الرباعية هينة يسيرة إذا قورنت بما تلاها من منظومات شديدة الفحش، و من أجل ذلك فالمقام يسمح لي بترجمتها، أما نصها الفارسي فكما يلي:

خاقاني گر چه سخن نیک دانیا یک نکته گویمت بشنو رایگانیا

هجو کسی مکن که ز تو مه بود بسن باشد که پدر بودت تو ندانیا و أما ترجمتها فكما يلي:

- یا خاقانی ... إنک ماهر فی صناعة الأشعار و الکلام

و لكن دعني أحدثك بمسألة دقيقة و استمعها مني مجانا تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب النص ٩٦ -

الهجو و الجواب: ص: ٩٥

حذار أن تهجو بعد اليوم من يكبرك سنا، فلعله أن يكون أباك و أنت لا تعلم ذلك!!

أما الهجوية التي يتضمنها البيتان التاليان فرما كانت أفضل أنموذج صادفته للهجويات الفارسية المهذبة التي لا يبلغها اللوم و لا يصيبها التجرع؛ و هذان البيتان منسوبان للشاعر «كمال بن اسماعيل الأصفهاني» الذي قتل المغول عند غارتهم على

بسی سال بردم بشهنامه رنج که تا شاه بخشد مرا تاج و گنج

بجز خون دل هیچ چیزم ندادندش حاصل من ازو غیر باد

اگر شاهرا شاه بودی پدربر بر نهادی مرا تاج زر

اگر مادر شاه بانو بدی مرا سیم و زر تا بزانو بدی

چو اندر تبارش بزگی نبودنیارست نام بزرگان شنود

(١) أنظر

.. Memoire sur Khacani. par N. de Khanikof; Paris. ١٨٦٥

و هذا المقال منشور أيضا في «المجلة الآسيوية» عدد أغسطس سنة ١٨٦٤.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٩٧

أصفهان في سنة ١٢٣٧-١٣٣٨ م- ٦٣٥ هـ، و نصهما الفارسي كما يلي:

گر خواجه ز بهر ما بدی گفت ما چهره ز غم نمی خراشیم

ما غیر نکونیش نکونیم تا هر دو دروغ گفته باشیم و معناهما:

- إذا كان السيد قد تحدث في شأنى بالشر و سوء الكلام فإنتى لن أطم من أجل ذلك الخدود في حزن و اغتمام !!!

- و لن أتحدث في شأنه إلا بالخير و الإحسان حتى يصبح كل منا مشهورا بالزور و البهتان !!! أما «الجواب» فقد يكون «معارضة» لقصيدة أخرى أو مجرد تقليد لها و في هذه الحالة يسمى «نظيرة».

و أشهر شعراء المعارضة الذين ظهروا في إيران هم:

١- عبيد الزاكاني: الشاعر الساخر الذي توفي حوالي سنة ١٣٧٠ م- ٧٧٢ هـ و قد نشرت جملة منتخبة من آثاره المنظومة و المتنورة في مدينة القسطنطينية في سنة ١٨٨٥ م- ١٣٠٣ هـ.

٢- أبو إسحاق الشيرازي: و يعرف أيضا باسم «بسحق الشيرازي» شاعر الأطلعة.

٣- نظام الدين محمود القاري اليزدي: شاعر الألبسة.

و قد نشرت طائفة منتخبة من آثار الاثنين الأخيرين في القسطنطينية أيضا في سنة ١٣٠٣ هـ.

و ليس من شك، أن أول هؤلاء الشعراء كان أكثرهم تفوقا في فنه بحيث يمكن أن يعتبر أكبر شعراء الهكم بين الفرس. و قد امتاز بعلو كعبه في النثر و الشعر، و سبب المجال للحديث عنه في تفصيل عندما نصل إلى الحديث على العصر الذي عاش فيه.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٩٨

التشبهات و الاستعارات تسودها روح المحافظة:

و الحديث عن البلاغة لدى المسلمين يطول و يتشعب و يتسع لأكثر مما أوردته فيما سبق من صفحات، و لكن المجال يمنعني من أن أضيف إليه شيئا الآن. و ربما كان من الخير أن أرجع القارىء الذى يرغب في مزيد من الإيضاح إلى الكتب التى كتبها فى هذا الموضوع «جلادوين» و «روكوت» و «جب» و «بلوخمان» و إلى كتاب المسلمين أنفسهم الذين ألفوا كثيرا فى مثل هذه الموضوعات. و مع ذلك أرى لزاما على أن أتحدث باختصار عن كتاب كبير الفائدة لكل مشغول بالشعر الغزلى لدى الفرس و أقصد به كتاب «أنيس العشاق» تأليف «شرف الدين رامى» الذى عاش فى النصف الأخير من القرن الرابع عشر الميلادى (- القرن الثامن الهجرى) و موضوع هذا الكتاب يقتصر على الحديث على التشبيهات التى يستعملها الكتاب فى وصف قسمات المعشوق و معالم حسنه و قد ترجمه إلى الفرنسية و علق عليه الأستاذ «كليمان اويار»: Clement Huart → أستاذ اللغة الفارسية فى مدرسة اللغات الشرقية الحية و طبعه، فى باريس سنة ١٨٧٥ م.

و هذا الكتاب يشتمل على تسعة عشر فصلا يتحدث فيها مؤلفه عن الموضوعات التالية بهذا الترتيب:

الشعر - الجبين - الحواجب - العيون - الأهداب - الوجه - الصدغ - الخال - الشفاء - الأسنان - الفم - الذقن - الرقبة - الصدر - السواعد - الأصابع - القد - الوسط - الأقدام.

و يبدأ المؤلف فى كل فصل من فصول الكتاب بذكر الأسماء المختلفة التى يطلقها العرب و الفرس فى تسمية العضو الذى يتحدث عنه، ثم يفرق بين دلالات هذه التسميات كلما ساعده المجال على ذلك، ثم ينتقل إلى ذكر الاستعارات التى يستعملها الكتاب و الشعراء لهذا الجزء من الجسم، و ما يتصل به من أوصاف، مراعىا فى ذلك أن يسوق الأمثلة و الشواهد الكثيرة من أقوال الشعراء المختلفين.

تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٩٩

فالحاجب مثلا- يسمى فى الفارسية «ابرو» و هو إما متصل أى مقرون، أو منفصل أى مفروق؛ و اتصاله يعتبر من دلالات الحسن و الجمال، و شعراء الفرس يستعملون فى الحديث عنه ثلاثة عشر تشبيها و استعارة؛ فهم يصفونه بأنه «الهلل» أو «القوس» أو «قوس قزح» أو «العقد المقوس» أو «المحراب» أو «حرف ن» أو «حرف ك» أو «رأس الصولجان المعقوف» أو «الوسم» الذى يسمن به الخيل و الماشية لمعرفة أصحابها أو «الطغراء» التى يتوجون بها مراسم الحسن و الجمال. فإذا تحدث المؤلف عن «الشعر» وجدنا أن الاستعارات و التشبيهات التى يجيزها الاستعمال تزيد على هذا العدد بكثير، و قد ذكر المؤلف أنها تبلغ الستين فى الفارسية و لكن من الجائز أن تزيد على ذلك لأن «الشعر» كما يقولون يتصف بمائة صفة، أوردتها المؤلف فى تفصيل فاتق جميل.

الشعر الإسلامى تسوده روح المحافظة:

و المحافظة فى الشعر لا تقتصر على أوزانه و قوافيه و إنما تمتد إلى صميم موضوعاته، و إلى ما يشتمل عليه من مقابلات و تشبيهات و استعارات و محسنات بديعية و ما إلى ذلك من سائر الأمور التى تعارف عليها المسلمون منذ القرنين الحادى عشر و الثانى عشر الميلاديين (الخامس و السادس الهجريين). و هذا القول ينطبق خاصة على «القصيدة» بمعناها الفنى؛ و من هنا نجد أن تقدير الأوروبين للشاعر الفارسى و عظمته، يختلف فى أغلب الأحيان عما يتخذ عليه الرأى لدى مواطنيه. ذلك لأن جمال الأفكار وحدها هى التى يمكن المحافظة عليها عند الترجمة، بينما يخفى جمال الأسلوب مهما كان المترجم ماهرا أو قادرا. و من هنا نجد أن «عمر الخيام» الذى لا يرقى به مواطنوه إلى شعراء الدرجة الثالثة، قد ذاع صيته فى أوروبا أكثر من غيره من شعراء بنى جلده، بينما بقى شعراء القصاص مثل «الأثنورى» و «الخاقانى» و «ظهير الفارابى» مجهولين حتى بأسمائهم لدى أهل الغرب، رغم ما فازوا به من تقدير كبير لدى مواطنهم من الفرس.

تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٠٠

أساس النقد فى الموضوع و الأسلوب:

و قد جرى شعراء العرب يتكروا الذين عاشوا فى العصر الكلاسيكى، و أقصد به العصر الجاهلى و عصر النبى و الخلفاء الراشدين و العصر الأموى، على طبيعتهم و سلبتهم فلم يتأثروا بشيء من المؤثرات الخارجية، و ظلوا صورة صادقة للوسط الذى يعيشون فيه بحيث أن الصعوبة التى نقابلها فى فهم أشعارهم ترجع أساسا إلى عدم معرفتنا بهذا الوسط، لا إلى ما تشتمل عليه أشعارهم من تشبيهات بعيدة أو استعارات خيالية خافية؛ لأن هذه الأشعار فى الحقيقة سليمة التعبير، تفيض على طبيعتها دون أن يفسدها عامل من عوامل التأثير و التعقيد.

و لو رجعنا إلى «العصر الأموى» لوجدنا أن قواعد النقد كانت تبنى على الأفكار و المعانى التى تشتمل عليها المنظومات لا على صياغتها و أسلوبها، و يبدو لنا ذلك واضحا من القصة المروية فى الكتاب الممتع الذى أسماه «الفخرى ١» فى التاريخ و خلاصتها أن عبد الملك (الخليفة الأموى الذى حكم من سنة ٦٨٥ - ٧٠٥ م - ٦٦ - ٨٦ هـ) التفت يوما إلى جلسائه فسألهم: ما تقولون فى قول القائل:

أهيم بدعد ما حبيت فإن أمت فوا حريا ممن يهيم بها بعدى قالوا: «معنى حسن»

قال: «هذا ميت كثير الفضول...! ليس هذا معنى جيدا...»

قالوا: «صدقت»

قال: «فكيف كان ينبغي أن يقول..؟»

فقال رجل منهم: كان ينبغي أن يقول:

أهيم بدعد ما حبيت فإن أمت أو كل بدعد من يهيم بها بعدى قال عبد الملك: «ما أحسن...!!»

قالوا: «فكيف ينبغي أن يكون..؟»

قال: «كان ينبغي أن يقول:

(١) المترجم: أنظر ص ١١٤ من كتاب «الفخرى» فى «الأدب السلطانية و الدول الإسلامية» طبع طبعه المعارف بمصر سنة ١٩٢٣.

تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٠١ أهيم بدعد ما حبيت فإن أمت فلا صلحت دعد لدى خلة بعدى قالوا: «أنت يا أمير المؤمنين أشعر الثلاثة...!!».

فهذه القصة تدلنا دلالة قاطعة على أن الأمر كله كان وقفا على الأفكار و المعانى لا على الألفاظ و الأساليب.

ابن خلدون و رأيه فى الأسلوب:

و الآن ... فلننظر إلى ما قاله أكبر مؤرخى العرب الفيلسوف الشهير «ابن خلدون» (المولود فى تونس سنة ١٣٣٢ م - ٧٢٢ هـ. و المتوفى

في القاهرة سنة ١٤٠٦ م - ٨٠٩ هـ) فهو يقول في الفصل الثامن والأربعين من مقدمته تحت عنوان «فصل في أن صناعة النظم والنثر إنما هي في الألفاظ لا في المعاني» ما نصه «١»:

«اعلم أن صناعة الكلام نظماً ونثراً إنما هي في الألفاظ لا في المعاني، وإنما المعاني تبع لها وهي أصل. فالصانع الذي يحاول ملكة الكلام في النظم والنثر إنما يحاولها في الألفاظ، يحفظ أمثالها من كلام العرب ليكثر استعماله وجريه على لسانه، حتى تستقر له الملكة في لسان مضر، ويتخلص من العجمة التي ربي عليها في جيله، ويفرض نفسه مثل وليد ينشأ في جبل العرب ويلقن لغتهم كما يلقنها الصبي حتى يصير كأنه واحد منهم في لسانهم؛ وذلك أنا قدمنا أن للسان ملكة من الملكات في النطق يحاول تحصيلها بتكرارها على اللسان حتى تحصل له. والذي في اللسان والنطق إنما هو الألفاظ، وأما المعاني فهي في الضمائر. وأيضاً فالمعاني موجودة عند كل واحد وفي طوع كل فكر منها ما يشاء ويرضى، فلا تحتاج إلى صناعة، وتأليف الكلام للعبارة عنها هو المحتاج للصناعة كما قلنا، وهو بمثابة القوالب للمعاني؛ فكما أن الأواني التي يغترف بها الماء من البحر منها آتية الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف، والماء واحد في نفسه، وتختلف الجودة في الأواني المملوءة بالماء باختلاف جنسها لا باختلاف الماء؛ كذلك جودة اللغة وبلاغتها في الاستعمال تختلف باختلاف طبقات

(١) المترجم: أوردت الأصل نقلاً عن مقدمة ابن خلدون طبع بيروت سنة ١٩٠٠ م، ص ٥٧٧.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٠٢

الكلام في تأليفه باعتبار تطبيقه على المقاصد، والمعنى؟؟؟ وإنما الجاهل بتأليف الكلام وأسايبه على مقتضى ملكة اللسان؟؟؟ عن مقصوده ولم يحسن، بمثابة المقعد الذي يروم النهوض ولا يستطيع؟؟؟ لفقدان القدرة عليه.

ويستمر «ابن خلدون» بعد ذلك في دراسة مسهبة لهذه الأساليب التي تصوغ فيها أفكارنا فنكتسب بها بهجة وجمالاً، ثم ينصح القارئ بأن يحتذى في عبارته أساليب الشعراء الجاهليين من العرب، وكذلك أساليب «أبي تمام» الشاعر الذي جمع ديوان الحماسة وتوفي في منتصف القرن التاسع الميلادي (- منتصف الثالث الهجري) و«كلثوم بن عمر العتابي» الذي نشأ على عهد «هارون الرشيد» و«ابن المعتز» الذي تولى الخلافة يوماً واحداً انتهى بمقتله في سنة ٩٠٨ م - ٢٩٦ هـ. و«أبي نواس» شاعر الرشيد المعروف بالعبث و«الدعابة» و«الشريف الرضي» المتوفى سنة ١٠١٥ م - ٤٠٦ هـ. و«عبد الله ابن المقفع» المحموس الأصل الذي قتل في سنة ٧٦٠ م - ١٤٣ هـ. و«سهل بن هارون» المتوفى سنة ٨٦٠ م - ٢٤٦ هـ.

و«ابن الزيات» الوزير الذي قتل في سنة ٨٤٧ م - ٢٣٣ هـ. و«بديع الزمان الهمداني» مؤلف المقامات المتوفى سنة ١٠٠٨ م - ٣٩٩ هـ. و«الصابي» مؤرخ الدولة البويهية المتوفى سنة ١٠٥٦ م - ٤٤٨ هـ.

ثم يستمر «ابن خلدون» فيقول إن الذي يحذو حذو هؤلاء ويحفظ مؤلفاتهم لا بد بالغ بأسلوبه أجمل العرابت، وسيبرز بغير شك عن يحتذى حذو كتاب القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين (- السادس والسابع الهجريين) من أمثال «ابن سهل» و«ابن النيه» و«البيصاني» و«عماد الدين الكاتب الأصفهاني» ثم يأخذ «ابن خلدون» بعد ذلك في تعريف «الشعر» وفقاً لما أبداه من آراء فيقول «١»:

«الشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف، المفضل بأجزاء متفقة في الوزن والروي، مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده، الجاري على أساليب العرب المخصوصة به».

وقبل ذلك بصحيفة تقريباً شبه «ابن خلدون» الناثر أو الشاعر لمهندس

(١) انظر ص ٥٧٣ من مقدمة ابن خلدون طبع بيروت أو ص ٣٣٥ جزء ٣ من طبعة كاترمير في باريس سنة ١٨٥٨ م.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٠٣

أو النسيج، لأن حاله شبيهة بحالهما في وجوب احتذاء كل منهما لنموذج أو قالب أو منوال يجعله نصب عينه وغاية أملة؛ وهو من أجل ذلك يميل إلى اتباع رأي جماعة من النقاد يرون استبعاد «المتنبي» و«أبي العلاء المعري» من زمرة أساطين العربية لا لشيء إلا لأن كلا منهما كان نسج وحده ولم يتقيد بأساليب العرب التي أقرها الاستعمال الطويل المستمر.

روح المحافظة في أساليب الشعر والنثر في الفارسية:

فإذا رجعنا بعد ذلك إلى الفرس - وهم تلاميذ العرب المخلصون - وجدنا أن ما ذكرناه في هذا الصدد عن العرب ينطبق عليهم أيضاً تمام الانطباق. وصاحب كتاب «جهاز مقاله» «١» يذكر أن: كاتب الديوان لا يبلغ شأواً عالياً في صناعته حتى يأخذ بطرف من كل علم، وحتى يتلقى النكات الرقيقة من أفواه الأستاذة المبرزين، وحتى يستمع إلى لطائف الحكماء الماهرين، وحتى يقبض طرائف الأدباء المقاديرين؛ ومن أجل ذلك وجب على كل من يريد التبريز في الكتابة أن يقرأ في العربية كلام رب العزة وأخبار المصطفى وآثار الصحابة وأمثال العرب وكتابات «الصاحب إسماعيل ابن عباد» و«الصابي» و«قدامة بن جعفر» و«بديع الزمان الهمداني» و«الحريري» وجماعة آخرين من الكتاب؛ وكذلك أشعار «المتنبي» و«الأسيبوردي» و«الغزي»... وعليه في الفارسية أن يقرأ «قابوس نامه» الذي ألفه «كيكاوس» حاكم طبرستان من آل زيار في سنة ١٠٨٢ م - ٤٧٥ هـ. و«الشاهنامه» من نظم الفردوسي وأشعار «الرودي» و«العنصرى».

وما زالت المغالاة في المحافظة واتباع القديم تسيطر على كل الأمور الأدبية المتصلة بإيران دون أن يصيبها شيء من الضعف أو التراخي. ولكن المدرسة الحديثة في تركيا استطاعت أن تنتصر عليها انتصاراً مؤزراً بفضل المجهودات التي بذلها «ضيا باشا» و«كمال بگ» و«شناسي افندي». وفي الحقيقة، إن روح المحافظة هذه قد

(١) المترجم: انظر ١٣ من «جهاز مقاله» طبع ليدن سنة ١٩٠٩ م حيث يقول بالفارسية:

«أما سخن دبير بدین درجه نرسد تا از هر علم بهره ندارد، و از هر استاد نکته یاد نگردد، و از هر حکیم لطیفه نشنود، و از هر ادیب طرفه اقتباس نکند».

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٠٤

وقفت حجراً عثرة في سبيل الخلق والإبداع، وكانت سبباً في التكرار الممل في الموضوعات والأساليب وطرق الأداء؛ ولكنها من ناحية أخرى كانت العامل الأكبر في حفظ اللغة الفارسية وحمايتها من التبدل الذي أصاب أحياناً لغتنا الإنجليزية وغيرها من اللغات الأوروبية بفعل العباقرة الشاردين الذين لم يتفقدوا بمراعاة القديم ولم يظفروا بيسقط وافر من الدقة والمران.

التصنع صفة عارضة في الاساليب الفارسية:

و من الحق أن نقرر هنا أن الأساليب الفارسية كانت كالأصناف العربية تختلف وفقاً للأزمنة والأمكنة. وقد رأينا أن قواعد النقد التي أتبعها «دولشاه» في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي (أى التاسع الهجري) تختلف كثيراً عما أتبعه صاحب «جهاز مقاله» في منتصف القرن الثاني عشر (أى السادس الهجري) بينما نجد أن «ابن خلدون» قد منعه شغفه بالقديم من أن يعجب بالإغراق في استعمال المحسنات البلاغية التي انتشرت في كتابات أهل المشرق وكذلك في كتابات بني جلدهته خلال القرون الثلاثة الأخيرة. ومع ذلك كله فإننا لا نعدم أن تضاد البساطة واليسر في كتابات القدماء والمحدثين من الفرس على السواء، فيما كتبه من نظم أو نثر على السواء، فكتاب «الإيقان» وهو من كتب «البائية» الذي كتبه «بهاء الله» حوالي سنة ١٨٥٩ م يمتاز بمناة الأسلوب وقوته حتى يشبه كتاب «جهاز مقاله» الذي ألف من قبله بسبعة قرون؛ وكذلك المنظومات التي ينظمها الشعراء المعاصرون في «تعزية الحسين» أو الأغاني الشعبية التي تعرف باسم «التصانيف» كل هذه تبلغ في سلامتها وعدم تكلفها مبلغ ما قاله «الرودي» من أشعار جميلة رائعة. بينما نجد أن هذا الأسلوب المتصنع المشحون بالمحسنات البلاغية الذي يعرفه كل من قرأ «أنوار سهيلي» يأخذ في السيطرة على «الأدب الفارسي» كلما كان رعايتها من أصل تركي أو مغولي، حتى يبلغ هذا الأسلوب ذروة مدهاه على أيدي الكتاب والشعراء العثمانيين من أمثال «ويسى» و «نرغسى».

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ١٠٥

الفصل الثاني عصر الدولة الفزنوية منذ بدايته إلى وفاة السلطان محمود الفزنوي

حالة فارس في نهاية القرن العاشر الميلادي «١»:

[الأوضاع العامة في ذلك الوقت]

عند ما أذن القرن العاشر الميلادي (- الرابع الهجري) بالزوال كانت «البلاد الفارسية» ما زالت تابعة إسمياً للخلافة في بغداد؛ وكان الخليفة في ذلك الوقت هو «القادر بالله» وقد طالت مدة خلافته من سنة ٩٩١ م إلى ١٠٣١ م (- ٣٨١ إلى ٤٢٢ هـ). ولكن البلاد الفارسية، في الحقيقة كانت مقسمة في هذه الفترة بين «السامانيين» وعاصمتهم في «بخارى» وبين الديلمية من «آل بويه» الذين تسلطوا على الأقاليم الجنوبية والجنوبية الغربية وأصبح لهم الحكم المطلق في بغداد والسيطرة الفعلية على الخليفة بحيث أضحي في الواقع آله في أيديهم يحركونها كيف يشاءون. يضاف إلى هاتين الدولتين إمارتان صغيرتان حكمتا على التابع في «طبرستان» و «کردستان» وهما «آل زيار» و «آل حسنويه». والظاهر أن هذه الدول جميعها كانت من أصل إيراني (فارسي أو كردي) والظاهر أيضاً أن حكاهم جميعاً لم يلقوا بالقباب «السلطين» وظل الواحد منهم يلقب بلقب «الأمير» أو «الإصفيه» أو «الملك» وفي هذا دلالة كبيرة على أنهم كانوا يعتبرون أنفسهم أمراء على الولايات أو حكاماً على الأقاليم لا تبلغ مرتبتهم مرتبة السلاطين.

(١) أي نهاية القرن الرابع الهجري

(٢) طبرستان القديمة تشمل حالياً مازندران و كيلان أي الإقليم الواقع جنوب بحر قزوين إلى جبال البرز.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ١٠٦

[«البويهيين» «السامانيين» «الزياريين»]

وقد عاصر «البيروني» هذه الدول التي نتحدث عنها واستطاع أن يذكر لنا في تفصيل أصل الدول الثلاث الهامة منها «١». فذكر أن «البويهيين» ينتسبون إلى الملك الساساني «بهرام گور» ولكنه شك في هذا النسب بعض الشك، وقال إن بعض الناس يرجعونهم إلى أصل عربي؛ ومع ذلك فانتسابهم إلى بيت الملك الساساني أو عدم انتسابهم إليه لا يدعوا إلى الشك مطلقاً في جنسيتهم الفارسية الواضحة.

أما «آل سامان» فقد ذكر «البيروني» عنهم إن الإجماع يتعقد على صحة نسبهم إلى «بهرام چوبين» الذي كان مرزباناً على بعض ولايات فارس أثناء حكم الملك الساساني «خسرو پرويز» من سنة ٥٩٠ إلى سنة ٦٢٧ م.

فلما تحدث عن «الزياريين» أرجع نسبهم إلى الملك الساساني «قباد» من سنة ٤٤٨ إلى سنة ٥٣١ م. ولكن يجب ألا يغيب عن بالنا أن شكوك «البيروني» في نسب بعض هذه الدويلات وتأكيداته في نسب بعضها الآخر، ربما كان مرجعه إلى بعض العوامل السياسية التي أملت عليه دائماً أن يبث لنا نبل الأصل الذي انتسب إليه مولاة الكريم وصاحب نعمته «قابوس بن وشمگیر الزباري» الملقب ب «شمس المعالي قابوس»؛ وربما كانت هذه العوامل السياسية نفسها هي التي أوحت إليه أن يرضى مولاة بالدأب في الطعن في نسب «آل بويه». ويؤكد لنا صحة هذا الرأي ما ورد في جزء آخر من كتابه «٢» ذكر فيه «البيروني» أن البويهيين حقيقون بكثير من اللوم والتعنيف لإغراقهم الألقاب الفخمة على وزرائهم، وأن هذه الألقاب ما هي إلا أكذوبة كبرى من أكاذيبهم الكثيرة؛ فإذا انتهى من ذلك مدح مولاة «شمس المعالي قابوس» وذكر أنه لم يختر لنفسه إلا لقباً بسيطاً لا يتجاوز معناه ما اتصف به من صفات عالية رفيعة.

منزلة الأدب في خراسان وطبرستان وجنوب فارس:

كان مقر السامانيين في «خراسان» وكانت هذه الولاية في ذلك الوقت أكثر

(١) أنظر «الآثار الباقية» وكذلك ص ٤٤-٤٨ من ترجمة «سخاو» لهذا الكتاب.

(٢) أنظر ص ١٣١ من ترجمة «سخاو» للآثار الباقية.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ١٠٧

اتساعاً من الولاية التي تعرف بهذا الاسم حالياً، لاشتمالها إذ ذاك على الأقاليم الواسعة من «آسيا الوسطى»؛ وقد قلنا في الجزء الأول من هذا الكتاب إنها مهد الأدب الفارسي الإسلامي. وقد تحدث «التعالی» عنها في حماس فائق فذكر أنها «مثابة المجد، و كعبة الملك، و مجمع أفراد الزمان، و مطلع نجوم أدياء الأرض، و موسم فضلاء الدهر» «١». ومع ذلك فلا يجب أن نتصور أنها فاقت الأقاليم الجنوبية من إيران في الأدب والعلم وعلى الخصوص إقليم «فارس» لأن هذا الإقليم هو في الواقع مهد العظمة الفارسية الحقيقية. والتعالی نفسه يورد لنا بيتين من الشعر قالهما الشاعر «أبو أحمد بن أبي بكر» من أبناء الدولة السامانية الذين عاشوا في نهاية القرن التاسع الميلادي (الثالث الهجري) يتضح منهما أن منزلة «خراسان» كانت تالية لمنزلة العراق في الفضل والعلم «٢». بل ما زال يجري على الألسنة في إيران بيت تافه من الشعر يصم الخراسانيين بأنهم ماجنون مخرجون «٣» (الدنك).

ورغم ذلك كله، كان في «خراسان» بعث اللغة الفارسية الأدبية بعد الفتح الإسلامي، لأنها كانت أقصى ولايات الخلافة وأكثرها بعداً

عن «بغداد» حاضرة «الثقافة الإسلامية» التي ظلت تستعمل اللغة العربية كلغة الأدب المعترف بها في

(١) أنظر ص ٣٣ من الجزء الرابع من يتيمه الدهر- طبع دمشق و كذلك مقالة المستشرق «باربييه دي مينار» في «المجلة الأسبوعية» عدد مارس- أبريل سنة ١٨٥٤ ص ٢٩٣ بعنوان «صورة الأدب في خراسان و ماوراء النهر في القرن الرابع الهجري» و عنوانها الفرنسي. Tableau Litteraire du Khorassan et de la Transoxiane au IVE- siecle de l' Hegire

(٢) المترجم: انظر يتيمه الدهر ج ٤ ص ٣ و نص البيتين كما يلي:

لا تعجبين؟؟؟ من راقي رأيت لهبحرا من العلم أو كنترا من الأدب

و اعجب لمن؟؟؟ ببلاد الجهل منشاؤه إن كان يفرق بين الرأس و الذنب و انظر أيضا مقالة «باربييه دي مينار» التي أشرنا إليها فيما سبق (٣) أنظر كتاب «سنه بين الفرس» ٢٣٢٢ p. A Year Amongst the Persians. و نصه بالفارسية.

از خراسان مثل من الذنگ می آید برون و كلمة «الذنگ» عند الخراسانيين بمعنى فاسق أو فاجر أو شریر.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٠٨

الولايات الممتدة من إسبانيا إلى سمرقند حتى حطم المغول الخلافة في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري).

و كانت «طبرستان» أيضا من الولايات البعيدة الثانية التي استطاعت أن تحتفظ باستقلالها عن خلفاء بغداد و عن حكام السامانيين في «خراسان» طوال المدة التي حكمها فيها قاداتها المعروفون باسم «الإصهيد» «١» ثم البيت العلوي الشيعي ثم آل زیار. و كانت تزدهر فيها ثقافة أدبية رفيعة تدل عليها هذه التبدد الكثيرة التي وردت في أسبق تواريخها الذي ألفه «ابن اسفنديار» في النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري). فقد أشار فيه إلى طائفة كبيرة من التأليفات العربية. و كذلك نقل فيه مجموعة من الأشعار العربية التي أنشدها منشدها في القرنين التاسع و العاشر الميلاديين (الثالث و الرابع الهجريين) و خاصة أثناء حكم أئمتها الزيديين «٢» (٨٦٤-٩٢٨ م- ٢٥٠-٣١٦ هـ) كما ذكر فيه طائفة من الكتب الفارسية من بينها كتاب أو كتابين في اللهجة «الطبرية» الخاصة «٣».

(١) هولاء ظلوا يحكمون طبرستان فترة طويلة بعد الفتح الإسلامي و زوال ملك سادتهم الساسانيين.

(٢) انظر القسم الأول- الفصل الرابع (ورقه ٤٢ب و ما يليها من المخطوط المحفوظ بإدارة الهند، و كذلك صحيفة ٤٢ و ما يليها من ترجمتي الإنجليزية) و فيه يذكر المؤلف ملوك طبرستان و أعيانها و أولياءها و رجالها المشهورين و كتابها و حكماءها و منجمها و فلاسفتها و شعراءها، و قد ذكر من بين شعرائها المشهورين «ابا عمرو» الذي كان يسمى «شاعر طبرستان» حوالي سنة ٨٧٠ م- ٢٥٧ هـ و كذلك «أبا العلاء السروي» و «السيد الأطروش» و قد نسب إلى «السيد أبي الحسين» طائفة من الكتب العربية المثورة، و أورد أسماء خمسة من أهم مؤلفاته.

(٣) يذكر ابن اسفنديار طائفة كبيرة من الأشعار التي قليت باللهجة الطبرية و من بينها الأشعار التي قالها «خرشيد بن أبي القاسم المامطيري» و «باريد الجريدي». و لكن يظهر أن أقدم كتاب في هذه اللهجة هو كتاب «نيكي نامه» الذي أصبح فيما بعد أساسا للكتاب الفارسي «مرزبان نامه» (أنظر كتاب شيفر «مختارات فارسية»- مجلد ٢ ص ١٩٥: Vol. 2. Schefers. Chrestomathie Persane. II. p. ١٩٥. و كذلك نقل «ابن اسفنديار» طائفة من الأشعار الطبرية التي قالها «علي بيروزه» الملقب ب «ديواروز» و كان من المعاصرين لعضد الدولة البويهی (منتصف القرن العاشر الميلادي و الرابع الهجري).

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٠٩

و قد يكون مثارا للحيرة و التساؤل أن نرى أن قدرا قليلا جدا من الأدب الفارسي قد نشأ على أيام «البويهيين» رغم ما نعرفه عنهم من أنهم كانوا فرسا و كانوا شيعة و كانوا من كبار رساء العلوم و الآداب بحيث أصبح من أكثر الأمثلة جريانا على الألسن قولهم: «أبلغ من العبادين» أي من وزيرهم المعروف «الصاحب اسماعيل بن عباد» و مؤرخهم الكبير «الصابي». فإذا لاحظنا أن جملة الأدب الذي نشأ في أكتافهم كان عربيا، لم يمكننا تفسير هذه الظاهرة بأكتر من أنهما كانت نتيجة لازمة لعلاقتهم التي احتفظوا بها مع «بغداد» مقر الخلافة و عاصمة الإسلام. و مع ذلك كله فلن يخامرنا أدنى شك في أن الشعر الفارسي قد نما و ترعرع في قصور البويهيين كما نما و ترعرع عندهم أيضا الشعر العربي. و قد ذكر «محمد عوفي» و هو أقدم من سجل تراجم شعراء الفرس في كتابه «اللباب الألباب» إسمي شاعرين من الشعراء، أنشدا الشعر بالفارسية و كانا محللا لرعاية «الصاحب اسماعيل ابن عباد» و هما «منصور بن علي الرازي» الملقب ب «المنطقي» و «أبو بكر محمد بن علي السرخسي» الملقب ب «الخرسوي». و قد أخبرنا «عوفي» أن أولهما كان مقربا من «الصاحب» و قد قال في مدحه القصائد الفارسية. و نقل لنا «عوفي» بعض أمثلتها و من بينها الأبيات الثلاثة الفارسية التي طلب صاحب من «بديع الزمان الهمذاني» «١» ترجمتها إلى العربية ليختبر قدرته في الكتابة و الإنشاء عند ما قدم إليه و هو في الثانية عشرة من عمره «٢». و أما ثانيهما و هو «الخرسوي» فقد قال شعرا عربيا و فارسيا في مدح الحاكم الزبيري في طبرستان «شمس المعالي قابوس بن وشمگیر» و كذلك في مدح «الصاحب ابن عباد». و نجد أيضا شاعرا ثالثا هو «قمرى الجرجاني» قد تغنى بأشعاره الفارسية في مدح هذا الأمير.

السلطان محمود الغزنوي:

أما مجموعة الشعراء المنشدين؟؟؟ الذين كانت تزاد بهم قصور الفاتح العظم

(١) هو مؤلف «المقامات» التي تعتبر كنزا حاويا لذخائر؟؟؟ اللغة العربية و لا يفضلها إلا مقامات «الحريري»

(٢) أنظر «اللباب الألباب» ج ٢ ص ١٦-١٩.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١١٠

السلطان محمود الغزنوي الذي تولى العرش بعد أبيه «سبكتكين» في سنة ٩٩٨ م- ٣٨٨ هـ. فقد كانت أبعد شهرة و أقوى مكانة من كل من ذكرناه من الشعراء فيما سبق لنا من قول.

و قد ارتفعت الدولة الغزنوية إلى الأوج في قليل من الزمن بفضل همه «محمود» و حسن قيادته، ثم أسرعت بعد ذلك إلى حضيض الزوال أمام قوة «السلجقة» المتزايدة، و يرجع أصلها في الحقيقة إلى سنة ٩٦٢ م- ٣٥١ هـ حينما أسسها عبد تركي اسمه «البتكين» من عبيد السامانيين في مدينة «غزنه» في وسط الهضاب الأفغانية المرتفعة. و لكن هذه الدولة لم يتم تكوينها سياسيا إلا بعد أربعة عشر عاما من هذا التاريخ عندما تولاهما «سبكتكين» و «محمود» و كان هو أيضا عبدا لمؤسسها الأول «البتكين». و بذلك نجد أن محمودا الذي عرف فيما بعد بألقاب كثيرة من بينها «بطل الإسلام» و «فاتح الهند» و «محطم الأستام» و «يمين أمير المؤمنين» و «يمين الدولة» لم يكن في الحقيقة إلا ابنا لعيد كان مملوكا لعيد آخر؛ و قد استغل «الفردوسي» هذه الحقيقة في هجائه لمحمود حينما خابت آماله في الحصول على مكانة جديرة بما لاقاه من نصب و عناء مدة ثلاثين سنة قضاها في نظم ملحمة الخالدة «الشاهنامه» فاستطاع في طرفة

عين أن يمحو الشهرة العريضة التي حازها نصير الآداب «محمود الغزنوي» وأن يقلبها إلى أحيث أنواع الشين والشار، بحيث إذا جاء «جامي» بعد ذلك بخمسة قرون تجده يقول البيت الآتي مصداقا لهذا المعنى:

گذشت شوکت محمود و در فسانه نماندجز این قدر که ندانست قدر فردوسی و معناها:

– لقد مضت شوكت محمود و طوتها الأساطير. لم يبق منها إلا أنه لم يعرف للفردوسي قدره الكبير !!! ووفقا للنهج الذي أنتهجه في الجزء الأول من هذا الكتاب لن يفوز منا السلطان «محمود الغزنوي» إلا بالمامة يسيرة للغاية؛ و ستفرض جل عايتنا على هذه الدائرة من النشاط الأدبي العلمي الذي ظهر على أيامه، و الذي استطاع محمود – بواسطة التخويف لا الترغيب – أن يجعل مركزه في قصره بحيث كانت ترنو إليه الأبصار

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١١١

و تشخص إليه الأنظار. أما أعماله فتدل على عبقرية حربية و سياسية فائقة. فقد استطاع أن يغلِب السامانيين على أمرهم و أن يغزو الهند و ينال الهند في اثنتي عشرة معركة في مدة أربع و عشرين سنة (١٠٠١-١٠٢٤ م- ٣٩٢-٤١٥ هـ) و أن يربد حدود مملكته التي ورنها حتى امتدت من بخارى و سمرقند إلى كجرات و قنوج و شملت فيما شملته أفغانستان و ما وراء النهر و خراسان و طبرستان و سجستان و كشمير و جزءا كبيرا من الولايات الواقعة في الشمال الغربي من الهند. حتى إذا كانت سنة ١٠٣٠ م- ٤٢١ هـ أدركته الوفاة. و بعد ذلك بسبع سنين انتقل ملكه العريض فعليا إلى أيدي السلاجقة الأتراك، و لو أن دولته التي أسسها لم يفض عليها القضاء النهائي إلا في سنة ١١٨٦ م- ٥٨٢ هـ عندما استولى «ملوك الغورا» على آخر ممتلكاتها في الهند و أوقعا بها الواقعة القاصمة.

و طالما وصف الكتاب محمودا الغزنوي بأنه كان نصيرا كبيرا للأدب و الفنون و لكنه في رأيي أقرب إلى أن يوصف بأنه من كبار «الخاطفين» لرجال الآداب و الفنون. و كثيرا ما كان يعاملهم في النهاية معاملة تنطوي على كثير من الأزدراء و الامتهان كما يتضح لنا ذلك من قصته التي رويناها عن الفردوسي. و لم يكن بين رجال العلم في زمانه من يفضل «ابن سينا» و «البيروني» و قد كان أولهما حكيمًا فيلسوفًا تلمذ على «ارسطو» و «جالن» و أصبح بذلك أستاذا للبلاد الأوربية في القرون الوسطى؛ و أما ثانيهما فكان مؤرخا يشار إليه بالبنان. و كان مولد أولهما في سنة ٩٨٠ م- ٣٧٠ هـ و مولد الثاني قبل ذلك بسبع سنوات تقريبا؛ و كان الاثنان يعيشان عيشة هائلة «١» مع زمرة منتخبة من رجال العلم و الأدب مثل الفيلسوف «أبي سهل المسيحي» و الطبيب «أبي الخير الحسن بن الخمار» و الرياضي «أبي نصر ابن العزاق» لدى «مأمون بن مأمون» أمير خوارزم الذي اغتصب محمود أملاكه في سنة ١٠١٧ م- ٤٠٨ هـ. و لقد أرسل محمود قبل ذلك إلى «مأمون» خطابا، أنفذه على يد واحد من أتباعه المسمى «حسين بن علي بن ميكائيل» يقول فيه. لقد سمعت أن جماعة من رجال العلم يقومون على خدمة أمير خوارزم مثل فلان

(١) أنظر كتاب «جهاز مقاله» القصة ٣٥ و كذلك ص ١١٨-١٢٤ في الترجمة الإنجليزية.

(٢) انظر ترجمة «سناخو» لكتاب «الآثار الباقية» ص ٨.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١١٢

و فلان و كل واحد منهم قد أصبح نسج وحده و برز في علمه، و من الواجب عليك أن ترسلهم جميعا إلى قصرى حتى يتشرفوا بلقائى، فنحن نرجو أن نتفع بعلمهم و فنههم، و نرجو أن يحقق لنا أمير خوارزم هذه الرغبة التي أيديناها ...

ابن سينا يفر من قبضة محمود:

و كان هذا الخطاب على ظاهره معتدل اللهجة، و لكنه في الحقيقة كان مجرد أمر من محمود إلى «مأمون» أن يبعث إليه بمن لديه من رجال العلم و الأدب. و قد فهمه «مأمون» على هذا الوجه، فأرسل يستدعى الرجال الذين وردت أسماؤهم في سطره، فلما حضروا إليه قال لهم: «إن السلطان محمودا رجل قوى و قد جمع الجيوش الجاراة من خراسان و الهند، و هو يحرض على الاستيلاء على العراق (خوارزم) و لست أملك أن أخالف له أمرا أو أعصى له طلبا فما عساكم تقولون في ذلك؟» فأبدي ثلاثة من الرجال و هم «البيروني» و «الخمار» و «العزاق» رغبتهم في الذهاب إليه، مدفوعين في ذلك بما سمعوه عنه من نخوة و كرم. و لكن «ابن سينا» و «المسيحي» آثرا الرض و استطاعا بمعونته «مأمون» أن يعملوا على الهرب و الفرار. فأما «المسيحي» فقد هلك في عاصفة رملية اجتاحته في الصحراء؛ و أما «ابن سينا» فقد استطاع بعد معاناة كثير من الشدائد أن يصل إلى «ايورد» ثم ارتحل منها إلى «طوس» ف «نيسابور» حتى وصل في النهاية إلى «جرجان» و كان يتولاه في ذلك الوقت رجل العلم و الأدب «شمس المعالي قابوس بن وشمگیر» (المفتول في سنة ١٠١٢ م- ٤٠٣ هـ).

و كان «ابن سينا» أول الرجال الذين طلبهم محمود، فلما علم هذا الأخير بهربه أمر رجاله أن يصوروا صورته، و أن يذيعوها في أنحاء البلاد. و في هذه الأثناء استطاع «ابن سينا» أن يشفى أحد أقارب «قابوس» فاستدعاه هذا الأخير ليعر له عن إعجابه بحكمته، فلما مثل بين يديه، عرف أنه الرجل الذي يرغب فيه «محمود» و لكنه لم يشأ أن يسلمه إليه و استبقاه لديه مكرما مبعلا، فبقي في خدمته حتى سافر إلى «الري» و دخل في خدمة «علاء الدولة محمد» حتى أصبح وزيرا له. و قد

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١١٣

تمكن «ابن سينا» طوال هذه الفترة- كما يحدثنا صاحب «جهاز مقاله» «١»- من أن يكتب في الساعات المبكرة من الصباح صفحاتين يوميا من كتابه الفلسفي العظيم «الشفاء».

البيروني و السلطان محمود الغزنوي:

فإذا رجعنا الآن وهلة قصيرة إلى حياة «البيروني» في القصر الغزنوي كما وصفتها الحكاية الثالثة و العشرون من كتاب «جهاز مقاله» فإننا نجد أن السلطان محمودا الغزنوي جلس يوما في مدينته غزنة في قصره الصيفي ذى الأبواب الأربعة، و كان يتوسط حديثه ذات الألف شجرة، فطلب من البيروني أن يحسب النجوم و يخبره عن الباب الذي سينتخذه مخرجا من القصر، و أذعن «البيروني» لأمر مولاه، و كتب إجابته على ورقة طواها و وضعها تحت سادته. عند ذلك أمر السلطان بأن يحدثوا في الحائط ثغرة جديدة فجعلها في هذه المرة مخرجه من القصر، و دعا بالورقة التي كتبها البيروني فلما قرأها اشتدت دهشته لأن «البيروني» كان قد كتب فيها العبارات التالية: «إن يخرج الملك من هذه الأبواب الأربعة، و لكنه سيحدث ثغرة في الحائط الشرقي يدلف منها إلى الخارج». و كان السلطان محمود يريد أن يهزأ بالبيروني، فلما وجد إجابته على هذا النحو غضب غضبا شديدا، و أمر رجاله فألقوه من فوق السقف، و لكنهم تلقوه في شبكة نصبوها فوق الأرض، ثم أحضروه إلى الملك ثانية فسأله: «هل استطعت أيضا أن تتنبأ بما حدث لك في هذه المرة...؟» فأسرع البيروني إلى أحد جيوبه و أخرج منه دفترًا قد كتب فيه: «اليوم سيلقى بي من مرتفع، و لكني سأصل الأرض سالما، و لن يصيب جسدي شيء من سوء !!» و كشر الملك عن نابه مرة ثانية، و أمر رجاله فحبسوه في القلعة فبقي في محبسه سنة أشهر حتى استشفع

له وزيره «أحمد بن الحسن الميمندي» الذي انتهز فرصة موأتبة فقال لمولاه: «إن أبا ریحان البيروني رجل مسكين حقاً، فقد تنبأ مرتين بأمر صادقة، ولكنك بدل أن تخلع عليه الخلع الجميلة قبدته بالقيود والأغلال الثقيلة..»

(١) أنظر الحكاية السابعة والثلاثين.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١١٤
فقال الملك لوزيره: «إني أعلم أن هذا الرجل لا نظير له إلا ابن سينا، ولكن تنبؤاته جاءت على غير مرامي، والملوك كالأطفال الصغار، لكي تنال خيرهم يجب أن تتحدث بما يجول في خواطرهم، وكان من الخير له في ذلك اليوم أن تفشل إحدى نبوءاته؛ ومع ذلك أصدر أمرك في الغداة أن يفرجوا عنه، وأن يمنحوه جواداً مطهماً، وأن يخلعوا عليه خلعاً غالية، وأن يعطوه ألف دينار وعبداً وجرارية جميلة».

وبمثل هذه المكافأة المتأخرة عن أوائها، أراد السلطان محمود (كما فعل مثل ذلك تماماً مع الفردوسي) أن يكفر عن سيئاته التي ارتكبها في ساعة من ساعات الغضب الذي لا مبرر له، وفي ساعة من ساعات الشك الذي لا أساس له.

أبو الفتح البستي:

ومن بين رجال الأدب المعروفين بالمهارة في الإنشاء العربي نظاماً ونثراً «أبو الفتح البستي» وقد أخذه «سبكنگين» والد محمود عندما تم له الاستيلاء على مدينة «بست» و هزيمته حاكمها «بايتوز». وقد انتقل هذا الكاتب البارح والشاعر المبدع إلى خدمة السلطان محمود ومات في بخارى منفياً (١١) في سنة ٤٠٠ هـ - ١٠٠٩ م. وقد كان ماهراً في الصناعات البديعة، وله قصيدة معروفة يخبرنا «المنيني» بأنها كانت عالية الشأن في زمانه يحفظها الناس عن ظهر قلب، وما زال «المنشدون» ينشدونها إلى الآن في مقاهي «القاهرة» و «مطعمها» (٢):
زيادة المال في دنياه نقصان وريحه غير محض الخير خسران ونقل لنا «دولتشاه» من أشعاره العربية الأبيات التالية:
نصحتكم يا ملوك الأرض لا تدعوا كسب المكارم بالإحسان والجود

(١) انظر بتيمة الدهر ج ٤ ص ٢٠٤ - ٢٣١ وكذلك تاريخ اليميني للعتبي طبع القاهرة سنة ١٢٨٦ هـ ج ١ ص ٦٧ - ٧٢ مع شرح المنيني، وكذلك ابن خلكان ترجمة دي سلين De Slane ج ٢ ص ٣١٤ - ٣١٥.
(٢) هذه القصيدة مذكورة في كتاب «خرابيات» لفضيا بك ج ١ ص ٢٧١ - ٢٧٣.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١١٥ واتفقوا بوضوح في شرف لا ينتهي باختلاف البيض والسود

هذي ذخائر «محمود» قد انتهت ولا انتهاب لنا في ذكر محمود وتاريخ وفاته مذكور في بيتين من قول «ملك عماد الزوزني» على هذا النحو:

شيخ عالي قدر مجد الدين أبو الفتح آنكه بود مقتداي اهل فضل و سرور اهل كلام

جارصد با سي جو از تاريخ احمد درگذشت در مه شوال رحلت كرد تا دار السلام (أي في شهر شوال سنة ٤٣٠ هجرية).

رعاة الآداب و كترتهم:

وقد امتاز هذا الزمان بتقدير الأمراء لرجال الأدب والسعي إلى إرضائهم وخطب ودهم، فقد كان كل أمير يريد أن يتفوق على أقرانه وخصوصه في كثرة من يحوطه من رجال العلوم والفنون. وكانت المراكز الأدبية في ذلك الوقت عبارة عن «غزنة» عاصمة السلطان محمود، و «نيسابور» عاصمة أخيه «أبي المظفر نصر» في ولاية خراسان، و «بخارى» إلى أن انتهى أمر السامانيين حوالي سنة ١٠٠٠ م - ٣٩١ هـ والمدن المختلفة في جنوب وغرب إيران تحت حكم البويهيين، وقصور العلويين والزياريين في ولاية طبرستان، وقصور ملوك خوارزم الثلاثة المعروفين باسم «مأمون» في مدينة «خيوه».

ولقد يستطيع الكاتب أن يكتب بحثاً ممتعاً عن كل واحد من هذه المراكز الأدبية اللامعة، وسيجد مادتها موزعة في طيات الكتب ولكنها غزيرة وافية، وسيجد أخباراً كثيرة عن الشعراء الذين أنشدوا بالعربية في كتاب «بتيمة الدهر» لأبي منصور الثعالبي وفي ملحق اليتيمة وهو «دمية القصر» للباخري الذي لم ينشر حتى الآن (١)، وسيجد أخباراً كثيرة عن شعراء طبرستان و كتابها في المقالات التي

(١) المترجم: نشر هذا الكتاب في مدينة حلب سنة ١٣٤٩ هـ - ١٩٣٠ م.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١١٦
نشرها «دورن» عن تاريخ هذه الولاية في سنة ١٨٥٠ - ١٨٥٨ م في مدينة «سان بيترسبورج» وكذلك في التاريخ القديم الذي ألفه «ابن اسفنديار» ونشرت ترجمة مختصرة له في المجلد الثاني من «سلسلة جب التذكارية»؛ وسيجد أخباراً كثيرة عن «إصفهان» في الرسالة التي نشرت مختصرة في مجلة الجمعية الملكية الأسيوية عدد يولييه و أكتوبر سنة ١٩٠١ م؛ وسيجد أخباراً كثيرة أخرى في كتب التاريخ والتراجم العامة وعلى الخصوص كتب «ابن الأثير» و «ابن خلكان» و «العتبي» وغيرهم من الكتاب والمؤلفين.

أبو منصور الثعالبي:

وكان من عادة الشعراء و رجال العلم والأدب في ذلك الزمان أن يتنقلوا بين القصور المختلفة، وأن ينظموا القصائد أو يؤلفوا الكتب ويهدوها إلى الأمراء المختلفين.

ف نجد مثلاً أن أبا منصور الثعالبي النيسابوري أهدى كتابه «لطائف المعارف» إلى صاحب إسماعيل بن عباد (١) وزير فخر الدولة البويهية؛ وأهدى «المهجع» و «التمثيل والمحاضرة» إلى «شمس المعالي قابوس بن وشمكير»؛ وأهدى «سحر البلاغة» و «فقه اللغة» إلى «الأمير أبي الفضل الميكالي»؛ وأهدى «النهاية في الكناية» و «نثر النظم» و «اللطائف والظرائف» إلى «مأمون بن مأمون» أمير خوارزم (٢).

أبو ریحان البيروني:

وكذلك فعل أيضاً العلامة الكبير أبو ریحان البيروني (ولد سنة ٩٧٣ م - ٣٦٣ هـ) فقد قضى الشطر الأول من حياته في رعاية أمراء خوارزم أو خيوه من أسرة مأمون،

(١) أنظر ص ٢ من طبعه «دي يونج» في ليدن سنة ١٨٦٨ م.
(٢) أنظر مؤلفات التعالي في كتاب «بروكلمان» عن تاريخ الأدب العربي ج ١ ص ٢٨٤ إلى ٢٨٦ وكذلك في ص ٩ و ما يليها من مقدمة «زوتيرج» على كتاب «غرر أخبار ملوك الفرس» و هو كتاب قدمه التعالي إلى شقيق السلطان محمود المعروف بأبي المظفر نصر.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١١٧
ثم انتقل إلى قصر شمس المعالي «قابوس بن وشمكير» في طبرستان، و هنالك أهدى إليه كتابه «الآثار الباقية» حوالي سنة ١٠٠٠ م- ٣٩١ هـ، ثم عاد إلى خوارزم و منها نقلوه بأمر السلطان محمود إلى أفغانستان حوالي سنة ١٠١٧ م- ٤٠٨ هـ فبقي في خدمته إلى أن أدركت السلطان محمود منيته في سنة ١٠٣٠ م- ٤٢١ هـ و بعد ذلك بقليل نشر كتابه الثاني «تحقيق ما للهند من مقوله معقوله أو منقوله».

و قد نشره و ترجمه «الدكتور سخاو» و أشار في مقدمته إلى «أن الباحث الحديث في أيامنا لو بدأ دراسة اللغات السنسكريتية و الهندية و أعانته العلوم و الآداب المختلفة على ذلك؛ لبقى عددا طويلا من السنين دون أن يتمكن من معرفة تاريخ الهند القديم بمثل الدقة و البراعة اللتين وصل إليهما البيروني في تاريخه عن الهند».
و بعد ذلك بستين استطاع «البيروني» أن ينشر كتابه الذي كتبه بالعربية و الفارسية «١» «التفهيم في صناعة التنجيم» و كتابه «قانون المسعودي». و قد كتب أول هذين الكتابين للسيدة «ريحانة الخوارزمية» و كتب ثانيهما و أهدها للسلطان «مسعود بن محمود بن سبكتكين». ثم أهدى بعد ذلك كتابه عن الأحجار الكريمة إلى «مودود بن مسعود «٢»».

مراكز الحضارة الأربعة في إيران:

بالإضافة إلى «غزنه» كانت توجد في إيران في الفترة المبكرة من العصر الغزنوي مراكز أربعة تجذب إليها رجال العلم و الأدب و هي:
١- قصر الصاحب بن عباد: وزير البيهيين؛ و كان يقيم عادة في «إصفهان» أو «الري».

(١) أنظر كتالوج المخطوطات الفارسية جمع «ريو» ص ٤٥١-٤٥٢ و قد وصف فيه مخطوطا فارسية لهذا الكتاب تاريخه ١٢٨٦ م- ٦٨٥ هـ

المرجع: طبع الأستاذ جلال هماني النص الفارسي لهذا الكتاب أخيرا في طهران سنة ١٣١٨ هجرية شمسية، بعنوان: «التفهيم لأوائل صناعة التنجيم».

(٢) أنظر قائمة بمؤلفات البيروني في كتاب بروكلمان ج ١ ص ٤٧٥-٤٧٦.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١١٨

٢- قصر السامانيين في «بخارى».

٣- قصر شمس المعالي «قابوس بن وشمكير» في «طبرستان» على مقربة من بحر قزوين.

٤- قصر ملوك خوارزم المعروفين باسم «مأمون» في «خيوه».

و لكن حدث في فترة السنوات العشرين الواقعة بين سنتي ٩٩٧ م و ١٠١٧ م- ٣٨٧-٤٠٨ هـ أن توفي «الصاحب بن عباد» في سنة ٩٩٧ م- ٣٨٧ هـ؛ كما زالت الدولة السامانية من الوجود في سنة ٩٩٩ م- ٣٩٠ هـ؛ ثم قتل بعد ذلك شمس المعالي «قابوس» في سنة ١٠١٢ م- ٤٠٣ هـ على يد جماعة من الأشراف الثائرين؛ كما قتل أيضا «مأمون الثاني» ملك خوارزم عقب ثورة أعقبها ضم ممتلكاته إلى السلطان محمود في سنة ١٠١٧ م- ٤٠٨ هـ؛ و استطاع السلطان محمود بواسطة ذلك و بواسطة الفتح و الغزو أن يضم إليه رجال الأدب و العلم الذين كانوا يحطون خصومه من الأمراء الذين ذكرواهم فيما سبق؛ و مع ذلك لم يكن هو نفسه ليمتاز بما امتاز به هؤلاء الخصوم من ذوق فني و خصال سليمة و شيم كريمة.

الصاحب بن عباد:

و التعالي يتحدث في يتيمة عن الصاحب بن عباد فيقول ما يلي «١»:

«ليست تحضرني عبارة أرضاها للأفضاح عن علو محله في العلم و الأدب، و جلالة شأنه في الجود و الكرم، و تفرده لغايات المحاسن، و جمعه اشتات المفآخر، لأن همة قولي تنخفض عن بلوغ أدنى فضائله و معاليه، و جهد و صفي يقصر عن أيسر فوائده و مساعيه، و لكني أقول هو صدر الشرف، و تاريخ المجد، و غرة الزمان، و يتوبع العدل و الإحسان، و من لا حرج في مدحه بكل ما يمدح به مخلوق، و لولاه ما قامت للفضل في دهرنا سوق ...»

و يضيف ابن خلكان إلى ذلك العبارة التالية:

«و اجتمع عنده من الشعراء ما لم يجتمع عند غيره و مدحوه بغر المدائح ...»

(١) انظر يتيمة الدهر طبع بيروت ج ٣ ص ٣١-٣٢.

المرجع: في النص الذي اوردناه زيادة قليلة.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١١٩

شمس المعالي قابوس:

أما شمس المعالي «قابوس بن وشمكير» حاكم طبرستان، فيرجع نسبه إلى «آل قارن» (فارتونند) و هم إحدى الأسر السبع الرفيعة على أيام الساسانيين الذين كان العرب يسمونهم «أهل البيوتات». و البيروني يرجع نسبه إلى الملك الساساني «قباد» والد «نوشيروان» «١» و يقول «ابن اسفنديار» في «تاريخ طبرستان» «إن من شاء أن يلمس عظمته و رفعت، فعليه أن يقرأ ما كتبه عنه «التعالي» و «العتبي» في كتبهما «٢». و قد جمع «اليزدادي» أقواله و جعلها في كتاب عنوانه:

«قرائن شمس المعالي و كمال البلاغة» و قد نقل «ابن اسفنديار» ما يقرب من ثلاثين سطرا من هذا الكتاب و علق عليها بأن «قابوس» كان ميرزا في علوم البلاغة العربية، ممتازا في الشجاعة و أوصاف البطولة، متفوقا في الفلسفة و النجوم. و قد كتب بالعربية رسالة عن «الاسطرلاب» أعجب بها كثيرا «أبو اسحاق الصائبي».

و كان «قابوس» يكلف كاتبه «عبد السلام» بمراسلة «الصاحب بن عباد» و وزيره «أبي العباس الغانمي»؛ و كذلك كان يرأس «أبا نصر العتبي» مؤرخ السلطان محمود، و قد نقل هذا المؤرخ عنه في أعجاب شديد رسالة عربية قصيرة من تأليفه في بيان ما امتاز به كل

واحد من الصحابة «٣».

و من أسف أن «قابوس» رغم ما امتاز به من نبل الأصل و علو العقل كان فظا غليظ القلب كثير الظنون يتعطش في بعض الأحيان إلى سفك الدماء، و قد كانت حادثه إعدامه لأحد كتابه ال «حاجب نعيم» بتهمة الاختلاس هي السبب المباشر والأخير الذي دعا رجاله إلى الثورة عليه و خلعه و قتله. فلما تم لهم ذلك نسبوا في مكانه ابنه «منوچهر فلک المعالي» و هو الأمير الذي استمد منه الشاعر «منوچهری» لقبه الشعري (تخلصه) لرعايته له و تقريبه إياه.

(١) انظر الآثار الباقية ترجمة سخاو ص ٤٧.

(٢) انظر يتيمة الدهر طبع دمشق ج ٣ ص ٢٨٨ و كذلك تاريخ العتيبي طبع القاهرة سنة ١٢٨٦ هـ. ج ٢ ص ١٤-١٧ و ص ١٧٢-١٧٨.

(٣) انظر تاريخ العتيبي ج ٢ ص ١٧-٢٦.

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٢٠

السلطان محمود، أخلاقه و ألقابه:

أما الحكام الآخرون المعاصرون للسلطان محمود الغزنوي فيكفي أن نذكر منهم أن خيفة بغداد على عهده كان «القادر بالله»؛ أما الخليفة الفاطمي في مصر فكان «أبا علي المنصور» في الثلثين الأولين من الفترة التي تولاها السلطان محمود، و الخليفة «الظاهر» في الثلث الأخير من أيام حكمه.

و المأثور عن «محمود» أنه أول من تلقب بلقب «سلطان». و يظهر أيضا كما يستفاد من «تاريخ العتيبي «١» أنه تلقب أيضا بلقب «ظل الله في أرضه» كما فعل بعد ذلك سلاطين آل عثمان. و كان محمود سني المذهب يعترف بالسلطة الروحية العليا لخليفة بغداد «٢» أما ألقابه الكاملة فكانت كما يلي «٣»:

«الأعير السيد، الملك المؤيد، يمين الدولة، و أمين الملة، أبو القاسم محمود بن ناصر الدين أبي منصور سبكتكين ملك الشرق بجانبيه».

و أشهر وزرائه هو «أبو القاسم أحمد بن الحسن الميمندي». و كانوا يلقبونه ب «شمس الكفاة» و هو الوزير الذي استشفع أكثر من مرة للبيروني و الفردوسي، و قد مدحه كثير من الشعراء المعاصرين بكثير من القصائد الجميلة.

و يجب علينا عند هذا الحد أن ننصرف عن هذا المجلد الذي استعرضنا فيه صورة إيران السياسية في هذا الوقت لندرس جملة من الكتاب و الشعراء الممتازين الذين عاشوا فيه، و لن نقصر دراستنا على من استعمل اللغة الفارسية وحدها من هؤلاء، لأننا لو فعلنا ذلك لظلمنا العبقريّة الفارسية كل الظلم، لأن اللغة العربية ظلت طوال هذا العصر و لمدة القرنين و نصف القرن التالية، لغة العلم و لغة السياسة و المراسلة و الأدب الرفيع، و على ذلك سنبدأ حديثنا عن أشهر كتاب الفرس الذين اتخذوا العربية وسيلة لكتاباتهم و منشآتهم كلها أو جلها.

(١) انظر المرجع السابق ج ١ ص ٢١.

(٢) انظر تاريخ ابن الأثير سنة ٤٢٠ هـ فهو يذكر أن محمودا في نهاية حياته كان يأمر بصلب الإسماعيلية و نفى المعتزلة و بإحراق كتب الفلاسفة و العلماء.

(٣) انظر تاريخ العتيبي ج ١ ص ٣١.

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٢١

أبو ريحان البيروني:

و من أشهر هؤلاء على الإطلاق «أبو ريحان البيروني» مؤلف الكتب الآتية:

(أ) الآثار الباقية.

(ب) تحقيق ما للهند من مقولة معقولة أو منقولة.

(ج) التفهيم في صناعة التنجيم بالفارسية.

و له كتب كثيرة أخرى أغلبها مفقود، و قد ذكرها جميعا ناشره و مترجمه المستشرق العلامة الدكتور «سخاو». و لكي يدرك القارىء رأيا منصفا عادلا عن مكانة البيروني و منزلته أجد نفسي مضطرا لدواعي الاختصار إلى أن أحيله إلى المقدمات التي ألحقها الدكتور «سخاو» بترجمته للكتابين الأولين و خاصة ما ورد فيهما بالصفحتين السادسة و السابعة من مقدمة الكتاب الثاني. و لا شك أن البيروني كان رجلا غزير المعرفة، سمح الأخلاق، يمتاز بدقة النقد كما نفهمه في الوقت الحاضر، و كان كما يقول «سخاو» حريصا على تحرى الحقيقة، ذا شخصية فردية عالية مليئة بالشجاعة و الإقدام، لا يحجم عن كيل الضربات القاضية إذا رأى الخير تحتاجه جانحة أو الحق تنزل به نازلة.

و قد ولد البيروني في «خوارزم» في سبتمبر سنة ٩٧٣ م - ٣٦٣ هـ و من المحتمل أنه مات في مدينة «غزنه» في ديسمبر سنة ١٠٤٨ م - ٤٤٠ هـ.

ابن سينا:

[مكتب ابن سينا]

رجل آخر من كبار الكتاب و المفكرين الفرس الذين عاشوا في هذا العصر هو «ابن سينا». و قد تحدثنا عنه بعض الحديث فيما سبق من صفحات، و قلنا إنه تتلمذ في الفلسفة على تعاليم «أرسطو» كما تتلمذ في الطب على تعاليم «بقراط» و «جالن». و لم يقتصر تأثيره في العصور الوسطى على الفكر الأسيوي بل تعداه إلى الفكر الأوروبي فأثر فيه أبلغ الأثر. و لو أتني حاولت أن أدرس نطاق فلسفته و مدى تجاربه الطبية في كتابي هذا لضافت صفحاته عن استيعاب الأفكار الفلسفية ذكر «بروكلمان»

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٢٢

في كتابه «تاريخ الآداب العربية» (ج ١ ص ٤٥٢-٤٥٨) جملة من مؤلفاته تبلغ المائة، قد عالجت شتى الموضوعات ما بين فقه و فلسفة و نجوم و طب و علوم مختلفة أخرى. و لا شك أن أشهر كتبه كتابان هما:

(أ) الشفاء: و هو يتعلق بعلم الطبيعة و ما وراء الطبيعة و الرياضيات.

(ب) القانون: و هو يتعلق بالطب.

و أول هذين الكتابين يقع في ثمانية عشر جزءاً «١».

و لمن شاء من القراء ان يعرف شيئا عن حياة «ابن سينا» أن يرجع إلى ما كتبه عنه «ابن خلكان» في «وفياته» وكذلك إلى ما كتبه «بروكلمان» في كتابه الذي سبق ذكره، وكذلك فيما كتبه «الشهرستاني» في كتابه «الملل والنحل» إما في أصله العربي أو في الترجمة الألمانية التي قام بها «هاربروكر» «٢» أو فيما كتبه عنه البارون «كارادي» في «٣».

[نبذة من حياة ابن سينا]

و قد ولد «ابن سينا» في مدينة «بخارى» في سنة ٩٨٠ م - ٣٧٠ هـ و مات في «همدان» أو «أصفهان» في سنة ١٠٣٧ م - ٤٢٩ هـ. و يقول «ابن خلكان»: إنه «لما بلغ السنة العاشرة من عمره كان قد أتقن علم القرآن العزيز و الأدب و حفظ أشياء من أصول الدين و حساب الهند و الجبر و المقابلة ... الخ» ثم درس مع «التاتلي» الطبيب علوم المنطق و يوقلید و الماجسطي، و درس مع «إسماعيل الفقيه» الفقه و التصوف، و تخصص بعد ذلك في فلسفة الطبيعة و الحكمة و سائر العلوم الأخرى بما فيها الطب الذي درس على يد الطبيب المسيحي

(١) المترجم: نشر الأستاذ الدكتور إبراهيم مذكور أجزاء من هذين الكتابين.

كما نشر الأب جورج فنواي بتكليف من جامعة الدول العربية بمناسبة العيد الألفي لابن سينا ثبنا بمؤلفاته بعنوان «مؤلفات ابن سينا» طبع القاهرة سنة ١٩٥٠، و نشرت جامعة الدول العربية أيضا «الكتاب الذهبي للمهرجان الألفي لذكرى ابن سينا في بغداد» سنة ١٩٥٧

(٢) كتابته بالحروف الرومانية: (Haarbrocker)

(٣) إسم الكتاب الأصلي: ١٩٠٠. Avicenne .by Carra de Vaux .Paris .

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٢٣

«عيسى بن يحيى». فلما بلغ السابعة عشرة من عمره طبقت شهرته الآفاق في الطب حتى استعدوه لمداواة الأمير «نوح بن منصور الساماني» و قد نجح في معالجته نجاحا تاما، فقربه ذلك الأمير، و أعادق عليه من نعمه، و سمح له أن يتردد على مكتبته الزاخرة بالمؤلفات، و قد وصفها ابن سينا فقال إنها مكتبة غنية بالكتب الكثيرة؛ و كان بعض هذه الكتب مجهول الإسم لدى كثير من الناس، كما كان بعضها غير معروف له من قبل، و لم يصادفه في غيرها فيما بعد؛ و من أسف أن هذه المكتبة احترقت بعد ذلك بقليل من الوقت، فاتهمه جماعة من أعدائه بأنه أحرقتها عامدا حتى يصح وحده الواعي لما استفاد من كتبها النادرة و مخطوطاتها الفريدة.

و أدركت المنية بعد ذلك والده، و انهارت الدولة السامانية بالقرب من نهاية القرن العاشر الميلادي (الرايع الهجري) فكان ذلك سببا في أن يترك ابن سينا مدينة «بخارى» و أن يقصد إلى «خوارزم». و قد فاز هنالك بتقريب أميرها «مأمون» له، و لكن الظروف التي سردناها فيما سبق من صفحات - نقلنا عن كتاب «جهاز مقاله» - اضطرت كما روينا، إلى الهرب من «خوارزم» إلى «نسا» و «أيورد» و «طوس» حتى وصل أخيرا إلى «جرجان» حيث أحسن استقباله «شمس المعالي قابوس بن وشمگیر» فنزل عنده مكرما معززا، حتى إذا قتل هذا الأمير ترك ابن سينا «جرجان» و ذهب إلى «الري» و «قزوین» و «همدان» حتى انتهى به المطاف إلى مدينة «أصفهان» حيث التحق بخدمة الأمير البويهی «علاء الدولة ابن كاكويه». و لقد تعرض أثناء حياته لكثير من الشدائد و المحن و لاحتحة الأمراض و العلل، و قضى فترة في المحبس و المعتقل، و كادوا يعدونه في وقت من الأوقات، و لكنه ظل يكافح حتى اغتاله الموت في النهاية فقضى فريسة لعله أصابت أمعاءه في صيف سنة ١٠٣٧ م - ٤٢٩ هـ «١».

(١) يرى ابن الأثير في نهاية حوادث سنة ٤٢٨ هـ أن علاء الدولة كان متهما في دينه، و من أجل ذلك فقد التحق ابن سينا بخدمته حتى يستطيع أن يكمل مؤلفاته المليئة بالإلحاد دون أن يصيبه شيء من الأذى. فلما أصابت الهزيمة علاء الدولة على أيدي الغزنويين في سنة ٤٢٥ هـ -

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٢٤

و بالإضافة إلى ما ذكرناه لابن سينا من كتب فلسفية و علمية نجد له جملة من الأشعار العربية و الفارسية ستحدث عنها بعد قليل. و نجد له أيضا قصتين فلسفتين هما:

(١) حتى بن يقطان:

و يجب ألا نخلط بينها و بين سميتها التي فازت بالشهرة و هي من إنشاء «ابن الطفيل» و قد طبعت في أكسفورد في سنة ١٦٧١ و سنة ١٧٠٠ م. و ترجمها إلى اللاتينية «بوكوك» «١». [طبعت مرارا في القاهرة]

(ب) سلامان و أسبال:

و قد جعلها الشاعر «جامي» فيما بعد موضوعا لإحدى منظوماته و طبعها «فولكر» «٢» في سنة ١٨٥٠ م و ترجمها «فيتزجيرالد» «٣» إلى الإنجليزية ثم نشرها دون أن يلحق بها إسمه و أهداها للمرحوم الأستاذ «كول» «٤» في سنة ١٨٥٦ م.

قصائد ابن سينا الفارسية:

و قد استطاع الدكتور «إتيه» بدأبه و صبره على البحث، أن يجمع من مصادر مختلفة خمس عشرة منظومة من أشعار ابن سينا الفارسية (قوامها اثنا عشرة رباعية و مقطوعة واحدة من بيتين و غزليتان) يبلغ عدد أبياتها جميعا الأربعين، و قد نشرها مع ترجمة ألمانية لها في مجلة «أخبار جوتنجن» «٥» سنة ١٨٧٥ م. ص ٤٥٥ - ٥٦٧ بعنوان «ابن سينا كشاعر فارسي غنائي».

- كانت كتب ابن سينا من بين الأسباب التي حملها الجيش الغزنوي إلى مدينة غزنه، و قد حفظوها في مكتباتها حتى أحرقت المدينة جيوش الملك حسين الغوري الذي لقب ب «جهان سوز» أي محرق الدنيا.

(١) إسمه بالحروف الرومانية → Pockcke

(٢) إسمه بالحروف الرومانية → Falkoner

(٣) إسمه بالحروف الرومانية → Fitz Gerald

(٤) إسمه بالحروف الرومانية → Cowell

(٥) إسمها بالحروف الرومانية → Gottinger Nachrichten

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٢٥

و يجب أن نلاحظ أن من بين الرباعيا المنسوبة إلى ابن سينا رباعية مشهورة ينسبونها عادة إلى «عمر الخيام» و هي الرباعية الثالثة مما نشره «إتيه» و الثالثة بعد المائة الثالثة في الترجمة التي نشرها «هونفيلد» لرباعيات الخيام «١».

و نص هذه الرباعية بالفارسية كما يلي «٢»:

ز جرم حضيض خاك تا اوج زحل كردم همه مشکلات گردون را حل
بيرون جستم ز بند هر مکر و حيل هر بند گشاده شد مگر بند اجل! و معناها:
ما بين حضيض الأرض و أوج زحل استطعت حل مشكلات الفلك بغير نقل
و نجوت بنفسى من أحابيل المكر و الحيل و حللت كل العقد، ما عدا عقدة الأجل!!

رباعيات الخيام الجائلة:

و من المسلم به ما هو معروف لدى جميع المهتمين بدراسة الفارسية من أن عددا من الرباعيات التي تنسب إلى «عمر الخيام» و تشمل عليها كثير من الطبقات الحديثة للرباعيات، ينسب في نفس الوقت إلى شعراء آخرين غير الخيام، و ربما كانت نسبتها إلى هؤلاء تستند إلى أسانيد لا يصيبها الوهن أو الخلل؛ و هذه «الرباعيات الجائلة»

(١) اسمه بالحروف الرومانية: Whinfield

(٢) المترجم: أورد براون هنا الترجمة الإنجليزية لهذه الرباعية لفتنجرالد ثم ترجمه هو تقليد لها ثم الترجمة الألمانية للدكتور إتيه، و قد رأيت الاستغناء عن هذه الترجمة بذكر الأصل الفارسي و ترجمته العربية

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٢٦

قد قام بدراستها «زو كوفسكي» «١» في مقاله العلمية الهامة التي أرسلها إلى «المظفريه»، و هي مجموعة من الدراسات الأدبية الشرقية نشرت في سان بيترسبورج سنة ١٨٩٧ م احتفالا بمرور خمس و عشرين سنة على حصول البارون «فون روزن» على الأستاذية في هذه الدراسات.

و قد كتب «هونفيلد» عن هذه الرباعيات الجائلة ما يلي «٢»:

«و صعوبة أخرى متصلة بما ذكرنا، تعرض لنا عندما نجد أن كثيرا من الرباعيات التي تنسب لعمر الخيام، تنسب أيضا إلى غيره من الشعراء. و لقد ذكرت أمثلة قليلة منها في تعليقاتي، و لكن البحث الدقيق سيكشف لنا عن جملة أخرى غيرها.

و ربما يظن بعض الناس أن لغة الرباعيات و ما تمازت به من خصائص تكفي وحدها للتفريق بين الأصل منها و بين ما زيفه غيره من الشعراء بعد قرنين أو ثلاثة من الزمان؛ و لكني أذهب مع «چودزكو: Chodzko» - فيما ذهب إليه من أن اللغة الفارسية الأدبية التي استعملت منذ ثمانمائة سنة لا تفتقر عن مثيلتها التي تستعمل في الوقت الحاضر إلا في القليل الطفيف، و لو صح الفرض و كان شعر الخيام يمتاز بميزات خاصة، لا يمكن القول بأنه يمكن التفريق بينه و بين غيره من الشعراء، و لكن الحقيقة المائلة هي أن الشعر الفارسي برمته يجرى على طرائق واحدة متمثلة، و لم يشذ الخيام في ذلك عن غيره من الشعراء. أما الشعر الناز على التعالم الدينية، و هو ما ينسب عادة إليه، فيمكن أيضا العثور عليه فيما كتبه سلفه مثل «ابن سينا» و خلفه مثل «أفضل الدين الكاشي» و غيره من الكتاب اللاحقين له. و من أجل ذلك فلم أستبعد من ترجمتي أية رباعية نسبوا قولها إلى الخيام و إلى غيره من الشعراء. و ما دامت النسخة الخطية التي تقع في يدي سليمة غير سقيمة فقد جعلت دأبي أن أورد ما بها من رباعيات، لا لأني على ثقة من أنها من مقولة الخيام، و لكن لأن الاحتمال متكافئ في نسبتها إلى الخيام أو إلى غيره من الناس.»

أما الغزليتان اللتان ضمنهما الدكتور «إتيه» في مقاله، فواحدة منهما في

(١) اسمه بالحروف الرومانية: Zbukovski

(٢) أنظر ص ١٧ من مقدمة الترجمة الإنجليزية لرباعيات الخيام.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٢٧

وصف الخمر، و الأخرى في ذكر بعض الحكم و النصائح، و هما؟؟؟ في؟؟؟ يدلان على براعة فائقة، و لا يسلمان من التجريح من حيث صحة نسبتها إلى ابن سينا؛ و من أجل ذلك فإنني أعرض عن ترجمتها و أحيل القارئ الحريص على المزيد إلى المقالة الممتعة التي كتبها الدكتور «إتيه» في مجلة «أخبار جوتنجن» «١».

قصيدة ابن سينا عن الروح:

و أجمل قصائد ابن سينا و أدعاها إلى الإعجاب هي قصيدته العربية المشهورة عن الروح و نصها كما يلي «٢»:

هبطت إليك من المحل الأرفع و رقاء ذات تعزز و تمنع
محجوبة عن كل مقلد عارف و هي التي سمرت و لم تترقع «٣»
وصلت على كره إليك و ربما كرهت فراقك و هي ذات تفتح
أنفت و ما أنست فلما واصلت ألفت مجاورة الخراب اليلقع
و أظنها نسبت عهودا بالحمي و منازل برفاقها لم تفتح
حتى إذا اتصلت بهاء هبوطها في ميم مركزها بذات الأجرع
علقت بها ثاء الثقل فأصبحت بين المعالم و الطلول الخضع

(١) المترجم: فيما يلي بعض مؤلفات ابن سينا باللغة الفارسية: «دانشنامه علاني»، «رساله در حقيقت و كيفيت موجودات»، «مراجعاته»، «رنگ شناسي أو رساله نبضيه»، «ظفرنامه»، «قراضه طبيعيات»، «كنوز المغرمن»، «رساله جوديه» و يشكون في نسبة الرسائل الأربع الأخيرة إليه.

(٢) هذه القصيدة مذكورة في كتاب ابن خلكان (طبع و مستنفلد ج ١ رقم ٨٩) و كذلك في خرابات ضيا بك ج ١ ص ٢٨٣، و قد اعتمدنا على الكتاب الأخير في النص الذي نقلناه، و هو يختلف في نهايته عن النص المذكور في ابن خلكان.

(٣) يظهر أن هذا البيت هو الذي أوحى لجلال الدين الرومي ببيت المشهور في بداية المثنوي، حيث يقول:

تن ز جان و جان ز تن مستور نيست ليك كس را ديد جان دستور نيست انظر كتاب «أغنية الناي» للاستاذ بالمر: Song of the Reed; by E. H. Palmer. تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٢٨ تبكي إذا ذكرت ديارا

بالحمى بمدامع تهمى و لما تغلق
و تظلم ساجعة على الدمن التي درست بتكرار الرياح الأربع
إذ عافها الشرك الكثيف و صدها قفص عن الأوج الفسيح الأرفع
حتى إذا قرب المسير إلى الحمى و دنا الرحيل إلى الفضاء الأوسع
سجعت و قد كشف الغطاء فأبصرت ما ليس يدرك بالعيون الهجج
و غدت تغرد فوق ذروة شاهق و العلم يرفع كل من لم يرفع
فلأشئ شئ أهبطت من شاهق سام إلى قعر الحضيض الأوضع
إن كان أهبطها الإله لحكمة طويت عن الفطن اللبيب الأروع
فهبوطها إن كان ضربة لأرب لتكون سامعة بما لم تسمع
و هي التي قطع الزمان طريقها حتى لقد غربت بغير المطلع
فكانها برق تألق بالحمى ثم انطوى فكأنه لم يلمع

بديع الزمان الهمذاني:

و يجب أن نذكر من كتاب العربية الممتازين الذين نشأوا في إيران، ذلك العبقري البارح الذي اخترع ذلك الضرب من الإنشاء الذي يعرف بـ «المقامات» و تقصد به «أبا الفضل أحمد بن الحسين الهمذاني» الذي اشتهر باسم «بديع الزمان».

و قد أخبرنا الثعالبي في يتيمته «١» أنه مات صغير السن في الأربعين من عمره سنة ٣٩٨ هـ - ١٠٠٨ م و الظاهر أنه لم يكن يجب بلدته «همدان» فقد قال فيها بيتيه المعروفين «٢»:

همذان لي بلد أقول بفضلته لكنه من أفتح البلدان
صيبانه في القبح مثل شيوخته و شيوخته في العقل كالصبيان و قال مثل هذا المعنى مرة أخرى في بيت ورد بإحدى رسائله «٣» نصه:

(١) أنظر «يتيمته الدهر» ج ٤ ص ١٦٨.

(٢) أنظر ترجمته (پرستون Preston) للمقامات طبع لندن سنة ١٨٥٠ ص ١٢-١٣.

(٣) أنظر «يتيمته الدهر» ج ٤ ص ٢٧٩.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ١٢٩ لا نعلمنى على ركائز عقلى إذ تيقنت أنتى همذاني و بناء على ذلك نجده في سنة ٩٩٠ م - ٣٨٠ هـ يغادر بلدته الصغيرة «همدان» و لم يكن له من العمر في ذلك الوقت أكثر من اثنتين و عشرين سنة، و قد يمم وجهه في البداية إلى رجل الآداب و نصيرها «الصاحب اسماعيل بن عباد». و قد رأينا فيما مضى كيف أخذ «الصاحب» يختبر مقدراته بإعطائه أبياتا فارسية لينقلها على البديهة إلى شعر عربي «١». ثم قصد «بديع الزمان» بعد ذلك إلى «جرجان» و أخذ وفقا لرواية الثعالبي - يرتاد مجالس «الإسماعيلية» الذين كان عددهم كبيرا في هذا الإقليم، حتى في هذا الوقت المبكر الذي سبق ظهور شيوخهم الحظير «الحسن بن الصباح» بما يقرب من قرن من الزمان حين اتخذه مقرا لـ «دعوته الجديدة».

و في سنة ٣٨٢ هـ - ٩٩٢ م وصل «بديع الزمان» إلى «نيسابور» فأم هناك كتابة مقاماته، و كانت تبلغ الأربعمئة مقامه كما يقول بذلك الثعالبي، و طاف بعد ذلك بأهملت المدن في «خراسان» و «سجستان» و الإقليم المحيط بغزنه، ثم انتهى به المطاف إلى مدينة «هرات» حيث استقر بها إلى أن أدركته الوفاة.

و كان بديع الزمان يمتاز بذاكرة حادة عجيبة، فكان يسمع القصيدة التي تتألف من خمسين بيتا مرة واحدة، ثم يأخذ في إعدادها دون أن يتلعم أو يتردد، و كان يتصفح الكتاب المنثور بنظرة عاجلة فيحفظ عن ظهر قلب أربعا أو خمسا من صفحاته.

و لظالما أكثر الباحثون من المقارنة بين «بديع الزمان» و مقلده «الحريري» و قد عقدوا الأبواب في بيان ميزة كل منهما في هذا الضرب من الإنشاء الذي امتازا به دون غيرهما. و من أجل ذلك لا نرى بنا حاجة إلى معالجة هذا الموضوع مرة أخرى في هذا الكتاب، و نحيل القارئ المتعمق إلى ما كتب بصدده في مواضع أخرى «٢».

(١) أنظر «يتيمته الدهر» ج ٤ ص ١٦٧ و منها يبدو أن بديع الزمان كان مغرما بالنقل على البديهة من الفارسية.

(٢) أنظر مثلا ما كتبه «پرستون» في مقدمته على ترجمة «مقامات الحريري» ص ١٣-١٤ من المقدمة و ١٣ و ١٤ من الأصل.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ١٣٠

و مع ذلك كله يجب أن نلفت النظر خاصة إلى قصيدة عربية أنشأها بديع الزمان في مدح السلطان «محمود» و نقلها العتبي في «كتاب البيهقي» «١» و من بينها الأبيات الآتية:

تعالى الله ما شاء و زاد الله إيمانى
أ أفريدون فى الناج أم الإسكندر الثانى
أم الرجعة قد عادت إلينا بسليمان
أطلت شمس محمود على أنجم سامان
و أمسى آل بهرام عبيدا لابن خاقان «٢»
إذا ما ركب الفيل لحرب أو لميدان
رأت عينك سلطانا على منكب شيطان
فمن واسطة الهند إلى ساحه جرجان
و من قاصية السند إلى أقصى خراسان

مهيار الديلمى:

شاعر فارسي آخر اتخذ العربية لسانا هو «مهيار الديلمى». و هو جدير منا بعناية خاصة لتلك الحقيقة الممتعة التي تتصل بحياته، و هي أنه ولد و تربى على الدين «الزردشتي» ثم اعتنق بعد ذلك الإسلام في سنة ١٠٠٣ م - ٣٩٤ هـ على يد شاعر آخر هو «الشريف الرضى» الذى كان تقييا للعلويين في بغداد، و أدركته الوفاة في سنة ١٠١٥ م - ٤٠٦ هـ.

و مهيار الديلمى مثل طيب يثب لنا أن الديانة الزردشتية كانت تفوز بمكانة عظيمة في الأقاليم المحيطة ببحر قزوين، و أن المسلمين كانوا يتسامحون مع معتنقها و يسمحون

(١) أنظر كتاب اليميني طبع القاهرة سنة ١٢٨٦ هـ. ج ١ ص ٣٨٤-٣٨٦.
 (٢) «آل بهرام» أي «السامانيون» لأنهم ينسبون كما رأينا فيما سبق إلى «بهرام جوبين». و«خاقان» هو لقب ملوك الترك منذ عهد الأساطير المتعلقة ب «افراسياب».

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٣١
 لهم بأن يشتركوا معهم في جميع العلوم والآداب التي اتخذت العربية لسانا و وسيلة للأداء. وقد تبدو هذه الحقيقة أكثر وضوحا في اطراد استعمال نسبة «المجوسى» إلى كثير من الأسماء الواردة بكثير من الكتب مثل كتاب «دمية القصر» للباخرزى و قد جعله صاحبه ملحقا لكتاب «يتيمة الدهر» للتعالي في تراجم الشعراء.

المجوسى الطيب:

و أشهر من عرف ب «المجوسى» هو «على بن العباس المجوسى» طيب «عضد الدولة البويهى» و مؤلف كتاب «كامل الصناعات» و قد توفي في سنة ٩٩٤ م- ٣٨٤ هـ، و والده هو الذى ترك دياناته القديمة و اعتنق الدين الإسلامى. و يحدتنا كتاب «جهار مقاله» فى الحكاية السادسة و الثلاثين عن أحد الأدوية التى استعملها ذلك الطبيب الماهر.

*** و إلى العصر السابق مباشرة لهذا العصر الذى ندرسه يرجع كتاب «الفهرست» الذى تم تأليفه سنة ٩٨٨ م- ٣٧٨ هـ، و كتاب «مفتاح العلوم» الذى تم تأليفه سنة ٩٧٦ م- ٣٦٦ هـ، و قد تحدثنا فى الجزء الأول من هذا الكتاب عن محتوياتها حدينا مستفيضا. و يجدر بنا الآن أن نتحدث عن طائفة من كتب التواريخ المحلية التى ظهرت فى هذا العصر و من بينها:

«تاريخ بخارى» من تأليف «الترشىخى» سنة ٩٤٢ م- ٣٣١ هـ.
 «تاريخ قم» و قد تم تأليفه للصاحب إسماعيل بن عباد حوالى سنة ٩٨٩ م- ٣٧٩ هـ.
 «تاريخ أصفهان» من تأليف «المافروخى».
 «تاريخ طبرستان» من تأليف «اليزدادى».

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٣٢
 و قد كتبت هذه الكتب جميعا فى الأصل باللغة العربية، و لكن تراجمها الفارسية هى التى بقيت لنا حتى الآن «١».

و من بين كتاب الفرس الذين كتبوا بالعربية: المؤرخ «على بن مسكويه» المتوفى سنة ١٠٢٩ م- ٤٢٠ هـ و قد بقيت لنا طائفة قليلة من كتبه.

و قد ذكرنا فيما سبق تاريخ «العنبى» عن السلطان محمود الغزنوى و هو تاريخ انتهى بذكر سنة ١٠١٨ م- ٤٠٩ هـ، و لو أن مؤلفه عاش إلى سنة ١٠٣٥ م- ٤٢٧ هـ.
 كما ذكرنا أيضا المؤلفات الكثيرة التى ألفها صاحب «يتيمة الدهر» أبو منصور الثعالبي المتوفى سنة ١٠٣٨ م- ٤٣٠ هـ.
 أما الكتب المتنوعة الفارسية فكانت قليلة العدد قليلة الأهمية، و قد ذكرنا فى الجزء الأول من هذا الكتاب جملة المتنوعات التى ترجع إلى العصر «السامانى» مثل:

(أ) ترجمة البلعمى لتاريخ الطبرى حوالى سنة ٩٦٤ م- ٣٥٣ هـ.
 (ب) كتاب الأبنية عن حقائق الأدوية ل «موفق الدين أبى منصور بن على الهروى» حوالى سنة ٩٧١ م- ٣٦١ هـ.
 (ج) تفسير فارسي للقرآن فى مخطوطة فريدة بمكتبة كامبردج.
 (د) ترجمة البلعمى لتفسير الطبرى حوالى سنة ٩٨١ م- ٣٧١ هـ.
 فإذا أضفنا إلى هذه الكتب:

كتاب «دانش نامه علائى» من تأليف ابن سينا لعهد الدولة المتوفى سنة ١٠٤٢ م- ٤٣٤ هـ.
 و كتاب «خجسته نامه» للبهرامى.

(١) المترجم: هذا رأى يحتاج إلى شىء من التمهيد لأن كتاب «المافروخى» موجود بالعربية و مطبوع فى مصر.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٣٣
 و كتاب «ترجمان البلاغة» للفرخى. و موضوع الكتابين الأخيرين علوم العروض و البلاغة و قد كتبنا على وجه التقريب حوالى سنة ١٤٥٨ م- ٤٥٠ هـ، فإننا نكون بذلك قد استوفينا قائمة الكتب الفارسية المتنوعة التى بقيت بين أيدينا، و التى تم تأليفها حتى منتصف القرن الخامس الهجرى.

و قد أشرنا فيما سبق إلى أن هناك قدرا كافيا من الأدلة يثبت لنا أن أدبا مستقلا باللهجة الطبرية (نسبة إلى طبرستان) كان موجودا فى ذلك الوقت، و كان متنورا كما يدل على ذلك كتاب «مرزبان نامه» و منظوما كما يدل على ذلك كتاب «نيكى نامه». و قد حفظ لنا «تاريخ طبرستان» لابن اسفنديار، و هو كتاب استمد منه كتاب «اليزدادى» الذى سبق لنا ذكره، طائفة كبيرة من أمثلة هذه الأشعار «الطبرية» التى أنشدها جماعة من الشعراء تجاهلهم كتاب التراجم العاديين مثل «الإصهبد خورشيد بن أبى القاسم المامطيرى» و «باربد الجريدى» و «إبراهيم معينى» و «الأستاذ على بيروزه» و هو من المعاصرين للمنتهى و المادحين لعهد الدولة البويهى و «ديواروز مسترده» و كان خصما للشاعر الأخير، و من أقرب المقربين إلى شمس المعالى «قابوس بن وشمكير».

شعراء الفارسية:

اشارة

بعد ذلك يجب أن ننصرف مباشرة إلى دراسة «شعراء الفرس» الذين ازدهرت على أيديهم الآداب الفارسية فى هذا العصر و على الخصوص الشعراء الذين ازدهت بهم القصور الغزنوية. و لا شك أن «الفردوسى» بإكماله العمل الجليل الذى بدأه «الديقى» المتوفى سنة ٩٧٥ م- ٣٦٥ هـ، و ذلك بنظمه لملمحة الخالدة و تضمينها الأساطير المتعلقة بوطنه، لا يعتبر أكبر الشعراء فى عصره فحسب، بل يعتبر من أكبر الشعراء الذين ظهوروا فى الوجود حتى الآن، و لقد قالت بهذا الرأى «مقطوعة» من الشعر الفارسي نصها:

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٣٤ در شعر سه تن پیغمبراندر جنت که لا نبى بعدى

أوصاف و قصيده و غزل رافردوسى و أنورى و سعدي و معناها:

– للشعر ثلاثة أنبياء، و لو أن الحديث النبوى يقول: «لا نبى بعدى»

فأما الوصف فنيبه «الفردوسى»؛ و أما القصيدة فنيبه «الأنورى» و أما الغزل فنيبه «السعدي».

و يلي «الفردوسی» في مكانته، أصحاب المديح من الشعراء و منشدو القصائد مثل: «عنصری» شاعر السلطان محمود؛ و «أسدی» صاحب الفردوسی و من أهل بلده و مخترع شعر المناظرة؛ و «عسجدی» و «فرخی» و «منوجهری» و جماعة آخرين من الشعراء لا يرقون إلى منزلة هؤلاء من بينهم:

«بهرامی» الذي ألف كتابا مفقودا في العروض و الشعر اسمه «خجسته تامه» و «عطاردی» و «رافعی» و «غضائری الراضی» و «منصوری» و «یمنی» الذي قيل عنه إنه ألف كتابا مفقودا بالفارسية عن السلطان محمود الغزنوي و «شرف الملك» الذي ينسب إليه كتاب فارسي في صناعة الكتابة اسمه «كتاب الاستيفاء» و «زینتی العلوی المحمودی» و الشاعرة «رابعه بنت كلب» التي تنسب إلى بلدة «فسدار» أو «قزدار» و جماعة آخرون كثيرون غير هؤلاء، نجد أسماءهم و أشعارهم مذكورة في الفصل التاسع من كتاب «الباب الألیاب»^(١) تأليف محمد عوفی.

و ليس من الممكن أو الضروري أن ندرس كل هؤلاء في كتابنا الحاضر، بل الخير كله في أن نقصر دراستنا على نخبة مختارة منهم ممن فازوا بالشهرة و حسن الأداء.

و هناك بالإضافة إلى هؤلاء ثلاثة من الشعراء الممتازين الذين ينتسبون إلى هذا العصر و هم يختلفون بعض الشيء عن سبق لنا ذكرهم و هم:

(١) أنظر «الباب الألیاب» ج ٢ ص ٢٨-٦٧

تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الی السعدی/ تعریب، النص، ص: ١٣٥
(١) الكسائي:

و قد بدأ حياته بقول المدائح، ثم ندم على ذلك في نهاية حياته، لأن خدمة القصور تودي إلى الرياء و الملق، و قضى بقية حياته ينظم الأشعار الدينية.

(ب) أبو سعيد بن أبي الخير:

الشاعر الصوفي الذي أنشد الرباعيات.

(ج) بندار الرازي:

المنسوب إلى بلدة «الری» و قد عرف بأنه من أصحاب اللهجات، كما أنشأ أيضا بعض أشعاره باللغتين العربية و الفارسية.

و هناك شاعر آخر من أصحاب اللهجات و منشدي الرباعيات و قد عدّه «إتبه»^(١) من شعراء هذا العصر، معتمدا في ذلك على أن «رضا قلی خان» في كتابه «رياض العارفين» قد حدد وفاته بسنة ٤١٠هـ- ١٠١٩م. و لكنه في الحقيقة ينتسب إلى العصر السلجوقي المبكر لأن تاريخ السلاجقة المسمى ب «راحة الصدور»^(٢) الذي تم تأليفه في سنة ١٢٠٢م - ٥٩٩هـ يذكر لنا قصة مقابلته ل «طغرل بك» في همدان سنة ١٠٥٥ أو ١٠٥٨م - ٤٤٧ أو ٤٥٠هـ.

*** و لا يفوتنا قبل أن نتحدث عن شعراء السلطان محمود، أن نذكر أنه هو نفسه

(١) أنظر مقاله التي عنوانها «الآداب الفارسية الحديثة» في المجلد الثاني من «المفصل في الدراسات اللغوية الإيرانية»: Grundriss der Iranischen Philologie; p. ٢٢٣

(٢) نسخته الخطية الوحيدة مؤرخة سنة ١٢٣٨م - ٦٣٦هـ (و كانت ملكا للاستاذ «شيفر» و هي الآن بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ١٣١٤ في الملحق الفارسي. و قد نشرت وصفا لها في مجلة الجمعية الأسيوية الملكية في سنة ١١٠٢م في الصفحات ٥٦٧- ٦١٠ و ٨٤٩- ٨٨٧.

(المترجم: و قد طبع هذا الكتاب و نشر ضمن مطبوعات سلسلة جب التذكارية).

تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الی السعدی/ تعریب، النص، ص: ١٣٦

كان شاعرا فيما يقولون، و قد ذكره «عوفی» في «الباب الألیاب» تاليا للأمر العجيب «اسماعيل بن نوح» آخر السامانيين، و جعله ثاني من وردت أسماءهم بين الملوك و الأمراء الذين أثر عنهم قول الشعر أحيانا. و يذكر «إتبه» أن ست غزليات تنسب إليه، و لكنه يشك في صحة الأساسيد التي ذكرت ذلك، و قد نقل «عوفی» مقطوعتين نسبهما إليه؛ الأولى منهما من ثلاثة أبيات و هي في رثاء فتاة اسمها «گلستان» (أي روضة الورد) كان يحبها و يتعلق بها و نصها «١»:

تا تو ای ماه زیر خاک شدی خاک را بر سپهر فضل آمد

دل جزع کرد گفتم ای دل صبراین قضا از خدای عدل آمد

آدم از خاک بود خاکی شد که زو زادباز اصل آمد و معناها:

- منذ نزلت ... أيها القمر ... إلى مرقدك في طيات التراب.

و قد أصبحت الأرض تعلقو رفعة على الأفلak و القباب ...!!!

- و لقد أحس قلبي بالجزع فقلت له: الصبر .. الصبر

فهذا قضاء الرحمن، و إليه مرجع الأمر ...!!!

- و كان آدم من تراب فصار إلى تراب، و سلانته لا بد أن تلتحق بأصلها عند المآب ...!!!

أما المقطوعة الثانية فقوامها ستة أبيات، و قد قيل إن السلطان محمودا أنشأها عندما أحس بدنو أجله، و هي قطعة معروفة و مشهورة، و لكن نسبتها إليه يشك فيها جدا، و قد روى «دولت شاه»^(٢) ثلاثة أبيات منها و نسبها إلى السلطان «سنجر» السلجوقي و بذلك أصبح احتمال نسبتها إلى هذا أو ذاك جائزا تقديرا و متعادلا فرضا و تفكيراً، و نص هذه القطعة كما يلي:

(١) أنظر «الباب الألیاب» ج ١ ص ٢٣.

(٢) أنظر «تذكرة الشعراء» ص ٦٧ و الأبيات التي ذكرها هي الأولى و الخامس و السادس مما رواه «الباب الألیاب» ج ١ ص ٢٥.

تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الی السعدی/ تعریب، النص، ص: ١٣٧ ز بيم تیغ جهانگیر و گرز قلعه گشای جهان مسخر من شد جو تن مسخر رای

گهی بجز و بدولت همی نشستیم شادگهی ز حرص همی رفتیم ز جای بجای

بسی تفاخر کردم که من کسی هستم کنون برابر بيم همی أمير و کدای

اگر دو کله بوسیده بر کشی ز دو گورسر امير که داند ز کله کرای

هزار قلعه گشادم بيك اشارت دست بسی مصاف شکستم بيك فشردن پای

العادة لا تسلم من الخطل و سوء التقدير. و المثل الذى اختاره من أشعاره هو قصيدته التى قالها على طريقة «السؤال و الجواب» و هى كافية لإعطائنا فكرة عن أشعاره عامة؛ و قد قال «العنصرى» هذه القصيدة فى مدح الأمير «نصر بن سيكتكين» حاكم خراسان و أخى السلطان «محمود الغزنوى «١٢». و فيما يلى ترجمتها دون أن أحاول الاحتفاظ بوحدة القافية فيها كما هى العادة فى القصائد:

(١) ليس هناك سبب ظاهر يدعوه الى جمع هذه التروء، اللهم إلا إذا كان رضاه موقوفا على أسباب أخرى لا تتصل بجودة الأسلوب و براعة الفن الشعري ...!!

(٢) نص هذه القصيدة موجود فى «تذكرة الشعراء» ص ٤٥-٤٦ و كذلك فى الورقة الثالثة و الرابعة من ديوان العنصرى المطبوع على الحجر فى طهران بدون تاريخ.

المتروجم: و فيما يلى نص الأبيات العشرة الأولى من مطلعها:

هر سؤالى كز ان لب سيرابدوش كردم مرا بداد جواب

گفتمش جز بنش نشايد ديدگفت: پيدا بنش بود مهتاب

گفتم: از تو كه برده دارد مهر گفتم: از تو كه برده دارد خواب

گفتم: آن زلف سخت خوشبوست گفتم: زيرا كه هست عنبر ناب

گفتم آتش بر رخت كه فروخت گفتم: آن كو دل تو كرد كياب -

تاريخ الادب فى ايران من الفردوسى الى السعدى/ تعريب، النص، ص: ١٤١

- كل سؤال وجهته له بالأمرس القريب، أجايتنى عنه شفتاه التديتان بجواب عجيب

- قلت له: ألا تجوز رؤيتك إلا فى الليل الساجي

فأجاب: و كذلك تبدو الأقمار فى الليل الداجي ...!!

- قلت: من الذى استطاع أن يسلب حبيك ...

فأجاب: الذى استطاع أن يسلب النوم من جفنتك ...!!

- قلت: إن طرتك تفوح بالعنبر الزكى

فأجاب: لأنها مجدولة من العنبر التدى ...!!

- قلت: و من الذى أشعل النار فى حدك ...؟

فأجاب: هو الذى أحرق بالنار صميم قلبك ...؟

- قلت: سوف لا أحول وجهى عن النظر إلى وجهك المستطاب

فأجاب: و هل يستطيع احد أن يتحول عن القبلة و المحراب ...؟

- قلت: إن عشقتك قد ابتلاني بالعذاب الدائم

فأجاب: و هذا حال العاشق الهائم ...؟

- قلت: و كيف السبيل إلى راحتي من العذاب ...؟

فأجاب: بالنظر إلى طلعة المليك الشاب ...!!

- قلت: اتعنى الأمير نصرا ناصر الدين ...؟

فأجاب: نعم فهو مالك لرقاب الملوك أجمعين ...!!

-

گفتم: از روى تو تايم روى گفتم: كس روى نتايد از محراب

گفتم: اندر عذاب عشق توأم گفتم: عاشق نكو بود بعباد

گفتم: از چيست روى راحت من گفتم: هر دم ز روى خسرو شاب

گفتم: آن مير نصر ناصر دفن گفتم: آن مالك ملوك رقاب

گفتم: او را كفايت ادبست گفتم: كافى ازو شدست آداب

..... الخ

تاريخ الادب فى ايران من الفردوسى الى السعدى/ تعريب، النص، ص: ١٤٢

- قلت: إن له فى الأدب كفاية ...!!

فأجاب: بل وصلت الآداب به إلى نهاية ...!!

- قلت: هل تستطيع أن تلم بأفضاله ...؟

فأجاب: خارجة عن الحساب جلال أعماله ...!!

- قلت: و من رسوله إلى الحرب الضروس و القتال الشديد ...؟

فأجاب: السنان من قرب، و الشهاب الثاقب من بعيد ...!!

- قلت: و هل هو لازم للزمان و الأحباب ...؟

فأجاب: أكثر من لزوم العمر و الشباب ...!!

- قلت: و هل رأيت له مثيلا فى هذه الدنيا أو هذه الرحاب؟

فأجاب: لا ... و لم أسمع عن مثله فى كتاب ...!!

- قلت: و ماذا تقول عن كفه وجودها ...؟

فأجاب: البحر سراپ إذا قورن بها ...!!

- قلت: و هل يستجيب لأقوال السائلين ...؟

فأجاب: و يثيبهم بالنقود و الثياب أجمعين ...!!

- قلت: و بماذا يعجزى الأحرار و الأحباب ...؟

فأجاب: بالجاه و الجلال و الإيجاب ...!!

- قلت: و ماذا تعرف عن سهامه القاتلة ...؟

فأجاب: إنها شبيهة بالشهب و الصواعق النازلة ...!!

- قلت: و ما سيفه الغالب ؟... و من عدوه الهارب ؟...
فأجاب: الأول لهب واصب ... و الثاني زئبق ذائب ...!!
- قلت: و من الخارج عن حكمه المشهود له بالصواب ؟...
فأجاب: إذا وجد أحد، فأمره زوال و خراب ...!!
- قلت: إن أعداءه يديمون الكذب عليه و الاقراء الزيم ...!!
فأجاب: أكثر من فعل «مسيلمه» الكذاب الأثيم ...!!
تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٤٣
- قلت: سأعطيه ملك الإفائق أجمعين
فأجاب: هو جدير بكل ملك مبين ...!!
- قلت: علي من يقع العناء بسبب ما امتاز به من جود ؟...!
فأجاب: علي ناسج الأقمشة و ضارب النقود ...!!
- قلت: إن جوده هو أشرف المذاهب و الخصال
فأجاب: و هو هبة له، اختصه بها الله المتعال ...!!
- قلت: و كيف يقبض علي كل هذا الملك الوسع ؟..
فأجاب: بخاتمه المنع و ركابه السريع ...!!
- قلت: سوف لا أسكت عن ترديد مدحه المستطاب ...
فأجاب: هكذا يفعل أولو النهي و الألباب ...
- قلت: و ماذا أطلب له من النعم الإلهية ؟..
فأجاب: العمر الطويل، و الدولة الفتية ...!!

عسجدی:

و شاعرنا التالي ذكرها هو «العسجدی» و اسمه أبو نظر عبد العزيز بن منصور.
و المعروف لنا عنه أقل بكثير مما عرفناه عن «العنصری». و قد ذكر «دولتशा» أن ديوانه على أيامه لم يكن يسهل الحصول عليه، و إن كانت تفاريق من أشعاره قد تضمنتها كتب المختارات، ثم قال عنه إنه كان من تلاميذ العنصری، و جعله من بلدة «هرات» و لكن «عوفی» المتقدم عليه زمنا، نسيه إلى بلدة «مرو». و فيما يلي رباعية نسبها «دولتशा» إليه:
از شرب مدام و لاف مشرب توبهوز عشق بتان سيم غيغب توبه
دل در هوس گناه و بر لب توبهز بن توبه نادرست يا رب توبه
تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٤٤
و معناها:

من شرب المدام و الفخر بالشراب ... أنا اطلب التوبة و من عشق الدمى ذات الغيبب الفضى ... أنا اطلب التوبة «١»
و القلب غارق في المعاصي، و على شفثي كلمة التوبة فيارب ... أعثى على هذه التوبة الكاذبة، و صحح منى التوبة

فرخى:

الفرخى هو أبو الحسن علي بن جولوغ السجزي (نسبة إلى سجستان و إن كان دولتशा يخطيء و ينسبه إلى مدينة ترمذ) و هو ثالث الشعراء الذين التقى بهم الفردوسي - كما تقول القصة المشهورة - عند قدومه إلى غزنة، و أخباره معروفة لنا بعض الشيء. و الفضل الأكبر في ذلك راجع إلى الحكاية الطويلة المروية عنه في كتاب «جهار مقاله» «٢».
و للفرخى كتاب في فنون الشعر اسمه «ترجمان البلاغة» و هو كتاب مفقود قد أودى به الزمان فيما تعلم «٣»، و ربما استعمله «رشيد الدين الوطواط» في تأليف كتابه «حدائق السحر» و قد ذكر فيه: «أن الفرخى لدى الفرس بمنزلة المتنبي لدى العرب». أما ديوانه فقد ذكر «دولتशा»: إنه مشهور فيها وراء النهر و لكنه غير معروف في خراسان» و توجد منه الآن نسختان خطيتان أحدهما في «المتحف البريطاني» و الأخرى في «إدارة الهند». كما توجد منه طبعة على الحجر نشرت في طهران سنة ١٣٠١ هـ - ١٨٨٣ م.
و قد جاء في كتاب «جهار مقاله» إن «جولوغ» والد الفرخى كان ملحقا

(١) المترجم: «الغيب» هو الرقية الممثلة و كانت تعتبر من علامات الجمال.
(٢) أنظر الحكاية الخامسة عشرة من هذا الكتاب.
(٣) المترجم: طبع هذا الكتاب أخيرا في تركيا.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٤٥
بخدمته الأمير «خلف» من سلالة الصفاريين «١». أما «الفرخى» نفسه فقد استبقاه أحد الدهاقين في خدمته لبراعته في قول الشعر و العزف على العود، و رتب له راتباً سنوياً مكوناً من مائة درهم و مائتي قفيز من القمح، كل مائة منها تبلغ خمسة أمانان؛ ثم تزوج «الفرخى» بعد ذلك بإحدى النساء اللاتي كن في قصر «خلف» فلم يكفه مرتبه، و علم بذلك الدهقان فزاد له من راتبه حتى أبلغه إلى خمسمائة درهم و ثلثمائة من من القمح، و لكن «الفرخى» لم يقنع بهذا الراتب و يمض وجهه شطر الأمير «أبي المظفر الصاغاني» «٢» لما سمعه عنه من كرم و ثراء، لعله يصيب لدى مولاه الجديد بعض الحظ الذي فاتته لدى غيره كما يقول في قصيدته التي مطلعها:

با كاروان حله برفتم از سيستان با حله تيده ز دل بافته ز جان و معنا:

- خرجت من «سجستان» مع قافلة الحلة، و معي حلة مطرزة بدماء قلبي منسوجة من أشجان روحي.

فلما بلغ مقصده وجد أن الأمير «أبا المظفر» قد خرج من بلدته إلى بعض المراعي يشاهد فيها رجاله و هم يسمون جواده بالكي في ميدان الوسم (داغگاه)، و المأثور عن هذا الأمير أنه كان من أكبر محبي الخيل، و أنه كان يمتلك - فيما يقول صاحب جهار مقاله - ثمانية عشر ألف رأس من الجياد و المهاري.

و استقبال الشاعر في غيبة الأمير حاجبه «عميد أسعد» و كانت له معرفة بقول الشعر و إنشاده، فما كاد «الفرخى» يسمعه بعض قصائده حتى أعجب بها كل الإعجاب، و لكنه لم يصدق أن سجزيا مهلهل الثياب رث الهيئة من قمة رأسه إلى أخمص قدميه، تعلق رأسه وعمامة كبيرة على شاكلة ما يلبسه أهل سجستان، يستطع أن يقول مثل هذا الشعر الذي سمعه، و على ذلك التفث إليه قائلاً:

بحيث بدت الحيرة على وجه الزمان مما امتلأ به من غبطة و سرور ...!!
 - فحضرتة ... متصلة اتصال الأفلاك في عليائها ...!!
 و خيامه ... متلاصقة تلاصق القلاع في بنائها ...!!
 - و في كل خيمة ... يضطجع عاشق ثمل إلى جوار معشوقه الولهان ...!!
 و في كل خيمة ... يسعد حبيب هائم برؤية حبيبه الهيمان ...!!
 - و الخمائيل ... تتجاوب بأنغام الأعواد و المغنين ...!!
 و الخيام ... تتردد فيها صيحات السقاء المخمورين ...!!
 - و العشاق في تقبيل و معانقة، و الحسان في دلال و معانبة ...!!
 و المطربون دائبون في العزف و الغناء، و النشاي غارقون في غفلة الانتشاء ...!!
 - و لقد اتقدت على باب خيمة الأمير السعيد نار أخذت في التأجج
 أشعلوها ليسم بها حياده، فأصبحت كأنها الشمس ذات التوهج ...!!
 - و ارتفعت لهبها، و كأنها الأعلام المصنوعة من الديباج الأصفر
 و اشتدت حرارتها كحرارة الشباب، و اصفرت طلعتها كالذهب الخالص ...!!
 - و احمرت المياصم، فأضحت كقطع الباقوت الذكاء ...!!
 و بدت مصفوفة في النار، كأنها حبات الرمان الحمراء ...!!
 - و اصطف الغلمان الذين لم يدوقوا طعم النوم و الكرى ...!!
 و وقفوا بمسكون بالحياد التي لم يسموها ... قافلة في أثر قافلة ...!!
 تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: 150

- و الأمير السعيد قد امتطى صهوة سابع جميل ...
 و الأنشوطه في قبضه يده و كأنه «اسفنديار» الجليل «١»
 - و اتنتت الأنشوطه في يده، فأصبحت كطرفة الفتاة الحسنة
 و استحكمت في قبضته كما يستحکم عهد الأصدقاء القدماء
 - و أحاط بالأمير العادل «أبي المظفر» جماعه من الأخصاء
 و وقف بينهم ملكا مظفرا، قد دانت له جميع الأنحاء
 - فإذا وقع الجواد في عقدة أنشوطته
 و سمه بالكي فأصبح اسمه منقوشا على وجهه و رقبة و عجيزته
 - و لكنه يسم الجياد، ثم يوجد بها بعد ذلك
 فتصبح للشعراء أزمعتها، و للزائرين مقاودها و أعتنها ...!!

و يقول صاحب «جهار مقاله»: إن «العميد أسعد» عندما سمع هذه القصيدة بقي في حيرة كاملة، لأن أذنه لم تطرقها من قبل قصيدة أخرى في مثل جمالها؛ فترك جميع أعماله، و أمر للفرخي بجواد ركب، و توجه معه إلى الأمير؛ و وصل إليه و الشمس آخذة في المغرب، و قال له: لقد أحضرت إليك يا مولاي شاعرا لم ير أحد ندا له منذ واري «الديقي» وجهه في نقاب التراب. ثم حكى له خلاصة ما سبق من أمره معه:

فأذن الأمير بإحضار الفرخي إلى مجلسه، فلما دخل عليه و حياه، مد الأمير يده إليه، و قربه من مجلسه، و سأله عن حاله، و تلتفت إليه، و أمله في نواله و صلته؛ فلما دار الشراب جملة دورات نهض الفرخي من مكانه و أخذ ينشد في صوت حزين جميل قصيدته التي مطلعها:

با كاروان حله برفتم ز سيسان با حله تنیده ز دل بافته ز جان

(١) بطل من أبطال الأساطير الإيرانية.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: 151

- خرجت من «سجستان» مزاملا لقافلة «الحلة»

و معي حلة مطرزة بدماء قلبي، منسوجة من أشجان روعي

فلما فرغ من إنشادها، و كان الأمير من قائل الشعر و الخبراء به، تعجب من جودتها؛ فالتفت إليه «العميد أسعد» و قال: تمهل قليلا ... يا سيدى ... حتى تمنع النظر فيما هو آت ... و سكت «الفرخي» قليلا حتى إذا عمل الشراب في رأس الأمير، و بلغ منه السكر مبلغه، نهض «الفرخي» من مكانه و أخذ ينشد قصيدته التي يصف فيها مكان وسم الجياد، فملكت الحيرة لب الأمير، و التفت إلى «الفرخي» قائلاً: لقد أحضروا إلى الآن ألفا من المهارى الجيدة، كلها بيضاء الغرة، محجلة الأرجل، و أنت رجل «سجزي» «١» ما كر ختال، فأمسك منها ما استطعت يكن من نصيبك ...!!

و كان الشراب عند ذلك قد أثقل رأس «الفرخي» و بلغ به غاية النشوة، فطوح بعمامته عن رأسه، و رمى بنفسه في وسط هذا القطيع، و استطاع أن يقود أمامه عدداً منه، سار به إلى ناحية السهل و الفلاة؛ و لكن المهاري جرت يمينا و يسارا فلم يتمكن من أن يأخذ من بينها مهرا واحداً، و بدا له في نهاية الأمر رباط خرب يقع إلى جوار المعسكر، أخذت المهاري تدخل فيه؛ و كان «الفرخي» قد بلغ غاية التعب و النصب، فدخل إلى دهليز هذا الرباط، و استلقى على الأرض واضعاً عمامته تحت رأسه، و لشدته ما كان يحسه من تعب و سكر استغرق في نوم عميق.

و جاء رجال الأمير و عدوا المهاري الموجوده داخل الرباط فوجدوها اثنين و أربعين مهرا، فتوجهوا إلى الأمير و أخبروه بما كان؛ فضحك الأمير كثيراً، و تعجب مما حدث و قال. إن «الفرخي» رحب حسن الحظ، سيرتفع شأنه، فاحتفظوا به، و احتفظوا له بهذه المهاري، فإذا ما صحا من غفوته أتيناها أنا أيضا.

(١) أى من أهل سجستان.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: 152

فامتلتوا لأمره؛ و نهض «الفرخي» من نومه في اليوم التالي مع طلوع الشمس، و استيقظ الأمير من تلقاء نفسه و صلى صلاة الصبح، ثم أمر بإحضار «الفرخي» إليه، و تلتفت إليه كثيراً، ثم سلم إلى تابعيه هذه المهاري، و أمر له بجواد كامل العدة من جياده الخاصة، كما

أمر له بخيمنتين وثلاثة بغال وخمسة من العبيد وبعده من الملابس والمفروشات. و علا أمر «الفرخي» في خدمة الأمير علوا كبيرا، و بلغ شأوا بعيدا من العظمة والجاه؛ ثم التحق بخدمة السلطان يمين الدولة «محمود الغزنوي»، فلما رآه على هذه الحال من العظمة والرفعة والجاه، تولاه بما هو جدير به، فما زال شأنه في علو و ارتقاء حتى بلغ عدد من يتبعه من الخدم إذا ركب عشرين غلاما يتمنقون بمناطق من الفضة الخالصة.

الفردوسي:

[قصة مشهورة في مدينة «غزنه»]

تروى قصة مشهورة «١» أنه بينما كان الشعراء الثلاثة الذين ذكرناهم فيما سبق يتحدثون يوما في إحدى الرياض في مدينة «غزنه» قصدهم غريب قادم من «نيسابور» يريد أن يلتحق بمجلسهم فاعترضه «العنصرى» و قد هاله فضول هذا الغريب القروي و قال له: - إننا شعراء الملك، و لا يدخل في زممرتنا إلا شاعر، فإن شئت أن تلحق بجماعتنا فما عليك إلا أن تجيزنا بشطرة رابعة لثلاث شطرات من الشعر، سيقول كل واحد منا واحدة منها.

فأدعن «الفردوسي» و هو الغريب القادم لهذا الاختبار و عمد «العنصرى» إلى اختيار قافية صعبة، يسهل بها تقفية ثلاث شطرات و تستعصى بها الرابعة، فقال مبتدئا:

«چون عارض تو ماه نباشد روشن_____»

(١) مروية في «تذكرة الشعراء» لدولت شاه ص ٥١- و قد ذكرها كل من أتى بعده من كتاب التراجم، و لكن صاحب «جهار مقاله» و كذلك «محمد عوفى» لم يذكرها و هما أقدم اثنين من كتاب التراجم المعتمدة.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٥٣

و معناها:

إن القمر لا يضيء كنور وجهك في بهائه...!!!

ثم ثنى «العسجدى» فقال:

«مانند رخت گل نیود در گلشن»

و معناها:

و في بهاء وجنتك... لا يكون الورد في رباضة...!!!

ثم أعقبه «الفرخي» فقال:

«مژگانگ گذر همی کند در جوشن»

و معناها:

و أهدابك تنفذ من الجواشن الثقيلة...!!!

و أقبلت نوبة «الفردوسي» فقال الشطرة الآتية و فيها إشارة إلى قصة غير مشهورة في أساطير الملوك الأقدمين:

«مانند سنان گيو در جنگ پشن»

و معناها:

و كأنها سنان «گيو» في حربه مع «پشن»...!!!

عند ذلك طلب الشعراء الثلاثة إلى «الفردوسي» أن يشرح لهم القصة التي أشار إليها في «شطرتة» ففعل لهم ذلك، و أبدى كثيرا من الخبرة بأساطير إيران القديمة. و أخير «العنصرى» مولاه «السلطان محمود» بأنه قد عثر في النهاية على شاعر ماهر قمين بأن يكمل نظم الملحمة الوطنية التي بدأها «الديقي» لأحد ملوك السامانيين منذ عشرين أو ثلاثين سنة و أتت منها ألف بيت نظمها في قصة الملك «گشتاسب» و ظهور نبي الفرس زردشت «١» و لكن الموت اخترمه عند هذا الحد فاغتاله غلام تركى من غلمانه، و قضى بذلك على هذا الشاعر الناعس الموهوب.

هذا هو جملة البيان الذى أورده «دولت شاه» و غيره من أصحاب التراجم عن الكيفية التي اتصل بها «الفردوسي» بالبلاد الغزنوي، و لكنى قد بينت في ملاحظة سابقة أن أقدم الكتب التي كتبت عن هذا الشاعر و هي التي ترجع إلى منتصف القرن

(١) يذكر عوفى (ص ٣٢) إن «الديقي» نظم عشرين ألف بيت من الشاهنامه بالإضافة إلى ما نظم «الفردوسي» و قوامه ستون ألف بيت. و لكن «الفردوسي» نفسه يقصر عدد ما نظم «الديقي» على ألف بيت، و ذهب إلى هذا الرأي أيضا المستشرق «نولدكه» في ص ١٩ من مقاله:

«الملحمة القومية الإيرانية: Iran.Nationalepos-»

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٥٤

الثاني عشر و بداية الثالث عشر الميلاديين لا تورده مثل هذه الرواية. و لا شك أن ذلك مما يؤيد وجهه نظر الأستاذ «نولدكه» في أنها رواية مخترعة من أساسها.

و الضيق الحاصل لنا في مثل هذه المواضع ليس ناتجا كما هو العادة من نقص التفاصيل التي يوردها أصحاب التراجم، بل على العكس من ذلك، عن كثرة الروايات الباطلة التي لا تؤيدها المصادر القديمة التي كتبت عن حياة الشاعر، و لا التبذ القليلة المتفرقة التي رواها «الفردوسي» عن نفسه في «الشاهنامه» و ربما كانت هذه و تلك في كثير من الأحيان تتعارضان تمام المعارضة و تبدوان على طرفي نقيض. و من أجل ذلك وجب علينا في مثل هذه الحالات أن نرفض رفضا تاما هذه الروايات المتأخرة التي ترجع إلى النصف الأخير من القرن الخامس عشر الميلادى (- منتصف التاسع الهجرى) و حسبا أن نحيل القارىء المتخصص إلى ما أورده من نظائرها «أوزلى» في كتابه «تراجم شعراء الفرس» «١» و ما ذكره «مول» «٢» في مقدمته على طبعه ال «شاهنامه» المصحوبة بترجمتها الفرنسية، و إلى غير ذلك من الكتب التي يتداولها بعض الناس من غير طائفة المستشرقين المتخصصين.

و لا خلاف بين أهل المشرق و المغرب في أن «الفردوسي» شاعر عظيم الخطر؛ و مهما اختلف تقديرنا الشخصى لملحمته «الشاهنامه» فلا خلاف في أنه هو و منظومته حقيقان بدراسة مفصلة موضحة، و لكن الغرض الذى أجعله نصب عيني عند تأليف هذا الكتاب يدعونى إلى أن ألتمس الإجمال بقدر المستطاع، لأن هدفى منذ البداية منصب على إعطاء القارىء الأوروبي صورة من الحياة الأدبية في إيران تملده بالتفاصيل التي لا يجدها في الكتب الأوروبية الأخرى.

و أهم المصادر المعتمدة التي في أيدينا هي التالية:-

أولا: مؤلفات الشاعر نفسه؛ و هي عبارة عن «الشاهنامه» و قصة «يوسف و زليخا» المنظومة و بعض الغزليات التي جمعها و ترجمها

الدكتور «إتبه»

(١) أنظر: Biographies of the Persian Poets, by Ouseley.

(٢) يكتب هذا الاسم بالحروف الرومانية هكذا: Jules Mohl.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٥٥

في مقاله «الفردوسي كشاعر غنائي» ١

ثانياً: الرواية التي أوردتها «نظامي عروضي السمرقندي» في كتابه «جهاز مقاله» وقد زار قبر الفردوسي في «طوس» سنة ١١١٦ م - ٥١٠ هـ أي بعد وفاته بما يقرب من قرن واحد واستطاع أن يضمن كتابه ما سمعه هناك من أخبار احتوتها الحكاية العشرون «٢». تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب النص ١٥٥ قصة مشهورة في مدينة «غزنه» ص: ١٥٢

لنا: الرواية المقتضبة التي ذكرها «محمد عوفي» في الجزء الثاني من كتابه «اللباب».

وقد تمكن الأساتذة الأوروبيين من أمثال «ترنمکن» و «مول» و «روكرت» من أن يجعلوا «الشاهنامه» معروفة لدى الأوروبيين بعد ما طبعوها و ترجموها، ولكن لا زالت أهم الدراسات التي كتبت عن الفردوسي هي تلك التي كتبها «إتبه» في مقاله التي ذكرناها فيما سبق، وكذلك فيما كتبه «نولدكه» في مقاله البارعة التي عنوانها «الملحمة القومية الإيرانية»، وهي التي نشرها في كتاب «المفصل في الدراسات اللغوية الإيرانية» والتي أعاد نشرها «Trubner» في كتيب منفصل سنة ١٨٩٦ نجعل عليه عمادنا فيما نحن مقدمون عليه من نقل.

(١) أنظر: Firdusi als Lyriker في Munch Sitzung Sberichte أخبار جلسات المعهد العلمي بميونخ سنة ١٨٧٢ ص

٢٧٥ - ٣٠٤ سنة ١٨٧٣ ص ٦٢٣ - ٦٥٣، وكذلك «يوسف و زليخا» في أعمال المؤتمر الدولي السابع للمستشرقين في فينا سنة ١٨٨٩ القسم السامي ص ٢٠ - ٤٥، وكذلك ملاحظات نولدكه في «الدراسات الفارسية» الجزء الثاني عدد ١٢٦ من «أخبار جلسات المجمع العلمي فيينا» ١: Wiener Sitzungsberichte

وقد أورد الدكتور «إتبه» قائمة بأسماء الكتاب الإنجليز الذين استعانوا بالكتب السابقة لكتابة المقالات في المجالات والجراند. وهذه القائمة موجودة في مقاله التي عنوانها «الأدب الفارسي الحديث» المنشورة في الجزء الثاني من «المفصل في الدراسات اللغوية الإيرانية».

(٢) هذه الرواية المذكورة أيضاً بتمامها في كتاب تاريخ طبرستان تأليف ابن اسفنديار و كان أول من استخرجها من ذلك الكتاب هو الدكتور إتبه، لأن نص «جهاز مقاله» لم يكن ميسراً له، لا في النسخة المطبوعة على الحجر ولا في مخطوطة المتصرف البريطاني، وقد نشر هذا النص الذي اعتمد فيه على ثلاثة مخطوطات في مجلة المستشرقين الألمان عدد ١٥٨.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٥٦

ولا يفوتنا أن نذكر أننا مدنيون ل «نولدكه» خاصة بدراسة عميقة سليمة لحياة الفردوسي، أظهر فيها معالمها الحقيقية والمحتملة، معتمداً في ذلك على أحسن المصادر التي يعتمد عليها الباحث الناقد، وأقصد بذلك أقوال «الفردوسي» نفسه و هي التي نجدتها مبعثرة في مختلف المواضع في شاهنامته الشاسعة.

وقبل أن نخوض في ذكر الأساطير الطويلة التي أشترنا إليها فيما سبق، يحسن بنا أن ننهي أولاً من ذكر الروايتين القصيرتين اللتين أوردتهما «عوفي» في «اللباب» ١ و «المؤرخ» أحمد الله المستوفي» في كتابه «تاريخ كزنده» الذي ألقه في سنة ١٣٣٠ م - ٧٣١ هـ؛ وقد ذكر الأخير منهما أن اسم «الفردوسي» الكامل هو «الحسن بن علي الطوسي» وجعل وفاته في سنة ٤١٦ - ١٠٢٥ م. أما صاحب «اللباب» فكعادته يكيل الثناء للشاعر و يعجب أشد الإعجاب بمتانة عباراته، وقوة تراكيبه، و بعد خياله، و قدرته على المحافظة على هذه الأمور في منظومة طويلة شغلته السنين الطويلة من عمره؛ ثم يذكر بعد ذلك أن الشاعر «مسعود بن سعد» و هو من الشعراء المبكرين الذين عاشوا حوالي سنة ١٠٨٠ م - ٤٧٣ هـ اقتبس منها بعض المختارات مما يدل دلالة واضحة على أن الشاهنامه قد فازت في هذا الزمن المبكر بكثير من الانتشار و الذبوع.

رواية «جهاز مقاله»

أما كتاب «جهاز مقاله» - و هو أقدم المصادر و أجدرها بالإعتماد - فيذكر أن «الفردوسي» كان دهقاناً (أي قروياً من أصحاب الأراضي) و أنه كان من قرية «باز» ٢ في ناحية «طيران» بالقرب من «طوس» إحدى مدن خراسان التي كانت تقع في مكان مدينة «مشهد» الحالية. و كان يعتمد في معيشته على ما تغله له بعض الضياع، و لم يكن له من عقب غير ابنة واحدة، أراد أن يحسن تجهيزها، فدفعه ذلك

(١) انظر ج ٢ ص ٣٢ - ٣٣

(٢) ذكر ابن اسفنديار في تاريخه مثل هذه الرواية و لكنه لم يذكر اسم هذه القرية.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٥٧

إلى نظم ملحمة الطويلة لعله يجد من أصحاب الجاه و السلطان من يهديها إليه فيجزيه الجزء الأوفى على ما تعجب من تعب دائب و جهد طويل متصل. فلما فرغ منها بعد ثلاثين سنة (أو خمسة و عشرين وفقاً لبعض المصادر الأخرى) و كان ذلك في سنة ٩٩٩ م - ٣٨٩ هـ كما يقول «نولدكه» أعطاهما لكتابه «علي ديلم» ففسخها و لراويه «أبي دلف» فأنشدها؛ و قد ذكر «الفردوسي» هذين الرجلين في إحدى مقاطع الشاهنامه و قرن بهما «الحسين بن قتيبة» حاكم طوس لأبياديه الجميلة التي مدته بكثير من العون و التشجيع. و فيما يلي نص القطعة التي ذكر فيها أسماء هؤلاء الرجال ١:

ازين نامه از نامداران شهرعلى ديلم و بو دلف راست بهر

نيامد جز احستشان بهرام يكفت اندر احستشان زهرام ٢

حيى قتيبة است از آزادگان كه از من نخواهد سخن راينگان

نيم آگه از أصل و فرع خراج همي غلطم اندر ميان دواج و معناها:

- من مشاهير هذه المدينة، الذين ذكروا في هذا الكتاب

ل «علي ديلم»، و «أبي دلف» نصيب من الفضل و الثواب

- فلم أسمع منهما إلا أقوال الاستحسان و الإعجاب

و قد كدت انظر خجلا و عجزا أمام أقوالهما العذاب

(١) المترجم: النص منقول عن «جهار مقاله» و ليس موجودا في الأصل.

(٢) هذا البيت مشكوك في مبناه و معناه و أتى أفضل نضه الذي ورد في تاريخ «ابن اسفنديار» حيث وردت في الشطره الأولى «از بختشان» بدل كلمة «احسنشان» و لكني مع ذلك أشك في صحته ما ورد بالشطره الثانية حيث ذكر «احسانشان» بدل كلمة «احسنشان» و لو أننا اتبعنا هذه التعديلات و أصلنا النص الذي ذكرناه في صفحه ٧٩ من ترجمتي لكتاب «جهار مقاله» لأصبح معنى هذا البيت: - «لقد كادت كبدي تنفجر لما بذلا لي من خير و كرم؛ أي لقد هزني كرمهما و حرك الساكن من قلبي.» و لا شك أن هذا الإصلاح يفض الصعوبة التي اعترضتني في ترجمه هذا البيت و أشرت إليها في الهامش رقم ٤ من ترجمتي.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٥٨

- و كذلك «حيي قبيبه» فإنه من أحرار الرجال «١»

و لم يتطلب أن أقول فيه حسبه شيئا من الأشعار و الأقوال...!!!

- فأعفاني من الخراج حتى جهلت بأصوله و فروعه

و أصبحت بذلك اتقلب في التحرير، بل في الخير جميعه...!!!

و يذكر صاحب «جهار مقاله» في تفسير البيت الأخير أن «حسين بن قبيبه» كان يتولى جباية الخراج في «طوس» و أنه أعفى «الفردوسي» مما عليه؛ و من أجل ذلك فقد خلد الشاعر اسمه حتى القيامة و جعل الملوك يذكرونه و يرددونه.

و لما فرغ «علي ديلم» من نسخ «الشاهنامه» في سبعة مجلدات حملها «الفردوسي» و يمم وجه شطر «غزنه» مستصحا معه راويته «أبا دلف» و سرعان ما تمكن من أن يجعل الوزير «أبا القاسم أحمد بن الحسن الميمندي «٢» يشغف بمنظومته و يتولى تقديمها إلى السلطان محمود الذي سربها سرورا عظيما. و يمضي صاحب «جهار مقاله» في روايته يقول: «إن الوزير كان له أعداء و كانوا دائما يصيرون تراب الخليط في كأسه (أي يقدحون فيه) فشاوهم السلطان محمود في مقدار العطاء الذي يعطيه للفردوسي، فقالوا له: حسبه خمسون ألف درهم و هذا المبلغ كثير عليه، لأنه رافضي و معتزلي؛ و الدليل على اعتزله قوله:

به بينندگان آفريننده رانينين مرانجان دو بيننده را و معناه:

- إنك لن تستطيع أن ترى الخالق بعينيك، فلا تعب إذن ناظر يك «٣».

(١) هذا الاسم مذکور في نسختي المتحف البريطاني لكتاب «جهار مقاله» على أنه «حيي» أو «حيي» و لكن تاريخ ابن اسفنديار يذكره «حسين» و ربما كان هذا هو الصواب.

(٢) في «جهار مقاله» يذكر هذا الاسم على أنه «الوزير أحمد بن الحسن الكاتب» و لا شك أنه يقصد به «الميمندي» أما «ابن اسفنديار» فيذكر هذا الاسم هكذا «حسين بن أحمد».

(٣) «رؤية الله» كانت سببا في نقاش طويل بين الفرق الإسلامية. و المعتزلة يفتونها، و الحنابلة يفتونها.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٥٩

و الدليل على تشييعه قوله:

مر غمز کردند کان پرسخن بهر نبي و علي شد كهين

اگر مهرشان من حكايت كنم چو محمود را صد حمايت كنم

پرستارزاده نيابد بكارو گر چند باشد پدر شهريار

ازين در سخن چند رانم همي چو دريا كرانه ندانم همي

به نيكي نبد شاه را دستگاهو گر نه مرا برنشاندی بگاه

چو اندر تبارش بزگی نبودندانست نام بزرگان شود و معناها:

- لقد عابوني فقالوا: إن هذا المشدق التراث

قد شاب على حب النبي و علي، و تقدمت به السنون و الأعمار...!!!

- و لو أتى أخذت أردد أقوالی في حيهما و ما يتصل بهما من أخبار

لحميت بذلك مئات من أمثال «محمود» و كل سلطان جبار...!!!

- و لكنني أعرف أن ابن الأمة لا يصلح في عمل من الأعمال

و لو كان أبوه ملكا من ذوی الخطر و الجلال...!!!

- فإلام أسوق الحديث في هذا الباب الواسع...!؟!

و هو كالبحر، لا أعرف حدا لمداه الشاسع...!!!

- و ليس في طاقة هذا السلطان أن يفعل الخير و الإحسان

و لو قدر له ذلك لأجلسني على العرش في أسمى مكان...!!!

- و لم يكن في أرومته ما يتصل بالعظمة و كرم المحتد و الانتماء...!!!

و من أجل ذلك لم يعرف كيف يستمع إلى أسماء العظماء...!!! «١»

فإذا صحت هذه الرواية التي ذكرها صاحب «جهار مقاله» عن الفردوسي - و لست أحسبها إلا صحيحة في أساسها - فإني أميل إلى افتراض صلة بين ما أصاب الفردوسي من ضر و ما أصاب سيده و مولاه «الميمندي» من شر انتهى به إلى الحبس كما خبرنا

(١) المترجم: لم يذكر «براون» هذه الأبيات في هذا الموضع و اكتفى بالإشارة إليها و إرجاع القاري إلى ترجمته لكتاب «جهار مقاله» ص ٨٠-٨٩.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٦٠

بذلك ابن الأثير في حوادث سنة ٤٢١ هـ - ١٠٣٠ م حيث ذكران «مسعود بن محمود الغزنوي» أفرج عنه و أعاده إلى منصبه.

و مع ذلك فليس من السهل التغلب على الاعتراضات التي توجه إلى هذا الفرض، لأن «نولدكه» على الخصوص، يثبت لنا أن الفردوسي ولد غالبا في سنة ٣٢٣ هـ أو ٣٢٤ هـ - ٩٣٥ م أو ٩٣٦ م و أنه فرغ من «الشاهنامه» نهائيا في سنة ٤٠٠ هـ - ١٠١٠ م، و أن عمره في ذلك الوقت قد نيف على الثمانين «١»؛ و في هذا الوقت دون غيره ناز النقاش على مسأله مكافأته على نظم «الشاهنامه».

و يمضي صاحب «جهار مقاله» في حديثه عن الفردوسي فيقول:

«وكان السلطان محمود رجلاً شديد التعصب فأثرت فيه هذه الوشائيات واستمع لها، فلم يصل «الفردوسي» في النهاية إلا بعشرين ألف درهم»^(٢)، وغضب الفردوسي غضباً شديداً، وذهب إلى الحمام فاغتسل ثم خرج منه وشرب فقاغاً «٣»، وقسم النقود بين صاحب الحمام وبنائ الفقاع. وكان يعلم بقسوة محمود، فخرج من مدينة «غزنه» ليلاً ونزل بمدينة «هراة» في دكان إسمايل الوراق والد «الأزرقى»^(٤)؛ ثم توارى في منزله مدة ستة أشهر حتى وصل رسل محمود في طلبه إلى مدينة طوس وانصرفوا عنها. فلما أحس الفردوسي بالأمن والطمأنينة خرج من «هراة» وتوجه إلى طوس، وحمل الشاهنامه معه، وذهب إلى «طبرستان» ونزل عند ملكها «الإصبيهد شهبيرار»

(١) يثبت «نولدكه» أن الفردوسي فرغ من نظم «الشاهنامه» قبل أن يقوم بأهدائها إلى السلطان «محمود الغزنوي» بزم طويل ويبرهن على ذلك بأن هناك نسخة أخرى أهديت إلى «أحمد بن محمد بن أبي بكر الخالنجاني» بتاريخ ٣٨٩هـ - ٩٩٩م.
(٢) هذا الرقم مذكور في النسختين المخطوطتين المحفوظتين في المتحف البريطاني، وكذلك في تاريخ «ابن اسفنديار» أما النسخة المطبوعة على الحجر فتذكر أنه ستون ألف درهم. ومدار الجدل في هذه الروايات هو أن السلطان استبدل الدنانير الذهبية بـ «الدرهم» الفضية.

(٣) المترجم: نوع من الشراب المسكر كالجعة.

(٤) شاعر مشهور ستحدث عنه فيما بعد.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٦١

الذي ينتسب إلى «آل باوند» وهم أسرة كبيرة يتصل نسبها بالملك «يزدجرد بن شهبيرار»^(١).

«ثم هجا الفردوسي محموداً في منظومة من مائة بيت، قرأها على «شهبيرار» وقال له: سأنتقل هذا الكتاب من اسم محمود إلى اسمك فإنه عبارة عن أخبار جدودك ومآثرهم: فتلطف شهبيرار في معاملته وأبدى له أنواع الرفق والإحسان، وقال له: يا أستاذ... لقد حمل الوشاة محموداً على ذلك، ولم يعرضوا عليه كتابك بما هو جدير به، وقدحوا في شأنك، هذا بالإضافة إلى أنك رجل شيعي، والمعروف أن كل من يتولى أهل بيت الرسول لا يستقيم له أمر من أمور الدنيا، لأنهم هم أيضاً لم يستقم لهم أمر من أمورهم، وأنت تعرف أيضاً أن السلطان محموداً سيدى ومولاي، فاترك الشاهنامه باسمه، واعطني هجاء حتى أمحوه، وسأعطيك في مقابل ذلك عطاءً قليلاً، وسيدعوك محمود بنفسه ويطلب رضاك، فلا يضع بذلك ما تكبته من جهد في نظم هذا الكتاب.
«ثم أرسل إليه في اليوم التالي مائة ألف درهم، وقال: لقد اشترت كل بيت من أبيات الهجاء بألف درهم، فأعطني هذه الأبيات المائة، وطب حالاً واهناً قلباً مع السلطان محمود.

«أرسل الفردوسي إليه هذه الأبيات. وأمر شهبيرار بمحوها، ومحا الفردوسي أصولها. وبذلك اندرس هجاؤه للسلطان؛ وقد بقيت ستة أبيات من بينها، هي الآتية «٢»:

- لقد عابوني فقالوا: إن هذا المتشدد الثرثار ...

قد شاب على حب النبي وعلى وتقدمت به السنون والأعمار «٣»!!!

(١) آخر ملوك الساسانيين، وقد فتح العرب بلاده أثناء حكمه، وقد استعاض «ابن اسفنديار» العبارات التالية لكلمة «باوند» بالعبارات الآتية: «وكان خالاً لشمس المعالي قابوس بن وشمكير وقد سجلت مآثره ونواحي عظمته في كتاب اليبيني للعتبي».

(٢) المترجم: ذكرت نص هذه الأبيات بالفارسية في صحيفة ١٥٩.

(٣) يقصد بذلك أنه أحب النبي وعلياً فقط، ولم يذكر أباً بكر وعمر وعثمان، وهم

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٦٢

- ولو أنني أخذت أردد أقوالى في جبهما وما يتصل بهما من أخبار ...

لحميت بذلك مئات من أمثال محمود وكل سلطان جبار ...!!!

- ولكنى أعرف أن ابن الأمة لا يصلح في عمل من الأعمال ...

ولو كان أبوه ملكاً من ذوى الخطر والجلال ...!!!

- فإلام أسوق حديثي في هذا الباب الواسع ...

وهو كالبحر، لا أعرف حداً لمدها الشاسع ...!!!

- وليس في طاقة هذا السلطان أن يفعل الخير والإحسان ...!!!

وإلا لأجلسنى على العرش فى أسمى مكان ...!!!

- ولم يكن فى أرومته ما يتصل بالعظمة وكرم الانتماء ...!!!

ومن أجل ذلك، لم يعرف كيف يستمع إلى أسماء العظماء ...!!!

«و في الحق، إن شهبيرار أدى بذلك خدمة جليلة للسلطان محمود، واعتبرها محمود مئة كبيرة منه. ولما كنت في نيسابور في سنة أربع عشرة وخمسمائة سمعت عن الأمير «معزى»^(١) أنه قال: سمعت عن الأمير «عبد الرزاق» بطوس أنه قال: كان السلطان محمود في بعض الأوقات ببلاد الهند، فلما كان في طريق العودة إلى مدينة غزنه، اعترض طريقه نازر من الثوار تحصن في قلعة منيعة. فنزل محمود في اليوم التالي على باب قلعة، وأرسل إليه رسولا يقول له إنه يجب عليه أن يأتي إلى السلطان في الغداة، ليقدم له فروض الخضوع والولاء. وليزم الأعتاب السلطانية حتى ينال من السلطان خلعاً شريفة، وله أن يعود بعد ذلك إلى قلعة. فلما كان الغد وركب السلطان محمود وعلى يمينه وزيره «٢» عاد الرسول وتقدم إلى السلطان فالتفت السلطان إلى وزيره وقال:

- الخلفاء الثلاثة الأوائل من الخلفاء الراشدين لدى أهل السنة. ويتضح من هذه الأبيات أن الفردوسي يريد أن يقول إن التهمة الوحيدة التي اتهم بها خصومه وهى تهمة التشيع، إنما مردها إلى هذا البيت الذى عبر فيه عن حبه الخالص الشديد لأهل البيت.

(١) هو شاعر السلطانيين السلجوقيين «ملكشاه» و«سنجر» وقد قتل مولاه خطأ برمية سهم خاطئة في سنة ٥٤٣هـ - ١١٤٨م.

(٢) يذكر «دولت شاه» أن هذا الوزير هو «الميمندى» وهذا جائز، لأن المعروف إن

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٦٣

ترى أية إجابة أجاب بها هذا المتمرد ...؟

فردد الوزير على الفور قول الفردوسي:

إذ لم يكن وفقا لإرادتي هذا الرد والجواب...! فلا مفر من التجاني إلى السيف والميدان و منازلة «افراسياب»...!! فقال محمود: لمن هذا البيت؟.. فإن الرجوله تنفجر من معانية «١»؟!..
فأجاب الوزير: إنه من شعر الرجل المسكين «أبي القاسم الفردوسي» وقد احتمل العناء خمسة وعشرين سنة كاملة ليتم كتاب الشاهنامه، ولكنه لم يفر بشيء من ثماره...!!
فقال محمود: لقد أحسست بتذكيرك إبابي بأمره، وقد أحسست بالندم عما بدرمني نحوه. ولقد بقي هذا الرجل النبيل محروما من نواله، فذكرني بأمره بمجرد عودتي إلى غزته حتى أرسل إليه شيئا.
فلما وصل الوزير إلى مدينة غزته، ذكر محمودا بشأنه، فقال السلطان له:
- مر لأبي القاسم الفردوسي بستين ألف دينار «٢» تعطي له من أصباغ «النبلة» ولتحملها إليه في طوس الإبل السلطانية، و مر رجالي أن يسألوه المعذرة.
ومضت سنوات والوزير مشغول بهذا الأمر، حتى استطاع في النهاية تنفيذه، ووضع الأحمال على ظهور الإبل، وصل العطاء سالما إلى ناحية «طبران» «٣».

- هذا الوزير قد قبض عليه وحبس في سنة ٤٠٣هـ - ١٠٢١م - ١٠٢٢م، وأن الفردوسي مات في الفترة الواقعة بين هذه السنة وسنة ٤١٦هـ - ١٠٢٥م - ١٠٢٦م.

(١) استبدل «ابن اسفنديار» هذه العبارة بعبارة «لمن هذا البيت فإنه يفيض بالشجاعة والتضال».

(٢) استبدل «ابن اسفنديار» كلمة «دينار» بكلمة «درهم» ثم أكمل العبارة على النحو الآتي: «فلما جمعت الدراهم أرسلها على الإبل السلطانية إلى مدينة طوس».

(٣) «طبران» ناحية من طوس. أنظر «معجم البلدان الفارسية» تأليف «باريه دي مينار» ص ٣٧٤. Dict. de la Perse. par B. de Meynard.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٦٤

فلما دخلت الإبل من باب ال «رودبار» كانت جنازة الفردوسي تخرج من باب «رزان» «١». وكان في «طبران» في ذلك الوقت خطيب متعصب، أخذ يصيح ويقول: أنا لا أجزى أن تصل جنازة الفردوسي إلى مقابر المسلمين فقد كان رافضيا...! فأخذ الناس يجادلونه، ويجتهدون في إقناعه، ولم تفلح مجالاتهم في التأثير فيه.
و كانت للفردوسي حديقة داخل هذه البوابة فدفنوه فيها «٢». وما زال قبره هنالك حتى اليوم، وقد زرت قبره في سنة عشر وخمسمائة «٣».

«و يقولون إن الفردوسي أعقب ابنة فاضلة، فأرادوا أن يسلموها صلاة السلطان ولكنها رفضتها ولم تقبلها، وقالت للرسول: لست في حاجة إليها. فكتب صاحب البريد «٤» بذلك إلى السلطان، فلما عرض عليه الأمر، أمر رجاله أن يخرجوا هذا العالم «٥»

(١) تابع «نولدكه» ابن اسفنديار فكتب هذا الاسم «رزاق» ولكن النسخة المطبوعة على الحجر من كتاب «جهاه مقاله» وكذلك نسخة الخطية الثلاث التي تحفظ في مكتبات لندن واستانبول تكتب الكلمة «رزان». وقد ذكر «البلاذري» أن إحدى محلات سجستان تسمى بهذا الاسم كما توجد ناحية في خراسان بالقرب من مدينة «نسا» تسمى «رزان» أنظر المرجع السابق ص ٢٥٩.

(٢) تختلف عبارة ابن اسفنديار قليلا فترجمتها كالآتي: «و كانت هناك حديقة تسمى حديقة (الفردوس) وكانت ملكا للفردوسي فدفنوه فيها».

(٣) كذلك يروي «دولت شاه» أن قبر الفردوسي كان موجودا في زمانه أي سنة ١٤٨٧م - ٨٩٣هـ وكان مزارا يحج إليه المعجبون به. وقد وصف مكانه فقال إنه يقع بالقرب من مزار العباسية بمدينة طوس.

[الترجم: بمناسبة الاحتفال الألفي للفردوسي جددت الحكومة الإيرانية في السنوات الماضية قبر الفردوسي وأقامت له مقبرة فخمة تليق بمكانته].

(٤) من أهم الواجبات التي كانت ملقاة على عاتق «صاحب البريد» أن يخبر مولاه بكل ما يحدث في ولاياته مما يصل إليه علمه، ويشمل ذلك إخباره بكل ما يفعله الوالي في ولايته.
وقد شرح ذلك بالتفصيل كتاب «سياسة نامه».

(٥) يقصد به الخطيب المتعصب الذي ورد ذكره في العبارات السابقة. وقد ذكر «دولت شاه» و جملة من أصحاب الكتب المتأخرة أن هذا الفقيه هو «الشيخ أبو القاسم الجرجاني» فقد رفض أن يصلي على الفردوسي لأنه أمضى عمره في مدح أبطال المجوس والزرادشة ويذهب الخبر إلى أنه عند ما نام في هذه الليلة، رأى الفردوسي في منامه يدخل

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٦٥

من «طبران» لقاء فضوله الذي أبداه، وأن يعدهوه عن أسرته، وأن يعطوا المال لأبي بكر بن إسحاق حتى يعمر به رباط «جهاه» «١» الواقع على رأس الطريق بين «نيسابور» و «مرو» فلما وصل أمر السلطان إلى «طوس» قاموا على تنفيذه فكان تعمير رباط «جهاه» من هذا المال.

رواية دولت شاه:

هذه هي أقدم نبذة وردت لنا عن «الفردوسي»، وهي أقرب ما روى عنه إلى الصحة والتصديق، لأننا على ثقة من أنه لو صح أنها ليست صادقة في كل التفاصيل التي اشتملت عليها، فإنها على الأقل تمثل لنا ما كان يعتقد بشأنه طائفة المتقنين من أهل بلده بعد قرن واحد من وفاته. وعلى ذلك فنحن نعلق عليها أهمية كبرى جعلتنا نفضل تقديمها على باقي الروايات.

ولا شك أن «دولت شاه» استقى بعض أخباره مما ورد بكتاب «جهاه مقاله» (وقد ذكر ذلك صراحة في بعض المواضع) ولكنه زخرف الحقائق المجردة المذكورة به وأضاف إليها من عنده بعض الأخبار الزائفة أو الخيالية.

وقد ذكر فيما ذكر، أن اسم الشاعر هو «الحسن بن إسحاق بن شرف شاه»

- جنات عليين، فسأله كيف استطاع أن يصل إلى هذه المرتبة العالية فأجابه: بفضل هذا البيت الذي قلته في توحيد الباري جل شأنه:

جهان را بلندی و پستی توئی ندانم چه هر چه هستی توئی و معناه:

إلهي...!! إنك جميع ما في الكون من رفيع و وضع ...و لست أعرف كنتهك، و لكنك أنت كل ما هو كائن...!!

(١) هكذا ورد هذا الاسم في إحدى النسخ الخطية و المطبوعة من «جهاه مقاله» و قد كتب «جهاه» في نسخة أخرى من نسخ لندن، و كتب «جاهه» في نسخة استانبول، أما «ابن اسفنديار» فكتبه «رباط و جهاه» بمعنى: رباط و بتر؛ و قد أسماه دولتشاه «رباط عشق» و قال إنه يقع إلى جوار خرائب «شقان» على الطريق بين «خراسان» و «استراباد»

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٦٦

و أنه تخلص في بعض أشعاره ب «ابن شرفشاه» و «أه كان من قرية «وزان» بالقرب من «طوس» و أنه لقب نفسه ب «الفردوسي» نسبة إلى حديقته هناك كانت تسمى «الفردوس» و كانت مملوكة لعبيد خراسان «سوري بن المغيرة» و كان والد الفردوسي يشغل بستانيا في هذه الحديقة.

و الفردوسي وفقا لهذه الرواية رجل فقير معدم، يجور عليه حاكم بلده، فيفر إلى «غزنه» و يعيش فيها فترة معتمدا على التكسب بأشعاره، حتى تنهيا له الفرصة التي ذكرناها فيما سبق، و يتعرف إلى «العنصرى» فيأخذ هذا على عاتقه تقديمه إلى السلطان «محمود الغزنوي» ثم يقوم بعد ذلك في بقية القصة بالدور الذي قام به الوزير «اليميندي» في القصة السابقة و يبدو بعد ذلك على أنه راعيه و وليه.

و يقولون إن السلطان عند ما سمع قول الفردوسي:

جو كودك لب از شیر مادر بشتت ز گهواره محمود گوید نخست و معناه:

- متى غسل الطفل شفتيه من لبن أمه، فإن أول كلمة ينطق بها هي «محمود».

قربه و أغدق عليه النعم فأنزله في قصره، و رتب له مرتبا يصرف له بانتظام.

و تقول هذه الرواية دون ما عددها من الروايات «٢» أن «أياز» غلام السلطان محمود قد ساء ما رآه من انصراف «الفردوسي» عنه فأخذ يكد له لدى السلطان و يتهمه بالزندقة و الكفر حتى أعلنه السلطان بذلك صراحة و قال له: إن زنداقة هذا المذهب (أى القرامطة و الإسماعيلية) يأتون من طوس و لكنى عفوت عنك على شريطة أن تقبل عنه.

و تقول هذه الرواية إن الشاعر اختفى بعد ذلك بضعة أشهر في مدينة «غزنه» منتهزا الفرصة ليسترد من مكتبة السلطان نسخة «الشاهنامه» فلم تم له ذلك لجا إلى أحد الوراقين في «هراة»؛ و يتغير اسم هذا الوراق في هذه الرواية فنذكره على

(١) يذكر «نولدكه» في مقالته ص ٢٢ أن مقدمة «بايستقر» تذكر أن والد الفردوسي كان يسمى: «فخر الدين أحمد بن فرخ الفردوسي».

(٢) أنظر مقالة «نولدكه» ص ٢٦.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٦٧

أنه «أبو المعالي» و ليس «اسماعيل» ثم تمضى بقية رواية «دولتشاه» على هذا النحو و تذكر لنا بعض التفاصيل و الأقاويل المختلفة و لكنها تتفق في خلاصتها مع ما ذكرناه في الرواية السابقة.

أما الأخبار المستقاة من مؤلفات الفردوسي نفسه، فهي إذا صح نصها «١» أهم المصادر عن تاريخ حياته؛ و قد قلنا فيما سبق أن الأستاذ «نولدكه» و الدكتور «إتبه» قاما على دراسها دراسة عميقة كلفتها كثيرا من العناء و الصبر، و من المستحيل على في كتاب ضيق النطاق مثل كتابي هذا أن أذكر كل ما وصلنا إليه من نتائج، بل إن ذلك لا يتحتم على لزاما، لأن كل دارس متفحص للشاهنامه سيرجع بالضرورة إلى ما كتبه أولهما في مقالته «الملحمة القومية الإيرانية» و إلى المقالات التي كتبها الآخر عن هذا الموضوع و الحقها بطبعته لمنظومة الفردوسي المعروفة «يوسف و زليخا» و كذلك إلى فصول مقالته التي كتبها بالألمانية بعنوان «الأدب الفارسية الحديثة» و هي المنشورة في المجلد الثاني من «المفصل في الدراسات اللغوية الإيرانية».

و إذا تحرينا الإيجاز فإنه يبدو لنا أننا كنا على حق في افتراض أن الفردوسي كان «دهقان» من دهاقين «طوس» و أنه كان يعيش عيشة ميسرة لا ضنك فيها، و أنه ولد حوالي سنة ٩٢٠ م- ٣٠٨ هـ أو بعد ذلك بقليل من الزمن، و أنه شغف بالأخبار القديمة و الروايات الشعبية، فقرأ فيها كتابا منتورا من تأليف «أبي منصور المعمرى» جمعه «لأبي منصور بن عبد الرزاق» حاكم خراسان في سنة ٩٥٧ م- ٣٤٦ هـ و استقى فيه أخباره من أقدم المصادر الفارسية، فدفعه ذلك إلى نظم «الملحمة القومية» و فرغ من نسخها الأولى في سنة ٩٩٩ م- ٣٩٠ هـ بعد خمسة و عشرين سنة من العمل المتصل، ثم أهداها بعد ذلك إلى «أحمد بن محمد بن أبي بكر الخالنجاني» «٢» كما أهدى نسخها الثانية التي تمت حوالي سنة ١٠١٠ م- ٤٠١ هـ إلى السلطان «محمود» و أعقب ذلك مباشرة غضبه على السلطان و هربه من مدينة «غزنه». ثم لجا فترة قصيرة إلى أحد الأمراء البويهيين «٣» و ألف

(١) في كثير من الأحيان يضطرب النص و يبدو سقيما.

(٢) نسبة إلى خالنجان.

(٣) يرى «نولدكه» أن هذا الأمير البويهي هو «بهاء الدولة» أو ابنه «سلطان الدولة» الذي خلفه في سنة ١٠١٢ م- ٤٠٣ هـ أما «إتبه» فيرى أن هذا الأمير هو «مجد الدولة أبو طالب رستم».

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٦٨

له منظومته الكبيرة الأخرى «يوسف و زليخا» و عاد بعد ذلك إلى بلده «طوس» رجلا مسنا قد نيف على التسعين من عمره، فمكث بها حتى أدرسته منيته في سنة ١٠٢٠ أو ١٠٢٥ م- ٤١١ أو ٤١٦ هـ على وجه التقريب.

مؤلفات الفردوسي:

و لننتقل الآن إلى ذكر مؤلفات الفردوسي. و هي تشتمل كما هي بين أيدينا الآن على ما يلي:

١- الشاهنامه.

٢- المنظومة الروائية «يوسف و زليخا».

٣- عدد غير قليل من الغزليات حفظته لنا كتب التراجم و المختارات؛ و قد جمعه و نشره و ترجمه الدكتور «إتبه» في مقالاته التي سبق ذكرها بعنوان «الفردوسي كشاعر غنائي».

و لا شك أن شهرة «الفردوسي» في قول الشعر راجعة إلى نظمه للشاهنامه؛ و يكاد الناقدون الشريكون و الغرييون يجمعون على الإعجاب الشديد بهذه الملحمة الهائلة. و لكني أنا شخصا في كثير من الخجل و التورط أعتز لهم بأنهم لم أستطع مطلقا أن

أشاركم ما هم فيه من تحمس وإعجاب. فالشاهنامه- في رأيي- لا يمكن أن ترقى إلى مستوى «المعلقات» العربية، و هي وإن كانت المثال والقالب اللذين احتدتهما أشعار الملاحم في أراضى الإسلام قاطبة، إلا أنه لا يمكن من ناحية الجمال والعاطفة والذوق الفني مقارنتها بأجود الأشعار التعليمية أو الروائية أو الغزلية التي قالها شعراء الفرس. ومن المسلم به أنه من المستحيل المناقشة في الأمور المتعلقة بالذوق الفني، وخصوصاً ما تعلق منها بالأدب، ولعل إخفاقي في تذوق الشاهنامه ناشىء من نقص طبيعى في حسى يجعلنى أمج أشعار الملاحم عامة، ولا غشاضة على فى ذلك فكلنا معرض لمثل هذا النقص فى بعض المناحى، خاصة فيما يتعلق بالموسيقى، فألحان «واجتر» قد تطرب شخصاً من الناس فضل به إلى مرتبة التجلى والوجد، بينما لا يهتم بها الآخرون أو يحسون عند سماعها بشىء من الضجر والتملل. وحتى إذا

تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسى إلى السعدى/ تعريب، النص، ص: ١٦٩

أخذنا ذلك فى الحسبان، فلا أستطيع إلا أن اعترف بأنى أشعر بأن «الشاهنامه» بها جملة من العيوب النابتة المحددة. فظولها مبالغ فيه، وقد اقتضاه بالطبيعة نطاق الموضوعات التى تحدثت عنها، و هى تشمل كل التاريخ الخرافى الذى عرفته إيران منذ أقدم الأزمنة إلى الفتح العربى فى القرن السابع لميلادى؛ والشاهنامه كذلك مملئة من حيث الوزن الذى صيغت فيه هى وبقية المنظومات الحماسية الفارسية. وليت الأمر يقتصر على ذلك بل إن التشبيهات الكثيرة التى تتردد فيها تبدو لى مملئة مضجرة للغاية؛ فكل بطل فيها هو الأمد الرابض أو الفيل الهانج أو التمساح المانج، و إذا تحرك فهو الدخان المتطاير أو الغبار المتناثر أو الريح الصافر...!!

و إذا صح أن الأثر الأدبى إذا ترجم فقد ما امتاز به من جمال فى الأسلوب والتركيب، و لم يستطع إلا مهرة المترجمين الاحتفاظ بجمال عباراته و مبادئه، فإنه من المسلم به أيضاً أنه من اليسر بمكان أن نحفظ فى الترجمة بجمال أفكاره و روعة معانيه.

و من أظهر الأمثلة على ذلك أن «فتزجرالد» استطاع أن ينقل لنا فى ترجمته رائعة «ابعايات الخيام» بما اشتملت عليه من جمال و روعة؛ و لكن أمر الشاهنامه على النقيض من ذلك تماماً، فهى تصمد فى وجه المترجمين جميعاً، و تعجز عن أى ترجمة مقبولة لها، لأن الروعة الموسيقية التى تطن بها ألفاظها تضيق بالضرورة عند الترجمة تاركة لنا الأفكار التى تشتمل عليها عارية جرداً. «١»

و لست أدعى مطلقاً المهارة فى قول الشعر، و أنا اعترف أن كثيراً من شعراء الفرس و العرب قد أصابهم شىء من الغبن بسبب ما نشرت من ترجمات لأشعارهم فى هذه الصفحات؛ و لكنى مع ذلك أستطيع أن أقطع فى اطمنان بأن قليلاً جداً من قرائى الإنجليز الذين سيقروا القطع المختلفة التى ترجمتها من الشاهنامه فى هذا الجزء الحالى من كتابى أو الجزء الذى سبقه، سيتدردون فى الحكم بأنها دون ما ترجمت من أقوال لشعراء آخرين.

(١) هذه الروعة لا يمكن أن يتكرها كل من استمع للمنتشدين المحترفين الذين يشدون الشاهنامه، و هم الذين يعرفون لدى الفرس باسم «شاهنامه خوان».

تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسى إلى السعدى/ تعريب، النص، ص: ١٧٠

و إذا صحت وجهات النظر هذه التى أبديناها، و هى تخالف المألوف والمعروف فلماذا إذن فازت الشاهنامه بشهرة عريضة و ذاع صيتها ذيوها عظيماً لا مثيل له فى إيران و كذلك فى جميع البلاد التى يدرسون فيها اللغة الفارسية. ؟! أما ذيوها فى إيران، فأهم أسبابه أن الفرس يعترفون بها كسجل خالد لعظمتهم القومية التى اتصفوا بها منذ أقدم العصور، و التى أخذت بعد ذلك للأسف فى التدهور و الفطور. و قد انتقل رأى الفرس هذا إلى جميع المشتغلين بالفارسية فى كافة البلاد الآسيوية و الأوروبية و اعتنقه فيمن اعتنقه المستشرقون الأوروبيون الأوائل، و اعتبروه رأياً صحيحاً جديراً بالتصديق و التسليم، و جاء بعدهم جماعة من المستشرقين أسلم رأياً و أكثر تدقيقاً، و لكن بعض العوامل الأخرى أثرت فيهم و جعلتهم لا يجيدون عن هذا الرأى لما وجدوه فى «الشاهنامه» من دراسة لغوية «فيلولوجية» باعتبارها من أقدم الكتب الفارسية التى عرفت بحرصها الشديد على استبعاد الألفاظ العربية، و لما لمسوه فيها من روح «هلينية» تميل إلى تمجيد العبقرية الآرية و الحظ من قدر الشعوب السامية، و لما عرفوه من أهمية كبيرة لمحتوياتها فيما يتعلق بالأساطير و الخرافات الشعبية؛ فإذا أضفنا إلى ذلك كله أن الفردوسى فاز من مواطنيه بشهرة عظيمة بسبب نظمه للشاهنامه وحدها، و علمنا أن رأى هؤلاء هو العماد بغير شك فيما يذهبون إليه، و وجدنا أن هذه الشهرة العريضة ما زالت لا صفة به منذ البداية حتى هذه الأزمنة، لا يعترها و هن أو تغيير، فإنه من العسير على أن أفصح عن رأى الشخصى أكثر مما ذكرت. و لكنى فى هذه المناسبة أحب أن ألفت نظر المستشرقين الأوروبيين إلى أنه لو صح لنا دائماً أن نأخذ برأى المواطنين فى شعرائهم فإن «المتنبى» «١» يجب أن يفوز بما فاز به «الفردوسى» تماماً من شهرة عريضة وصيت ذائع و لو أن بعضهم قد أنكر عليه ذلك و قسا عليه فى حكمه.

و قد ترجمت فى الجزء السابق من كتابى هذا جملة من مقطوعات الشاهنامه المتصلة بقصة «اردشير» و بينت فيها كيف كان «الفردوسى» أميناً فى متابعة المصادر

(١) كان المتنبى معاصراً للفردوسى تقريباً فقد ولد سنة ٩٠٥م - ٢٩٣هـ و مات مقتولاً سنة ٩٦٥م - ٣٥٤هـ.

تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسى إلى السعدى/ تعريب، النص، ص: ١٧١

التي نقل عنها، ثم اتبعت ذلك ببحث مطول عن الموضوعات و الميزات التى اشتملت عليها هذه الملحمة الفارسية. و نطاق الكتاب الحالى لا يسمح لى بأن أعيد فى هذا المكان ما سبق لى ذكره فيما مضى. و من أجل ذلك فسأقتصر على إيراد مثل آخر منها هو عبارة عن ترجمة السلطور الأولى من قصة «رستم و سهراب» «١» الشهيرة؛ و هى أبيات يعترف الجميع بأنها من أروع ما جاء فى الشاهنامه، و نصها موجود فى الجزء الأول من طبعة «ترنمكى» ص ٣١٥-٣١٦ و هو «٢»:

كنون رزم «سهراب» و «رستم» شنودیگرها شنیدستی این هم شنو

یكى داستان است پر آب چشم دل نازك از «رستم» آید بخشم

اگر تندبادى بر آید ز كنج بخاك افكند نارسیده ترنج

ستم كاره خوانمش ار داد گرهزمنند گویمش ار بی هنر

[5] اگر مرگ دادست بیداد چیست ز داد این همه بانگ و فریاد چیست

ازین راز جان تو آگاه نیست بدین برده اندر ترا راه نیست

همه تا در آرزو رفته فرازبکس و نشد این در آرز باز

برفتن مگر بهتر آیدت جای چو آرام گیری بدیگر سراى

(١) أصبحت هذه القصة معروفة لدى الإنجليز بفضل تلخيصها الرابع الذى نشره «ماتيو آرنولد».

(٢) المترجم: نقل «براون» هذه الأبيات إلى الإنجليزية محاولاً محاكاة الأصل بالمحافظة على الوزن والقافية. و قد أثبت هنا الأصل مع

ترجمة منثورة له.

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٧٢ اگر مرگ کس را نیویاردی ز پیر و جوان خساک

بسیاردی

[١٠] اگر آتشی گاه افروختن بسوزد عجب نیست زو سوختن

بسوزد چو در سوزش آید درست چو شاخ نو از بیخ کهنه برست

دم مرگ چون آتش هولناک ندارد ز برنا و فرتوت باک

جوان را چه باید بگیتی طرب که نی مرگ راهست پیری سبب

درین جای رفتن نه جای درنگ بر اسپ قضا گر کشد مرگ تنگ

[١٥] چنان دان که دادست بیداد نیست چو داد آمدش بانگ و فریاد چیست

جوانی و پیری بنزد اجل یکی دان چو در دین نخواهی خلل

دل از نور ایمان گر آگنده ترا خامشی به که تو بنده

پرستش همان پیشه کن با نیاز همه کار روز پسین را بساز

برین کار یزدان ترا راز نیست اگر دیو با جانت انباز نیست

[٢٠] بگیتی در ان کوش چون بگذری سرانجام اسلام با خود بری

کنون رزم «سهراب» گویم درست از ان کین که او با پدر چون بجست

تاریخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٧٣

و معناها:

- استمع الآن إلى قصة «رستم» و «سهراب»

واضح إليها كما اصغيت إلى غيرها من قصص عجاب ...!!

- فهي قصة مليئة بدموع العيون والأشجان

تثير القلوب الرقيقة ضد «رستم» سيد الشجعان

- و إذا هبت الرياح العاتية في ركن من الأركان

أطاحت بالثمار الفجة وأسقطتها عن الأغصان

- و إنى لأسميه ظالما، و لو عرف بالعدل والإنصاف.

و إنى لأسميه فاضلا، و لو عرف بالجهل والإسفاف.

- و إذا كان الموت عدلا ... فماذا يكون الظلم والاعتساف ...!؟

و ما كل هذا العويل والصياح طلبا للعدل والإنصاف ...!!

- و لن تعلم روحك شيئا من أمر هذا السر الدفين

و لن تكشف طريقك ما وراء هذا الحجاب المكين ...!!

- و لقد أسرع جميع الأنام حتى بلغوا باب الحرص والأمل

فلما بلغوه و أدركوه ... أنسد عليهم و انقفل ...!!

- و من يدري ...؟ ربما يطيب مقامك متى رحلت عن هذه الدنيا الفانية

و ظفرت بالراحة و السكينة في الدار الباقية ...!!

- و لو لم يتبع الموت بعض الأشخاص في كل زمان

لامتلات الأرض، و ازدحمت ساحتها بالشيب و الشبان ...!!

- و متى انتقدت النار ساعة إشعالها، و سرى بها الملهب

فليس عجيبا أن يزداد ضرامها الرهيب ...!!

- و متى انتقدت النار استمر ضرامها، و اتصلت لهبها العظيمة

و نبتت كما نبتت الأغصان النضيرة من الحذور القديمة ...!!

- و ما أشبه لحظة الموت بهذه النار ذات الهول

فهى لا تهرب أحدا، و لا تبقى على فتى أو كهيل ...!!

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٧٤

- و علام يفرح الشبان بهذه الدنيا، و علام يطرب بها الشباب

و ليست الشيخوخة وحدها علة الموت ... بل تنوعت الأسباب ...!!

- فإذا انقض عليك الموت ممتطيا جواد القضاء، و ضيق عليك الخناق

في هذه الدار العاجلة ... دار الرحيل و الفراق

- فاعلم أن الموت حق على جميع الأرواح

و أن الأمر الحق متى جاء فلا يغنى الصياح و النواح ...!!

- و إذا لم تشأ أن تصيب دينك بالفساد و الخلل

فاعلم أن الشباب و الشيب سواء أمام سيف الأجل ...!!

- و إذا كان قلبك مليئا بنور اليقين و الإيمان

فخير لك الصمت، فإنك عبد من عبيد الرحمن ...!!

- و تأثر على التعبد و الصلاة و الضراعة

و هبىء أمورك، و أعدد عدتك لقيام الساعة ...!!

- و ليس هناك سر يخفى عليك من أمر ربك

ما دام الشيطان لا يكون قربنا لروحك و قلبك

- فأقصر سعيك على هذا، في هذه الدنيا العابرة

فإذا مت ... فزادك الإسلام في الدار الآخرة

- و استمع إلى الآن ... فسأقص عليك مباشرة حرب «سهراب»

و كيف نشأت الحرب بينه و بين أبيه، و ما كان بينهما من أمور عجاب !!!
و يؤكد بعض الناس أحيانا أن «الشاهنامه» لا تكاد تشتمل على شيء من الألفاظ العربية، و هذا الرأي خاطيء كل الخطأ، لأن «الفردوسي» حقيقة قد تحاشى بقدر ما يستطيع استعمال هذه الألفاظ في ملحمته لما أحسه فيها من عدم انسجام مع موضوع منظومته، و لكن كثيرا من الألفاظ العربية كان قد تأصل في اللغة الفارسية في هذا الوقت بحيث أصبح من المستحيل عليه أن يتحاشاها أو يتجنب استعمالها. و الأبيات التي ذكرناها فيما سبق يبلغ عددها الواحد والعشرين بيتا و هي تشتمل على عدد من الألفاظ يبلغ (٢٥٠) لفظا؛ نجد من بينها تسعة ألفاظ عربية الأصل هي:

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ١٧٥

عجب - طرب - سبب - قضا - عجل - خلل - نور - إيمان - إسلام؛ كما نجد فيها لفظة نصف عربية هي «هولناك».

و هذه النسبة هي السائدة في صفحات الشاهنامه بحيث تبلغ الألفاظ العربية فيها أربعة أو خمسة في المائة من مجموع ألفاظها.

يوسف و زليخا:

تأتي بعد ذلك إلى المنظومة الثانية من مؤلفات «الفردوسي» الشعرية و نقصد بها مثنويته التي موضوعها قصة «يوسف و زليخا». و هذه القصة قد أضيفوا على أصولها المجردة كثيرا من الزيادات و الإضافات، و أصبحت من أكثر الموضوعات التي يطرقها الشعراء الرومانتيكيون في إيران و تركيا، و لم يكن «الفردوسي» أول من طرقها كما أشار إلى ذلك الدكتور «إتبه» فقد سبقه إلى نظمها - كما ورد في إحدى المخطوطات - شاعران آخرون أحدهما من بلخ اسمه «أبو المؤيد» و الآخر من الأهواز اسمه «البيخاري» و قد ضاعت منظومتاهما جميعا و لم يبق لنا إلا منظومة الفردوسي التي بقيت على الزمن بفضل مجهود الدكتور «إتبه» الذي لا يعرف الكلل. و نسخة هذه المنظومة نادرة في بلاد المشرق و لكنها وفيرة في مكتبات إنجلترا و فرنسا، و يوجد فيها من نسخها على الأقل سبع نسخ، من بينها نسخة لم يرها الدكتور «إتبه» و قد وجدها الدكتور «إ. دينسون روس» في مجموعة المخطوطات التي كانت مملوكة للسير «وليم جوز» و هي المخطوطات التي تحفظ الآن بإدارة الهند.

و قد طبعت هذه المنظومة على الحجر ثلاث مرات في الهند و مرة واحدة في إيران، ثم يسر لنا بعد ذلك الدكتور «إتبه» قراءتها بنصها في طبعة سليمة من

(١) المترجم: السير دينسون روس Sir E. Denison Ross كان مديرا لمعهد الدراسات الشرقية بلندن، و عليه تلقيت دراساتي الشرقية أثناء التحاقى بهذا المعهد في الفترة الواقعة بين سنتي ١٩٣١ و ١٩٣٦ و قد أدركته الوفاة أثناء الحرب العالمية الأخيرة.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ١٧٦

نشرهاته، كما ترجمها إلى الألمانية نظما «شلشتا و سرد: Schlechta - Wssehrd» - في مدينة فينا سنة ١٨٨٩.

و الدكتور «إتبه» هو مرجعا في هذه المنظومة، فقد قام على دراستها و مقارنة بالمتن المتأخرتين اللتين نظمهما في نفس هذا الموضوع الشاعران «جامي» ١٤٣٣ م - ٨٨٨ ه و «نظامي الهروي» «١»، و يرى «إتبه» أنها جذيرة بالإعجاب، و هو يخالف في هذا الرأي نقاد الفرس الذين يحطون من قدرها و يرون أن الفردوسي قد نظمها بعد ما غاض شبابه و ذوى عنفوانه و انحطم قلبه بسبب النكد الذي استولى عليه لنظمه للشاهنامه، و يرون كذلك أنه صاغها في نفس الوزن و الأسلوب اللذين صاغ فيها ملحمته و هما في الحقيقة لا يصلحان لنظم القصص الرومانتيكية.

غزليات الفردوسي:

و إذا نظرنا إلى الأمثلة التي بقيت لنا من غزليات الفردوسي في كتب التراجم و المختارات وجدنا أن النقاد قد غمطوها حقها. و قد أشرت فيما سبق إلى المقالات التي نشرها الدكتور «إتبه» عن هذا الموضوع. و من أجل ذلك فسأقتصر في هذا المكان على إيراد مثلين من غزليات الفردوسي. الأول منهما مذكور في كتاب «تاريخ گزیده» «٢» و الآخر في كتاب «الباب الألباب» «٣» لمحمد عوفي. و الغزلية الأولى نصها كما يلي:

شبی در برت گر برآسود می سر فخر بر آسمان سود می

قلم در کف تیر بشکستی گلاه از سر مهر بر بود می

بقدم از نهم جرخ بگدشتمی به پی فرق کیوان بفرسود می

(١) منظومة «جامي» هي المعروفة من هاتين المنظومتين.

(٢) أنظر تاريخ گزیده طبع لندن سنة ١٩١٠ م ص ٨٢٤ و كذلك مقالي عن شعراء الفرس المنشورة في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية عدد أكتوبر سنة ١٩٠٠ و يناير سنة ١٩٠١

(٣) أنظر «الباب الألباب» ج ٢ ص ٢٣.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ١٧٧ به بيچارگان رحمت آورد می بدرماندگان بر ببخشود می و معناها:

- لو أنتی هدأت ليلة واحدة في صدرك !!!

لشمخت برآسى إلى السماء في فخر و ازدهوت عجا بك !!!

- و لحطمت قلم «عطارد» في كفه !!!

و لزرعت نأج «الشمس» عن مفرقها !!!

- و لفضت من أطباق السماء التاسعة ...

و لذرعت مفرق «كيوان» بأطراف أقدامي !!!

- ثم لجلبت الرحمة للبؤساء و المساكين ...

و لعفوت عن الخاطئين و المقصرين !!!

أما القطعة الثانية فنصها:

بسی رنج دیدم بسی گفته خواندم ز گفتار تازی و از پهلوانی

بچندین هنر شست و دو سال بود چه توشه برم ز آشکار و نهانی

يجز حسرت و جز وبال گناهان ندارم کنون از جوانی نشانی
بیاد جوانی کنون مویه دارم بر آن بیت بو طاهر خسروانی
جوانی من از کودکی یاد دارم درینجا جوانی درینجا جوانی و معناها:
- ما أكثر ما رأيت من أهوال، و ما أكثر ما أنشدت من أقوال ...!!!
و ما أكثر ما رددت من كلام عربي و پهلوی ...!!!
- و لقد بقيت اثنتين و ستين سنة أنشر فنون الفضل و العرفان
فأى فائدة أفادتني، و ماذا كسبت منها في السر و الإعلان ...؟!
- لم يبق لي من كل ذلك إلا الحسرة، و إلا الوبال و الذنوب ...!!!
و لم أعد أذكر من الشباب أثرًا إلا ما أنا فيه من كرب ...!!!
تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ١٧٨
- و أصبحت أبكى الشباب بما تفيض به دموعي و أشجاني ...
و أصبحت أردد في ألم بيت «أبي طاهر خسرواني» ...!!!
- و أقول كما قال: إنني أذكر الشباب و أيام الطفولة و الصغر ...
فيا أسفا على الشباب ... و يا ويلتاه من الشيخوخة و الكبر ...!!!

اسدي:

[أسدي الكبير «أبو نصر أحمد ابن منصور الطوسي»]

الشاعر المثالي الذي يستحق شيئا من عنايتنا هو أسدي الكبير «أبو نصر أحمد ابن منصور الطوسي». و يجب أن نفرق بينه و بين ولده «علي بن أحمد الأسدي» مؤلف «گرشاسب نامه» و مؤلف أقدم القواميس الفارسية «١١»، و ناسخ أقدم مخطوطة فارسية وصلت إلى أيدينا «١٢»، و هي المخطوطة التي أكمل نسخها في سنة ١٠٥٥ م - ٤٧٧ هـ و توجد الآن في مكتبة «فيتا» و قد نشرها «زيلجمان» في سنة ١٨٥٩ م.

و ربما كان من الخير لو أننا قدمنا دراسة «أسدي الأكبر» على «الفردوسي» لأن الأخير منهما كان تلميذاً للأول فيما يقولون، و كان كذلك من أصدقائه و أبناء بلده؛ و لكن يجب أن أشير إلى أني لا أؤزم نفسي بمتابعة الترتيب الزمني الدقيق في دراستي لمختلف العصور، و لو فعلت ذلك لكان تاريخ وفاة «أسدي» - و قد مات بعد «الفردوسي» - مبرراً لي في الترتيب الذي اتبعته؛ خاصة و أن كتب التراجم الإسلامية لا تذكر إلا تاريخ الوفاة دون غيره من التواريخ؛ و لدى بالإضافة إلى ذلك ما يقطع بأن «أسدي» كان أكبر الشعراء.

[حياة «الأسدي»]

و معرفتنا بحياة «الأسدي» ضئيلة للغاية، فلم يذكره «اللباب» و لا «جهار مقاله» أما كتاب «تاريخ گريده» فذكر اسمه فقط مقترنا بكتاب «گرشاسب نامه» الذي لم يكن من تأليفه بل من تأليف ولده المعروف باسم «أسدي الأصغر». أما «دولت شاه» فيذكر لنا كعادته كثيراً من الأخبار و التفاصيل، و لكنها على حالها

(١) المترجم: يقصد «فرهنگ اسدي» و قد طبعه المستشرق «بول هورن».

(٢) المترجم: يشير إلى النسخة المخطوطة من كتاب «الأينة عن حقائق الأدوية» للموفق ابن علي الهروي.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ١٧٩

تعتبر عديمة الفائدة، لأنه لم يعتمد في سردها على أي مصدر سابق جدير بالثقة و التصديق. و من ادعاءاته مثلاً قوله أنهم عرضوا على الأسدي نظم الشاهنامه، و لكنه اعتذر من ذلك بتقدم سنه و كبر عمره، و وكل إلى تلميذه «الفردوسي» أن يقوم بنظمها، فلما رقد «الفردوسي» على فراش الموت في «طوس» و أخذ يوجد بأنفاسه الأخيرة كانت أربعة آلاف بيت من ملحمة ما زالت باقية لم يكملها فتولى «الأسدي» إكمالها في يوم و ليلة، ثم قرأها عليه في صبيحة اليوم التالي، و بذلك استطاع أن يتلج صدر «الفردوسي» و هو في النزاع الأخير من عمره. و لا ينسى «دولت شاه» أن يعين لنا على وجه التحديد هذه الأبيات التي أكملها «الأسدي» فقال إنها الأبيات التي تبدأ بالفتح العربي لإيران و تنتهي بانتهاء الكتاب. و أضاف إلى ذلك قوله: «إن الفضلاء يجمعون على أنه يمكن بشيء من التدقيق التمييز بين الأبيات التي نظمها الفردوسي و بين تلك التي نظمها الأسدي».

و في مكتبة كامبردج مخطوط لكتاب «دولت شاه» «١» على هامشه الملاحظة الآتية تعليقا على ما جاء في هذه الرواية الخيالية:

«إن الفردوسي كما سيذكر عنه فيما بعد هو الذي أكمل الشاهنامه بنفسه، و من الواضح الجلي أن أحدا لم يشترك معه في نظمها، لأنه بعد أن أكملها و أهداها إلى السلطان محمود استطاع بإحدى الحيل أن يستردها من خازن كتبه و أن يضيف إليها هجويته الشهيرة للسلطان؛ و من هذا يتضح أن ما ذكر آنفا يتنافى مع هذا الدليل».

و قد اطلع شخص آخر على هذا التعليق السليم فوقع تحته بالفارسية «نيكو گفتي» أي «لقد أبدعت القول ...!!!».

[«الأسدي» هو الذي أكمل و أحكم «شعر المناظرة»]

و شهرة «الأسدي» راجعة إلى أنه هو الذي أكمل و أحكم «شعر المناظرة» و قد يقال إنه هو الذي أبدعه؛ و قد درس الدكتور «إتبه» هذه المسألة و ضمن

(١) هذا المخطوط هو الرقم: Add ٨٣١.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ١٨٠

النتائج التي وصل إليها في أعمال المؤتمر الدولي الخامس للمستشرقين الذي عقد في برلين سنة ١٨٨٢ م تحت عنوان Uber: Persische Tenzonen.

و المعروف عن «الأسدي» أنه نظر خمس منظومات من هذا النوع من شعر المناظرة هي الآتية:

١- مناظرة بين العربي و الفارسي.

۲- مناظره بین السماء و الأرض.

۳- مناظره بین الريح و القوس.

۴- مناظره بین اللیل و النهار.

۵- مناظره بین المسلم و المجوسی (الزردشتی).

و فیما یلی سألحق ترجمه کامله للمناظره الرابعه كما وردت فی کتاب «دولت‌شاه».

أما القاریء الذی یرید الاطلاع علی فحوی المنظومات الأخری و ما اشتملت علیہ من إشارات إلی حیاة الشاعر و أعماله فإنی أحيه إلی ما كتبه «إیه» فی مقاله التي سبق ذكرها، و إلی الصفحات ۲۲۶- ۲۲۹ من مقاله التي تضمنها كتاب «جيجر»، و «كون» الذي عنوانه «المفصل في الدراسات اللغوية الإيرانية»:

Grun Iriss der Iranisch n Philologie

أما المناظره بین «اللیل و النهار» فصفا بالفارسیه كما یلی «۴»:

[مناظره شب و روز: از گفتار أسدی]

بشنو از حجت گفتار شب و روز بهم سرگذشتی که ز دل دور کند شدت غم
هر دو را خاست جدال از سبب بیشی فضل در بیان رفت فراوان سخن از مدحت و ذم

(۱) یکتب هذان الاسمان بالحروف الرومانیة هكذا: Kuhu Geiger

(۲) المترجم: لا یدکر «براون» نص أمثله فی کتابه و لکنی ذکرتها دائما فی هذه الصفحات، ثم ترجمتها بالرجوع إلی الأصل الفارسی و مقارنتها بالترجمة الإنجلیزیة.

تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الی السعدی/ تعریب، النص، ص: ۱۸۱ گفت شب: فضل شب از روز فزون آمد از آنکه روز را باز ز شب کرد خداوند قدم

نزد یزدان ز پرستنده و از عابد روزساجد و عابد شب راست فزون قدر و قیم

قوم را سوی مناجات بشب برد کلیم هم بشب گشت جدا لوط ز بیداد و ستم

قمر چرخ بشب کرد محمد بدو نیم‌سوی معراج بشب رفت هم از بیت الحرم

هر مهی باشد سی روز و بقرآن شب قدر بهتر از ماه هزار است ز بس فضل و شیم

ستروش است شب و روز نماینده عیب راحت افزاست شب و روز فراینده آلم

هست در روز ز اوقات که تهیست نمازوز نماز همه شب فخر نبی بود و أمم

منم آن شاه که تخرم ز می است ایوان چرخ‌مه سپهدار و همه أنجم سیاره خدم

هر مه سال عرب را عدد از ماه منست بر سر منست از پر جبریل رقم

بر رخ ماه من آثار درستیس پدید بر رخ و چهره خورشید تو آثار سقم

راست خورشید تو چندانکه بسالی برود کم ز ماهی برود مه از کیف وز کم **

روز از شب بشیند این و برآشت و بگفت خامش کن چه درآئی سخن نامحکم

تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الی السعدی/ تعریب، النص، ص: ۱۸۲ روز را عیب بطعنه چه کنی کایزد عرش‌روز را پیش ز شب کرد ستایش بقسم

روزه خلق که دارند بروزست همه بحرم نیز بروزست حج از رب حرم

عید و آدینه فرخ عرفه و عاشورا همه روزست چو بینی بهم از عقل و فهم

روز خواهد بود برخاستن خلق بحشر روز شد نیز وجود همه مردم ز عدم

تو بعاشق نه برنجی و باطفال نهیب در تن دیودی بر دل بیمار ستم

یوم و خفاش بشب مرغ و سیه جتی و دیودزد اکثر همه شب کرد و همه أهل نهم

من باصل از خور چرخم تو بجنس از دل خاکمن چو تابان ضوء نارم تو چو تاریک فحم

روی آفاق ز من خوب نماید ز تو زشت دیده خلق ز من نور فراید ز تو نم

مر مرا گونه اسلام و ترا گونه کفرمر مرا جامه شادیس ترا جامه غم

تو بچهر از حبشی فخر بحسن از چه کنی حبشی را چه رسد حسن اگر هست صنم

سپه و خیل نجوم چه باشند که بیاک بگریزند چو خورشید من افراخت علم

چه زیان کت به نبی پیش ز من داشت خدای در نبی نیز هم از پیش سمیعست أضم

خلق الموت بخوان گرچه حیات از پس اوست به ز موتست بهر حال حیات آخر هم

تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الی السعدی/ تعریب، النص، ص: ۱۸۳ گز ماه تو شناسند مه و سال عربز آفتابم همه دانند مه و سال عجم

گرچه زرد آمده خورشید او به ز مهست گرچه زرد آمده دینار هم او به ز درم

ماه تو از ضوء خورشید من افزاید نوروز پی خدمت خورشید کند پشت نجم

گز ز خورشید سبکتر رود او پیک و بست پیک البته سبکتر نهاد از شاه قدم

از فریضه سه نمازست بروز و دو بشب از نماز تو کم آمد که ز من هستی کم

ور بقولم نبوی راضی و خواهی که بوددر میان حکم کنی عدل خداوند حکم

یا پسند آر بگفتار شه عادل زادیا رضا ده برئیس الوزرا کان کرم

راد بو نصر خلیل أحمد کرا نصرت وجودافسر جاه و جلالست و سر ملک و نعم و معناها:

- استمع من حجة إلى حدیث اللیل و النهار

فحدیثهما حکایة ممتعة تبعد عن القلوب شدة الحزن و الغم...!!

- فقد نشأ بينهما جدال لمعرفة أیهما أكثر فضلا

فجرى بينهما حدیث طویل بین المدح و الذم...!!

- قال اللیل: إن اللیل یفضل النهار لهذه الأسباب:

و هي إن الله أخرج النهار من الليل...!!
 تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٨٤
 - ولدى الله يكون الساجد والعايد أثناء الليل
 أعلا قدرا من الساجد والعايد أثناء النهار...!!
 - وقد استصحب «موسى» قومه إلى المناجاة أثناء الليل
 وكذلك في الليل ابتعد «لوط» عن مواطن الظلم والإثم...!!
 - وفي الليل شق «محمد» القمر إلى نصفين
 وفي الليل خرج إلى معراجة من بيت الحرم...!!
 - والليل ستار للعيوب، والنهار فضاء للذنوب
 والليل جلاب للراحة والهناء، والنهار جلاب للألم والعناء...!!
 - وفي النهار أوقات تخلو من الصلاة
 وأما صلاة الليل بأجمعه ففيها فخر النبي والأمم...!!
 - وأنا ملك اتخذت الأرض عرشا، والفلک إيوانا،
 والقمر حارسا، والكواكب السيارة خدما...!!
 - وأشهر السنة العربية عبارة عن عدد من أقماري
 وعلى رأسي رقم من أجنحة جبريل...!!
 - وعلى طلعة قمرى ... تبدو آثار الصحة والعافية
 وعلى طلعة شمسك ... تبدو آثار السقم والهزال...!!
 - ودورة شمسك تستغرق سنة كاملة
 ودورة قمرى تستغرق أقل من شهر واحد...!!
 ***- استمع النهار إلى حديث الليل هذا، ثم ثار وقال في استهزاء:
 صمتا. صمتا... وكيف جاز لك أن تهرف بمثل هذا الهراء...!!
 - وكيف جاز لك أن تطعن في النهار.. وصاحب العرش المتعالي،
 قد اقسم بالنهار فقدمه على ذكر الليالي...!!
 - وصيام الناس جميعا مجعول في وقت النهار
 وكذلك الحج إلى البيت الحرام جعله الله في هذا الوقت السار...!!
 تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٨٥
 - والعيد وصلاة الجمعة وقفة عرفات وعاشوراء
 كلها مجعولة نهارا... إذا نظرت بعين العقل والدكاء...!!
 - وفي النهار سيكون بعث الناس وحشرهم
 وفي النهار أيضا كان خلقهم ووجودهم...!!
 - وما أكثر رهبتك للأطفال، وما أكثر آلامك للعاشقين
 وأنت شيطان مريد، تقسو على المرضى والمساكين...!!
 - والبوم والخفاش وطيور الليل والجن الأسود والشياطين
 جميعها تظهر بالليل، وكذلك اللصوص والمجرمون...!!
 - وأصلى مشتق من فلک الجوزاء، وجنسك مشتق من جوف الغبراء
 وأنت مظلم كالفحم القاتم، وأنا منير كالنار ذات الضياء...!!
 - وبى يزدان وجه الأفتق، وبك يبدو في قبح شنيع...!!
 ويزداد النور بضيائي في أعين الخلق، وأما ظلمتك فتكثر فيها الدموع...!!
 - ولى نور الإسلام، ولك ظلمة الكفر والعصيان
 ولى أردية الهناء، ولك أردية الهموم والأحزان...!!
 - وكيف تفخر بالحسن ولك وجه حبشى كثير الإظلام...!!
 وكيف يصل الحسن إلى حبشى ولو كان من أبهى الدمى والأصنام...!!
 - وما ذا تكون جيوش نجومك وهي تفر من الشمس في خوف وجل
 ومتى رفعت شمسي أعلامها... هربت أمامها على عجل...!!
 - وأى ضرر يصيبني.. إذا ذكرك الله قلمي في القرآن
 فقد جاء ذكر «الأصم» قبل «السميع» في آيات الفرقان «١».

(١) المترجم: إشارة إلى ما جاء في سورة هود آية ٢٦ حيث قال تعالى (مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَشْعُرَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ).

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٨٦
 - وأقرأ في الكتاب قوله: «خلق الموت» فقد ذكر «الحياة» من بعده «١»
 وإن كانت «الحياة» على كل حال خير من «الموت» ولحده...!!
 - وإذا كانت سنة «العرب» تعرف بأقمارك
 فإن سنة «العجم» تعرف بشمسي كذلك...!!
 - والشمس وإن أصفرت، خير من القمر في بهائه
 وكذلك الدينار وإن أصفر، خير من الدرهم في بياضه...!!
 - وقمرک يستمد نوره من ضوء الشمس
 ونحن في خدمتها إجلالا وتكريما...!!

- و هو و إن أسرع عن الشمس في دورته، فما هو إلا رسولها،
و الرسول بغير شك يتقدم الملك في سيره و خطاه...!!
- و في النهار ثلاث صلوات، و في الليل وقتان للصلاة
و قد انقصوا من صلواتك لأنك تنقص عني في قيمتك...!!
- فإذا لم ترض بقولي، و شئت الافتتاح و القبول
فاجعل الحكم العدل بيني و بينك هو الله الحكيم...!!
- و اقع بقول الملك العادل الكريم
أوارض برئيس الوزراء فهو منجم الجود و الإحسان...!!
- و هو أبو نصر الخليل بن أحمد الذي أصبح النصر
تاجا لجاهه و جلاله، و الجود أساسا لملكه و نعيمه...!!

و لا يفوتنا أن نذكر أن «الأسدي» أغضب السلطان «محمود الغزنوي» بإحدى مناظراته هذه و هي التي جعلها بين «العربي و العجمي» و ذلك لما أوردته فيها من مدح لأمرين من خصومه من أمراء البويهيين هما «شمس الدولة أبو طاهر الهمداني»

(١) المترجم: إشارة إلى ما جاء في سورة الملك الآية الثانية حيث يقول تعالى (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُبْلُوَكُمْ أَنُكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا).

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٨٧
(٩٩٧-١٠٢١ م - ٣٨٧-٤١٢ هـ) و مجد الدولة أبو طالب رستم (٩٩٧-١٠٢٩ م - ٣٨٧-٤٢٠ هـ). و في هذا مثال آخر لما كانت عليه نفسية السلطان من حقد و حسد.

أبو الفرج السجزي:

أبو الفرج السجزي متقدم زما عن ذكرناهم من الشعراء فيما سبق، و لكنه تال لهم في الأهمية و المكانة، كما إنه لا يبلغ مبلغ تلميذه «منوچهری» الذي سنتحدث عنه بعد قليل. و من أهم الرجال الذين شملوا السجزي بالرعاية «أبو علي سيمجور» و هو واحد من الضحايا الذين أودت بهم أطماع السلطان محمود الغزنوي، و قد قيل إنه مات في سنة ١٠٠٢ م - ٣٩٣ هـ. و تكاد حياة السجزي و ظروفه تكون مجهولة لنا تماما و لو أن «دولتشاه» كعادته لا يرضن عليه ببعض الأخبار «١» كما لا يرضن عليه بذكر مقطوعة واحدة من أشعاره هي الآتية:

عفاى مغربست درين دور خرمى خاص از برى محنت ور نجست آدمى

چندانکه گرد عالم صورت برآدميم غمخواره آدم آمد و بيچاره آدمى

هر کس بقدر خویش گرفتار محتست کس را نداده اند برات مسلمى و ترجمتها:

- إن السعادة في هذا الزمان نادرة كعتقاء المغارب كأنما الحياة قد خصصت من أجل المكاره و التواب...!!

- و مهما طال طوافي حول عالم الصور و الظواهر فإني لم أر فيها إلا قعيد الهموم و الكرب العواد...!!

(١) أنظر «تذكرة الشعراء» ص ٣٩-٤٠.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٨٨ - و قد نزلت المرحن على كل شخص بقدر طاقته و لم يبرأ أحد براءة كاملة من نصيبه و حصته...!!

منوچهری:

أما «منوچهری» فقد كان تلميذا للسجزي. و قد عاش حتى سنة ١٠٤١-٤٣٣ هـ أو بعد ذلك؛ و قد ذكرناه فيما سبق و ترجمنا له قصيدة من أشهر قصائده «١» و ليس من السهل الحصول على نسخة ديوانه؛ و لكن الأستاذ «ا. دى بيرستين كازيميرسكى» «٢» قام على طبعه في باريس سنة ١٨٨٦ مع ترجمة كاملة له، ألحق بها كثيرا من التعليقات و الملاحظات و المقدمات التاريخية الرائعة. و قد طبع قبل ذلك بما يقرب من ست سنوات طبعة على الحجر في مدينة طهران. و تحدث «دولتشاه» عن هذا الديوان فقال: «إنه مشهور معروف في أنحاء إيران». و يؤخذ من بيت من أبيات الديوان أن «منوچهری» كان من بلدة «دامغان» التي تبعد بما يقرب من خمسين ميلا إلى جنوب «استراباد» على الطريق من طهران إلى مشهد. و في هذا ما يتنافى مع ما ذكره «دولتشاه» عن نسبه إلى «بلخ» أو «غزنه». و يذكر «عوفى» «٣» إن اسمه الكامل هو «أبو النجم أحمد بن قوص «٤» بن أحمد المنوچهری» ثم لا يوجد عليه بعد ذلك بشيء من الأخبار إلا- أنه كان على صغر سنه شديد الذكاء و قد أدركه الموت و هو في شبابه و غض إهابه، و يقولون إنه كان يلقب بلقب «شست كله» و هو تعبير يحتمل كثيرا من التفسير «٥» و لكنهم في العادة يفسرونه بمعنى «صاحب السنين قطيعا» إشارة إلى ما كان له من غنى و ثراء. و من العجيب أن «عوفى» لا يذكر شيئا عن هذا اللقب؛ و قد عثرت على نبذة في كتاب «راحة

(١) أنظر ص ٤٢-٤٧ من هذا الكتاب.

(٢) كتابة الاسم بالرومانية هكذا: A. de Biberstein Kazimirski.

[المترجم: طبع أخيرا ديوان منوچهری في طهران سنة ١٣٢٦ هـ. ش باهتمام «محمد دبیر سبازی»]

(٣) أنظر «لباب الألباب» ج ٢ ص ٥٣-٥٥

(٤) الدكتور (إتية) يستبدل (قوص) ب (يعقوب).

(٥) أنظر ص ٣ من طبعة (كازيميرسكى).

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٨٩

الصدور» الذي ألفه «الراوندى» في تاريخ السلاجقة «١»، يستفاد منها أن اثنين من الشعراء كانا يعرفان باسم «منوچهری» و أن الكتاب المتأخرين قد احتفظ عليهم الأمر فجعلوهما شخصا واحدا؛ أما هذان الشاعران فهما:

(أ) أبو النجم أحمد منوچهری: الشاعر الذي عاش في النصف الأول من القرن الحادى عشر الميلادى- الخامس الهجرى.

(ب) شمس الدين أحمد منوچهری: الشاعر الذي عاش في النصف الأخير من القرن الثانى عشر الميلادى- السادس الهجرى و هو الذي كان يعرف باسم «شست كله» و ليس في أيدنا الآن شيء من أشعاره، و كل ما نعرفه عنه أنه أنشأ قصيدة عرفت باسم «قصيدة تنماح»

نسبة إلى قافيتها فيما يظن.

و فيما يلي ترجمة كاملة لقصيدة أخرى من قصائد «منوچهری» الحقيقي وصف فيها «الشمعة» و انتهى فيها إلى مدح «العنصری»؛ و هذه القصيدة مذكورة في ديوان الشاعر و كذلك في كتابی «عوفی» و «دولت‌شاه».

و فيما يلي نصها في كتاب «تذكرة الشعراء»^۲:

أى نهاده بر میان فرق جان خویشتم جسم ما زنده بجان و جان تو زنده بتن
گر نه کوكب، چرا پیدا نکردی جز بشب‌ورنه عاشق چرا گریبی همی بر خویشتم
کوكبی آری و لیکن آسمان تست موم‌عاشقی آری و لیکن هست معشوقت لگن

(۱) أشرت إلى هذا الكتاب الهام في مقال كتبه في «مجلة الجمعية الملكية الأسيوية» سنة ۱۹۰۲ ص ۵۸۰ - ۵۸۱.

المتروجم: و قد طبع هذا الكتاب الأستاذ محمد اقبال سنة ۱۹۲۱ ضمن سلسلة جب التذكارية

(۲) المترجم: أنظر ص ۴۱ - ۴۲ و كذلك توحيد هذه القصيدة فيما عدا الأبيات الأربعة الأخيرة في كتاب «الباب الألياب» ج ۲ ص ۵۴ -

۵۵.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسی الی السعدی/ تعريب، النص، ص: ۱۹۰ پيرهن در زیر تن داری و پوشد هر کسی پيرهن بر تن تو
تن پوشی همی بر پيرهن

گر بمیری آتش اندر تو رسد زنده شوی چون شوی بیمار خوشتر گردی از گردن زدن
تا همی خندی همی گریبی و این بس نادرست هم تو معشوقی و هم تو عاشقی بر خویشتم
بشگفتی بی‌نوهار و پژمري بی‌مهرگان‌بگریبی بی‌دیدگان و بازخندی بی‌دهن
تو مرا مانی بعينه من ترا مانم همی دشمن خویشتم هر دو دوستدار انجمن
خویشتم سوزیم هر دو بر مراد دوستان‌دوستان در راحتند از ما و ما اندر حزن
هر دو گریانیم و هر دو زرد و هر دو در گدازهر دو سوزانیم و هر دو فرد و هر دو ممتحن
آنچه من در دل نهادم بر سرت بینم همی آنچه تو بر سر نهادی در دلم دارد وطن
روی تو چون شنیلید برشگفته بامدادو آن من چون شنیلید ناشگفته در چمن
از فراق روی تو گشتم عدو آفتاب‌وز فراق تو شب تاری شد ستم مفتن
من دگر یاران خود را آزمودم خاص و عام‌نی طلبکاری ز یک تن نی وفا اندر دو تن

رازدار من تویی ای شمع یار من تویی غمگسار من تویی من آن تو تو آن من

تاريخ الادب في إيران من الفردوسی الی السعدی/ تعريب، النص، ص: ۱۹۱ تو همی تابی چو نور و من همی خوانم بمهر هر شیبی تا
روز ديوان أبو القاسم حسن

اوستاد اوستادان زمانه «عنصری» عنصر دین و دلش بی‌عیب و بی‌غش و فتن
شعر او چون فضل او هم بی‌تکلف هم بدیع فضل او چون شعر او هم نازنین و هم حسن
زین فروتر شاعری دعوی بود لاف و گزاف این حکیمان دگر یکفن و او بسیار فن
در زغن هر گز نباشد فن اسب راهوار گرچه باشد چون سهیل اسب آواز زغن
تا همی خوانی تو أشعارش همی‌خانی شکر تا همی‌بوئی تو آیاتش همی‌بوئی سمن و ترجمتها:

- یا من وضعت روحک فوق رأسک

إن أجسامنا تحيي بالروح، و لكن روحك تحيي بجسدك ...!!!

- إذا لم تكوني كوكبا ... فلم لا تظهرين إلا أثناء الليل ...!!!

و إذا لم تكوني عاشقة ... فلم تديمين البكاء على نفسك ...!!!

- نعم .. أنك كوكب ساطع .. و لكن سماءك مصنوعة من الشمع الناصع

و أنك عاشقة حقا ... و لكن معشوقك هو هذا الوعاء الرائع ...!!!

- و من عجب .. أنك تتردين قميصك تحت طيات جسمك «۱»

و كل إنسان يلبس قميصه فوق جسده، بينما أنت تتردين جسدك فوق قميصك ...!!!

- و من عجب .. أنك إذا مت و اتصلت بك شعله من نار، دبت فيك الحياة ثانية

و من عجب ... أنك إذا مرضت، تحسن حالك بقطع رأسك ...!!! «۲»

(۱) قميص الشمعة هو ذؤابتها التي تشتعل، و جسدها هو الشمع الذي صنعت منه.

(۲) المترجم: إذا قطعت فتيلة الشمعة و أصلحت زاد النور المنبعث منها.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسی الی السعدی/ تعريب، النص، ص: ۱۹۲

- و من العجب و أندر العجب .. أنك تضحكين و تبكين في آن واحد

و من العجب و أندر العجب .. أنك أنت العاشق و المعشوق في وقت واحد ...!!!

- و من عجب ... أنك تزهدين بغير ربيع، و تذوين بغير خريف

و تبكين بغير عين، و تضحكين بغير ثغر أو قم ...!!!

- و ما أشبه حالي بحالك، و ما أشبه حالك بحالي

فكلانا يخاصم نفسه، لكي يكون خادما للمجتمع ...!!!

- و كلانا يحترق، و كلانا يصيبه الهزال و الاضفرار، و كلانا يدوب و ينصهر

و كلانا يديم البكاء، و كلانا في محنة الوحدة و العناء ...!!!

- و ها أنذا أرى فوق رأسك ما أخيفته في قرارة قلبي [أى النار]

و أرى النار التي توجت بها رأسك قد توطنت في دخيلة نفسي ...!!!

- و إن مدامعك لهي الذهب المصهور تزيينه فوق حدودك الذهبية

و أما حدودي فهي الأزهار الصفراء الذابلة من بين أزهار الخمائيل ...!!!

- و لقد أصبح من عادتي النوم أثناء النهار، لأنني من أجلك

أديم السهر طوال الليل، و تنقل رأسى بالنوم طول النهار...!!
 - ولقد أصبحت خصيما للشمس عندما افترق عن طلعتك
 و أصبحت مفتتنا بوصولك طوال الليل البهيم...!!
 - ولقد جربت أصدقائي جميعا في كل الأوقات و الأحوال
 فلم أر سرا يحفظ في قلوبهم أو وفاء يستقر في ربوعهم...!!
 - و أما أنت أيتها الشمعة... فصدقتي الخالصة المؤتمنة على أسرارى
 و أنت الملقطة لأجزائى... و قد أصبحت ملكا لك كما أصبحت ملكا لى...!!
 - و ما دمت تحترقين فإننى سأظل أقرأ على نورك في حب و حنين
 ديوان «أبى القاسم حسن» حتى مطلع النهار المبين «١»...!!

(١) هذا هو اسم العنصرى، و يعتبر هذا البيت هو بيت الانتقال من التشيب إلى المديح و يعرف في الفارسية باسم «گریزگاه».

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٩٣

- و هو «العنصرى» أستاذ الأساتذة في هذا الزمان
 و قد خلا عنصره من كل عيب، و قلبه من العش، و روحه من الافتنان.
 - و شعره شبيه بفضله .. كلاهما بديع لا تكلف فيه
 و فضله شبيه بشعره .. كلاهما مليء بالرفقة و الروعة و الحسن...!!
 - و من العيب أن يدعى مدع أنه يتفوق عليه في البلاغة و نظم الكلام
 فإن الحكماء جميعا لهم فضل واحد، و للعنصرى من الأفضال ألوان و فنون...!!
 - و لن يكون للغراب مهما نعب صوت يشبه سهيل الجواد الأصيل
 و لو تشابه نعب الغراب مع ما للجواد من سهيل...!!
 - و أنك لتمضغ فئات السكر عندما تأخذ في إنشاد أشعاره
 و أنك لتشم أريج الياسمين من عبيق ديوانه و أزهاره...!!
 يضاف إلى ذلك أن «منوچهرى» اختار لنفسه هذا التخلص نسبة إلى حاكم طبرستان الأمير الزيارى «منوچهر بن قابوس بن وشمگیر»
 الملقب بفلک المعالى. و قد تولى حكم خراسان بعد قتل أبيه في سنة ١٠١٢ م - ٤٠٣ هـ، و مات في سنة ١٠٢٨ م - ٤١٩ هـ

غضائرى:

تحدثنا فيما سبق عن هذا الشاعر الذى ينسب إلى مدينة الري و يعرف باسم «غضائرى الرازى» و استشهدنا على صنعة «الإغراق»
 بقصيدته التى مدح بها السلطان محمود الغزنوى و كيف فاز منه - كما يقولون - بسبعة أكياس من الذهب تبلغ قيمتها أربعة عشر ألف
 درهم، و فى هذه القصيدة يقول بيتيه الآتيين:
 صواب كرد كه پيدا نكرد هر دو جهان يگانه ايزد دادار بي نظير و همال
 و گرنه هر دو ببخشيدي او بروز سخاميد بنده نماندي بايزد متعال
 تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٩٤
 و معناهما:
 - كان من الصواب أن الله الفرد العادل الذى لا نظير له
 لم يكشف للإنسان كلا العالمين (أى الدنيا و الآخرة)...!!
 - و لو أنه فعل ذلك، لجاد الملك بهما جميعا في يوم السخاء
 و لم يبق للعبد مطمع آخر يرجوه من رب السماء...!!
 و ما أقل ما كتبه «عوفى» و «دولت شاه» عن هذا الشاعر بحيث يمكن أن نقول صادقين أننا لا نكاد نعرف عنه شيئا سوى أنه كان ميرزا
 فى إنشاء شعر المناظره و المديح.

بهرامى:

ذكرنا فيما سبق أيضا الشاعر «بهرامى السرخسى» و قلنا إنه قد ألف كتابا فى العروض و الشعر اسمه «خجسته نامه»، و قد ذكر صاحب
 «جهار مقاله» فى كثير من الإعجاب كتابين آخرين من تأليفه هما:

(أ) غاية العروضيين

(ب) كنز القافية

و يبدو أنه قد ألف كتابا أخرى مثورة فى فنون البلاغة و الشعر، و لكنها جميعا قد ضاعت مع الزمن و لم تسلم من غاراته.
 و لم يذكر «دولت شاه» هذا الشاعر و لكن «عوفى» ذكره فى عبارة مختصرة و أورد له جملة من المقطوعات تبلغ الست أو السبع.
 *** و لقد يمكن أن نزيل القائمة التى تشتمل على الشعراء الذين عاشوا فى هذا العصر لأن «عوفى» يذكر منهم عددا يزيد على أربعة
 و عشرين شاعرا، يضاف إليهم من خصه بالذكر صاحب كتاب «جهار مقاله» و من بينهم الشاعرة «اربعه بنت كعب» و الشعراء «البيبي» و
 «أمينى» و «أبو الفضل» و «الطالقانى» و «المنشورى» و «العطاردى» و «زینتى العلوى المحمودى».

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٩٥

و يبدو من البيتين الآتيين و قد قالهما الشاعر الأخير فى مطلع إحدى قصائده و هما:

ای خداوند روزگار پناه مطربان را بخوان و باده بخواه

تا بدان لعل می فروشوئیم کامها را ز گرد و خشکی راه و معناهما:

- مولای... یا كهف الأنام و الأيام ادع المطربين، و مر بكؤوس المدام...!!

- حتى نستطيع أن نغسل حلوقنا بهذه الخمر الباقوتية الحمراء مما علق بها من غبار الطريق و جفاف الهواء...!! أنه كان فى رفقه السلطان
 «محمود الغزنوى» فى إحدى غزواته الكثيرة لبلاد الهند و قد أشار إلى ذلك أيضا فى مقطوعة أخرى ذكرها «عوفى» فى كتابه و هى:

ز خون عدو كرد فتنه نشانى بتبغت همه زنگ بدعت زدائى

مگر نذر دارى كه هر مه كه نوشد شهى را ببندى و شهرى گشائى

مگر عهد داری که همچون سکندر ملوک زمین را تو قدرت نمائی و معناها:

- فقد هبطت الفتنة بدماء الأعداء

و محفت صدأ البدعة بسيفك القاطع!!!

- فهل نذرت مع كل هلال يولد في بداية الشهر

أن تأسر ملكاً أو تفتح بلدة جديدة!!!

- أو هل تعاهدت كما فعل «الإسكندر» من قبل

أن تظهر قدرتك و تقهر ملوك الأرض أجمعين...؟!*

*** وفيما عدا ذلك ما زال ثلاثة من الشعراء الذين لم نذكرهم في هذا الفصل يتطلبون منا حتماً شيئاً من الحديث و هم:

(أ) بندار الرازي: المنسوب إلى مدينة «الري» و هو من شعراء المهجات الخاصة

(ب) كسائي المروزي: المنسوب إلى مدينة «مرو»

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي / تعريب، النص، ص: ١٩٦

(ج) أبو سعيد بن أبي الخير: الشاعر الصوفي صاحب الرباعيات

و آخر هؤلاء الثلاثة هو أكثرهم شهرة و بعد صيت، و قد عاش طويلاً (من سنة ٩٦٨- ١٠٤٩ م ٣٥٨ هـ) و تخصي الفترة الفاصلة بين العصرين اما؟؟؟

و السلجوقي، و من أجل ذلك فستخصص له مكاناً جديراً به في الفصل التالي الذي سنطيل الحديث فيه عن الشعر الديني و التعليمي بقدر ما نفل فيه من الحديث عن أشعار الملاحم و المديح

و يبقى علينا أن نتحدث عن الشعراء الآخرين «بندار» و «كسائي»

بندار الرازي:

أما «بندار» فيقال إنه كان يدعى ب «كمال الدين» و لا نكاد نعرف من أمره شيئاً إلا أنه كان في خدمة الأمير البويهبي «مجد الدولة أبي طالب رستم» الذي كان يحكم مدينة الري، و أنه كان قبل ذلك في خدمة الرجل العظيم «الصاحب إسماعيل بن عباد».

و يقال إن «بندار» توفي سنة ١٠١٠م - ٤٠١ هـ و إنه كان قادراً على نظم الشعر باللغات العربية و الفارسية و الديلمية.

و لست أستطيع أن أجد شيئاً ذكر عن «بندار» أسبق مما ذكره «دولت شاه» في كتابه «١» أما «عوفي» و «ابن اسفنديار» فقد سكتنا عنه سكوتاً تاماً، و من عجب أن «دولت شاه» كان في الحديث عنه مقلاً على غير عادته، و اكتفى بأن يذكر مثلين من أشعاره؛ أحدهما في اللغة الفارسية، و الآخر في اللغة الديلمية، و قد وجه المثال الأخير منهما إلى أحد أصدقائه عندما نصحه بأن يتزوج، و لغته مفهومة لنا بالقدر الذي يكشف عن مضمونه، و لكننا لا نجسر على ترجمته ترجمة دقيقة صحيحة. أما المثال الأول فمعروف مشهور و هم ينسبونه إلى أكثر من واحد من الشعراء المشهورين.

(١) انظر «تذكرة الشعراء» ص ٤٢-٤٤.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي / تعريب، النص، ص: ١٩٧

و نصح:

از مرگ حذر کردن دو روز روا نیست روزی که قضا باشد و روزی که قضا نیست

روزی که قضا باشد کوشش نکند سودروزی که قضا نیست درو مرگ روا نیست و معناها:

- لا يصح الحذر من الموت في يومين على السواء يوم يقع فيه القضاء، و يوم يمتنع فيه القضاء...!!!

- فاليوم الذي يقع فيه القضاء، لا يجدي معه كفاح الأتوياء و اليوم الذي لا يقع فيه القضاء، لا يجوز فيه الموت و الفناء...!!! و قد ذكر «دولت شاه» بالإضافة إلى ذلك بيتاً من الشعر قاله الشاعر المتأخر «ظهر الدين الفارابي» و مدح فيه الشاعر «بندار» و نصح:

در نهان خانه طبعم بتماشا بنگرتا ز هر زاویه عرضه دهم بنداری و معناها:

- انظر إلى الأعماق الخافية في طبعتي و لو نظرة واحدة في اختصار

فسأعرض عليك في كل ركن من أركانها شاعراً في مهارة «بندار»

و لكنني أشك في أن كلمة «بندار» المذكورة في هذا البيت من أسماء الأعلام، و ربما كانت من أسماء المصادر بمعنى «الفكر» أو «الخيال» «١».

و في مقابل الأخبار القليلة التي رواها دولت شاه عن «بندار» نجده يعوضنا عن قلتها بحكاية كبيرة الدلالة رواها عن والده «مجد الدولة» و كانت تقوم بالوصاية عليه أثناء صغره، و مجمل القصة أن «مجد الدولة» اعتلى العرش و هو صبي

(١) بعد ما انتهت من كتابة هذا الفصل عثر على هذا البيت في كتاب «مجالس المؤمنين» و بذلك ينتفي ما عرض لي من شك، و يتحتم أن يكون المقصود بلفظة «بندار» هو هذا الشاعر، و لكنه ذكر هنا بالباء الموحدة هكذا: «بندار».

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي / تعريب، النص، ص: ١٩٨

صغير في سنة ٩٩٧ م - ٣٨٧ هـ فقامت أمه بالوصاية عليه و أمسكت بأزمة الأمور في أيديها الحازمة. و قد قيل إن السلطان محمود طالبها بالجزية و الخراج فلما رفضت هدهداً بأن يرسل إليها ألفين من أفياله الحربية لتخرب مدينة «الري» و تحمل ركابها إليه في مدينة «غزنه». فاستقبلت والدة رسول محمود و أكرمت وفادته و أعطته هذه الرسالة ليبلغها إلى مولاه، و قالت فيها:

«لا- شك أن السلطان محمود بطل من أبطال الإسلام. و هو من أقوى الأمراء و الحكام، و قد دانت له أكثر الأنحاء في إيران و بلاد الهند، و لطالما خشيت سطوته و محاربه طوال السنوات الإثنتي عشرة التي عاشها زوجي «فخر الدولة». و لكن منذ انتقل زوجي إلى جوار ربه و قد انزاع عن قلبي هذا الخوف الذي ملكك نواصيه، لأنني أجد أن السلطان محموداً من أكبر الملوك و أعزهم شرفاً، و لن يقدم على محاربة امرأة عجوز مثلي؛ فأما إذا اختار الحرب و القتال فمن المؤكد أنني لن أترد عن الطعن و التزال، فإن وفقني الله إلى التغلب عليه فسيذكر لي هذا النصر إلى يوم الدين، و أما إذا فاز بالنصر على فستحدث المتحدثون فيقولون: إنه لم يفز إلا على امرأة عجوز..! و إنني ليأخذني العجب كيف يتيسر له في مثل هذا الحالة أن يعلن هذا الفوز، و في أي صورة يذيعه في أنحاء ملكه العريض؟.. و قد يما قالوا «كيف يمكن أن يكون رجلاً من نقصت همته عن همة النساء...؟!» و إنني لأعرف أن السلطان عاقل حازم، و لن يقدم على مثل هذا الأمر، و من أجل ذلك فأني أنعم على أريكة الهدوء و الراحة، لا بأخذني شيء من الخوف أو الشك فيما سنتهي إليه عاقبة الأمور».

و يقول «دولت‌شاه» إن هذا الخطاب أفاد الفائدة المرجوة منه فلم يقدم السلطان على محاربة هذه المرأة طوال حياتها، ولم يهاجم شيئا من أملاكها. وما يضيف على هذه القصة كثيرا من البهاء أن «ابن الأثير» ذكر أنه ما لبثت هذه المرأة أن ماتت في سنة ٤١٩ هـ حتى أغار السلطان محمود في السنة التالية (٤٢٠ هـ - ١٠٢٩ م) على مدينة الري و خلع عنها ابنها «مجد الدولة» ثم دخلها أثناء الربيع و أخذ من أهلها ألف دينار و ما يساوي نصف هذا المقدار من الحلوى و المجوهرات، و ستة آلاف نوب من القماش

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ١٩٩

و الخلع النفيسة، و مقدارا كبيرا من مختلف الأسلاب و الغنائم. ثم دعا إليه «مجد الدولة» و قال له: ألم تقرأ الشاهنامه و تاريخ الطبري «١»؟! فلما أجابه مجد الدولة بالإيجاب التفت إليه ثانية و قال له: يبدو لي من خلقك أنك لم تقرأ هذين الكتابين، فهل تلعب الشطرنج؟! فأجابه مجد الدولة بالإيجاب مرة ثانية، و هنا التفت إليه محمود و قال له: ألم يعرض لك مطلقا كيف يدنو الملك من الملك الآخر في رفته؟! فأجاب مجد الدولة في هذه المرة بالنفي. عند ذلك سأله محمود: فلماذا إذن أبحت لنفسك أن تنازل من هو أقوى منك سببا و أوسع سلطانا؟! ثم أمر بعد ذلك بنفيه في خراسان، و أتبع ذلك بصلب جماعة من الباطنية أو الإسماعيلية و تشريد المعتزلة و حرق كتبهم و كتب الفلاسفة و المنجمين، فلما اشبع رغبته و شفى غلته حمل مئات الأحمال من الكتب الباقية و نقلها إلى مدينة «غزنه»^٢.

الكسائي:

و يجدر بنا في نهاية هذا الفصل أن نذكر شيئا عن «الكسائي» و هو من أشهر الشعراء الذين ظهوروا في زمانه، و لكننا لا نذكره في هذا المكان من أجل ذلك فحسب، بل من أجل العلاقات التي كانت تربطه بالرجل الخطير و الشاعر العظيم «ناصر خسرو» الذي استحدثت عنه بالتفصيل في الفصل التالي من هذا الكتاب.

و الكسائي يختلف عن «بندار» في أن القدماء قد درسوه أكثر من المحدثين، و قد خصص له «عوفي» أكثر من خمس صفحات من كتابه «٣» و اعتبره صاحب «جهاز مقاله» واحدا من كبار الشعراء السامانيين «٤»، و لكن «دولت‌شاه» أهمله تماما و لم يذكر عنه شيئا على الإطلاق.

(١) الظاهر أنه اختار هذين الكتابين خاصة لأن الأول به سير ملوك الفرس و الثاني به سير ملوك المسلمين عامة.

(٢) انظر «تاريخ ابن الأثير» طبع القاهرة الجزء التاسع ص ١٢٨.

(٣) انظر «لباب الألباب» ج ٢ ص ٣٣-٣٩.

(٤) انظر جهاز مقاله ص ٤٥ و قد سماه هنالك «أبا الحسن» لا «أبا إسحق» كما ذكر الدكتور «إتيه».

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٠٠

و قد ولد في يوم الأربعاء ١٦ مارس سنة ٩٥٣ م - ٢٧ شوال سنة ٣٤١ هـ، و ذلك وفقا لما قاله في إحدى قصائده التي نقلها عوفي في كتابه «١» و التي ذكر الشاعر فيها:

«إنه نظمها في أواخر أيام حياته و في أيام الوداع و ساعات الفراق عند ما بلغ الخمسين من عمره. و قد كرر العبارة الأخيرة صراحة مرتين في هذه القصيدة. و استنتج الدكتور «إتيه» من هذا أن الكسائي مات في سنة ١٠٠٢ م - ٣٩٣ هـ (ذكر ذلك في مقاله «٢» التي نشرها عن هذا الشاعر سنة ١٨٧٤) و لكنه عاد بعد ذلك و عدل عن هذا الرأي في مقاله التي نشرها بعنوان «الأدب الفارسية الحديثة» في «المفصل في الدراسات اللغوية الإيرانية» ص ٣٨١. و افترض أن هذا الشاعر عاش إلى أن بلغ أرذل العمر و أن الخصومة قامت حقا بينه و بين «ناصر خسرو» الذي ولد كما يقول هو نفسه، في سنة ٣٩٤ هـ - ١٠٠٣ م.

و يرى الدكتور «إتيه» أن احتقار «ناصر خسرو» للكسائي كان مرجعه إلى الحقد و إلى الاختلافات الدينية التي فرقت بينهما، و قد فتر هذه الاختلافات بطريقة لا أتوه عليها، لأنه قال ان الأول اعترض على الثاني إنكاره للخلفاء الراشدين الثلاثة، و بمعنى آخر أن ميول الكسائي الشيعية كانت معادية لميول «ناصر» الذي كان بدوره من غلاة الشيعة كما تدلنا على ذلك قصائده الكثيرة، و قد ظل هو نفسه بعض الوقت.

كما أخيرتنا بذلك كتب التاريخ، شيخا لدعاة الإسماعيلية في ولاية خراسان.

أما السبب الحقيقي في كراهية «ناصر خسرو» للكسائي فيرجع فيما أظن إلى أن الأول منهما كان تابعا للاسماعيلية أي من فريق «السبعية» و أما الثاني فكان من فريق «الإثني عشرية». و كلا الفريقين كما هو معلوم نشأ من أصل واحد و لكنهما اختلفا بعد ذلك كل الاختلاف فيما يتعلق بالبيعة و ما نتج عن ذلك من أغراض سياسية و نظرية. يضاف إلى ذلك أن «ناصر خسرو» كان يبغض السلطان محمودا بغضا شديدا لأنه كان كما رأينا من ألد أعداء الإسماعيلية و غيرهم من الملاحدة، بينما وقف «الكسائي»

(١) المترجم: انظر «لباب الألباب» ج ٢ ص ٣٨.

(٢) انظر مقاله بعنوان «غزليات الكسائي» و قد نشرها في «محاضر جلسات المعهد العلمي البافاري للفلسفة و العلوم» سنة ١٨٧٤ م ص ١٣٣-١٥٣.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٠١

مواهبه - رغم تشيعه - لخدمته هذا السلطان و قول المدائح فيه. و في هذين السببين - كما يبدو لي - الإيضاح الكافي الذي يفسر لنا سبب النفور الذي وقع بين هذين الشاعرين.

و مع ذلك فلم أجد في ديوان «ناصر خسرو» الا سبع قطع «١» أشار فيها إلى «الكسائي» و هي الواقعة في الصفحات ١٩ و ٢٨ و ٣٨ و ٥١ و ١٣٣ و ٢٤٧ و ٢٥١ من ديوانه المطبوع على الحجر في مدينة تبريز سنة ١٢٨٠ هـ. و فيما يلي نصها و ترجمتها:

الإستشهاد الأول في ص ١٩ يقول البيت الآتي:

گر بخواب اندر کسائی دیدی این دیبای من سوده کردی شرم و خجلت مر کسائیرا کسا و معناه:

- لو رأي «الكسائي» في منامه هذا الديباج المنمق من أشعاري... لتمزق كساءه خجلا و استحياء... من آتاري...!! الإستشهاد الثاني ص ٢٨ يقول البيت الآتي:

گر سخنهاي کسائی شده پيرند و ضعيف سخن حجت با قوت و تازه و برناست و معناه:

- إذا كان للكسائي كلام، فكلامه ضعيف قاصر...!! أما كلام «الحجة» «٢» فكلام قوي متع ناصر...!! الإستشهاد الثالث في ص ٣٨ يقول البيت الآتي:

ديه رومي است سخنهاي او گر سخن شهره کسائی کساست

(١) المترجم: بالرجوع إلى «ديوان قصائد ومقطعات حكيم ناصر خسرو» المطبوع في طهران سنة ١٣٠٤-١٣٠٧ هـ. ش نجد أن اسم الكسائي ورد تسع مرات في أشعار «ناصر خسرو». وقد أوردت نصوص الأبيات من هذه الطبعة.

(٢) يقصد لقبه الذي عرف به بين الاسماعيلية وهو «حجة خراسان».

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٠٢
و معناه:

- و كلامه (أي شعر ناصر خسرو) هو الديباج الرومي...!! إذا كان كلام الكسائي الشهير هو الكساء العادي...!! و الرابع ص ٥١ يقول البيت الآتي:

كه ديبای رومی است اشعار من اگر شعر فاضل كسائي كساست و معناه:

- و أما أشعارى فهى الديباج الرومى...!! إذا كانت أشعار الكسائي الفاضل هى الكساء العادى...!! و الخامس ص ١٣٣ يقول البيت الآتي:

شعر شدی گر بشنیدی بشرم شعر تو بر پشت كسائي كساش و معناه:

- فإن كساء الكسائي ليصبح شعرا على ظهره...!! إذا استمع في خجل إلى شعر ك و جمال أثره...!! و السادس ص ٢٤٧ يقول البيت الآتي:

تا تو بدل بنده إمام زمانى بنده شعر توست شعر كسائي و معناه:

- ما دمت من صميم قلبك خادما لإمام الزمان «١»

فإن أشعار «الكسائي» ستكون خادمة لشعرك...!!

و السابع فى ص ٢٥١ يقول البيت الآتي:

با تو سخنان او كهن گشت آن شهره مقاتل كسائي

(١) يقصد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٠٣
و معناه:

- و بالقياس إلى أشعاره (أي أشعار ناصر) الجديدة النضيرة... تقادم العهد على مقالة الكسائي الشهيرة...!! و ليس في حوزتى للأسف هذه المادة الغزيرة التي كانت في متناول الدكتور «إتبه» و لكنى مع ذلك لا أجد في هذه الأبيات التي نقلناها عنه فيما سبق، و لا في سائر ديوان «ناصر خسرو» شيئا يدل على تحقير الكسائي، بل على العكس من ذلك نجده يمجده و يعظمه، لأن الشاعر إذا أخذ يفخر على عادة الشرقيين المألوفه، فإنه يذكر عن نفسه أنه أعلا شأنًا و أكثر خطرا من كل عظيم سبقه أو عاصره، و لو حد عن هذه الطريقة لنزل من عليائه و ارتضى بالخبية و الفشل.

و على ذلك فقد كان «الكسائي» بغير شك من الشعراء المشهورين في زمانه؛ و لقد ذكرنا أنه كان شيعيا يتغنى في قصائده بمدح على و آل البيت، و لكن ذلك لم يمنعه من أن يشيد بذكر السلطان محمود و كرمه، كما لم يمنعه ذلك أيضا من التغنى بالخمير و الشراب. و خمرة في هذه الحالة كانت خمرا حقيقية لا مجازية كالتى تغنى بها أصحاب الصوامع و المتصوفون.

و لقد ذكرنا فيما سبق أنه نظم قصيدة و هو في الخمسين من عمره، و هذه القصيدة كما يقول «إتبه» و أنا معه في الرأى، تدل على أنه في هذا الوقت أصابه شىء من التغيير في حياته و تفكيره، فأخذ يهجر حياة اللهو العابث، و يروض نفسه على التفتف و التزهد فهو يقول في هذه القصيدة «١»:

بسیصد و جهل و یک رسید نوبت سال چهار شنبه و سه روز باقی از شوال

بیامدم بجهان تا چه گویم و چه کنم سرود گویم شاد کنم نعمت و مال

(١) المترجم: نقلت النص الفارسي من «البيات الأبياب» ج ٢ ص ٣٨.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٠٤ ستوروار بدین سان گذاشتم همه عمر که برده گشته فرزندم و آسیر عیال

بکف چه دارم ازین پنجه شعرده تمام شمارنامه با صد هزار گونه وبال

من این شمار باخر چگونه فصل کنم که ابتداهش دروغست و انتهایش خجال

درم خریده آرم ستم رسیده حرص نشانه حدثانم شکار ذل سؤال

دریغ فرّ جوانی دریغ عمر لطیف دریغ صورت نیکو دریغ حسن و جمال

کجا شد آن همه خوبی کجا شد آن همه عشق کجا شد آن همه نیرو کجا شد آن همه حال

سرم بگونه شیرست و دل بگونه قیررخم بگونه نیلست و تن بگونه نال

نهیب مرگ بلرزاندم همی شب و روز چو کودکان بدآموز را نهیب دوال

گذاشتیم و گذشتیم و بودنی همه بودشديم و شد سخن ما فسانه أطفال

ایا كسائي پنجاه بر تو پنجه گذارد بکنند بال ترا زخم پنجه و چنگال

تو گر بمال و أمل بیش ازین نداری میل جدا شو از أمل و گوش وقت خویش بمال و معناها:

- بلغت دورة الزمان السنة الواحدة و الأربعين بعد الثلاثمائة ...

فلما كان يوم الأربعاء، و قد بقيت ثلاثة أيام من شوال ...

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٠٥

- آتیت إلى هذه الدنيا، حتى أقول ما أقول و أفعل ما أفعل ... تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب النص ٢٠٥ الكسائي: ص: ١٩٩

حتى أنشد الأغاني، و أفرح بالنعمة و المال...!!

- فقضيت العمر جميعه على شاكلة الدواب و الأنعام...!!

و أصبحت عبدا لأطفالي، و أسيرا لأولادى و عيالى...!!

- فماذا عساي أملك الآن من السنوات الخمسين التي تم عددها...؟

اللهم إلا سجلا مليئا بمئات الآلاف من أنواع الويال ...!!!
 - وكيف أستطيع أن أفضل في النهاية هذا الحساب ...؟
 وكيف بدأ بالكذب واليمين ... وكيف انتهى بالخجل والعار ...!!!
 - فأنا عبد اشترتني الدراهم، وضحية أودى بها الحرص ...!!!
 وأنا هدف للحادثات، و فريسة لذل السؤال ...!!!
 - فيا أسفا لبهجة الشباب ... يا أسفا لذلك العمر اللطيف ...
 و يا أسفا لصورتي الجميلة ... يا أسفا للحسن والجمال ...!!!
 - فإلى أين ذهب كل هذا الحسن ...؟ وإلى أين ذهب كل هذا العشق ...؟
 وإلى أين ذهب كل هذا العزم ...؟ وإلى أين ذهبت كل هذه الأحوال الطيبة ...؟
 - وقد أضحت رأسي في لون اللين، وأضحى قلبي في لون القار ...
 وأضحى وجهي في لون النيلة، وأضحى جسدي هزيبا على شاكلة البوص ...!!!
 - ويرعيني خوف الموت والفناء فأظلم في رهبة طوال النهار وآناء الليل ...!!!
 كما تخيف المقرعة الأطفال الذين لا يجيدون التعلم ...!!!
 - لقد قنينا الأيام، ومضينا عن الحياة، و وقع بها ما كان مقدرا لنا ...
 وهذه أشعارنا قد أصبحت الأقاويص يتسلى بها الأطفال ...!!!
 - فيا كسائي ... إن السنوات الخمسين تجتم على صدرك بمخالبها ...!!!
 وهذه ضرباتها قد قصت جناحيك واقتلعت ريشك ...!!!
 - فإذا لم يعد لك ميل إلى المال والأمل أكثر من ذلك ...
 فحرر نفسك من كل أمل، و اعرك أذن وقتك، و تنبه من غفلتك ...!!!
 تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٠٦
 بعد ذلك يروق لي أن أذكر مثلا آخر من قول «الكسائي» لأنه يبدو لي كثير الشبه بما يردده «الخيام» في رباعياته التي يتعشقها كل المعجبين بترجمتها الرائعة التي قام بها «فيتز جرالده»، والمعنى الذي يتردد في قول «الخيام» هو:
 - لشد ما تأخذني الدهشة لحرص الخمار على شراء الكروم ...
 بينما هي أتفه بكثير مما يبيعه من عقار مختوم ...!!!
 وفي مثل هذا المعنى قال «الكسائي» البيتين الآتين:
 گل نعمتی است هدیه فرستاده از بهشت مردم کریم تر شود اندر نعيم گل
 ای گل فروش ... گل چه فروشی برای سیمو از گل عزیزتر چه ستانی بسیم گل و معناها:
 - الورد نعمة أهدتها لنا رياض الجنان ...!!! او يمين طلعت و بهائه يزداد ما في الناس من جود و إحسان ...!!!
 - فيا بائع الورد ...! لماذا تباع الورد بالدرهم الرنان ...؟! او ما عساک تشتري بثمنه ... و هل تجد ما يمتاز عليه بالرجحان ...!!!
 تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٠٧

الفصل الثالث العصر السلجوقي الأول منذ ظهور «طغرلبك» إلى وفاة «ملکشا» و يتضمن الحديث عن مذهب الحشاشين و نشأتهم

[ظهور السلاجقة الأتراك]

يقول «ستانلي لين بول» في كتابه القيم «الدول الإسلامية» «١»: «إن ظهور السلاجقة الأتراك يعتبر فاتحة لفترة هامة من فترات التاريخ الإسلامي، فقد ظهوروا في وقت زالت فيه إمبراطورية الخلافة، و أصبحت فيه هذه الدولة الموحدة التي كان يحكمها حاكم إسلامي واحد مجموعة من الدويلات المشتتة المبعثرة التي لا تملك من الحول ما يمكنها من السيطرة و السلطان، اللهم إلا إذا استتبنا «الفاطميين» في مصر، و هؤلاء كانوا على المذهب الشيعي كما هو معلوم. أما أسبانيا و الممتلكات الإفريقية بما فيها ولاية مصر الغنية فكانت جميعا قد خرجت من يد خليفة بغداد؛ و أما شمال سوريا و أرض الجزيرة فوقعتا في أيدي رؤساء العرب المتدثرين. و استطاع بعضهم أن ينشئوا لأنفسهم الإمارات و الممالك؛ و أما البلاد الفارسية (إيران) فكانت موزعة بين الحكومات المختلفة التي أسسها الأمراء البويهيون (و كانوا جميعا من أصل شيعي لا يكون كثيرا من الاحترام للخلفاء العباسيين الضعفاء) كما كانت موزعة أيضا بين مجموعة من الدويلات التافهة التي كانت دائمة التعارك و التنازع فيما بينها مما أدى إلى انتشار الوهن و ذبوع البلاد. و كان انتشار المذهب الشيعي سببا في زيادة التفكك الذي أصيبت به الولايات لمختلفة التي كانت تتكون منها الامبراطورية الزائلة.

(١) أنظر كتاب: Mohammedan Dynasties, by Stanley Lane -Pool

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٠٨
 و اقتضت هذه الحال المضطربة دواء ناجعا سرعان؟؟؟ ما وجدته؟؟؟ في غزوة الأتراك السلاجقة. فقد كانوا بدوا سذجا لم تفسد لهم حياة المدن و لا الخلاقات المذهبية؛ فاعتنقوا الإسلام بحماس بالغ، ملك منهم قرارة النفوس و الأرواح، و لقد جاءوا لإنقاذ هذه الدولة المحترسة؟؟؟ و تزكوها؟؟؟ في ساعاتها الأخيرة، فصح رجاؤهم، و استطاعوا فعلا أن يردوا إليها القوة و الحياة، و اجتاحوا مجموعهم الكثيفة إيران و الجزيرة و سوريا و آسيا الصغرى، و حربوا البلاد التي وطأها أقدامهم، و حطمو الإمارات التي صادفوها في طريقهم، و استطاعوا بذلك أن يوحدوا مرة ثانية البلاد الإسلامية الأسيوية و أن يجعلوها تحت حكم واحد، تخضع له من أطراف الحدود الغربية لبلاد أفغانستان إلى أطراف الحدود الشرقية للبحر الأبيض المتوسط؛ و تمكنوا أيضا من أن يحدودوا العزم و الحياة في أرواح المسلمين بعد ما فترت عزائمهم و خمدت حماسهم؛ فدفعوا البيزنطيين إلى ما وراء حدودهم، و أنشأوا جيلا من المسلمين المحاربين المخلصين، يرجع إليه وحده الفضل فيما أصاب «الصلبيين» من هزائم كثيرة متكررة. و هذه هي مجمل الأسباب التي تجعل للسلاجقة مكانا ممتازا في التاريخ الإسلامي ...»

و لقد يجوز لنا أن نضيف إلى هذه العبارات السابقة، أن «السلاجقة» كانوا الممهدين «للأتراك العثمانيين» الذين أسسوا ملكهم في البداية في آسيا الصغرى ثم زادوا فيه حتى شمل الشام و مصر و البحر الأبيض و أوروبا و شمال أفريقيا، و لا شك أن هذا الملك قد تأسس أولا على أكتاف الإمارات السلجوقية في بلاد الروم (آسيا الصغرى)، ثم تقرر مصيره نهائيا بقدم المغول في غزوتهم المعروفة و طردهم في زحفهم الخاطف لجماعة من الأتراك أخذوا يولون وجوههم ناحية المغرب بقيادة «ارطغرل» و «عثمان»، و إلى الأخير منهما ينتسب سلطان تركيا في الوقت الحاضر «١».

و الحديث عن نشأة «السلاجقة» هو الأساس الذي يبنى عليه الجزء التاريخي من هذا الفصل، و أهم المصادر التي سأرجع إليها في الموجز الذي سأسوقه فيما بعد هي الآتية:

(١) المترجم: هكذا كتب «براون» في سنة ١٩٠٦، و معلوم أن الحركة الكمالية قضت على الخلفاء العثمانيين بعد ذلك بما يقرب من ست عشرة سنة.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٠٩

١- تاريخ ابن الأثير: طبع القاهرة، الجزءين التاسع و العاشر و بعض الحادي عشر

٢- تاريخ عماد الدين، الذي نقله البنداري عن الرسالة العربية التي ألفها عن السلاجقة الوزير «أنو شروان بن خالد» المتوفى سنة ١١٣٧ م- ٥٣٢ هـ. و هذا الكتاب هو عبارة عن المجلد الثاني من مجموعة المجلدات التي نشرها الأستاذ «هوتسما» بعنوان «مجموعة النصوص المتعلقة بتاريخ السلاجقة» (١) طبع ليدن سنة ١٨٨٩ م. و سنشير أحيانا إلى الجزء الأول من هذه المجموعة عند الحديث على «سلاجقة كرمان» فقد اشتمل هذا الجزء على تاريخهم.

٣- راحة الصدور: و هو عبارة عن مخطوطة فارسية فريدة «٢» اشتملت على تاريخ السلاجقة و تم تأليفها في سنة ١٢٠٢ م- ٥٩٩ هـ؛ و قد وصفت محتوياتها في «مجلة الجمعية الملكية الآسيوية» سنة ١٩٠٢ في الصفحات من ٥٦٧ إلى ٦١٠ و من ٨٤٩ إلى ٨٨٧ و حرصا على عدم الإطالة، سأشير فيما يلي من حديث إلى المصدر الأول مكتفيا بذكر «ابن الأثير» متبوعا بذكر السنة التي ورد فيها ذكر الموضوع الذي نتحدث عنه، و في أحيان قليلة سأذكر رقم الصحيفة وفقا لطبعة القاهرة؛ و سأشير إلى «البنداري» و «سلاجقة كرمان» وفقا لما جاء في طبعة «هوتسما» لهذين الكتابين؛ أما «راحة الصدور» فسأذكره بهذا الاسم و اتبعه بكلمة «ورقة كذا» إذا أشرت إلى مخطوطة «شيفر» أو بكلمة «صحيفة كذا» إذا أشرت إلى مقال المنشور في «مجلة الجمعية الملكية الآسيوية»

أصل السلاجقة:

نشأت دولة السلاجقة في سرعة عظيمة فائقة، ربما فاقت في حداثتها السرعة التي نشأت بها الدولة الغزنوية، و كذلك دام بقاؤها و نفوذها فترة طويلة زادت على ما استغرقت

(١) أنظر:

Recueil de textes relatifs a l'histoire des Seldjucides, Par Houtsma

(٢) المترجم: طبع الأستاذ محمد إقبال هذه المخطوطة في سنة ١٩٢١ و نشرها ضمن «سلسلة جب التذكارية».

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢١٠

الدولة الغزنوية. و السلاجقة فرع من الأتراك الغز الذي أخذوا يغزون في سنة ١٠٢٩ م- ٤٢ هـ على حدود إيران الشمالية و الشرقية، و أخذوا بذلك يسيبون كثيرا من المتاعب و المضاعف للسلطان «محمود الغزنوي». و قد ذكر ابن الأثير أن جددهم الأعلى كان يسمى «تقاق» (١) و هو والد «سلجوق» الذي كان أول من اتخذ الإسلام ديناً من بين جماعته. و قد أتى السلاجقة في بداية الأمر من «تركستان» إلى ما وراء النهر، فاجعلوا مشتاهم في «نور» بالقرب من بخارى، و مصيفهم في السغد بالقرب من سمرقند. و في الشجرة التالية بيان لأحفاد «سلجوق» ذكرنا فيه الأسماء الهامة منهم بحروف كبيرة واضحة بين الأقسام.

سلجوق (مات في جند) موسى أرسلان أو «بيغوكلان»/ يونس/ ميكائيل/ إسرائيل قبض عليه السلطان محمود و حبسه سبع سنوات [قتلمش] جد سلاجقة الروم/ [طغرل]/ جغرى بيگ داود أرسلان خاتون خديجة تزوجت الخليفة القائم/ [ألب أرسلان]/ ياقوتى/ [قاورت] جد سلاجقة كرمان خاتون سفريه تزوجت الخليفة المقتدى/ [ملكشاه]/ أرسلان أرغون/ تكش/ آياز/ تنش و الفترة التي نتحدث عنها في هذا الفصل تشمل حكم الملوك الثلاثة الأولين من ملوك السلاجقة و هم:

(١) فسروا كلمة (تقاق) بمعنى القوس.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢١١

١- طغرل: أعلن ملكاً في مدينة مرو في سنة ١٠٣٧ م- ٤٢٩ هـ؛ و توفي في الرابع من سبتمبر سنة ١٠٦٣ م- ٤٥٥ هـ.

٢- ألب أرسلان: ولد سنة ١٠٣٢ م- ٤٢٥ هـ؛ و تولى الملك سنة ١٠٦٣ م- ٤٥٥ هـ؛ و قتل في ٢٤ نوفمبر سنة ١٠٧٢ م- ٤٦٥ هـ.

٣- ملكشاه: تولى الملك سنة ١٠٧٢ م- ٤٦٥ هـ و توفي في ١٩ نوفمبر سنة ١٠٩٢ م- ٤٨٥ هـ.

و قد استغرق حكم هؤلاء الثلاثة فترة بلغت خمسة و خمسين سنة، كانت فيها أزمة الأمور موكولة إلى رجل من أشهر الوزراء الذين أنجبهم إيران، و أقصد به الوزير الحازم «نظام الملك» الذي قتل قبل وفاة ثالث الملوك الذين قام على خدمتهم و هو «ملكشاه» بخمسة و ثلاثين يوماً، فكان مقتله إيذاناً بانتهاء أكثر العصور ازدهارا من عصور الحكم السلجوقي. و على ذلك يمكننا في إيجاز و قبول أن نسمي هذه الفترة التي نتحدث عنها ب «عصر نظام الملك».

و السلاجقة كأغلب الأتراك اعتنقوا مذهب أهل السنة منذ اتخذوا الإسلام ديناً؛ و صاحب «راحة الصدور» يحدثننا أن الإمام «أبا حنيفة» و هو أحد الأئمة الأربعة و صاحب المذهب الحنفي الذي انتشر أكثر من غيره من المذاهب، دعا الله في يوم من الأيام أن يوطد أركان مذهبه و يقيه، فسمع من عالم الغيب من يقول له «لن يضعف مذهبك مادام السيف في يد الأتراك» و يعلق الراوندى على تلك العبارة بقوله: «و من يمن الطالع أن السيف في أيديهم الآن» (٢) في بلاد العرب و إيران و الروم (آسيا الصغرى) و روسيا، و قد ازدهرت دراسة الدين و العلوم و التصوف في حمايتهم و خصوصا في بلاد خراسان، و قد محقوا الكفر و الإلحاد و التشيع و الفلسفة و المذاهب المادية أو المتعلقة بالتناسخ، و لم يبقوا على شيء من سائر المذاهب إلا ما وافق طريق الإسلام الصحيح. و يقول ابن الأثير (٣): إن ملك

(١) المترجم: تقول بعض المصادر و منها ابن الأثير انه ولد سنة ٤٢٠ هـ- ١٠٢٩ م.

(٢) كتب الراوندى كتابه «راحة الصدور» في سنة ١٢٠٢ م- ٥٩٩ هـ.

(٣) انظر ج ١٠ ص ٧٣.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢١٢

السلاجقة قد اتسع على أيام «ملكشاه» فامتد من حدود الصين إلى حدود الشام، و من أقصى بلاد المسلمين شمالاً إلى حدود اليمن جنوباً، و دفع الجزية لهم أباطرة الروم (أى الإمبراطورية الشرقية).

الخلفاء الفاطميون

و مع ذلك فلم يكن مذهب أهل السنة هو المذهب السائد في ديار الإسلام دون أن تراحمه المذاهب الأخرى؛ فقد كانت مضر و الجزء الأكبر من شمال إفريقيا و بلاد الشام في أيدي الخلفاء الفاطميين الذين بلغوا أوج العظمة و الجلال أثناء خلافة «المستنصر» الذي طال حكمه من سنة ١٠٣٥ م إلى ١٠٩٤ م - ٤٢٧ إلى ٤٨٧ هـ، أي طوال الفترة التي نحن قائلون بدراساتها في هذا الفصل. فإذا تجاوزنا حدود الفاطميين و أتينا إلى إيران وجدنا مدى التأثير العميق الذي بلغه فيها «دعاة» الباطنية من أهل الشيعة. و سنعرض لشيء من أمثلته الممتعة في هذا الفصل و ما يليه من فصول، و لا بد أن نذكر هنا أن اثنين من أشهر دعائهم، هما الشاعر «ناصر خسرو» و «الحسن الصباح» صاحب «الدعوة الجديدة» و مؤسس مذهب «الحشاشين»، يتصلان اتصالاً وثيقاً بجميع الأحداث الهامة التي حدثت في هذا العصر الممتع و بجمع من اشتهر فيه من أسماء و شخصيات.

الدولة الغزنوية:

و لست في الحقيقة في حاجة إلى أن أتحدث في هذا الفصل عن دول أخرى بجانب السلاجقة و الفاطميين، و لكني أذكر في إيجاز أنه سرعان ما توفي السلطان محمود حتى نشأ الخلاف بين أولاده، و استمروا في عراك و قتال حتى استطاع أن يتغلب «مسعود» على إخوته، فيتولى مكان أبيه و يكمل معاركه في بلاد الهند، ثم يأخذ «طبرستان» و «جرجان» من حاكمهما الزبيري الأخير «دارا بن منوچهر» في سنة ١٠٣٥ م - ٤٢٧ هـ. و بعد ذلك بثلاث سنوات هزمته جيوش السلاجقة بالقرب من بلخ و تمكنت من الاستيلاء على أفياله الحربية، فلما كانت سنة ١٠٤٠ م - ٤٣٢ هـ خلعه عن

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢١٣

العرش و قتلوه، و ولوا في مكانه أخاه «محمد» ثم ابنه «مودود». و بعد ذلك بسنة واحدة دخلت ولاية «طبرستان» في حكم السلاجقة؛ حتى إذا كانت سنة ١٠٤٤ م - ٤٣٦ هـ هزموا «مودود» في بلاد خراسان، و لكنه مع ذلك استطاع أن يطرد الأتراك الغز من مدينة «بست» و أن يستمر في معاركه في بلاد الهند؛ و بهذه الصورة انتهى حكم الغزنويين في إيران و إن كانوا قد احتفظوا بملكهم الأصلي في مدينة «غزنه» حتى سنة ١١٦١ م - ٥٥٧ هـ عندما طردهم منها ملوك «الغور» و أصبح الحديث عنهم بعد ذلك مما يخص شئون الهند دون غيرها من البلاد.

الدولة البويهية:

أما آل بويه و قد كانوا أكبر أعداء الغزنويين في سابق الأيام، فقد انتهى حكمهم بدخول «طغرل» مدينة بغداد في ١٨ ديسمبر ١٠٥٥ م ٢٥ رمضان ٤٤٧ هـ و وضعه الخليفة العباسي تحت رقابته و وصايته. و ما كادت تنقضي على تلك الحادثة ثلاث سنوات حتى مات في مدينة «الري» آخر أمراءهم المعروف باسم «الملك الرحيم».

فإذا رجعنا الآن إلى الحديث عن السلاجقة وجدنا أن «البنادري» و مؤلف «راحة الصدور» يذكر أن السلطان محمود دعاهم في البداية إلى الإقامة في الأقاليم المحيطة بمدينة بخارى، و لكنه سرعان ما أحس بالوجل منهم لكثرة عددهم و ازدياد نفوذهم فأمر في سنة ١٠٢٩ م - ٤٢٠ هـ بالقبض على واحد من أولاد «سلجوق» (١) و حبسه في قلعة بلاد الهند تسمى «كالتجار» فبقي فيها حتى مات بعد سبع سنوات. و في قصة معروفة مذكورة في كتاب «راحة الصدور» أن السلطان محمود أحس منهم بالوجل عندما كان يتحدث إلى «إسرائيل بن سلجوق» في يوم من الأيام، فعرض له أن يسأله عن عدد الرجال المسلمين الذين يمكن له أن يمددهم بهم إذا عرضت له حاجة إليهم. فأجابته إسرائيل بقوله: إنه إذا أخذ سهمًا من جرابه

(١) يقول «ابن الأثير» إن الذي قبض عليه السلطان محمود من أولاد سلجوق هو «موسى ارسلان بيغو» أما المصادر الأخرى فتجمع على إنه «إسرائيل». و يقول ابن الأثير أيضا انه في السنة التي قبض فيها على موسى ارسلان ولد «الارسلان».

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢١٤

و أرسله إلى قومه أمدوه بمائة ألف رجل، فإذا أرسل إليهم قومه أمدوه بمائتي ألف آخرين. و كان السلطان كما يقول مؤلف «راحة الصدور» قد نسى المثل القائل «لا تفتح بابا يصعب عليك سده، و لا ترسل سهمًا يصعب عليك رده» فلما استمع إلى قول إسرائيل أحس بالخشية تملأ صدره و قرر على الفور أن يسلك معهم طريق الخشونة و الغلظة بالصورة التي ذكرناها فيما سبق.

هجرة السلاجقة جنوباً:

و لما مات «إسرائيل بن سلجوق» في قيوده و منفاه، استطاع ابنه «قتلمش» أن يهرب إلى بخارى (١) حيث التحق بقومه و عشيرته مؤكدا لهم الإيمان بأنه لا بد منتقم من هذا السلطان الغادر. و لكن حدث في سنة ١٠٣٥ م - ٤٢٧ هـ أن أصاب السلاجقة غدر آخر على يد ملك خوارزم «هارون بن التونشاش» فاضطرهم ذلك إلى التحرك جنوباً و الاستقرار في الإقليم الواقع بين «نسا» و «باورد». و يقول صاحب «راحة الصدور» إن هذه الهجرة حدثت قبل ذلك التاريخ في أيام السلطان محمود و بإذن صادر منه، عارض فيه أشد المعارضة «أرسلان جاذب» حاكم طوس، و طلب إلى مولاه أن لا يسمح لهؤلاء الجيران الأقوياء بهذه الهجرة، و أوصاه بأن يبادر بأمر رجاله بأن يقطعوا الإبهام من يد كل سلجوقي يستطيعون القبض عليه حتى يتعذر على السلاجقة بعد ذلك استعمال القوس التي كانوا يبدون في استعمالها ضروب المهارة و الحذق (٢) ...!!!

مسعود و السلاجقة:

و قد بدأت المتاعب الحقبة بعد ما نجح مسعود في هزيمة أخيه و تنصيب نفسه على عرش أبيه، و يبدو أنه استطاع في سنة ١٠٣٥ م - ٤٢٧ هـ عندما كان قائماً بغزوته لطبرستان

(١) هكذا ورد في كتاب «راحة الصدور».

(٢) يبدو من هذا أن السلاجقة كانوا في الرماية يتبعون طريقة «الرمية المغولية» و سنشير إلى هذه الطريقة فيما بعد عندما نعرض لمقتل الشاعر «كمال الدين اسماعيل».

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢١٥

أن يصيب بعض النجاح و كاد يهزم السلاجقة، و لكن ما كادت هذه الغزوة تقرب من نهايتها حتى تمكن السلاجقة من التغلب عليه، لأن جنده كانوا متعبين و لأن أسلحته علاها الصدا في جو هذه المناطق المليئة بالرطوبة و اللبل. و لم يستمع «مسعود» لرأي مستشاريه

الذين حذروه من عاقبة الاستهانة بما حدث وأوصوه بعدم ترك خراسان لهؤلاء الطعمة من المعامرين الجدد؛ بل عمد إلى مصالحتهم بشروط سهلة هينة حتى يستطيع التفرغ بعد ذلك لإحدى غزواته في بلاد الهند؛ وكانت نتيجة هذا الاستخفاف أن أفلتت أزمة الأمور من يده كليفة عند ما عاد من الهند؛ ولم يلبث أن أعلن «طغرل بن ميكايل بن سلجوق» نفسه ملكاً في صيف سنة ١٠٣٨ م - ٤٣٠ هـ فخطبوا باسمه في مدينة «مرو» ثم في مدينة «نيسابور» بعد ذلك التاريخ بقليل. وعند فتحهم لهذه المدينة الأخيرة نجد أن ابن الأثير ينسب إليهم الحكاية الشهيرة التي تدل على سذاجتهم وبساطة عقليتهم عندما اشتبهوا في الكافور وظنوه ملحاً، وهي نفس الحكاية التي رواها تاريخ الفخرى ونسبها إلى المسلمين الأوائل عند استيلائهم على المدائن «١».

تأسيس الدولة السلجوقية:

وقد ساعد خلغ مسعود ثم قتله في سنة ١٠١٤ م - ٤٣٢ هـ وما استتبع ذلك من اضطرابات في مدينة غزنه، على تثبيت أقدام السلجوقية وتدعيم دولتهم. فتمكنوا في السنة التالية من الاستيلاء على طبرستان، ولم تمض ثلاث سنوات على ذلك حتى استطاعوا التغلب على «مودود بن مسعود» في خراسان، ثم بعثوا برسالة إلى الخليفة «القائم» ضمنوها شكواهم من البيت الغزنوي مؤكداً له ولاءهم، ساعين إلى الحصول على رضاه عليهم واعترافه بهم. ثم أقدموا بعد ذلك على تقسيم الأراضي الواسعة التي دخلت بسرعة في حوزتهم، فوُقت «بست» و «هرات» و «سجستان» من نصيب موسى أرسلان بن سلجوق؛ وأعطيت مرو إلى ابن أخيه «جغري بيگ

(١) انظر تاريخ الفخرى طبع الوارد Ahlwardt - ص ١٠٠، وكذلك الجزء الأول من «تاريخ الأدب في إيران» ص ١٩٩ من الأصل الإنجليزي.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢١٦
داود؛ وأخذ ابن أخيه الآخر «طغرل» إقليم العراق؛ واستولى «قاووت بن جغري» على «كرمان» و «تون» و «طيس»؛ ونال «ياقوتى» ولاية أذربيجان وأبهر و زنجان؛ أما ابن جغري بيگ الثالث وهو «الب أرسلان» فقد اختاروه ليلقى مع عمه «طغرل» في عاصمته التي اتخذها في مدينة «ارى»، وأعطيت مدينة «همدان» لابراهيم بن إينال بن سلجوق «١»، كما أعطيت جرجان و دامغان ل «قلمش» بن موسى أرسلان.

الخليفة يعترف بطغرل:

ولما وصلت رسالة طغرل إلى الخليفة «القائم بأمر الله» أنفذ إليه في مدينة الري رسولا هو «هبة الله بن محمد المأموني» وزوده برسالة تضمنت رداً جميلاً أعقبها أمر الخليفة بأن يذكر اسم «طغرل» في الخطبة وأن يضرب على التقود قبل اسم الأمير البويهى «الملك الرحيم». وانتهى الأمر بعد ذلك في ديسمبر سنة ١٠٥٥ م - رمضان ٤٤٧ هـ بدخول «طغرل» مدينة بغداد في موكب رسمي، وهناك خلغ عليه الخليفة مختلف الخلع والتشريفات وأجلسه على العرش إلى جواره، وألبسه حلة جميلة، وتحدث معه خلال ذلك، وكان يقوم بالترجمة بينهما «محمد بن منصور الكندرى» «٢» ولم تمض فترة طويلة حتى تزوج الخليفة «القائم» بابنة أخى طغرل المسماة «أرسلان خاتون خديجة» وهي أخت «أب أرسلان» فزفت إليه في كثير من مظاهر العظمة والجاه، ورأى طغرل النبى في منامه يحذره من البقاء في بغداد فتركها بعد أن أقام فيها ثلاثة عشر شهراً، وربما كان السبب الرئيسى في تركه لبغداد راجعاً إلى حد ما، إلى ما وقع فيها من شغب أحدثته فيها جيوشه التركية؛ وإلى رغبته في إخضاع الموصل و ديار بكر و سنجان و بعض الأقاليم الغربية الأخرى. «٣» ولكن لم يلبث أن عاد «طغرل» بعد ذلك إلى بغداد، حتى تلقاه الخليفة شاكرًا له بأباده في نشر الإسلام

(١) قتله طغرل بتهمة الخيانة في سنة ١٠٥٧ م - ٤٤٩ هـ.

(٢) أنظر البندارى ص ١٤

(٣) مما حدث في هذه الفتوحات أن طغرل استولى على دير به اربعمائة راهب فقتل منهم مائة وعشرين، وافتدى الباقون أنفسهم بدفع المبالغ الطائلة.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢١٧
و خدمة المسلمين، ودعا له أن يحسن استعمال ما أفاء عليه الرحمن من سلطة و قدرة، ثم لقبه عند ذلك ب «ملك المشرق و المغرب».

موت طغرل:

ومع ذلك، لم يكن طغرل قد شفى أطمعه واستوفى أمانيته، فلما ماتت زوجته في سنة ١٠٦١ م - ٤٥٣ هـ تقدم إلى الخليفة و طلب تزويجه من ابنته «١»، وكان الخليفة شديد الممانعة في ذلك ولكنه اضطر في النهاية إلى التسليم بسبب طلباته المتكررة التي سادتها صيغة من التهديد والوعيد. و خرجت العروس في حفل يليق بمقامها قاصدة مدينة «تبريز» لنذهب من هنا لك إلى «الرى» حيث كان زوجها يعد معدت الزواج، ولكنها قبل أن تصل إليها بقليل، مرض طغرل مرضاً أودى به في الرابع من سبتمبر سنة ١٠٦٣ م - يوم الجمعة ثامن رمضان سنة ٤٥٥ هـ وقد أدركته الوفاة في قرية «تاجرشت» فأعادوا عروسه بعد ذلك إلى بغداد. وكان طغرل عند وفاته في السبعين من عمره وقد وصفه ابن الأثير فقال عنه إنه شديد الحزم، دقيق في تأدية واجباته الدينية، حريص على أسراره، يشوبه شيء من الغلظة والشدة عند الاقتضاء، ولكنه كان فيما عدا ذلك شديد الكرم حتى على أعدائه من البيزنطيين (الروم) «٢».

*** اب أرسلان:

[تولى الملك بعد طغرل]

تولى الملك بعد طغرل ابن أخيه «أب أرسلان»، وكان له أخ اسمه سليمان، حاول الوزير «الكنندرى» المعروف ب «عميد الملك» أن يأخذ البيعة له و ينصبه على العرش، ولكنه فشل في مسعاه و أصابه بسبب ذلك كثير من البلاء الذي انتهى

(١) أما صاحب «راحة الصدور» فيقول إنها اخت الخليفة

(٢) انظر عبارة ابن الأثير في نصها الأصلي في ج ١٠ ص ٩ - ١٠

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢١٨

بالقبض عليه وإرساله إلى «مرو» حيث بقي في الأسر سنة كاملة، قتلوه بعدها قتل شنعاء على يد خادمين، أنفذهما إليه «ألب أرسلان» للقضاء عليه؛ فلما علم الكندري بغرضهما أذعن لقضاء الله وودع أفراد أسرته، وطلب أن يموت بحد السيف لا بالشتق بالحبال، ثم أرسل قاصدا إلى «إلب أرسلان» ووزيره «نظام الملك» بالرسالة الشهيرة الآتية: «١»

«قل للسلطان لقد خدمتني خدمة جليلة. فقد أعطاني عمك ملك العالم الديوي لأنصرف فيه. فلما أمرت بقتلي أعطيتني ملك العالم الآخر جزاء لاستشهادي، وبذلك تم لي على أيديكما امتلاك الدارين الفاتية والباقية.»

«وقل لنظام الملك بنسما عودت الأتراك قتل الوزراء وأصحاب الديوان، ومن حفر قلبيا وقع فيه. وإنني أدعو الله أن يصيبك ويصيب ذريتك بما أصابني.»

وكان هذا الوزير المنكود قد تجاوز الأربعين من عمره عند مقتله، وقد اشتهر عنه أنه كان عالما بالعربية، ومن أجل ذلك فقد قام «الموقف النيسابوري» بتقديمه إلى طغرل الذي ألحقه بخدمته وجعله كاتباً له «٢». ولقد نظم الكندري جملة من الأشعار العربية الجميلة ذكر لنا طائفة منها ابن الأثير في تاريخه؛ وكان من المتعصبين للمذهب الشافعي، وقد أمر بلعنة الراضية والأشعرية «٣» في المساجد والجموع، فلما جاء «نظام الملك» أمر الخطاب بالاستمرار في لعنة الراضية ولكنه منهمم من لعنة الأشعرية، وأرضى بذلك جملة من كبار الفقهاء كان من بينهم «أبو المعالي الجويني» و«القشيري» مؤلف الرسالة المعروفة باسمه عن حياة الصوفية. والمشهور عن «الكندري» أنهم خصوه في صباه في «خوارزم» حيث دفنوا بها ذكره ثم

(١) أنظر تاريخ ابن الأثير في سنة ٤٥٦ هـ ج ١٠ ص ١١ وكذلك «راحة الصدور» ورقة ٥١-١.

(٢) ربما نشأت من هذا الخبر الحكاية المعروفة عن صلة نظام الملك بالموقف النيسابوري.

والأشعار التي ينسبها الكتاب المتأخرون على أنها من قوله إنما هي في الحقيقة كما نعلم من قول الشاعر «برهاني».

(٣) مؤلف «راحة الصدور» يجعل هاتين الفرقتين المتعارضتين «من الملاحدة الذين يجب عليهم دفع الجزية والغرامة كاليهود». أنظر مقالتي ص ٥٧٣.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢١٩

قتلوه في «مرو» ثم أخذوا جسده إلى موطنه «كندر» فدفنوه بها، وأخذوا رأسه إلى «نيسابور» فدفنوها بها. وحملوا قحف جسمته إلى نظام الملك في مدينة «كرمان».

نظام الملك:

و من المحزن حقا أن رجلا كبيرا ووزيرا عظيما مثل «أبي علي الحسن بن اسحق» الملقب ب «نظام الملك» لا يبدأ اسمه في الظهور على صفحات التاريخ إلا متصلا بهذه الفعل الشنعاء التي أصابت «الكندري»؛ ولكن من عجب، أنه قد جازت عليه لعنة سلفه المقتول، ففضى حياة طويلة نافع لا يدانيه فيها أحد من رجال السياسة الشرقيين ثم انتهى به الأمر أيضا إلى قتله شنيعة دامية.

وقد ولد «نظام الملك» في أسرة من الدهاقين في مدينة «طوس» سنة ١٠١٧ م - ٤٠٨ هـ، ومات أمه قبل فطامه، وأصيب أبوه بعد ذلك بكثير من الحسائر والأزمات المالية، ولكنه رغم هذه الظروف العاتية، استطاع أن ينال قسطا كبيرا من التعليم، فدرس العربية والعلوم الفقهية حتى استطاع أن يشتغل كاتبا في مدينة «بلخ» لدى حاكمها «علي بن شاذان» وكان هذا الوالي منصبا على حكومة بلخ من قبل «جغري بيك» والد «ألب أرسلان»، فلما أدركت «جغري بيك» الوفاة أوصى ابنه الصغير بنظام الملك فاتخذته وزيرا وديرا «١»، حتى إذا اعتلى عرش السلطنة جعله كبير وزراءه، وكل إليه تدبير الأمور في مملكته الواسعة العريضة.

وامتاز «نظام الملك» بأنه كان من أقدر رجال الإدارة وأقوى رجال السياسة، وكان متدينا، سني المذهب، شديد الوطأة على الملاحدة والكفار، قاسيا أشد القسوة

(١) بالإضافة إلى ما ذكره هنا ابن الأثير (ج ١٠ ص ٧١-٧٢) عن نشأة نظام الملك في صباه، نجد رواية أخرى تتفق مع هذه في أنها أيضا تجعل فاتحة حياته العملية في مدينة بلخ، ولكنها تختلف عنها في ذكر سيد آخر التحق بنظام الملك بخدمته وهذه الرواية تتفق مع ما رواه «البنديري» في النبذة الطويلة التي خصصها لنظام الملك وكان له فيها كثيرا من النباء (ص ٥٥-٥٩).

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٢٠

على أهل التشيع والإسماعيلية خاصة، وكان بالإضافة إلى ذلك جوادا يكرم الأدياء، ويقرب الفضلاء والعلماء «١» لا يرضن بذل جهوده الجبارة في صيانة الأمن، وإسعاد الخلق، ونشر الدين والتعليم.

و من أول الأعمال التي عملها «نظام الملك» عند توليه الوزارة، تأسيسه للمدرسة «الغزالية» الشهيرة في بغداد، ومداه بالأموال الطائلة، وقد بدأ بنائها في سنة ١٠٦٥ م - ٤٥٨ هـ وفرغ منها في سنة ١٠٦٧ م - ٤٦٠ هـ. واستطاعت هذه المدرسة بعد ذلك أن تضم كثيرا من الأساتذة والمدرسين الذين امتاز بهم الزمان مثل الفقيه الكبير «أبي حامد محمد الغزالي» (١٠٩١-١٠٩٥ م - ٤٨٤-٤٨٨ هـ) الذي وصفه السيوطي بقوله: لو أمكن أن يوجد نبي بعد محمد لكان الغزالي هو هذا النبي على وجه التأكيد.

[حياة] ألب أرسلان

أما «ألب أرسلان» فإن ابن الأثير «٢» يجعل مولده بين سنتي ٤٢٠ هـ - ٤٢٤ هـ و١٠٢٩ م و١٠٣٣ م ولكن صاحب «راحة الصدور» يجعله في بداية سنة ٤٣١ هـ - ٢٣ سبتمبر سنة ١٠٣٩ م ثم يقول: «إنه تولى الحكم اثنتي عشرة سنة بعد موت عمه «طغرل بك» في سنة ٤٥٥ هـ - ١٠٦٣ م وكان يتولى خراسان قبل ذلك بستين سنة من وفاة والده «جغري بيك داود» ثم يذكر إنه كان في الرابعة والثلاثين من عمره عند وفاة أبيه، ويقول «إنه كان طويل القامة، له شاربين طويلان، يعقد أطرافها إذا شاء الرماية، ولم تخطئ سهامه هدفها على الإطلاق» «٣» وكان يلبس على رأسه قلنسوة (كلاه) عالية، يقول الناس إن المسافة بين قمته وأطراف شاربيه كانت تبلغ الذراعين؛ وكان حاكما قويا وملكاً عادلا.

(١) كان «عمر الخيام» من أقرب المقربين إليه و ستنحدث عنه فيما بعد.

(٢) «البنديري» أيضا يجعل مولده في سنة ٤٢٤ هـ.

(٣) ومع ذلك فسئري فيما بعد أنه مات نتيجة لرمية خاطئة.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٢١

كريم النفس قوي القلب، سريعا إلى معاقبة العمال الجائرين وخصوصا من يرتكب منهم جريمة الاختلاس أو التزوير، وكان برا

بالفقره حتى ليقال انه كان يوزع عليهم في نهاية رمضان خمسة عشر ألف دينار، كما كان يمد المحتاجين والمعوزين في جميع أرجاء مملكته الفسيحة بما يكفل لهم العيش ويسر لهم سبل الحياة. «١»، وكان محبا لدراسة التاريخ، يستمع في شغف ومتعة إلى ما يقرأ له من سير الملوك الغابرين وإلى الكتب التي تكشف الغامض من أخلاقهم وقوانينهم وأساليب إدارتهم. وقد أعقب «ألب أرسلان» ذرية لا يقل عددها عن خمسة أبناء و ثلاث بنات. وقد زوج ابنه «ملكشاه» ببنه «الخاتون التركية» «٢» وزوج ابنه «أرسلان أرغون» بأبيرة من أميرات البيت الغزنوي، كما زوج ابنته «خاتون سفريه» بالخليفة المقتدى.

أعمال ألب أرسلان

كانت المدة التي تولى فيها «ألب أرسلان» الحكم قصيرة الأمد «٣»، ولكنها كانت مليئة بجلائل الأعمال. ففي السنة الأولى من حكمه استطاع أن يخضع في الشمال الشرقي «ختلان» و «هراة» و «صفغانيان» كما استطاع أن يرد الروم إلى بلادهم في آسيا الصغرى. وبعد ذلك بقليل استطاع في سنة ١٠٦٥ م - ٤٥٨ هـ أن يستولى على «جند» «٤» وأن يخمد الثورات في «فارس» و «كرمان» وأن يحد من شوكة الخلفاء الفاطميين ويسترد منهم حلب ومكة والمدينة، فلما كان صيف سنة ١٠٧١ م - ٤٦٣ هـ استطاع على رأس جيش قوامه خمسة عشر ألف رجل

(١) يقول ابن الأثير أن مملكة «ألب أرسلان» كانت تمتد من أقصى حدود ما وراء النهر إلى أقصى حدود الشام.

(٢) المترجم: زوجة «ملكشاه» هي «تركان خاتون».

(٣) من سبتمبر سنة ١٠٦٣ إلى نوفمبر سنة ١٠٧٢ م - ٤٥٥ إلى ٤٦٥ هـ

(٤) كان جده الأعلى «سلجوق» مدفوناً بهذه المدينة وربما كان ذلك هو السبب في اهتمامه بأمر الاستيلاء عليها.

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٢٢

من خيرة المحاربين أن يهزم البيزنطيين هزيمة منكرة عند «ملازگرد» بالقرب من مدينة أخلاط (خلاط) في غرب آسيا الصغرى، وكان جيش البيزنطيين يبلغ على الأقل مائتي ألف «١» رجل، بينهم اليونان والروس والأتراك وأهل جورجيا والقوقاز والفرنج والأرمن. وقد استطاع «ألب أرسلان» أن بأسر الامبراطور البيزنطي «ديوجينيس رومانوس».

وقد روى المؤرخون المسلمون «٢» قصة عجيبة حدثت عند أسر هذا الامبراطور البيزنطي، مجملها: أن أحد أمراء «ألب أرسلان» و اسمه «سعد الدين گوهر آئين» كان يمتلك عبداً صغيراً صغيماً، شاء أن يصحبه معه في جيش المسلمين ولكن «نظام الملك» أبي عليه ذلك وقال له مداعباً: وأي خير ترجوه على يديه...؟! أظن أنه سيأتينا بامبراطور الروم أسيراً...؟! و شاء القدر أن تحدثت أعجب المصادفات وأن يتمكن هذا العبد من أن بأسر الامبراطور، ولكنه لم يكن يعلم ما لأسيره من مكانة متنازة وأهمية زائدة، وكاد يقتله لو لا أن كشف واحد من رفاقه عن شخصيته فأبقى عليه وأحضره إلى «ألب أرسلان» فلما مثل بين يديه لطمه «ألب أرسلان» بيده ثلاث مرات وقال له:

ألم أعرض عليك الصلح مرارا ولكنك رفضته...؟! فأجاب الامبراطور المنكود قائلاً ما عليك من لومي وتعيني...!! ونظر السلطان إليه ثانية وقال:

وما ذا كنت تصنع بي لو أنك أخذتني أسيراً...؟!!

وأجاب الامبراطور اليوناني: كنت عاملتك بالقسوة وأخذتكم بالعنف...!!

وقال السلطان: وما تظن أنني صانع بك...؟!!

أجاب رومانوس: واحدة من ثلاث: فإما أن تقتلني! وإما أن تطوف بي

(١) صاحب راحة الصدور يذكر أن الجيش السلجوقي كان عدده ١٢٠٠٠ رجل، وأن الجيش البيزنطي كان عدده ٦٠٠ و ٧٠٠ رجل، أما البنداري فيجعل الجيش البيزنطي ٣٠٠٠ و ٣٠٠٠ رجل، ولكن ابن الأثير يجعله مائتي ألف.

(٢) انظر ابن الأثير ج ١٠ ص ٢٥، وكذلك البنداري ص ٤٣، وكذلك راحة الصدور ورقة ٥١.

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٢٣

مشهراً في ديار المسلمين، وإما أن تعفو عن نظير القديبة والخضوع لك، وهذه الأخيرة بعيدة المنال لا أمل لي فيها ولا رجاء.

فقال السلطان: بل هذه الأخيرة هي التي اتعقد عليها عزمي...!!

وحدد السلطان القديبة التي اقتضاها من الامبراطور بألف دينار، وعقد معه مخالفة لمدة خمسين سنة، اشترط فيها أن تكون جيوش البيزنطيين مستعدة لمعونه عند طلبه بالعدد الذي يقتضيه وفي الوقت الذي يحتاج إليها فيه، كما اشترط أيضاً تحرير الأسرى المسلمين الذين وقعوا في أيدي اليونان. وقبل الامبراطور «رومانوس» هذه الشروط فخلع عليه السلطان خلعاً شريفاً، وخصص له سرادقاً كبيراً، وأعطاه خمسة عشر ألف دينار لينفق منها أثناء إقامته، ثم أفرج عن جملة من ضباطه وأمرائه ليقوموا على خدمته، ولما حان موعد رحيله ركب السلطان معه مسافة فرسخ ثم أمر جماعة من رجاله أن يكونوا في ركابه إلى أن يصل إلى دياره في أمن وسلامة؛ ولكن الهزيمة التي أصابت «رومانوس» أنزلته من عليائه، فعهد رعاياه كما يقول البنداري «إلى إزالة اسمه من سجلات الملك قائلين عنه: لقد سقط من عداد الملوك وغضب عليه المسيح!»

موت ألب أرسلان

وبعد سنتين، في نوفمبر سنة ١٠٧٢ م - ٤٦٥ هـ كان «ألب أرسلان» مشغولاً في في الناحية الأخرى من مملكته بحربه مع الأتراك، فوصل إلى نهر «جيحون» على رأس جيش عدده ٢٠٠٠٠٠ رجل «١» استغرق عبورهم إلى الضفة الأخرى من النهر أكثر من ثلاثة أسابيع. وبينما كان معسكراً هنالك، جلبوا إليه أسيراً اسمه «يوسف نرزمي» «٢» كان قائداً على حصن من الحصون صمد في وجه رجاله إلى أن استولوا عليه عنوة وبعد قتال عنيف. ويؤكد بعض المؤرخين أن «ألب أرسلان» كان مغيباً من هذا الأسير وما جرى على لسانه من ردود خادعة زائفة، فأمر رجاله أن

(١) انظر «البنداري» ص ٤٥، وابن الأثير ج ١٠ ص ٢٥.

(٢) راحة الصدور يكتب «نرزمي»، وتاريخ سلاجقة كرمان يكتبها «برزمي»، وأما ابن الاثير والبنداري فيكتبانها «خوارزمي».

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٢٤

يحضروه قريبا من عرشه وأن ييسطوه أمامه على الأرض، وأن يشدوا رجله ويديه إلى أربعة اوتاد مثبتة في الأرض، وأن يتركوه على هذا الحال حتى يلفظ أنفاسه الأخيرة. واستمع الأسير إلى هذا الحكم القاسي فأرغى وأزبد وشمتم السلطان بأبداً العبارات وأردأ الشتائم ثم أخذ يصيح ويبكي قائلاً: ما هكذا يموت مثلي هذه الميتة الشنعاء...!! واستولى الغضب والحق على «ألب أرسلان» فأشار إلى رجاله أن يتعدوا عن الأسير وأسرع إلى قوسه ورماه بسهم يريد قتله في التو والساعة، ولكن المهارة التي امتاز بها في الرماية خاتنه في هذه اللحظة الحرجة، فخاب سهمه، وأخطأ هدفه؛ وهجم الأسير وقد وجد نفسه طليقا لا يمسك به أحد ولا يعوقه قيد على «ألب أرسلان» فجرحه جرحاً مميتاً في خاصرته بواسطة خنجر كان يخفيه في طيات ثيابه، وقد حدث كل ذلك في سرعة خاطفة، لم يستطع فيها أحد من الحراس أن يتدخل لإنقاذ السلطان، وكان الحراس في هذه اللحظة يبلغون الألفين من حوله. وأسرع «گوهر آئين» لتجدة سيده ولكنه أصيب أيضاً بجملته من الجراح، وتمكن «فراش» في النهاية من قتل هذا الرجل المستبش بضره على رأسه بعصاه التي كان يحملها. وانقضت على ذلك فترة طويلة ثم تعارك ابن هذا الفراش مع واحد من أتباع الخليفة في بغداد فقتله تابع الخليفة واحتسب بحرم الخلافة حيث لا يمكن أن تمتد إليه يد... وأتى الفراش إلى «ملكشاه» وطلب الثأر لابنه المقتول وقال له:

«يا مولاي...! افعل بقاتل ابني مثلما فعلت بقاتل أبيك...!!» و شاء الخليفة أن يدفع لوالد القاتل فدية تبلغ عشرة آلاف دينار حتى يتخلص من تفتيش بيته ولكن «ملكشاه» رفض ذلك وأصر على المطالبة بالقاتل حتى سلم إليه فأمر بقتله.

وبقي «ألب أرسلان» على الحياة يوماً أو يومين بعد جرحه، وكانت هذه الفترة كافية لأن يملى على وزيره المخلص «نظام الملك» وصاياه التي يريدونها؛ وخلصتها أن يتولى ابنه «ملكشاه» العرش في مكانه؛ وأن يتولى ابنه «أياز» ولاية بلخ ما عدا قلعتها فانها تكون في يد أمير من أمراء «ملكشاه»؛ وأن يستمر أخوه «قاورت» حاكماً لكرمان و فارس «١» مات بعد ذلك «ألب أرسلان» مطمئن البال مستسلماً لقضاء الله. وأثر عنه أنه قال وهو يجود بأنفاسه الأخيرة:

(١) انظر «البنادري» ص ٤٧.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٢٥

«ما من وجه قصده و عدو أردته إلا استعنت بالله عليه، ولما كان أمس صعدت على تل فارتجت الأرض تحتي من عظم الجيش وكثرة العسكر، فقلت في نفسي: أنا ملك الدنيا وما يقدر أحد على، فعجزني الله تعالى بأضعف خلقه وأنا أستغفر الله تعالى وأستقبله من ذلك خاطر» «١».

وقد دفن «ألب أرسلان» في مدينة «مرو» و كتب واحد من الشعراء على قبره هذا البيت:

سر ألب أرسلان ديدى ز رفعت رفته بر گردون بمر و آ، تا بخاك اندر سر ألب أرسلان بيني و معنا:

- لقد رأيت رأس «ألب أرسلان» تعلو السماكين و تشمخ فوق السماء فتعال الآن إلى «مرو» حتى تراها حبيسة في جوف الأرض و بطن الغبراء

ملكشاه:

[حياة «ملكشاه»]

عند ما دعي «ملكشاه» لتولي عرش المملكة العظيمة التي أسسها أبوه وعم أبيه، لم يكن له من العمر أكثر من سبع عشرة أو ثمان عشرة سنة؛ وما لبث أن تولى العرش حتى لاحت في الأفق بعض المتاعب والشدائد؛ فأُسرع «التكين» خان «٢» سمرقند بالاستيلاء على «ترمذ» و قهر جيوش أخيه «أياز»؛ وتمكن كذلك السلطان الغزنوي «ابراهيم» من القبض على عمه «عثمان» وأخذه مع أمواله و خزائنه إلى أفغانستان، ولكن ما لبث أن تبعه الأمير «گمشكين» و تابعه «نوشكين» و استطاعا التغلب عليه و قهره «٣». و أدهى من ذلك كله و أمر أن عم «ملكشاه» المسمى «قاورت» و هو أول ملوك السلاجقة في «كرمان»

(١) انظر «ابن الأثير» ج ١٠ ص ٢٦.

(٢) «خان» بمعنى ملك و هو لقب لملوك الأتراك مثل «خاقان».

(٣) «نوشكين» هو جد الدولة الناشئة التي عرفت باسم ملوك خوارزم «خوارزمشاه» و ستتحدث عنها في فصل تال.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٢٦

توجه إلى «الري» على رأس جيشه، يريد انتزاع الملك من ابن أخيه وجعله لنفسه، و تلاقى الجيشان في «الكرج» بالقرب من «همدان» و وقعت بينهما موقعة هائلة استمرت ثلاثة أيام بلياليها، ثم انتهت بهزيمة «قاورت» و أسرته و قتله. و لقد وقع ابنه «اميرانشاه» و «سلطانشاه» في الأسر أيضاً، فأمر «ملكشاه» بسمل أعينهما، ولكن الأخير منهما لم يفقد حاسة الإبصار كلية، فتمكن فيما بعد من أن يعقب أباه على ولاية كرمان. و كان لنظام الملك فضل كبير في التغلب على هذه الأزمة بما أسداه لمليكه من خدمات كثيرة جلية، فمنحه السلطان لقاء ذلك لقب «اتابك»، و هو لقب كان من أرفع الألقاب في ذلك الوقت ولكنه أصبح فيما بعد كثير الشيع و الذبوع «١».

و في السنة التالية، مات الخليفة «القائم» و أعقبه على الخلافة حفيده «المقتدى»؛ و بعد سنة أخرى استطاع الخليفة الفاطمي استرداد «مكة» لمدة اثني عشر شهراً و لكنه فقد في نظير ذلك مدينة «دمشق»؛ و في هذه السنة نفسها ١٠٧٥ م - ٤٦٧ هـ بنى «ملكشاه» المرصد الذي اشتغل فيه «عمر بن ابراهيم الخيامي» و جماعة آخرون من أشهر رجال العلم «٢»، ووضع التقيوم الجلالى الجديد الذي رغب السلطان في عمله، و الذي يرجع تاريخه إلى يوم النيروز «٣» من سنة ١٠٧٩ م - ٤٧٢ هـ و لم ترض ستان على ذلك حتى تمت خطبة الخليفة «المقتدى» لابنة السلطان «ملكشاه» و لكنه فقد في تلك السنة نفسها ابنه «دادو» فحزن لموته حزناً شديداً و لم يسمح لرجاله أن يحملوا جثته من أمامه لدفنها و كاد يقضى على نفسه كمدا عليه، و لكن الزمن شفى جراحه عند ما ولد له بعد ثلاث سنوات ابن آخر أسماه «سنجر»

(١) أحمى «ناصر الدين شاه» و ابنه «مظفر الدين شاه» هذا اللقب و منحه لوزيرهما «أمين السلطان» و لكنه منذ سنة أو ستين أبعد عن الوزارة و أقضى إلى المنفى.

(٢) ذكر ابن الأثير رجلين من زملاء «عمر» هما «ابو المظفر الإسفراي» و «ميجون بن نجيب الواسطي» انظر ج ١٠ ص ٣٤.

(٣) المترجم: «نوروز» أو «نيروز» بمعنى اليوم الجديد و هو مطلع السنة الفارسية و يوافق الاعتدال الربيعي من كل سنة.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٢٧

نسبة إلى مكان ولادته في «سنجر» بالقرب من الموصل.

و حوالي سنة ١٠٨٣ م - ٤٧٥ هـ أخذت اللعنة التي صبها «الكندري» على نظام الملك و أولاده تتمر و تفرخ. و كان أكبر أولاد هذا الوزير يسمى «جمال الملك» و كان شديد الزهو و الغرور، فسمع أن نديم السلطان المسمى «جعفر ك» قد هزأ بأبيه في إحدى دعاباته، فأسرع إليه من مدينة «بلخ» حيث كان يتولى حكمها و ذهب إلى قصر السلطان و انهال على النديم بضربه في حضرتة، ثم أمر رجاله بأن يشدوا لسانه إلى قفاه فمات في الحال على هذه الصورة الشنيعة، و لم يقل «ملكشاه» شيئاً في ذلك الوقت، ولكنه أصدر أمره سرا إلى «ابي علي» عميد خراسان أن يدس السم ل «جمال الملك»، ففعل ذلك على يد واحد من أتباعه و خدامه.

و زار «ملكشاه» مدينة بغداد مرتين أثناء حكمه. فأما الأولى فكانت في ذى الحجة سنة ٤٧٩ هـ - مارس سنة ١٠٨٧ م، و استصحب معه وزيره «نظام الملك» و تمكن من زيارة قبر الإمام السابع «موسى» و قبر الشيخ الصوفي «معروف الكرخي» و قبر الإمامين «أحمد بن حنبل» و «أبي حنيفة» و قد حمل كثيرا من الهدايا إلى الخليفة «المقتدى» و لعب غداة وصوله لعبة الكرة و الصولجان. و في هذه الأيام زوج اخته «زليخا خاتون» من «محمد بن شرف الدولة» و أقطعها «الرحبة» و «حزان» و «سروج» و «الرقبة» و «الخابور» و زوج ابنته من الخليفة «المقتدى» و حملت زوجته «تركان خاتون» ولدا أسمته عند ولادته «محمودا» و قد كان له شأن في الأيام المشهورة التي أعقبت موت أبيه، لأن «ملكشاه» كان له ابن آخر اسمه «أحمد» جعله وليا لعرشه و لكنه مات في مدينة مرو في الحادية عشرة من عمره بعد ولادة محمود بسنة واحدة؛ و قرابة هذا الوقت عقد «ملكشاه» محالفة مع البيت الغزنوي و زوج إحدى بناته بالملك الغزنوي الصغير مسعود الثاني.

اما الزيارة الثانية التي قام بها «ملكشاه» لمدينة بغداد فقد حدثت في اكتوبر سنة ١٠٩١ م - رمضان ٤٨٤ هـ أي قبل وفاته بسنة واحدة. و قد تمكن في الفترة الواقعة بين الزيارتين من الاستيلاء على «بخارى» و «سمرقند» و بلاد أخرى فيما وراء النهر، و تلقى و هو في مدينة «كاشغر» النائية الجزية التي بعث بها إليه من القسطنطينية الامبراطور

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي / تعريب، النص، ص: ٢٢٨

البيزنطى. و بذلك بلغت الامبراطورية السلجوقية من علو الشأن ما لم تبلغه في وقت من أوقات حياتها عامة، و كان من دلائل ذلك أن أصحاب القوارب الذين عبروا ب «ملكشاه» و رجاله إلى الضفة الأخرى من نهر جيحون، دفع لهم «نظام الملك» أجورهم بصكوك مستحقة الدفع في «أنطاكية» حتى يتحققوا بأنفسهم من مدى الاتساع الذي شمله ملك ولهم. و ركب «ملكشاه» جواده و خاض به مياه البحر الأبيض المتوسط على شاطئ «اللاذقية» الواقعة على سواحل الشام و شكر ربه على هذا الملك الفسيح الذي أنعم به عليه. و قد كافأ أولياءه بالإقطاعات الواسعة في الشام و آسيا الصغرى، و بلغ جيشه النظامي ١٠٠٠ ر ٤٤٦ رجل، سجلت أسماؤهم في سجل خاص بديوان الحرب، و تمكن بواسطتهم من أن يمد نفوذه في بلاد التتار و الصين، و أن يستولى على مدينة عدن على البحر الأحمر. و كان من دأبه أن يشرف على توزيع الصدقات على رعاياه، و كان قريب المنال لكل مظلوم يظن أنه في حاجة إلى ملاقاته و الشكاية له. أما عنايته بالأمور الدينية فيشهد عليها هذه الآبار الكثيرة التي أمر بحفرها على طريق الحاج، ثم اتفاه مع أمير الحرمين على تخفيف الضرائب التي كان يقتضيتها منهم؛ و كان الصيد من أحب هواياته و أشدها سلطانا عليه، و قد أمر رجاله أن يحفظوا سجلا يقيدون به عدد الصيد الذي يظفر به في كل يوم، و قد بلغ في بعض الأيام سبعين غزالا.

و قد رأى صاحب «راحة الصدور» ١١ سجلا من هذه السجلات (التي تسمى بالفارسية شكارنامه) كتبه بخط يده الشاعر «أبو طاهر الخاتوني» و هو الشاعر الذي ألف كتابا من أقدم الكتب في تراجم شعراء الفرس و جعله بعنوان «مناقب الشعراء» ٢. و مع ذلك فإن ابن الأثير يخبرنا أن «ملكشاه» كان يحس بشيء من الندم و وخز الضمير لإقدامه على قتل مثل هذا العدد الكبير من الكائنات البرينة و المخلوقات الضعيفة، و قد حكى لنا هذا المؤلف ٣، إنه اصطاد مرة صيدا كثيرا، فأمر بعده، فكان عشرة

(١) انظر «راحة الصدور» ورقة ٥٦.

(٢) من الكتب المفقودة التي ليست في متناولنا الآن.

(٣) انظر تاريخ ابن الأثير ج ١٠ ص ٧٩.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي / تعريب، النص، ص: ٢٢٩

آلاف رأس، فأمر بصدقة عشرة آلاف دينار و قال: إنني خائف من الله تعالى كيف أزهدت أرواح هذه الحيوانات بغير ضرورة و لا مأكلة، و فرق من الثياب بين أصحابه ما لا يحصى، و صار بعد ذلك كلما صاد شيئا تصدق بعدده دنائير، و هذا فعل من يحاسب نفسه على حركاته و سكناته.

و كانت «أصفهان» أحب مدن مملكته إلى قلبه ١ و قد اتخذها مكانا لإقامته، و زينها بجعله من المباني الجميلة و الحدائق الغناء، و كانت قلعة «دژكوه» مما استحدثه فيها، و قد وقعت بعد سنوات قليلة من بنائها في أيدي واحد من زعماء «الحشاشيين» الخطرين هو الزعيم المعروف ب «ابن عطاش».

سقوط نظام الملك:

طوال هذه السنوات السعيدة المحفوظة بمطالع اليمن و مواكب الإقبال، كان «نظام الملك» هو الساعد الأيمن للملك الشاب «ملكشاه» يدبر له الأمور و يصرفها بما عرف عنه من حكمة و رشاد. و قد بلغ الآن الثمانين من عمره. و كان خلال حياته الطويلة - إذا تيسر له شيء من فراغ الوقت - قضاءه في الإشراف على المدارس الكثيرة التي بناها في بغداد و إصفهان، مستمعا إلى حديث الصفوة من العلماء و الفضلاء، أو مشغولا بتأليف رسالته الكبيرة التي قام على تأليفها إطاعة لأمر «ملكشاه» عن تاريخ الحكم و فن الحكومة، و هي التي عنوانها على الأصح ب «سياسة نامه» و إن كان جماعة من كتاب الفرس يشيرون إليها عادة باسم «سير الملوك». و هذه الرسالة تعتبر من أهم التأليفات المتنورة المفيدة التي تفخر بها الآداب الفارسية، و قد نشرها «شيفر» أخيرا فجعلها بذلك في متناول جميع المشتغلين بالفارسية، و ترجمها إلى الفرنسية فسرهما لمجموعة أكبر من القراء و المطلعين.

و كان أبناء «نظام الملك» الإثنا عشر يشغلون جلهم أو كلهم أعلى مناصب الدولة،

(١) انظر «راحة الصدور» ورقة ٥٧ و كذلك مقالتي الذي نشرته بعنوان «وصف مجمل لمخطوطة نادرة عن تاريخ اصفهان» ص ٦٦ Account of a Rare Manuscript History of Isfahan. تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي / تعريب،

النص، ص: ٢٣٠

و قد بلغ هو و أسرته من علو الشأن ما يذكرنا بما بلغه «البرامكة» في قديم الأزمان، و ربما فاق شأنهم شأن هؤلاء و أربى عليهم، و لكن السبب الأبدى الذي أودى بالبرامكة و غيرهم من كبار الوزراء الذين أخرجتهم إيران و الذي سيودي دائما بكل وزير تنجيه هذه البلاد، و أعنى إثارة حفيظة الملوك عليهم بواسطة خصومهم الحاقدين، كان يضيق الخناق على «نظام الملك» و يعمل على هدمه و

تحطيمه. و كانت «تركان خاتون»- زوجة ملكشاه المحبوبة- هي أعدى أعدائه وألد خصومه، وكانت شديدة التأثير على زوجها، مسموعة الكلمة لديه، و كان مظعها الوحيد الذي تصبو إليه أن تضمن ولاية العهد لابنها الصغير «محمود». و كان وزيرها «تاج الملك» يؤيدها في تحقيق هذه الرغبة، بينما كان المعروف عن «نظام الملك» أنه يؤيد الأخ الأكبر «بركيارق» الذي لم يتجاوز في ذلك الوقت الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من عمره. أما السبب المباشر الذي أدى إلى نكبة «نظام الملك» وأسرتة فكان مرجعه إلى السلوك الشائن الذي سلكه واحد من أخفاده كان حاكما على مدينة مرو «١» فقال بالأذى واحدا من الناس، أسرع برفع شكايته إلى ملكشاه. فأرسل السلطان رسالة شديدة اللهجة إلى «نظام الملك» سأله فيها على سبيل التهكم: هل هو يقنع بمنصب الوزارة أو يعتبر نفسه شريكا له في الملك؟! ثم أخبره أن أقباءه «لا يقنعون بالمناصب العالية في الدولة بل يظهرون كثيرا من التبعج والرعونة اللذين لا يمكن الإغضاء عنهما. و استاء الوزير العجوز من هذه الكلمات العنيفة التي كالتها له «ملكشاه» و أحس بأن مليكه مدین له بكثير مما ناله من خير، فقال في رعونة و غلظة: «إن الذي وضع التاج على رأسك قد وضع القلنسوة على رأسي...!!» و أضاف إلى ذلك عبارات خشنة أخرى «٢»، نقلها الحاضرون إلى السلطان في كثير من المبالغ و التهويل، فأمر ملكشاه بعزله و توليه «أبي الغنائم تاج الملك» في مكانه «٣»؛ و قد اقترنت هذه الحركة بكثير من التغييرات الوزارية الطائشة فاستبدل «كمال الدين أبو الرضا» ب «سديد الملك أبي المعالي» كما استبدل

(١) هو ابن ابنة «جمال الدين» الذي أمر «ملكشاه» بدس السم له قبل ذلك بعشر سنوات فمات مسموما.
 (٢) يورد ابن الأثير تفصيلات هذه الحادثة في كثير من الإيضاح (ج ١٠ ص ٧٦-٧٧) و لكني رويت هنا ما ورد في «راحة الصدور» (ورقة ٥٨) فقد استرعت روايته أنظار جميع الكتاب الذين تناولوا هذه الواقعة بالبحث.
 (٣) كان «تاج الملك» من أقرب المقربين إلى «تركان خاتون» كما ذكرنا ذلك آنفا.
 تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٣١
 «شرف الملك أبو سعد» ب «مجد الملك أبي الفضل القمي». و المأثور عن هذا الأخير أن «أبا طاهر الخاتوني» هجاه بلخه بمقطوعة فارسية تعتبر من أروع الأمثلة مما بقي من أشعاره «١». و ذكر «أبو المعالي النحاس» هذه التغييرات الوزارية فذمها في أبيات ترجمتها كالآتي «٢»:

- على عهد «أبي علي» و «أبي الرضا» و «أبي سعد».
 كان الأسد يدخل حضرتك في وداعة الحمل أو أشد...!!
 - و كان كل من يدخل إليك في تلك الأيام
 كأنه الرسول المزود بيشري النصر و الظفر و الإقدام.
 - و أما على عهد «أبي الغنائم» و «أبي الفضل» و «أبي المعالي»
 فقد أصبح كل شيء يلسع حتى الحشائش النامية على أرضك...!!
 - فإذا كنت قد مللت خدمة «نظام الملك» و «كمال» و «شرف»
 فتنه إلى ما جره عليك «تاج الملك» و «مجد الملك» و «سديد الملك»...!!

قتل نظام الملك:

و لم يعش نظام الملك طويلا بعد عزله، فبينما كان في رفقة «ملكشاه» في سفره من أصفهان إلى بغداد توقف في العاشر من رمضان سنة ٤٨٥ هـ- ١٤ أكتوبر سنة ١٠٩٢ م بالقرب من «نهاوند» (ذلك المكان الخالد الذي أصيب عنده جنود الملك الساماني الأخير بالهزيمة الماحقة على أيدي المسلمين في منتصف القرن السابع الميلادي) فلما غربت الشمس و تناول «نظام الملك» طعام إفطاره هم بالذهاب إلى خيمة زوجته و أولاده، فاعترض طريقه شاب ديلمى قد تزبى بزى المساكين ثم أخرج فجأة

(١) انظر ص ٦٠٠ من «مجلة الجمعية الملكية الأسيوية» سنة ١٩٠٢ و توجد أمثلة كثيرة أخرى من أشعار هذا الشاعر في كتاب «المعجم في معايير أشعار العجم» تأليف شمس قيس؛ طبع بيروت ضمن «سلسلة جب التذكارية».
 (٢) انظر المرجع السابق، و كذلك ص ٤ من ترجمة شيفر لكتاب «سياسة نامه» و قد أورد «البندياري» ترجمة هذه الأبيات بالعربية ص ٦٣.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٣٢
 خنجرا من طباط ملايسه و طعنه به طعنة قاتلة. و لم يكن هذا المسكين المزيف في الحقيقة إلا- عضوا في جماعة «الفدائيين» أو «الحشاشين» الذين اجتمعوا في ذلك الوقت حول «الحسن بن الصباح» وغيره من رؤساء «الدعوة الجديدة» «١» للإسماعيلية. و يقال إن هذه الحادثة كانت فاتحة لسلسلة أعمالهم المفزعة الجريئة، و لكن ابن الأثير «٢» يذكر حادثة أخرى سبقتها، تمثلت في قتل أحد المؤذنين في مدينة إصفهان، و يقول إن «نظام الملك» عرض نفسه لانتقام هؤلاء الجماعة عند ما أمر بإعدام أحد التجارين بتهمة اشتراكه في قتل هذا المؤذن. يضاف إلى هذه الأسباب، و إلى ما عرف من عداة شخصية بين «الحسن بن الصباح» و بين هذا الوزير (كما تدلنا عليه قصتهما المتداولة المعروفة) أن نظام الملك كان يظهر كثيرا من الكراهية و البغض للإفاضة أو الشيعة، و خاصة فريق السبعية منهم الذي كان من أقوى معتقبي الإسماعيليين و الخلفاء الفاطميين في مصر؛ و هذا السبب الأخير يكفي وحده للكشف عن سبب قتله و القضاء عليه. و كذلك وجد فريق من الناس كان من رأيه أن «تاج الملك» الذي خلفه في الوزارة، كان المحرض الحقيقي على ارتكاب هذه الجريمة التي ظنها في البداية ستساعده على تثبيت مكانته و تقوية نفوذه، و لكنها أدت في الحقيقة إلى قتله هو أيضا «٣» بعد أربعة شهور من مقتل «نظام الملك».

و قد أحست أغلبية ساحقة من الناس الذين حكمهم «نظام الملك» مدة السنوات الثلاثين الماضية بكثير من الحزن لمقتله؛ و من المعروف في بلاد المشرق أن الشعراء قلما يمدحون وزيرا معزولا، و لكن ابن الأثير «٤» يخبرنا أن كثيرا من المراني قتل

(١) ابن الأثير يسميها «الدعوة الأخيرة» انظر ج ١٠ ص ١٠٨. و يجب أن نذكر أن الشرقيين يميلون دائما إلى أن ينسوا قتل العظماء إلى فرقة من فرق الملاحدة حتى يبرروا بعد ذلك اضطهادها، و من أمثلة ذلك أنه عند مقتل «ناصر الدين شاه» نسبوا قتله إلى «البابية» و لكن ثبت بعد ذلك براءتهم من كل صلة بهذه الجريمة.
 (٢) انظر ابن الأثير ج ١٠ ص ١٠٨، فهو يذكر أيضا أنه في سنة ٤٤٠ هـ- ١٠٤٨ م قتل «آق سنقر» بيد واحد من الباطنية أو الإسماعيلية.
 (٣) قتله جماعة من أتباع «نظام الملك» في فبراير سنة ١٠٩٣ م- ٤٨٦ هـ.

(٤) انظر ابن الأثير ج ١٠ ص ٧١.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٣٣

فيه، من بينها المراثية العربية التي قالها «شبل الدولة»^{١١} وفيها البيتان الجميلان الآتيان:

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة تيممة صاغها الرحمن من شرف

عزت فلم تعرف الأيام قيمتها فردها غيره منه إلى الصدف و يروى صاحب «جهاز مقاله»^{٢٢} أن منجما شهيرا اسمه «الحكيم الموصلي» أخبر «نظام الملك» أنه سيموت بعد موته «أى موت الحكيم الموصلي» بسنة أشهر، فلما وصلت الأنباء من نيسابور في ربيع سنة ١٠٩٢ م - ٤٨٥ هـ بأن هذا المنجم قد مات، وكان «نظام الملك» يعتقد فيما يقوله و يؤمن بصحته، أخذته رجفة شديدة، وأخذ يعد معدات جنازته و يتجهز لاستقبال الموت، و لم يكده الخريف ينشر نساتمه في الآفاق حتى حان حينه و تحققت هذه النبوءة العجيبة.

و يشير «ابن الأثير»^{٣٣} إلى حكايات كثيرة كانت متداولة عن «نظام الملك» حتى زمانه (أى القرن الثالث عشر الميلادي و السابع الهجري) و قد زخرت كتب المتأخرين بمثل الحكايات، و من بينها الحكاية المنتحلة التي يرويها بعض الناس على أنها من الأخبار التاريخية الموثوق بصحتها، و خلاصتها أن «نظام الملك» بينما كان يلفظ أنفاسه الأخيرة إثر الجرح الذي أصابه، كتب الأبيات الآتية و بعث بها إلى «ملكشاه»^{٤٤}.

سى سال بإقبال تو ای شاه جوانبخت زنگ ستم از چهره آفاق ستردم

طغرای نیکونامی و منشور سعادت پیش ملک العرش بتوقع تو بردم

(١) هذا الشاعر هو الذي حدثنا عنه دولتشاه (ص ٩) بأنه أنشأ قصيدة عربية من أربعين بيتا في مدح «مكرم بن العلاء» مطلعها:

دخ العيس تذر عرس الفلالي ابن العلاء و إلا فلا و قد أعطاه ابن العلاء كيسا مليئا بالذهب لقاء هذه القصيدة و قال له: لو ساعدني الغنى لجعلت لك كيسا من الذهب لقاء كل بيت من أبيات هذه القصيدة ...!!

(٢) انظر الحكاية السادسة و العشرين.

(٣) انظر ج ١٠ ص ٧٢.

(٤) انظر تذكرة الشعراء ص ٥٩، و كذلك تاريخ گزیده طبعه گانتان ج ١ ص ٢٣.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٣٤ جون شد ز قضا مدت عمرم نود و شش در حد نهاوند ز يك زخم بمردم

بگذاشتم آن خدمت دیرینه بفرزند او را بخدا و بخداوند سپردم و معناها:

- بإقبالك على... ثلاثين عاما أيها المليك السعيد ...!!^{١١}

استطعت أن أصقل صدأ الظلم عن وجه الآفاق.

- و لقد حملت إلى «رب العرش» مهورا بتوقيعك

منشور السعادة، و طغراء الهناءة

- فلما انقضى من أجلى سنة و تسعون عاما

أصابتنى ضربة قاتلة بالقرب من «نهاوند»

- فتركت تلك الخدمة الطويلة ليتولاها ولدي

و اني لأتركه وديعة في يد الله و يد مولاي و سيدي الملك ...

و لقد سبق لي أن أشرت في مكان آخر «٢» إلى أن البيت الأخير من هذه الأبيات مروى بصورة تختلف قليلا عن النص الذي ذكرناه، و أنه من غير شك من إنشاء الشاعر «برهاني» شاعر السلطان «ملكشاه». و أنه قاله لمولاه عندما أوصاه بابنه «المعزى» الذي نال رضا مولاه و أعقب أباه على إمارة الشعر؛ أما الأبيات الثلاثة الأولى فمنتحلة للأسباب الآتية:

أولاً: أن صاحب «جهاز مقاله» حدثنا بأن «نظام الملك» لم يكن يقدر الشعراء، لأنه لم يكن على شيء من الدراية بفنهم.

(١) قصد التحديد على وجه الدقة ثلاثين عاما لأنه لأنه تولى الوزارة من سنة ١٠٦٣ إلى ١٠٩٢ م - ٤٥٥ - ٤٨٥ هـ؛ و لكن «دولتشاه» يذكر بدل كلمة «سى» بمعنى ثلاثين كلمة «جهل» بمعنى: أربعين.

(٢) ترجمة براون لكتاب «جهاز مقاله» ص ٦٧.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٣٥

ثانياً: أن «نظام الملك» كان له من العمر خمسة و سبعون سنة عند وفاته، و لم يصل إلى السادسة و التسعين.

ثالثاً: أن أولاد «نظام الملك» الكثيرين نالوا جميعهم أرقى المناصب في مملكة «ملكشاه» بحيث لم يكن غيرهم يطعم فيما نالوه أو يفكر في ضرورة الحصول على ما فازوا به.

و إنى أريد أن أذكر هذه الحقيقة لأنها من أقوى الأدلة التي تبرهن لنا عن ميل الشعوب و خاصة الفرس، إلى نسبة الحكايات الشهيرة و الأشعار الجميلة و الأقوال المأثورة و الحوادث الرائعة، إلى الأشخاص المعروفين المشهورين، و من أجل ذلك، و كما أشرت سابقا، نسبوا طائفة كبيرة من رباعيات الشعراء المغمورين إلى «عمر الخيام»؛ و من أجل ذلك أيضا سزى أنهم يحكون جملة من الحكايات عن «ناصر خسرو» و «الحسن بن الصباح» لم تكن في الحقيقة مما يتصل بهما و لكنهم اقتبسوها من سير أناس مغمورين غير معروفين.

موت ملكشاه:

لم يعيش «ملكشاه» أكثر من شهر واحد بعد مقتل وزيره الذي جازاه جزءا ستمار، فبعد أقل من ثلاثة أسابيع من موت «نظام الملك»، خرج «ملكشاه» في السادس من نوفمبر سنة ١٠٩٢ م - ٤٨٥ هـ للصيد فأصابه برد أو أكل طعاما لم يناسبه فجمجمو لعله يبرأ من علته، و لكن الحمى لازمته حتى مات بعلمته في التاسع عشر من شهر نوفمبر (الثالث من شوال)، فثناء الشاعر «معزى» بهذين البيتين المعروفين:

رفت در يك مه بفردوس برين دستور پيرشاه برنا در پی او رفت در ماه دگر

ای دریغا آتچنان شاهی و وزیری اینچنین قهر یزدانی به بین و عجز سلطانی نگر «١١»

(١) انظر «تذكرة الشعراء» ص ٦٠

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٣٦

و معناهما:

- في شهر ... ذهب الوزير العجوز إلى جنة الخلد والمآب. وفي الشهر التالي تبعه الملك مكمل النضرة والشباب
- فواحننا ... على الملك ... و يا أسفا على هذا الوزير يا عجبا ... لعجز السلطان وقهر الله و سطوة المقادير ...!! و «معزى» هو أيضا
نفس الشاعر الذي قال الرباعية الآتية عند عزل «نظام الملك» و تولية خصمه «تاج الملك» في مكانه:
نشأت ملك سعادته اختر خويش در منقبت وزير خدمت گر خويش
بگماشت بلاى تاج بر لشكر خويش تا در سر تاج كرد تاج سر خويش «١» و معناها:
- لم يستطع الملك أن يقدر ما لنجمه من سعد كامل
عند ما أعطاه الله وزيرا خدوما، يمتاز بكثير من الفضائل
- فوكل على عسكره «تاج الملك» فما زال يصب عليهم بلاءه
حتى جعل الملك تاجه على رأس «تاج الملك» ...!!
و قد ذكر صاحب «راحة الصدور» أن ولادة ملكشاه كانت في سنة ٤٤٥-١٠٥٣ م؛ أما «ابن الأثير» فقد جعلها بعد ذلك بستين، و في
كلتا الحالتين لم يبلغ ملكشاه الأربعين من عمره عند وفاته.

قصة نظام الملك و الصباح و الخيام:

تحدثنا إلى الآن عن «نظام الملك» ذاكرين الأخبار التي رواها عنه أقدم المؤرخين و أصدقهم، و لكن هناك جملة من الأفاصيح
التي تتصل به، أشار إليها «ابن الأثير» في تاريخه، و نال بعضها كثيرا من الشهرة و بعد الصيت، و أصبحت في العصور الأخيرة

(١) انظر «تذكرة الشعراء» ص ٥٩.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٣٧
موضع الثقة و التصديق في البلاد الآسيوية و الأوروبية بحيث نجد من العسير علينا أن نتغاضى عن ذكرها في كتاب مثل كتابنا هذا. و
أروع هذه القصص و أكثرها ذيوغا هي القصة «١» التي تربط بينه و بين الرجل الرهيب «الحسن بن الصباح»، مؤسس «الدعوة الجديده»
الذي أجمعت الأدلة على أنه كان على صلة بمقتله فيما بعد. و هذه القصة يعرفها كل المعجبين ب «عمر الخيام» و رباعياته «٢» و هي
تشتمل على كثير من المصاعب المتصلة بالتواريخ المتناقضة التي لا يمكن التوفيق بينها، لأن أهم المصادر التي ذكرت هي «الوصايا»
التي ينسبونها إلى «نظام الملك» و قد ثبت قطعا أنها منتحلة عليه «٣»؛ و من أجل ذلك فإن كبار النقاد لم يترددوا في رفض هذه
الرواية التي تفترض أن رجلين من أشهر الرجال هما «الحسن بن الصباح» و «عمر الخيام» [و قد ماتا في سن غير معلومة فيما بين سنتي
٥١٧ و ٥١٨ هـ - ١١٢٣ و ١١٢٤ م] كانا من زملاء «نظام الملك» في الدراسة أيام الشباب. و المعروف عن «نظام الملك» أنه ولد في
سنة ٤٠٨ هـ - ١٠١٧ م و على ذلك فليس من اليسير أن نتوقع أن هذين الشخصين بالذات يعيشان إلى أن يبلغا المائة من العمر؛ حتى لو
فرضنا احتمال ذلك لكانا أصغر سنا بكثير من «نظام الملك» الذي يبدو أنه فرغ من دراسته و تحصيله و التحق بالخدمة العامة في سن
مبكرة صغيرة «٤». و قد أثار هذا الاعتراض بشدة الأستاذ «هوتسما» في مقدمته على «البندياري» و هو يرى في دقة و رجحان، أن «نظام
الملك» لم يكن زميلا في الدراسة للشاعر المنجم و صاحبه شيخ الحشاشين، بل كان زميلهما في الحقيقة هو «انو شيروان بن خالد»

(١) انظر «ابن الأثير» و غيره من الكتب و المصادر و كذلك «البندياري» ص ٦٧.

(٢) هذه القصة المذكورة في مقدمة الطبعة المختلفة لترجمة «فيتزجيرالد» للرباعيات، و كذلك ذكرها «هوينفلد» في طبعته للرباعيات و
ترجمتها.

(٣) ذكر «إتبه» في مقاله عن الأدب الفارسي الحديث (بالجزء الثاني من المنفصل في الدراسات اللغوية الإيرانية ص ٣٤٨) أن كتاب
«الوصايا» يرجع تأليفه إلى ما بعد القرن الخامس عشر الميلادي و لكنه مع ذلك يرى أن أصوله ترجع إلى زمن أسبق من ذلك. و من
هنا نجد أن «إتبه» يعطيه شيئا من الأهمية على عكس «ريو». انظر كتالوج المخطوطات الفارسية ص ٤٤٦.

(٤) هناك من الأدلة ما يرجح أن نظام الملك تعرف بالحسن بن الصباح قبل ذهاب الأخير إلى مصر انظر «ابن الأثير» تحت سنة ٤٩٤
هـ ج ٤٤٤ ص ١١٠.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٣٨

الوزير اللاحق الذي وزر للأمبر السلجوقي «محمود بن محمد بن ملكشاه» الذي حكم فيما بين سنتي ١١١٧ و ١١٣١ م - ٥١١ و ٥٢٦ هـ.
و قد أشار هذا الوزير في تاريخه «١»، عند حديثه عن نشأة الحشاشين أو الملاحدة، إلى أنه تعرف في شبابه بجماعة من قادتهم، و
تلقى العلم على بعضهم «و خاصة رجل من الرى جاب المعمورة و طوف في آفاقها و كان يشغل بالكتابة و الإنشاء». و لن تردى في
خطأ إذا قدرنا أن هذا الرجل الذي أشار إليه «انو شيروان» في هذه العبارة إنما هو «الحسن بن الصباح» بعينه. و إذا صح هذا الفرض
العبقري، فلدينا مثل آخر لتلك الظاهرة التي تحدثنا عنها أكثر من مرة، و التي تحدثنا عنها إلى نسبة الحوادث الرائعة إلى الرجال
المتمازين المعروفين. و التواريخ في هذه الحالة الأخيرة لا تتعارض مع بعضها بل تتفق كثيرا فيما بينها، فقد ورد في كتاب «عيون
الأخبار» «٢» أن «أبا نصر انو شيروان بن خالد بن محمد الكاشاني» ولد في مدينة الرى (و بها ولد الحسن بن الصباح) في سنة ٤٥٩ هـ -
١٠٦٦ م و أنه تولى الوزارة للأمبر السلجوقي محمود، و كان في رفته إلى بغداد في سنة ٥١٧ هـ - ١١٢٣ م، ثم تولى الوزارة بعد ذلك
للخليفة المسترشد فيما بين سنتي ٥٢٦ هـ - ٥٢٨ و ١١٣١ و ١١٣٣ م، و توفي في سنة ٥٣٢ هـ - ١١٣٨ أو ١١٣٩ م. و على هذا فمن
المحتمل كما يستفاد من عبارته أنه هو الوزير الذي كان زميلا في المدرس لمواطنه الخياط «الحسن بن الصباح»
و مع ذلك فهذه القصة التي درستها تستند في الحقيقة إلى مصدر آخر موثوق به، يسبق جميع هذه المصادر المتأخرة التي ذكرت
من قبيل «الوصايا» و «روضة الصفا» و «تاريخ ألقى». و قد ذكرت ذلك في مقالتي التي نشرتها في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية
بعنوان «أضواء أخرى تكشف عن الخيام» «٣» و قلت أن هذه القصة بعينها قد أوردتها المؤرخ الكبير «رشيد الدين فضل الله» المتوفى
سنة ١٣١٨ م - ٧١٨ هـ في

(١) هذا التاريخ هو الأساس الذي اعتمد عليه «البندياري» في كتابه؛ انظر ص ٦٦-٦٧.

(٢) انظر مخطوطة كامبردج رقم ٩٢٢، Add. ص (١-١٢٦) و لم يكن «هوتسما» يعرف بأمر هذه المخطوطة فقال: إن تاريخ ولادته
غير معلوم.

(٣) انظر عدد إبريل سنة ١٨٩٩ ص ٤٠٩ - ٤٢٠.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٣٩

كتابه القيم «جامع التواريخ» وقد نقلت عن هذا الكتاب «١» نص هذه القصة ونشرته هو وترجمته في مقالتي التي ذكرتها آنفا. و المصدر الذي ينسب إليه رشيد الدين هذه القصة هو كتاب من كتب الإسماعيلية اسمه «سرگذشت سيدنا» أو «سيرة سيدنا» و هو كتاب عن تاريخ «الحسن بن الصباح» كان بين كتب الملاحدة التي وجدت في قلعة الحشاشين الحصينة «الموت» عند ما استولت عليها جيوش «هولاكو خان» المغولية في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري) و قد رآه و فحص مشتملاته «عطا ملك الجويني» كما حدثنا بذلك في كتابه تاريخ «جهان گشا» (أو تاريخ فاتح العالم و يقصد به چنگيز خان)، قبل أن يلقى به بعد ذلك في النار لثقتهم مع سائر الكتب التي اشتملت على تعاليم الإلحاد و الملاحدة، و مما يثير الدهشة حقاً أن صاحب «جهان گشا» قد اعتمد على هذه السيرة كثيراً في كتابه الجزء الخاص بالإسماعيلية أو «الحشاشين»، و هو الموجود في الجزء الثالث و الأخير من تاريخه الكبير عن غزوة المغول، و لكنه مع ذلك لا يشير إلى هذه القصة العجيبة على الإطلاق.

نشأة الحشاشين:

و للحشاشين مكان الصدارة في تاريخ هذا العصر و تاريخ القرنين التاليين له، و قد استطاعوا بواسطة الأعمال التي قام بها فرعيهم الشامي أيام الحروب الصليبية أن يجعلوا اسمهم مرهوبا في أوروبا حتى لنجد لزاما علينا في هذا المقام أن نفضل الحديث عن نشأتهم و عن معتقداتهم حتى نيسر للقارئ فهم الإشارات الكثيرة التي تشير إليهم فيما يلي من فصول. و قد درست بالتفصيل في الجزء الأول من هذا الكتاب «٢» مذهب الشيعة و نشأتهم و تعاليمهم؛ كما درست الشعبيتين الهامتين اللتين ينقسم إليهما هذا المذهب و هما فريق «السبعية» أو الإسماعيلية، و فريق «الاثني عشرية» و مذهبهم

(١) نص هذه القصة وارد في الورقة ٢٩٢ ب في مخطوطة المتحف البريطاني رقم ٦٢٨، Add v

(٢) انظر «تاريخ الأدب في إيران، منذ أقدم الأزمنة إلى زمن الفردوسي» ص ٢٢٠-٢٤٧ و ٢٩٦-٣١٠ و ما يتبعها (من الأصل الانجليزي)، و على الأخص الفصل الثاني عشر عن الإسماعيلية و القرامطة أو فريق السبعية. تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٤٠ هو المذهب الرسمي لإيران في الوقت الحاضر. و لا شك أن إعادة مختصرة لما ذكرته من حقائق في الجزء السابق ستكون كبيرة الفائدة للقارئ الذي ليس في متناوله الآن الحصول على ذلك الجزء.

الشيعة:

كلمة «شيعة» بمعنى جماعة أو حزب، و «شيعة علي» بمعنى جماعته أو حزبه. و «علي» هو ابن عم الرسول، و زوج ابنته، و والد الحسن و الحسين و جد جميع الأئمة الذين يعترف بإمامتهم المتشيعون أو أهل الشيعة. و في رأى أهل السنة من المسلمين (الحنفية و الشافعية و المالكية و الحنبلية) أن عليا هو رابع الخلفاء الراشدين و آخرهم، و هو لا يمتاز في شيء عن أسلافه الثلاثة الآخرين (أبي بكر و عمر و عثمان) كما لا يمتازون هم أيضا عنه في شيء. أما الشيعة فيرون أنه الشخص الوحيد الحقيقي بخلافة الرسول لقرابته منه و لزواجه من ابنته؛ و قد انتقل حقه هذا في الخلافة إلى أبنائه و ذريته؛ و في بعض الناس منذ أقدم الأزمنة ميل إلى تعظيم «علي» و الارتفاع به إلى مراتب الآلهة، و لا زال هذا الاعتقاد موجودا في طائفة كبيرة من الإيرانيين يسمون أنفسهم ب «العلي الهيين» و هم يعتقدون - كما تدل على ذلك تسميتهم - بان عليا ما هو إلا تجسيد لله. و منذ أقدم الأزمنة أيضا، و الفرس يعتقدون اعتقاد اجاز ما بالحق الإلهي، و يكرهون كراهية شديدة فكرة الانتخاب الشعبي الديموقراطي التي تستولى على طبيعة العرب و مشاعرهم، و من أجل ذلك فقد كان طبيعيا أن يصيح الفرس عماد الحزب الشيعي؛ و هم يعتقدون في أن والده الإمام الرابع «علي زين العابدين» كانت أميرة من أمراء البيت الملكي الساساني. و لا شك أن هذا المعتقد كان من أقوى العوامل التي دفعتهم إلى أخذ البيعة لهذا الإمام و لأعقابيه من بعده. و الشيعة يتفقون في أن عليا و أعقابيه هم الخلفاء الوحيدون للرسول، و هم الناشرون لدينه و تعاليمه، و لكنهم يختلفون فيما بينهم في عدد الأئمة و أسمائهم، ففريق «السبعية» و فريق «الاثني عشرية» (و هما أهم فرقتين من فرق الشيعة نتم بهما في هذا البحث) يتفقان في تسلسل الأئمة حتى الإمام السادس «جعفر الصادق» ثم يفترقان تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٤١ بعد ذلك، فيرى فريق «السبعية» أن الامام السابع و الأخير هو ابنه الأكبر «إسماعيل» بينما يرى فريق «الاثني عشرية» أن الإمام الذي أعقب الإمام السادس هو ابنه الأصغر «موسى» ثم أعقبه حتى الإمام الثاني عشر أو «المهدي» الذي قالوا عنه أنه اختفى من الأرض عند «سز» من رأى» في سنة ٢٦٠ هـ - ٨٧٣ م و أنه سيخرج من عزلته في نهاية الزمان فيملا الأرض عدلا و إحسانا بعد امتلائها بالظلم و العدوان؛ و لا زال متشيعه الفرس إذا ذكروه في أحاديثهم يتبعون عبارتهم بالدعاء له قائلين: «رد الله غرته و عجل عودته و رجعتة !!!».

المعتدلون و الغلاة:

و معتدلو الشيعة قصروا معتقدتهم على أن عليا و ذريته هم أولى الناس بخلافة النبي و رئاسة المسلمين، و من أجل ذلك فقد كانوا مكروهين سياسيا من خلفاء دمشق و بغداد، لأنهم كانوا في نظرهم مغتصبين للخلافة؛ يضاف إلى ذلك أنهم كانوا يختلفون كثيرا مع أهل السنة فيما يتعلق بعدد من المسائل الفقهية الأخرى. و إلى هؤلاء المعتدلين تشير كتب التراجم و التاريخ التي كتبها رجال من أهل السنة بالعبارة التي تضادنا كثيرا و هي: «تشيع و حسن تشيعه» أي أنه كان من المعتدلين في آرائهم و معتقداتهم. و لكن إلى جانب هؤلاء كان فريق آخر من الشيعة يعرفون ب «الغلاة» لم يكتفوا بأن يعتقدوا أن عليا و الأئمة قد تجسد الله فيهم، و لكنهم تعدوا ذلك إلى الاعتقاد في طائفة من المذاهب الأخرى كالرجعة و الحلول و ما شابه ذلك من الآراء التي تخالف تعاليم الإسلام تمام المخالفة؛ و قد انطوت الأكثرية من هؤلاء الغلاة تحت لواء «السبعية» أو شيعة الإمام السابع «إسماعيل».

الإسماعيلية:

و أهمية الإسماعيليين السياسية بدأت في الظهور في القرن العاشر الميلادي (- الثالث الهجري) بتأسيس الدولة الفاطمية التي سميت كذلك، كما يقول مؤلف «جامع التواريخ» لاستناد خلفائهم فيما ادعوه من سلطة زمنية و روحية إلى نيل أصلهم و تسلسلهم من «فاطمة» بنت النبي و من أجل ذلك فقد عرفوا بأسماء مختلفة تساوى تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٤٢

في مدلولاتها. فهم «علويون» نسبة إلى علي، وهم «فاطميون» نسبة إلى فاطمة، وهم «إسماعيليون» نسبة إلى الإمام السابع إسماعيل، و مع ذلك فإن سلسلة النسب التي أرادوا أن يستندوا إليها في إثبات دعواهم العريضة كانت محللاً لا اعتراض خصوصاً منهم من الخلفاء العباسيين، وقد طعنوا فيها مرارا في سنة ٤٠٢ هـ - ١٠١١ م وفي سنة ٤٤٤ هـ - ١٠٥٠ م وأعلنوا أنهم في الحقيقة من ذرية اللحد الفارسي «عبد الله بن ميمون القداح» (١) الذي رأى في فريق الإسماعيلية الذي ظل مسالماً حتى ذلك الوقت، وسيلة صالحة لنشر تعاليمه الباطنية و آرائه المتطرفة، لكي يتسنى له بذلك الوصول إلى غاياته السياسية و مطامعه الدنيوية.

الدولة الفاطمية

و الدولة الفاطمية التي نشأت في شمال إفريقيا و مصر، تحققت وجودها السياسي الذي حافظت عليه «٢»، بواسطة نشر الدعوة الدينية في سائر ديار الإسلام و خاصة إيران، على يد جماعة من أمهر «الدعاة» الذين كانت لهم خبرة عميقة بالنفوس البشرية و بالأساليب التي يمكن بواسطتها إغراء العقول المختلفة باعتراف مذاهبهم الغريبة. و إذا شئنا المقابلة بين هؤلاء الدعاة و أمثالهم من الأوروبيين أمكننا أن نشبههم بجماعة «الجزويت» كما أمكننا أن نشبه رؤسائهم من الإسماعيليين بفريق «البايووات السود» الذين نشأوا في المشرق في هذا العصر. و كان من دأب الدعاة أن ينشروا «تعاليمهم» بأي وسيلة يرونها صالحة للوصول إلى أغراضهم، و هم يجعلون «التعليم» مبنياً على تفسير الآيات القرآنية بطريق «التأويل» و يؤكدون أن أئمتهم دون غيرهم هم الحفظ و الوارثون لهذه التأويلات، و من أجل ذلك فقد أسموهم أحياناً ب «التعليميين» كما كانت تعاليمهم «باطنية» فأسموهم أيضاً ب «الباطنيين»، حتى إذا تأسست «الدعوة الجديدة» عرفوا بعدها على الخصوص باسم «الملاحدة».

(١) مات عبد الله بن ميمون القداح في سنة ٢٦١ هـ - ٨٧٤ م و هي نفس السنة التي اختفى فيها الإمام الثاني عشر.

(٢) استمرت هذه الدولة من سنة ٩٠٩ م إلى ١١٧١ م - ٢٩٧ هـ إلى ٥٦٧ هـ فلما كان الخليفة الفاطمي الرابع عشر تغلب عليه «صلاح الدين» و استولى منه على عرش مصر.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٤٣

مذهب الاسماعيلية

و مذهب الإسماعيلية مذهب قديم، و قد تحدثت عنه في شيء من التفصيل في الجزء الأول من هذا الكتاب، و حسبى أن أذكر هنا أنه يمتاز بغنى في مراجعه و مصادره، و قد أورد الكثير منها في دقة و تمحيص «دى ساسي» (١) و «جويارد» (٢) و «دى جويه» (٣) في مؤلفاتهم القيمة الفائقة، و لكن لا زالت بقية منها لم تطبع حتى الآن «٤» موجودة في تاريخ «جهان گشا» و «جامع التواريخ»

العدد سبعة في مذهب الاسماعيلية:

و مذهبهم في جملته فلسفي باطني، قد استمد كثيراً من أسسه من المذاهب الإيرانية و السامية القديمة، كما تطرقت إليه بعض تعاليم «الأفلاطونية الحديثة» و «الفيثاغورية الحديثة» و هو مبني في كل تفاصيله على العدد الخفي «سبعة»؛ فهناك سبع فترات في فترات الأنبياء و الرسل (آدم، نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، محمد، محمد بن اسماعيل) و كل واحد من هؤلاء الأنبياء السبعة أعقبه سبعة من الأئمة؛ و أول كل سبعة من هؤلاء الأئمة هو الإمام الصادق و هو «صامت» و لكنه «ناطق» و «رئيس» و «أساس» و «أصل» أو «أس»؛ و آخر كل سبعة من هؤلاء الأئمة أعقبه اثني عشر «نقياً»، تنتهي الفترة النبوية بالآخر منهم لتبدأ بعدها فترة نبوية أخرى. فالفترة النبوية السادسة التي بدأت ب «محمد» قد بلغت نهايتها على يد الإمام السابع «اسماعيل» و نقياته؛ و بدأت بعد ذلك الفترة النبوية السابعة على يد «محمد بن اسماعيل» الذي ادعى الخليفة الفاطمي الأول «عبيد الله المهدي» بأنه من حفدته و سلالته.

(١) أنظر

(De sacy: Expose de la Religion des Druzes) Paris, ١٨٣٨

(٢) أنظر

Guyard; Fragments Relatifs a la Doctrine des Ismailis) Paris. ١٨٧٤. (؛ Un Grand Maitres des

(Assassins) Paris. ١٨٧٧

(٣) أنظر

(De Goeje: Memoires sur les Carmathes du Bahrain et les Fatimide) Leyden. ١٨٨٦

(٤) المترجم: نشر أخيراً الجزء الثالث من تاريخ «جهان گشا» ضمن سلسلة جب التذكارية و هو الجزء الذي يتضمن تاريخ الإسماعيلية و تم بذلك طبع هذا الكتاب برمته.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٤٤

و هذه الفترات النبوية السبع، تقابل، من ناحية، مراتب الوجود الخمس «١» التي إذا اضيف إليها «الله» و «الإنسان» تكونت منهم أجمعين «طبقات الكون السبع»؛ و هي، من ناحية أخرى، تمثل «المقامات السبع» التي يجب على «العريد» أو العضو الجديد أن يجتازها حتى يصل إلى لب المذهب و قرارته. «١». و كل هذه المراسم الدينية أو الظواهر الكونية ما هي في الحقيقة إلا تمثيل لهذه الحفايا الباطنية التي هي مظهر ديني رائع يجده رجل العلم و الباحث المدقق خلوا من كل معنى و منطق، و لكنه لدى أتباعه و معتقديه مشحون بمفاتيح الجمال و السحر العجيب. و قد ذكر لنا «دى ساسي» في أبحاثه أن أول ما كان يهتم به «الداعي» في دعوته هو أن يثير التساؤل و حب الاستطلاع في نفس العضو الجديد فيجعله يتساءل عن الدلالات الباطنية لكل ما يعترضه من أمور؛ و كان الداعي يصل إلى ذلك بأن يوجه إليه أسئلة على النمط الآتي ..!

- لما ذا خلق الله الكون في سبعة أيام ..؟

- لماذا خلق الله سبع سماوات، و سبع أرضين، و سبع بحار، و لماذا جعل «فاتحة» القرآن من سبع آيات ...؟

- لماذا كان العمود الفقري يشتمل على سبع فقرات في العنق، و اثنتي عشرة فقرة في الظهر «٢».

أما اعتراض المعترضين بأن الأنبياء الذين ذكروهم «الإسماعيلية» لم يعلموا مثل هذا المذهب و لا أي مذهب آخر قريب منه، فقد أجابوا عليه بأن الحكمة الإلهية قد اقتضت عند ظهور النبي محمد أن تخفى تعاليم مذهبهم، فلا يكشف عنها إلا بعد موته.

(١) هذه المراتب مع ما يكشف فيها من تعاليم المذهب مشروحة بالتفصيل في كتاب «دى ساسي» ج ١ ص ٧٤ - ١٣٨، و قد ذكرتها

في الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٤١١-٤١٥.

(٢) فقرات العتق تمثل الأئمة السبع الذين يحملون الرأس في كل فترة من الفترات، ويعنيهم على ذلك النقباء الاثني عشر.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٤٥

و كان الغرض الأساسي الذي يهدف إليه الداعي الإسماعيلي هو أن يغري المرید بأن يقسم بعين البيعة له و للام الذي يمثله، و أن يؤيد ذلك بدفع إتاوة تؤخذ لحساب الإمام، دليلاً على طاعة المرید له، و مساهمة منه في تعضيد المذهب الذي انتسب إليه.

المستنصر:

في هذه الفترة التي نتحدث عنها في هذا الفصل كان المستنصر (أبو تميم معد) الخليفة الفاطمي الثاني الذي ولي الحكم من سنة ١٠٣٥ إلى ١٠٩٤ م- ٤٢٧ إلى ٤٨٧ هـ، هو الرئيس الأعلى للإسماعيليين، و لم يلبث أن مات حتى تناقش ابنه «المستعلي» و «نزار» في وراثته مما أدى إلى انقسام الإسماعيلية إلى فريقين متنازعين، أحدهما غربي انضم إليه أهل مصر و الشام و شمال أفريقيا، و الآخر شرقي انضم إليه أهل إيران و ما زال يمتد حتى شمل الشام فيما بعد، و يتكون منه جماعة «الحشاشين» المعروفين.

و قد سبق «المستنصر» إلى الخلافة الفاطمية، الخليفة المشكوك في جنونه «الحاكم بأمر الله» و قد حكم مدة من الزمان امتازت بالجنون و الظلم ثم انتهت بادعائه الألوهية و اختفائه ذلك الاختفاء الذي لا شك في أنه قتل فيه على يد واحد من ضحاياه المظلومين الذين غاظهم جورهم و احتقنهم غلظته، و مع ذلك فإن جماعة من أتباعه المعجبين به و هم أجداد الدرروز الموجودين في سوريا في الوقت الحاضر، يعتقدون أن اختفائه ما هو إلا انسحاب و احتجاب عن نظرات العيون التي لا تستحق أن تتمتع بطلعه المقدسة «١».

و قد زال الاضطراب الذي وقع إثر هذه الحادثة بعد ما تولى «المستنصر» العرش في سنة ١٠٣٥ م- ٤٢٧ هـ؛ و استمر حكمه مدة طويلة بلغت ستين سنة تقريباً،

(١) يذكر ابن الأثير تحت سنة ٤٣٤ هـ أن واحداً من الأديباء ظهر في القاهرة و أعلن أنه «الحاكم» و أنه عاد على ظهر الأرض، و قد استطاع هذا المدعي أن يجمع فحولته كثيراً من الخلق و هجوموا و هو على رأسهم على قصر المستنصر و لكنهم سرعان ما قبضوا عليه و صلبوه هو و جماعة من أتباعه ثم ألقوا عليه وابلًا من السهام حتى مات و كان اسمه «سكين».

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٤٦

يمكن أن تعتبر بحق الأوج الذي وصلت إليه عظمة الإسماعيلية أو الدولة الفاطمية؛ فقد امتد ملكهم، رغم الخسارة التي حاقت بهم في مراكش و الجزائر و تونس، إلى شمال أفريقيا و مصر و سقلية و مالطة و أجزاء مختلفة من الشام و آسيا الصغرى و شواطئ البحر الأحمر، ثم لم يلبث أهل «واسط» طويلاً حتى اعترفوا في سنة ١٠٥٦ م- ٤٤٨ هـ بالمستنصر الفاطمي خليفة عليهم، و لم تمض على ذلك سنتان حتى تبعهم أهل بغداد، و لقد فقد المستنصر ولاء أهل مكة و المدينة فترة من الوقت (من ١٠٧٠-١٠٧١ م- ٤٦٣-٤٦٤ هـ) و لكنه سرعان ما استعادها في سنة ١٠٧٥ م- ٤٦٨ هـ، و في هذه السنة نفسها فقد سلطانه على مدينة دمشق و لكن جيوشه سرعان ما عوضوا هذه الخسارة باحتلال صور و صيدا و عكا في سنة ١٠٨٩ م- ٤٨٢ هـ.

ناصر خسرو:

و قد ترك لنا واحد من أعجب الرجال و أنبغهم ممن أخرجتهم إيران و لن يوجد الزمان بمثلم، و أعنى به الشاعر الرحالة و الداعي الإسماعيلي «ناصر خسرو» الملقب بين أتباعه ب «حجة خراسان»، ترك لنا وصفاً رائعاً لقصر المستنصر. و لحكمه الحازم العادل، و للأمن و الرفاهية اللذين عاشت فيهما الرعية؛ و قد ذكر اسم «ناصر خسرو» في موضعين من «جامع التواريخ» «١» مقترناً باسم خليفته الذي أعقبه في منطقتة نفوذه «٢» «الحسن بن الصباح». فأما أولى هذه القطع فترجمتها كما يلي:

«و سمع ناصر خسرو بصيت المستنصر و شهرته فأتى من خراسان إلى مصر «٣» و أقام بها سبع سنوات «٤» و كان يؤدي فريضة الحج في كل سنة ثم يغود إلى مصر، و جاء بعد الحجة السابعة إلى مدينة البصرة «٥» و خرج منها إلى خراسان، حيث أخذ

(١) في الورقة ٢٨٦-١ و الورقة ٢٩٠-١ من مخطوطة المتحف البريطاني الرقيمة Add ٧

(٢) كان الإسماعيلية يسمون المنطقة التي يث فيها الداعي دعايته باسم «البحر».

(٣) أتى إلى مصر في أغسطس سنة ١٠٤٧ م- ٤٣٩ هـ كما يستفاد من كتابه «سفرنامه»

(٤) لم يقم «ناصر خسرو» في مصر إلا أربعة سنوات و نصف السنة، و لكنه حج إلى مكة سبع مرات و قد غاب عن دياره سبعة أعوام هجرية بالضبط (من جماد الآخر سنة ٤٣٧ هـ إلى جماد الآخر سنة ٤٤٤ هـ- يناير سنة ١٠٤٦ م إلى أكتوبر سنة ١٠٥٢ م).

(٥) كان ذلك في شعبان سنة ٤٤٣ هـ- ديسمبر سنة ١٠٥١ م

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٤٧

يقوم في بلخ بالدعاية للعلويين الذين في مصر «١»، و قد حاول خصومه قتله فهرب منهم إلى مرتفعات «سمنگان» حيث بقي عشرين سنة يقتات بالعشب و الماء، و خرج الحسن بن الصباح الحميري اليمني «٢» من إيران و ذهب إلى المستنصر بالله «٣» و قد استخفى في ثياب نجار ثم استأذنه في الدعاية له في الأراضي الإيرانية فإذن له المستنصر بذلك، و انتهز الحسن بن الصباح فرصة و سأله سرا عن الشخص الذي تكون له الدعاية بعد موته، فأجاب: لابني الأكبر نزار. و من أجل ذلك فإن الإسماعيلية [في إيران] يعترفون بالإمامة ل «نزار» «٤»، و قد اختار سيدنا [أبي الحسن بن الصباح] أن يقوم بالدعاية له في قلاع قهستان..»

الحسن بن الصباح

أما القطعة الثانية فطويلة جداً، و لا لزوم لترجمتها كاملة في هذا المكان. و هي مروية على أنها من أقوال «الحسن بن الصباح» نفسه التي ذكرها في كتاب «سر گذشت سيدنا»، و قد جاء فيها أن اسمه الكامل هو «الحسن بن علي بن محمد بن جعفر بن الحسين بن الصباح الحميري» و لكنه لم يسمح لأتباعه بتسجيل نسبه و قال لهم: «إني أفضل أن أكون الخادم المختار للامام عن أن أكون ابنه الذي لا خير فيه» أما والده فقد جاء من الكوفة إلى مدينة «قم» و هناك ولد له «الحسن» فلما بلغ السابعة من عمره شغف شغفا شديداً بالدراسة و التحصيل، حتى إذا بلغ السابعة عشرة من عمره كان قد استوعب جميع ما درسه و قرأه في استغراق و نهم.

(١) يقصد بهم الخلفاء الفاطميين.

(٢) ادعى أنه من سلالة ملوك اليمن الحميريين، و هو مولود في مدينة «الري» بالقرب من طهران الحالية، و ربما جاء أجداده إلى

إيران قبل ذلك بقرون عديدة. أما «جامع التواريخ» فيذكر أن أباه جاء إلى إيران من الكوفة؛ وأنه هو نفسه ولد في مدينة «قم».

(٣) كان ذلك في سنة ٤٧٩ هـ وفقاً لابن الأثير (ج ٩ ص ١٥٤ تحت سنة ٤٢٧ هـ) أما «جامع التواريخ» فيقول إنه جاء إلى مصر في يوم الأربعاء ١٨ صفر سنة ٤٧١ هـ (انظر الورقة ٢٩٠ ب)

(٤) أما الإسماعيلية في مصر فقد اعترفوا بإمامة المستعلي، ويمثل المستعليين الآن في الهند جماعة البهوية (البهرة) و أما النزارية فيمثلهم فيها الآن أتباع «آغاخان».

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٤٨

و كان إلى ذلك الوقت كآبئه من أتباع «الإثني عشرية» ولكنه سرعان ما وقع تحت تأثير واحد من الدعاة الفاطميين اسمه الأمير «ضراب»؛ أو قد سبق هذا الاسم في النص الكلمات: «ناصر خسرو حجة خراسان»^{١١}. مع عبارة أن الدعوة لم تصادف رواجاً على عهد السلطان محمود الغزنوي^{١٢}، ولكن أناساً كثيرين في إيران قيد اعتنقوا المذهب الإسماعيلي من قبل مثل «أبي علي بن سيمجور» و الأمير الساماني «نصر بن احمد»^{١٣}. و تناقش «الحسن بن الصباح» كثيراً مع الأمير «ضراب» غير أنه لم يقتنع بآرائه. و لكن حدث في هذه الأثناء أن مرض «الحسن» مرضاً شديداً، لم يكن يرجو الشفاء منه، فكان ذلك المرض سبباً في ميله إلى مذهب الإسماعيلية، فلما شفى منه أخذ يبحث عن دعاة إسماعيليين آخرين مثل «أبي النجم السوزج» و شخص آخر يدعى «المؤمن» كان موكلاً بالدعوة من قبل الشيخ «احمد بن عبد الملك بن العطاش» و كان من أهم دعاة الإسماعيلية في إيران كما ذكر ذلك البنداري «٤» و ابن الأثير «٥»، و قد انتهى أمر هذا الرجل بالقبض عليه و صلبه عندما تم الاستيلاء على

(١) النص هنا مضطرب و غير ظاهر، و لست أدري هل المقصود بذلك إن كلمة «ناصر» سبقتها عبارة «تحت تأثير» أو كلمة «كان» و يخيل لي أن العبارة الأولى هي الأقرب إلى الاحتمال لأن «ناصر خسرو» رجع إلى إيران سنة ١٠٥٢م - ٤٤٤ هـ و نحن نعلم من ابن الأثير (ج ١٠ ص ١١٠) أن الحسن بن الصباح كان منهما بالتردد على مجالس «الدعاة المصريين» في مدينة الري، و أنه اضطر في ذلك الوقت إلى الهرب منها، و من الجائز جداً أنه تقابل مع ناصر خسرو هناك. و لقد يساعدنا على فهم ذلك ما كان يحدث مع البائية في الأزمان الأخيرة، فقد كان العضو الجديد المتحمس لهذا المذهب يقدم إلى واحد من أشهر الدعاة و أقدرهم بكون موفداً من مركز الحركة للتشبيح بين أتباعها في إيران.

(٢) يروي العيني في تاريخه (طبع القاهرة ج ٢ ص ٢٣٨ - ٢٥١) أن أحد الدعاة الفاطميين و اسمه «التاهرتي» - نسبة إلى مدينة تاهرت في مراكش - جاء إلى السلطان محمود في سنة ٣٩٣ هـ - ١٠٠٣ م

(٣) يروي «نظام الملك» في كتابه «سياستنامه» (طبع شبفر ص ١٨٨ - ١٩٣) أن الأمير الساماني نصر الثاني كان باطنياً أي إسماعيلياً، و يذكر لنا كيف أدى الحاد إلى ضياع ملكه و حياته. انظر كذلك الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٤٥٥ (من الأصل الانجليزي).

(٤) أسماء البنداري في ص ٩٠ و ٩٢ برئيس الباطنية.

(٥) انظر ج ١٠ ص ١٠٩ - ١١٠ حيث ذكر المؤلف أن الباطنية توجه بتناج من الذهب، و قد ورد ذكر الحسن بن الصباح على أنه واحد من تلاميذه.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٤٩

حصن الإسماعيلية المنيع المسمى «شاهدژ» أو «دزكوه» حوالي سنة ٤٩٩ هـ - ١١٠٥ م. و قد تمكن «مؤمن» بشيء من الحيلة و الدهاء أن يأخذ البيعة من الحسن بن الصباح للخليفة الفاطمي، و كان ابن العطاش يقوم بالدعوة في أصفهان و آذربيجان فجاء في رمضان سنة ٤٦٤ هـ (- مايو سنة ١٠٧٢ م) إلى مدينة الري حيث قدموا إليه «الحسن بن الصباح» فأعجب به كثيراً، و أمره بالمسير إلى مصر و قصد عاصمة الخلفاء الفاطميين. و خرج الحسن بناء على ذلك، إلى مدينة إصفهان في سنة ٤٦٧ هـ - ١٠٧٤ م فأقام بها سنتين يشتغل بالدعوة و كيلاً لابن العطاش، ثم خرج منها إلى مصر مجتازاً طريق آذربيجان، ميفارقين، الموصل، سنجان، الرجبة، دمشق، صيدا، صور، عكا، ثم ركب البحر إلى مصر فوصلها في الثلاثين من أغسطس سنة ١٠٧٨ م - ٤٧١ هـ، و استقبله داعي الدعوة «أبو داؤود» استقبالاً حافلاً شاركه فيه جماعة من النبلاء و الأعيان، و سرعان ما شمله المستنصر برضاه و أغدق عليه نعمه، و لكنه مع ذلك لم يتمكن من المثول بين يديه و رؤيته رأى العين، و إن كان قد أقام بالقاهرة ثمانية عشر شهراً كاملاً، و كثرت دسائس «المستعلي» و أعوانه و خاصة قائد الجيش «بدر» للحسن بن الصباح، فاضطر إلى مغادرة مصر و ركب السفينة من الإسكندرية في شهر رجب سنة ٤٧٢ هـ - يناير سنة ١٠٨٠ م، فما كادت تخرج به حتى تحطمت بالقرب من شواطئ الشام، فأنقذوه و رجع إلى بلاده مجتازاً طريق حلب و بغداد و خوزستان، و وصل في النهاية إلى أصفهان في ذي الحجة سنة ٤٧٣ هـ - يونيو سنة ١٠٨٠ م. و من ذلك الوقت أخذ يدعو لئزار - أكبر أولاد المستنصر - و شملت دعوته يزد و كرمان و طبرستان و دامغان و ولايات أخرى من إيران لم يدخل في عدادها مدينة الري، لأنه كان يتجنبها اتقاء لشر «نظام الملك» الذي كان يتحرق إلى القبض عليه، كما دلت على ذلك أوامره التي أصدرها إلى زوج ابنته «أبي مسلم» حاكم هذه المدينة «١». و تمكن الحسن بن الصباح في النهاية من الوصول إلى «قزوين» و استطاع بحيلة جريئة و صفها لنا صاحب «تاريخ گزیده»^{١٢} من الاستيلاء على الحصن

(١) أنظر ابن الأثير ج ١٠ ص ١١٠.

(٢) انظر «تاريخ گزیده» طبع كاتن ج ١ ص ٤٨٨ - ٤٩١؛ و كذلك ورقة ٢٩١ - ٢٩١ من «جامع التواريخ».

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٥٠

الجبلي المنيع «الموت» و اسمه في الأصل مكون من الكلمتين «آله أموت» و معناه الصحيح هو «تعليم العقاب» كما أورد ابن الأثير في ص ١١٠ من الجزء العاشر من تاريخه، و إن كان الأغلب تفسيره خطأ بمعنى «وكر النسر»^{١١}. و قد لاحظ كثير من المؤرخين أن المصادفات العجيبة قد شاءت أن تجعل قيمة الحروف التي يتركب منها اسم هذه القلعة (١ + ٣٠ + ٥ + ١ + ٤٠ + ٦ + ٤٠٠ = ٤٨٣) هو التاريخ الصحيح الذي وقعت فيه هذه القلعة في حوزة الحسن بن الصباح و هو سنة ٤٨٣ هـ - ١٠٩٠ م.

و قد تبع سقوط قلعة «الموت» في أيدي الحسن بن الصباح سقوط كثير من الأماكن الحصينة في قبضته و قبضه أتباعه مثل «شاهدژ» و «خالنجان» بالقرب من إصفهان؛ و «طيس» و «تون» و «قائن» و «وزون» و «خور» و «خوسف» في قهستان؛ و «وشمكوه» بالقرب من أبهر؛ و «استوناونده» في مازندران؛ و «اردهان» و «گردكوه» و «قلعة الناظر» في خوزستان؛ و «قلعة الطنبور» بالقرب من أرتجان؛ و قلعة «خلاد خان» في إقليم فارس.

و كان استيلاء «الحسن بن الصباح» و أتباعه على هذه القلاع و الأماكن الحصينة بداية ما ناله من سلطة سياسية، فلم يكده يموت «المستنصر» حتى انفصلوا نهائياً عن الإسماعيلية في مصر، و أصبحت لهم أغراض أخرى غير أغراض هؤلاء، لأنهم أخذوا يدافعون عن قضية «ئزار» ضد أخيه المستعلي الذي خلف المستنصر في الخلافة الفاطمية في القاهرة. و من أجل ذلك نجد أن كتب التواريخ

الفارسية جميعها من قبيل «جامع التواريخ» و «تاريخ كزیده» تفرد فصولا خاصة «للإسماعيلية في مصر والغرب، و فصولا أخرى للإسماعيلية في إيران، و هؤلاء الأخيرون هم أتباع نزار أو «الحشاشون» على حد التسمية التي اشتهروا بها. و قد اختلفوا طويلا في اشتقاق كلمة «الحشاشين» و زعموا أنها مشتقة من أصول

(١) «آله» كلمة فارسية صحيحة موجودة في الپهلوية، و هي بمعنى «نسر» أو «عقاب» و «آموت» هي إحدى اللهجات المحلية في كلمة «آموتخت» بمعنى تعليم، و لست أذكر أية كلمة فارسية قريبة من هذه الكلمة بمعنى «وكر» أو «عش».

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٥١

عجيبه غريبه، فقال بعض الباحثين إنها مسخ لكلمة «الحسينين» أي اتباع الحسن؛ و قال «كازانيف» «١» إنها متصلة بالكلمة الإنجلو سكسونية Seax بمعنى «سكين» و زعم «جبلان» «٢» إنها مشتقة من كلمة «شاهنشاه» بمعنى ملك الملوك، و حاول آخرون تخريجها مثل هذه التخريجات المستحيلة، و بقيت الكلمة غامضة حتى استطاع العلامة «سلفستري دى ساسي» أن يثبت أن الكلمة التي نقلها الصليبيون إلى أوروبا و مسخوها إلى «أساسيني» أو ما شابه ذلك من الصور القريبة «٣»، هي بعينها الكلمة التي أوردتها المؤرخون اليونان بصورة «خزسيوي» و قد ذكرها على وجهها الصحيح الربى بنيامين التيوديلي «٤» فكتبها «حشيشين» و هذه الكلمة تقابل الكلمة العربية «حشيشي» التي تجمع على «حشيشيين» و «حشيشية» «٥» و قد أطلقوها على هذا الفريق من الإسماعيلية لاستعمالهم للمخدر المعروف باسم «الحشيش» و هو ما يعرف لدينا باسم ال «بنج» أو القنب الهندي. و هذا المخدر قد انتشر استعماله حاليا في البلاد الإسلامية جميعا من حدود مراكش إلى أقاصى الهند. و قد أشار إليه شعراء من الفرس مثل «جلال الدين الرومي» و «حافظ الشيرازي» مما يدلنا على أنه كان معروفا لدى الإيرانيين منذ القرن الثالث عشر الميلادي على أقل تقدير، و لكن يظهر أن الأسرار المتعلقة بخواصه كانت معروفة في الوقت الذي نتحدث عنه لعدد قليل جدا من الناس، ربما لم يتجاوزوا الحسن بن الصباح و نفرا قليلا من أخلص خالصته، نذكر منهم على سبيل المثال: الطيب الذي ذكرناه سابقا باسم «احمد بن عبد الملك بن العطاش».

و المجال لا يسمح لي هنا بالتحدث عن خصائص هذا المخدر و قد ذكرت ذلك بالتفصيل في مكان آخر «٦» بينت فيه أنه اقترن بشهرة سيئه في إيران لم يبلغها غيره من المخدرات

(١) يكتب اسمه بالحروف الرومانية هكذا: Casaneuve

(٢) يكتب اسمه بالحروف الرومانية هكذا: Gebelin

(٣) كتبها هكذا: assassini أو Assessini أو Assissini أو Heissessini

(٤) يكتب اسمه بالرومانية هكذا: Rabbi Benjamin of Tudela

(٥) لا يستعمل المؤرخون الفرس هذه التسمية إلا نادرا و يذكرونهم باسم الملاحدة و قد استعمالها البنداري في ص ٥٦٩.

(٦) القيت بحثا عن ذلك في ١٤ يناير سنة ١٨٩٧ بعنوان «فصل من تاريخ الحشيش» و قد نشرته في عدد مارس سنة ١٨٩٧ م في «مجلة مستشفى سان بارتلميو».

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٥٢

كألفيون، بحيث لا يكاد يذكر فيها الآن إلا على سبيل المجاز فيشيرون إليه بعبارة «البيعاء الخضراء» أو «الخفايا الغامضة» أو «السيد» أو ما شابه ذلك من التسميات المجازية؛ و قد بينت أن سبب ذلك لا يرجع إلى مضاره بقدر ما يرجع إلى اقترانه بهذا الفريق المرعب من الملاحدة. و من الواجب أن نشير إلى أن «شيخ الجبل» لم يشجع أتباعه على استعمال الحشيش و إدمانه، لأن إدمانه يؤدي إلى التراخي و الإهمال و الضعف العقلي، و كلها صفات تحرم أصحابها من أداء الواجبات الدقيقة التي تلقى على عواتقهم، و من أجل ذلك فقد كان استعماله بين هؤلاء القوم مقصورا على مرتبة واحدة من مراتب الإسماعيلية و درجاتهم.

مراتب الحشاشين:

ذكرنا فيما سبق أن فريق الإسماعيلية كان مقسما منذ أقدم الأزمنة إلى مراتب و درجات، و قد تبدلت هذه المراتب بظهور الدعوة الجديدة» فعدها «الحسن بن الصباح» على هذا النحو. ففي مكان الرئاسة يكون «داعي الدعاء» و هو خاضع مباشرة للإمام «١»، و يعرف خارج أتباعه عادة باسم «شيخ الجبل» و قد أخذ الصليبيون هذه التسمية و أخطأوا فهمها فنقلوها إلى لغتهم و إلى غيرها من اللغات بمعنى «الرجل العجوز» أو «رجل الجبل العجوز»؛ و يتلو داعي الدعاء في مرتبه «الداعي الكبير» و كانت هذه المرتبة تشتمل على عدد من «الدعاة الكبار» يتكون منهم ما يشبه مجلس الأساقفة، و لكن كل واحد منهم كان يوكل إليه على حدة أمر ولاية من الولايات أو مقاطعة من المقاطعات؛ و يأتي بعد هؤلاء الدعاة الكبار «الدعاة العاديون» و كانت المراتب العالية تتكون من هؤلاء جميعا، و كانوا كلهم على علم تام بأصول المذهب و أغراضه و سياسته؛ أما المراتب المنخفضة فكانت تشتمل على:

١- مرتبة الرفيق؛ و هو الذي يكون قد سلك بعض المدايح في أصول هذا المذهب

(١) بعد موت المستنصر لم يكن الخليفة الفاطمي هو الإمام بل كان الامام ولدا من أولاد «نزار» الذي حرم من ولاية العرش ثم قتل بعد ذلك.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٥٣

٢- مرتبة اللاصق؛ و هو الذي يكون قد أخذ البيعة للإمام دون أن يتبين ما تتضمنه هذه البيعة من معان و واجبات.

٣- مرتبة الفدائي؛ و هؤلاء هم الموكلون بالتأثر و الانتقام و أعمال العنف و قد كانوا مصدرا لكثير من الرعب الذي كان يهز الملوك على سروشهم و يلجم أهل السنة فلا يجسرون على لعنتهم و ذمهم.

و لا يسعني في هذه المناسبة إلا أن أعيد الوصف التصويري الممتع الذي كتبه في القرن الثالث عشر الميلادي الرحالة «ماركوپولو» و وصف لنا فيه مراسم استقبال «الغدائي» و سياسته، في وقت كانت فيه قوة الحشاشين في إيران «١» قد أوشكت على الزوال، أو زالت فعلا على يد جيوش «هولاكو خان» المغولي، و قد كتب هذا الرحالة ما ترجمته:

«و كان شيخهم يسمى بلغتهم علاء الدين «٢» و قد أمر بإقامة سور على أخطود بين جبلين، ثم غرسه بالأشجار و حوله إلى حديقة غناء، هي أجمل ما رآته الأعين و وقعت عليه الأبصار، و هي مليئة بمختلف الفواكه و أطيب النماز؛ و أقام فيها القصور و الجواسق مما لا عين رأت و لا أذن سمعت، و قد طلاها بالذهب و نقشها بأجمل النقوش، و جعل بها قنوات تفيض بالخمر و اللبن و العسل و الماء، و وضع فيها جملة من أجمل نساء العالمين و أرق الفتيات و جعلهن يعزفن على مختلف الآلات، و يغنين بأعذب الأصوات و يرقصن أروع الرقصات؛ و قد شاء شيخ الجبل بذلك أن يجعل الناس يعتقدون أن حديقته هذه ما هي إلا الجنة بعينها، فأنشأها على النمط

الذي صورهم لهم الدين الإسلامي وجعلها روضة غناء، تجوس خلالها أنهار تفيض بالخمير واللبن والعسل والماء، ومأها بالجميلات الفاتتات من النساء، اللاتي لا هم لهن إلا الترفية عمن بها من نزلها، و من

(١) أما فرغهم في الشام فلم يصبه شيء من السوء، وما زال موجودا هنالك إلى الآن ولكنه مسالم لا ينال أحدا بالأذى.
(٢) وهو يشير كما هو معلوم إلى سابع مشايخ الجبل في «الموت» وهو «علاء الدين محمد بن الحسن» الذي أعقب أباه «جلال الدين» في رمضان سنة ٦١٨هـ - نوفمبر سنة ١٢٢١م، وقد أعقب علاء الدين ابنه «ركن الدين خورشاه» وهو آخر مشايخ الجبل في الموت، وقد قبض عليه المغول وأعدموه.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٥٤
أجل ذلك فإن الأعراب الذين يقطنون هذه الأرجاء، يعتقدون أنها حقا الجنة التي وعد بها الأتقياء...!!!
«و لم يكن يسمح لأحد من الناس أن يدخل هذه الحديقة إلا من شاء أن يجعلهم من حشاشيه»^{١١}، وكان على بابها حصن منع يستطيع أن يرد هجمات الناس أجمعين.

و لم يكن لها مدخل سواه، وكان يحتفظ في قصره بعدد من الغلمان تتراوح أعمارهم بين الثانية عشرة والعشرين، ممن يلمس فيهم حب الجندي والقتال، وكان من دأبه أن يقص عليهم أقاصيص عن الجنة كالتي كان يقصها محمد على أتباعه (كذا) فيصدقونه فيما يقول، كما صدق العرب نبيهم. ثم يأذن لهم بعد ذلك في دخول الحديقة أربعة أو ستة أو عشرة عشره، ولكنه يسقيهم قبل ذلك مزيجا من شراب خاص ينمون على أثره «٢»، فإذا انطبقت جفونهم و غلبهم الكرى أمر أتباعه أن يحملوهم و يضعوهم في داخل الحديقة، فإذا أفاقوا وجدوا أنفسهم داخل هذه الروضة الغناء.

«و متى أفاقوا من غفوتهم وجدوا أنفسهم في هذا المكان الرائع، ظنوا أنهم في جنة الخلد، ثم يقل النساء والفتيات بعد ذلك على هؤلاء الفتيان فيلاعبنهم و يشفين رغباتهم، و يظفر الرجال منهن بما يرغبون، فلا يشاءون بعد ذلك أن يتركوا هذا المكان المشحون بالفتن و اللذائذ».

«و كان هذا الأمير الذي نسميه ب «الشيخ» يقوم بتنظيم قصره بشكل رائع جميل، و قد تمكن من أن يجعل رجال الجبال السذج الذين يحوطونه يعتقدون اعتقادا جاز ما بأنه نبي عظيم، فإذا شاء أن يبعث واحدا من هؤلاء «الحشاشين» في أية رسالة، فإنه يسقيه من هذا المزيج الذي تحدثنا عنه، فإذا غلبه الكرى حملوه إلى القصر، حتى إذا أفاق الشاب لم يجد نفسه في تلك الجنة التي شفى فيها غلته و أشبع فيها نهمته، بل يجد نفسه داخل القلعة، ثم يدخلونه بعد ذلك على «شيخ الجبل» فيبختي أمامه في احترام بالغ كأنه في حضرة رسول كريم و نبي عظيم. فيسأله

(١) يقصد بذلك «الفدائين» و هم الذين يسمون دون غيرهم بالحشاشين.

(٢) هذا الشراب كان عبارة عن محلول من الحشيش، و من أجل ذلك فإن شيخ الجبل كان يسمى أحيانا ب «صاحب الحشيش»
تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٥٥
الأمير من أين أتى ؟.. و يجب الفتى بأنه أقبل من الجنة، و إنها لشبيهة بما أنزل على «محمد» في القرآن، و يستمع الآخرون الذين لم يؤذن لهم في دخول هذه الحديقة إلى هذا الحديث، فيتحرقون شوقا إلى الدخول فيها و التمتع بما بها...!!!
«فإذا شاء «الشيخ» أن يقتل أي أمير من الأمراء فما عليه إلا- أن يقول لواحد من هؤلاء الشبان: «إذهب و اقتل فلانا؛ و متى عدت فسيأخذك جماعة من ملائكتي إلى الجنة، أما إذا مت فسأبعث إليك بهم ليحملوك إليها». و كانوا يصدقونه فيما يقول، و من أجل ذلك فقد كانوا يلقون بأنفسهم في أشد المخاطر و أكثرها تهلكة لكي ينفذوا جميع أوامره و لكي يعودوا بعد ذلك إلى الجنة التي تحرق إليها أنفسهم، و استطاع الشيخ بذلك أن يجعل رجاله يقتلون أي شخص يريدون التخلص منه؛ و استطاع أيضا بواسطة الرعب الذي ينزله في أنفس الأمراء أن يجعلهم جميعا يدفعون له الجزية عن طيب خاطر حتى يكون معهم في سلام و ونام».
و يبدو من هذا النص أن الفدائين كانوا يختارون وفقا لما يبدونه من طاعة عمياء في تنفيذ أوامر شيخهم، و كانوا يمتازون أيضا بصفات الشجاعة و الصلابة، و لا يطلب إليهم أن يتفقهوا في تعاليم المذهب كما يفعل غيرهم من أصحاب المراتب العالية. و يصور ذلك كله القطعة الآتية التي رواها لنا «فرايبينو» و «مارينو سانتو»^{١١} حيث قال:

«في فترة من فترات الهدنة ذهب هنري (ملك بيت المقدس) لزيارة الشيخ في الشام، فخرج ذات يوم للزهره فرأيا في مسيرهما شبانا قد ارتدوا الملابس البيضاء و جلسوا فوق قمة عالية. فالتفت الشيخ إلى هنري و سأله عما إذا كان لديه شبان يمتازون بالطاعة العمياء مثل هؤلاء الشبان و لم ينتظر جوابه بل أوما إلى اثنين من هؤلاء الفتيان بإشارة خاصة فقفا إليه من قمة القلعة و لقا حثفهما في التو و الساعة...!!!».

و رغم أن الفدائين لم يكونوا يتفقهون في التعاليم الخفية التي تضمنتها مذهبهم الديني، إلا أنهم كانوا على أتم تدريب في استعمال الأسلحة و وسائل القتال، و في تجشم المصاعب و القدرة على الصبر و الاحتمال، و في الفتن في أساليب التنكر و التخفي و الاستتار، بل لقد أظهر ما في بعض المناسبات قدرتهم الفائقة في التحدث باللغات

(١) بالحروف الرومانية هكذا: Fra Pipino and Mariuo Santo

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٥٦
الأجنبية و الأوروبية بحيث استطاع الفدائين الذين كلفوا بقتل «كونراد» مركز مونتفرات «١» أن يتحدثوا بلغة الفرنج و أن يقلدوهم في سائر عاداتهم تقليدا بارعا ظهروا فيه بمظهر الرهبان المسيحيين، فتمكنوا بواسطة ذلك من أن يقيموا في معسكر الصليبيين ستة أشهر كاملة ينتظرون الفرصة السانحة لتنفيذ المهمة الدامية التي بعثوا من أجلها.

و كان من النادر بالطبع أن ينجو الفدائي بعد قتل فريسته، لأن الفدائين كانوا في الغالب يميلون إلى تنفيذ خططهم في جرة زائدة و شجاعة بالغة، فيقتضى الواحد منهم على الأمير المسلم و هو قائم بالمسجد يؤم الناس لصلاة الجمعة، أو يندفع إلى الأمير المسيحي فيقتله دون خوف أو وجل في وسط الكنيسة في يوم الأحد و هو واقف يصلي بين جماعة المصلين من قومه و عشيرته. فإذا قتل الفدائي بعد أداء المهمة التي كلفه بها «شيخ الجبل» فإن ميتته كانت تعتبر بين أتباع «الحسن بن الصباح» من أشرف الميتات التي تضمن له السعادة المقبلة و الحياة الهائنة الخالدة، حتى لقد نقرأ أعجب الأخبار عن أمهات بعض الفدائين و قد أخذن في البكاء و الانتحاب لأن أولادهن عادوا إليهن على قيد الحياة و لم يظفروا بمرتبة الاستشهاد و الخلود...!!!

و كان من دأب الفدائين في بعض الأحيان أن يكتفوا بالتهديد و الوعيد إذا وجدوا في ذلك ما يحقق مآربهم و يضمن غاياتهم، و كثيرا ما حدث أن هاجمهم قائد من القواد يبغي تدليل معقل من معاقلمهم، فإذا به يصحو في أحد الأيام ليجد في خيمته و بالقرب من

مضجعه خنجرا مغروسا في الأرض، و قد علقت عليه رساله من رسائل التهديد و الوعيد تجعله في الغالب ينصرف عن معركته و يقنع من الغنيمة بالإياب؛ و قد حدث مثل ذلك فيما يقولون للسُلطان «ملكشاه» ل «صلاح الدين» و إن كنت شخصيا أظن أن الروايات التي رويت عن هاتين الحادثتين لا يجب الاعتماد عليها اعتمادا كلياً لا يتطرق إليه شيء من الشك أو الريبة.

و قد ذكرنا أن فقيها أخذ في ذم ملاحدة «الموت» فقصدي له واحد من أتباعهم و أخذ يحضر مجالسه على أنه طالب راغب في الاستماع إلى محاضراته و تتبع آرائه، حتى إذا استرعى التفاته خيره بين كيس مملوء بالذهب أو خنجر مسنون الحد

(١) بالحروف الرومانية هكذا: Conrad, Marquis of Montferrat

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٥٧

ليكيف عن التعرض لهم و التنديد بمعتقداتهم، فاختار الفقيه الذهب و كفى نفسه شر البلاء ...!! فكانوا إذا اجتمعوا حوله بعد ذلك و سخروا منه لكفه عن التعرض لآرائهم، أجابهم في شيء من السخرية اللاذعة، بأنه قد اضطر إلى ذلك اضطرارا بعد ما قدموا له من «حجج قاطعة و براهين ساطعة» جعلته يقتنع بأنه كان على خطأ فيما تفوه به قبل ذلك من أقوال خاسرة ...!!

و قد استمر نشاط «الحشاشين» كبيرا و بالغا منذ نشأتهم إلى أن تمكن «المغول» من تحطيم معاقلمهم في إيران و قتل آخر شيوخهم و ثامن ائمتهم «ركن الدين خورشاه» في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري) أي في نفس الوقت الذي استطاعوا فيه تحطيم الخلافة في بغداد. و سيرض لنا ذكرهم كثيرا فيما يلي من صفحات؛ و لأجل ذلك فإني أتبه القارئ بأن يلم منذ الآن إمامة كافيّة بعبادىء مذهبهم، و طرائق تكوينهم؛ و بيان صلتههم بمذهب الإسماعيلية الرئيسي في مصر؛ لأن أهم فتره في تاريخ هؤلاء الإسماعيليين هي الفترة التي أسس فيها «الحسن ابن الصباح» دعوته الجديدة بما اقترن بها من عناصر الرهبة و الرعب. أما فرعهم الشّامي، فقد كان له الفضل فيما ناله «الحشاشون» من شهرة عريضة في ربوع أوروبا، كما كان له الفضل في تزويد معجنا بكلمة جديدة للدلالة على تسميتهم. و قد استطاع هذا الفرع أن يثبت مكانته السياسية منذ استيلاء رجاله على قلعة «باتيناس» في سنة ١١٢٦ م- ٥٢٠هـ.

و لكننا للأسف سوف لا نجد مجالا للأفاضة في الحديث عن هذا الفرع فيما يلي من صفحات؛ و من أجل ذلك فإننا على ثقة من أن القارئ الذي يهمه تتبع هذا الموضوع سوف لا يتأخر عن الاطلاع على المقال القيم الذي كتبه «ستانسلاس جويار» في «المجلة الآسيوية» سنة ١٨٧٧ م بعنوان «شيخ من شيوخ الحشاشين»^(١). و يشتمل هذا المقال على سيرة صادقة متمتع الشيخ «رشيد الدين سنان» الذي استطاع في وقت من الأوقات أن يجعل الفرع الشّامي ينفصل عن الفرع الإيراني. و سيرة هذا

(١) عنوان هذا المقال بالفرنسية هو:

١٨٧٧ Un Grand Maitre des Assassins, par Stansilas Guyard, Journal Asiatique. تاريخ الأدب في

إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٥٨

الرجل تفوق في غرابتها و غرابة وقائعها كثيرا من الروايات الخيالية الرائعة؛ و هي تمدنا بكثير من التفاصيل عن تاريخ الإسماعيليين و أعمالهم و أساليبهم. و قد اضطرت اضطرارا لضيق المجال أن أصدف عن ذكرها في هذا المقام. و ما زال بقايا الإسماعيلية موزعين أشتاتا حتى يومنا هذا في أنحاء المشرق بين ربوع سوريا و إيران و شرق أفريقيا و أوسط آسيا و بلاد الهند حيث يدنون الآن بالطاعة ل «آفاخان» باعتباره رئيسا لهؤلاء الجماعة من الإسماعيلية. و «آفاخان» هذا من أحفاد «ركن الدين خورشاه» الذي كان آخر شيوخ الجبل في «الموت» و قد ادعى ركن الدين أنه من سلالة «نزار» ابن الخليفة الفاطمي «المستنصر» و أنه ينتسب بهذه الوساطة إلى الإمام السابع «إسماعيل» ابن حفيد حفيد (علي بن أبي طالب) ابن عم الرسول و زوج ابنته.

ناصر خسرو

و قد اضطرتنا دراسة حياة «الحسن بن الصباح» و ما قام به من أعمال إلى أن نبتعد عن ذكر زميله «ناصر خسرو» الذي يفوقه من الناحية الأدبية كثيرا، فأما الحسن بن الصباح فليس في أيدينا من كتاباته إلا التبد المنقولة من «سرگذشت سيدنا» في كتاب تاريخ «جهان گشا» و كتاب «جامع التواريخ»، و أما «ناصر خسرو» فله بين أيدينا جملة من المؤلفات القيمة المتمتع كتبها نثرا و شعرا و قام على دراستها جماعة من أئمة العلماء مثل «بلاند» و «دورن» و «إتبه» و «فانيان» و «نولدكه» و «برتش» و «ريو» و «شيفر»^(١) و سنقوم بدراسة هذه المؤلفات و نترجم لصاحبها (و هو من خيرة الشخصيات الالامعة في تاريخ الأدب الفارسي) في الفصل التالي الذي أفردها لدراسة الحركة الأدبية خلال هذه الفترة التي أجملتنا الحديث عنها و صورناها سياسيا في هذا الفصل الذي انتهينا منه.

(١) تكتب هذه الأسماء بالحروف الرومانية هكذا: Bland, Dorn, Ethe, Fagnan, Noldeke, Pertsch, Rieu,

Schefer. تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٥٩

الفصل الرابع الأدب في العصر السلجوقي الأول نظام الملك و معاصروه

نظام الملك و كتابه «سياسة نامه»:

[الكلام في نشر هذا الكتاب و نسخه]

من الخير عند استعراض هذا العصر الممتع الهام، أن نبدأ بالحديث عما تركه «نظام الملك» نفسه من آثار أدبية، لأنه كان أهم شخصية ظهرت في إيران في ذلك الوقت. و آثاره الأدبية لا تزيد على كتاب واحد هو «سياسة نامه» أو «كتاب السياسة»^(١) و قد نشر أصله الفارسي المرحوم الأستاذ «شارل شيفر» في سنة ١٨٩١ م، كما نشر أيضا ترجمة فرنسية له، عليها كثير من التعليقات التاريخية الهامة في سنة ١٨٩٣ م، و قد أتبع الأصل و الترجمة بملحق نشره في سنة ١٨٩٧ م يشتمل على ملاحظات متصلة بحياة «نظام الملك» و العصر الذي نشأ فيه استقاه من مختلف المصادر الفارسية و العربية. و قد كان من الصعب الحصول على كتاب «سياسة نامه» قبل ظهور هذه الطبعة التي نشرها «شيفر» لأن النسخ المخطوطة منه كانت نادرة كل الندرة، و قد استعان الأستاذ «شيفر» بثلاث نسخ مخطوطة كانت إحداهما ملكا له و هي الآن في المكتبة الأهلية ببريس، و الثانية نسخة المتحف البريطاني، و الثالثة نسخة برلين.

و قد قابل هذه النسخ في بعض المواضع بنسختين آخرين في مكتبة سان بيترسبورج.

و توجد من هذا الكتاب نسخة سادسة موجودة في مجموعة «بوت» المحفوظة في مكتبة «كلية الملك» بجامعة كمبردج^(٢) و هذه

النسخة حديثة العهد نسبيا و لكنها

(١) أما كتاب «الوصايا» الذي ينسبونه إليه فزائف كل الزيف.

(٢) اسم المجموعة بالإنجليزية هكذا: Pote Collection in the Library of King s College, Cambridge. تاريخ

الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٦٠

أفادتني فائدة كبرى في تصحيح بعض الأخطاء التي وقعت في النسخة المطبوعة. ويشتمل كتاب «سياسة نامه» على خمسين فصلاً تبحث في شؤون الملكة و حقوق الملك و واجباته و ما يتصل بالإدارات المختلفة التي يعتمد عليها في إدارة البلاد؛ وقد أخذ «نظام الملك» يكتب هذا الكتاب في سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١-١٠٩٢ م) أي قبل وفاته مقتولاً بسنة واحدة؛ كبه استجابة لرغبة أبداها «ملكشاه» أمام أهل الرأي من مستشاريه «١» بأن يضع كل واحد منهم رسالة في الحكم يبين فيها أنواع المفساد والعيوب التي انتشرت في أرجاء بلاده و نواحي إدارتها، و يبين فيها كذلك أنواع البدع المستحدثة الضارة التي أخذت في الظهور، و أنواع العادات الحسنة القديمة التي أصابها الإهمال و عفا عليها الزمان. و قد استجاب جملة من أهل الرأي إلى طلب «ملكشاه» فأنتشأوا الرسائل في هذه الموضوعات التي اختارها؛ و لكن الرسالة الوحيدة التي حازت إعجابهم و استحسانهم هي رسالة «نظام الملك» و قد أثر عنه أنه قال بصددها: لقد عالج «نظام الملك» جميع الموضوعات وفقاً لرغبة قلبي، و لم يترك شيئاً لباحث يضيفه إلى كتابه، و من أجل ذلك فإني اتخذته هادياً و مرشداً يهديني سواء السبيل.

و قد انتهى «نظام الملك» من كتابة هذا الكتاب في سنة ٤٨٥ هـ (١٠٩٢-١٠٩٣ م) و كان فراغه منه قبيل مقتله بفترة قصيرة كما يؤخذ من هذه النبذة الغربية التي اشتملت على نبوءة عجيبة نجدها قرب الخاتمة، حيث يقول:

«هذا هو كتاب السياسة و قد تم لي تحريره و جمعه بناء على أمر أصدره ملكك العالم لهذا المولى الحقيق بأن يكتب في هذه الموضوعات التي اختارها، و قد كتبت منها على البديهة تسعة و ثلاثين فصلاً «٢» ثم قدمتها إلى حضرة العالمة، فالت استحسانه و إعجابها. و قد كانت مختصرة مجملية، و لكنني أضفت إليها بعد ذلك بعض الزيادات و ألحقت بكل فصل منها ما يناسبه من الملاحظات و النكات، مبيناً كل ذلك بلغة سهلة جزلة و ألفاظ واضحة بيّنة، فلما كانت سنة ٤٨٥ هـ و أردت الخروج إلى بغداد أعطينها

(١) من أهم هؤلاء بالإضافة إلى «نظام الملك» نجد أسماء «شرف الملك» و «تاج الملك» و «مجد الملك».

(٢) يظهر أن الفصول الأحد عشر الباقية أضيفت إلى هذا الكتاب عند مراجعته.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٦١

إلى ناسخ المكتبة الملكية «محمد المغربي» و أمرته أن يكتبها بخطه الجميل حتى إذا قدر لي ألا أعود من هذه الرحلة أسرع بعرضها على ملك العالمين ... «١».

و فعلاً لم يقدر لهذا الكتاب أن ينشر إلا بعد موت مؤلفه بفترة من الزمن.

و ربما تأخر ظهوره قليلاً بسبب المتاعب القومية و الحروب الأهلية التي نشبت مباشرة بعد موت «ملكشاه» «٢».

[أهمية و قيمة هذا الكتاب]

و كتاب «سياسة نامه» يعتبر في رأيي من أهم الكتب الممتعة القيمة التي كتبت نثراً في الفارسية؛ ذلك لأنه من ناحية يشتمل على قدر كبير من الأخبار و الروايات التاريخية، و لأنه من ناحية أخرى يشتمل كذلك على الآراء السياسية التي كان يراها واحد من أتباع الوزراء الذين ظهروا في المشرق، و الذين بلغوا مبلغاً من القوة و الحكمة لا نستطيع تقدير مدها إلا بالنظر إلى الفوضى المتصلة و الحروب الداخلية المستمرة التي أعقبت مقتله. و قد كتب «نظام الملك» كتابه هذا في لغة سهلة يسيرة خالية من كل المحسنات البلاغية؛ و لقد تحطت عبارته أحياناً إلى مرتبة العبارات السوقية العامة، أو قد يشوبها بعض الصغ المهجورة التي كانت مستعملة في ذلك الزمان المبكر. و ليس من السهل علينا في هذا المجال الضيق أن نستعرض محتويات هذا الكتاب الواسع الكبير؛ بل لو أننا افترضنا فرضاً إمكان المحال؛ لأحسنا بعدم الحاجة إلى ذلك، لأن مثل هذا العرض يستطيع أن يظفر به القراء الأوروبيون في الترجمة الرائعة التي أخرجها الأستاذ «شيفر» لهذا الكتاب. يضاف إلى ذلك أن الاطلاع يجب أن تنتج في هذا الموضوع أيضاً إلى مقالة قيمة كتبها الأستاذ «نولدكه» بجامعة ستراسبورج في الجزء السادس و الأربعين (ص ٧٦١-٧٦٨) من «مجلة المستشرقين الألمان» الصادرة في سنة ١٨٩٢ م.

[فصول هذا الكتاب]

و قد خصص «نظام الملك» سبعة فصول من كتابه (من الفصل ٤١ إلى ٤٧).

صفحة ١٣٨ - ٢٠٥) لمحاربة الملاحدة و المظنون في دينهم و خاصة فريق «الإسماعيلية و الباطنية». و هو يشكو من الشكوى (في صحيفة ١٣٩) من أن اليهود و المسيحيين و المجوس

(١) المترجم: هذا هو نص هذه العبارة الأخيرة بالفارسية «اگر بنده را باز آمدن نباشد ازین سفر این دفتر را پیش خداوند عالم برد ..».

(٢) انظر ما كتبه الناشر الفارسي في نهاية فهرس الموضوعات بالصحيفة الخامسة من الأصل.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٦٢

و القرامطة يوظفون بكثرة في أعمال الدولة و الديوان، ثم يثنى على الخطبة الصالحة التي أتبعها «ألب أرسلان» أثناء حكمه في منع هؤلاء من تولي هذه الوظائف و معاملتهم بشدة و غلظة بالغتين. ثم يأخذ في «مهاجمة مذهب الشيعة» على العموم و مذهب «السبعية» على الخصوص، و يجتهد في البرهنة على أن مذاهبهم مشتقة في أساسها من مذهب المتنبى الاشرافي «مزدك» الذي أمر بإعدامه الملك الساساني «انو شيروان» في القرن السادس الميلادي «١»، ثم يورد فصلاً مطولاً عن مزدك (ص ١٦٦-١٨١) يبين فيه أنه بعد القضاء عليه و على أتباعه انبعث مذهب من جديد على يد «الخرميه» المعروفين باسم «خرمدينان» «٢» ثم على يد «سباد المجوسي» «٣» ثم على يد «عبد الله بن ميمون القنداح» «٤» الذي إليه يرجع الفضل في تقوية مذهب الإسماعيلية، و الذي إليه ينتسب خلفاء مصر الفاطميون أو العلويون كما يقول خصومهم. و يشتمل هذا الجزء من الكتاب - فيما عدا ذلك - على مقال بين فيه الكاتب مدى الشهور التي تنشأ من تدخل النساء في شؤون الدولة و الحكومة، و كذلك على بيان الصفات التقليدية التي يشترط وجودها في الوزير العظيم. و به أيضاً كثير من الأخبار عن مدى النشاط الذي قام به دعاة الإسماعيلية في أيام السامانيين و على الخصوص أثناء علو شأنهم على أيام الأمير التميمي «نصر بن أحمد» (٣٠١-٣٣١ هـ - ٩١٣-٩٤٢ م)، و لم يذكر هذا الكتاب إلا القليل الأمل عن «الدعوة الجديدة» و لم يشير أية إشارة صريحة عن منشئها «الحسن بن الصباح» و لكنه مع ذلك يشتمل على أخبار هامة عن ازدياد نفوذ «الباطنية» و هي أخبار كثيرة متعددة تقطع بغير شك بأن هذا الجزء من الكتاب إنما خصصه كاتبه لمهاجمة «الحسن بن الصباح» و أتباعه كما يبدو واضحاً

من العبارات الأولى من المقال الثالث والأربعين «٥» حيث يقول في افتتاحه ما يلي:

(١) فصلنا الحديث عن «مزدك» في الجزء الأول من هذا الكتاب ص ١٦٦-١٧٢ (من الأصل).

(٢) انظر ما ورد عنهم في الجزء الأول من هذا الكتاب (ص ٣١٢-٣١٣، ٣٢٣ وما يتبعها).

(٣) انظر نفس المرجع ص ٣١٣-٣١٤ (من الأصل).

(٤) انظر نفس المرجع ص ٣٩٣-٣٩٨ (من الأصل).

(٥) المترجم: رقم هذا المقال في الحقيقة هو ٤٤ لأن الطابع جعل المقالين ٤١ و ٤٢ برقم واحد هو ٤١. وبذلك أصبح كل مقال ينقص واحدا، وقد تداركت الترجمة الفرنسية هذا السهو وأعطته رقمه الصحيح؛ وهو في الأصل الفارسي موجود في صفحة ١٦٤ من طبعة «شيفر» بباريس سنة ١٨٩١.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٦٣

«مقال في بيان أحوال أصحاب المذاهب السنية» أعداء الملك والإسلام «أريد أن أذكر في هذا الصدد جملة فصول في معنى خروج الخوارج» «حتى يعلم الناس مقدار الشفقة والعطف اللذين أبديتهما للدولة السلجوقية» «و مقدار الحب والشفقة اللذين أحس بهما نحوها، وعلى الخصوص» «ما أحسه من حب بالغ لمليكيها سيد العالم خلد الله ملكه، وما» «أكنه من إخلاص سايب لأولاده وأسرتها؛ وفي الله أيامه من عين» «السوء و شر الحاسدين ..!!!»

«وجد الخوارج في جميع الأزمنة والعصور؛ وقد خرجوا منذ عهد آدم» «عليه السلام حتى الآن، في جميع أقاليم الدنيا، وثاروا على الملوك

«و الأنبياء، ومع ذلك فما من جماعة أكثر شؤما ولؤما وأسوأ مذهباً» «و دنياً، وأردأ عملاً ونهجا من هؤلاء القوم .. فليكن معلوما أنهم» «يدبرون من وراء أسوارهم نكبة هذه المملكة، وإفساد مذهبها» «و دنيتها، فما تزال آذانهم تنسقط الأبناء و عيونهم تبرص الفرس حتى» «إذا أصابت هذه الدولة الفاهرة- ثبها الله تعالى- مصيبة جديدة أو» «نزل بها سوء و العياذ بالله، خرج هؤلاء الكلاب من مكانهم لنشر» «الدعوة الشيعية .. و هم في الحقيقة أقوى شأنا من الرافضية و الخرمية» «لا يدعون وسيلة ممكنة دون أن يلجأوا إليها، فيجتهدون اجتهدا في» «إفساد العقول و نشر الشائعات و البدع .. و هم يدعون قولاً أنهم مسلمون» «و لكنهم يأتون أفعال الكفرة؛ و باطنهم لعنهم الله بخلاف ظاهرهم، و قولهم» «بخلاف عملهم، و ليس لدين محمد المصطفى صلى الله عليه و سلم عدو أشأم و لا، أنكد منهم، و ليس لدولة الملك خصم ألد و أشد منهم؛ و ينضوي تحت علمهم» «اليوم جميع الأشخاص الذين لا قوة لهم الآن في شئون الدولة، و يدعون» «ظاهراً أنهم شيعيون و هم في الحقيقة يهينون أمورهم في الخفاء، و يزدادون» «قوة و نفوذا، و يجتهدون في نشر دعوتهم و يسعون لدى ملك العالم لكي»

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٦٤

«يقنعوه بأن يهدم بيت «بنى العباس» .. و لو تهيأ لي أن أكشف الغطاء» «عن الوعاء فما أكثر ما يتكشفت من خباياهم و مخازيهم ..!!!» «و لكن من أسف أن ملك العالم استطاع أن يبني بعض الأموال من وراء» «بعض حركاتهم، و من أجل ذلك فهو يريد بسبب الأموال الكثيرة (التوفيرات)» «التي جناها أن يشرع في عمل يرضيهم، و قد استطاعوا أن يفرسوا في نفسه» «حب المال و الحرص عليه و اهتموني لديه بأني مغرض استهدف صالحى» «بحيث أصبح نصحي له غير مقبول و لا ممكن، و لن يعلم مقدار فسادهم» «و مكرهم إلا بعد ما أكون قد رحلت عن هذا العالم ..!!! عند ذلك فقط» «يستطيع أن يتحقق من مدى حبي لدولته الفاهرة، و أنني لم أكن غافلاً عن» «أحوال هذه الطائفة و خططهم التي دبروها، و أنني كنت في جميع الأوقات» «أعرضها على رأيه العالى [أعلاه الله] و لا أخفيها عنه، و لكنى لم أحاول إعادتها» «على مسامحة و الإصرار على تكرارها أمامه لأنى رأيت أن أقوالى لم تظفر» «لديه بالحظوة و القبول ..» و الإشارة التي يشير إليها «نظام الملك» في هذه الفقرة الأخيرة تتفق تماما مع ما جاء في الورقة «١٤-١» من النسخة الخطية لكتاب «راحة الصدور» «١» حيث يضح المؤلف بالشكوى من أن هؤلاء الملاحدة يكترون في أنحاء البلاد و هم السبب فيما تقاسم من ضيق و عناء و ما تحمله من الضرائب الكثيرة المفروضة. و هو يحتج على ذلك أشد الاحتجاج و يقول إن كثرة من هؤلاء الملاحدة يوجدون في «قم» و «كاشان» و «الري» و «آب» و «فراهان» و هم يرقون إلى شغل المناصب العامة بعدما يعدون الملك أن يهينوا له «التوفيرات» الكثيرة من المال «٢». و هي عبارة يسترون بها الضرائب الباهظة التي يفرضونها على الناس. و هنا نجد بعض الدليل على صحة الواقعة التي نستطيع أن نسميها بالقصة القديمة المتناقلة عن المشاحة التي وقعت

(١) المترجم: طبع هذا الكتاب ضمن سلسلة جب التذكارية و قام على نشره الأستاذ إقبال.

(٢) المترجم: نلاحظ أن كلمة «التوفيرات» هي نفس الكلمة التي استعملها نظام الملك.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٦٥

بين «نظام الملك» و «الحسن بن الصباح» و كيف أن الأخير منهما أراد أن يوجه إليه أنظار الملك فأخذ يطعن في النظم المالية التي يتبعها وزيره «نظام الملك» «١».

[الأخطاء التاريخية في هذا الكتاب]

و لا بد لي- و قد فرغت من إبداء ملاحظاتي المقتضبة على هذا الكتاب الثمين الممتع- أن أعترف بأني في محاضراتي لم أجد بين الكتب الفارسية المنثورة ما هو أمتع و أنفع لنفسي و لمن أستمع لي من هذا الكتاب، و مع ذلك فيجب الإشارة بأنه يجب التحرز من قبول أخباره التاريخية على علاقتها؛ و يجب التنبيه إلى أنه تكثر به الأغلط أيضاً، فمثلا في صفحة ١٢ من النص الفارسي يروي المؤلف أن «يعقوب بن الليث» هدد الخليفة «المعتمد على الله» بأنه سيحضر الخليفة الفاطمي من «المهديّة» و يجلسه مكانه، و المعروف أن الخليفة «المعتمد» حكم في سنة ٢٥٧- ٢٧٠ م و ٨٧٠- ٨٩٢ م و أن مدينة المهديّة لم تبن إلا في سنة ٢٩٨ م- ٩١٠ م (على أقل تقدير) أو ربما بعد ذلك بعشر سنوات على القول الأرجح.

و أمثال هذه الأخطاء كثيرة في الكتاب، و على الخصوص فيما يتعلق بالملاحدة؛ فالظاهر أن المؤلف قد شغل نفسه بهم حتى استطاع أن يتنبأ بنهايته على أيديهم و حتى أنساه ذلك كل ما يتصل بالتحقيق و التدقيق في رواية الأخبار التاريخية عنهم. و من الجائز المتوقع أن مطاعنه الكثيرة التي كالتها لمذاهبهم و أعمالهم و أغراضهم كانت أكبر العوامل التي دفعتمهم إلى قتله و القضاء عليه.

ناصر خسرو:

[الحكايات حول شخصه]

أشرت في الفصل السابق إشارة مختصرة إلى رجل من أعلام هذه الفترة هو «ناصر خسرو» الشاعر الرحالة، وأحد دعاة الإسماعيلية المعروفين؛ وقد آن الأوان الآن لأن نمضي في دراسة آثاره الأدبية. ومن الخير أن نذكر أن كثيرا من الخرافات والأقاصيص قد نسجت حول شخصه، وجميعها مستمدة من السيرة الزائفة التي قيل إنه وضعها عن نفسه، وهي السيرة التي توجد في مقدمة ديوانه طبع تبريز.

(١) هذه القصة موجودة في كتاب «تاريخ كزيبه» لحمد الله مستوفي ص ٤٤٠ طبع لندن سنة ١٩١٠، وكذلك ص ٢٠٨-٢١١ من الجزء الأول من طبعة Jules Gantin

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٦٦

وهي برمتها عبارة عن نسج واه من الخرافات والأوهام، اختلطت به بعض الأخبار المتعلقة بغيره من مشاهير الرجال، ثم انتهت بحكاية نسبها إلى شقيق «ناصر» وروها على لسانه، تذكر أن «ناصر» قد مات في الأربعين بعد المائة من عمره وأن الجن قد تولت حمل جنازته ودفنه...! وقد ذكر «إتيه» «١» أن هذه السيرة وردت في ثلاث روايات، أطولها وأكثرها تفصيلا هي تلك التي أوردتها «تقي الكاشي» في كتابه «خلاصة الأشعار» وأقصرها هي المذكورة في الكتابين «هفت إقليم» و«ال سفينه»، أما تلك التي ذكرها «الطفعلبي بيك» في كتابه «آتشكده» فهي متوسطة الطول والتفاصيل، وقد ترجم هذه الرواية الأخيرة «ن. بلاند» في المجلد السابع من «مجلة الجمعية الملكية الآسيوية» ص ٣٦٠ وما يليها. وأورد «شيفر» خلاصة هذه الرواية (بعد ما حذف منها الخوارق التي لا يقبلها العقل) في المقدمة التي قدم بها كتاب «سفرنامه» حينما نشره ونشر ترجمته الفرنسية (ص ٨-١٧ من المقدمة). ويغلب على الظن أن هذه الرواية- كما يفترض «إتيه»- ما هي إلا من نتاج القرن التاسع أو العاشر الهجري (أي الخامس عشر أو السادس عشر الميلادي) ذلك لأن أول كتاب ذكرها فيما نعلم هو كتاب «هفت إقليم» وهو كتاب من تواليف سنة ١٠٠٢هـ-١٥٩٣-١٥٩٤ م.

ومع ذلك فمن المعلوم أن كثيرا من الخرافات قد حيكت حول «ناصر خسرو» قبل ذلك التاريخ، ويمكننا التحقق من ذلك بالاطلاع على المقال «٢» الذي تضمنه كتاب «الفرزويني» المعروف ب «آثار البلاد» وهو كتاب جغرافي تم تأليفه في سنة ٦٧٥هـ-١٢٠٦ م فقد ذكر الكتاب أن «ناصر» كان ملكا على مدينة «بلخ» فخلعه رعاياه وطرده، فلبأ إلى مدينة «بمگان» وأخذ في تزيينها، وأقامه الحمامات الجميلة فيها وإنشاء الحدائق الغناء بها، ونصب التماثيل الرائعة في أرجائها، وكانت هذه التماثيل مطلسمه توحى بالبروعة والخوف، لا يستطيع أحد أن يطيل النظر فيها دون أن يفقد رشده وصابه. وقد وصف «الفرزويني» هذه الحمامات في كثير من التفصيل وقال إنها ما زالت قائمة حتى زمانه...!!!

(١) انظر مقاله الممتع عن كتاب «روشناني نامه» في المجلد ٣٣ من «مجلة المستشرقين الألمان» سنة ١٨٧٩ ص ٦٤٥-٦٤٦.

(٢) انظر ص ٣٢٨ من هذا الكتاب تحت مادة «بمگان».

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٦٧

و إليك الآن مثلا لحادثة رائعة تضمنتها هذه السيرة الزائفة، وهي برمتها مذكورة في مخطوطة يرجع تاريخها إلى سنة ٧١٤هـ-١٣١٤م موجودة في «مكتبة إدارة الهند» «١» و خلاصتها ما يلي:

«وبعد عناء طويل وصلنا إلى مدينة نيسابور. وكان في صحبتنا واحد من «تلاميذى له خبرة في الطب والحكمة. ولم يكن أحد يعرفنا في هذه المدينة» فلجانا إلى مسجد من المساجد لتقيم فيه. ولما سرت في أرجاء المدينة كنت «أسمع الناس يسبونني أمام أبواب المساجد التي مررت عليها، ويتهمونني بأنني «كافر ملحد، ولم يكن تلميذي ليعلم شيئا عن آراء الناس في. وذات يوم» بينما كنت أجتاز السوق عرفني رجل من مصر فالتفت إلي وقال: «أنت ناصر خسرو...؟! وأليس هذا أخاك أبا سعيد...؟! فخشيت افضاح «أمري، وأمسكت على يده بشدة وشغلته بالحديث، ثم أخذته إلى حيث «أقيم وعرضت عليه أن يأخذ ثلاثين ألف مثقال من الذهب على ألا يفصح» «أمري أو يكشف سرى. فلما قبل رجائي أعددت له المبلغ وناولته إياه وأخرجته» «من مسكني. ثم خرجت إلى السوق في صحبة «أبي سعيد» وتوقفت لدى «إسكافي ليصلح لي نعلي حتى أستطيع الرحيل عن هذه المدينة. فجاؤ «سمعت» «صياحا وصخبا إلى جوارى، وهب الإسكافي من مكانه وهرع إلى مكان» «الصخب ليستطلع الأمر ثم عاد إلى بعد برهه وجيزه وعلى مخرازه قطعة من «اللحم الأدمي. فسألته عن سبب هذه الجلبة، وما هذه القطعة من اللحم الذي «يرفعها على مخرازه...؟! فأجبتني بأن واحدا من أتباع «ناصر خسرو» قد ظهر» «في المدينة وأخذ يناقش علماءها في المسائل الدينية فلم يتقبلوا آراءه مستدين» «في معارضتها على الكتب المعتمدة والمصادر الموثوق بها، فأخذ يجادلهم فيما»

(١) هذه المخطوطة تتعلق بمختارات من دواوين سنة من شعراء الفرس، وهي برقم ١٣٢ وقد أخذنا عنها الصورة المنشورة في مطلع هذا الكتاب. أما الحكاية التي أنقلها هنا فهي ترجمة لما ورد في الديوان طبع تبريز ص ٦-٧ وقد سبق لي نشرها في كتاب «سنة بين الفرس» ص ٤٧٩-٤٨٠

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٦٨

«يقولون ويذكر لهم آياتنا من أشعار ناصر خسرو، فأمر العلماء بتمزيقه» «إربا إربا فلما فعلوا ذلك أخذت يدورى قطعة من لحمه لتناثلي بعض المثوبة» «وحسن الجزاء... فلما علمت بما وقع لتلميذي لم أستطع أن أملك نفسي» «وقلت للإسكافي: أسرع وأعطني نعلي، فما عاد لئلي أن يبقى في هذه المدينة» «التي يتشدون فيها أشعار ناصر خسرو...؟! فلما أخذت نعلي أسرع بالخروج» «أنا وشقيقي من مدينة نيسابور..»

وهناك رواية خرافية أخرى مذكورة في هذه السيرة الزائفة، تمثل لنا ناصرا وقد هرب من مصر إلى بغداد، وكيف أن الخليفة العباسي «القادر بالله» نصبه وزيرا له ثم أرسله في بعثة إلى ملاحدة «كيلان» من الحشاشين فلما تعرفوا عليه وتبينوا أنه الحكيم الذي طالما أعجبوا بآرائه، أكرموا وفادته واحتجزوه لديهم ولم يسمحوا له بمغادرتهم، فلما ضاق به الأمر وأراد الخلاص، قتل شيخهم بتعاوذه السحرية ثم خرج هاربا وتبعه فريق من الجيش فسلط عليهم المريخ فقتلهم عن آخرهم...!!! ولست أدري أي الأمرين أدعى إلى العجب في هذه الرواية..؟! أهي الخوارق التي اشتملت عليها... أم هذه الأغاليط التاريخية الواضحة التي تضمنتها...؟! فقد مات الخليفة القادر في سنة ٤٢٣هـ-١٠٣١ م ولم يبق للحشاشين قائمة في «كيلان» إلا في سنة ٤٨٣هـ-١٠٩٠ م. ويبدو لي أن جزءا من هذه القصة الخرافية قد نسبها خطأ إلى «ناصر خسرو» بينما هي في الحقيقة متصلة بحياة حكيم آخر متأخر عنه هو «نصير الدين الطوسي» الفيلسوف المعروف الذي أهدى كتابه «أخلاق ناصري» إلى حاكم «قستان» الإسماعيلي المسمى «ناصر الدين عبد الرحيم بن أبي منصور».. ولا شك أن تشابه الأسماء وما اقترن به من جهل الكاتب بعلاقة «ناصر خسرو» بالإسماعيلية، كل ذلك قد أدى بجامع هذه السيرة الزائفة إلى أن ينسب إلى «ناصر خسرو» أنه هو الذي كتب تفسيرا للقرآن يتفق مع آراء جماعته الإلحادية، فكان هذا

العمل الخاسر الذي قام به سببا في النكبة التي حدثت له في نيسابور، و هي النكبة التي ذكرناها آنفا. تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٦٩

آثار ناصر خسرو

فإذا فرغنا من هذه السيرة الزائفة، وجب علينا أن نمضي قدما إلى دراسة آثاره الصحيحة و هي عبارة عن:

- ١- «سفرنامه» أو كتاب رحلاته التي قام بها، وقد نشره و ترجمه المستشرق «شيفر» في باريس سنة ١٨٨١ م
 - ٢- «الديوان»: و هو مجموعة ما قال من أشعار، و هو مطبوع على الحجر في تبريز سنة ١٢٨٠ هـ - ١٨٦٤ م «١»
 - ٣- «روشنائي نامه» أو كتاب الضياء ... و قد نشره «آيته» و ترجمه و علق عليه في «مجلة المستشرقين الألمان» سنة ١٨٧٩ - ١٨٨٠ م جزء ٣٣ ص ٦٤٥ - ٦٦٥ و جزء ٣٤ ص ٤٢٨ - ٤٦٨ و كذلك ص ٦١٧ - ٦٤٢
 - ٤- «سعادتنامه»: أو كتاب السعادة و قد نشره «فانيان» في جزء ٣٤ من «مجلة المستشرقين الألمان» ص ٦٤٣ - ٦٠٤
 - ٥- «زاد المسافرين» و هذا الكتاب محفوظ لنا في نسخته الخطية «٢» التي كان يمتلكها «شيفر» و التي انتقلت الآن إلى «المكتبة الأهلية» بباريس
- و سأبدأ الحديث عن هذه الكتب بكتاب «سفرنامه» لأنه يشتمل على أدق التفاصيل التي يمكن أن نصوغ منها صورة صحيحة لحياة هذا الشاعر «٣»

كتاب سفرنامه

هذا الكتاب شبيه بكتاب «سياست نامه» مكتوب بلغة سهلة خالية من الصنعة

- (١) المترجم: طبع هذا الديوان اخير في طهران سنة ١٣٠٤ - ١٣٠٧ الهجرية الشمسية
- (٢) المترجم: طبع هذا الكتاب أخيرا في برلين سنة ١٣٤١ هـ
- (٣) المترجم: طبع أخيرا في القاهرة كتابان من الكتب المنسوبة إلى ناصر خسرو، هما: «خوان الاخوان» و «شش فصل» كما ترجم «سفرنامه» إلى العربية.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٧٠

و المحسنات. و يذكر مؤلفه أن اسمه الكامل هو «أبو معين الدين ناصر خسرو القبادياني المروزي» «١» و يقول إنه كان يشتغل في خراسان مدة من الزمن بأعمال الإنشاء و جباية الأموال أيام «جغري بيگ داود السلجوقي».

و في خريف سنة ٤٣٧ هـ - ١٠٤٥ م رأى في منامه رجلا يحذره من شرب الخمر فأقلع عنها، و كان من قبل شغوقا بها يرى «أنها الوسيلة الوحيدة التي يستطيع بها أن ينسى هموم الدنيا و متاع الحياة» ثم عزم على الحج إلى مكة، و كان عمره إذ ذاك يقرب من الأربعين، فاغتسل و تطهر و ذهب إلى جامع «جزجانان» حيث كان يقيم في ذلك الوقت، و دعا الله أن يتقبل توبته، و أن يعينه على ترك المعاصي و السيئات، ثم خرج في رحلته في يوم الخميس السادس من جماد الآخر سنة ٤٣٧ هـ - ١٩ ديسمبر سنة ١٠٤٥ م فتوجه بطريق «شبورغان» إلى مدينة «مرو» و طلب إعفاءه من العمل الذي كان يتولاه؛ ثم سار إلى مدينة «نيسابور» و خرج منها و في رفقة السيد «الموفق» «٢» فزار الشيخ الصوفي «بايزيد البسطامي» في مدينة «قومس». ثم خرج منها مارا بمدينة «دامغان» حتى وصل إلى مدينة «سمنان» فتعرف هناك على شاب اسمه «الأستاذ علي النسائي» من تلاميذ «أبي علي سينا» كان يحاضر الطلاب في الحساب و الهندسة و الطب، و لكنه أساء الرأي فيه و في علمه على ما يظهر، ثم اجتاز مدينة «قزوين» و وصل إلى تبريز في يوم ٢٠ صفر سنة ٤٣٨ هـ - ٢٦ أغسطس سنة ١٠٤٦ م و هناك تعرف بالشاعر «قطران» و فسر له جملة مقطوعات صعبة من أشعار الشاعرين «الدقيقي» و «منجيك» ثم خرج من تبريز إلى «وان» ثم «أخلاق» ثم «بطليس» ثم «أرزن» ثم «ميافارقين» ثم «آمد» و منها إلى «حلب» ثم إلى «معرفة النعمان» حيث تلاقى بالشاعر العربي الفيلسوف «أبي العلاء المعري» و قد ذكره في رحلته فأطراه و أثنى عليه و على أخلاقه و فضائله ثناء جميلا.

ثم خرج من «معرفة النعمان» إلى مدينة «حماء» ثم إلى «طرابلس» ثم إلى «بيروت»

- (١) المترجم: نسبة إلى مدينتي «مرو» و «قباديان» و الأخيرة منهما مدينة و ولاية بالقرب من ترمذ على نهر جيحون.
- (٢) هو في الغالب نفس الشخص الذي تصادفه في قصة عمر الخيام حيث ذكر أنه أساذ الرفاق الثلاثة: الخيام و نظام الملك و الحسن الصباح.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٧١

ثم إلى «صيدا» ثم إلى «صور» ثم إلى «عكا» ثم إلى «حيفا». و بقي في الشام فترة تمكن فيها من زيارة الأراضي المقدسة و قبور الأنبياء و بيت المقدس و بيت لحم ثم استطاع الوصول إلى مكة و تأدية فريضة الحج للمرة الأولى في ربيع سنة ٤٣٩ هـ - ١٠٤٧ م. ثم عاد من مكة إلى «دمشق» ثم إلى «بيت المقدس» و عزم على أن يغادرها إلى «مصر» بطريق البحر و لكن الريح لم تساعده على السفر بحرا فسار إليها برا و وصل في النهاية إلى القاهرة في يوم الأحد السابع من شهر صفر سنة ٤٣٩ هـ - الثالث من شهر أغسطس سنة ١٠٤٧ م

ناصر خسرو في مصر

و بقي «ناصر خسرو» في مصر مدة سنتين أو ثلاث سنوات؛ و هذه فترة هامة من فترات حياته، لأنه استطاع أن يتحقق فيها من عظمة الخليفة الفاطمي «المستنصر بالله» و ما اتصف به من عدل و إدارة حكيمه متزنة؛ و لأنه كان في مصر انضمامه إلى الإسماعيلية و تبجيره في مذاهبهم الباطنية بحيث انتدبه ليكون داعيهم و حجنتهم في خراسان.

و هو في كتابه «سفرنامه» متحفظ فيما يختص بالمسائل الدينية، لأنه فيما يبدو قد كتبه للعامه و لم يشأ أن يفيض لهم في هذه الأمور، و مع ذلك يبدو لنا في وضوح من نبذتين وردتا به (ص ٤٠ و ص ٤٢) أنه لا يشك مطلقا في صحة نسب الفاطميين و أنه شديد التحمس لهم، لما امتازوا به من إدارة بارعة و ثروة طائلة و ما ضمنوه لرعاياهم من سعادة سابعة و أمن شامل.

وصف القاهرة في كتاب سفرنامه

و قد أجاد وصف القاهرة و جوامعها (بما في ذلك الجامع الأزهر) و حاراتها العشرة و حدائقها و مبانيها و ضواحيها إجابة تبلغ حد الإعجاب. فأما الأخبار التي رواها عن الإدارة الفاطمية للبلاد فهي بالغة الأهمية و القيمة التاريخية. و الظاهر أنه أعجب كل الإعجاب بنظام الجيش و ترتيبه، و كيف أن رواتب الجند تدفع إليهم بانتظام مما اقتضى إحساس الأهليين بالطمأنينة إلى سلامة أموالهم من غارة

الجدد وعدوانهم.

وقد بلغ عدد الجيش ٢١٥,٠٠٠ جنديا موزعين كالآتي:

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٧٢
الفرسان:

٢٠,٠٠٠ قيرواني ... وهم من القيروان

١٥,٠٠٠ باطلي ... وهم رجال من المغرب (شمال أفريقيا الغربي)

٥٠,٠٠٠ بدوي ... من الحجاز

٣٠,٠٠٠ من الماجورين، البيض و السود.

المشاة:

٢٠,٠٠٠ من المصامدة السود (من شمال أفريقيا الغربي)

١٠,٠٠٠ من المشاركة وهم ترك و عجم

٣٠,٠٠٠ عبيد الشراء

١٠,٠٠٠ من حراس القصر يسمون ب «السرائين» و لهم قائد خاص

٣٠,٠٠٠ من الزنوج و الأحباش

٢١٥,٠٠٠ جملة الجيش

و لقد أدهشه مقدار الثراء الذي تزخر به الأسواق، و هو يقول: إن الأمن بلغ حدا كبيرا بحيث لم ير التجار حاجة إلى إغلاق أبواب حوانيتهم و مخازنهم. و فيما يلي فحوى عبارته «١».

«و بينما كنت هناك في سنة تسع و ثلاثين و اربعمائة هجرية (١٠٤٧-١٠٤٨ م)» «رزق السلطان بولد، فأمر الناس بإقامة الأفراح العامة، فأسرعوا إلى تزيين «المدينة و الأسواق زينة رائعة، لو أخذت في وصفها لما صدقني بعض الناس» «و لما اعتمدوا قولي، فقد امتلأت حوانيت البزازين و الصرافين و غيرهم» «بالذهب و الجواهر و النقود و البضائع و الملابس الموشاة بالذهب و القصب بحيث» لم يعد فيها متسع لمن شاء الجلوس. و جميع الناس يحسون بالأمن و السلامة» «في ربوع السلطان، لا يخشى أحد منهم و قبة الجواسيس و الغمازين لأنهم» «يثقون أن السلطان لا يظلم أحدا و لا يطمع في مال أحد»
«و لقد شاهدت أموالا يملكها بعض الناس، لو أنني أخذت في التحدث عنها» «أو وصفها لما صدقني رجال العجم و لأنكروا روايتي، لأنني أنا شخصيا لم أستطع»

(١) انظر ص ٥٣ من سفرنامه طبع «شيفر» بباريس سنة ١٨٨١.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٧٣

«أن أعدها أو أحصيتها. و أما الرهاية التي لاحظتها هناك فلم أشاهد مثلها» «في أي مكان آخر. فلقد رأيت هناك نصرايا من أثرياء مصر، قالوا إن» «سفته و أمواله و أملاكه لا يمكن عدها أو حصرها. و حدث في سنة من» «السنين أن النيل لم يفيض إلى درجة الوفاء بالحاجة و اشتد غلاء الغلال» «فاستدعى الوزير هذا النصراني و قال له: إن هذه السنة عجفاء و ليست من» «سني الرخاء، و إن السلطان ليحس بالهم في قرارة قلبه إشفاقا على الرعية»، «فما مقدار ما تستطيع أن تعطيه من الغلال و تقتضى ثمنه نقدا أو قرضا ... فأجاب النصراني: أسعد الله السلطان و الوزير، إن لدى من الغلال» «الحاضرة ما أستطيع أن أطعم به مصر ست سنوات كاملة ...!! و ليس هناك» «من شك في أن أهل مصر في ذلك الوقت كانوا كثيرين بحيث أن سكان» «نيسابور كانوا لا يبلغون خمسمه مئمة بالغنا و أسرفنا في التقدير. و ليس هناك» «من شك أيضا في أن كل خبير بالأرقام يستطيع أن يدرك مدى الأملاك التي» «يبنى أن يملكها شخص من الأشخاص حتى تبلغ غلاله هذا الحد و المقدار...؟!»
«و كيف كانت الرعية آمنة و السلطان عادلا حتى تيسرت مثل هذه الأحوال» «و الأموال في أيامهم ...؟! فلا السلطان يجور على أحد أو يظلمه، و لا الرعية» «تخفي شيئا أو تكتمه».

و قد استغرقت رحلة «ناصر خسرو» منذ خروجه من موطنه إلى وقت رجوعه سبع سنوات كاملة؛ فقد ابتدأت في يوم الخميس السادس من جمادى الآخر سنة ٤٣٧ هـ و انتهت في يوم السبت السادس و العشرين من جمادى الآخر سنة ٤٤٤ هـ (أي من ١٩ ديسمبر سنة ١٠٤٥ م إلى ٢٣ أكتوبر سنة ١٠٥٢ م) و قد تمكن في خلال هذه المدة من أداء فريضة الحج خمس مرات، عاد بعدها في النهاية من الحجاز إلى موطنه الأصلي، مارا بتهامة و اليمن و الإحساء و القطيف فالبصرة، و أقام بالبصرة ما يقرب من شهرين ثم غادرها إلى مرو، مارا ب «أرجان» و «إصفهان» و «نائين» و «طيس» و «تون» و «سرخس».

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٧٤

ديوان ناصر خسرو:

[مقدمة في اشتراك الاسم]

و الآن يجب علينا أن نترك كتاب «سفرنامه» و أن نتنقل إلى دراسة «الديوان»؛ و لكن من الضروري لنا قبل أن نقدم على ذلك، أن نشير إلى نظرية دافع عنها العالم الكبير المرحوم الدكتور «ريو» «١» و كذلك العلامة «برتش» «٢» و «فانان» «٣»؛ ولكنها أصبحت بعد ظهور الأبحاث الجديدة التي قام بها على الأخص «شيفر» و «إتبه» «٤» و «أجبة الترك» و مقتضى هذه النظرية أنه كان يوجد شخصان متمايزان يسمى كل منهما باسم «ناصر خسرو» و يكتب ب «أبي معين»؛ فأما أحدهما فشاعر سافر فيلسوف؛ و أما الآخر فرحالة جواله. و يورد الدكتور «ريو» هذه النظرية في وضوح تام فيقول:

«إن أمورا قليلة تكشف لنا أننا نواجه في دراستنا شخصين متمايزين. فأما الحكيم» «ناصر كما كان يسمى الشاعر فقد ولد في إصفهان و وصل نسبه بالإمام «علي» «ابن موسى الرضا» و اشتهر بكونه شاعرا قبلما يتم تأليف هذا الكتاب (أي) «سفرنامه» و قبلما تتم المنظومة المعروفة باسم «روشناني نامه» المؤرخه بتاريخ «٤٢٠ هـ (انظر «پرستش» فهرست الكتب بمكتبة جوتا ص ١٣، أما التاريخ» الذي ذكرته نسخة ليدن على أنه سنة ٣٤٣ هـ فيخاطب في أغلب الظن. انظر «الفهرست ج ٢ ص ١٠٨). أما ناصر الرحالة مؤلف «سفرنامه» فعلى العكس» «من ذلك يذكر لنفسه نسبتين: إحداهما تشير إلى قبايدان و هي بلدة بالقرب من» «بلخ حيث كان مولده، و الأخرى تشير إلى مرو حيث كان مستقره و هو لا يدعي» «مطلقا أنه ينتسب إلى أصل عظيم أو أنه حاز شيئا من الشهرة إلا ما كان»

(١) انظر فهرست الكتب الفارسية ص ٣٧٩-٣٨١.

(٢) انظر فهرست الكتب الفارسية في برلين ص ٧٤١-٧٤٢.

(٣) انظر «مجلة المستشرقين الألمان» مجلد ٣٤ سنة ١٨٨٠ ص ٦٤٣-٦٧٤ وكذلك «المجلة الآسيوية» المجموعة الثانية مجلد ١٣ سنة ١٨٧٩ ص ١٦٤-١٦٨.

(٤) انظر كذلك ملاحظاتي التي أبدأها في مقال المنشور بمجلة الجمعية الملكية الآسيوية سنة ١٨٩٩ ص ٤١٦-٤٢٠.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٧٥

«من أمر اشتهاره بالصيرفة والأعمال المالية. أضف إلى ذلك أن الحكيم» ناصر ولد في سنة ٣٥٨ هـ كما يقول كتاب «حبيب السير» (طبعة بمبای) «المجلد ٢ جزء ٤ ص ٦٧» أو في سنة ٣٥٩ هـ كما هو مذكور في كتاب «ديستان» «بينما يذكر الرحالة مؤلف «سفرنامه» في إحدى عباراته ما يفيد أنه «بلغ الأربعين من العمر في سنة ٤٣٧ هـ».

وهناك مشاكل أخرى تعترضنا إذا شئنا التثبت من شخصية الشاعر والرحالة، ومنتوها جميعا يرجع إلى الأخطاء التي وقع فيها بعض الكتاب المتأخرين؛ ومن حسن الحظ أنه يمكن التغلب عليها جميعا بمراجعة دقيقة لكتاب «سفرنامه» ولديوان، ومقارنته ما جاء فيهما من أخبار. فإذا فعلنا ذلك وجدنا أن الرحالة كان فيما يظهر يسمى بالحكيم، لأن الهاتف الذي ناداه في المنام قال له في معرض الرد على دفاعه عن نفسه لاحتساء الخمر: «أن الراحة لا تكون بفقد العقل والصواب، ولا يمكن أن يقال لشخص إنه حكيم بينما يقود الناس إلى فقدان الصواب...!!».

أما «دولشاه» الذي اشتهر بأغاليطة فعله وحده تقع تبعه القول بأنه ينتسب إلى «إصفهان» وهو قول ينفيه أساسا هذان البيتان الواردان في الديوان «١»:

گرچه مرا أصل خراسانی استاز پس پیری و مهی و سری

دوستی عترت و خانه رسول کرد مرا یمگی و مازندری و معناهما:

- ولو أنتی أصلا من خراسان، ولكننی بعد ما بلغت المجد والعظمة والسلطان ...

- جعلنی حبی لآل الرسول وعترته انتسب إلى «یمگان» و «مازندران»...!!

(١) انظر الديوان ص ٢٤١.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٧٦

و فيما يتعلق بتاريخ ولادة هذا الشاعر، لدينا تصريحه «١» الوارد في صفحة ١١٠ من الديوان، حيث بقر أنه ولد في سنة ٣٩٤ هـ - ١٠٠٣ م؛ وفي نفس الصحيفة ونفس القصيدة يقول بعد أربعة أبيات إنه بلغ الثانية والأربعين من عمره «حينما أخذت روحه الواعية تبحث عن الحكمة»؛ وفي مكان آخر من صحيفة ٢١٧ يستعمل الأعداد التقريبية فيقول ما قاله في كتاب «سفرنامه» من أنه بلغ الأربعين من عمره حينما تحولت حياته إلى هذه الناحية. وعلى هذا فلا يمكن أن تكون هناك مطابقة تامة في رواية الأخبار أكثر مما هو مشاهد في المطابقة بين في رواية «سفرنامه» وبين ما ورد في «الديوان». فإذا تعمقنا في دراسة هذين الكتابين تبين لنا في وضوح و جلاء أن مؤلفهما واحد. أما ذكر الأربعين فعلى سبيل التقريب لأن هذه السن قد وردت في أمكنة أخرى على أنه بلغ الثانية والأربعين. ولو أنعمنا النظر ودققنا قليلا لتبين لنا أن الشاعر قد بلغ الثالثة والأربعين حينما بدأ رحلاته (٤٣٧-٣٩٤-٤٣ سنة)، وأنه بلغ الخمسين حينما عاد من مصر إلى خراسان، ويبدو أنه قد نظم جميع القصائد التي يشتمل عليها الديوان بعد هذا التاريخ. وفيما عدا ذلك، فبالإضافة إلى الإشارتين اللتين تتعلقان بعمره حينما نحا نحو الحكمة، لدى سبع عشرة مقطوعة ذكر فيها الشاعر عمره وقت كتابتها و بيانها كالآتي:

يذكر أنه بلغ الخمسين في الصفحات ٢٠ و ٢١٩ و ٢٣٠ و ٢٤٣

و يذكر أنه يجاوز الخمسين في صفحة ٨٧

و يذكر أنه بلغ الستين في الصفحات ٢٤ و ٧٩ و ١٠٢ و ١٦٤ و ١٧٣ و ١٧٩ و ١٩٩ و ٢٠٧ و ٢٤٤

و يذكر أنه تجاوز الستين في صفحة ٧٠

و يذكر أنه بلغ الثانية والستين في صفحتي ١٠٦ و ١٧١ تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب النص ٢٧٦ مقدمة في اشتراك الاسم ص: ٢٧٤

(١) المترجم: ورد ذلك في قصيدته التي يقول فيها.

بگذشت ز هجرت پس سیصد و نود و چارنهاد مرا مادر بر مرکز اغبر (انظر ص ١٨٣ من طبعة طهران)

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٧٧

وقد أشار في أمكنة أخرى إلى ازدياد ضعفه وشيخوخته في الصفحة الخامسة؛ والى دنو أجله في الصفحتين السادسة والسابعة، ومع ذلك فليس لدينا من الأخبار ما يقطع بتاريخ وفاته على وجه التحقيق.

دراسة الديوان

ومنذ سنتين تقريبا قرأت الديوان برمته في طبعة تبريز، وهي تشتمل على ٢٧٧ صحيفة، تتضمن وفقا لإحصائي ٧٤٢٥ بيتا من الشعر؛ و كنت أأمل حينئذ أن أكتب مقالا عن هذا الشاعر فأخذت أدون آرائي فيما يتعلق بخصائصه النحوية واللغوية والبلاغية؛ ودونت كذلك إشاراتي إلى الأماكن والأشخاص والحوادث، وسجلت بعض المقطوعات التي يكشف لنا الشاعر فيها عن آرائه الدينية والفلسفية وخصوصا ما يتصل منها بعلاقته بالإسماعيلية والخلفاء الفاطميين، ولكنني لم أجد متسعاً من الوقت لنشر هذه الملاحظات في مكان آخر، فكان لزاماً علي أن أذكرها باختصار في هذا المقام «١».

أما فيما يتعلق بلغته، فالأمر دقيق جداً بحيث لا يمكنني التحدث عنها في استفاضة في هذا الكتاب الذي لم يقصد به المتخصصون في دراسة الفارسية وحدهم؛ ومع ذلك يمكنني أن أقول في إيجاز أن المؤلف - من حيث الخصائص اللغوية والنحوية - استعمل المهجور القديم ممن الألفاظ، وأن أسلوبه يشبه إلى حد كبير أسلوب «التفسير الفارسي القديم القرآن» الذي أطلت الحديث عنه في «مجلة الجمعية الملكية الآسيوية» «٢» في شهر يولييه سنة ١٨٩٤ م (صحيفة ٤١٧-٥٢٤) في مقال حاولت البرهنه فيه على أن هذا التفسير قد كتب في خراسان في زمن السامانيين؛ فكلا الكتابين يشتمل على ما يقرب من أربعين كلمة نادرة الاستعمال أو ذات معان مهجورة، و هما بالإضافة إلى ذلك يشتملان على تعبيرات وصيغ نحوية شاردة.

(١) منذ كتبت هذا المقال نشرت في «مجلة الجمعية الملكية الآسيوية» في سنة ١٩٠٥ ص ٣١٣-٣٢٥ مقالا بعنوان «ناصر خسرو الشاعر

و الرحالة و الداعي» و قد اشتمل هذا المقال على بعض الملاحظات التي ذكرتها و كذلك على بعض الأشعار التي ترجمتها في هذا الفصل

(٢) أنظر ١٨٩٤ ج. R. A. S. July An Old Persian Commentary

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٧٨

أما الأماكن المذكورة في الديوان

فتتضمن «بغداد» و «بلخ» و «مصر» و «جرجان» و «غزنه» و «الهند» و «المدينتين الروميتين «جابلقا» و «جابلسا» و كذلك «خاوران» و «ختلان» و «خراسان» و «مازندران» و «جيحون» و «وادي القيقاق» و «الري» و «السند» و «سجستان» و «سپاهان أو إصفهان» و «شستر» و «لوت» و «طراز» و «تون» و «يمكان» و «زابلستان». و قد أكثر الشاعر من ذكر موطنه «خراسان» (ص ٢٣، ٢٤١) و هي البلاد التي أرسل إليها في أواخر حياته على أنه «حجتها» الإسماعيلي (ص ١٦٩، ١٧٨، ١٨١، ٢٢١، ٢٣٢، ٢٤٧، ٢٥٦). و ذكر أنه كان هناك كسفيته نوح (ص ١٦٩) بين الأنعام (ص ٢٦٦) من أهلها الأشرار (ص ٢٢٥، ٢٣٣، ٢٤١) الذين أساء الحكام حكمهم (ص ٢٤٣). و هو يشير إليها في تحفظ (ص ٤٨، ٤٩) فيصورها بأنها صحراء روحية مألحة (ص ٢٠٣) اضطر إلى الاتزواء و الاختفاء بها (ص ٨٥). و يصادف القارىء بعد ذلك بكثرة اسم مدينة «يمكان» و هي البلدة التي استقر فيها الشاعر في النهاية؛ و يتحدث الشاعر خلال ديوانه عن رحلة قام بها استغرقت خمسة عشر عاما (ص ١٦٧) و عما أحس به من الوحدة و الاغتراب (ص ١٦١، ١٧٠، ٢٢٧) و هو في إحدى المرات يتحدث عن نفسه كأنه أسير سجين (ص ٢٤٣) و لكنه في مرة أخرى يدعو نفسه ملكا و شهريارا (ص ١٥٩، ١٦١). أما بقية الأماكن التي ورد ذكرها في أشعاره فقد ورد ذكرها مرة واحدة، ما عدا «بلخ» فقد ذكرت سبع مرات و «بغداد» فقد ذكرت أربع مرات، و فيما عدا ذلك فقد وردت إشارة واحدة عن «الترك» و «الغز» (ص ٧)

أما الأشخاص الذين ورد ذكرهم في الديوان

فأكثر عددا. فقد ذكر من أنبياء التوراة و رسلها أسماء «آدم» و «حواء» و «نوح» و «سام» و «حام» و «إبراهيم» و «ساره» و «موسى» و «قارون» و «يونس» و «دانيال». أما «المسيح» فقد ذكره في صفحة ١٧٨ و قرن اسمه باحترام زائد فجعله «الابن الذي لا أب له» و «أخا لشمعون، استطاع بفيض الله و روحه أن يرد الحياة إلى الأموات». و قد ذكر من بين رجال اليونان أسماء «سقراط» و «أفلاطون» و «يوقليدس» و «قسطنطين». و ذكر من بين ملوك الفرس الأقدمين الذين تحدث عنهم القصص الفارسي أسماء «جمشيد»

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٧٩

و «الضحاك» أو «أزدهاكا» و «فريدون». و ذكر من بين الساسانيين اسمي «ساپور الثاني بن اردشير» و اسم الأمير «قارن». و ذكر من بين شعراء العرب و بلغاتهم أسماء «النابغة» و «سحيان بن وائل» و «حسان بن ثابت» و «البحترى». و ذكر من بين شعراء الفرس أسماء «الروديكي» في صفحة ٢٧٣ و «العضري» في الصفحات ١١، ١٢، ١٧٢، و «الكساني» في الصفحات ١٩، ٢٨، ٣٨، ٥١، ١٣٣، ٢٤٧، ٢٥١،

و «الأهوازي» في صفحة ٢٤٩ و «الشاهنامه للفردوسي» في الصفحتين ١٨٣، ١٩٠

و لست أعرف الدليل الذي اعتمد عليه الدكتور «إتيه» «١» ليؤكد أن «ناصر خسرو» لا يشارك «الكساني» كراهيته للخلفاء الثلاثة الراشدين «أبي بكر» و «عمر» و «عثمان» و يجمع بينهم و بين «علي» قائلا أن فكرة «الحلول الإلهي» انقلت منهم إليه. و لو أننا رجعنا إلى الديوان لوجدنا ست إشارات لى «عمر» اقترن فيها اسمه باسم «أبي بكر» مرتين «٢» و لكننا لا نجد ذكرا ل «عثمان» على الإطلاق. و لا شك أن بعض هذه الإشارات ليس فيها شيء من التحقير أو الامتهان لشأن «عمر» و لكننا نلاحظ أن الأمثلة الآتية تخالف ذلك تمام المخالفة:

يقول في صفحة ٦٢:

- و مما لا مرأ فيه أن عمر سبهىء لك مكانا في جهنم، إذا اتبعت طريق المعجبين بعمر و رفاقه !!!... «٣»

و يقول في صفحة ٢٦٣:

- و حذار الأسيء ... إذا تركت و بقيت في يمكان وحيدا أسيرا !!!... «٤»

(١) أنظر مقالته الموجودة في ج ٢ ص ٢٨١ من «المفصل في الدراسات اللغوية الإيرانية» بعنوان: «الأدب الفارسي الحديث: Neupersische Litterature»-

(٢) المترجم: لو رجعنا إلى الديوان المطبوع في طهران سنة ١٣٠٤-١٣٠٧ هـ ش لوجدنا أن اسم عمر ذكر خلاله ست عشر مرة.

(٣) المترجم: نص هذا البيت بالفارسية كما ورد في طبعة طهران ص ١٠١ هو:

عمر اندر سقرت جای دهد بی شک اگر بروی بره اینها که رفیق عمرند

(٤) المترجم: أصل هذين البيتين كما جاء في ص ٤١٦ من طبعة طهران هو:

دلنگ مشو بدانك در يمكانماندى تنها و گشته زندانى

از خانه عمر براند سلمان را امروز برين زمين تو سلمانى

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٨٠

- فقد أخرج عمر سلمان من دياره، و أنت الآن سلمان هذه الديار !!!...

و يقول في صفحة ٢٦٢:

- كيف يجوز لى أن أكثر اللجاج و المجادلة في شأن عمر و أبى بكر !!!... «١» و شبه بذلك ما يقوله في صفحة ٢٤١ بشأن «عائشة» و «فاطمة»:

- كانت عائشة زوجة لوالد فاطمة، و أنت بالنسبة لى من شيعه زوجة الأب

- فيا سىء الطالع !!!... ما دمت من شيعه زوجة الأب، فمن الطبيعي أن تكون عدوا لابنة الزوج !!!... «٢»

و الشاعر يبالي في إطرء «علي» و شيعته و «فاطمة» و «الأئمة» و «الأئمة الفاطميين» و خاصة «المستنصر» و «سلمان الفارسي» و «المختار» الذي انتقم لموقعة «كربلاء».

أما الخليفة العباسي فيذكره الشاعر باسم «الشیطان العباسي أو ديو عباسي» كما ورد في ص ٢٦١. و هو يذم أهل السنة و يسميهم «الناصبيين». كما يتحدث عن ثلاثة من أئمة المذاهب السنية و هم «أبي حنيفة» و «مالك» و «الشافعي» في الصفحات ١١٥ و ١١٩ و ٢٠٩ فيقول إنهم يجيزون لعب الميسر و شرب الخمر و غير ذلك من الآثام؛ و هو يزدري فقهاء أهل السنة و يذكرهم بامتهان في الصفحات ٥٨ و ٨٢ و ١٨١؛ و يعرض أحيانا (في الصفحات ٩٥ و ٢٣٧ و ٦٤). لذكر ثلاثة من مشايخ الصوفية هم «ابيزيد البسطامي» و

«ذو النون المصري» و «إبراهيم بن أدهم» ولكنه يطريهم ويمدحهم. أما الحكام المسلمون فيذكر من بينهم «السامانيين» في صفحة ١٩١ و يقرن ذكرهم بذكر «الجماعة المستذلين المستضعفين» (قومي زيردستان) إشارة فيما يظن إلى ملوك الغزنويين الأرقاء الذين أعقبهم على حكم خراسان. و هو يشير كذلك (صفحة ٧) إلى «آل فريغون» أو الأسرة الأولى من ملوك خوارزم المعروفين باسم ال «خوارزمشاه» و يذكر

(١) المترجم: هذه ترجمة الشطرة الأولى من البيت التالي الوارد في ص ٢٩١ من طبعة طهران:

هيچ با بو بكر و با عمر لجاج نيست امروز و نه روز محشرم

(٢) المترجم: أصل هذين البيتين كما جاء في ص ٤١٦ من طبعة طهران هو:

فاطمه را عايشه ما بندر است پس تو مرا شيعت ما بندري

شيعت ما بندري اي بدنشان شايد اگر دشمن دختندري

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٨١

«طغرل السلجوقي» في صفحة ١٤٣. و يذكر كذلك «محمود الغزنوي» أربع أو خمس مرات، وقد وردت بديوانه (في صفحة ٢٦٣) إشارة واحدة إلى الوزير الساماني «أبي الفضل البلعمي» الذي ترجم تاريخ الطبري إلى الفارسية.

و فيما عدا الإسلام يذكر «ناصر خسرو» من الأديان الأخرى ما يأتي:

يذكر «اليهود» في الصفحات ٥٣، ٨٣، ٩٢، ٩٥، ١٣٨

و يذكر «المسيحيين» في الصفحات ١٤، ١٥، ٦٧، ٢٤٢

و يذكر «المجوس» في الصفحات ٥٢، ٧٠، ٧٩

و يذكر «الهنود» في صفحتي ٣٣، ٢٠٤

و يذكر «الثنوية» في صفحتي ٢٨، ٢٧٥

و يذكر «المانوية» في صفحتي ١١١، ٢٦٩

و يذكر «الصابئة» في صفحة ١١١

و يذكر «الزنادقة» في صفحة ٥٨

و يذكر «الفلاسفة» في صفحتي ١١١، ٢١٦

ذكر اصحاب المذاهب الإسلامية

أما أصحاب المذاهب الإسلامية، فيما عدا من سبق لنا ذكرهم من «الحنيفة» و «المالكية» و «الشافعية» وغيرهم، فيذكر منهم «الحرورية» و «الكرامية» و «الليالي» (ص ٢٣٩) كما يذكر «القرامطة» في ص ٢٥٤. و هو يستعمل لفظ «الباطني» استعمالاً حسناً في مقابل لفظ «الظاهري»؛ أما «الملحد» فيعرفه الشاعر في صفحة ١١٨ بأنه الرجل الذي يريد أن يتعمق في فهم العقائد الدينية. و يبدو مما جاء في بعض أشعاره أنه كان ملماً بمحتويات «الإنجيل» و مما يؤيد ذلك العبارات الإنجيلية الآتية التي وردت في أقواله مثل:

كمن يلقي بالجواهر أمام الخنازير (ص ١١)

أجب الجاهل بقدر جهالته (ص ٦٧)

لقد نضب الزيت في سراجك (ص ١٣٨)

أنا ذاهب إلى الأب (ص ١٣٩)

ستخرج من الدنيا عاربا كما دخلتها عاربا (ص ١٤٥)

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٨٢

الإشارة إلى حياته

و نستطيع أن نستخلص من الديوان كثيرا من الأمور التي رواها الشاعر عن حياته بالإضافة إلى ما ذكرناه منها آنفاً. و أغنى القصائد في هذا الصدد هي قصيدته السادسة والسبعين التي ذكر فيها تاريخ ولادته. و هو يحدثنا في الديوان (صفحة ١١٢) عن رغبته الجامعة في إدراك المعاني الباطنية للأوامر الدينية؛ و يشكر الله في (صفحة ٥) على هدايته إلى اتباع الحق؛ و يشير (في صفحة ٩١) إلى أن اعتناقه للمذهب الإسماعيلي إنما حدث في فترة متأخرة من حياته؛ و يصف لنا (في ص ١٨٢) مراسم إدخاله في مذهب الإسماعيلية و يعين الولاء التي أقسمها (ص ١١١-١١٢) و كيف أنه أصبح مكروها بسبب حبه لأهل البيت (ص ٦) و كيف أن أهل السنة يضطهدونه (ص ٢٢، ١٢٧، ٢٢٧) و يتهمونه بأنه شيعي (ص ٢٢٣) و رافضي (ص ١١٥) و ملحد، و كيف أنهم يلغونوه على المنابر (ص ٢٢٣). و لا يستطيع أحد أن يذكر اسمه على لسانه. و هو يتحدث عن نفسه بأنه «حجة خراسان» (ص ٣٣)؛ و أنه «حجة المستنصر» (ص ٢٣٩)، و يشير أحيانا إلى غيره من «الحجج» و أنه يعتبر واحدا من نقباء الإسماعيلية الإثني عشر (ص ٢٠٩)؛ و يلقب نفسه بأنه «مختار علي» (في صفحة ١٥٩) و أنه «أداة الإمام المختارة» (في صفحتي ١٥٨، ١٦٢) و يفخر بعد ذلك بحياة الزهد و العفاف التي عاشها (انظر صفحتي ٩، ٢٥٢) و بمقدار العلوم التي حصلها (الصفحات ١٠، ١٢٧، ١٥٨) و بمقدار الآداب و الأشعار التي برز فيها (انظر صفحتي ٢٢، ٨٠)؛ ثم يشير إلى كتبه الكثيرة (الصفحات ٥، ٩، ٢٣٣) و إلى أشعاره العربية و الفارسية (صفحة ١٧١) و إلى كتابه المعروف ب «زاد المسافرين» (صفحة ١٩٥)؛ و لكن ما أقل الأخبار التي رواها عن ذوى قرابته، و إن كنا نصادف إشارات عابرة عن ابنه (انظر صفحتي ٦، ١٨٥) و عن والده و والدته و أخيه (صفحة ٢١٩).

آراؤه الدينية:

و آراؤه الدينية و الفلسفية مصورة أبدع تصوير في ديوانه، و هي تعتبر في حقيقة الأمر المدار الأصلي الذي تدور عليه سائر أشعاره، و يمكن إجمال الحديث عنها بأنها جميعا أفكار إسماعيلية أو باطنية صميعة. و هو يمعن إمعانا في إتباع مذهبهم

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٨٣

المعروف بمذهب «التأويل»، و يقول إنه بغير التأويل يصحح نص القرآن غير مستساغ الطعم شبيها بماء البحر الأجاج (صفحة ٣) و يخفي معناه كما تخفى المياه في كومة من التبن و القش. و قد اتبع هذا المذهب في تفسير «الجنة» و «الجحيم» و «يوم القيامة» و

«عذاب القبر» و «المسيح الدجال» و «شروق الشمس من المغرب»، و قال إن تفسيرها على هذا النحو واجب و ضروري (صفحة ٣٩) بل هو أساسى لفهم الدين و روحه (صفحة ٣٣) و لم يعهد الله لأحد بالمفاتيح التي يفتح بها هذه المغلقات إلا لأئمة أهل بيت الرسول (الصفحات ١٢، ٣٠، ٦٠، ٦٤، ١٢٤، ١٤٢) فهم وجددهم المؤتمنون عليها (صفحة ٤) و هو يقول أيضا إن «التنزيل» واجب و ضروري (ص ٢٩) و إن اللغة العربية اكتسبت مجدها الخالد من كونها لغة القرآن و التنزيل (صفحة ٢٤٩) و مع ذلك فلا فائدة من ترديد القرآن كما تفعل البيغاوات (صفحة ٢١٤) و لا جدوى من تقى لا يصحبه فهم و إدراك (صفحة ٣٧) و مرتبة العلم عالية رفيعة و لكنه مع ذلك خادم للدين (انظر صفحات ١٥٠، ٢٣٥) و الدين بدوره روح العالم و ربحانه (صفحة ١٨٨) و لا وجود لشيء في الكون إلا الله (صفحة ١٩٣) و هو لا يعرف التأييد و لا التوقيت (صفحة ١٦٦) و كل الظواهر ما هي إلا أصداء من وجوده (صفحة ١٠٦) و مع ذلك فهي مشحونة بالمعاني و الدلالات (ص ١٩٧) لأن العقل الكلى كامن فيها (ص ١٤) و الإنسان هو وحدة الوجود (٢٣٢) و لا حدّ للزمان و المكان، و ليس للسماوات نهاية أو زوال (صفحة ٤) و مع ذلك فالعالم زائل و ليس أبديا (صفحة ١٢، ٣٩، ٤٠) و فيما يلي مثلان من أقواله يؤيدان ترجيحه لمذهب «الاختيار» و عدم أخذه بمذهب «الجبر».

يقول في صفحة ٥٦:

- إن الله يخلق الأم و الندى و اللبن

و لكن الطفل عليه أن يمتص اللبن من ثدى أمه ...!! «١».

(١) المترجم: نص هذا البيت وارد في صفحة ٩٤ من طبعة طهران هكذا:

گرچه یزدان آفریند مادر و پستان و شیر کودکان را شیر مادر خود همی باید مکید

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٢٨٤

و يقول في صفحة ١٤٩

- إن روحك هي السجل، و أعمالك هي الكتابات التي تكتب في هذا السجل فلا تسطر في سجلك إلا كل ما عز و جل

- و اكتب في كتابك كل طيب و جميل من أعمالك

فالقلم .. يا أخى ... طوع لما تخطه يدك و يكتبه بنانك ...!!

و هو يقرر أن الخلفاء الفاطميين هم و حدهم الخلفاء الشرعيون للمسلمين (ص ٢١٠) و هم الحفظة للجنة (ص ٢١٣) و في كل بقعه من

بقاع الأرض «باب» للامام (ص ٧٧)

و هناك إشارات كثيرة للعدد «سبعة» (أنظر صفحات ٨٨، ١٣١) و لمذهب «الأساس» و هو من صميم عقائد الاسماعيلية (الصفحات

١٧٦ - ١٧٨) و يجدر بنا في النهاية و قيل أن نعرض لأمثله مترجمة من أشعاره أن نشير إلى أن «ناصر خسرو» كان يزدري الملوك

از دراء شديدا (ص ٦) و يزدري ملازميهم من الحاشية (صفحتي ١٥١، ٢٣٠)، و يحتقر كذلك مداحيهم من الشعراء و الكتاب

(الصفحات ٧، ١١، ٨٠، ١٢٤، ١٤١، ١٤٤) بل و كل اديب (ص ٢٢٨) و على الخصوص شعراء الغزل (صفحات ١٠٨، ١٤١، ١٤٥، ١٧١)

مترجمات من أشعاره

و فيما يلي مائة بيت ترجمناها «١» من أشعاره، اخترناها من القصائد الخمس الأولى من ديوانه، أى من الصفحات العشر الأولى منه، و

قد راعينا أن نضع نقطا صغيرة في مكان الأبيات التي أسقطناها من الأصل:

(١) المترجم: عدد الأبيات هو تسعة و تسعون بيتا على وجه الدقة

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٢٨٥

المثل الأول (صفحة ٢-٤ من طبعة تبريز) «١»

- إن كلام الله هو بحار الكلام الزاخرة

قد امتلأت بالجواهر الكريمة و اللاكىء الباهرة ...!!

- و ظاهر «التنزيل» مال الحكماء البحر المرير

و لكن باطن «التأويل» حلو كاللاكىء لدى أصحاب التفكير ...!!

- و الجواهر و اللاكىء مستقرة في جوف البحر و أعماقه

فلا تقع بالسير على شواطئه، و الشمس غواصا ماهرا يصل إلى أعماق أطباقه

- و هل تعرف لأى سبب وضع الله في قاع البحر و الماء

مثل هذه الجواهر و اللاكىء ذات الرونق و البهاء ...!؟

[٥]- وضعها هكذا لأجل «الرسول» و كأنما قال له: هذا المثل واجب الاحتذاء فاعط «التأويل» للحكماء و اعط «التنزيل» للغواة ...!!

- و إذا لم يعطك الغواص غير العكر و الماء المالح و الطين

فلأنه لم ير منك غير الحق و الكره و العداء الدفين

- فاطلب المعنى الحقيقي لظاهر «التنزيل» و كن كالرجال الأصفياء

و لا تكن كالحمير، فتقع بالتهيق و الأقوال الهراء ...!!

- و هاك «دار» صاحب الخيل و الحشم

قد غادر الحياه مجردا وحيدا، بلا خيل و لا خدم ...!!

(١) المترجم: أنظر صفحة ٣ من طبعة طهران سنة ١٣٠٤-١٣٠٧ الهجرية الشمسية و نص الأبيات كما يلي:

دریای سخنها سخن خوب خدايست پرگوهر باقیمت و پر لؤلؤ لالا

شور است چو دریا بمثل ظاهر تنزیل تأویل چو لؤلؤست سوی مردم دانا

اندر بن دریاست همه گوهر و لؤلؤغواص طلب کن چو روی بر لب دریا

اندر بن شورا ب ز بهر چه نهاد است چندین گهر و لؤلؤ ارزنده و زیبا

(٥)

از بهر پیمبر که بدین صنع ورا گفت تأویل بدانده و تنزیل بغوغا

غواص ترا جز گل و شورا به ندادست زیرا که ندید است ز تو جز معادا

معنی طلب ار ظاهر تنزیل جو مردم خرسند مشو همچو خر از قول بآوا
 دارا که هزاران خدم و خیل و حشم داشت بگذاشت همه پاک و بشد با تن تنها -
 تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الی السعدی/ تعریب، النص، ص: ۲۸۶
 - و الزمان العویبة خاطفة تلثقت جمیع الأنام
 و لا ینجو منها أرفع الأسیاد و لا أحقر الخدام ...!!!
 [۱۰]- و بعد ذلك الیوم، لا یتسطع فرد من الکماء
 أن یجد لدى الحاکم العادل ملجأ أو منجاة ...!!!
 - و ینال جمیع الناس ما یتستحقون من مجازاه
 و یتستوی فی ذلك الظالم و العادل بغير محاباه ...!!!
 - و فی ذلك الیوم سأقدم فی وسط الهول و الفزع و الدعاء
 فأتعلق أمام الشهداء، بأذیال الزهراء (أی فاطمة الزهراء)
 - حتی ینتصف لی الله من أعداء أولاد الرسول
 و یعطینی حقی كاملا، و أنال منه الرضا و القبول ...!!!
 المثل الثاني (ص ۴-۵ من نسخة تبریز) «۱»
 - کیف یمکن للسماء أن تجود علیک بالراحة و الاستقرار
 بینما هی نفسها لا تعرف الراحة و لا السکينة و لا القرار ...!!!
 [۱۵]- یا سیدی ... إن هذا العالم سلم للعالم الآخر و ساحته
 فإذا شئت بلوغ النهاية فعلیک أن ترقاه الی غایته ...!!!
 - و تأمل ملیا فی هذا الفلک الدائر و هذه الأرض الساکنة
 ففیها صنعة عالم الغیب، و حکمته البالغة الكامنة ...!!!

بازیست رباینده زمانه که نیایدزو خلق رها هیچ نه مولا و نه مولا

(۱۰)

روزیست از آن پس که در آنروز نیابندخلق از حکم عدل نه ملجأ و نه منجا
 آنروز بیابند همه خلق مکافاتهم ظالم و هم عادل بی هیچ محابا
 آنروز در آن هول و فزع بر سر آتجمع پیش شهدا دست من و دامن زهرا
 تا داد من از دشمن اولاد پیمبربدهد بتمام ایزد دادار تعالی
 (۱) المترجم: یقابلهما صفحه ۵ فی نسخه طهران و نص الآیات المترجمة كما یلی:
 چگونه کند با قرار آسماننچو خود نیست ازین قرار آسمانرا (۱۵)
 سرا آنچهان نردبان اینجهانست بسر بر شدت باید این نردبانرا
 درین بام گردان و این بوم ساکن بین صنعت و حکمت غیبانرا
 تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الی السعدی/ تعریب، النص، ص: ۲۸۷
 - و تأمل کیف أمکنه بغير حاجة و لا معونة من أی قبیل أن یجعل الروح الخفیفة قرینة لهذا الجسد الثقیل ...!!!
 - و کیف استطاع أن یعلق فی قبه الفلک الخضراء
 هذه الكرة الکبيرة المعتمة السوداء ...!!!
 - و ما هذا الذی تقوله ...؟ من أن هذا الفلک الدائر المکین
 سبیله ما لا یمکن حصره من الأيام و السنین ...!!!
 [۲۰]- کلا .. فهذا الفلک غیر قابل للبلی و الزوال
 لا هو .. و لا الریاح الذاریة ... و لا الماء الجاری الزلال ...!!!
 - و المكان و الزمان ... کلاهما دلیل علی قدرة الرحمن
 و من أجل ذلك، لیس للمکان حد ... و لا للزمان ...!!!
 - و لو أنك قلت لی: إن هذا لا یوجد فی القرآن
 لقلت لک إنک لم تحسن فهم معانی الفرقان ...!!!
 - و قد جعل الله خازنا و حارسا علی القرآن
 و أحال الیه جمیع الخلیفة من إنس و جان ...!!!
 - و لکنک بدل أن تتبع من اختاره الله و الرسول
 فضلت أن تتابع فلانا و کل إمعه مجهول ...!!!
 [۲۵]- فهلا تحققت أن زاد الإنسان لا یلیق إلا للرجال و الأصحاب
 و أن طعام الکلاب لا یلیق إلا للکلاب ...!!!

نگه کن که چون کرد بی هیچ حاجت بجان سبک جفت جسم گرانرا

که آویخت اندرین سبز گنبدمرین تیره گوی درشت کلانرا
 چه گوئی که فرساید اینچرخ گردان چو بیحد و مر بشمرد سالیانرا
 (۲۰)

نه فرسودنی ساختست این فلکرانه آب روان و نه بادبزانرا
 مکان و زمان هر دو از بهر صنع است ازین نسبت حدی زمین و زمانرا
 اگر گوئی این در قران نیست گویم همانا نکو می ندانی قرانرا
 قرانرا یکی خازنی هست کایزدحوالت بدو کرد مر إنس و جانرا
 تو بر آن گزیده خدا و پیمبر گزیدی فلان و فلان و فلانرا (۲۵)
 بمردم شود آب و نان تو مردم نبینی که سگ سگ کند آب و نانرا
 تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الی السعدی/ تعریب، النص، ص: ۲۸۸

المثل الثالث (ص ۵-۷ طبعه تبریز) «۱»
 - لو كانت دورة الدهر تجري وفقا لفضلي و مداه
 لما كان لي مستقر إلا على قمة القمر في علاه...!!
 - و لكن من أسف أن الفلك و الدهر لا يعرفان قيمة الفضل و الصواب
 و هكذا قال لي أبي في وقت الصبا و الشباب...!!
 - و العلم خير من الضياع و المال و الملك و الجاه
 و قد أفتاني بذلك عقلي، كما أفتت به الحياة...!!
 - و خاطري يزدهي، أكثر من القمر، بالنور و الضياء
 و لا يصلح مقر القمر... لمقامي.. في أوج السماء...!!
 [۳۰]- و في مدافعتي لجيوش الزمان و سيوفه المصلته القاطعة
 اكتفى بالدين مجنا، و العقل ترسا من غوائله الواقعة...!!
 -.....
 - و فكري شجرة مورقة طيبة الثمرات
 أوراقها العفة، و ثمارها العلم و الطيبات...!!
 - و إذا شئت أن تعرف حالي على الحقيقة و في جلاء
 فانظر إلى بعين البصيرة... كما يفعل العقلاء...!!
 - و لا تنظر إلى جسدي الضعيف الواهن... و انظر إلى أقوالي ذات الرواء
 فلي آثار كثيرة... يزيد عددها على نجوم السماء...!!

(۱) يقابله الآيات الواردة في ص ۶-۷ من طبعه طهران و نصها كالتالي:
 كر بر قیاس فضل بگشئی مدار دهرجز بر مقر ماه نبودی مقر مرا
 نی نی که چرخ و دهر ندانند قدر فضل این گفته بود کاه جوانی پدر مرا
 دانش به از ضیاع و به از جاه و مال و ملک این خاطر خطیر چنین گفت مر مرا
 با خاطر منور روشن تر از قمرناید بکار هیچ مقر قمر مرا (۳۰)
 با لشکر زمانه و با تیغ تیز دهر دین و خرد بس است سپاه و سپر مرا
 اندیشه مر مرا شجر خوب پرور است پرهیز و علم ریزد برگ و بر مرا
 گر بایدت همی که ببینی مرا تمام چون عاقلان بچشم بصیرت نگر مرا
 منگر بدین ضعیف تنم ز آنکه در سخن زین چرخ پرستاره فروست اثر مرا
 تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الی السعدی/ تعریب، النص، ص: ۲۸۹
 - و قد أعفاني الله من كل ما تمس إليه الحاجة و الضرورة
 و جعلني في غنى عن كل شيء أثناء اجتيازي لهذه الحياة القصيرة...!!
 [۳۵]- و شکر الله... إنه هداني إلى طريق العلم و الدين
 و فتح لي... على مصاريحها... أبواب الرحمة و اليقين...!!
 - و جعلني أشهر من الشمس في أوج السماء
 لأنني عرفت بحسب لآل الرسول و الأئمة الأصفياء...!!
 - فیا جسدي الحقیق... إنك في هذا العالم نفاية الأشياء
 و لم أجد قرینا أسوأ لي منك بين القراء...!!
 - و قد كنت أظنك دائما من أخلص الخلق
 و لم يكن لي صديق غيرك في البر و البحر و الأرض و الماء...!!
 - و لكنك نصبت لي الشراك... و ناصبتني العدا
 و لم يكن لي علم بما نصبت لي من أحابيل المكر و الدهاء...!!
 [۴۰]- فلما وجدتني غافلا عنك مستأمنا لك في صفاء
 قهرتني بمكرک و غدرك، و غلبتني بقلة الوفاء...!!
 - و لو لم تنجدي رحمة الله و يدركني فضل الرحمن
 لأوقعتني مكرک، و اكتسحتني حادثات الزمان...!!

از هر چه حاجتست بدو مر مرا خدای کرد است بی نیاز درین رهگذر مرا

(۳۵)

شکر آن خدا را که سوی علم و دین خویش ره داد سوی رحمت و بگشاد در مرا
 اندر جهان بدوستی خاندان حق چون آفتاب کرد چنین مشتبه مرا
 ای ناکس و نفايه تن من درینجهان همسایه نبود کس از تو بتر مرا
 من دوستدار خویش گمان بردمت همی جز تو نبود یار بیحر و ببر مرا
 بر من تو کینه ور شدی و دام ساختی وز دام تو نبود اثر نه خبر مرا (۴۰)
 تا مر مرا تو غافل و ایمن بیافتی از مکر و غدر خویش گرفتی سخر مرا
 گر رحمت خدای نبودی و فضل او افکنده بود مکر تو در جوی و جر مرا
 تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الی السعدی/ تعریب، النص، ص: ۲۹۰
 - و الآن.. و قد تبين لي أنك خصمي و عدوي الألد
 لم أعد استسبح السكر من يدك أو الشهد...!!
 - و أنت أيها الجسد الجاهل... ليس لك عمل إلا النوم و الطعام
 و لكن العقل لدی خير من الأكل الطيب و طول المنام...!!

- و فی رأی العقلاء أن لا عمل للحمیر ... إلا النوم و الغذاء
 و من العار أن یكون حالی كالحمار، مع مالی من عقل و ذكاء ...!!
 [۴۵]- و أنت یا جسدی ... سوف لا أقیم معک فی هذه الدنیا الفانیة
 لأن الله یدعونی إلى داره الثانیة ...!!
 - حیث یعتبرون المجد بالأعمال و الفضائل، لا بالنوم و الأكل
 فلیکفک النوم و الأكل .. و لیکفنی الفضل و العقل ...!!
 - و قد ذهب قبلی ما لا یعد من الناس و الأنام
 و مهما طال بقاءی .. فاعتبرنی ممن أودت به الأيام ...!!
 - و سأطیر بجناح الطاعة ذات یوم ... فأخرج من هذه القبة العالیة
 و کأنی الطائر یضرب بجناحیه فی أطاق الهواء الخالیة ...!!
 - و جمیع الناس یحذرون ضربات القضاء و القدر
 و مع ذلك فهما دلیلا طریق فی هذا السفر ...!!
 [۵۰]- و «القضاء» أسمه «العقل»؛ و «القدر» أسمه «الكلام»
 فهذا حدثنی، و ذکرنی، و حد من الرجال العظام ...!!

اکنون که شد درست که تو دشمن منی نیز از دو دست تو نگوارد شکر مرا

خواب و خور است کار تو ای بیخرد جسدلیکن خرد به است ز خواب و ز خور مرا
 کار خراست سوی خردمند خواب و خورتنگست ننگ با خرد از کار خرمرا (۴۵)
 من با تو ای جسد نشینم در این سرای کایزد همی بخواند بجای دگر، مرا
 آنجا هنر بکار و فضایل نه خواب و خوربس خواب و خور ترا و خرد با هنر مرا
 چون پیش من خلایق رفتند بیشمارگرچه دراز مانم رفته شمر مرا
 روزی ببر طاعت ازین گنبد بلندبیرون بریده گیر چو مرغ ببر مرا
 هر کس همی حذر ز قضا و قدر کندوین هر دو رهبرند قضا و قدر مرا (۵۰)
 نام قضا خرد کن و نام قدر سخن یاد است این سخن ز یکی نامور مرا
 تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الی السعدی/ تعریب، النص، ص: ۲۹۱
 - و قد أصبح عقلی و نفسی أفصح من یحدثنی الآن بأمری
 فلم الحذر و الخوف من نفسی، و ما یجیش به صدی ...!!
 - و یا من قنعت من القضاء و القدر بالاسم و الکلام
 إذا ظننت نفسک دابة ... فلا تظننی أيضا من الأنعام ...!!
 المثل الرابع (ص ۷-۸ من طبعه تریز) «۱»
 - یا ریاح الصبا! .. تحملی منی إلى «خراسان» السلام
 إلى أهل الفضل و العقل منها .. لا إلى العوام و الطعام ...!!
 - و کما حملت أخباری الصحیحة إلیهم
 إحملی إلى ثانیة أخبارهم، و حدیثی عنهم ...!!
 [۵۵]- و قولی لهم: إن الدنیا قد حنت عودی المستقیم
 و حطمتی بمکرها المعروف و غدرها المقیم ...!!
 - فحذار أن تدع عهودها توقعک فی الغرور و الآثام
 فإنها لا ترعی لأحد عهدا .. و لا تعرف الوفاء و الدوام ...!!
 -

و اکنونکه عقل و نفس سخنگوی خود منم از خویشتن چه باید کردن حذر

مرا

ایگشته خوش دلت ز قضا و قدر بنام چون خویشتن ستور گمانی مبر مرا
 (۱) المترجم: یقابله ص ۸-۱۰ من طبعه طهران و نص آیات الاستشهاد کما یلی:
 سلام کن ز من ای باد مر خراسانمرا اهل فضل و خرد را نه عام و نادانرا
 خیر بیاور از ایشان بمن چو داده بوی ز حال من بحقیقت خیر مر ایشانرا (۵۵)
 بگوشان که جهان سرو من چو چنبر کردبمکر خویش خود اینست کار گیهانرا
 نگر کتان نکند غره عهد و پیمانان که او وفا نکند هیچ عهد و پیمانرا

نگه کنید که در دست این و آن چو خراس بچند گونه بدیدید مر خراسانرا
 تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الی السعدی/ تعریب، النص، ص: ۲۹۲
 - فلماذا غرورک بملک الأتراك السلجوقیین ...!!
 و اذکر محمودا و جلال دولته فی «زایل» أيام الغزنویین ...!!
 - فأین الذی نخشی بأسه «الفریغویون»؟ «۱»
 فترکوا له «حوزجانان» و أعطوها له طائعین ..!
 [۶۰]- و قد حطمت حوافر خیوله «الهندستان»
 بینما وطلت أقدام أقیاله بلاد «الختلان»!!
 -

- و أنتم ایها المخادعون ... لطالما أتیتم أمامه قائلین:

لیطل عمر السلطان .. و لیبی آلاف السنین ...!!!

- فإن من یعتمد علی عظمة دولته، و ینوی تحطیم السندان

یجد السندان کالشمع بین أسنانه، قد ذاب و لان ...!!!

- و قد كانت «زابل» بالأمس قبله الأحرار

و كان حالها کحال «الکعبة» بالنسبة لأهل الإیمان و الأخیار ...!!!

- فأین الآن ذلك الرجل، و ما كان له من جلال و جاه ..؟

و قد كان یری ... تحت موطنه أقدامه ... برج السرطان فی علاء ...!!!

بملک ترک چرا غره اید باد کنیدجلال و دولت محمود زاولستانرا

کجاست آنکه فریغونیان ز هیبت اوز دست خویش بدادند گوزگانانرا (۶۰)

چو هند را بسم اسب ترک ویران کردپای پیلان بسپرد خاک ختلانرا

.....

شما فریفتگان پیش او همی گفتید هزار سال فزون باد عمر سلطانرا

بفر دولت او هر که قصد سندان کردبیزیر دندان چون موم یافت سندانرا

پریر قبله أحرار زاولستان بودچنانکه کعبه است امروز أهل ایمانرا

کجاست اکنون آنمرد و آنجلالت و جاه که زیر خویش همیدید برج سرطانرا

(۱) الفریغونیون او آل فریغون هم الأسرة الأولى من حکام خوارزم. یقول رضا قلی خان فی معجمه «فرهنگ ناصری»: أن فریغون

علی وزن فریدون اسم لرجل استطاع تولی الحکم فی خوارزم و بقی الملک فی اولاده و أحفاده و یعرفون ب «آل فریغون» و هم

حکام خوارزم و من بینهم علی بن مأمون الفریغونی و هو من المعاصرین للسلطان محمود الغزنوی و من أنسابه و قد قتله بعض غلمانہ

فأتی السلطان محمود إلى خوارزم و أمر باعدام قاتلہ (انظر أيضا تاریخ الیمینی للعتبی طبع القاهرة سنة ۱۲۸۶ ه جزء ۲ ص ۱۰۱-

۱۰۵)

تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الی السعدی/ تعریب، النص، ص: ۲۹۳

[۶۵]- و ها هو الآن قد انتثرت أنامله، و بلیت آتیاہ الناصعہ

حینما انقض علیه الموت بآتیاہ و مخالفه القاطعہ ...!!!

.....

- و إذا سهلت الأمور ... فإخش الشدائد و النکبات

فسرعان ما یجعل الفلک أسهل الأمور من أصعب العقبات ...!!!

- و متى غضب الزمان فإن سورته کفيلة فی دورانه

أن تخرج «القیصر» من «قصره» و «الخان» «۱» من «خوانه»

- و لم یقدر للقمر الوضاح ... و الشمس ذات الضیاء

أن یكونا بمنجاة من الخسوف و الکسوف فی کبد السماء ...!!!

- و کل شیء مهما هان أو رخص و قلت قیمته

فلا تحقر أمره، و اعتبره غالباً ... فریما زادت بهجته ...!!!

[۷۰]- و اطلب أواسط الأمور و لا ترغب فی الوصول إلى الکمال

فإن القمر متى تم أخذ فی النقصان و الزوال ...!!!

.....

- و إذا أسکرت الدنيا بشرایها جموع الخلق و الأنام

فتجنبهم ... کما یجنب المفیق ... من لعبت برأسه المدام ...!!!

(۶۵)

بریخت چنگش و فرسوده گشت دنداننش چو تیر کرد بر او مرگ چنگ و دندانرا

.....

بترس سخت ز سختی چو کار آسان شد که چرخ زود کند سخت کار آسانرا

برون کند چو درآمد بخشم گشت زمان ز قصر قیصر و از خوان خویشتن خانرا

بر آسمان ز کسوف سیه رهایش نیست مر آفتاب درخشان و ماه تابانرا

ز چیزهای جهان هر چه خوار و ارزان شدگران شده شمر آنچهیز خوار و ارزانرا (۷۰)

میانه کار همی باش و بس کمال مجوی که مه تمام نشد جز ز بهر نقصانرا

.....

اگر شراب جهان خلق را چو مستان کردتو شان رها کن چون هوشیار مستانرا

(۱) الخان بمعنی الملک، و الخوان مستعمله فی العربیة بمعنی السماط أو المائدة، و یقصد بها هنا القصر الکبیر الذی تمد به الموائد

الفخمة

تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الی السعدی/ تعریب، النص، ص: ۲۹۴

- و انظر کیف تهلك الطواويس بما ینصبون لها من شباک الحیلة

لکی یحصلوا علی ریشاتها البهیجة الجمیلة ...!!!

.....

- و الجسد هو فیدک، و الدنيا هی سجنک المقیم

فحذار إن تحسب مفرك فی هذا القید و هذا المحبس الألیم ...!!!

- و قد ضعفت روحک، و أصبحت ... من العلم و الطاعة ... خالیة

فاجتهد فی العلم، و اکنس به روحک الضعیفة العاریة ...!!!

.....

[۷۵]- و دنیاک هی الحقل، و کلامک هو البذر، و روحک هی الدهقان

و یجب علی الدهقان أن یشغل دائما بزراعة هذا الحقل و المكان !!!...

.....

- و لم لا تجتهد الآن ... و الربیع یملاً أطباق الهواء

فی أن تحصل علی رغیف صغیر تستعین به إذا أقبل الشتاء ...!!!

.....

- و قد أصبح نصیبی من العمر و حظی من الزمان

أن أصوغ أشعاری فأنظمها عقدا من الذهب و اللؤلؤ و المرجان ...!!!

نگاه کن که بحیلت همه هلاک کنندز بهر پر نکو طاسان پراترا

.....

ترا تن چه بند است و این جهان زندان مقر خویش میندار بند و زندانرا

ز علم و طاعت جانت ضعیف و عربانست بعلم کوش و بیوش این ضعیف عربانرا

..... (۷۵)

جهان زمین و سخن تخم و جانت دهقانست بکشت باید مشغول بود دهقانرا

.....

ترا کنون که بهار است جهد آن نکتی که نانکی بکف آری مگر زمستانرا

.....

ز عمر بهره همین گشت مر مرا که بشعربرشته میکشم این زر و در و مرجانرا

تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الی السعدی/ تعریب، النص، ص: ۲۹۵

المثل الخامس (ص ۸- ۱۰ طبعه تبریز) «۱»

- من الحق ألا يكون لي على أعتاب الملوك مقام و مكان

و الا يكون مقرى إلا على باب الله و أعتاب الرحمن

- و ما دمت لا أظلم بأفعالي أحدا من العباد

فهل تنفنى عظمتهم العظيم. و هل احتاج إلى أياديه الشداد ...!؟

.....

[۸۰]- و أربعة أشياء هي التي تؤنس روحى طوال الزمان

و هي: الزهد، و العلم، و العمل، و ترتيل القرآن ...!!!

- و عینی، و قلبی، و أذنی، أثناء الليل الطویل

تكرر النصح و الموظة لجسدی الضعیف الهزبل ...!

- فتقول العین: بربک احفظنی من التطلع إلى کل أمر حرام

و صننی من الوقوع فی الشرور و الخطایا و الآثام ...!!!

- و تقول الأذن: أسدد علی السبیل، و أغلق علی الطريق

حتى لا استمع للأكاذیب و الأباطیل المليئة بالفتیق ...!!!

- و يقول القلب: بربک احفظنی من التردی فی المطامع و الأهواء

و صننی من نزعات الهوى ... كما يفعل الرجال الأصفیاء ...!!!

(۱) المترجم: یقابلهما الصفحات ۱۱- ۱۳ من طبعه طهران و نص الأبیات كما یلی:

شاید اگر نیست بر در ملکی جز بدر کردگار بار مرا

چون نکتم بر کسی ستم که نبودحشمت آن محتشم بکار مرا

..... (۸۰)

خواندن فرقان و زهد و علم و عمل مؤنس جانند هر چهار مرا

چشم و دل و گوش هر یکی همه شب پند دهد با تن نزار مرا

چشم همیگوید از حرام و حرم بسته همیدار زینهار مرا

گوش همیگوید از محال و دروغراه بکن سخت و استوار مرا

دل چکند گویدم همی ز هواسخت نگهدار مردوار مرا

تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الی السعدی/ تعریب، النص، ص: ۲۹۶

[۸۵]- و أما العقل فيقول لي: لقد وكل الله إلي أمر روحك و جسديك

و جعلني مسيطرا عليك، و موكلا على شأنك ...!!!

- و لا شأن لك بجيوش المطامع و الأهواء،

فأنا الموكل على محاربتها لأتمس لك النجاء ...!!!

- و كيف أستطيع أن أخرج رأسي من أنشودة العقل الدزاک ...!؟

و قد فضلتني الله على الحمير بالتمييز و العقل و الإدراك ...!!!

- و قد ربط «الشیطان» رأسی إلى قطاره و قافلته

و لكن «العقل» هو الذی خلصنی من ركابه و متابته ...!!!

- و لو لم يدركني «العقل» ليأخذ بأعنتي من يد الشيطان

لاستمر «الشیطان» ممسكا بزمامي، قابضا على العنان ...!!!

[۹۰]- و هذه الدنيا مغارة ضيقة شديدة الحلوكة و الظلام، و حسبي منها أن يكون «العقل» هو رفيقي في هذا الغار و المقام «۱».

- و یا ولدی ...!! حذار أن تشكو من الدهر و دورانه

فما أكثر النعم التي نلتها من تسياره و جريانه ...!!!

- و لطالما طوفت به و أكثرت من التجوال ...!!!
و لم يكن لي معين على الطواف إلا اللسان و الحديث و الأقوال ...!!!

(٨٥)

عقل همی گویدم موکل کرد بر تن و بر جانت کرد کار مرا
نیست ز بهر تو با سپاه هواکار مگر حرب و کارزار مرا
سر ز کمند خرد چگونه کشم فضل خرد داد بر حمار مرا
دیو همی بست بر قطار سرم عقل برون کرد از آن قطار مرا
گر نه خرد بستدی مهارم ازود یو کشان کرده بد مهار مرا (٩٠)
غار جهان گرچه تنگ و تار شد است عقل پسند است یار غار مرا
هیچ مکن ای پسر ز دهر گله کز وی شکر است صد هزار مرا
هست بدو گشتم و زبان و سخن هر دو بدین گشت پیشکار مرا

(١) یشیر إلى «غار ثور» و هو الذی نزل به الرسول (صلی الله علیه و سلم) و معه «أبو بكر» فاخترنا فيه ممن كانوا يطلبونهما بعد هجرتهما من «مكة» و قد سمى «أبو بكر» من أجل ذلك ب «رفیق الغار» و أصبح هذا التعبير يدل على كل صديق مخلص أمين.

تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الی السعدی/ تعریب، النص، ص: ٢٩٧

- و ها هو الدهر يقول لي: إني مقبل على السفر و الارتحال،
فحذار أن تضيق على الضم و العناق ... و انفض مني الأذيال ...!!!
- و قد كان «العقل» دليلي و مرشدي في هذه الديار،
حتى جعلني أتميز بالحكمة و أفوز بالاشتهار ...!!!
[٩٥]- و وضع «العقل» على رأسي تاج التقوى و الدين
و زيني «الدين» بالفضل و زودني بالحق و اليقين ...!!!
.....

- و كيف يمكنني ألا أجعل روعي القربان و الغداء ...!؟

لمن يسهل حسابي يوم الحشر و اللقاء ...!!

- و لا غرو إذا أضحت الدنيا الآن صيدى الحلال

فلطالما كنت صيدا لها و وقعت في الجبال ...!!!

- و هي إذا استطاعت أن تردى سائر الناس و الأنام

لا تستطيع أن تصيبني بالجراح و الآلام ...!!!

- فقد أضحت روعي أرفع من الدهر و حادثاته

و من أجل ذلك لست أخشى وقعته و ضرباته ...!!!

و قد كان بودي أن يسمح لي المجال بذكر أمثلة أخرى من ديوان «ناصر خسرو» فإنه يزخر بالأمثلة التي تكشف عما انطوى عليه هذا الشاعر من إبداع و علم

دهر همیگویدم که بر سفرم تنگ مکش سخت در کفار مرا

پیشروم عقل بود تا بجهان کرد بحکمت چنین مشار مرا (٩٥)

بر سر من تاج دین نهاده خرد دین هنری کرد و برد بار مرا

.....

چون نکنم جانفدای آنکه بحشر آسان گردد بدو شمار مرا

لاجرم اکنون جهان شکار من است گرچه همیداشت او شکار مرا

گرچه همی خلقرا فکار کند کرد نیارد جهان فکار مرا

جان من از روزگار برتر شدیم نیاید ز روزگار مرا

تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الی السعدی/ تعریب، النص، ص: ٢٩٨

و أمانة و حماس دینی و احتقار للمنافقين و المخادعين و شجاعة منطقة النظر، لا تكاد نصادفها- فيما أعلم- في أي شاعر فارسي آخر. و أود بصفة خاصة أن ألفت نظر قراء الفارسية إلى قصيدته الرائعة القيمة ١٠٢ المنشورة في صفحتي ١٤٦ و ١٤٧ من ديوانه طبع تبريز. و قد كان بودي أن أنقل إليهم ترجمتها لو لا أنها- لسوء الحظ- مشحونة بالمصطلحات الفنية المتعلقة بمراسم الحج بحيث يصعب ترجمتها أو فهمها ما لم يستعان على ذلك بقدر كبير من الشرح و التفسير. و قد أخذ «ناصر خسرو» في هذه القصيدة يصف خروجه لاستقبال الحجاج الراجعين من مكة و ترحيبه بمقدم صديق بينهم؛ فلما تبادل الصديقان تحية اللقاء قال «ناصر خسرو» لصاحبه:

- خبرني ... كيف مجدت هذا «الحرم» المقدس ...!؟

و على أي شيء عقدت نية «التحريم» عند ما لبست ملابس «الإحرام»؟

و هل حرمت على نفسك الخطايا بأنواعها و كل ما يفصل بينك و بين الله؟

و أجابه صاحبه بالنفي، فالتفت إليه «ناصر خسرو» و استمر يقول:

- ألم تسمع صوت الله عندما أخذت في «التلبية» و ألم تجب كما أجاب موسى ربه ..؟

و أجاب صاحبه ثانية بالنفي، فاستمر «ناصر خسرو» يقول:

- و عندما وقفت على جبل عرفات و أخذت في السعي، ألم تصيح «عارفاً بالله و منكراً لذاتك»؟ و ألم تصل إلى مشامك نفحة من نفحات المعرفة ..؟

و أجاب صاحبه مرة ثالثة بالنفي، و استمر «ناصر خسرو» على هذا المنوال يسأله عن مدى فهمه للمعاني الرمزية التي تنطوي عليها مراسم الحج، و استمر صاحبه يجيب بالنفي حتى انتهى «ناصر خسرو» إلى قوله:

- «أعلم إذن .. يا صديقي .. أنك لم تؤد الحج بمعناه الصحيح، و لم تصل إلى مقام إنكار الذات، و كل ما فعلت أنك ذهبت إلى «مكة» و عدت منها بعد ما تجشمت مشاق الطريق و وعثائه لقاء ما أنفقت من مال و دراهم، فإذا شئت بعد الآن أن تؤدى فريضة الحج فما عليك إلا أن تسترشد بما علمتكم و أن تتبع ما أخبرتك به».

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٩٩
و لا شك أننا نصادف في هذه الطريقة مثلاً رائعا لتطبيق المذهب الإسماعيلي المعروف بمذهب «التأويل» أو التفسير الرمزي لمعاني القرآن.

أشعار الإلحاد المنسوبة إلى ناصر خسرو

و على النقيض من أشعار التقوى و الصلاح التي تملأ الديوان، نجد أن جملة من الأشعار التي نمتاز بحرية التفكير حتى تبلغ مبلغ الإلحاد، توجد في نسخة الديوان المطبوعه على الحجر، و كذلك في أكثر النسخ المخطوطة التي تنسب إلى «ناصر خسرو» و هذه القطع معروفة جدا في إيران حتى أيامنا الحاضرة؛ و تشتمل عليها بعض المخطوطات التي تتضمن آثاره الشعرية، و قد ترجمت في صفحة ٤٨٠ من كتابي «سنه بين الفرس» قلعين من أشهر هذه القطع، و يسرني أن أعيد نشرهما في هذا المكان.
فأما القطعة الأولى فواردة في المقالة القصيرة التي كتبها «جامي» عن «ناصر خسرو» في كتابه «بهارستان» و خلاصتها كما يلي:

يا إلهي...! أنا من خشيتك لا أستطيع أن أجرؤ فأقول لك إن جميع هذا البلاء الذي نحن فيه صادر منك...!!

- و ما دام نملأك خالين من الحصى و الرمال فلماذا أنظرت «الشيطان» و رضيت بالقبول و الاحتمال...!؟

- و يا ليتك لم تخلق لفاتات الترك هذا الحسن و الجمال و تلك الشفاء الحمراء و الثغور الناصعة التي تسيب الرجال...!!

- و لكنك أنت الذي تأمر الصائد أن يحمل على صيده في القفار أنت كذلك الذي تأمر الصيد أن يسرع إلى الهرب و الفرار...!!
و أما القطعة الثانية فيغلب عليها روح التمرد و الشرود و يقول فيها- خرج «ناصر خسرو» ليتنزه في يوم من الأيام مثقل الرأس، و لكن بغير الكاس و المدام...!!

- فمر بمزيلة إلى جوارها جملة من القبور فنادته المزيلة و قالت له: لا تنظر إلى في فتور...!!

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٠٠- و تأمل حال الدنيا... و ما أعدت من نعم لضحاياها المساكين فقد اشتمل جوفي على نعمها، و اشتملت القبور على الأكلين الجاهلين...!! و هناك قطعة ثالثة تنسب إلى «ناصر خسرو» و هو يهزأ فيها بفكرة البعث و النشور. و قد أورد «شيفر» هذه القطعة في مقدمته التي نشرها لكتاب «سفر نامه»، كما أورد أيضا بيتين من الشعر قيل إن «نصير الدين الطوسي» قالهما ردا على هذين البيتين، و قد سمعت بنفسى هذه القطعة الثالثة ينشدها بعض المنشدين في إيران، و خلاصتها كما يلي:- رأيت في الفلاة رجلا، مزقت جسده الذئاب

فنهش النسرين لحمه، و طعم منه الغراب...!!- و تبرز النسرين، فتبرز في قنن الجبال و القفار

و تبرز الغراب، فتبرز في قاع الينابيع و الآبار...!!- فهل يستطيع أن يحيى مثل هذا الرجل في يوم الحشر و النشور...!؟

ألا فاهزأ بذقن كل جاهل يقول بإمكان هذه الأمور...!! «١»

و قد رد عليه عليه «نصير الدين الطوسي» بهذين البيتين «٢»:

نعم أن مثل هذا الرجل سيحيى في يوم البعث و النشور لو تحللت عناصره، و أصبحت كفتات الشعر...!!

- فيعته ليس أصعب من خلقه أول مرة، و ما هو بعسير فاهزأ بذقن «ناصر خسرو» ذلك الجاهل الحقير...!!

(١) المترجم: فيما يلي نص هذه الأبيات بالفارسية نقلا عن مقدمة «شيفر»:

مردكيرا بدشت گرگ دریدزو بخوردند کرگس و زاغان

این یکی رید بر سر کهسارو آن دیگر رید در بن جاهان

این چنین کس بحشر زنده شودتیز در ریش مردک نادان

(٢) المترجم: فيما يلي نص هذين البيتين بالفارسية نقلا عن مقدمة «شيفر»:

اینچنین کس بحشر رنده شودگر نمایند عنصرش چو جو

ز اولین بار نیست مشکلتیز بر ریش ناصر خسرو

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٠١

بقية آثاره:

و يجب علينا الآن أن نتحدث باختصار عن بقية كتبه و مؤلفاته. و قد أبقى لنا الزمن منها ثلاثة كتب؛ طبع منها اثنان هما: «روشنائي نامه» و «كتاب الضياء» و «سعادت نامه» أو «كتاب السعادة»، و أما الثالث و هو كتاب «زاد المسافرين» فلا توجد منه إلا النسخة المخطوطة المحفوظة الآن بالمكتبة الأهلية بباريس و قد كانت ملكا للاستاذ «شيفر» «١». و قد ذكر «حاجي خليفة» كتابا آخر من كتب «ناصر خسرو» هو كتاب «الإكسير الأعظم»؛ كما ذكر جماعة آخرون من المؤلفين الذين لا يوثق بهم كتباً أخرى نسبوا له، فنسب له «دولت شاه» في تذكرته و كذلك لطفعلی بيگ في «آتشكده» أنه ألف الكتب الآتية:

«كتر الحقائق» و «القانون الأعظم» و كتاب في «علم اليونان» و «رسالة في السحر» و «الدستور الأعظم» و «المستوفي» و «تفسير القرآن» و قد ورد الخبر عن هذا الكتاب الأخير في ترجمة حياة ناصر خسرو الزائفة، و قيل إنه وضعه خصيصا لملاحدة الإسماعيلية «٢».

و لا- يمكن القطع على وجه اليقين بعدد الكتب التي وجدت فعلا من بين هذه الكتب التي ذكرناها أخيرا، لأن جميع المؤلفات التي كتبت في مدى القرون الأربعة التالية لموت «ناصر خسرو» لم تذكر عنها شيئا على وجه الإطلاق «٣».

روشنائي نامه:

و كتاب الضياء أو «روشنائي نامه» عبارة عن مثنويه تشتمل على ٥٧٩ بيتا

(١) المترجم: طبع هذا الكتاب بمطبعة «كاوياني» ببرلين سنة ١٣٤١ هـ.

(٢) المترجم: يضاف إلى هذه الكتب كتاب «خوان الاخوان» و قد طبع بالقاهرة سنة ١٩٤٠ م. و كذلك «رسالة شش فصل ديار روشنائي نامه نثر» طبع القاهرة سنة ١٩٤٨ باهتمام «إوانوف» W. Ivanow-

(٣) أنظر المقالة التي كتبها «فانان Fagnan» بعنوان «مقال عن ناصر بن خسرو» و قد نشرها في «مجلة الجمعية الآسيوية» المجموعة الثانية، مجلد ١٣، ص ١٦٤-١٦٨ و حذف مورده؟؟؟ بالصحيفة الأخيرة.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٠٢
 منظومة في بحر الهزج المسدس «١». و يوجد من هذه المثنوية نسختان مخطوطتان محفوظتان في «المكتبة الأهلية» بباريس، إحداهما كانت ملكاً للأستاذ «شيفر»؛ كما توجد منها نسخة مخطوطة في «اليدن» وأخرى في «جوتا» وثالثة في «إدارة الهند».
 وبالرجوع إلى البيت الرقيم ٥٥٥ من طبعة «إتبه» نجد أنه يشتمل على تاريخ إنشاء هذه المثنوية، وهذا البيت هو أكبر دليل، بل هو الدليل الوحيد، القائل بأنه كان يوجد شخصان مختلفان يتسمى كل منهما باسم «ناصر خسرو». فأما قراءة «إتبه» لهذا البيت فتجمل تاريخ إنشاء هذه المنظومة هو سنة ٤٤٠ هـ - ١٠٤٨ - ١٠٤٩ م وقد استند فيها على تخمين مقبول، أيده بجملته من الأسانيد القوية، يمكن الاطلاع عليها في «مجلة المستشرقين الألمان» بالمجلد ٢٣ صفحة ٦٤٦ - ٦٤٩ والمجلد ٣٤ صفحة ٦٣٨. ومع ذلك فهذا التاريخ تختلف فيه النسخ المخطوطة الأخرى التي ذكرناها آنفاً. فسختا «اليدن» و«باريس» تذكران سنة ٣٤٣ هـ - ٩٥٤ - ٩٥٥ م، ونسخة «جوتا» تذكر سنة ٤٢٠ هـ - ١٠٢٩ م، وأما نسخة «إدارة الهند» فتذكر سنة ٣٢٣ هـ - ٩٣٤ - ٩٣٥ م. ويجب أن نلاحظ أن البيتين اللذين ورد بهما التاريخان الأولان لا يستقيمان وزناً، وعلى هذا فهما من هذه الناحية مرفوضان لدينا، وأما البيت الذي ذكر التاريخ الأخير فيتناهي ما ورد به مع كل الحقائق التي نعرفها عن «ناصر خسرو». ذلك لأنه من المحقق الأكيد أن مؤلف «سفرنامه» و«الديوان» شخص واحد، عرفت تفاصيل حياته وتاريخها معرفة جيدة تبلغ مبلغ اليقين، فقد ولد - كما ذكر صراحة في «الديوان» وتلميحا في «سفرنامه» - في سنة ٣٩٤ هـ - ١٠٠٣ - ١٠٠٤ م، وعلى ذلك لا يمكن أن يتصور أنه كتب ال «روشنائي نامه» في سنة ٣٢٣ هـ أو ٣٤٣ هـ؛ كذلك لا يمكن لأحد أن يفترض فرضاً غير مقبول عقلاً، فيقول بإمكان وجود شاعرين، يتسمى كل منهما باسم «ناصر»، ويكنى كل منهما بكنية «أبي معين»، و يتلقب كل منهما بلقب «الحجة»، و ينتسب كل منهما إلى أصل واحد، و يعيش كل منهما في «بمگان» من

(١) هذا هو عدد أبياتها وفقاً لطبعة «إتبه-Ethe»-

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٠٣
 ولاية خراسان، و يستطيع كل منهما أن يكتب شعراً أخلاقياً وتعليمياً على نمط واحد وبأسلوب واحد!!!... و يبدو لي من كل ذلك أن الدكتور «إتبه» كان مصيباً في نظره و تخمينه و أن ال «روشنائي نامه» كما يقول قد تم تأليفها في القاهرة في خلال عيد الأضحى من سنة ٤٤٠ هـ - ٩ مارس سنة ١٠٤٩ م. و إذا شاء القارئ الاستزادة من بحث هذه المسألة فإني إحيله إلى المقال المستفيض الذي كتبه الدكتور «إتبه».

و قد طال بنا الحديث عن «ناصر خسرو» و استغرق منا كل هذه الصفحات الكثيرة، بحيث يتعدى على الآن، لضيق المقام، و لاحتياجي إلى الصفحات الباقية للحديث عن غيره من كبار الكتاب المعاصرين له، أن استعرض كما ينبغي كتابيه «روشنائي نامه» و «سعدت نامه»، و مع ذلك فلا ضير على القارئ إذا أوقفت حديثي عند هذا الحد، لأن القارئ الأوروبي يستطيع أن يقرأ الكتاب الأول في ترجمته الألمانية المنظومة التي قام بها الدكتور «إتبه»، كما يستطيع أن يقرأ الكتاب الثاني في ترجمته الفرنسية المنشورة التي قام بها «فانيان» Fagnan.

و يجب الإشارة إلى أن كلا من هذين الكتابين في أصله الفارسي عبارة عن مثنوية تعليمية أخلاقية نظمت في بحر الهزج، و أن كلا منهما لا يبلغ من الناحية الفنية الشعرية مبلغ القصائد الموجودة في الديوان. و ينقسم «سعدت نامه» إلى ثلاثين فصلاً قصيراً، تشتمل على ٢٨٧ بيتاً من الشعر، و تتعلق جميعها تقريباً بالحديث عن المبادئ الأخلاقية العملية؛ أما ال «روشنائي» فتتحدث بالإضافة إلى ذلك عن جملة من المسائل المتعلقة بما وراء الطبيعة و طائفة أخرى من المسائل المتعلقة بنشأة الكون و هي تتضمن أبياتاً رائعة (من ٥١٣ إلى ٥٢٣) في ذم شعراء المديح الدنيويين الذين لا غرض لهم من قول الشعر إلا التكسب به و جمع الدراهم و الدنانير

شعراء الرباعيات: [في هذا العصر]

إشارة

فإذا تركنا الآن «ناصر خسرو» و يجب علينا أن نمضي مباشرة إلى دراسة أربعة شعراء، امتاز كل منهم بالتبريز في قول «الرباعي» و هو ذلك الضرب من ضروب النظم التي قلنا فيما سبق إنها ترجع إلى أصل فارسي خالص.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٠٤

فأما هؤلاء الشعراء الأربعة فهم:

- ١- «عمر الخيام»: الشاعر المنجم المشهور الذي ينسب الي «نيسابور»
- ٢- «باباطاهر الهمداني»: الشاعر الذي أنشد رباعياته في لهجته الخاصة
- ٣- «ابو سعيد بن أبي الخير»: الشاعر الصوفي المعروف
- ٤- «الشيخ الأنصاري»: أو كما يعرف في الفارسية «بیر أنصار» و هو الرجل الورع التقى الذي قال عنه الدكتور «إتبه» «١»: انه امتاز في كتاباته العديدة بخلط التصوف بالأخلاق، و قد جعل بعض منشأته منثورة مسجعة، كما جعل بعضها الآخر منثوراً مختلطاً به بعض «الغزليات» و «الرباعيات» و يعتبر في الحقيقة صاحب الفضل الأكبر في الامتزاج التدريجي الذي حدث بين «الشعر الصوفي» و «الشعر التعليمي» بحيث يمكن أن نجعله أول من مهد الطريق في ذلك للشاعر العظيم «سنائي»

عمر الخيام

[نبذة من ترجمته]

و لنبدأ الآن بدراسة عمر الخيام (أو الخيامي كما يسمى في العربية). و قد فاز هذا الشاعر، بفضل العبقرية التي أبداهها «فينر جوالد» في ترجمة رباعياته إلى الانجليزية، بشهرة عريضة في إنجلترا و أوروبا و أمريكا، لم يفز بمثلها في بلده إيران، حيث اقتصر شهرته على ما كتبه متعلقاً بالرياضة و النجوم، و لم تتعداها إلى ما كتب من أشعار.

و أقدم ما في حوزتنا من أخبار عنه، ورد في كتاب «جهاز مقاله» أو «المقالات الأربع» من تأليف «نظامي عروضي السمرقندي» و يجب أن نلاحظ أن الأخبار التي وردت عنه في هذا الكتاب، لم ترد في المقالة المتعلقة بالشعر و الشعراء، وإنما وردت في المقالة المتعلقة بعلم النجوم و المنجمين. و قد كتب نظامي العروضي «٢» هذا الكتاب في النصف الأخير من القرن الثاني عشر الميلادي (السادس الهجري). و مما كتبه عن عمر الخيام ما رواه في الحكاية السابعة و العشرين «٣» حيث يقول ما ترجمته:

«... في سنة ست و خمسمائة نزل الإمام عمر الخيامي و الإمام المظفر الاسفزاری»

(١) أنظر ص ٢٨٢ من كتابه «الأدب الفارسي الحديث: Neupers. Litt. -».

(٢) يجب ألا نخلط بينه وبين الشاعر المعروف «نظامي الكنجوي».

(٣) أنظر أيضا ترجمة «براون» إلى الإنجليزية ص ١٠٠-١٠١.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٠٥

«في سراي الأمير أبي سعد بمدينة بلخ بمحلة «بانعي العبيد» و كنت قد التحقت «بخدمتهم هنالك. فسمعت في مجلس من مجالس المتأدبة والمؤانسة حجة الحق» «عمر يقول: إن قبري سيكون في موضع تهب عليه ريح الشمال في فصل «الربيع فتتثر على مرقدي ورود والأزهار؛ فبدأ لي استحالة هذا الحديث»، «و لكني كنت أعلم أنه لا يقول الكلام جزافا، فلما كانت سنة ثلاثين وخمسائة» «وصلت إلى نيسابور، وكانت قد مضت بضع سنوات «١١» منذ مات هذا الرجل» «العظيم وانطوت صفحة وجهه في نقاب الثرى و التراب، و تيمت بفقدته العالم الأسفل»، «و كانت له حقوق الأستاذية علي. فذهبت في إحدى الجمعات «٢١» لزيارة قبره» «و اصطحبت معي واحدا من الناس ليدلني على ثراه، فأخذني إلى مقبرة الحيرة». «فلما درت إلى ناحية اليسار، وجدت قبره في أسفل جدار إحدى الحدائق»، «و قد أطلت عليه من وراء هذا الجدار، أشجار الكمثرى و المشمش، و نثرت» «عليه قدرا كبيرا من أزهارها، كان كافيا لتغطية قبره و إخفائه. عند ذلك» «تذكرت الحكاية التي سمعتها من فمه في مدينة بلخ فاستولت على البكاء لأني» «لم أر له نظيرا في مكان قط من أرجاء هذا العالم و ربوعه المسكونة. جعل الله» «مقره في الجنة ... بمنه و كرمه» «٣».

و أما الحكاية الثانية الواردة عن عمر الخيام في كتاب «جهاز مقاله» فهي الحكاية الثامنة والعشرون منه، و ترجمتها كما يلي:

«رأيت الحكيم حجة الحق عمر، و لكني لم أر له اعتقادا في أحكام النجوم»

(١) أي ثلاث عشرة سنة لأن «عمر الخيام» مات سنة ٥١٧-١١٢٣ م.

(٢) يقصد بذلك «ليلة الجمعة» أو يوم الخميس مساء. لأن المسلمين يجعلون بداية اليوم مع مغرب الشمس. و يخصص الفرس ليلة الجمعة أو كما يسمونها «شب جمعة» لزيارة موتاهم من الأقارب والأصحاب.

(٣) المترجم: يجب أن تنتهي هذه الحكاية عند هذا الحد، و لكن الأصل الانجليزي يضيف إلى ذلك أربعة أسطر، اختلط فيها الأمر على المؤلف، فجعلها تكملة أو خاتمة لهذه الحكاية.

و الواقع أنها مقدمة للحكاية الثانية و قد تداركنا ذلك عند الترجمة. كما أن المؤلف عند ما قام بطبع النص الفارسي لكتاب «جهاز مقاله» ميز كل حكاية من الحكايتين بمقدماتها و خواتمها على الوجه الأصوب.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٠٦

«و كذلك لم أر كثيرا من الكبراء و لم أسمع من واحد منهم أنه كان يعتقد في» «هذه الأحكام. ففي شتاء سنة ثمان وخمسائة أرسل السلطان «١» شخصا إلى «مدينة مرو، توجه إلى الوزير الكبير صدر الدين محمد بن مظفر و أمره» «أن يخبر الإمام عمر: أن اختر لنا وقتا يصلح لخروجنا للصيد و القنص بحيث» «لا تمطر الدنيا و لا تثلج خلال الأيام القليلة التي تختارها. و كان السيد الإمام» «عمر مقيما في قصر الوزير فأرسل إليه الوزير شخصا يستدعيه، و حكي له ما جرى» «من حديث. فذهب عمر و عمل فكره يومين كاملين؛ فلما أحسن الاختيار» «ذهب بنفسه و حضر ركوب السلطان وفقا للوقت الذي اختاره، و لم يكده» «السلطان يركب و يذهب مقدار صيحة من الأرض حتى جمعت السحب و ارتفعت» «الرياح، و هبط الثلج و تكاثرت الضباب. فضحك الحاضرون!! و أراد» «السلطان أن يرجع، و لكن الإمام عمر قال له. ليهذا قلب السلطان» «فسينكشف السحاب في التو و الساعة و لن يكون في الأيام الخمسة التالية» «أثر للرطوبة أو البلب. فركب السلطان و انقشع السحاب و لم يعد أحد» «يرى أثرا له، و خلت الأيام الخمسة التالية من المطر و البلب»

«و الواقع أن أحكام النجوم صنعة معروفة و لكن لا يجوز لأحد الاعتماد» «عليها، و يجب على المنجم ألا يعتمد عليها اعتمادا كلياً، و أن يرجع كل حكم» «يستنبطه إلى أحكام القضاء و القدر ..»

هذه الأخبار المبكرة التي رويت عن «عمر» تدلنا بوضوح على أنه كان حيا يرزق في سنة ٥٠٨ هـ - ١١١٤ - ١١١٥ م، و أن قبره كان موجودا في مدينة «نيسابور» و أن الفكرة التي سادت بين أعضاء «جمعية عمر الخيام» من أنه دفن تحت شجيرات الورد إنما هي فكرة خاطئة، بمعنى أن كلمة «گل» الفارسية لها معنيان:

أحدهما بمعنى الزهرة على وجه الإطلاق، و الآخر بمعنى الورد على وجه التخصيص.

و قد رأينا أن سياق الحكاية التي رويت عنه في كتاب «جهاز مقاله» و هي التي ترجمناها فيما سبق، تقطع صراحة بأن المقصود هو أزهار المشمش و الكمثرى و ليس أوراق الورد.

(١) هو فيما يظن السلطان «محمد» أخ السلطان «سنجر» السلجوقي.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٠٧

أحدث الأبحاث عن حياة عمر الخيام

[كتاب «عمر الخيام و الرباعيات الجائلة» للأستاذ «فالتين زوكوفسكي»]

جميع السير التي نشرت في أوروبا عن «عمر الخيام» حتى سنة ١٨٩٧ م، اعتمد فيها كاتبوها على كتب فارسية متأخرة ليس لها نصيب من الأهمية في قليل أو كثير؛ لأن هؤلاء الكتاب كانوا يهدفون إلى خلق القصص الخيالية عن هذا الشاعر، أكثر مما يهدفون إلى تحري الحقائق التاريخية الثابتة. فلما كانت هذه السنة نشر الأستاذ «فالتين زوكوفسكي» مقاله البديع الرائع عن «عمر الخيام و الرباعيات الجائلة» «١» فوضع بذلك حدا للمقالات الزائفة التي نشرت عنه قبل ذلك التاريخ. و قد كتب هذه المقالة باللغة الروسية و نشرها في المجموعة التذكارية التي طبعت تخليدا لمرور خمسة و عشرين عاما على اشتغال «البارون فيكتور روزن» «٢» بأستاذية اللغة العربية في جامعة «سان بطرسبورج» و قد سموها ب «المظفورية» نسبة إلى المعنى الذي يتضمنه اسمه «فيكتور». و قد كان من حسن الحظ، لعدم انتشار اللغة الروسية في غرب أوروبا، أن يقوم المستشرق العبقري الدكتور «إ. دنيسون روس» الذي يتولى الآن عمادة المدرسة الإسلامية بمدينة كلكتا «٣»، بترجمة هذه المقالة الهامة و نشرها في «مجلة الجمعية الملكية الآسيوية» سنة ١٨٩٨ م (مجلد ٣٠ ص ٣٤٩-٣٦٦) و قد أعقب ذلك بتلخيصها و نشر أهم النقط التي دارت عليها في المقالة التي كتبها بعنوان «عمر الخيام و عصره» و جعلها مقدمة لطبعة «متونين»:

Mathuen

« للترجمة الانجليزية التي نشرها «فيتزجرالد» للرباعيات، كما أضاف إليها شرحا و ايا كتبه السيدة «ه. م. باتسون» و نشرته في سنة ١٩٠٠

م «٤».

و قد نقل «ژوكوفسكي» الأخبار المروية عن «عمر الخيام» في لغتها الأصلية، و ألحق بها ترجمة روسية لها، ثم ترجم هذه الأخبار إلى الإنجليزية الدكتور «دينسون»

(١) أنظر:

Prof. Valentin Zhukovski: Umar Khayyam and the Wandering Quatrains

(٢) اسمه بالحروف اللاتينية هو: Baron Victor Rosen

(٣) المترجم: هو المستشرق الكبير المرحوم Sir. E. Denison Ross و قد تلمذت عليه أثناء دراستي في «معهد اللغات الشرقية» بلندن و كان في ذلك الوقت مديراً لهذا المعهد، و أدركته الوفاة في سنة ١٩٤٢ م.

(٤) اسمها بالحروف اللاتينية هو: Mrs. H. M. Balson

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٠٨

روس». و هي في جملتها عبارة عن أربعة أخبار استمدتها على التوالي من كتاب ألف في القرن الثالث عشر الميلادي (-) السابع الهجري)، و خبر منقول من كتاب تم تأليفه في القرن الرابع عشر الميلادي (-) الثامن الهجري)، و خبر آخر منقول من كتاب تم تأليفه في القرن الخامس عشر الميلادي (-) التاسع الهجري)، و خبر آخر منقول من كتاب يرجع تأليفه إلى أواخر القرن السادس عشر (-) العاشر الهجري) أو مطلع القرن السابع عشر الميلادي (-) الحادي عشر الهجري).

و الخبران الأخيران متأخران تاريخياً، ولكنه ذكرهما في مقاله لما اشتغلا عليه من أهمية بالغة. و قد يمكننا أن نضيف إلى هذه القائمة مجموعة أخرى من الأخبار التي رواها أصحاب التراجم المتأخرون، و لكننا نعرض عنها، لأنها في الغالب لا تفعل أكثر من أنها تكرر أقوال السابقين فتنتقصها من أطرافها أو تضيف إليها ما ليس فيها.

و يجب في هذه المناسبة أن نذكر أن «عوفي» صاحب «الباب الألباب» و هو أقدم كتاب من كتب التراجم الفارسية و قد تم تأليفه في بداية القرن السابع الهجري و الثالث عشر الميلادي، لم يذكر شيئاً بالمرءة عن «عمر الخيام» و كذلك فعل «دولت شاه» في كتابه «تذكرة الشعراء» «١» فلم يخصص للخيام مقالة مستقلة مفردة بل تحدث عنه عرضاً «٢» عندما أخذ يترجم لأحد أحفاده المسمى «شاهفور أشهري» «٣».

كتاب «مرصاد العباد»

يظهر أن أقدم الأخبار المروية عن «عمر الخيام» بعد الخبرين اللذين رويتهما فيما سبق عن كتاب «جهار مقاله» هو الخبر الوارد في كتاب «مرصاد العباد» الذي ألفه «نجم الدين الرازي» في سنة ٦٢٠ هـ - ١٢٢٣ م «٤» و قد أشار «ژوكوفسكي» إلى أن أهمية هذا الخبر محصورة في أن مؤلف هذا الكتاب يعتبر من كبار الصوفية المخلصين، و قد كتب عن «عمر الخيام» بوصفه بأنه «فيلسوف و دهرى و طبيعي»

(١) تم تأليف هذا الكتاب سنة ٨٩٢ هـ - ١٤٨٧ م و قد طبع في ليدن سنة ١٩٠٠ م

(٢) أنظر ص ١٣٨ من المرجع السابق.

(٣) الشاعر الفارسي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ.

(٤) هذا الخبر منقول في ص ٣٤١ من مقالة «ژوكوفسكي» و كذلك ص ٣٦١ من مقالة «روس».

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٠٩

و استشهد على ذلك برباعيتين، يبدو في الأولى منهما كفر الخيام و إحداه، بينما الثانية تشتمل على توجيه اللوم للخلائق لخلقهم للكائنات الشريرة و إهلاكه للكائنات الخيرة...!! و قد علق «نجم الدين الرازي» على هذه الأقوال بأنها: «دالة على غايبه الجبر و منتهى الضلال» «١».

كتاب «تاريخ الحكماء» للقنطلي:

و قد ورد الخبر التالي لذلك في كتاب «تاريخ الحكماء» تأليف «القنطلي» «٢» (ص ٢٤٣ - ٢٤٤) طبعه الدكتور «يوليس ليرت»: Dr: Julius Lippert - في ليبزج سنة ١٩٠٣، و هو كتاب باللغة العربية تم تأليفه في الربع الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي (-) السابع الهجري) و قد نشر هذا الخبر و ترجمه إلى الفرنسية المستشرق «ويك»: Wo pcke

« في كتابه عن رسالة الجبر لعمر الخيام L'Algebre d'Omar Khayyami المنشورة في باريس سنة ١٨٥١ م (أنظر ص ٥ من المقدمة و ص ٥٢ من النص) و قد أعاد «ژوكوفسكي» نشر هذا الخبر (ص ٢٣٣ - ٣٣٥) و ترجمه إلى اللغة الروسية، كما ترجمه إلى الإنجليزية «روس» (ص ٣٥٤ - ٣٥٥). و هذا الخبر في جملته يصور «عمر الخيام» بأنه واحد من جملة العلوم اليونانية أي الحكمة و الفلسفة، كما بين ذلك الصوفي الكبير «جلال الدين رومي» عندما قال في كتابه «المثنوي» بيته المشهور الذي ترجمته: إلى متى...؟ إلى متى؟ في حكمة اليونان!! أما تفيق و تمضي في حكمة القرآن...!!

(١) المترجم: فيما يلي نص الرباعيتين بالفارسية:

-١-

در دايره كامدن و رفتن ماست آترا نه بدايت نه نهايت پيدااست

كس مي نزند دمي در اين عالم راست كاين آمدن از كجا و رفتن بكجاست ب-

دارنده جو تركيب طباع آراست باز از چه قبل فكند اندر كم و كاست

گر زشت آمد پس اين صور عيب كراست و نيك آمد خرابي از بهر چراست و الرباعية الأخيرة هي الرقيقة ١٢٦ من ترجمة «Whinfield» -

(٢) المترجم: توفي القنطلي سنة ٦٤٦ هـ - ١٢٤٨ م.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣١٠
يقول القفطي: «وقد وقف متأخر والصوفية على شيء من ظواهر شعره فنقلوها إلى طريقتهم، و تحاضروا بها في مجالساتهم و خلواتهم، و باطنها حيات للشريعة لواسع، و مجامع للأغلال جوامع».
ثم يمضى القفطي فيقول: «إنه كان عديم القرين في علم النجوم والحكمة؛ به يضرب المثل في هذه الأنواع، لو رزق العصمة» و يختم القفطي مقاله عن الخيام بذكر أربعة أبيات من إحدى قصائده العربية، سنرى أن ثلاثة منها ترد أيضا ضمن مقطوعة من ستة أبيات «١» استشهد بها صاحب الكتاب التالي الذي ستحدث عنه مباشرة.

كتاب «زهوة الأرواح» للشهرزوري:

و الكتاب التالي الذي تحدثت عن «عمر الخيام» هو كتاب «زهوة الأرواح و روضة الأفرح» تأليف «الشهرزوري» في القرن الثالث عشر الميلادي (بداية السابع الهجري) و يوجد من هذا الكتاب نسختان، أحدهما عربية، و الأخرى فارسية. و قد نشر «ژوكوفسكي» في مقالته الخبر الوارد عن «عمر» وفقا للنص العربي و النص الفارسي، ثم اختار النص الأخير فترجمه إلى اللغة الروسية على خلاف ما فعل «روس» فقد ترجم النص العربي إلى اللغة الإنجليزية. و كلا النصين يستشهد بأشعار فارسية أو عربية من أشعار الخيام وفقا للغة التي كتب بها هذا النص،

(١) المترجم: فيما يلي نص هذه الأبيات و هي سبعة أبيات و ليست ستة كما جاء في كلام المؤلف

إذا رضيت نفسي بعميسور بلغة يحصلها بالكد كفى و ساعدي
أمنت تصاريف الحوادث كلها فكن يا زماني موعدي أو مواعدي
ولي فوق هام النيرين منازل و فوق مناط الفرقدين مصاعدي
أليس قضى الأفلاك من دورها بأن تعيد إلي نحس جميع المساعد
فيا نفس صبرا عن مقيلك إيماتخر ذراها بانقضاض القواعد
متى ما دنت دنياك كانت بعيدة فوا عجبني من ذا القريب المتباعد
إذا كان محصول الحياة منية فسيان حالا كل ساع و قاعد

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣١١

فيستشهد النص الفارسي بالرباعيتين الريميتين ١٩٣ و ٢٣٠ من طبعة «هونفيلد»، و أما النص العربي فيستشهد بمقطوعات ثلاث من أشعاره العربية، تشتمل أولاها على أربعة أبيات، و ثانیها على ستة أبيات، و ثالثها على ثلاثة أبيات «١» و قد رأينا أن المقطوعة الثانية من هذه المقطوعات هي من نفس القصيدة التي استشهد الكتاب السابق الذي تحدثنا عنه بثلاثة أبيات من أبياتها.

و الخبر الذي رواه «الشهرزوري» أكمل و أوفى من الخبر الذي رواه «القفطي»؛ فهو يتحدث عن عمر الخيام فيقول عنه إنه: «كان تلو أبي على سينا في أجزاء علوم الحكمة؛ إلا أنه كان ساء الخلق، ضيق العطن. و قد تأمل كتابا يصفهان سبع مرات و حفظه، و عاد إلى نيسابور فأملأه، فقبول بنسخه الأصل فلم يوجد بينهما كبير تفاوت».

ثم يقول إنه كان عالما بالفقه و اللغة و التواريخ و القراءات السبع، و يقول إن الفقيه المعروف «أبا حامد محمد الغزالي» أحسن له بكثير من البغض و الكراهية بعد ما تباحث معه في مسألة من المسائل، و كذلك فعل السلطان «سنجر»؛ و أما السلطان «ملكشاه» فكان يحبه و يقربه و ينزله منزلة الندماء.

و حكى «الشهرزوري» أن الخيام قبيل وفاته «كان يتأمل الإلهيات في الشفاء» فلما وصل إلى فصل الواحد و الكثير وضع الخلال بين الورتين و قام و صلى و أوصى و لم يأكل و لم يشرب؛ فلما صلى العشاء الأخيرة سجد و كان يقول في سجوده:

(١) المترجم: فيما يلي نص المقطوعتين الأولى و الثالثة:

يقول في المقطوعة الأولى:

تدين لي الدنيا بل السبعة العلى بل الأفق الأعلى إذا جاش خاطري
أصوم عن الفحشاء جهرا و خفية عفافا و أظطاري بتقدیس فاطري
و كم عصبية زلت عن الحق فاهدت بطرق الهدى من فيض المتقاطر
فإن صراطى المستقيم بصائر نصين على وادی العمى كالقناطر و يقول في المقطوعة الثالثة:
رجيت دهرًا طويلا في التماس أخ يرعى و دادي إذا ذو خلة خانا
فكم ألفت و كم آخيت غير أخ و كم تبدلت بالإخوان إخوانا
و قلت للنفس لما عز مطلبها بالله لا تألفي ما عشت إنسانا

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣١٢

«اللهم إني عرفتك على مبلغ إمكانى، فاغفر لي، فإن معرفتي إياك و سيلتي إليك».

كتاب «آثار البلاد» للزويني:

يلي ذلك تاريخيا الخبر الوارد في كتاب «آثار البلاد» للزويني فقد تحدثت ذلك الكتاب عن «عمر الخيام» عند كلامه عن مدينة «نيسابور» في صفحة ٣١٨ من طبعة «و وستنفلد Wustenfeld» فقال إنه «كان حكيما عارفا بجميع أنواع الحكمة سيما النوع الرياضي» و إنه كان مقربا من السلطان «ملكشاه» السلاجوقي، و إن الفضل يرجع إليه في اتخاذ تمثال من الطين لرجل الطير عن الوقوع في بعض الربط و تنجيس أهله بذرقه .. ثم حكى في النهاية الوسيلة التي اتخذها عمر في فضيحة فقيه من الفقهاء، اعناد أن يذكره بالسوء، و يقول عنه أنه كافر ملحد، بينما كان ذلك الفقيه يمشی إليه كل يوم قبل طلوع الشمس و يقرأ عليه درسا من الحكمة «١».

*** و بالانتها من ذكر هذا المرجع تنتهي من الكلام عن الكتب التي تحدثت عن «الخيام» حتى نهاية القرن الثالث عشر الميلادي (- السابع الهجري) و يجدر بنا- قبل أن نمضى في دراسة غيرها من الكتب المتأخرة- أن نشير إلى أن جميع الكتب المبكرة التي سبق لنا الحديث عنها قد أجمعت على الإشارة إلى «عمر الخيام» بأنه «فيلسوف و منتج و رياضي» و أنه عندما وصف بأنه «صوفي» انبرى للرد على ذلك الصوفي الكبير «نجم الدين الرازي»

(١) المترجم: فيما يلي نص هذه القصة كما وردت في كتاب «آثار البلاد»:

«و حكى إن بعض الفقهاء كان يمشى إليه كل يوم قبل طلوع الشمس و يقرأ عليه درسا من الحكمة، فإذا حضر عند الناس ذكره بالسوء، فأمر عمر بإحضار جمع من الطالبين و البوقيين و خباهم في داره، فلما جاءه الفقيه على عادته لقرأة الدرس، أمرهم بدق الطبول و النسخ في البوقات، فجاءه الناس من كل صوب، فقال عمر: يا أهل نيسابور..! هذا عالمكم يأتي كل يوم في هذا الوقت، و يأخذ مني العلم، و يذكرني عندكم بما تعلمون، فإن كنت أنا كما يقول، فلائى شىء يأخذ علمي..؟! و إلا فلائى شىء يذكر الأستاذ بالسوء؟!»

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣١٣

فقال عنه أنه «فيلسوف و دهرى و طبيعى» بينما نرى «القطفى» يقول إن جماعة من متأخري الصوفية قد وقفوا «على شىء من ظواهر شعره، فنقلوها إلى طريقتهم و تحاضروا بها في مجالساتهم و خلواتهم، و بواطنها حيايت للشرعية لواسع و مجامع للأغلال جوامع..!!»

كتاب «جامع التواريخ»:

و أهم مرجع من مراجع القرن الرابع عشر الميلادى (الثامن الهجرى) هو كتاب «جامع التواريخ» تأليف «رشيد الدين فضل الله» و هو عبارة عن موسوعة في تاريخ «المغول» و بعض أبواب التاريخ العام، تم تأليفها في الربع الأول من القرن الرابع عشر الميلادى (في سنة ٥٧١٠هـ) و ما زالت لسوء الحظ غير مطبوعة، برغم ما لها من أهمية كبيرة محققة «١».

و أول ما نصادفه في هذا الكتاب هو «قصة الأصدقاء الثلاثة» التى سبق لنا الحديث عنها «٢» و قد سبق لى أن ضمننت جزءا من هذا الحديث في مقال قصير بعنوان «ضوء جديد يكشف عن عمر الخيام» نشرته في «مجلة الجمعية الملكية الأسيوية» شهر أبريل سنة ١٨٩٩م (ص ٤٠٩-٤١١) و لما كان نص هذه القصة كما ذكرها كتاب «جامع التواريخ» هو أقدم نصوص هذه الأسطورة التى أثارَت كثيرا من الجدل و الاهتمام بين المعجبين بهذا الشاعر المنجم و بين مترجمه

(١) طبع الأستاذ «كاترمير» جزءا صغيرا منها يتعلق بتاريخ هولانكو خان (باريس سنة ١٨٣٦م) كما أن الموكلين بأمر سلسلة جب التذكارية يعنون بنشر أجزاء أخرى من هذه الموسوعة.

المترجم: أصدرت سلسلة جب التذكارية جزءا من هذه الموسوعة نشره «المسيبولوشيه» في المجلد الثامن عشر و هو يتعلق بتاريخ المغول من تولى «أوكتاي» حتى وفاة «تيمور الجايتو» حفيد «قبلاى خان». كما نشرت جزءا آخر عن «غازان خان» بعنوان «تاريخ مبارك غازانى» نشره «كارل يان» سنة ١٣٥٨هـ - ١٩٤٠م.

(٢) عند الحديث على «نظام الملك» ص ٢٣٦-٢٣٩ من هذا الكتاب.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣١٤

«فيتجرالد» فإنى أرى لزاما على أن أنشر في هذا المقام ترجمة الجزء المتعلق منها بالخيام، و خلاصته كما يلى «١»:

«و أما سبب النفور و العداة اللذين وقعا بين «نظام الملك» و «الحسن الصباح» «فمرجه إلى أنهما كانا يحضران الدرس مع «عمر الخيام» فى مدرسة فى مدارس «نيسابور» و كما يفعل الصبية فى أثناء الطفولة، أحس كل منهم بصدافة بالغة «الصاحبه، ارتبط فيها ثلاثتهم برباط الدم و أقسموا أغلظ الإيمان على أن» «من يصل منهم إلى مركز رفيع فى الدولة يجب عليه أن يحمى صاحبه و يقدم» «لهما كل معونة لازمة».

«و تتابعت الحوادث كما بين ذلك صاحب كتاب «تاريخ آل سلجوق» و انتهى «الأمر بنظام الملك فأصبح وزيراً للسلاجقة. فاتفق به عمر الخيام و ذكره «بالإيمان التى أقسموا عليها و العهود التى ارتبطوا بها أثناء طفولتهم؛ فاعترف «نظام الملك بهذه العهود و المواثيق و قال له: إنى أحب لك أعمال نيسابور» و توابعها. و لكن عمر كان رجلا عظيما و فيلسوفا حكيما فرفض ما عرض «عليه قائلا: إن رغبتى لا تنصرف إلى حكم ولاية من الولايات أو التحكم فى أهلها» «و لا طاقة لى بالسياسة و أمر العوام، و إنما تنصرف رغبتى إلى أن تجرى على» «معاشا أو راتبا أرزق منه. فأجرى عليه نظام الملك معاشا يبلغ عشرة آلاف» «دينار، يصرف له سنويا من دخل نيسابور دون أن يقطع منه شىء للضرائب»

و تستمر القصة بعد ذلك فتذكر وصول «الحسن الصباح» إلى «نظام الملك» و مطالبته إياه بتعيينه من المغانم. فلما عرض عليه حكومة «الرى» أو «أصفهان» رفضها، و لم يقبل إلا أن يلحق بمنصب من المناصب الرفيعة فى بلاط السلطان. فلما تم له ذلك أساء استعمال منصبه، و حاول أن يوقع بصاحب الفضل عليه، و أن يتولى

(١) هذه ترجمة فيها شىء من النصرف و لكنها لم تهمل شيئا من الأمور الأساسية التى وردت فى الأصل و أما المقال الذى نشرته فى «مجلة الجمعية الملكية الأسيوية» فيتضمن ترجمة حرفية لهذه النبذة.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣١٥

الوزارة فى مكانه؛ و لكن تديبره أخفق و ناله كثير من الخزي و العار، فآثر الهرب إلى «خراسان» ثم إلى «إصفهان» ثم التحق بخدمة الخليفة الفاطمى «المستنصر» بمدينة القاهرة، حيث تزعم قضية «نزار» ثم عاد إلى إيران بنشر باسمه «الدعوة الجديدة» و قد سبق لنا أن ذكرنا كل هذه الأمور فى مكانها من الفصل السابق. و لمن شاء الاطلاع على تفاصيلها أن يرجع إلى ما ذكر عنها فى كتاب «تاريخ عزيزه» «١» و كتاب «تذكرة الشعراء» لدولتشاه «٢» و غيرهما من الكتب المتأخرة.

كتاب «فردوس التواريخ»:

و الخبر التالى الذى رواه «ژوكوفسكى» عن عمر الخيام منقول عن كتاب «فردوس التواريخ» الذى تم تأليفه فى سنة ٨٠٨هـ - ١٤٠٥م؛ و هذا الخبر يتضمن رباعيتين من رباعيات الخيام، و يصف المناظرة التى وقعت بينه و بين «أبى الحسن البيهقى» فى تفسير بيت عربى من الأبيات الواردة فى «ديوان الحماسة» «٣» ثم ينتهى بذكر قصة موته وفقا لما ذكره «الشهرزورى» فى كتابه «نزّه الأرواح».

كتاب «لتاريخ الألفى»:

و آخر الأخبار التي نقلها «زوكوفسكي» عن الخيام هو الخبر الذي نقله عن كتاب «تاريخ ألفي» أو التاريخ الألفي «٤»، و هو مؤلف حديث جدا، سمي بهذه التسمية لأن مؤلفه قصد أن يتحدث فيه عن تاريخ السنوات الألف الأولى من سني الهجرة

(١) أنظر ص ٤٨٦-٤٩٧ من هذا الكتاب طبع «جانتن Gantin».

(٢) أنظر ص ١٣٨-١٤١ من تذكرة الشعراء طبع «براون» بمدينة لندن سنة ١٩٠٠

(٣) المترجم: البيت المقصود هو قول الشاعر.

و لا يرعون أكتاف الهويني إذا حلوا و لا أرض الهدون

(٤) المترجم: مؤلف هذا الكتاب هو «أحمد بن نصر الله التوي» من أهالي السند و قد ألفه باسم «أكبر شاه» ملك الهند.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣١٦

أى إلى سنة ١٥٩١-١٥٩٢ الميلادية. ولكنه في الحقيقة لم يصل به إلا إلى سنة ٩٩٧ هـ. والخبر الوارد في هذا الكتاب هو في الحقيقة تكرار لما ذكره «الشهرزوري» مع شيء من الاقتضاب والاختصار، ولكنه ينتهي بهذه البذرة الغريبة:

«و يؤخذ من أكثر الكتب أنه (أى الخيام) كان يدين بمذهب التناسخ» و حكي أنه كان في نيسابور مدرسة قديمة استخدموا في إصلاحها الحمير، فكانت «تحمل الأجر إليها. فحدث في يوم من الأيام أن الحكيم (أى عمر الخيام) «كان يمشى مع جماعة من الطلبة في صحن المدرسة، فما كان من أحد الحمير» إلا- أن امتنع بتاتا عن الدخول فلما رأى الحكيم ذلك تبسم، ثم توجه إلى «ناحية الحمار و قال له على البديهة هذا الرباعي».

«أى رفته و باز آمده بل هم گشته» نامت ز میان نامها گم گشته»

«ناخن همه جمع آمده و سم گشته» ریش از پس کون در آمده دم گشته» و معناه:

»

- يا من ذهبت ... ثم عدت كالأنعام بل أضل من الأنعام» - لقد انمحي اسمك، و ضاع من بين أسماء الأنام ...!!!

«- و اجتمعت أظفارك ... فأصبحت حوافر الأقدام ...!!!» - و التصقت ذقتك بعجزتك ... فصارت هذا الذيل التام ...!!!» عند ذلك دخل الحمار ...!! فالتفتوا إلى الحكيم و سألوه السبب فيما كان ..!! «فقال لهم: إن الروح التي تمصت جسد هذا الحمار كانت روح

أحد المدرسين» بهذه المدرسة، لهذا لم تشأ دخولها حتى تبينت الآن أن زملاؤه قد عرفوها» فاضطرت إلى الدخول ...!!!

و ليس من الممكن في هذا المجال أن نمضي في ذكر الأخبار المتأخرة الواردة عن «عمر الخيام» فإنها في الغالب عبارة عن حكايات ظاهرة الانتحال، وضعت لتفسير بعض الرباعيات التي تنسب إليه. و من الغريب أن صاحب السير المشهور «ابن

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣١٧

خلكان» قد تجاهل «الخيام» تجاهلا كلياً و كذلك فعل «ابن شاكر» رغم أنه حاول في كتابه «فوات الوفيات» أن يتدارك ما نسبه سلفه صاحب «وفيات الأعيان». أما الكتبي التركي «حاجي خليفة» فذكره ثلاث مرات «١»؛ الأولى بمناسبة علم الجبر، و الثانية بمناسبة زيج ملكشاه، و الثالثة و الأخيرة على أنه معاصر لواحد من المؤلفين الذين تحدث عنهم «٢» و لكنه نسى أن يعين تاريخ وفاته، مما يدل دلالة ظاهرة على أنه كان يجهل هذا التاريخ. و قد حددوا هذا التاريخ عادة بسنة ٥١٧ هـ - ١١٢٣ - ١١٢٤ م و لكنى لا أستطيع أن أجد سنداً قوياً اسند إليه في تحديد هذا التاريخ «٣» و كل ما هنالك أنه من المحقق - استناداً إلى ما جاء في كتاب «جهار مقاله» أنه مات في الفترة الواقعة بين سنة ٥٠٩ هـ - ١١١٥ م و ٥٣٠ هـ - ١١٣٥ م و أنه مات قبل السنة الأخيرة «بضع سنوات» و أن أباه يسمى «ابراهيم» و قد وصف بأن له ضنة بالتأليف و التعليم، و لكن الدكتور «روس» استطاع أن يخرج لنا قائمة بمؤلفاته التي ذكرت في مختلف المصادر، فإذا بها تبلغ عشرة كتب بما في ذلك رباعياته المعروفة و زيج ملكشاه الذي اشترك في استنباطه. و أغلب هذه الكتب عبارة عن رسائل علمية أو فلسفية مكتوبة باللغة العربية. و قد طبع الأستاذ «ويكه» رسالته عن الجبر و نشر ترجمتها بالفرنسية في سنة ١٨٥١ م و ما زالت في مكتبة لندن نسخة مخطوطة من إحدى رسالته «في شرح ما اشكل من مصادر كتاب إقليدس». «٤»

(١) ج ٢ ص ٥٨٤، ج ٣ ص ٥٧٠، ج ٤ ص ٢٧٣.

(٢) المترجم: عندما تحدث عن كتاب «مهجة التوحيد» لعلاء الدولة الملك بالري.

(٣) أنظر ما كتبه «ريو» في «مهرست الكتب الفارسية» ص ٥٤٦ و كذلك ما كتبه الدكتور «روس» في مقدمته على ترجمة «فيتجرالد» للرباعيات المخطوطة في لندن سنة ١٩٠٠ م ص ٧١-٧٢.

(٤) المترجم: الكتب المنسوبة إلى الخيام هي التالية:

«الرباعيات»، «زيج ملكشاه»، «رسالة في براهن الجبر و المقابلة»، «رسالة في شرح ما اشكل من مصادر كتاب إقليدس». «رسالة في الطبيعيات»، «رسالة في الوجود»، «رسالة في الكون و التكليف»، «رسالة في الاحتيال لمعرفة مقادير الذهب و الفضة في جسم مركب منهما»، «رسالة في لوازم الأمكنة»، «نوروزنامه»، «رسالة في جواب القاضى أبى نصر محمد بن عبد الرحيم النسوى» «رسالة في الجواب عن ثلاث مسائل».

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣١٨

الأدب الخيامية

من المقطوع به أن أغلب القراء يتركز اهتمامهم في «الرباعيات» و قد كانت الترجمة الرائعة التي أصدرها «فيتجرالد» لهذه الرباعيات سبباً في صدور جملة كبيرة من الكتب و الرسائل حول الخيام و رباعياته، أخذت تنتشر في أوروبا و أمريكا و تكثر كثرة هائلة بحيث أصبح من المستحيل علينا أن نتناولها بالبحث في صفحات هذا الكتاب. و من الملاحظ أن بعض هذه المؤلفات يرقى إلى أجود أنواع التأليف، و أن بعضها ينحط إلى أسفل مدارك الكتابات الرخيصة التي صادفتها أثناء حياتي؛ و لا شك أن القائمة الطويلة التي يشتمل عليها الملحق التاسع و الأربعون من الطبقات الجميلة المختلفة التي نشرها «١» «ثانان هسكل دول» للرباعيات في مدينتي بوسطن و لندن سنة ١٨٩٨، تكفي لإشباع نهم كل معجب بالخيام متعطل إلى آثاره و أخباره. و مع ذلك فقد اضطر هذا الرجل الدؤوب جامع هذه القائمة إلى الاعتراف «٢» بأن «مجرد جمع ما كتب عن عمر الخيام في سائر اللغات يقتضى من المرء أن يتفرغ لذلك طوال حياته الكاملة، و أن مجموع المؤلفات التي كتبت عنه تكفى بلا شك لإنشاء مكتبة عامرة حافلة» «٣».

و مع حرصى على مراعاة الاقتضاب و الاختصار، أجد لزاماً على أن أفضل الكلام قليلاً عن مسألة «الرباعيات الجائلة» «٤» التي تناولها بالبحث «زوكوفسكي»؛ و كذلك عن المقارنة الدقيقة و التحليل العميق اللذين أجراهما «هرون» Heron Allen - لترجمة

«فيتزجرالد» و مقابلتها بأصول الرباعيات الفارسية

(١) أنظر ص ٣٤٨-٥٩٤ من الطبقات المختلفة للرباعيات من نسخة Nathan Haskell Dole, Boston and London ١٨٩٨.

(٢) أنظر ص ٥٩٤ من المرجع السابق.

(٣) المترجم: ربما كان من المفيد أن نذكر للقارئ العربي أن أهم مترجمي الرباعيات إلى اللغة العربية هم السادة:

«وديع البستاني» و «محمد السباعي» و «محمد الهاشمي» و «أحمد الصافي النجفي» و «جميل صدقي الزهاوي» و «أحمد حامد الصفاق» و «أحمد رامى» و «أحمد زكى أبو شادى» و «توفيق مفرح» و «حسين مظلوم رياض» و «عبد الحق فاضل» و ترجم «إبراهيم عبد القادر المازني» بعض الرباعيات في «حصاد الهشيم».

(٤) يقصد ب «الرباعيات الجائلة» الرباعيات التي تنسب عادة إلى عمر الخيام ولكنها في أوتق المصادر وأقدمها منسوبة إلى غيره من الشعراء.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣١٩

الرباعيات الجائلة:

وقد وجد «ژوكوفسكى» أن الرباعيات التي تشتمل عليها طبعه «نيكولاس M Nicolas» تتضمن ما لا يقل عن اثنتين وثمانين رباعية يمكن نسبتها، اعتمادا على أوتق المصادر، إلى واحد من الشعراء الآتين:

«أبو عبد الله الأنصارى»، «أبو سعيد بن أبى الخير»، «أفضل الكاشى»، «عاكف»، «علاء الدولة السمنانى»، «الأنورى»، «المسجدى»، «أثير الدين»، «الطار»، «ابن سينا»، «أوحدى الكرماني»، «يديهى السجاوندى»، «سيف الدين الباخزرى»، «فخر الدين الرازى»، «الفردوسى»، «أحمد الغزالي»، «حافظ الشيرازى»، «جلال الدين الرومى»، «جمال الدين القزوينى»، «الخاقانى الشروانى»، «كمال الدين اسماعيل»، «مجد الدين همكر»، «المغربى»، «الملك شمس الدين»، «نجم الدين الرازى»، «نصير الدين الطوسى»، «نعمه الله الكرماني»، «رضاء الدين»، «سعد الدين الحموى»، «سلمان الساوجى»، «شاهى»، «سراج الدين القمى»، «طالب الأملى».

و لو أننا تكلفنا قليلا من التعب، لزدنا على هذه القائمة أسماء غيرهم من الشعراء، فقد لاحظت وجود أمثلة أخرى يمكن أن نضيفها إلى الأمثلة السابقة؛ من ذلك أن الرباعيتين اللتين نشرهما «هوينفله» برقم ١٤٤ و ١٩٧ و نشرهما «نيكولاس» برقم ١١٦ و ١٨٢ و نسب قولهما إلى عمر الخيام، نشرهما «ژوكوفسكى» برقم ٢٦ و ٢٧ و نسب قولهما إلى «نصير الدين الطوسى» و «طالب الأملى». و مع ذلك فقد وجدت في «تاريخ كزیده» ١١ أن الأولى منهما تنسب إلى «سراج الدين القمى» و أن الثانية تنسب إلى «عز الدين الكراثشى» ٢٢، و من الواضح أنهما يتناقضان من

(١) كتاب في التاريخ تم تأليفه سنة ٧٣١-١٣٣٠ م.

(٢) أنظر مقالتي عن «شعراء الفرس الذين ذكرهم صاحب تاريخ كزیده» و قد نشرتها في «مجلة الجمعية الملكية الأسيوية». عدد أكتوبر سنة ١٩٠٠ و عدد يناير سنة ١٩٠١ (رقم ٣٨، ٥٠)

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٢٠

حيث المعنى تناقضا تاما، بحيث لا يمكن بدهاه نسبتها إلى شاعر واحد. و قد ألحق الدكتور «روس Ross» بترجمته لمقالة «ژوكوفسكى» جدولا قيما للمقابلة بين الرباعيات وفقا لترتيبها في نسخة «هوينفله» و نسخة «نيكولاس» و نسخة «المكتبة البولدي» Bodlian.

و خلاصة هذا البحث و زبدهته، أنه يمكننا من أن نقطع على وجه التأكيد بأن «عمر الخيام» قد كتب بغير شك كثيرا من الرباعيات، و لكن من غير الممكن- فيما عدا أمثلة قليلة نادرة- أن نجزم على وجه اليقين بأنه كتب رباعية بعينها من هذه الرباعيات الكثيرة التي تنسب إليه.

و أقدم نسخة مخطوطة من «رباعيات الخيام» هي النسخة الموجودة في «المكتبة البردلية» تحت رقم ٥٢٥؛ و يرجع تاريخها إلى سنة ٨٦٥ هـ- ١٤٦٠ م أى أنها نسخت بعد موته بما يقرب من ثلاثة قرون و نصف القرن. و هذه النسخة تشتمل على ١٥٨ رباعية؛ و قد نشرها و ترجمها نثرا و علق عليها المستر «إدوارد هرون ألن» في لندن سنة ١٨٩٨ م، ثم نشر في السنة التالية كتابا في الموضوع نفسه بعنوان «المقابلة بين ترجمة فيتزجرالد لرباعيات عمر الخيام مع أصولها الفارسية» ١١ و قد أحصى فيه (ص ١٥-١٦) عدد النسخ الخطية و المطبوعة من الرباعيات و مقدار الرباعيات التي تشتمل عليها كل نسخة من هذه النسخ. و الفرق كبير بين عدد الرباعيات في مختلف النسخ. فبينما يقتصر عددها على ٧٦ رباعية في نسخة خطية قديمة في مكتبة باريس يرجع تاريخها إلى سنة ٩٣٧ هـ- ١٥٣٠ م، إذا به يبلغ ٦٠٦ رباعية في نسخة خطية بمكتبة بانكيبور، و إذا به يرتفع إلى ٧١٠ رباعية في النسخة المطبوعة على الحجر في مدينة لكونو سنة ١٣١٢ هـ- ١٨٩٤ م، ثم إذا به يصل إلى ٨٤٥ رباعية في الترجمة المنظومة التي نشرها «جون باين John Payne» ثم إذا بنا في النهاية نجد أن الآنسة «جيسى كادل Jessie E. Cadell» استطاعت بالرجوع إلى مختلف المصادر أن تجمع ما يزيد على ألف و مائتين من الرباعيات المنسوبة إلى عمر الخيام.

(١) اسمه بالانجليزية:

Edward Fitz Gerald's Ruba iyyat of Omar Khayyam with their Original Persian Sources,

London, ١٨٩٩. تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٢١

و قد يمكن في يوم من الأيام بالتنقيب في خبايا المكتبات الأسيوية العثورة على نسخة خطية قديمة من الرباعيات، يستطاع الاعتماد عليها و الوثوق من مشتعلاتها.

و لكننا كما أوضحنا آنفا لا يمكننا قبل العثور على مثل هذه النسخة أن نجزم على وجه اليقين- إلا في أمثلة قليلة نادرة- بمقدار الرباعيات التي تصح نسبتها إلى عمر. و من أسف أن فحص الرباعيات من حيث مابها أو معانيها لا يمكن أن ينتهي بنا إلى شىء؛ فمباني الرباعيات من حيث لغتها و ألفاظها لا تفيدنا في شىء، لأننا لا نملك حتى الآن نسخة منها قريبة التاريخ من زمن الشاعر نفسه؛

وكذلك لا يجدنا أسلوبها نفعاً، لأن جميع الرباعيات تتشابه في الغالب من حيث الصيغة والوزن والتركيب والمحسنة البلاغية؛ و هي بالإضافة إلى ذلك قصيرة المدى، تميل إلى معالجة الأمور «العامه» دون «الخاصه»، وتتميز بسهولة المحاكاة والتقليد حتى ليصعب - باجتماع كل هذه الأمور - على أي أديب إيراني، مهما بلغ شأوه في دراسة الآداب الفارسية، أن يعتمد على أسلوبها، فيجزم ارتكانا على ذلك بتعيين قائلها و منشديها.

أما فيما يتعلق بالمقابلة بين ترجمة «فيتزجرالد» للرباعيات وبين أصولها الفارسية فقد و في المستر «إدوارد هرون أن» هذه المسألة حقها بكل أمانة وإخلاص في ثاني كتابه اللذين سبق لنا ذكرهما في الصفحات الماضية، ونحن نكتفي بأن نعيد هنا نتيجة أبحاثه التي وصل إليها بعد كثير من التعب والنصب، حيث يقول في مقدمة ذلك الكتاب (ص ١١-١٢) ما يلي:

«نجد بين الرباعيات التي ترجمها فيتزجرالد تسعا وأربعين رباعية ترجمها «فيتزجرالد بأمانة أو حكاهاها بإخلاص، و يوجد الأصل الفارسي لكل «رباعية من هذه الرباعيات في مخطوطة «أوسلي

Ouseley

أو مخطوطة «كلكتا أو فيها معا»

«و في هذه الترجمة أربعة وأربعون رباعية أخرى يمكن إرجاع كل منها إلى «أكثر من رباعية واحدة فارسية، ويمكن أن نسميها بالرباعيات المركبة.» و هناك رباعيتان أوحى بهما إلى فيتزجرالد بعض الرباعيات التي لا توجد إلا «في نسخة نيكولاس»

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٣٢٢

«كما أنه صاغ رباعيتين جعلهما ترديدا للروح العامة التي توحى بها الرباعيات.» و في الترجمة كذلك رباعيتان يمكن إرجاعهما إلى تأثير فريد الدين العطار «و كتابه: منطق الطير»

«و هناك رباعيتان من إنشاء عمر أصلا ولكنها تأثرتا في الترجمة بغزليات «حافظ الشيرازي»

«و كانت هناك ثلاث رباعيات، تضمنتها الطبعتان الأولى والثانية من الترجمة، «و قد حذفها فيتزجرالد نفسه بعد ذلك و لم أجد لها - رغم البحث الدقيق - «أصلا باللغة الفارسية. و لا شك أنه تأثر فيها بشعراء آخرين ليس يعنينا في هذه «المناسبة تحقيق هويتهم أو معرفة شخصيتهم».

ولست في حاجة بعد ذلك كله إلا أن أذكر المبتدئين، دون غيرهم، بأن الرباعية في الأدب الفارسي تعتبر وحدة مستقلة قائمة بذاتها، و أنه لا يوجد في ذلك الأدب منظومة طويلة تتركب من عدد من الرباعيات، و أن الترتيب الذي يراعى في مجموعات الرباعيات هو الترتيب الأبجدي وفقا للحرف الأخير من الشطرات الثلاث المقفاة من الرباعية.

*** بابا طاهر الهمداني

إشارة

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب النص ٣٢٢ طبع رباعياته ص: ٣٢٢

[طبع رباعياته]

الشاعر الثاني من شعراء الرباعيات الأربعة هو «بابا طاهر الهمداني» الملقب ب «العریان». و سيكون حديثي عنه مختصرا لأن رباعياته طبعت مرتين: الأولى مع ترجمة فرنسية محشاه بواسطة الأستاذ «كليمان أويار» في «المجلة الآسيوية» عدد نوفمبر وديسمبر من سنة ١٨٨٥ م (المجموعة الثامنة، مجلد ٤)؛ «١» و الثانية مع ترجمة إنجليزية منشورة مصحوبة بكثير من التعليقات بواسطة المستر «إدوارد هرون

(١) أنظر مقالة «أويار Huart - في: «المجلة الآسيوية سنة ١٠٨٥، ser. VIII, vol. Journal Asitique, Nov - D. c. ١٨٨٥

٦ (تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٣٢٣

الن» في كتابه «أشجان بابا طاهر» «١» المنشور في سنة ١٩٠٢ م. و قد تضمن هذا الكتاب أيضا ترجمة أخرى منظومة للرباعيات كتبها السيدة «إليزابيث كورتيس برنتون» «٢». يضاف إلى لك أنه قد سبق لي أن خصصت بضع صفحات من الجزء الأول من هذا الكتاب «٣» للحديث عن اللهجات الفارسية و الأشعار التي صيغت فيها، و تحدثت بوجه خاص عن أشعار «بابا طاهر»؛ و قد أوردت هنالك ثلاث رباعيات من أشهر رباعياته بنصها الفارسي ثم أعقبها بترجمة منظومة بالإنجليزية «٤».

و رباعيات «بابا طاهر» تتفق مع كثير من الرباعيات التي كتبت في لهجة خاصة، من حيث كونها لا تجري على أوزان الرباعي المعروفة، بل تجري على وزن الهزج المسدس المحذوف، فتكرر «مفاعيلين» ست مرات في البيت الواحد و لكن التفعيلة الثالثة و السادسة منها تقتضب إلى «مفاعل» أو «فعلون». و لما كانت هذه الرباعيات من صياغة رجال سذج من رجال الريف، فإنها بالضرورة لا تبلغ من حيث الصياغة اللفظية أو المعنوية مبلغ الرباعيات التي كتبها رجال فنانون من أمثال «عمر الخيام».

حياة «بابا طاهر»

و المعروف لنا عن «بابا طاهر» قليل جدا، و قد اختلف كتاب الفرس اختلافا كبيرا في تحديد زمنه، بحيث جعله بعضهم من الرجال الذين عاشوا في بداية القرن الحادي عشر الميلادي (أوائل الخامس الهجري)، و جعله بعضهم الآخر من رجال النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي (أواخر السابع الهجري). و أقدم ما صادفت

(١) أنظر:

(١) Lament of Baba Tahir, by Mr. Eduard Heron Allen Quaritch ١٩٠٢

(٢) اسم هذه السيدة بالإنجليزية هو: Mrs. Elizabeth Curtis Brenton

(٣) المترجم: أنظر الصفحات ٧٣-٧٨ من الأصل الإنجليزي للجزء الأول من هذا الكتاب المتعلق بالأدب الفارسية منذ أقدم الأزمنة إلى عهد الفردوسي.

(٤) لست أظن قارئ الإنجليزية يستفيد كثيرا بالمقالة التي كتبها «ژوكوفسكي» بالروسية في المجلد الثامن ص ١٠٤-١٠٨ من تقارير القسم الشرقي للجمعية الامبراطورية الروسية للآثار، سنة ١٩٠١ م

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٣٢٤

من الكتب التي ذكرت شيئاً عنه هو كتاب «راحة الصدور» فقد ورد في الورقة ٤٣ من المخطوطة الوحيدة المحفوظة بمكتبة باريس ما ترجمته: «١»

«وقد سمعت أنه عندما قدم السلطان طغرل بك إلى مدينة همدان كان بها «ثلاثة من شيوخ الصوفية هم: «بابا طاهر» و «بابا جعفر» و الشيخ «حمشا»، وكانوا يقفون عند مقدمه على جبل يسمى: جبل الخضر بالقرب من باب همدان، فلما وقعت عليهم عين السلطان أمر رجاله بالوقوف، و ترجمل «عن جواده، و تقدم إليهم، و قبل أيديهم، و كان بابا طاهر مجذوباً؛ فقال له: «أيها التركي...!! ماذا نويت فعله بعباد الله...؟ فأجابه السلطان: سأفعل «ما تأمرني به...!! عند ذلك قال له بابا طاهر: بل افعل ما يأمرك به الله، «و الله يأمر بالعدل و الإحسان.» «٢»

«عند ذلك بكى السلطان و قال: سأفعل ذلك إن شاء الله. فأخذ بابا طاهر بيده «و قال له: هل تقبل مني هذه الهدية...؟ و أخرج من أصبعه رقبة إبريق «مكسور كان يستعمله في الوضوء مدة طويلة، ثم وضعها في إصبع السلطان، «و هو يقول: أتى أضع في يدك ملك العالم كما أضع هذا الخاتم في أصبعك» فكان عادلاً...!! فظل السلطان بعد ذلك يحتفظ بها. فإذا خرج لموقعه «من المواقع وضعها في إصبعه. و هذا كله يدل على ما اتصف به السلطان من نقاء «العقيدة و صفاء الطوية، و لم يكن يدانيه في ذلك أحد من المسلمين ..»

و من المحتمل أن تكون المقابلة التي ذكرت في النبذة السابقة قد حدثت بين «طغرل بك» و «بابا طاهر» في سنة ٤٢٧ هـ أو ٤٥٠ هـ - ١٠٥٥ م أو ١٠٥٨ م. و على ذلك يمكننا في اطمئنان أن نرفض التاريخ الذي حدده «رضا قلي خان» لوفاء «بابا طاهر» حين ذكر في كتابه «رياض العارفين» أنه توفي سنة ٤١٠ هـ - ١٠١٩ م. أما النبذة التي كتبها «ژوكوفسكي» في مقاله الذي سبق الإشارة إليه في هامش من هوامش الصفحات الماضية، و ذكر فيها أن «بابا طاهر» تحدث مع «ابن سينا»

(١) المترجم: قام بطبع هذا الكتاب الاستاذ «محمد آقبال» و نشره ضمن «سلسلة كتب حب التذكارية».

(٢) سورة النحل آية ٩٢.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٣٢٥

المتوفى سنة ٤٢٨ هـ - ١٠٣٥ م فمحتملة التصديق عقلاً. و ليس فيها ما يتنافى مع الجائز المقبول. و لا شك أن النبذة التي نقلناها عن كتاب «راحة الصدور» تتفق أنبأؤها مع الأخبار القليلة التي ذكرتها كتب المصادر الأخرى، من حيث تصوير «بابا طاهر» و إبراز شخصيته، و من حيث إظهار الاحترام و التبجيل اللذين يفوز بهما «المجاذيب» و «الأولياء» في البلاد الإسلامية عامة؛ و قد رأيت بعيني رأسى جماعة من هؤلاء ينتقلون بحرية تامة في مكاتب الحكومة التركية، فيلاقيهم الموظفون دائماً بمنتهى الحفاوة و التكریم (٤)

*** أبو سعيد ابن أبي الخير:

[مولده و حياته]

نتقل الآن إلى الحديث عن ثالث الشعراء المشهورين بكتابة الرباعيات، و هو «أبو سعيد بن أبي الخير» المولود في قرية «مهنة» من أعمال «خاوران» في السابع من ديسمبر سنة ٩٦٧ م و المتوفى في الثاني عشر من يناير سنة ١٠٤٩ (٣٥٧ هـ إلى ٤٤١ هـ). و قد اعتبره «إتبه»: «أول من أبدع الشعر الصوفي، و أول من روج «الرباعيات» و جعلها وسيلةً صالحةً لأداء الأفكار الدينية و الصوفية و الفلسفية بحيث تركز فيها و تصدر عنها جميع التجليات الصوفية الرائعة؛ و هو كذلك أول من أضفى على الرموز و التعبيرات الصوفية هذا الجمال الزاهر و هذا الخيال القاهر اللذين عرف بهما الشعر الصوفي منذ ذلك الزمان».

و روى كذلك عن «أبي سعيد» أنه تمكن من الإجماع ب «ابن سينا» كما فعل «بابا طاهر». و قد ورد الخبر في حكاية معروفة أنه عند ما انفض مجلسهما الأول قال أبو سعيد لابن سينا: «إنني أدرك ما تعرفه...!!» فأجابه ابن سينا بقوله: «و أنا أعرف ما تدركه...!!» «١».

(١) من بين الكتب التي ذكرت هذه القصة كتاب «أخلاق جلالى» المؤلف في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي (أى التاسع الهجرى) ص ٢٨ من نسخته المطبوعة على الحجر في مدينة لكنو سنة ١٢٨٣ هـ: ١٨٦٦ م و قد روى «تاريخ غريده» هذه القصة بصورة أخرى كما ذكر ذلك الدكتور «إتبه». فقد ورد فيه أن ابن سينا قال: «كل ما أعرفه يدركه أبو سعيد» فأجابه أبو سعيد بقوله: «أما ابن سينا فيعرف ما لا أدركه...!!»

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٣٢٦

و مع ذلك فقد وضع الدكتور «إتبه» أن هذين الرجلين كانا على طرفي نقيض في كثير من المسائل الدينية و أن العداوة كانت متأصلة بينهما «١».

و مصادر تاريخ «أبي سعيد» - على خلاف العادة - واسعة كاملة؛ فبالإضافة إلى ما نجده عنه من أخبار كثيرة، تضمنتها تراجم الأولياء و الشعراء، نجد أن الدكتور «إتبه» قد كتب عنه، بما عهد فيه من دقة في البحث و عمق في الدرس، مقالين هامتين «٢»، و كذلك قام «ژوكوفسكي» في سنة ١٨٩٩ م بنشر مجلدين يحتويان نصوصاً نادرة، تتعلق كلها أو جلها بحياة هذا الرجل، و بما أثر عنه من أقوال و أشعار. و لهذين المجلدين أهمية خاصة تدعونا إلى تفصيل القول عنهما بعض الشيء..

و أول هذين المجلدين يشتمل على النص الفارسي لكل من الكتابين الآتيين:

١- «أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد».

ب- «رساله حورائيه» أو رسالة الحور.

و الكتاب الأول من هذين الكتابين أى «أسرار التوحيد» عبارة عن مؤلف مطول يقع في ٤٨٥ صفحة، كتبها أحد أحفاد الشيخ أبي سعيد المسمى «محمد ابن المنور بن أبي سعيد بن أبي طاهر بن أبي سعيد بن أبي الخير المنسوب إلى قرية ميته» «٣» و قد برهن «ژوكوفسكي» في مقدمته الرائعة التي قدم بها هذا الكتاب، على أن هذه الصفحات قد كتبها مؤلفها فيما بين سنة ٥٥٢ هـ و سنة ٥٩٩ هـ (- ١١٥٧ - ١٢٠٣ م) لأنها تتضمن إشارات إلى موت السلطان «سنجر» السيلجوقي المتوفى في أول هذين التاريخين، كما إنها مهداة إلى ملك الغور «غياث الدين محمد بن سام» المتوفى في ثاني هذين التاريخين. و قد نشر «ژوكوفسكي» نص هذا

(١) انظر ص ٥٢ - ٥٣ من المرجع المذكور في الهامش التالي.

(٢) مجموعة مقالات نشرها الدكتور «إتبه» في: Sitzungsbd. Bayr Akad philos - Philolog. سنة ١٨٧٥ ص ١٤٥ - ١٦٨ و سنة ١٨٧٨ ص ٣٨ - ٧٠. و قد نشر في هذه المقالات اثنتين و تسعين رباعية من رباعيات «أبي سعيد» مصحوبة بترجمة منظومة، عليها

كثير من الحواشي والتعليقات.

(٣) كما جاء في «أسرار التوحيد» ص ٣.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٣٢٧

الكتاب وفقا لمخطوطتي «بطرسبورج» و «كوبنهاجن». وهو يقول إن أهميته تنحصر في أنه يعتبر من المصادر الأصلية التي اعتمد عليها «الطاهر» و «جامي» وغيرهما من «كتاب التراجم»، كما إن الأخبار التي تضمنتها تستند إلى روايات المعاصرين الذين نقلوها إلى المؤلف بطريق المشافهة أو بما خلفوه لأعقابهم من مذكرات و رسائل.

و يعتبر هذا الكتاب من أقدم الرسائل التي كتبت عن «تراجم الأولياء» و من أوضح الكتب التي صورت لنا حياة «الدرويش» في ذلك العصر، و هو بالإضافة إلى ذلك يشتمل على كثير من المسائل اللغوية الهامة و الصيغ المهجورة التي أبقاها الناشر لحسن الحظ على أصولها. و كلا النسختين اللتين اعتمد عليهما الناشر كتبتا في خلال القرن الثامن الهجري أو الرابع عشر الميلادي

أما ال «رساله حورائيه» فعبارة عن مقالة قصيرة تقع في خمس صفحات، كتبها «أبو عبد الله بن محمود» المنسوب إلى «الشاخ» في إقليم ما وراء النهر، و قد فسر فيها إحدى رباعيات الشيخ «أبي سعيد».

و ثاني المجلدين اللذين نشرهما «ژوكوفسكي» يشتمل على النص الفارسي لمخطوطة قديمة فريدة، يرجع تاريخها إلى سنة ٦٩٩ هـ - ١٢٩٩ م. و هذه المخطوطة محفوظة في المتحف البريطاني، و الجزء الأكبر منها يتعلق بالحديث عن أسرار الشيخ أبي سعيد و تعاليمه الروحية. و قد طبعت هذه المخطوطة في ثمان و سبعين صفحة، و هي سابقة في تأليفها لكتاب «أسرار التوحيد»، و قد ألفها أيضا واحد من أحفاد الشيخ أبي سعيد، يظنه «ژوكوفسكي» من أبناء «أبي روح لطف الله».

و لو أننا شئنا أن نتحدث عن هذه المصادر الزاخرة بالأخبار بما هي جديرة به من اهتمام و تقدير، لاقضانا الأمر تخصيص مجلد كامل لها؛ و لكننا نذكر أنه بالإضافة إلى هذه المصادر المستفيضة، توجد أيضا بين أيدينا طائفة كبيرة من أخبار هذا الشيخ تضمنتها كتب التراجم المتأخرة مثل كتاب «هفت إقليم» و «١» و كتاب

(١) ذكره الدكتور «إبه» و استشهد به

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٣٢٨

«تاريخ كزیده» و كتاب «نجات الانس» و «١» و غير ذلك من الكتب. كما أن رباعياته قد طبعت على انفراد جملة مرات في البلاد الشرقية، أو ضمن مجموعات تشتمل على رباعياته مع رباعيات «عمر الخيام» و رباعيات «بابا طاهر» و ما شكل ذلك من الرباعيات. و كانت حياة «أبي سعيد» خالية من الأحداث و الوقائع، و قد أمضاها كما يقول الصوفي في «عالم الأرواح» لا «عالم الأشباح»؛ و هو لهذا السبب يختلف اختلافا كبيرا عن سائر الكتاب و الشعراء الذين تحدثنا عنهم في الصفحات السابقة من هذا الباب.

أبو سعيد و التصوف

و في رأي أن الفضل في إثبات أهمية الشيخ «أبي سعيد» و أسبقيته بالنسبة لتاريخ التصوف الفارسي، يرجع إلى الدكتور «إبه» دون غيره من الكتاب، فان الإيرانيين أنفسهم ما زالوا ينكرون أهمية «أبي سعيد» من هذه الناحية، و يتبعون القول المشهور الذي قاله أكبر متصوفهم «جلال الدين الرومي» حينما اعتبر نفسه ثالث الثلاثة الكبار من الصوفية، كان «سنائي» أولهم، و كان «الطاهر» ثانيهم. و لو أننا راعينا الحق و تحرينا الصواب لوجدنا أن «أبا سعيد» متقدم على هذين من الناحية الزمنية. و قد أثبت الدكتور «إبه» في الرباعيات التي اختارها و نشرها من رباعيات الشيخ «أبي سعيد» أن جميع خصائص التصوف الفارسي و التعابير الصوفية الفارسية تبدو مجتمعاً لأول مرة في هذه الرباعيات، و قد ظلت على حالها منذ ذلك الوقت، و أجمع على اتباعها شعراء الصوفية من الفرس و الأتراك و الهنود «٢».

و فيما يلي ترجمة لطائفة من الرباعيات اخترناها من مقالة الدكتور «إبه» و اتبعنا فيها الترتيب التي رقت به هنالك، و هي تكني للبرهنة على صحة هذا الرأي «٣»:

(١) طبع «Nassau Lees» - ص ٢٣٩ - ٣٤٧

(٢) ينطبق هذا أيضا على أقواله التي أورد الكثير منها كتاب التراجم.

(٣) المترجم: لم استطع للأسف الرجوع إلى أصل هذه الرباعيات بالفارسية لعدم عثوري على مقالة الدكتور «إبه» في دور الكتب الموجودة في مصر.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٣٢٩

(١)

- إدخالك السرور على قلب واحد،- خير لك من تعيير ألف من المساجد ...!

و استعبادك لحر واحد بما تسديه إليه من إحسان- خير من تحريك آلاف من العبيد و الغلمان ...! (٢)

- يا من تملأ طلعتك العالم بالأضواء و الأنوار ...!- إنني أصلي من أجل وصلك آتاء الليل و أطراف النهار ...!

- فتبالي ... إذا شمل عطفك غيري من الناس- و تبا للناس .. إذا شاركوني اللهفة و الحنين و الإحساس ...! (٥)

- يذهب الغزاة إلى حومات الوغى للموت و الاستشهاد- و يا ليتهم علموا حكمة الغزو و سر الجهاد ...!

فإنما يفوقهم شأنًا، قتل العشق و صرعى الوداد- لأن الأحيه هم الذين قتلوهم ... لا الأعداء الشداد ...! (٦)

- إنني أدعو للجميع: ألا يحرم أحد منهم من رحمتك الوسيعة- فإن اللاند بك يبلغ أوج المدارج الرفيعة ...!

- و لو أضاءت شمسك في ذرة من الذرات ...- لزداد بهاؤها على شمس الأفلاك و السموات ...!

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٣٣٠

(١٠)

- مادام الجامع و المدرسة ... لا تنهدم منهما الأركان- و ما دام الشك و اليقين ... يتناوبان في قلب الإنسان،

- فكيف يمكن لمذهب «القلندرية» في هذا الزمان «١١»- أن ينتشر، فيخرج مسلما واحدا قوي الإيمان ...! (١٣)

- لا تلمني ... يا سيدي ...! إذا احتسيت الخمر و الشراب ...! و إذا قضيت في الخمر و العشق أيام الشيب و الشباب ...!

فانا في إفاقتي أعاشر الأحباب و غير الأحباب و لكنني متى سكرت ... لا أجالس غير الأصحاب ...! (١٧)

- قلت: حدثني عن جمالك .. من الذي يفوز ببهجته و سناه ..؟- فقال: أنا وحدى الفائز به .. ما دمت في الوجود و الحياة ...!

- فاني أنا وحدى العاشق و المعشوق و العشق في منتهاه- و إنني أنا وحدى العين المصرة، و الجمال الزاهي، و المرآة ...! (١٨)

- حدثت طبيبي عن آلامى الكثيرة الخافية- فقال لى: كف الحديث ... ولا تتكلم إلا عن صفاته العالية
- و حذار ان تجعل لك زادا إلا من دماء قلبك الغالية...!!- و حذار أن تفكر فى الدار الفانية أو الباقية...!!

(١) «القلندرية» جماعة من الدراويش لا يهتمون بالمظاهر ولا بأراء غيرهم من الناس.

تاريخ الادب فى ايران من الفردوسى الى السعدى/ تعريب، النص، ص: ٣٣١

(١٩)

- هؤلاء الرجال الذين يغدقون على ألقاب التكريم- لا يعرفون حقيقة ما انطوى عليه قلبى الكليم...!!
- و لو كشفوا خبيثه ما تحوى عليه ضلوعى ... من عذاب أليم- لقضوا على بأن أحرقت بنارى ... كما يحترق الهشيم...!! (٢٠)
- قدرت على الحب ... ثم تركت أحتيك فى اشتياق و حنين...!!- و حرمتنى من العقل و الفكر فخلا منهلما قلبى الأمين...!!
- و كنت عفيفا و قورا ... و كنت من أصلح الصالحين،- فأصبحت بحبك شريدا خليعا ... و من أكبر المعريدين...!! (٢١)
- هذاك بدر التمام ... مجلو فى بهاء...!!- و هو فى أقل مراتبه ... عبارة عن الحسن فى منتهاه...!!
- فأطل النظر إلى وجهه المشمس .. فإذا عشيت بسناه- فانظر إلى شعره المجدد ... كيف يتألق فى دجاء...!! (٢٢)
- إذا ابتضت صفحة وجهى بنور الحق و ضياء الإسلام- بلغت غاية الشرف، و ظفرت بنهاية الاحترام...!!
- و لكن ... من أسف ... أن العار يكسو وجهى بالسواد و القتام- بحيث يخجل الجحيم ... مما ارتكبت من ذنوب و آثام...!! (٢٨)
- متى بلغت فى حيك مرتبة العشق و الوصال- لم أعد أتطلع إلى الجنة، أو أغرق فى الأمانى و الآمال...!!
- فإن الجنة لا تعنينى ... إذا لم أفر فيها بلقائك...!!- و التجم و الجحيم سواء ... إذا لم أظفر برضائك...!!

تاريخ الادب فى ايران من الفردوسى الى السعدى/ تعريب، النص، ص: ٣٣٢

(٣٠)

- من قبل أن يخلق الزمان و النجم و السماء- و من قبل أن يخلق النار و الماء و الأرض و الهواء،
- و من قبل أن يخلق العقل و الشكل و الأصوات و الأصداء،- أخذت أردد أسرار التوحيد فى العلانية و الخفاء...!! (٣٢)
- أيها الهندي البرهمى...!! أنظر إلى هذه الخدود الوردية الحمراء،- إنها تنقد بنارها الموججة على وجه هذه الدمية الحسنة...!!
- فإذا عميت بصيرتك عن أن تعبد الله صاحب الجمال و البهاء،- فاعبد هذه النار ... فهى خير لك من عبادة البقرة العجماء...!! (٣١)

(٣٣)

- يا إلهى...!! أنا فى عثرتى ... ارتجى عفوك و رضاك...!!- و أنا فى ذلتى ... أبتغى رحمتك و نداك...!!
- و لن أفعل كسائر الناس ... فاحتمى بهذا أو ذاك- و ليس لى من حام و لا واق فى العالمين ... سواك...!! (٣٨)
- بارك الله فى أقدامى ... إذا سعت إلى لقياك...!!- و بارك الله فى كل ساع ... يسعى إلى رضاك...!!
- و بارك الله فى كل من يمتع ناظره بالتطلع إلى بهاك- و بارك الله فى كل لسان ... يسبح بحمدك و علاك...!!

(١) «كاوبرست» أى عابد البقرة، و يطلق الفرس هذه الكلمة على الهندوكيين لتقديسهم البقر. و الشاعر يشير هنا إلى أن حمرة وجه الحبيب شبيهة بالشمس المتقدة أو النار الموججة، و على ذلك شبهوا العاشق بعابد النار أو عابد الشمس، لأنه دائما فى لهفة إلى ان يشرق عليه وجه الحبيب.

تاريخ الادب فى ايران من الفردوسى الى السعدى/ تعريب، النص، ص: ٣٣٣

(٥٤)

- ذلك «العارف» الذى سلك طريق الأسرار- قد اتحد بالله ... فأنكر الأثره ... و آثر الأيثار...!!
- فاتصل بالله ... و انكر نفسك كل الإنكار- فلا إله إلا الله .. و هو وحده الواحد القهار...!! (٥٥)
- ليلة الأمس ... حدثت، «الحبيب» أحداث الحب و الوصال...!!- فأخذ ينقض العهود، و يتجنى على فى دلال...!!
- و انقضت الليلة، و لم أحك من قصة الحب الابدائية...!!- و لا ذنب لليل؛ و لكن «قصة الحب» ليس لها نهاية...!! (٦١)
- أنا منذ كنت ... لم ابتعد لحظة واحدة عن وصالك...!!- و قد خدمتني حظى السعيد ... فلم أغب عن مشاهدة جمالك...!!
- و فئت فيك ... فلم يعد يشاهدنى أحد من الناظرين...!!- و اضاء على نورك ... فظهرت مكشفا للعالمين...!! و نذكر فيما يلى
الرباعية التى نسبوا إلى «ابن سينا» ورد الشيخ «أ- يد» عليها:
قال ابن البيد: «١»

(١) المترجم: فيما يلى أصل هذه الرباعية بالفارسية

ماثم بعفو تو تولا كردهور طاعت و معصيت تولا كرده

آنجا كه عنایت تو باشد باشدنا كرده جو كرده كرده چون نا كرده

تاريخ الادب فى ايران من الفردوسى الى السعدى/ تعريب، النص، ص: ٣٣٤ - نحن اللانذون بعفوك- المجتنبون لطاعتك و معصيتك.

- و أينما تكن عنایتك و لطفك،- يصبح ما لم نفعله كما لو فعلناه، و ما فعلناه كما لو لم نفعله...!! فأجاب «أبو سعيد» برباعية معناها:
- أيها العارف فى الإثم ... يا من خلت أعمالك من كل خير...!!- أنك تجتهد فى أن تنجو بنفسك فتفكر ما أتيت من شر...!!
- و هل يمكن محو الذنوب و الآثام و الشرور...!!- إنما أنت تعتمد عبثا على عفو الله الغفور...!! و جمع هذه الرباعيات و الأشعار تكفى لبيان أهم المسائل التى يدور عليها تفكير الصوفية و مقولاتهم الفكرة الأساسية لا تكفى بتصوير «الله» على أنه قادر قاهر خير فحسب، بل تجعله المصدر الوحيد للكون و الجمال، و تجعله الجمال الحق و الكون الحق، و فيه ينطوى كل ما هو غائب عن البصر، و بنوره يتكشف كل ما يقع عليه النظر؛ و يتصل بهذه الفكرة كل التعبيرات اللغوية و الرمزية التى اشتملت عليها هذه الأشعار و التى تشتمل عليها لغة الصوفية أجمعين؛ فالله عندهم هو «الحبيب» و هو «المعشوق» و هو «المحوب»؛ و الوجد الحاصل من التفكير فيه هو «الخمرة» و هو «الخمارة»؛ و الظاهر و الباطن منه عبارة عن «طلعته المنيرة» أو «طرته السوداء القاتمة»، و ما إلى ذلك من التعبيرات الرمزية الكثيرة. و فى الصوفية بالإضافة إلى ذلك رفع من شأن المثالية الذاتية على المتعارفات الموضوعية، و فيها كذلك تأويل روحى للواجبات و المراسم الدينية كما هو ملاحظ بين فريق «الإسماعيلية»، و ربما استمد الصوفية منهم فكرة هذه التأويلات و إن كانوا يختلفون عنهم فى كل شىء اختلافا بينا ظاهرا، و فيها كذلك فكرة لا تقل فى أهميتها عن جميع ما سبق، و هى فكرة «التسامح» التى تجعل جميع المذاهب تمثل «الحق» تمثيلا يتفاوت كبيرا أو صغرا و لكنها تعترف جميعا ب «أن طرق الله بعدد أنفس الخلاق» أو كما

عبر «حافظ»

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٣٥

عن ذلك فيما بعد فقال: «إن كل قبلة يتوجه إليها الإنسان هي خير من عبادة النفس...!!» (١)

و كثير من أقوال «أبي سعيد» وحكاياته مرويه فيما سجله مؤرخوه و مترجموه.

و نحن نكتفي في هذا المقام بذكر أمثلة قليلة منها؛ فقد سألوه أن يعرف لهم الصوفية فأجابهم: أن الصوفية عبارة عن أطراح ما في يدك و عدم الجزع على ما يصيبك أو ينزل بك...!!

و قال في مناسبة أخرى: إن الحجاب الذي يحجب الله عن عبده ليس هو السماء و لا الأرض و لا العرش و لا الكرسي، بل هو الغرور و حب النفس، و متى استطعت التغلب على هذين و محوتهما من طبيعتك، وصلت إلى الله و زال الحجاب الذي بينك و بينه.

و أخيره جماعة بأن أحد الأولياء كان يمشى على سطح الماء، و أن آخر كان يطير في أطباق الهواء، و أن ثالثا كان ينتقل في طرفه عين من مدينة إلى مدينة، فأجابهم بقوله: إن الضفدعة تستطيع أن تعوم في الماء، و يستطيع الخفاف أن يتزلق على سطحه، و يستطيع

الغراب أن يطير في الفضاء، و يستطيع الشيطان أن ينتقل في طرفه عين بين المشارق و المغرب، و لكن جميع هذه الأشياء لا أهمية لها في رأيي، لأن الرجل الجدير بأسماء الرجال هو الذي يعيش مع سائر الناس، فيشتري منهم، و يبيع لهم و يتزوج منهم، و يتعامل معهم، بشرط ألا يغفل لحظة واحدة عن ذكر الله...!!

و يقال إن «أبا سعيد» كان يعجب إعجابا شديدا بهذا الشعر الذي ورد في قصيدة عربية قالها «كثير» لمعشوقته «عزة» (٢):

و لو أن ليلى الأخيلى سلمت على ودوني جندل و صفائح

لسلمت تسليم الشاشة أو زقا إليها صدى من جانب القبر صائح

(١) المترجم: عبارة حافظ في الفارسية هي: «هر قبله كه باشد بهتر ز خودپرستی».

(٢) المترجم: لم أعثر ل «كثير» على شعر في هذا المعنى، و أما البيتان المذكوران فمن قول «توبة بن الحمير» و هما في نفس المعنى الذي ورد في الأصل الإنجليزي

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٣٦

و هذا القول يذكرنا بالأبيات الجميلة التالية التي قالها الشاعر «تيسون» في «مود Maud»-

"She is coming, my own, my sweet; Were it ever so airy a tread, My heart would hear her"
and beat, Were it earth in an earthy bed, My dust would heave her and beat, Had I lain for
"a century dead; Would start and tremble under her feet, And blossom in purple and red"

و قد نقشوا على قبر «أبي سعيد» هذين البيتين باللغة العربية و هما (١):

سألتك بل أوصيك إن مت فاكثبي على لوح قبري كان هذا متيما

لعل شجيا عارفا سنن الهوى يمر على قبر الغريب مسلما (٢) ***

عبد الله الأنصاري:

[نسبته إلى أصل عربي]

سيكون حديثي مختصرا عن الشيخ «أبي اسماعيل عبد الله الأنصاري الهروي» الذي اشتهر برعايته و «مناجاته».

هذا الشيخ ينتسب كما تدل على ذلك نسبته إلى أصل عربي، فهو من سلالة «أبي أيوب». و قد ولد في مدينة هراة في اليوم الرابع من شهر مايو سنة ١٠٠٦ م - ٣٩٨ هـ و توفي في سنة ١٠٨٨ م - ٤٨١ هـ

و ينسبون إليه أيضا تاليف الكتائب المعروفين باسم «منازل السائرين» و «أنوار التحقيق».

و إليك نبذة مترجمة من «مناجاته»:

«يا إلهي... ما أعجب حكمتك...؟! هاتان قطعان من حديد أخرجتا» من منجم واحد، فأما إحداهما فقد أصبحت حدوده يحدون بها الجياد؛ و أما «الأخرى فقد أصبحت امرأة ينظر فيها الملك إلى طلعتة...!! يا إلهي...» أما و قد استطعت بقدرتك أن تخلق نار الهجر و الفراق، فما حاجتك إلى نار»

(١) أنظر الصحيفة الأخيرة مما كتبه «ژوكوفسكي» في «حالات و سخنان شيخ أبي سعيد» طبع بطرسبورج سنة ١٨٩٩ هـ - ١٣١٧ هـ

(٢) المترجم: وردت في الأصل كلمة «فسلما».

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٣٧

«السعير و الجحيم... يا إلهي...! لقد تخيلت أنني عرفتك و وصلت إليك» و لكنني الآن تحققت من أن أوهامي كانت كفقاعات الماء...!! يا إلهي...!! «أنا عاجز حيران.. فلا أعرف ما أملك... و لا أملك ما أعرف...!!»

و فيما يلي ترجمة لإحدى الرباعيات المشهورة التي ينسبونها إليه:

- حذار حذار أن يأخذك التيه و العجب و الدلال،- فظن نفسك أعلا قدرا من سائر الرجال...!!

- و اجتهد دائما أن تتمثل إنسان عينك و قدرته- فهو يرى كل شيء... إلا نفسه و صورته...!! و الرباعية التالية تكني مثلا لسائر رباعياته:

- أنا ثمل بك... فلا حاجة بي إلى الكأس و الشراب...!!- و قد وقعت في شراكك بعدما تحررت من سائر الشباك و الأحبال.

- و أنا دائم السعي وراءك، أنتمسك في الكعبة و في سائر المعابد- و لا فرق عندي بين هذه و تلك... و لا هدف لي إلا أن أفوز بلقائك...!!**

[آثاره]

و قد ذكر «إتبه» أن الشيخ «أبا عبد الله الأنصاري» ألف الكتب الآتية:

١- «نصيحة» أو النصيحة... و قد أهداه لنظام الملك.

٢- «إلهي نامه» أو الكتاب الإلهي

٣- «زاد العارفين».

٤- «كتاب أسرار» أو كتاب الأسرار.

٥- تهذيب لكتاب «طبقات الصوفية» للسلمي.

٦- «أنيس الغريدين وشمس المجالس»: وهو عبارة عن قصة «يوسف وزليخا» مكتوبة نثراً (١).

(١) المترجم: يعتبر الأنصاري أول من استعمل النثر المسجوع في الفارسية، وقد كان قادراً على التأليف بالفارسية والعربية. ومن آثاره بالفارسية ما يلي:

١- رساله أسرار: وهي مخطوطة بالمتحف البريطاني.

٢- مناجات نامه: وقد طبع في طهران كما طبع في شيراز باسم «أنوار التحقيق»-

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٣٨

[الحديث عن طائفة من شعراء هذا العصر الذين لم يشتهروا بالتصوف]

إشارة

و متى وصلنا إلى هذا الحد، وجب علينا أن نتنقل إلى الحديث عن طائفة من شعراء هذا العصر الذين لم يشتهروا بالتصوف، ولا بد أن نذكر منهم على الأقل أربعة شعراء ... هم:

١- «أسدى الأصغر» ... من شعراء طوس

٢- «فخر الدين أسعد» ... من شعراء جرجان

٣- «فصیحی» من شعراء جرجان

٤- «قطران التبریزی» ... من شعراء تبريز

قطران التبریزی

ولنبداً الآن بالشاعر الأخير من هؤلاء الأربعة، فقد قابلته «ناصر خسرو» وتحدث معه أثناء توقيفه بمدينة تبريز في الفترة الواقعة بين ٢٦ أغسطس و ١٨ سبتمبر سنة ١٠٤٦ م - ٢٠ صفر سنة ٤٣٨ هـ - ١٣ ربيع الأول ٤٣٨ هـ.

وقد تحدث «ناصر خسرو» عن هذا الشاعر بما يلي: «١»

«وقد رأيت في تبريز شاعراً، اسمه «قطران» يقول شعراً طيباً ولكنه لا يعرف الفارسية جيداً. وقد حضر إلي وأحضر معه ديوان منجيق وديوان «الدقيقى» قرأ منهما أمامي، وكلمة أشكل عليه المعنى سألتني، فأجبتة، فكان «يكتب شرح الأبيات والمعاني الصعبة، ثم يقرأ على بعض أشعاره».

وقد كتب عن هذا الشاعر كل من «عوفى» و«دولت شاه» في كتابيهما

٣- نصايح: وقد طبع في برلين سنة ١٣٤٢ هـ ومعها «مناجات نامه»

٤- كنز السالكين: مخطوطة في مكتبة المجلس الملى بطهران بعنوان «گنجنامه»

٥- قلندرنامه: مخطوطة في مكتبة المجلس الملى بطهران تاريخها سنة ٩١٠ هـ

٦- محبت نامه: وقد طبع في شيراز باسم «مقالات»

ومن آثاره بالعربية كتاب «ذم الكلاء» وكتاب «منازل السائرين»

(١) انظر ص ٦ من الأصل الفارسى لكتاب «سفرنامه»

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٣٩

«الباب الألباب» و«تذكرة الشعراء» (١) ولكن الأخبار التي أوردتها عن تاريخ حياته هزيلة للغاية. ويرى «عوفى» أن «قطران» ينتسب إلى مدينة «تبريز» ولكن «دولت شاه» يعتقد أنه من أهالي «ترمز» ويخالفهما «شيفر» فيرى أنه ولد في جبال الديلم فيما بين مدينة قزوین و بحر قزوین.

ويتحدث «دولت شاه» عن هذا الشاعر فيقول: أنه أنشأ مدرسة في الشعر كانت تصمم جماعة من الشعراء الممتازين من أمثال «الأنورى» و «رشيدى السمرقندى» و «روحى الولاجى» و «شمس سيمكش» و «عدنانى» و «يسر خمخانه» (٢) ثم يضيف إلى ذلك قوله: «إن الكاتب الشاعر رشيد الدين الوطواط اعتاد أن يقول إنه يعتبر قطران سيد الشعراء جميعاً في أيامه، وأما باقى الشعراء فهم شعراء عن طريق الطبع لا عن طريق العلم».

ولا شك أن «الوطواط» كان محققاً فيما قال، لأن قطران كان أول من أكثر من إدخال الصنعة والمحسنات البلاغية في الشعر الفارسى بحيث بذ في ذلك أكثر الشعراء الذين سبقوه، ولم ينس «دولت شاه» أن يقرر ذلك فيقول «أنه اجتهد في نظم الأشعار المشكلة مثل العربات والمخمسات والقصائد ذات القافيتين».

وقد امتاز «قطران» خاصة بنظم القصائد ذات القافيتين. وقد حاول شعراء متأخرون أن يقلدوه، ولكن القليل منهم هو الذى استطاع أن يتفوق عليه في هذا المضمار، ونحن نذكر جميعاً أن «المعزى» شاعر السلطان «سنجر» كان بين مقلديه، وأنه أنشأ قصيدة مشهورة ذات قافيتين مطلعها كما يأتي:

أى تاززه تر از برگ گل تاززه بىر برپورده ترا دايه فردوس بىر بر ومعناه:

- يا من أنت أينع من الورد النضير ... هلا ضممتنى إلى صدرك

لقد غذتك مرضعة الفردوس بشديها البار

ومن العسير تأدية هذه الصنعة البديعية فى الإنجليزية، ومن أجل ذلك فأننا أترك

(١) أنظر «الباب الألباب» ج ٢ ص ٢١٤ - ٢٢١ وكذلك «تذكرة الشعراء» ص ٦٧ - ٦٩

(٢) معناه الحرفى «ابن الحانة»

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٤٠

مجال الحكم على جمالها لمن شاء أن يقرأ أشعار «قطران» بأصلها الفارسى، فأغلباً يمثل هذه الصنعة البديعية التى تقوم على المحسنات

للفظية أكثر مما تقوم على المحسنات المعنوية؛ وقد عجزت ترجمتي للبيت السابق عن محاكاة هذه الصنعة؛ لأن كل سطر يجب أن تنتهي بكلمة تكون في بنائها ونطقها مشابهة تماما للمقطع الأخير من الكلمة السابقة عليها، كما نجد.

في كلمتي «فرسنگ» بمعنى الفرسخ و«سنگ» بمعنى الحجر
و في كلمتي «نارنگ» بمعنى التارنج و«رنگ» بمعنى اللون
و في كلمتي «آموی» بمعنى نهر جيحون و«موی» بمعنى الشعر
فإذا شئنا محاكاة هذه الصنعة في الإنجليزية وجب علينا أن نصوغ شعرا نراعي في كل بيت من أبياته المحافظة على الوزن والقافية و كذلك أن ينتهي بكلمتين مثل:

coil-

و -recoil

face-

و -efface

use-

و -refuse

و إذا كان هذا عسيرا جدا في الإنجليزية، فإنه في الفارسية يبدو برغم التكلف والتصنع الباديان فيه، جميلا للغاية، إذا أحسن الشاعر أداءه و صياغته «١».

أسدى الأصغر

يجب علينا أن نفرق بين أسدى الأصغر الذي يسمى «عليا» و هو مؤلف «گرشاسب نامه» «٢» في سنة ٤٥٩ هـ - ١٠٦٦ م و بين أبيه «أبي نصر أحمد» أستاذ الفردوسي و مخترع شعر المناظره الذي سبق لنا الحديث عنه و الذي توفي أثناء حكم السلطان مسعود الغزنوي في الفترة الواقعة قبل سنة ٤٣٣ هـ - ١٠٤١ م
و من أهم الأمور التي تتصل بأسدى الأصغر، أنه ما زال في حوزتنا مخطوط

(١) المترجم: انظر صنعة «ذی القافيتين» في ترجمتي العربية لكتاب «حداائق السحر في دقايق الشعر» طبع مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر سنة ١٩٤٥ م و هناك صرب آخر من هذه الصنعة تكون فيه للقصيد قافيتان متجاورتان.
(٢) «گرشاسب نامه» هي إحدى المنظومات الفارسية التي نظمت تقليدا لشاهنامه الفردوسي
تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٤١
كامل كتبه بخط يده في شوال سنة ٤٤٧ هـ - ديسمبر سنة ١٠٥٥. و يعتبر هذا المخطوط أقدم المخطوطات الفارسية المعروفة لنا حتى الآن و هو محفوظ في مكتبة «فيتا» و قد طبعه الدكتور «زيليجمان» «١» طبعه أتيقة في «فيتا» سنة ١٨٥٩ م ثم ترجمته إلى الألمانية «عبد الخالق» «٢» و طبع هذه الترجمة بدون تاريخ في مدينة «هاله» Halle-
و موضوع هذا المخطوط هو دراسة الأدوية، و قد أسماه مؤلفه باسم «كتاب الأبنية عن حقائق الأدوية». و مؤلفه هو «ابو منصور الموفق بن علي الهروي» و قد ذكر الناسخ اسمه في خاتمة الكتاب على هذا النحو «علي بن أحمد الأسدي الطوسي الشاعر»
أما «گرشاسب نامه» فعبارة عن ملحمة منظومة يصف فيها الشاعر أعمال «گرشاسب» و مخاطراته؛ و «گرشاسب» هو أحد أبطال الأساطير في ولاية «سجستان» و تشتمل قصته في هذه المنظومة على تسعة آلاف بيت أو عشرة آلاف، و أسلوبها شبيه جدا بأسلوب ال «شاهنامه» و يؤسفني أنني لا أستطيع أن أذكر رأيي فيها لأنني لم أستطع أن أظفر بالاطلاع على إحدى المخطوطات العشر التي ذكرها «إتيه» لهذه المنظومة «٣»، و كل ما وقع في يدي هو هذه المقطوعات المتناثرة التي نشرها «ترنر مكن» في طبعته لكتاب «الشاهنامه» «٤» و أهم من ذلك و أمتع في رأينا، هو معجمه اللغوي المسمى ب «لغت فرس» أو «لغة الفرس» و مخطوطه محفوظة في «الفايتكان» و قد طبع في مدينة «توبنجن» سنة ١٨٩٧ م، و قام على طبعه الدكتور «بول هورن» «٥» فاعتبر عمله هذا

(١) يكتب اسمه بالحروف الافرنجية هكذا: Dr Seligmann

(٢) كتب اسمه بالحروف الأفرنجية هكذا: Abdul Chalig Achundow.

(٣) انظر مقسالاته (ص ٢٣٣ - ٢٣٥) من الجزء الثاني من كتاب «المفصل في الدراسات اللغوية الإيرانية» و كذلك مقالة عن Persische Tenzonen في صفحة (٦٢-٦٦) من المجلد الثاني من تقارير المؤتمر الدولي الخامس للمستشرقين.

(٤) انظر ص ٢٠٩٩ و ما بعدها

(٥) يكتب اسمه بالأفرنجية هكذا: Paul Horn

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٤٢

أهم أعماله الكثيرة التي خدم بها الأدب الفارسي .. و قد عثر «إتيه» بعد ذلك التاريخ على نسخة أخرى من هذا المعجم في «إدارة الهند» تحت رقم ٢٥١٦ المساوي لرقم ٢٤٥٥ من القهرست الذي وضعه للمخطوطات الفارسية، و قد أشار «إتيه» إلى الاختلافات الهامة التي توجد بين هاتين النسختين من المعجم. و نسخة «الفايتكان» هي أقدم النسختين و تاريخ كتابتها هو ٣٠ سبتمبر سنة ١٣٣٢ م - ٧٣٣ هـ. و يبدو أن «أسدى» قد أخذ في تصنيف هذا المعجم في أواخر حياته «١» و لكن من العسير أن نحدد الفترة التي قام فيها بهذا العمل. و هذا المعجم لا يتناول بالشرح إلا الكلمات الفارسية المهجورة، و لكن أهميته العظمى ترجع إلى أن كل كلمة من هذه الكلمات قد فسرت بشاهد من الشواهد التي قالها واحد من الشعراء الأقدمين، و من بين هؤلاء كثرة لم تكن نعلم عنهم شيئا من قبل. و جملة الشعراء المذكورين في هذا المعجم هو اثنان و سبعون شاعرا؛ و تتضمن شواهد مقطوعات من نظم «الرودي» لكتاب «كلیله و دمنه» و هو كتاب مفقود، و كذلك شواهد أخرى من جملة من القصائد التي لم تكن معروفة لنا بالمرءة أو كانت معروفة باسمها فقط. و من أهم الملاحظات التي تسترعى نظرنا في هذا المعجم حذف المصنف لاسم «ناصر خسرو» و قد رأينا فيما سبق أن «عوفي» أيضا تجاهل هذا الشاعر تجاهلا كلياً. و لا شك أن تفسير ذلك راجع - في رأيي - إلى الكراهية الشديدة التي أحس بها أهل السنة للاسماعيليين و ما اقترن بذلك من الخوف و الفرع من أتباعهم.

فخر الدين الجرجاني

أما «فخر الدين أسعد الجرجاني» فليس معروفا لدينا إلا بوصفه ناظما لقصة «ويس ورامين». و هي قصة من أقاصيص الحب قيل إنها ترجع إلى أصل پهلوي «٢» و يشبهها «إتیه» بقصة «ترستان وايزلت». و من المستغرب أن «عوفی» أيضا يقرر في كتابه

(١) أنظر مقدمة «پول هورن» ص ٣١

(٢) انظر ص ١١ من الطبعة التي نشرها Nassau Lees في مدينة كلكتا سنة ١٨٦٥ ضمن سلسلة المكتبة الهنديه Bibliotheca Indica Series

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٤٣

نه لم يعثر «١» من أشعار هذا الشاعر إلا على خمسة أبيات هي جملة ما أمكنه العثور عليها بالإضافة إلى أشعاره الواردة في هذه المنظومة، و يتناول الشاعر في هذه الأبيات الخمسة الحديث عن مقدار ألمه و جزعه لما صادفه من مولاة «ثقة الملك شهریار» من عدم تقدير و رعاية، رغم «الأشعار الكثيرة» التي أنشدها في مدحه و الإشادة بذكره ثم ينتهي في البيتين الأخيرين من هذه الأبيات بالإفداع في شتمه و سبه و بأنه «لم ير أو يسمع عن آدمي متصف بصفات الثيران و الأبقار غيره...!!» «٢»

أما «دولت‌شاه» فلا يذكر شيئا عن هذا الشاعر و ينسب قصة «ويس ورامين» إلى «نظامی العروسی السمرقندی» أو إلى «نظامی الگنجوی» كما يقول بذلك آخرون على حد تعبيره في ص ٣٠ و ١٦٠ من كتابه «تذكرة الشعراء»

و قد تم نظم قصة «ويس ورامين» في سنة ٤٤٠ هـ - ١٠٤٨ م عقب تغلب «طغرليگ» على «الرومان»، و قد أهداها الشاعر لوزير هذا السلطان المسمى ب «أمين الدين أبي الفتح المظفر النيسابوري»

و قد طبعت هذه المنظومة لأول مرة نقلا عن مخطوطة معينة، و نشرت ضمن «المكتبة الهنديه» في سنة ١٨٦٥ م.

و يقول «إتیه» إن أهمية هذه المنظومة يرجع إلى شيء واحد، هو أن هذه المنظومة تعتبر أولى المنظومات التي انقسم بوجودها «الشعر المثنوي» إلى قسمين متميزين:

أحدهما الشعر المثنوي الذي صيغت فيه قصص الحب و الغرام و قد خصصوا له وزن

(١) انظر ص ٢٤٠ من الجزء الثاني من «اللباب الألياب»

(٢) المترجم: فيما يلي نص هذه الأبيات بالفارسية

بسيار شعر گفتم و خواندم بروز گاريک يك بجهد بر ثقة الملك شهريار

شاخي تر از اميد بکشم بخدمتش آن شاخ خشک گشت و نياورد هيچ بار

دعوی شعر کرد و ندانست شاعری و آنگاه کرد نیز بنادانی افتخار

زو گاو تر ندیدم و نشنیدم آدمی در دولتش عجب غلطي کرد روزگار

اميد من دريغ بدان خام قلتیان أشعار من دريغ بدان روسبي تبار

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٤٤

«الزهج» و الآخر الشعر المثنوي الذي صيغت فيه قصص الملاحم و الأبطال، و قد خصصوا له وزن «المقارب». و فيما يلي أربعة أبيات من «أغنية رامين» نجدها في ص ١٤٢ سطر ١١-١٤:

خوشا ويسا نشسته پيش رامين چنان كيك دري در پيش شاهين

خوشا ويسا نشسته جام بر دست هم از باده هم از خويي شده مست

خوشا ويسا بكام دل نشسته اميد اندر دل موبد شكسته

خوشا ويسا بخنده لب گشاده لب انگه بر لب رامين نهاده و معناها: «١»

- ما أبداع «ويس» و قد جلست أمام «رامين» كأنها تدرجه الوادي أمام الصقر و شاهين...!!

- و ما أبداع «ويس» و قد جلست و في يدها الكأس و الجام و قد بدت مخمورة بالشراب و بالجمال التام...!!

- و ما أبداع «ويس» و قد جلست هانئة البال و قد انكسر قلب «الموبد» و أصابه الوبال...!!

- و ما أبداع «ويس» و هي باسمه مفرقة الثغر قد انطبقت شفتها على شفة «رامين» بعد طول الهجر...!!

[«فصيحى الجرجاني»]

قصة «وامق و عذرا»

أما قصة «وامق و عذرا» فأول من نظمها بالفارسية هو «العنصرى» ثم نظمها «فصيحى الجرجاني» بعد ذلك في تاريخ متأخر عن سنة ٤٤١ هـ - ١٠٤٩ م و يقولون أيضا أنها مستقاة من أصل پهلوي. و قد كتب عنها «دولت‌شاه» ما يلي: «٢»

(١) المترجم: ترجم المؤلف هذه الأبيات إلى الانجليزية و لم تر داعيا إلى إيراد ترجمته، و استعصنا عن ذلك بإيراد أصل هذه الأبيات بالفارسية و ترجمتها إلى العربية عن نسخة «ويس ورامين» طبع «مجنتي مينوى» سنة ١٣١٤ هـ. ش بطهران

(٢) أنظر «تذكرة الشعراء» ص ٣٠ سطر ٣-١٢

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٤٥

«و يروون أيضا أن الأمير عبد الله بن طاهر أمير خراسان أثناء حكم الخلفاء «العباسيين» (من سنة ٢١٣ هـ إلى سنة ٢٣٠ هـ - ٨٢٨ - ٨٤٤ م) كان «يجلس في يوم من الأيام في مدينة نيسابور، فأحضر إليه شخص كتابا و قدمه «إليه على سبيل الهدية. فسأله الأمير: ما هذا الكتاب؟ فأجاب: إنه قصة» «وامق و عذرا»، و هي حكاية طيبة جمعها الحكماء لكسرى أبو شروان...!! «فقال الأمير: إننا قوم لا نقرأ غير القرآن، و لا نريد غير قراءته و قراءة أحاديث» «الرسول»، و لا حاجة بنا إلى مثل هذا الكتاب لأنه من تواليف المجوس و هو «مردود لدينا. ثم أمر بهذا الكتاب فألقوه في النهر، و أمر الناس أن يحرقوا» «تصانيف العجم و كتب المجوس أينما وجدت في ولاياته، و من أجل ذلك لم توجد» «أشعار فارسية حتى أيام السامانيين، و إذا وجدت أشعار فارسية قبل هذا الزمن» «فإنها كانت تنشئ دون أن تدون».

و قد ذكر «إتیه» أن هذه القصة نظمت ست مرات في الفارسية، و لكن يبدو أن هذه المنظومات الست قد ضاعت جميعا، و لم تصل إلينا، و لم يبق ما يدلنا على موضوعها إلا ما نقله النا الشاعر «لمعى» في ترجمته التركبية التي نقلها عن منظومة «العنصرى» و هي أولى

هذه المنظومات من الناحية التاريخية ولو أن عوفي لم يورد عنها شيئاً إلا مجرد الإشارة إليها «١». أما «دولت شاه» فيذكر في مقالته التي خصصها لترجمة حال «فصيحي الجرجاني» أنه رأى أوراق متناثرة من منظومة هذا الشاعر لهذه القصة، وقد نقل منها بيتاً واحداً، صياغته على وزن ال «شاهنامه» أي على وزن المتقارب المثنى «٢». ثم يجتهد «دولت شاه» في أن يعوضنا عن قلة الأخبار التي أوردتها عن هذا الشاعر بكتابة مقال قصير عن سيده وراهبه «عنصر المعالي كيكائوس» حفيد «قايوس بن وشمگير» أمير «طبرستان» الذي امتاز بتفوق أدبي نادر مكنه من تأليف كتاب «قايوس نامه» وهو الكتاب الذي استحدث عنه مباشرة في هذا المقام.

(١) انظر «لباب الألباب» ج ٢ ص ٣٢ سطر ١-٩

(٢) المترجم: هذا هو نص البيت الذي ذكره دولت شاه في ٦٩ من تذكرة الشعراء:

چه فرح وجودی که از همتش بپیرد بیای ولی نعمتش

تاریخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٤٦

[كتب منشورة فارسية]

قايوس نامه:

[موضوعات هذا الكتاب]

هذا كتاب يشتمل على موضوعات تتصل بمبادئ الأخلاق وقواعدها؛ وقد ألفه «كيكاوس» في سنة ٤١٥ هـ - ١٠٨٢ م وكان له من العمر ثلاث وستون سنة، ووجهه إلى ابنه «گیلان شاه» ومخطوطات هذا الكتاب موجودة في المتحف البريطاني (رقم Or.٣٢٥٢) وفي ليدن وبرلين؛ وقد طبع هذا الكتاب على الحجر في مدينة طهران وتولى طبعه «رضا قلي خان» في سنة ١٢٨٥ هـ - ١٨٦٨ م؛ و ترجمه إلى الفرنسية الأستاذ «كويري: Query» ونشر هذه الترجمة في باريس سنة ١٨٨٦ م؛ و ترجم الكتاب إلى اللغة التركية ثلاث مرات ذكرها الدكتور «ريو» في الفهرست الذي صنفه للمخطوطات التركية؛ وقد ضاعت على ما يظهر أولى هذه الترجمات «١» من الناحية التاريخية. و فاز هذا الكتاب بشهرة عريضة، و هو بغير شك قمين بها و أهل لها؛ لأنه مليء بالحكمة والبراعة، غني بالحكايات والأمثلة؛ يضاف إلى هذا كله أنه كتاب ملكي كتبه صاحبه بأسلوب صريح لا مواربة فيه، مستمدا موضوعاته من تجاربه الكثيرة الناضجة وخبرته الطويلة الكاملة. و هو شبيه في كل هذه الأمور بكتاب «سياست نامه» الذي سبق لنا الحديث عنه فيما مضى من صفحات. و يشتمل «كتاب قايوس» على أربعة وأربعين فصلاً ومقدمة تشتمل على شكوى الأمير الذي ألفه من تناقض طاعة الأبناء لآبائهم، و حث ابنه على أن يتهج في حياته نهجاً فاضلاً، مذكراً إياه بأنه ينتسب من ناحية أبيه إلى ملك «گیلان» القديم «ارغش فرهادوند» الذي ذكره «أبو المؤيد البلخي» في شاهنامه؛ و بأنه ينتسب من ناحية جدة أبيه إلى «مرزبان بن رستم بن شروين» مؤلف كتاب «مرزبان نامه» الذي يعتبر من الطبقة الثالثة عشرة من أحفاد «كيكاوس بن قباد» أخي

(١) أنظر ص ١١٦ من فهرست «ريو» للمخطوطات التركية

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٤٧

«كسرى أنوشيروان» الملك الساساني، و بأن أمه بالإضافة إلى ذلك هي ابنة السلطان «محمود الغزنوي»، كما أن والدة جدة أبيه هي ابنة «الحسن بن فيروزان» ملك الديلم.

و يتلو المقدمة مشتملات الكتاب على هذا النحو:

الفصول الأربعة الأولى: في الله والخليفة والرسول والطاعة والواجبات الدينية

الفصل الخامس: في معرفة حقوق الوالدين

الفصلان السادس والسابع: في التواضع والفضل وتنمية المدارك والمعارف

الفصل الثامن: في المواعظ المنقوشة بالبهلولية على مقبرة «أنوشيروان»

الفصل التاسع: في الشيب والشباب

الفصل العاشر: في فائدة الإقلال من الأكل وتنظيم الطعام

الفصل الحادي عشر: في ترتيب الشراب و شرائطه

الفصل الثاني عشر: في الضيافة والاستضافة

الفصل الثالث عشر: في المزاج، والتردد والشطرنج

الفصل الرابع عشر: في العشق والحب

الفصل الخامس عشر: في التمتع بالحياة

الفصل السادس عشر: في فائدة الحمام الساخن وآدابه

الفصل السابع عشر: في النوم والاستحمام

الفصل الثامن عشر: في الصيد

الفصل التاسع عشر: في لعبة الكرة والصوالج

الفصل العشرون: في الحرب والقتال

الفصل الحادي والعشرون: في الغنى و جمع المال

الفصل الثاني والعشرون: في حفظ الأمانات والوفاء بالعهود

الفصل الثالث والعشرون: في شراء العبيد

الفصل الرابع والعشرون: في شراء العقارات والمنازل

الفصل الخامس والعشرون: في شراء الخيول والدواب

الفصل السادس والعشرون: في الزواج وشروطه

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٤٨

الفصل السابع والعشرون: في تربية الأطفال

- الفصل الثامن والعشرون: في اختيار الأصحاب
 الفصل التاسع والعشرون: في الحذر من الأعداء
 الفصل الثلاثون: في العفو والعقاب
 الفصل الحادي والثلاثون: في طالب العلم والفقہ
 الفصل الثاني والثلاثون: في التجارة
 الفصل الثالث والثلاثون: في علم الطب
 الفصل الرابع والثلاثون: في علم النجوم والهندسة
 الفصل الخامس والثلاثون: في فن الشعر
 الفصل السادس والثلاثون: في فن الموسيقى
 الفصل السابع والثلاثون: في خدمة الملوك
 الفصل الثامن والثلاثون: في منادمة الملوك وآدابها
 الفصل التاسع والثلاثون: في الكتابة وأدب الكتاب
 الفصل الأربعون: واجبات الوزير
 الفصل الحادي والأربعون: في صفات القائد وواجباته
 الفصل الثاني والأربعون: في صفات الملك وواجباته
 الفصل الثالث والأربعون: في الزراعة والفلاحة وأصحاب الحرف
 الفصل الرابع والأربعون: في المروءة والشهامة.

و يحتوي كتاب «قايوس نامه» كما يحتوي كتاب «سياسة نامه» على حكايات تبلغ إحدى وخمسين حكاية، يسوقها المؤلف توضيحاً لآرائه. وهي جميعها مستقاة من تجاربه الشخصية، وأغلب هذه الحكايات توجد في مجموعات الحكايات الفارسية «١» دون أن تنسب إلى شخص معين؛ ولكننا إذا رجعنا إلى أصلها في كتاب «قايوس نامه» نجد أنها تنسب إلى أشخاص معينين معروفين؛ ومع ذلك فهناك بضع حكايات في هذا

(١) توجد مثلاً في كتاب النحو الفارسي الذي ألفه «فوربس» Forbes' Persian Grammar. تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٤٩

الكتاب لم ينسبها المؤلف إلى أحد من الناس، وإن كان بعض الكتاب المتأخرين قد نسبوا إلى جماعة من مشاهير الرجال. وإني أكتفي هنا بذكر مثل واحد من الحكايات المنسوبة، وهو الحكاية المذكورة في الصفحات ١٤٣-١٤٦ من طبعة طهران على الحجر، وتعلق بحكمة القاضي «أبي العباس الزوباني» وكيف استشهد في إحدى القضايا المعروضة عليه بشهادة إحدى الأشجار؛ وقد ذكرت هذه القصة مرة أخرى ونسبت إلى نفس الشخص في الكتاب الذي ألفه «ابن اسفنديار» عن «تاريخ طبرستان» «١» فإذا أتينا إلى كتاب «فوربس» عن «النحو الفارسي» وجدنا نفس هذه الحكاية مذكورة في باب الحكايات دون أن تنسب إلى شخص معين على وجه التحديد «٢».

وأما الحكايات التي لم ينسبها صاحب «قايوس نامه» إلى أحد من الناس فإني أكتفي بأن أذكر منها تلك الإشارة الواردة في ص (٢١٠) عن العادة التي جرى عليها اليونان بعدم السماح لأحد من الناس أن يضرب شخصاً سبق أن ضربه ملكهم، احتراماً لما ناله من شرف المجازاة على يد ملكهم، وأنه لا يستطيع أن يضربه إلا من كان مساوياً في مرتبه للملوك، وقد ذكر «دولت شاه» أن هذا التقليد كان متبعاً في أيام السلطان «محمود الغزنوي» ونسب إليه «٣» ومع ذلك فمما لا شك فيه أن «دولت شاه» مدين في اجتلاء هذا الخبر وغيره من الأخبار إلى كتاب «قايوس نامه» ولو أنه لا يذكره إلا مرة واحدة في ص ٤٩. ولا شك أيضاً أنه استقى منه أخباره عن عزل قايوس بن وشمگیر ومقتله «٤» وكذلك أخباره عن الإجابة الجريئة التي أجابت بها

(١) أنظر مخطوطة إدارة الهند رقم ١٣٤ هـ ورقة ٥٩-١

(٢) انظر الحكاية رقم ٧١ في صحيفة ٩٨

(٣) المترجم: انظر ص ١٠ من «تذكرة الشعراء» حيث يقول: «حكايه کنند که سلطان محمود غزنوی هر کس را که بدست خود بزدی آن کسی را دیگر هیچ آفریده نتوانستی زدن و گفتندی که همچون محمود کسی باید که او را بزندی»

(٤) انظر ص ٤٨ من المرجع السابق.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٥٠

«السيدة» والدة «مجد الدولة» فاستطاعت أن تمنع السلطان «محمود الغزنوي» من مهاجمة عاصمتها في مدينة الري. «١»

أما الحكاية الشهيرة عن الهدي الذي أرسله السلطان «محمود الغزنوي» لأحد أعدائه وكيف أجاب عليه هذا العدو بالحروف «ل. م. م. فترد في الصفحات ١٨٥-١٨٧ من «قايوس نامه» ولكنها تنسب هذه الإجابة إلى الخليفة «القادر بالله» ولا تنسبها إلى ملك طبرستان، وتقول إن الشخص الذي استطاع أن يحل هذا اللغز هو «أبو بكر الكهستاني» وأنه رقى في منصبه لقاء مهارته، وبذلك يستبعد اسم «الفردوسي» عن هذه القصة نهائياً. «٢»

قائمة بالحكايات المروية في «قايوس نامه»

- و فيما يلي قائمة بالحكايات المروية في «قايوس نامه» رأيت أن أوردتها في هذا المقام لما بها من نفع أو متعة لبعض القراء. وقد ذكرت أمام كل حكاية رقم الفصل والصحيفة وفقاً للنسخة المطبوعة على الحجر في مدينة طهران سنة ١٢٨٥ هـ
- ١- حكاية الحاج الغني وإجابته القاسية على سؤال فقير... فصل ٤ صفحة ٢٠
 - ٢- حكاية الخليفة المتوكل وكيف نجا عبده الخاص «فتح» من الفرق... فصل ٦ صفحة ٢٨
 - ٣- حكاية أفلاطون وكيف غضب عندما مدحه أحد الجهال فصل ٦ صفحة ٣٤
 - ٤- حكاية الطبيب محمد بن زكريا الرازي وكيف اضطرب عندما ضحك إليه مجنون... فصل ٦ صفحة ٤٥
 - ٥- حكاية كسرى أنوشروان ووزيره بزرجمهر... فصل ٧ صفحة ٣٧
 - ٦- حكاية عن الكف عن رواية الأخبار العجيبة ولو كانت صادقة ما لم تكن مؤيدة بالبرهان الحاضر... فصل ٧ صفحة ٣٩

٧- حكاية عن أهمية التفسير متعلقة ... بحلم هارون الرشيد و الرجلين اللذين عبرا له رؤياه ... فصل ٧ ص ٤٢

(١) انظر إلى ما سبق لنا ذكره عن هذه الأخبار ضمن أخبار «بندار الرازي» و انظر كذلك «قايوس نامه» ص ١٢٨ و «تذكرة الشعراء» ص

٤٣-٤٤

(٢) ارجع إلى خلاصة هذه القصة في الصفحات السابقة عند ذكر صنعة «التلميح» في الفصل الأول من هذا الكتاب (ص ٩٢-٩٣).

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٥١

٨- حكاية في الموضوع السابق متصلة بمحاجة غلام لمولاه الماجن ... فصل ٧ ص ٤٢

٩- حكاية بزجمهر وردة على عجزو اتهمته بالعجز عن إجابة سؤالها ... فصل ٧ ص ٤٣

١٠- حكاية الشاب العلوي الزنجاني الذي غلبه سني عجزو فصل ٧ ص ٤٥

١١- حكاية الحائك و إربيقه ... فصل ٩ ص ٥٢

١٢- حكاية العجزو الأحدث و الشاب الذي هزى به ... فصل ٩ ص ٥٣

١٣- حكاية الوزير العجزو و الحصان ... فصل ٩ ص ٥٦

١٤- حكاية الصاحب بن عباد مع ضيفه ... فصل ١٠ ص ٥٩

١٥- حكاية ابن مقلة و نصر بن منصور التميمي ... فصل ١٢ ص ٦٥

١٦- حكاية المجرم الذي حكم عليه المعتمض بالموت و كيف نجى نفسه بكوب من الماء «١» ... فصل ١٢ ص ٦٧

١٧- حكاية النبي و المرأة العجزو ... فصل ١٣ ص ٧٠

١٨- حكاية شمس المعالي قايوس بن وشمگیر جد المؤلف ... فصل ١٤ ص ٧٤

١٩- حكاية السلطان مسعود الغزنوي ... فصل ١٤ ص ٧٥

٢٠- حكاية عمرو بن الليث ... فصل ٢٠ ص ٨٥

٢١- حكاية عزل قايوس بن وشمگیر و مقتله ... فصل ٢٠ ص ٨٧

٢٢- حكاية عن شرف اللصوص ... فصل ٢٢ ص ٩٤

٢٣- حكاية أحمد الفريغوني ... فصل ٢٥ ص ١١١

٢٤- حكاية عن فوائد العموم و السباحة ... فصل ٢٧ ص ١١٥

٢٥- حكاية گشتاسب ... فصل ٢٧ ص ١١٨

٢٦- حكاية شهربانويه و الحسين ... فصل ٢٧ ص ١٢٠

٢٧- حكاية موت سقراط ... فصل ٢٨ ص ١٢٥

(١) تروى هذه القصة عادة عن «هرمزان الفارسي» و الخليفة «عمر» انظر تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٥٥٨-٢٥٥٩

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٥٢

٢٨- حكاية المهلب ... فصل ٢٩ ص ١٢٧

٢٩- حكاية «سيدة» و الدة مجد الملك و السلطان محمود الغزنوي ... فصل ٢٩ ص ١٢٨

٣٠- حكاية ذي القرنين و وصاياه عن مدفته ... فصل ٢٩ ص ١٣١

٣١- حكاية معاوية ... فصل ٣٠ ص ١٣٥

٣٢- حكاية القاضي أبي العباس الروياني و الشجرة التي استشهد بها ... فصل ٣١ ص ١٤٣

٣٣- حكاية التاجر و المشتري ... فصل ٣٢ ص ١٥٠

٣٤- حكاية بائع اللبن الذي أتبه ضميره ... فصل ٣٢ ص ١٥٤

٣٥- حكاية «فضلون» ملك گنجه ... فصل ٣٧ ص ١٧٧

٣٦- حكاية أخرى عن «فضلون» ... فصل ٣٧ ص ١٧٩

٣٧- حكاية المأمون و القاضي عبد الملك العبكري ... فصل ٣٩ ص ١٨٤

٣٨- حكاية الصاحب اسماعيل بن عباد ... فصل ٣٩ ص ١٨٤

٣٩- حكاية الخليفة القادر بالله و إجابته على تهديد السلطان محمود ... فصل ٣٩ ص ١٨٥

٤٠- حكاية عبد الجبار الخوجاني كاتب أبي علي سيمجور ... فصل ٣٩ ص ١٨٧

٤١- حكاية ربيع بن المظهر القصري ... فصل ٣٩ ص ١٩١

٤٢- حكاية الملك الفارسي و وزيره ... فصل ٤٠ ص ١٩٣

٤٣- حكاية فخر الدولة و اسماعيل بن عباد ... فصل ٤٠ ص ١٩٥

٤٤- حكاية أبي الفضل البعمي و سهل الخجندی ... فصل ٤٠ ص ١٩٧

٤٥- حكاية طغرل السلجوقي ... فصل ٤٢ ص ٢٠٤

٤٦- حكاية السلطان محمود الغزنوي و ابي الفرج البستي ... فصل ٤٢ ص ٢٠٦

٤٧- حكاية السلطان مسعود الغزنوي ... فصل ٤٢ ص ٢٠٧

٤٨- حكاية فخر الدولة و عضد الدولة ... فصل ٤٢ ص ٢١٠

٤٩- حكاية الاسكندر الأكبر ... فصل ٤٢ ص ٢٣١

٥٠- حكاية اللصوص في مشكلة عويصة ... فصل ٤٤ ص ٢٢٠

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٥٣

٥١- حكاية عما وقع بين درويشين من أهل الصوفية ... فصل ٤٤ ص ٢٢٣

و أغلب هذه الحكايات جميل و أصيل، يبلغ جد الروعة و الإمتاع.

[أشعار قايوس نامه]

و تشتمل «قايوس نامه» بالإضافة إلى هذه الحكايات على جملة من الأشعار، أكثرها عبارة عن «رباعيات» من نظم المؤلف نفسه. و قد

استشهد المؤلف أيضا بأشعار من قول «أبي سعيد بن أبي الخير» و «أبي شكور البلخي» و «أبي سليك الجرجاني» و «العسجدى» و «الفرخى» و «البيبي» و «قمرى الجرجاني».

و أورد المؤلف كذلك بيتا منظوما في اللهجة الطبرية و قرنه بترجمة صاغها له باللغة الفارسية «٢».

[الأشخاص الذين ذكرهم المؤلف في حكاياته]

أما الأشخاص الذين ذكرهم المؤلف في حكاياته، فمن بينهم جملة من حكماء اليونان هم: «فيثاغورث» و «سقراط» و «أفلاطون» و «بقراط» و «جالين» و «الأسكندر الأكبر»؛ و من بينهم جملة من ملوك الساسانيين و وزراءهم هم: «أنو شيروان» و «بزرجمهر» و «شهربانو» بنت بزدجرد الثالث التي وقعت أسيرة في أيدي العرب و تزوجت بالحسين؛ و من بينهم طائفة من آل الرسول كعلي و الحسن و الحسين؛ و ذكر المؤلف من الأمويين «معاوية»؛ و من العباسيين «هارون الرشيد» و «المأمون» و «المتوكل» و «القائم» كما ذكر طائفة من حكام فارس المسلمين و وزراءهم مثل «عمرو بن الليث» و «السلطان محمود» و «السلطان مسعود الغزنوي» و «أبي الفضل البلعمي» و «الصاحب اسماعيل ابن عباد» و «أبي علي سيمجور» و «طغرل السلجوقي» و «نوشتكين» و «الحسن بن الفيروزان الديلمي» و «شمس المعالي قابوس» و «شرف المعالي» و غيرهم ممن لا يبلغون مبلغ هؤلاء في الأهمية و وضوح الشخصية.

(١) ذكر عنه أنه مخترع لنوع من الألحان.

(٢) انظر ص ٨٦ من «قابوس نامه».

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٣٥٤

و مؤلف «قابوس نامه» لا يروى في كتابه إلا القليل الأقل مما ينصل بحياته الشخصية؛ و قد أوصل نسبه إلى «أنوشيروان» كما قالت بذلك أيضا كتب المصادر الأخرى؛ ثم هو يذكر أنه أدى فريضة الحج إلى مكة المكرمة أثناء خلافه «القائم» و أنه اشتغل بالجهاد الديني و حارب أهل الهند و جورجيا و أرمينيا. و يذكر أحيانا بعض الأخبار المتصلة بأسلافه و أقاربه من «آل زيار» فيترك لنا تقريرا كاملا عن الأحوال التي عزل فيها و قتل بسببها «قابوس» و كيف قتل اثنان من أسلافه هما «وشمگير» و «شرف المعالي» بطريق القضاء و القدر بينما كانا يقومان بالصيد و الطراد.

أسلوب «قابوس نامه»:

الأسلوب الذي كتب به كتاب «قابوس نامه» يعتبر من أجمل الأمثلة للنثر الفارسي البسيط الذي لا عوج فيه؛ و هو من حيث الصنعة و التتميق يفضل كتاب «سياسة نامه» و لكنه لا يبلغ مبلغ التزيينات البلاغية التي تصادفها في كتب أخرى مثل كتاب «كلستان» و الكتاب مشحون بكثير من المعنويات و الفكاهات و الأمثال ذات المغزى الرائع؛ و فيما يلي طائفة من الأمثال نسوقها على سبيل المثال:

«كل طائر يطير مع ما شاكلة» ... ص ٤٥

«المرء في داره كالملك في مملكته» ... ص ٦١

«خير للبت ألا تولد، فإذا ولدت فزوجها أو فاقبرها» ... ص ١٢٠

«المنزل الذي يشتمل على سيدتين يبقى بغير كنس» ... ص ١٧٩

«عصفور في اليد خير من طاووس مرتقب» ... ص ١٧٩

«لا يموت أحد من الناس إلا إذا حان أجله، و لن يحين أجله إلا إذا ذهب إلى بردع» «١» في أثناء الصيف» ... ص ١٧٩

«من أتعس الأمور أن يحتاج الرقيب إلى من يراقبه» ... ص ١٩٩

(١) بردع أو بردعه أو برذعه بلدة في أذربيجان، انظر القاموس الجغرافي الذي وضعه المستشرق «باربييه دي مينار» ص ٩١-٩٣. و لم أظفر بما يؤيد أن هذه المدينة كانت موبوءة من الناحية الصحية.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٣٥٥

«إذا أردت أن تدخل مكانا فانظر أولا كيف تخرج منه» ... ص ٢٠٢

«مهما بلغ الأمر فلن يؤتمن القط على الشحم ...!!!» ص ٢٠٤

و المؤلف يعرض علينا أفكاره في خليط عجيب من الصنعة و البساطة، و الشك و الزهادة، و الاستخفاف و العفاف؛ فراه يعالج بعض الموضوعات الأخلاقية دون أن يتعرض لتأنيها روحية، فيكتفي ببيان فائدة الصلاة و الصوم و الواجبات الدينية الأخرى، و يقرر أنها وسيلة لظاهرة الأبدان و التواضع و التعفف، و يقول بوجوب اتباع أحكام الإسلام لأنه لا توجد حكومة أقوى من حكومة الإسلام؛ و في رأيه أن إلزام الأغنياء بتأدية فريضة الحج يعتبر من أحكم الوسائل التي اضطرمهم الدين بواسطتها إلى السياحة و التجوال في أنحاء الأرض؛ ثم يختم حديثه عن هذه المسائل الدينية بأن ينصح ابنه بعدم التعمق في بحث المذاهب الدينية لأن كثرة الأسئلة بشأنها و الإكثار من قول «لماذا» و «كيف» بصددها لا يبلغان بالسائل أي مبلغ. و من أبداع ما كتبه أيضا نصيحتة التي نصحنها فيها بأن نقيس حالنا بحال جارنا الفقير لا بحال جارنا الغني لأننا متى فعلنا ذلك شكرنا الله على ما نملكه و لم نحسد الغني على غناه و ثرائه.

و الأمثلة التي يضربها لنا المؤلف عن آداب السلوك لاذعة ماهرة، و هي في بعض الأحيان تبلغ مبلغ الجديد المستحدث؛ فراه بفيض في فائدة «الكلام المعسول» و يطلب إلى ابنه أن يتعلم الحكمة من الجهلاء، و لكنه يحذره في الوقت نفسه من الإغراق في «التواضع» لأن كثيرا من الرجال قد اخفقوا في نيل أوتارهم بسبب ما امتازوا به من أدب جم و تواضع كثير.

فإذا عرض المؤلف للحديث عن الحق و الصدق، فإننا نجد ممتعا فيما أبدى من أقوال، فهو يخاطب ابنه بقوله: «اجتهد يا بني في المدارة و لكن لا تكن كذوبا؛ واسع إلى أن تشتهر بين الناس بقول الصدق حتى إذا اضطرتت في وقت من الأوقات إلى الكذب، صدقك الناس فيما تقول ...!!!»

ثم هو يحذر ابنه أيضا من الإدلاء بالأقوال الصادقة التي يحتمل تكذيبها و لا تسهل البرهنة على صحتها، فيقول له: «و من العبث أن يدلي الإنسان برأى يحوجه- زعم

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٣٥٦

صدقه- إلى السعي في البرهنة على صحة طوال أربعة شهر و إلى الاستشهاد بأربعمائة شخص من أعدل الشاهدين ...!!!»

أما الأمثلة التي يضربها لنا المؤلف عن آداب المجتمع فصحيحة سليمة، فهو يقرر أنه من الواجب على المضيف ألا يكثر من الاعتذار

لضيفه عن تفاهة ضيافته، لأن هذا يشعر الضيف بالحر والضييق الصدر، كما يجب على المضيف أن لا يؤنب خدمه على ما يبدو منهم من تقصير في حضور ضيوفه.

فإذا انتهى من ذلك أوصى ابنه ألا يلعب الترد والشطرنج بالدرهم والدنانير، وأن يحذر اللعب مع المقامر المشهورين، وأن يتجنب القسم و حلف الإيمان، وأن يتمتع عن إغارة النقود لأحد من أصدقائه ما لم يكن مستعداً لأن يعتبر العارية هبة لصديقه إذا لم يستطع دفعها أو لم يشاردها إليه.

وقد اختلطت وصاياها عن الشراب بفكاهة لاذعة، فهو يعترف من ناحية بأن شرب الخمر محظور حظراً باتاً من ناحية الدين، ولكنه يعود فيقول لابنه: «إني على ثقة من أنني مهما نصحتك فإنك لن تستمتع لصحى وتمتنع عن شرب الخمر...!!» ولذلك فهو يقصر وصاياه على أن ينصح ابنه بعدم احتساء الخمر في الصباح، لأن ذلك يغريه بتفويت الصلاة، ولأنه كذلك يجعل خمار الليل يجتمع بخمار الصباح فيلتقي الخماران في رأسه و يسببان له فساد العقل والإدراك. ثم هو ينصح ابنه ألا يشرب الخمر إلا في منزله تجنبا للفضيحة والعار؛ وأن يتمتع عن الشراب ليلة الجمعة مراعاة لحرمه ذلك اليوم، ولأن الناس إذا رأوه يفعل ذلك يغفرون له احتساءه الخمر في الليالي الباقية من الأسبوع...!! ثم يوصيه بأن لا يعربد أو يفحش إذا شرب الشراب فيقول له: «إن الشراب وحده رجس و إثم، فإذا اضطرت إلى أن تأثم فلا أقل من أن تجعل اثمك لطيفاً مقبولاً هيناً، و عليك أن تختار من الأشرطة أحسنها فشرهه، كما عليك أن تختار من الموسيقى أجمل الألحان فتستمع إليه؛ وإذا مزحت مع أحد من الناس فاجعل مزاحك طيباً مستساغاً، حتى إذا حوسبت عليه في العالم الآخر لا تكن ملوماً مذموماً...!!» وهو أيضاً ينصح الناس ألا يسألوا البخلاء والتقاء حاجه إلا إذا لعبت الخمر برؤوسهم فإن ذلك يجعلهم أكثر استجابة و استعداد القضاء الحوائج.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٥٧

و يمضي المؤلف في إيراد الفصول الممتعة عن شراء العبيد والحياد، و يذكر ميزة كل صنف من هذه الأصناف و عيوب كل واحد منها؛ و يتحدث عن الصيد و الطراد ثم يمضي بعد ذلك في الحديث عن الزواج فيقول: إن الحب من أول وهلة عبث مستحيل؛ ثم يذكر الخصال التي يجب اجتماعها في الزوجة الصالحة، و أهمية مصاهرة البيوتات القوية صاحبة النفوذ. و في رأيه أنه لا يجب تعلم البنات القراءة و الكتابة، و أنه من الواجب ألا يبيعهن أولياؤهن يبعاً للأزواج الأغنياء اللذين لا يصادفون قبولاً في أنفسهن. و يجب ضرب الأطفال إذا تكاسلوا أو لم يتأدبوا؛ فإذا أبدوا شيئاً من الهمة و حسن التأدب و جبت مكافأتهم بقليل من الدراهم. و يجب على اللبيب العاقل أن يدارى الأشخاص الذين لا يجهم، فيظهر لهم المودة و المحبة؛ كما يجب عليه ألا يأمن صديقاً من الأصدقاء فيعطيه كل أسرار خشيته أن ينقلب ذلك الصديق عدواً، فيتمكن منه و يتغلب عليه. و يجب على العاقل أيضاً ألا يشمت لوفاء عدو من أعدائه، لأنه هو نفسه لا يستطيع أن يضمن النجاة و السلامة.

و الأمانة هي رأس مال التاجر، و من الواجب على الشعراء أن يقتصدوا في مدائحهم، فإذا أرادوا المبالغة فمن الواجب عليهم ألا يصفوا الرجل الذي لم يتمنطق أثناء حياته بمبراة أو بسكين، بأنه يستطيع بضربة سيفه أن يقضى على الأسود الضارية كما يستطيع بضربة حربته أن يزحزح جبل بيستون «١» عن مكانه العتيق...!! و يجب عليهم ألا يصفوا الرجل الذي لم يمتط ظهر حمار في حياته بأن له جواداً يشبه «دلدل» أو «البراق» أو «رخش» «٢»...!! و من الواجب عليهم ألا يشتموا بالهجا فإن الجرة لا تسلم في كل مرة. «٣» و يجب على الشاعر ألا يكذب في أشعاره و أن لا يباليغ فيها.

(١) جبل بالقرب من كرمانشاه عرف قديماً باسم «باغستانا» أو «بهستون» و قد اشتهر بالنقوش الأكمينية التي نقشت على قمته.

(٢) «دلدل» هي بغلة على؛ و «البراق» هو الذي امتطاه النبي في الإسراء؛ و «رخش» هو جواد «رستم» البطل الأيراني.

(٣) المترجم: يقول في الأصل الفارسي: «و هجا گفتن عادت مکن که همیشه سبو از آب درست بر نیاید» و هذا القول مطابق للمثل العربي.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٥٨

و يجب على العاقل ألا يتمادي في متابعة العدو الهارب أو تضييق السبل عليه، فإنه إن فعل ذلك هجم عليه العدو في بأس و ضراوة. و يجب في المكتوبات الفارسية أن تمتزج بشيء من العربية، فإن الفارسية الخالصة كرهية معينة «١». و يجب كذلك على العاقل، أن يزهد في خدمة الملوك، و أن يتجنب مصاحبة العسكر و الجنود.

و من الخير قبلما أختم حديثي عن هذا الكتاب أن أورد هنا ترجمة لبعض النبد الواردة في بداية الباب التاسع منه، و هو الباب المتعلق «بالشيب و الشباب» و لا شك أن هذه النبد كافية في التمثيل على أسلوب هذا الكتاب الممتع الشائق:

«يا بني ... كن كبير العقل و إن كنت صغير السن، و لن أقول لك» «لا تتمتع بالشباب، و لكني أقول لك أن تقضى شبابك في الزهد و العفاف»، و حذار أن تصح من جملة الشبان الذين ذبل شبابهم بارتكاب الآثام، فإن «الشباب نشاط و توفد، و هو كما وصفه ارستطاليس نوع من الجنون. و حذار» «أن تنخرط في سلك الشبان الجاهلين، فإن البلاء لا يتأتى من النشاط و التوقد» «و لكنه يتأتى من الجهل و التبلد؛ و استوف حظك من الأيام، فإنك متى» «بلغت مبلغ الشيخوخة فلن تستطيع أن تفعل ذلك. و قد قال شيخ من الشيوخ:» «قضيت السنين الطوال اتجرع الفصص و الأحزان خوفاً من أنني إذا كبرت فلن» «يتطلع إلى صاحبات الوجوه النضيرة من الحسان. فلما بلغت مبلغ الشيخوخة» «لم أعد أفكر فيهن أو أتطلبهن...!! و لو أنه استطاع أن يطلبهن، لما كان» «هذا الأمر ليليق بشيخ هرم، أو يحسن من رجل طاعن في السن...!!» «و مهما بلغ بك شبابك ... يا بني ... فلا تنس إلهك عز و جل في وقت» «من أوقانتك و حذار أن تأمن الموت في لحظة من لحظاتك، فإن الموت لا»

(١) المترجم: يقول في الأصل الفارسي: «و اگر نامه بود پارسی مطلق مونس که ناخوش بود»

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٥٩

«صلة له بالشيب أو بالشباب كما يقول العسجدي»:

«گر بجوانی و به پیرستی پیر بمردی و جوان زیستی» و معناه:

«- لو أن الموت كان متعلقاً بالشيب أو الشباب» «لمسات العجز الطاعن في السن، و بقى الشاب» «و مما لا شك فيه أن كل مولود مصيره إلى الموت لا محالة» «حكاية»:

«سمعت أن حائكا كان يقيم في بلدة من البلدان، و كان له حانوت على باب» «المدينة، فعلق في حانوته كوزاً، دلاه في مسمار، و أخذ يقذف فيه حجراً» «كلما خرجت من المدينة جنازة من الجنازات، فإذا انقضى الشهر عد هذه» «الأحجار، و علم عدد الأشخاص الذين خرجت جنازتهم. ثم يفرغ الكوز و يعلقه» «ثانية، و يأخذ في إلقاء الحجارة فيه من جديد، حتى إذا حان الشهر التالي فعل» «مثلما فعل من قبل. و انقضت الأيام على هذا المنوال و إذا بيد القضاء تنزل بالحانك» «فريده الموت، و تصادف في هذه الأثناء أن أقبل شخص

يسأل عنه و لم يكن «يعرف بموته، فوجد باب حانوته مغلقاً، فسأل واحداً من جيرانه عنه و عن سبب» غيابه. فقال له الجار .. أما تعلم أن الحائك قد انطوى عليه الكوز ...!!! «فكن متنبها ... يا بني .. ولا يأخذك بالله الغرور .. و اذكره أينما كنت في» طاعة أو معصية، و أسأله العفو و العفران، و خف الموت حتى لا تقع فجأة في» هذا الكوز ...!!! «و ارح الشيوخ حرمتهم، و لا تحدثهم بجزاف» القول، فإن أجوبتهم مسكته قاطعة ملجمة ...!!!»

«حكاية:»

«سمعت أن عجوزاً محدودب الظهر، قد بلغ المائة من عمره، فتفوس ظهره جدا و كان» يتكىء على عكازة و يسير، فأعرضه شاب، أراد مداعبته فقال: أيها الشيخ ...!!! «بكم اشترت هذه القوس الجميلة ... حتى اشترى لنفسى واحدة مثلها؟! فأجاب» الشيخ إذا امتد بك العمر، و طال بك الصبر، فسيمتحنوك واحدة بالمحان ...!!! «و أنصف الشيوخ أكثر مما تنصف الشباب، فإن الشاب لهم أمل في»

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٣٦٠

«الشيخوخة، و أما الشيوخ فلا أمل لهم إلا في الموت، و محال عليهم أن يفكروا» إلا فيه ...!!! و مثلهم مثل الحنطة إذا ابضت و لم يسرعوا إلى حصادها، فإنها» تتساقط على الأرض من تلقاء نفسها؛ و كذلك مثلهم مثل الفاكهة الناضجة فإنهم» إذا لم يسرعوا إلى قطفها فإنها تتساقط من أشجارها دون أن يهزها أحد ...»

«و قد قالوا بالعربية:»

«إذا تم أمر دننا نفضه توقع زوالا- إذا قيل: تم» و اعلم ... يا بني ...! إنهم لن يسمحوا لك بالبقاء إذا تعطلت حواسك؛ فإنه» متى استغلقت عليك أبواب النطق و البصر و السمع و اللمس و الذوق فإنك» «نفسك لن تتمتع بالحياة، كما أن أحداً غيرك لا يتمتع بحياتك، بل تصيح» «وبالا و شرا مستطيرا، و يصبح موتك خيرا من حياتك؛ فإذا بلغت مبلغ» «الشيخوخة فحذار من محلات الشباب، و ابتعد عن أفعالهم، فإن أقرب الناس» «إلى الموت يجب أن يكون أبعدهم عن محلات الشباب. لأن عمر الناس شبيه» «بالشمس متى حلت بالأفق الغربي فإنها تؤذن بالزوال و المغيب. و قد قلت» «في ذلك القطعة الآتية:»

«- تبه ... يا كيكأوس ... فقد أصبحت عاجزا في قبضة شيخوختك» «و دير لنفسك أمر ذهابك ... فقد بلغت الثالثة و الستين من عمرك»

«- و قد انتهى يومك إلى صلاة العصر» و سرعان ما يدخل الليل متى انتهت من هذه الصلاة ...!!! «١»

«و من أجل هذا لا يجوز للشيخ الهرم أن يتصف بعقل الشباب، أو يقتدى» «بأفعالهم. و كان دائما ... يا بني ... رحيما شفوفا بالشيوخ، فإن الشيخوخة» «مرض لا يعود المريض فيه أحداً، و هي عللة لا علاج لها عند الطبيب إلا بالموت»

(١) المترجم: فيما يلي نص هذين البيتين بالفارسية:

كيكأوسا در كف پیری شده عاجز تدبیر شدن کن چو بشصت و سه درآمد

روزت بنماز دگر آمد بهمه حال شب زود درآمد چو نماز دگر درآمد

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٣٦١ «لأن العجز لا يستريح من آلام الشيخوخة إلا بالفناء. و هي مخالفة لسائر» «العلل و الأمراض، لأن سائر العلل إذا أصابت الإنسان و لم يمت بسببها فإن» «الأمل بقوى في شفائه و برته منها، و أما الشيخوخة فيخالف ذلك على» «خط مستقيم، فإن المريض بها نسوء حاله يوما بعد يوم و لا أمل له في» «الشفاء و العافية. و قد قرأت في كتاب من الكتب أن الإنسان يستمر» «في الزيادة يوميا من حيث القوة و التركيب حتى يبلغ الرابعة و الثلاثين» «من عمره، فإذا بلغ ذلك العمر لا يزيد و لا ينقص» «و يبقى كالشمس في» «وسط السماء، تبطيء في سيرها حتى تأخذ في الزوال و المغيب؛ فإذا كان» «الإنسان بين الأربعين و الخمسين من عمره، أصابه من النقص في كل سنة» «ما لم يكن ليدركه في السنة السابقة؛ فإذا كان بين الخمسين و الستين من» «عمره شاهد في كل شهر شيئا من النقص يصيبه في جسده، لم يكن ليشهده في» «الشهر الفائت؛ فإذا كان بين الستين و السبعين من عمره شاهد في كل أسبوع» «بعض النقص ينزل بجسده و لم يكن له وجود في الأسبوع الفائت؛ فإذا كان» «بين السبعين و الثمانين من عمره شاهد في كل يوم بعض النقص يصيب جسده» «و لم يكن له وجود في اليوم السابق؛ فإذا قبض الله له تجاوز الثمانين فإنه» «يشاهد في كل ساعة شيئا من الألم و العناء، لم يكن ليعانيه في الساعة» «الماضية ...!!! و لذة الحياة موجودة في السنوات الأربعين الأولى من العمر» «فإذا سعدت أربعين درجة في سلم الحياة، فأنتك لا محالة تأخذ في الهبوط بعد» «ذلك لتعود إلى المكان الذي أخذت في الصعود منه. و ما تعس الشخص» «الذي يصيبه في كل ساعة ألم جديد لم يكن يحس به في الساعة الماضية ...!!!» «فيا ولدي و قره عيني ... لقد أطلت عليك شكوى الضعف و الشيخوخة لأن» «شكواي من الكبر أليمة مريرة، و ليس في هذا ما يستغرب، فإن الشيخوخة» «عدو لدود، و لا بد من شكوى الأعداء و الخصوم ...!!!»

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٣٦٢

كتب أخرى متوفرة

و يجب علينا قبل أن نفرغ من الحديث عن كتاب الفرس الذين نشأوا في هذا العصر، أن نذكر بعض الكتب المنشورة الأخرى التي لم أوفق إلى الحصول عليها في الوقت الحاضر، و التي لو أنها وقعت في يدي لما خصصتها كذلك إلا بأشارة يسيرة حرصا على الإختصار و مراعاة لضيق المقام.

«زهت نامه»

و من بين هذه الكتب كتاب «زهت نامه علاني» و هو عبارة عن موسوعة ألفها «شهرمدان بن أبي الخير» في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي (نهاية القرن الخامس الهجري) لأمر طبرستان «علاء الدولة خاص بگ» و قد وصف «پرتش:

Pertsch

« مشتملاتها وصفا كاملا في ص ٣٠-٣٦ من فهرست الكتب الفارسية في مكتبة جوتا «١» كما ذكر «إليه» محتوياتها باختصار في الأعمدة الرقيمة ٩٠٦-٩٠٨ من فهرست الكتب الفارسية في «المكتبة البودلية» ٢٢.

و قد سبق لنا أن تحدثنا عن كتاب آخر شبيه بهذا الكتاب و لكنه أسبق منه زمنا، و هو كتاب «دانن نامه علاني» الذي قام بتأليفه «ابن سينا» ... أما كتاب «بيان الأديان» الذي كتبه «أبو المعالي محمد بن عبيد الله» في سنة ٤٨٥ هـ- ١٠٩٢ م فقد عرفنا به «شيفر» في المجلد الأول من مختاراته الفارسية ٣.

... و هناك كتاب تاريخي آخر كبير الأهمية فيما يتصل بخراسان خاصة و هو كتاب «زين الأخبار» الذي ألفه «الكرديزي» في منتصف

القرن الحادي عشر الميلادي (أى القرن الخامس الهجرى) ولا توجد من هذا الكتاب إلا نسخة وحيدة معيبة وصفها لنا «إتیه» في الأعمدة الرقيمة ٩-١١ من فهرست الكتب

(١) أنظر: Gotha Persian Catalogue.

(٢) أنظر: Bodleian Persian Catalogue.

(٣) راجع المجلد الأول من: Chrestomathie Persane ص ١٣٢-١٨٩ وكذلك الصفحات ١٣٢-١٧١ من النصوص الفارسية.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٦٣

الفارسية في «المكتبة البودلية». وشبه بهذا الكتاب من حيث الأهمية الكتاب النادر الذى لم يطبع بعد وهو كتاب «كشف المحجوب» الذى ألفه عثمان بن أبى على الجلابى الهجویری في نهاية القرن الحادى عشر الميلادى (أى أواسط الخامس الهجرى) وتحدث فيه عن حياة رجال الصوفية ومذاهبهم «١».

و يجدر بنا فى هذا المقام أن نشير إلى رسالة أخرى عن الصوفية، ألفها بالعربية فى سنة ٤٣٨ هـ - ١٠٤٦ م «أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشیری» المتوفى فى سنة ٤٦٥ هـ - ١٠٧٠ م. وهذه الرسالة تشتمل على أربعة وخمسين بابا.

وقد طبع مرتين على الأقل فى مطبعة «بولاق» ولها ترجمة بالفارسية موجودة فى المتحف البريطانى تحت رقم ٤١١٨، وهذه الترجمة لا يعرف تاريخها على وجه التحديد، ولكنها من غير شك ترجمة مبكرة، لأن مخطوطة المتحف البريطانى مؤرخة سنة ٦٠٢ هـ - ١٢٠٥ م.

و يبقى علينا بعد ذلك أن نذكر ثلاثة آخرين من مشاهير الكتاب، لهم أهميتهم الكبرى، بحيث يستحيل علينا فى هذا المقام أن نوفيهم حقهم من الحديث.

الماوردي

و أول هؤلاء هو «أبو الحسن على الماوردی» المتوفى سنة ٤٥٠ هـ - ١٠٥٨ م وقد وضعناه أولا لأننا سنكتفى بإشارة بسيطة إليه، نذكر فيها أن «بروكلمان» قد ذكر له تسعة مؤلفات «٢» ربما كان أهمها كتابان اثنان؛ أولهما: كتاب «الأحكام السلطانية» «٣» ويتناول الحديث عن النظرية المثلى للنظم الإسلامية، وفيه آراء لم يحدث أبدا أن طبقت عمليا فى زمن من الأزمنة و على الخصوص فى زمن المؤلف نفسه؛ و ثانيهما كتاب «أدب الدنيا والدين» وهو كتاب فى الأخلاق ما زال يدرس

(١) المترجم: طبع ترجمة هذا الكتاب إلى الانجليزية ضمن سلسلة جب التذكارية فى سنة ١٩١١ و طبع الأصل «زوكوفسكى».

(٢) أنظر ص ٣٨٦ من الجزء الأول من كتابه: تاريخ الأدب العربى: Gesch. d. Arab. Litt.

(٣) طبع هذا الكتاب فى مدينتى بون Bonn والقاهرة.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٦٤

فى المدارس الثانوية و العالية فى تركيا و مصر «١».

أبو العلاء المعرى

و ثانى هؤلاء الرجال لا صلة له بإيران على الإطلاق ولكنه شخصية رائعة جدا فى عالم الفكر و الأدب الإسلاميين بحيث لا يمكننا أن نمر عليه فى صمت و سكون. و هذا الرجل هو الشاعر الضرير و الفيلسوف الشاك «أبو العلاء المعرى» و قد سعى بالمعرى نسبة إلى قرية صغيرة من قرى سوريا هى «معة النعمان» و هى القرية التى ولد بها و قضى فيها الشطر الأكبر من حياته، و قد زاره الرحالة «ناصر خسرو» عندما توقف بهذه القرية ثلاثة أيام نهايتها ١٥ رجب سنة ٤٣٨ هـ - ١٥ يناير سنة ١٠٤٧ م و تحدث عنه فى كتابه «سفرنامه» على هذا النحو: «٢»

«و كان فى هذه المدينة رجل يسمونه «أبا العلاء المعرى» و كان ضريرا و رئيسا «للمدينة» و صاحب نعمة كثيرة، يمتلك كثيرا من العبيد و الغلمان. و فى الحق كان «أهل المدينة جميعا خدما له. و لكنه اختار حياة الزهد، فكان يلبس أحقر «الملابس» و يلزم مسكنه، و لا يأكل طوال اليوم إلا صنف من من خبز الشعير.» و قد سمعت أنه كان يترك باب قصره مفتوحا على مصراعيه، و أن نوابه و ملازميه «يتولون تدبير أمور المدينة و لا يرجعون إليه إلا فى جلائل الأمور. و هو» «لا يمنع نعمه عن أحد من الناس، و يصوم الدهر، و يقوم الليل، و لا يشغل» «بناله بأمر من أمور الدنيا. و قد بلغ هذا الرجل مرتبة عالية فى الشعر و الأدب، «جعلت أفاضل الشام و المغرب و العراق يقرون له بها و يحتفون بأن أحدا فى» «هذا العصر لم يبلغ منزلته، و لن يصل إلى درجته أحد. و قد ألف كتابا أسماه» «الفصول و الغايات، جعل كلامه فيه مرموزا، و أورد فيه كثيرا من الأمثال» «الفصيحة العجيبة التى لا يفق على سرها أحد من الناس اللهم إلا النفر القليل»

(١) المترجم: لم يعد هذا الكتاب يدرس فى تركيا و مصر إلا دراسة خاصة.

(٢) أنظر ص ١٠-١١ من طبعة «شيفر».

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٦٥

«الذين يقرأونها عليه، مما دعا جماعة من الخلق إلى اتهامه بأنه صاغ هذا» «الكتاب معارضة للقرآن «١». و يقبل عليه دائما من مختلف الأنحاء ما يزيد» «على ما أتى رجل يقرأون عليه الأدب و الشعر. و قد سمعت أن له من الأشعار» «ما يزيد على مائة ألف بيت. و قد سأله أحد الأشخاص السؤال الآتى:»

«- إن الله تبارك و تعالى قد أجرل لك كل هذا المال و النعيم فلائى سبب» «تعطيها للناس و لا تتمتع بهما فى معيشتك...!؟»

«فأجاب المعرى:»

«- إننى لا أستحق منهما إلا ما أحتاج إليه فى مأكلى!!»

«و قد كان المعرى على قيد الحياة عندما وصلت إلى المعرة. «٢»

و يرجع إلى «البارون فون كيرمر» الفضل الأول فى تعريف علماء أوروبا بالمعرى و إظهارهم على نواحي عظمتهم و عبقرتهم، و قد خصص للحديث عنه تسع صفحات من الجزء الثانى من كتابه الرائع عن «تاريخ الحضارة فى الشرق» «٣» كما نشر عنه سلسلة من المقالات و الرسائل الرائعة «٤».

و قد أورد «دولت شاه» في مقاله القصيرة التي كتبها عن هذا الشاعر ثلاث مقطوعات من أشعاره هي التالية: «٥».

(١) حفظت لنا قطعة من هذه المعارضة القرآنية، نشرها لنا جولدزبير في سنة ١٨٧٥ في مجلة المستشرقين الألمان مجلد ٢٩ و قد قرنها بملاحظات متمعة عن المعري في الصفحات ٦٣٧-٦٤١. أنظر أيضا هذه المجلة مجلد ٢٢ و ٣٨٣ وكذلك المجلد ٢١ ص ١٧٦ و كذلك كتاب جولدزبير المسمى دراسات إسلامية مجلد ٢ ص ٤٠٣. Muhamedanische Studien.

(٢) مات بعد ذلك بعشر سنوات في سنة ٤٤٩ هـ - ١٠٧٥ م و قد بلغ من العمر ثمانين سنة.

(٣) أنظر ص ٣٨٦-٣٩٤ من الجزء الثاني من كتاب *Culturg schichte des Orients*

(٤) أطول هذه المقالات هي المنشورة في *Sitzungsberichte d. Wiener Akad* سنة ١٨٨٨ م مجلد ١١٧. و قد سبقت هذه المقالة مقالات أخرى في «مجلة المستشرقين الألمان» في السنوات ١٨٧٥ و ١٨٧٦ و ١٨٧٧ و ١٨٨٤. المجلد ٢٩ ص ٣١٢٣٠٤ و المجلد ٣٠ ص ٤٠-٥٢ و المجلد ٣١ ص ٤٧١ و المجلد ٣٨ ص ٤٩٩-٥٢٩.

(٥) أنظر «تذكرة الشعراء» ص ٢٥.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٣٦٦
القطعة الأولى:

أبا العلاء ابن سليمان عماك قد أولاك إحسانا

إنك لو أبصرت هذا الوري لم ير إنسانك إنسانا و القطعة الثانية:

ألا إنما الأيام أبناء واحد هذي الليالي كلها أخوات

فلا تطلين من عند يوم و ليلة خلاف الذي مرت به السنوات و القطعة الثالثة:

من راعه سبب أو هاله عجب فلي ثمانون حول لا أرى عجبا

الدهر كالدهر و الأيام واحدة و الناس كالناس و الدنيا لمن غلبا و قد نشر «جولدزبير» القطعة التالية من أشعاره في مقالة له «بمجلة المستشرقين الألمان» مجلد ٢٩ ص ٦٣٧

في القدس قامت ضجة ما بين أحمد و المسيح

هذا بناقوس يدق و ذا بمثذنه يصيح

كل يمجد دينه ليت شعري ما الصحيح؟! و طبقا لأحكام الشريعة الإسلامية يعاقب السارق الذي يسرق ما تزيد قيمته على ربع دينار بقطع يده، بينما يعوض الشخص الذي يفقد يده في أحوال أخرى بخمسائة دينار كاملة و في هذا المعنى يقول المعري:

تناقض ما لنا إلا السكوت له و أن نعوذ بمولانا من النار

يد بخمس مئين عسجد فديت ما بالها قطعت في ربع دينار؟! و فيما يلي بيتان يذكرهما «فون كريمر» على سبيل المثال في «مجلة المستشرقين الألمان» ج ٢٩ ص ٣٠٥

ضحكنا و كان الضحك منا سفاهة و حق لسكان البسيطة أن يبكوا

تحطمتنا الأيام حتى كأننا جاج و لكن لا يعد لنا سبك و قد ذكرت أن «المعري» لا صلة له بإيران، لا من ناحية مولده، و لا من ناحية إقامته، و لم يدفني إلى ذكره في هذا الكتاب إلا كونه شاعرا كبيرا و مفكرا عبقريا.

يضاف إلى ذلك أن الأبحاث المستقبلية ربما تكشف لنا أنه كان ذا أثر محسوس نستطيع

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٣٦٧

لمسه في آراء شعراء الفرس الشكاكين المشائمين. و لا شك أن آراءه الخاصة تذكرنا بعض الشيء ب «عمر الخيام» و إن كان يمتاز عنه بأنه أعلا منه شأنًا و أبلغ منه منطقًا من حيث كونه شاعرا و فيلسوفا شاكًا.

و أهم مؤلفات المعري هي التالية:

١- سقط الزند: هو ديوان من الشعر يتضمن منظوماته المبكرة

٢- اللزوميات أو «لزوم ما لا يلزم» و هو ديوان من الشعر يتضمن أشعاره المتأخرة التي تشمل على فلسفته و تشاؤمه.

٣- الرسائل: و قد نشرها و ترجمها الأستاذ «مارجوليت» بجامعة أكسفورد في سنة ١٨٩٨ م «١».

٤- رسالة الغفران: و هي رسالة كتبها نثرا في وصف الجنة و النار. و تحدث فيها عن زيارة خيالية للعالم الآخر و ما جرى بينه و بين شعراء العرب و الكافرين من حديث. و قد نشر الأستاذ «ر. ا. نيكولسون» و صفا لهذه الرسالة مع مقتطفات منها في «مجلة الجمعية الملكية الآسيوية» سنة ١٩٠٠ (ص ٦٣٧-٧٢٠) و سنة ١٩٠٢ (ص ٧٥-١٠١) ص ٣٣٧-٣٦٢، ص ٨١٣-٨٤٧) و هذا المؤلف متمتع حقا و لكنه مليء بالصعوبات و المسائل المعقدة، خاصة في فصوله الأخيرة التي تحدث فيها عن الكفار و الزنادقة، و قد اضطر المؤلف مراعاة للحكمة و المصلحة أن ينتقد هؤلاء الطائفة، و لكننا مع ذلك لا نستطيع أن نبرئه من أنه كان يعطف عليهم عطفًا كبيرا.

٥- الفصول و الغايات: و هذا هو أبعد كتبه إغراقا في الزندقة كما تذهب إلى ذلك آراء المسلمين. و هو عبارة عن معارضة للقرآن كالتي صاغها «المتنبي» و قد نشر فصولا منه المستشرق «جولدزبير» في مقاله التي نشرها في سنة ١٨٧٥ م في المجلد ٢٩ من مجلة

المستشرقين الألمان «٢» (ص ٦٣٧-٦٤١) بعنوان:

«أبو العلاء المعري كمفكر جر *Abul Ala al Ma arri als Freidenker*»

(١) أنظر: ١٨٩٨، *Anecdota Oxoniensia*.

(٢) المترجم: طبع هذا الكتاب في القاهرة في مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٣٦٨

و قد رسم الأستاذ «مارجوليت» صورة متمعة لحياة المعري جعلها مقدمة لطبعته التي نشرها ل «رسائل المعري»؛ كما أن المقالات العديدة التي نشرها «فون كريمر» و ضمنها كثيرا من أشعاره المترجمة إلى شعر ألماني تمد الباحث الأوروبي بكثير من الزاد الذي يساعده على دراسة هذا المفكر العبقري القوي.

الغزالي:

أرجأت إلى نهاية هذا الفصل الحديث عن رجل آخر له تأثير كبيرا في هذا العصر، و يعتبر بحق من كبار المفكرين الذين ظهوروا فيه، و أقصد ب «الإمام أبا حامد محمد الغزالي» «١» و هو الفقيه الذي كان له الفضل الأول في إنهاء عصر الفلسفة في الإسلام، و في إقامة عصر «التصوف» الذي يعتبر أبلغ تعبير و أوضح تحديد للمذهب السنن الإسلامي.

يقول الدكتور «ت. ژ. دی بوير» في كتابه «تاريخ الفلسفة في الإسلام»^{٢١}، «إن التصوف منذ ظهور الغزالي أصبح الدعامة التي قام عليها صرح المعرفة في العالم السني الاسلامي، و أصبح كذلك التاج الذي انعقد على مفروق هذا الصرح»^{٢٢}
وقد أورد الدكتور «دي بوير» في كتابه العلمي الرابع ما فيه الكفاية عن الغزالي ومذهبه بحيث أجد لزاما على ألا أطيل الحديث عن هذا الفقيه النابه الذي خدم الدين خدمات جليلة، جعلته يكسب لقاءها اللقب الذي عرف به أبداً و هو «حجة الإسلام».
ولد الغزالي في بلدة طوس من مدن خراسان في سنة ٤٥٠ هـ - ١٠٥٨ م، و على قول آخر في سنة ٤٥١ هـ - ١٠٥٩ م و قد صادف مولده تولى «الپ ارسلان» عرش

(١) يقال له أيضا الغزالي بتشديد الراءى و قد سبق لي كتابة اسمه على هذا النحو في مؤلف سابق فانتقدني على ذلك المستشرق الكبير «جولدزبير» و مع ذلك فيجب أن أذكر أن هذه التسمية تبعها عدد كبير من كتاب المسلمين منذ القرن الثالث عشر الميلادي (- السابح الهجري) انظر: الفخري و كذلك كتاب «بروكلمان» في «تاريخ الأدب العربي ج ١ ص ٤١٩»
(٢) انظر: ص ١٥٥ من الترجمة الانجليزية من كتاب: History of Philosophy in Islam, by Dr. T. J. de Boer. تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٦٩
السلاجقة. و مات ابوه و هو صغير، فقام على تربيته و تربية أخيه رجل صوفي من أصدقاء أبيه، ثم التحق بعد ذلك بإحدى المدارس الموجودة في بلده. و اعتاد أن يقول:
«طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا الله»

و قد تلقى المدرس فترة في «جرجان» على يد الإمام «أبي نصر الإسماعيلي» و بينما كان في طريق عودته إلى طوس سطا عليه جماعة من قطاع الطريق و سلبوه كل أمتعه، و قد تبهم لكي يسترد منهم مذكراته، و قال لمقدمهم أنه ترك الأهل و الوطن لأجل تحصيلها و هي تستوعب جميع علومه و معارفه. فضحك مقدم اللصوص و قال: «كيف تدعى أنك أدركت ما فيها من علم فلما أخذناها منك تجردت من معرفتها و بقيت بلا علم...!!».

ثم انتهى الأمر بأن استرد الغزالي مذكراته و أقبل على الاشتغال بها حتى حفظ جميع ما فيها بحيث لو قطع عليه اللصوص الطريق مرة أخرى لم يتجرد من علمه!!

ثم ذهب الغزالي إلى «نيسابور» وجد و اجتهد و أحسن التأليف و أحاد الوضع و التصنيف حتى علم به الوزير العظيم «نظام الملك» فولاه في سنة ٤٨٤ هـ - ١٠٩١ م التدريس في مدرسته «النظامية» التي أسسها في بغداد قبل ذلك التاريخ بخمس و عشرين سنة. و ظل الغزالي أربع سنوات في المدرسة النظامية يقوم «على التدريس و تعليم العلم، عظيم الجاه، زائد الحشمة، عالي الرتبة، مشهور الاسم، تضرب به الأمثال، و تشد إليه الرحال، إلى أن شرفت نفسه عن رذائل الدنيا، ففرض ما فيها من التقدم و الجاه، و ترك كل ذلك وراء ظهره... فاستتاب أخاه في التدريس.» و قصد بيت الله الحرام فحج، ثم ذهب إلى الشام حيث ألف كتابه الكبير «حياة علوم الدين» و هذا الكتاب مكتوب بالعربية، و لكنه نقل بعد ذلك باختصار إلى الفارسية بعنوان «كيمياى سعادت» أو «كيمياى السعادة».
فلما عاد الغزالي إلى بغداد جعل هذا الكتاب أصلا لمجموعة من المراسم الدينية التي أخذ يبشر بها في هذه المدينة، ثم عاد بعد ذلك إلى نيسابور و درس بالمدرسة النظامية مدة يسيرة، ثم رجح إلى بلده طوس حيث توفي في يوم الإثنين ١٤ جمادى الآخر سنة ٥٠٥ هـ - ١٨ ديسمبر سنة ١١١١ م.

و مؤلفات الغزالي كثيرة، أحصى منها «بروكلمان» قرابة السبعين، و هي تشمل، فيما عدا ما ذكرناه على: «رسالة في الرد على الباطنية أو الإسماعيلية» و «المنقذ» من

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٧٠

الضلال» و «تهافت الفلاسفة»، و الكتاب الأخير هو الذى أوحى، فيما بعد، لابن رشد القرطبي بتأليف كتابه «تهافت التهافت».
و فيما يلي قطعة نقلها من «المنقذ» و هي كبيرة الفائدة في الدلالة على مقدار ما بلغه الغزالي من التعمق في الدين قبلما يبلغ مرتبة الصفاء النفسى التي ظفر بها في النهاية^{٢٣}:

«و لم أزل في عتفوان شبابى - منذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين إلى الآن و قد أناف السن على الخمسين - أفتحم لجه هذا البحر العميق، و أخوض غمرته خوض الجسور، لا خوض الجبان الحذوره؛ و أتوغل في كل مشكلة، و أتفحص كل ورطة، و أتفحص عن عقيدة كل فرقة، و استكشف أسرار مذهب كل طائفة:

لأميز بين محق و مبطل، و متين و مبتدع؛ لا أعادر باطنيا إلا - و أحب أن أطلع على بطانته، و لا ظاهريا إلا و أريد أن أعلم حاصل ظهارته، و لا فلسفيا إلا و أقصد لوقوف على كنه فلسفته، و لا متكلميا إلا و أجتهد في الاطلاع على غاية كلامه و مجادلته، و لا صوفيا إلا و أحرص على العثور على سر صوفته، و لا متعبدا إلا و أترصد ما يرجع إليه حاصل عبادته، و لا زنديقا معطلا إلا و أتجسس وراءه للنتبه لأسباب جرأته في تعطيله و زندقته، و قد كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبى و ديدنى من أول أمرى و ربان عمرى غريزة و فطرة من الله، و وضعتا في جبلى، لا باختيارى و حيلتى، حتى انجلت عنى رابطة التقليد، و انكسرت على العقائد الموروثة، على قرب عهد سن الصبا...».

و قد استطاع «الغزالي» بعد هذه المجاهدات المبكرة في البحث عن الحق، و الخروج به من مغاور الشك القائمة، أن يكسب الدين البين قدرة و رسوخا، يستطيع بواسطتهما سائر الناس أن يبلغوا المرسة المطننة التي رسا إليها هو نفسه بعد جهود بمضنية و مشاكل شائكة؛ و قد فاز لقاء هذه الجهود باللقب الرابع الذى عرف به و هو «حجة الإسلام». كما استطاع أن يجعل عالما معروفا كالسيوطى يقول في شأنه: إنه لو قبض للإسلام رسول بعد محمد، لما كان هذا الرسول غير الغزالي !!.

(١) المترجم: نقلنا النص من طبعة «المنقذ» المنشورة في القاهرة سنة ١٩٥٢ م (أنظر ص ٥١)

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٧١

الفصل الخامس عصر السلطان سنجر و اخوته (٤٨٥ - ٥٥٢ هـ - ١٠٩٢ - ١١٥٧ م)

الفترة التي تقدم على دراستها في هذا الفصل تستغرق خمسا و ستين سنة،

تبدأ بموت «ملكشاه» كما فصلنا الخير عن ذلك في نهاية الفصل الثالث من هذا الكتاب و تنتهى بموت ابنه «سنجر» و المعروف عن «سنجر» أنه لم يكن مطلق الحكم في إمبراطورية السلاجقة إلا في خلال الفترة الواقعة بين سنتي ٥١١ و ٥٥٢ هـ - ١١١٧ و ١١٥٧ م؛ و مع ذلك فقد كان قبل توليه ملك السلاجقة حاكما على ولاية خراسان، و كان أروع شخصية ذات نفوذ بين آل سلجوق منذ سنة ٤٩٠ هـ - ١٠٩٦ م. و قد نجت خراسان بفضل حكومته المستتبه القادرة من شر الحروب الطاحنة التي وقعت بين إخوته، و

استطاع بإدارته الماهرة أن يجنّبها ويلاّث هذه الشرور الدائرة؛ حتى إذا كانت غارات «الأتراك الغز» أصيبت هذه الولاية الآمنة في السنوات الأخيرة من حكمه بكثير من الأذى والتخريب، بحيث بدأ الدمار الذي نزل بهذه الديار شاملاً وفتيحاً ومخيفاً؛ ولكن هذا البلاء الذي وقع على أيدي «الغز» سرعان ما اعتفّر خطره و هان أمره، عندما قورن بما أنزله «المغول» من رعب و فرح خلال غارتهم التي وقعت بعد ذلك بما يقرب من سبعين سنة.

و على ذلك يمكننا، على سبيل التجاوز، أن نسمي هذه الفترة التي ندرسها بـ «عصر سنجر» وأن نعتبر موته نهاية لعهد «السلجقة العظام» في إيران.

و قد فاق «سنجر» - كما جاء في كتاب «راحة الصدور» للراوندي «١» - جميع

(١) أرجع إلى مقالتي عن هذا الكتاب في «مجلة الجمعية الملكية الآسيوية» سنة ١٩٠٢ ص ٤٨٩.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي / تعريب، النص، ص: ٣٧٢

ملوك السلجقة الآخرين من حيث طول عمره و كثرة الأعمال الجليلة التي قام بها.

فمنذ تولى الحكم من قبل «بركيارق» على ولاية خراسان تمكن في فترة السنوات الأربعين التي تولاها من أن يقوم بتسع عشرة غزوة من الغزوات المظفرة. فاستطاع أن يستولى على «غزنه» و أن ينصب عليها «بهرامشاه» بشرط أن يدفع إليه جزية يومية مقدارها ألف دينار، كما استطاع أن يأسر ملك سمرقند المسمى «أحمد خان» و هو الملك الذي ثار عند موت «بركيارق» في سنة ٥٢٥هـ - ١١٣٠ م و أخضع ولايتي «سجستان» و «خوارزم». و مع ذلك كله، لم يعد لآل سلجوق من الناحية السياسية ما كان لهم من القوة و النفوذ أثناء حكم «ألب أرسلان» و «ملكشاه» لأننا لو تجاوزنا فرضاً عن الأثر البالغ الذي أحدثته الحروب التي وقعت في بداية هذه الفترة بين أبناء «ملكشاه» و كذلك عن المصائب الكثيرة التي نتجت عن الغارات المتتالية التي قام بها بعض أمراء المقاطعات النافرين، فإننا نجد أن إيران في ذلك الوقت كان يقوم بها إلى جانب «السلجقة العظام» بيوت ملكية أخرى تنازعهم السيطرة و السلطان.

و كان أهم هذه البيوت و أكثرها خطراً بيت «الغوريين» أو «ملوك جبال الغور» في الشمال الشرقي من إيران، و هو البيت الذي ورت «الغزوين» في هذه الولاية، ثم «دولة ملوك خوارزم» أو «حكام «خيوه» و هي الدولة التي أصبحت أكبر خصم للسلجقة، عند تولى «آنسز» في سنة ٥٢١هـ - ١١٢٧ م و كذلك «سلجقة كرمان» الذين كانوا يحكمون غير منازعين في الولايات الجنوبية الغربية من إيران. و ربما كان فريق «الإسماعيلية» أو «ملاحدة الموت» أشد خطراً من هؤلاء جميعاً، لانتشارهم في مختلف الولايات و سيطرتهم على سائر الأنحاء. و قد استطاعوا رغم المقاومة الشديدة العاتية التي تصدوا لها من آن إلى آخر، أن يقوموا بكثير من الأعمال التي أصبحت مصدر فرح و رعب في إيران، ما لبث أن امتد خطرهما حتى شمل الشام أيضاً.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي / تعريب، النص، ص: ٣٧٣

عصر سنجر من الناحية العلمية و الأدبية

يمتاز هذا العصر من ناحيته الأدبية و العلمية بكثير من البهاء الذي امتاز به العصر السابق عليه و العصر اللاحق له؛ فقد ازداد عدد الأدباء الإيرانيين من كتاب النثر و الشعر، و تم خلاله تأليف عدد من أمهات الكتب العربية التي أخرجتها إيران.

و قد عاش خلال عهد «سنجر» عدد من كبار شعراء الفرس، و ولد فيه شاعران كبيران هما:

«الشيخ فريد الدين العطار» المولود سنة ٥١٤هـ - ١١٢٠ م

و «نظامي الكنجوي» المولود سنة ٥٣٥هـ - ١١٤٠ م

و توفي به جملة من الشعراء المشهورين مثل:

«عمر الخيام» المتوفى سنة ٥١٥هـ - ١١٢١ م

«أزرقى» المتوفى سنة ٥٢٥هـ - ١١٣٠ م

«مسعود بن سعد» المتوفى سنة ٥٢٦هـ - ١١٣١ م

«أديب صابر» المتوفى سنة ٥٣٨هـ - ١١٤٣ م

«معزى» المتوفى سنة ٥٤٢هـ - ١١٤٧ م

«عمق البخاري» المتوفى سنة ٥٤٣هـ - ١١٤٨ م

و عاش به طائفة أخرى من كبار الشعراء و الكتاب مثل:

«سنائي» و «نظامي عروضي السمرقندي» و «رشيد الدين الطواط»

و «سوزني» الشاعر الهجاء. و وجد به أيضاً بالإضافة إلى هؤلاء جماعة آخرون، لا يبلغون منزلتهم من حيث الفضل و بعد الصيت.

أما أهم المؤلفات المنتورة التي كتبت بالفارسية في هذا العصر فهي التالية:

١- «ذخيره خوارزمشاهي»: أو «ذخيرة ملوك خوارزم» و هي عبارة عن موسوعة طيبة، تم تأليفها سنة ٥٠٤هـ - ١١١٠ م

٢- ترجمة قليلة و دمنه: التي قام بها نصر الله بن عبد الحميد سنة ٥٣٨هـ - ١١٤٣ م

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي / تعريب، النص، ص: ٣٧٤

٣- مقامات القاضي حميد الدين أبي بكر البلخي، التي أنشأها حوالي سنة ٥٥٥هـ - ١١٦٠ م

٤- كتاب «جهار مقاله»: أو المقالات الأربع التي ألفها «نظامي عروضي السمرقندي» حوالي هذا التاريخ

و هذا الكتاب الأخير هو من أهم هذه المؤلفات المنتورة؟؟؟، و من أجل ذلك سنستشهد به غالباً في هذا النص كما فعلنا في النصوص؟؟؟ و يمكن أن نعتبر «الغزالي» من أهم كتاب هذا العصر الذين كتبوا بالعربية دائماً أو غالباً، فقد توفي في سنة ٥٠٥هـ - ١١١١ م، ذكرنا آنفاً.

و من أهم الشخصيات التي نلاحظها في هذا العصر ثلاثة من علماء اللغة، هم: «الزوزني» و «التريزي» و «الجواليقي»؛ و الجغرافي المعروف «البكري»؛ و الشاعران الكبيران «البيوردى» و «الطغراني» صاحب لامية العجم؛ و المؤرخ «ابن منده» مؤرخ أصفهان؛ و الكاتب المتصوف «القشيري»؛ و كاتب المقامات «الحريري» و قد كتبها استجابة لأمر وزير السلجقة و مؤرخهم «خالد بن أنو شيروان»؛ و المفسران «الفراء البغوي» و «الزمخشري»؛ و جامع الأمثال العربية «الميداني»؛ و مؤلف كتاب الملل و النحل «الشهرستاني»؛ و جماعة آخرون غير هؤلاء لا يتسع المقام لذكرهم و تعدادهم.

*** [ستحدث أولاً على الوضع السياسي لإيران و البلاد المجاورة لها خلال هذا العصر]

و وفقا للنهج الذي اتبعناه فيما سبق من فصول، سنتحدث أولا على الوضع السياسي لإيران والبلاد المجاورة لها خلال هذا العصر، حتى إذا فرغنا من ذلك انتقلنا إلى الحديث عن النواحي الأدبية والعلمية فيها، فنقول

[أولاد ملكشاه]

إشارة

- إنه عندما توفي «ملكشاه» كان له أربعة أولاد، هم:
- ١- بريكارق: و كان في الحادية عشرة أو الثانية عشرة من عمره
 - ٢- محمد: و يصغر عن أخيه الأكبر بسنة شهوور.
 - ٣- سنجر: و كان في الثامنة من عمره
 - ٤- محمود: و كان طفلا في الرابعة من عمره
- تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٧٥

[١- «بريكارق»]

و كان «بريكارق» عند وفاة أبيه في بلدة أصفهان مع أمه «زبيدة» التي كانت هي أيضا تنتسب إلى أصل سلجوقي. أما «محمود» فكان مع أمه المتغترسة الطامحة «تركان خاتون» في «بغداد»، فحاولت هذه السيدة أن تنتهز فرصة وجودها في دار الخلافة لتضمن الملك لابنها الصغير، و لم يشأ الخليفة «المقتدى» في البداية أن يجارها على ما تريد، ولكنه سرعان ما وافق على طلبها أمام إلحاح ابنه «جعفر» الذي رزقه من الأميرة «ماهملك» أخت ملكشاه، و أمام ما بذلته له من هدايا و رشى للوصول إلى غايتها. فلما تم لها ذلك أرسلت الأمير «بغا» إلى أصفهان فبلغها بعد أسبوع واحد ليقبض على «بريكارق»، و لكن جماعة من أبناء «نظام الملك» استطاعوا عند ذلك أن ينقلوه خفية أثناء الليل من إصفهان إلى «ساوه» ثم إلى «آبه» ثم إلى «الري» حيث نصبوه ملكا على عرش السلجقة. و قالوا إنه لم يكن قد بلغ الثالثة عشرة من عمره عندما احتفلوا بتتويجه فأشفقوا أن يضعوا التاج الكبير على رأسه، و علقوه من فوقه مخافة أن ينوء بحمله «١». و قد ترأس حفلات التتويج حاكم الري المسمى «أبو مسلم» و أحاط بأبواب المدينة عشرون ألف جندي يحرسون ملكهم الصغير الجديد.

و في هذه الأثناء كانت «تركان خاتون» قد احتلت أصفهان معتمدة على مناصرة «مجد الملك القمي» و «تاج الملك أبي الغنائم» و الأمير «تروبلكا» و غيرهم من أعداء «نظام الملك» و قاتليه. و سار «بريكارق» بجيشه إلى «إصفهان» و شاء أن يحاصرها ولكنه عدل عن ذلك لقاء خمسمائة ألف دينار دفعت إليه لينفض عنها و يذهب إلى «همدان». و لكن سرعان ماتم ذلك حتى عادت «تركان خاتون» إلى تدبير المكائد ضده، فودعت خاله «ملك إسماعيل» بأنها تقبل الزواج منه، و دفعته بذلك إلى محاربة «بريكارق» في سنة ٤٨٦ هـ - ١٠٩٣ م بالقرب من الكرج و لكن الهزيمة كانت من نصيب هذا الخال فدارت عليه الدائرة في اليوم الثالث

(١) أنظر «سيرة ابن هشام» طبع «و ستفله» ص ٤٢

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٧٦
من فبراير سنة ١٠٩٤ م (- ٤٨٧ هـ) و أعلن «بريكارق» عند ذلك ملكا في بغداد.

و لكنه لم يكذب يتم له الأمر حتى ثار أحد أعمامه «تنش» «١» ثورة عنيفة تمكن بواسطتها من هزيمة «بريكارق» و أخذه أسيرا إلى مدينة «إصفهان» حيث استقبله أخوه الأصغر «محمود» استقبالا تبدو عليه مظاهر العطف و حسن المعاملة، و لكنه في الحقيقة لم يلبث أن وكل أمره إلى «تروبلكا» فأمر بجيشه في «كوشك ميدان» و عزم على سمل عينيه حتى لا يكون أهلا بعد ذلك للمطالبة بالملك. تاريخ

الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب النص ١٣٧٦ - «بريكارق» ص: ٣٧٥

من حسن حظ «بريكارق» أن أخاه الأصغر «محمود» مرض في نفس الأسبوع بالجدري و مات، فلم ينفذوا فيه هذه العقوبة الشنعاء التي دبرت له، و اجتمع الأمراء عند ذلك و نصبوا «بريكارق» مرة أخرى على العرش، ثم ما لبث «تركان خاتون» أن قُلت في خريف سنة ٤٨٧ هـ - ١٠٩٤ م ففضلا ل «بريكارق» الجو و سهلت أمامه الأمور.

و مرض «بريكارق» بعد ذلك بنفس المرض الذي أودى بأخيه، و يشوا من برئه و لكن الله قدر له الشفاء في النهاية. فلما كان العام التالي نهض لمحاربة عمه «تنش» و استطاع هزيمته و قتله.

و قتل في هذه الأثناء أيضا عمه «أرسلان أرغون» و قد كان خارجا عليه. قتله أحد أتباعه في مدينة «مرو»

و نجا «بريكارق» نفسه من القتل على يد أحد ملاحدة «الموت». و بعد ذلك بفترة وجيزة نصب أخاه «سنجر» حاكما على خراسان في سنة ٤٩٠ هـ - ١٠٩٦ م ثم عاد إلى العراق.

فلما كانت سنة ٤٩٣ هـ - ١٠٩٩ م ثار أخوه «محمد» ثورة عنيفة، ناصرها فيها أكبر أولاد نظام الملك و أقدرهم «مؤيد الملك»، و كان «بريكارق» قد طرده من منصبه فاستحق بذلك خصومته العنيفة الدائمة. و قد كانت هذه الثورة من أعظم المخاطر التي تعرض لها «بريكارق» و استمرت الحرب دائرة بينه و بين أخيه، تهدأ أحيانا، و تشتد أحيانا أخرى، و يكسبها هذا أو ذاك حتى سنة

(١) المترجم: يكتب هذا الاسم أحيانا هكذا «تكش»

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٧٧

٤٧٩ هـ - ١١٠٣ م و قد وقعت بينهما خلال ذلك خمس معارك حامية، ثم اتفقا على الهدنة قبل موت «بريكارق» بسنة أو سنتين. و قد ارتكبت خلال هذه الحروب كثير من الفظائع و الشناعات، فقد أسر «محمد» أم بريكارق المسماة «زبيدة» و أمر بخنقتها في سنة ٤٩٣ هـ - ١٠٩٩ م و كانت في الثالثة و الأربعين من عمرها؛ و ثار الجند فأخذوا «مجد الملك القمي» الذي أصبح وزير ل «بريكارق» بعد «مؤيد الملك» و مزقوه إربا إربا بنهمه ميله إلى مذهب الملاحدة و الحشاشين؛ و أمر «بريكارق» بالقبض على «مؤيد الملك» ثم اغتاله غيلة شنعاء بقطع رأسه و فصلها عن جسده. و عقد الصلح بعد ذلك بين الأخوين في سنة ٤٩٧ هـ - ١١٠٣ م. فلما بلغت هذه السنة نهايتها، أصيب «بريكارق» بالمرض الذي أودى بحياته في مدينة «بروجرد»، و كان له من العمر خمس و عشرون سنة، و قد أوصى قبل وفاته بتنصيب ابنه الصغير «ملكشاه الثاني» ملكا على عرش السلجقة، و لم يكن هذا الطفل قد بلغ الخامسة من عمره، فبقي على العرش بضعة أشهر ثم خلع عنه، و سملت عيناه كما كانوا يفعلون عادة في هذا الوقت بكل من يريدون إقصاءه عن العرش.

إشارة

وقد أصبح عند ذلك «محمد بن ملكشاه» الملقب بـ «غياث الدين» الحاكم الذي لا ينزاع منازع في ملك السلاجقة، فظل متربعا على العرش أكثر من ثلاث عشرة سنة من سنة (٤٩٩ إلى ٥١٢ هـ - ١١٠٥ - ١١١٨ م) وقد عمل بهمة خلال هذه المدة على مقاومة نفوذ «الحشاشين» المتزايد؛ وستحدث بعد قليل عن تطور حركتهم وما أحدثوه من أمور خلال هذا العصر. وفيما عدا ذلك فقد امتاز حكم «محمد بن ملكشاه» بهدوء نسبي لم تتخله إلا معركة موقفة، فاز فيها على الأمير العربي الكريم «صدقة بن يزيد» أمير الحلة في سنة ٥٠٢ هـ - ١١٠٨ م وقد ذكر لنا «نظامي العروضي السمرقندي» حكاية غريبة تتعلق بهذه الموقعة في المقالة التي خصصها للنجوم والمنجمين «١».

(١) أنظر الحكاية التاسعة والعشرين من كتاب «جهاز مقاله» وكذلك «مجلة الجمعية الأسيوية الملكية» سنة ١٩٠٢ م ص ٦٠٥ تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٧٨

محمود بن محمد

وتولى الملك بعد محمد ابنه «محمود» وكان صبيا في الرابعة عشرة من عمره، فحكم فترة وجيزة، أساء فيها الحكم «١»، ثم ساقه حمقه إلى محاربة عمه «سنجر» حاكم خراسان القوي. فوقعت الموقعة بينهما في مدينة «ساوه» في سنة ٥١٣ هـ - ١١١٩ م وأصابته الهزيمة محمودا، ولكن «سنجر» لم يعاقبه العقوبة المتعارف عليها في هذه الأيام، وقبل شفاعته أمه، ففقا عن ابن أخيه المغلوب وتجاوز عن خطئه وحماته، ونصبه واليا على العراق «٢»، ثم زوجه من ابنته «ماه ملك خاتون» فظل حاكما على العراق مدة السنوات الأربع عشرة التالية. ولكن هذه الأميرة سرعان ما اغتالها الموت، وكان «سنجر» يكن لها كثيرا من الحب، فحزن عليها حزنا شديدا، وظل فترة لا يتسلى بشيء عن ذكرها، وقد قيل إنه استدعى عند موتها الشاعر العجوز «عمق البخاري» وطلب إليه أن ينظم الشعر في رثائها «٣».

٣- سنجر [بن ملكشاه]

أعلن في بغداد تنصيب «سنجر» ملكا على عرش السلاجقة في السادس والعشرين من جمادى الأولى سنة ٥١٣ هـ الموافق الرابع من سبتمبر سنة ١١١٩ م وقد ذكرنا فيما سبق أنه تولى قبل ذلك حكم خراسان مدة السنوات الأربع والعشرين الماضية. وقد كان حكمه على العموم موقفا ناجحا، لم تشبهه إلا سحب قائمة، عكرت صفو سمائه في

(١) أنظر ص ١٢١ - ١٢٤ من «البندياري» طبع «هوتسما» فقد ذكر الاتهامات العشرة التي وجهت إليه.

(٢) أنظر تذكرة الشعراء ل «دولت شاه» ص ١٣٠ حيث ذكرت هذه الحادثة بالتفصيل وقد تكون روايه دولت شاه خيالية في بعض وقائعها. وقد نسبها إلى تاريخ يسبق الذي ذكرناه بأربع سنوات.

(٣) المترجم: أنظر المرجع السابق ص ٦٥ حيث جعل مطلع مرثيته البيتين الآتيين:

هنگام آنکه گل دمد از صحن بوستان رفت آن گل شگفته و در خاک شد نهان

هنگام آنکه شاخ شجر نم کشد ز ابروی آب ماند نرگس آن تازه بوستان

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٧٩

الأيام الأخيرة من حياته و يقرن باسمه و بقصره جماعة من كبار شعراء الفرس الذين عاشوا في هذا العصر و أهمهم: «أنوري» و «المعزي» و «أديب صابر».

وقد ولد «سنجر» في سنة ٤٧٩ هـ - ١٠٨٦ م «١» في مكان من آسيا الصغرى اسمه «سنجار» فنسب إليه «٢»؛ أما وفاته فكانت في سنة ٥٥١ هـ أو سنة ٥٥٢ - ١١٥٦ - ١١٥٧ م وقد بلغ من العمر اثنتين وسبعين سنة قمرية؛ و امتد حكمه كما يقول «الراوندي» إحدى وستين سنة، منها عشرون سنة تولى فيها حكم خراسان، وإحدى وأربعون سنة تولى فيها حكم العالم، وبمعنى آخر دولة السلاجقة.

أما الأحداث المؤلمة التي عكرت صفو أيامه الأخيرة فقد بدأت بالثورة التي أعلنها ملك خوارزم «اتسر» وأعلن فيها استقلاله التام في سنة ٥٣٥ هـ - ١١٤٠ م.

وفي السنة التالية قهره جماعة من كفار الأتراك وأخذوا زوجته أسيرة، وقتلوا من رجاله مائة ألف رجل، واستولوا منه على «مرو» و «سرخس» و «نيسابور» و «بيق» فظلت هذه المدن في أيديهم فترة من الزمان.

أما هزيمته المنكرة على أيدي «الأتراك الغز» فقد حدثت في صيف سنة ٥٤٨ هـ - ١١٥٣ م؛ فأغار هؤلاء القوم على «طوس» و «نيسابور» و نهبوها، وقتلوا كثيرا من سكانها، و ذبحوا كثيرا من الرجال الذين اشتهروا بالفضل والصلاح.

وقد وقع «سنجر» نفسه أسيرا في أيديهم، فعاملوه ظاهريا بشيء من الإجلال والإكرام، ولكنهم حظروا عليه حرية النقل ومنعوه من مساعدة رعاياه المنكوبين وأبقوه في أسرهم حتى خريف سنة ٥٥١ هـ - ١١٥٦ م. فاستطاع «المؤيد» وجماعته من خلاصته أتباعه السابقين أن يرشوا حراسه من «الغز» و أن ينجوه من

(١) هذا التاريخ مذكور في «ابن الأثير» و في «راحة الصدور» أما البندياري فيذكر أن تاريخ ولادته هو سنة ٤٧٢ هـ - ١٠٧٩ م.

(٢) إذا تحرينا الدقة وجب علينا أن نقول إنهم اختاروا له هذا الاسم التركي لمقارنته ومشايعته لاسم المكان الذي ولد به، فكلمة «سنجر» التركية بمعنى «صقر» أو طائر من طيور الصيد، والمعروف عن الأتراك السلاجقة وغيرهم أنهم كانوا يسمون أولادهم بأسماء الحيوانات والطيور، فمثلا «طغرل» معناها الصقر أو الباز، و «أرسلان» معناها الأسد.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٨٠

الأسر و أن يبلغوه مدينة «مرو» سالما أمنا. وحاول «سنجر» في هذه المدينة أن يجمع جيشا لينتقم به من «الغز»؛ ولكن الأسى الذي أصاب قلبه، والخراب الذي أصاب بلاده، والشيوخوخة التي هدمت شبابه، اجتمعت كلها فسببت موته في الشهور القليلة التي أعقبت خلاصه. وقد دفن مع عمه «ألب أرسلان» في مدينة «مرو» في البناء الذي بناه هنالك و أسماه «دولت خانة».

سلاجقة كرمان:

و يقترن الحديث عن هذا العصر الذي درسه في الصفحات السابقة باسم أربعة من سلاجقه كرمان هم:

- ١- تورانشاه: المتوفى سنة ٤٩١ هـ - ١٠٩٧ م.
- ٢- إيرانشاه بن تورانشاه: المقتول في سنة ٤٩٥ هـ - ١١٠١ م. بتهمته ميله إلى مذهب «الإسماعيلية» أو «الملاحدة».
- ٣- أرسلانشاه: وهو ابن عم «إيرانشاه» وتوفي سنة ٥٣٧ هـ - ١١٤٢ م.
- ٤- معيث الدين محمد بن أرسلانشاه: وهو الذي اشتهر بأنه افتتح عصره بسمل أربعين أميراً من أخوته وأبناء إخوته؛ وقد توفي سنة ٥٥١ هـ - ١١٥٦ م.

الخلفاء العباسيون المعاصرون

مات «المقتدى» عند بداية هذا العصر في سنة ٤٧٨ هـ - ١٠٩٤ م ومات «المقتفى» قرب نهايته في سنة ٥٥٥ هـ - ١١٦٠ م. أما الخلفاء الثلاثة الذين تولوا الخلافة في الفترة الواقعة بين هذين الخلفيتين فأولهم «المستظهر» وقد مات في سنة ٥١٢ هـ - ١١١٨ م، و ثانيهم «المسترشد» و ثالثهم ابنه «الراشد». وقد قتل هذان الخلفيتان على أيدي الإسماعيلية، و قيل إن «سنجر» هو الذي حرض على قتل «المسترشد» عندما كان أسيراً في بلدة «المرغة» في أيدي السلطان «مسعود السلجوقي» فقتلوه في يوم الأحد السابع عشر من ذي القعدة سنة ٥٣٠ هـ الموافق التاسع والعشرين من شهر

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٣٨١

أغسطس سنة ١١٣٥ م. أما «الراشد» فقد خلعه السلطان «مسعود السلجوقي» و قله بعد سنتين من خلعه في أصفهان في يوم الثلاثاء السابع من سنة ٥٣٣ هـ - ١١٣٨ م

و يلاحظ أن الخلفاء العباسيين لم يكونوا في هذا العصر أكثر من ألعيب في أيدي السلاجقة، وقد حكوا عن «المسترشد» إنه قال في خطبة الجمعة في «كرمانشاه» عند ما كان في طريقه لمحاربة السلاجقة في الحرب التي أودت بحياته، قال العبارة الآتية:-

«فوضنا أمورنا إلى آل سلجوق، فبرزوا علينا، فطال عليهم الأمد، فقتس قلوبهم، و كثر منهم الفاسقون» (١)

الغوريون و الغزنويون:

أما الغزنويون فقد خبا نجمهم منذ أمد بعيد، ثم استوصلت شأقتهم في النصف الأخير من هذا العصر الذي ندرسه، على أيدي «ملوك جبال الغور» هؤلاء المحاربين الأشداء من الأفغانيين الذين يعيشون في «فيروز كوه».

و كان يتولى ملك الغزنويين في بداية هذا العصر ملكهم «إبراهيم». و قد وردت عنه في كتاب «سياست نامه» حكاية تدل على ما امتاز به من قوة شخصية و علو همة (٢).

فقد حكوا: إن مدينة «غزنة» أقفرت في وقت من الأوقات من الخبز، فأغلق الخبازون حوانيتهم، و شكوا الفقراء و الغرباء شدة الضائقة لملكهم، فأمر باستدعاء الخبازين و سألهم عن السبب الذي أدى إلى نقص الخبز في المدينة، فأخبروه بأن خبازه الخاص يجمع كل ما يوجد من قمح و دقيق حتى يرتفع سعرهما. فلما علم السلطان بذلك أمر رجاله أن يلقوا بخبازه الخاص تحت أقدام الفيلة، فلما مات ربطوه على أتياب فيل منها و طافوا به على هذه الصورة في أنحاء البلدة، و أخذ المنادي ينادى بأن هذا المصير سيكون نصيب كل خباز لا يبادر بفتح حانوته، فما حانت صلاة العشاء

(١) إرجع إلى الحكاية السابعة من كتاب «جهاز مقاله».

(٢) أنظر ص ٤٢ من كتاب «سياست نامه» طبع شيفر سنة ١٨٩١ م.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٣٨٢

حتى كان كل حانوت من حوانيت الخبازين يعرض على باه خمسين من الخبز لا تجد من يشتريها !!!

و قد مات السلطان إبراهيم الغزنوي في سنة ٤٩٣ هـ - ١٠٩٩ م، فخلفه ابنه «مسعود الثالث» فبقي على العرش حتى مات سنة ٥٠٨ هـ - ١١١٤ م و تبعه على العرش ثلاثة من أولاده على التعاقب هم: «شيرزاد» المتوفى سنة ٥٠٩ هـ - ١١١٥ م ثم «أرسلان»؛ ثم «بهرامشاه»! و قد أمر هذا الأخير بختق أخيه «أرسلان» في سنة ١١١٨ م و استولى بذلك على العرش لنفسه و ظل متربعا عليه حتى نهاية هذا العصر الذي ندرسه أي حتى سنة ٥٤٧ هـ - ١١٥٢ م

و يقترن اسم «بهرامشاه» عادة باسم الشاعر الأول من كبار شعراء الصوفية في إيران و أعنى به «سنائي» مؤلف «حديقة الحقائق» في سنة ٥٢٦ هـ - ١١٣١ م

و قد انتهى حكم «بهرامشاه» بنكبة كبيرة، ففى خريف سنة ٥٣٠ هـ - ١١٣٥ م اتهمه «سنجر» بالخيانة فسار إليه بجيشه، واضطره إلى الخضوع و دفع الجزية، و ظل «سنجر» في غزته بضعة شهور ثم عاد في صيف السنة التالية إلى بلخ (١) و بعد اثني عشرة سنة من هذا التاريخ رأى «بهرامشاه» أن يقتل صهره «قطب الدين محمد» من أمراء الغور، فلما فعل ذلك أسرع أخوا القليل «علاء الدين حسين» و «سيف الدين سوري» إلى التآمر لأخيهما و تمكنا في سنة ٥٤٣ هـ - ١١٤٨ م من طرد «بهرامشاه» من مدينة «غزنة» حيث نصب «سيف الدين» نفسه حاكماً على هذه المدينة من قبل أخيه «علاء الدين»؛ و لكن سرعان ما أقبل الشتاء و أغلقت الطرق بالتلوج المتراكمة عليها، حتى دبرت المكائد ضده و استدعى الثائرون «بهرامشاه» و نصبوه على غزته ثانية، و قبضوا على «سيف الدين» و طافوا به في هذه المدينة راكباً على بغل و قد لطمخوا وجهه بالسواد، ثم أخذوه فشنقوه و صلبوه، و قد كان من نتيجة هذه الفعلة الشنعاء أن انتقم «علاء الدين حسين»

(١) أما الجويني فيروى في كتابه «تاريخ جهانگشا» أن «بهرامشاه» فر من أمام سنجر، و يقول إن هذا الملك السلجوقي أشار عند فراره إلى رجاله و قال عبارته المشهورة: «هذا ظهر مدبر ليس له وجه يبدو بعد الآن !!!»

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٣٨٣

لنفسه انتقاماً شنيعاً في سنة ٥٥٠ هـ - ١١١٥ م أي بعد ثلاث سنوات من موت «بهرامشاه» و تولية ابنه «خسرو شاه» فأقبل هذا الغوري الكاسر على مدينة «غزنة» و أنزل سخطه ثلاثة أيام متوالية على أهلها المتعجرفين بحيث لقبوه ب«جهان سوز» أي «محرق العالم»

و مع ذلك، يجب علينا أن نلاحظ مدى التقدير الذي كان الأدب يفوز به في هذه الأيام. فقد روى لنا صاحب جهاز مقاله: «إن علاء الدين حسين عندما أغار على غزته و أخذ يحطم جميع المباني و المنشآت التي أنشأها محمود و مسعود و إبراهيم، أخذ في نفس الوقت يشتري القصائد التي قالها الشعراء في مدحهم ثم يأمر بوضعها في مكتبته الخاصة. و لم يعد أحد من الجنود أو سكان المدينة يجرؤ على أن يلقيهم بالقب السلاطين مع أن علاء الدين نفسه كان يقرأ ال «شاهنامه» حيث قال الفردوسي في مدح السلطان محمود

:١١

- عند ما تظلم شفاه الصبي عن لبن والدته
- فإن أول ما ينطق به في المهده هو لفظ «محمود» يجرى على شفته
- و محمود فيل بجسده ... و هو جبريل بروحه
- و هو كالمزن بكفه ... و هو كنه التيل بقلبه
- و هو الحاكم و الملك القادر الكبير الشأن
- الذي جعل «الشاه» تستقى مع «الذئب» من حوض واحد ... في أمان ...!

ملوك خوارزم أو الخوارزمشاه:

هؤلاء الملوك أهم أثرا و أبلغ دلالة في تاريخ إيران من دولتي الغزنويين و الغوريين. و هم يعرفون باسم ال «خوارزمشاه» أو «ملوك خيوه» و أول ملوكهم هو «أنوشكين» و كان يشغل ساقيا للسلطان «ملكشاه» السلجوقي؛ و قد بدأ ملكه في سنة

(١) المترجم: فيما يلي أصل هذه الأبيات بالفارسية:

چو کودک لب از شیر مادر بنشست ز گهواره محمود گوید نخست
بتن زنده پیل و بجان جبرئیل یکف ابر بهمن بدل رود تیل
جهاندار محمود شاه بزرگ با بشخور آرد همی میش و گرگ

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٨٤

٤٧٠ هـ - ١٠٧٧ م «١» ثم استطاع خلفاؤه بعد ذلك التخلص من كل صلة لهم بملوكهم الأقدمين من السلاجقة، و ظلوا يحكمون حتى انتهى أمرهم بالبطل الشجاع «جلال الدين المنكبرني» آخر بطل إسلامي صمد في وجه الجموع الفاتكة من جيوش المغول الكافرة من سنة ٦١٧ هـ إلى سنة ٦٢٩ هـ - ١٢٢٠ - ١٢٣١ م.

و قد بدأت قوة هذه الدولة في العلو و الارتفاع سنة ٥٢١ هـ - ١١٢٧ م عندما تولى عرشها الملك الماهر الطموح «اتسز»، فلما شاعت الشائعات عن أطماعه و بلغت آذان «سنجر» اضطر إلى أن يوجه جيوشه إلى خوارزم لمحاربهه هنا لك في سنة ٥٣٣ هـ - ١١٣٨ م. و قد استطاع «سنجر» في هذه المرة أن يهزم «اتسز» هزيمة كبيرة، كلفته كثيرا من الخسائر، كان من جملتها ابنه الذي فقده في هذه الموقعة و عز خطبه فيه «٢»، و كان من نتيجة هذه الموقعة أن استولى «سنجر» على «خوارزم» و أقطعها من قبله لابن أخيه «غياث الدين سليمان شاه» و لكن لم يلبث أن عاد «سنجر» إلى «مرو» حتى عاد «اتسز» و استولى على عاصمته، ثم دبر التآمر لنفسه من «سنجر». بأن حرض عليه الكفرة من الأتراك «الخطائين» فهاجموه و هزموه هزيمة منكرة في صيف سنة ٥٣٦ هـ - ١١٤١ م، و قتلوا مائة ألف من جنده و أخذوا زوجته أسيرة في أيديهم و اضطروه إلى الهرب إلى «ترمذ» و «بلخ». و في هذه الأثناء أعلن «اتسز» استقلاله، ثم تقدم إلى مدينة «مرو» فاحتلها، و أسر جملة من أفاضل رجالها، كان من بينهم الفقيه «أبو الفضل الكرمانى» «٣».

(١) يقول «الجويني» في كتابه «جهان گشا» إنه كان متعارفا لدى السلاجقة أن يكافؤا أتباعهم من السقاة و الحجاب و حراس الملابس الخاصة بإقطاعات من الأرض

(٢) يقول «الجويني» إن اسمه «إيلغ» و روى أنهم عندما قبضوا عليه أحضروه إلى «سنجر» فأمر بقطع جسده بمنشار فشقوه إلى نصفين (٣) يبدو مما رواه ابن الأثير في أخبار سنة ٥٣٦ هـ أن «اتسز» لم يكن ينوي التعرض لمدينة «مرو» كما فعل بمدينة «سرخس» و لكنه اضطر في نهاية سنة ٥٣٦ هـ - ١١٤١ م إلى مهاجمتها و إزال البلاء بها عند ما علم بقتل جماعة من أتباعه.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٨٥

و كانت هذه الموقعة كما يقول «ابن الأثير» أول موقعة خسرها «سنجر» و قد رأينا أنها كانت فاتحة لسلسلة أخرى من النكبات المتلاحقة.

و تمكن «اتسز» بعد ذلك من احتلال مدينة «نيسابور» و ظل بها فترة لم يتعرض لها بشيء من السوء، و أمر بحذف اسم «سنجر» من الخطبة فحذفها ثلاثة أشهر من صيف سنة ٥٣٧ هـ - ١١٤٢ م. و بعد ذلك بما يقرب من سنة واحدة حاول «سنجر» محاصرة «خوارزم» و لكنه عجز عن ذلك فقبل الصلح مع «اتسز». ثم مات «اتسز» عقب ذلك في التاسع من جمادى الآخر سنة ٥٥١ هـ الموافق ٣٠ يولية سنة ١١٥٦ م قبل موت خصمه «سنجر» بفترة وجيزة «١».

شعراء سنجر و اتسز:

إشارة

و يقترن باسمي «سنجر» و «اتسز» و لا يكاد ينفصل عنهما، أسماء أربعة من كبار الشعراء الإيرانيين، سندرس آثارهم بعد قليل و هم:

- ١- معزى
- ٢- أنورى
- ٣- أديب صابر
- ٤- رشيد الدين الوطواط

أما «المعزى»

فكان شاعر السلطان «سنجر» و كذلك كان من قبله، أبوه «برهاني». و قد فاز بمكانة عالية جعلت الخطب فيه عظيما عند ما قتل على يد مولاه بواسطة سهم أخطأ الهدف و أصابه في مقتل سنة ٥٤٢ هـ - ١١٤٧ م.

[«الأديب صابر»]

و ربما كانت وفاة «الأديب صابر» أكثر إبلاما؛ فقد روى دولتشاه «٢» إن سنجر أرسله إلى خوارزم ليتجنس على «اتسز» أو كما قال «الجويني» في كتابه تاريخ «جهان گشا» ليكون سفيرا له لدى ملك خوارزم. و كان «اتسز» قد استأجر اثنين من الملاحدة و أمرهما

بالذهاب إلى مرو و قتل السلطان سنجر. فكتب «الأديب صابر» يخبر مولاه بذلك التبا، و ضمن رسالته وصفا دقيقا لهذين الرجلين؛ و حملت هذه الرسالة امرأة عجوز، سارت بها إلى «مرو» و قد أخفتها في حداثها. فلما بلغت «سنجر» هذه الرسالة

(١) المترجم: مات «سنجر» في ربيع الأول سنة ٥٥٢ هـ

(٢) أنظر: «تذكرة الشعراء» ص ٩٣

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٨٦
تعرف على الرجلين و أعدمهما؛ فلما علم «أتسر» بذلك أمر رجاله أن يقيدوا «الأديب صابر»، فربطوا يديه و قدميه بالسلاسل و القيود ثم أغرقوه في نهر جيحون. و قد أخبرنا «دولت شاه» أن هذه الحادثة وقعت في سنة ٥٤٦ هـ - ١١٥١ م، و لكن صاحب تاريخ «جهان گشا» و هو أصدق منه، أخبرنا أنها وقعت قبل سنة ٥٤٢ هـ - ١١٤٧ م، و يرى «إتبه» - و ربما كان محققا فيما يراه - أنها وقعت سنة ٥٣٨ هـ - ١١٤٣ م.

[«الأثوري» و «رشيد الدين الوطواط»]

و سأكتفي فيما يتعلق ب «الأثوري» و «رشيد الدين الوطواط» ١، بأن أذكر عنهما في هذا المكان ما يتعلق بأخبارهما بصدد المعارك التي تحدثنا عنها فيما سبق.
و المعروف أن «الوطواط» كان كاتباً للسلطان «أتسر» كما كان شاعره الخاص.
و قد أثار نقمة «سنجر» عندما كتب قصيدته التي مطلعها.
جون ملك أتسر بتخت ملك برآمد دولت سلجوق و آل او بسر آمد و معناه:
- عند ما ارتقى الملك «أتسر» عرش الملك، انتهى أمر دولة سلجوق و آله...!!
فلما كان «سنجر» في خريف سنة ٥٤٢ هـ - ١١٤٧ م يحاصر «أتسر» في قلعة «هزار اسب» أمر شاعره «الأثوري» و كان يصحبه و يرافقه، أن ينشئ بضعة أبيات لكي يكتبها على سهم من سهامه، يقذف به إلى داخل المدينة المحاصرة؛ فكتب «الأثوري» هذه الرباعية:
أى شاه! همه ملك زمين حسب تراست و از دولت و اقبال جهان كسب تراست
امروز بيك حمله «هزار اسب» بگير فردا «خوارزم» و صد «هزار اسب» تراست...!!

(١) سمي كذلك لفضالة جسده و نحافته.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٨٧

و معناها:

- أيها المليك...! إن ملك العالمين رهن لإشارتك - و العالم كسب لك بفضل إقبال حظك و دولتك
- فخذ اليوم بحملة واحدة قلعة «هزار اسب» - و غدا تكون لك «خوارزم» و مائة «هزار اسب» ١...!! و ليس في هذه الرباعية شيء يستحق الذكر إلا اللعب على لفظ «هزار اسب»؛ و قد أجاب عليها «الوطواط» بالبيت التالي فكتبه على سهم و قذفوا به إلى سنجر ٢:
گر خصم تو ای شاه شود رستم گردیدك خرز هزار اسب تو نتواند برد و معناه:
- فلو قدر... و صار خصمك هو البطل المعروف «رستم» فإنه لن يستطيع أن يأخذ حمارا واحدا من جيادك الألف: «هزار اسب» ٣ و سعي «سنجر» عند ذلك سعيا حثيثا إلى القبض على «الوطواط» حتى تمكن في النهاية من ذلك، فأمر رجاله بأن يقطعوه إلى سبعة أجزاء. و يقول راوي هذه الحكاية و هو «منتخب الدين بدیع الكاتب» ٤: «أحد أجداد «الجويني» مؤلف «تاريخ جهانگشا» إن الوطواط استطاع أن يهدى ثائرة السلطان و أن يضحكه

(١) هذه الكلمة مركبة من «هزار» بمعنى ألف و «اسب» بمعنى حصان، و على ذلك فمعناها «ألف جواد».

(٢) يبدو أن قذف السهام المزودة بالرسالات المنقوشة عليها كان عادة قديمة متبعة في إيران فيقذفون بها إلى داخل المدن المحاصرة او إلى خارجها.

أنظر ما كتبه نولدكه بعنوان «تاريخ اردشير بن بابك» Geschichte des Artachshir - i- Papakan, Gottingen ١٨٧٩.

(٣) المترجم: «هزار اسب» كما أنها اسم مكان فإن معناها في الفارسية أيضا «ألف جواد».

(٤) المترجم: اسمه «منتخب الدين» بالجيم و ليس «منتخب الدين» بالخاء، و هو خال للجد الأعلى لعطا ملك الجويني.

و ترجمة حياته موجودة في «اللباب اللباب» لمحمد عوفي ج ١ ص ٧٨.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٨٨

عند ما التفت إليه و قال: «لدى رجاء يا مولاي... و هو أن الوطواط طائر هزيل لا يحتمل جسده أن يمزق إلى سبعة أجزاء، فهل لك أن تكتفي بتمزيقه إلى نصفين...!!».

و بهذه الوسيلة استطاع الوطواط أن يحصل على عفو «سنجر» لأنه تمكن من إضحاحه...!!

الاسماعيلية في الموت أو الحشاشون:

[«الحسن بن الصباح» و «حياته»]

فإذا رجعنا الآن لاستعراض الأحوال السياسية في إيران في هذه الفترة، فإنه يتبغى علينا أن ندرس أحوال طائفة أخرى من الناس، لم يقدر لهم أن يبلغوا مبلغ الدولة السلجوقية، و لكنهم كانوا من حيث اتساع نفوذهم و رهبة جانبهم أقوى من السلاجقة و الغزنويين و الغوريين و الخوارزمشاهيين، و نقصد بهم جماعة الحشاشين أو الاسماعيلية في «الموت». و قد وصفنا في فصل سابق الظروف التي أدت إلى نشأة هذه الطائفة في إيران و ما أصابها من تغيير بسبب «الدعوة الجديدة» التي تولاهما «الحسن بن الصباح». و قد كان هذا الزعيم المخيف حيا على أيام «سنجر» لأنه لم يمت إلا في سنة ٥١٨ هـ - ١١٢٤ م و قد ظل سنوات طويلة لا يخرج من قلعة «الموت» بل لا يغادر منزله الخاص، و مع ذلك فقد بلغت سطوته أرجاء العالم و أصبح اسمه مرهوبا في الأنحاء الغربية من آسيا، و كان بالغ القسوة في حياته أدى به ذلك إلى إعدام ولديه بتهمة الزنا و احتساء الخمر، ثم عين واحدا من أتباعه ليخلفه في رئاسة هذه الطائفة و هو «كيا بزرگ اميد» فلما مات هذا الأخير في سنة ٥٣٢ هـ - ١١٣٧ م خلفه ابنه «محمد» الذي توفي في سنة ٥٥٨ هـ - ١١٦٢ م.

[بيان قليل من نجاحات هذه الطائفة]

و من العبث، بل من المستحيل في هذا الأثر تفصيل الحديث عن تاريخ «الحشاشين» أو «الاسماعيلية في الموت» في هذه الفترة التي ندرسها، ولكن يجب علينا أن نعترف بأن هذه الطائفة أصبحت من أقوى العوامل المميزة لهذا العصر، بحيث نجد لزاماً علينا أن نبين في هذا المجال بعض نواحي نشاطهم لكي تتمكن من تصوير هذا العصر على حقيقته، وقد أورد «ابن الأثير» ذكر هذه الطائفة المخيفة تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٢٨٩

في كل سنة تقريباً من السنين التي تحدث عنها في موسوعته التاريخية، و من المحقق أنهم قد فصموا كل علاقة تربطهم بالشعبة الأساسية في مصر و شمال إفريقيا عندما أدركت الوفاة الخليفة الفاطمي «المستنصر» و أنهم بدأوا قوتهم السياسية بالاستيلاء على القلعة الجبلية الحصينة «الموت» (١) في سنة ٤٨٣ هـ - ١٠٩٠ م. و من عجيب المصادفات التي تنبه إلى ملاحظتها أغلب مؤرخي الفرس في هذه الفترة، أن هذا التاريخ يتفق مع القيمة العددية التي تدل عليها الحروف التي تتركب منها هذه الكلمة.

و كان أول حدث سياسي أحدثوه هو أنهم تمكنوا بعد ذلك بعامين من قتل «نظام الملك»، ثم تالت بعد ذلك الأحداث على فترات قصيرة، فقتلوا وزير والده «بركيارق» المسمى «عبد الرحمن السمرامي» في سنة ٤٩١ هـ - ١٠٩٧ م (٢)، ثم «أزولبكا» في سنة ٤٩٤ هـ - ١١٠٠ م؛ ثم «جناح الدولة» في مسجد حمص في سنة ٤٩٦ هـ - ١١٠٢ م ثم القاضي «أبا العلاء سعيد النيسابوري» في سنة ٤٩٩ هـ - ١١٠٥ م، ثم «فخر الملك» و هو من أبناء «نظام الملك» في سنة ٥٠٠ هـ - ١١٠٦ م، ثم القاضي في إصفهان و نيسابور، ثم «عبد الواحد الروياني» في طبرستان سنة ٥٠٢ هـ - ١١٠٨ م؛ ثم «مودود» في مسجد دمشق سنة ٥٠٧ هـ - ١١١٣ م؛ و «أحمد ابن وهسودان» في بغداد سنة ٥١٠ هـ - ١١١٦ م؛ ثم القاضي «سعد الهروي» في همدان سنة ٥١٩ هـ - ١١٢٥ م، ثم «عبد اللطيف بن الخجندی» في سنة ٥٢٤ هـ - ١١٢٩ م؛ ثم الخليفة الفاطمي «الأمر بأمر الله» في سنة ٥٢٥ هـ - ١١٣٠ م ثم «أبا علي بن أفضل» وزير الخليفة «الحافظ» و ابن عمه في سنة ٥٢٧ هـ - ١١٣٢ م ثم الخليفة العباسي المسترشد في سنة ٥٣٠ هـ - ١١٣٥ م؛ ثم ابنه و خليفته «الراشد» في سنة ٥٣٢ هـ - ١١٣٧ م؛ ثم أحد خواص أتباع سنجر المسمى «جوهر» في سنة ٥٣٤ هـ - ١١٣٩ م؛ هذا بالإضافة إلى عدد كبير آخر من الرجال الذين لا يبلغون مبلغ هؤلاء أهمية و خطراً.

(١) هذه الكلمة مكونة من «آله آموت» بمعنى «تعليم العقاب»

(٢) يحوط هذا التاريخ بعض الشك، و تشير بعض المراجع إلى أن هذه الحادثة وقعت في سنة ٥١٦ هـ - ١١٢٢ م

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٩٠

و قد استتبع هذه الاعتقالات بالضرورة سلسلة من سلاسل الأخذ بالثأر، قام بها أهل السنة، فقرأ في كتب التاريخ عن اضطهاد الملاحدة و المفكرين الأحرار» في مدينة نيسابور في سنة ٤٩٠ هـ - ١٠٩٦ م. ثم عن «مذبحة الباطنية» التي أمر بها «بركيارق» في سنة ٤٩٥ هـ - ١١١١ م، و عن صلب الوزير «سعد الملك» و أربعة من الباطنية، و عن الزعيم الأثيم «ابن عطاش» و بعض أتباعه في سنة ٥٠٠ هـ - ١١٠٦ م. و عن المذبحة التي قتل فيها سبعائة من الباطنية في مدينة «آمد» في سنة ٥١٨ هـ - ١١٢٤ م؛ ثم عن مذبحة أخرى أكبر و أهم و هي المذبحة التي أمر بها «سنجر» في سنة ٥٢١ هـ - ١١٢٧ م لينتقم بها لمقتل وزيره «معين الملك»، ثم عن مقتل «عباس الرازي» في سنة ٥٤١ هـ - ١١٤٦ م و كان من ألد أعدائهم، و اعتاد أن يبني الأهرامات من جماجمهم.

و قد أشرنا فيما سبق، إلى أن الحروب الأهلية التي كثرت في الفترة الأولى من هذا العصر قد ساعدت «الحشاشين» كثيرا على تثبيت أقدامهم و تقوية نفوذهم، و لولاها لما استطاعوا أن يصلوا إلى ذلك بأية طريقة من الطرق، و قد اتهم «بركيارق» بالعطف عليهم، أو على الأقل بالتسامح الشديد معهم، لقاء أن يمددوهم بمعونتهم أو يبقوا موقف المحايد منه، و يروي «ابن الأثير» في أخبار سنة ٤٩٤ هـ - ١١٠٠ م أنه عندما أسر «مؤيد الملك بن نظام الملك» سبه «بركيارق» لانتسابه إلى مذهب الباطنية ثم قتله بيده (١). و في نفس السنة سار «بركيارق» لمحاربة أخويه «سنجر» و «محمد» عند بغداد، فلما تلاقي الجيشان المتحاربان بجلاء دجلة، أخذ أعداؤه يشنعون عليه بميله إلى الباطنية و يكبرون عليه و يقولون: «يا باطنية...!!» و ربما كان المقصود من المذبحة التي أمر بإجرائها على الباطنية في هذه السنة، هو أن يزيل من عقول رعاياه هذه الفكرة الخطيرة التي تعلقت به و التي كانت كافية لقتله أو عزله كما حدث تماما ل «أحمد خان» حاكم سمرقند، و «إيرانشاه» أمير كرمان السلجوقي، فإنهما مع جماعة آخرين من الوزراء و رجال السياسة مثل «مجد

(١) يروي «راحة الصدور» هذه الحادثة بشكل آخر. انظر المقال المنشور في «مجلة الجمعية الملكية الأسيوية» سنة ١٩٠٢ ص ٦٠٣ - ٦٠٤.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٩١

الملك» قد انتهوا إلى هذه النهاية المؤلمة بسبب اتهامهم بالعطف على الملاحدة، و قد ساد الخوف جميع الناس، و أصبح من الأمور العادية أن يلبس من يخشى نعمة الحشاشين درعا تحت ثيابه كما كان يفعل «بلكا» حتى إذا قدر عليه و نسي في يوم من الأيام أن يتخذ هذه الحيلة التي اعتادها، فقد حياته لقاء إهماله و تهاونه.

و كان الفدائيون من الحشاشين، إذا قبض عليهم و حكم عليهم بالتعذيب و الإعدام، لا يمدون حيلة في الثأر من أعدائهم، كما فعل قاتل «فخر الملك»، فإنهم حينما أحضروه أمام «سنجر» و أخذوا يستجوبونه عن فعلته أعلن أن جماعة من الأمراء و ضباط القصر كانوا شركاءه، فأمر سنجر بإعدامهم جميعا، و ربما كانوا أربياء من هذه التهمة (١).

[تعريب حصن «شاهدز» بالقرب من أصفهان]

و من أعجب الأحداث المتصلة بتاريخ هذه الطائفة المخيفة من الملاحدة، أحداث رواها بالتفصيل صاحب «راحة الصدور» و كذلك «ابن الأثير» و أقصد بها الحوادث التي وقعت في ربيع سنة ٥٠١ هـ - ١١٠٧ م و انتهت بتخريب حصن الحشاشين الحصين «شاهدز» أو «دژكوه» بالقرب من أصفهان و صلب «ابن عطاش» و قتل عدد كبير من أتباعه... و والد «أحمد بن عطاش» الذي نشير إليه هو «عبد الملك بن عطاش» و كان رجلا أديبا من أهل الفضل يقيم في «أصفهان» اتهموه بالعطف على الشيعة فاضطر إلى الهرب إلى مدينة «الري» حيث وقع تحت تأثير «الحسن بن الصباح» و دخل في مذهب «٢»، و قد كتب في هذه الأثناء إلى واحد من أصدقائه فكان مما جاء في رسالته: «لقد وقعت على الصقر الأشهب فوضني الله بذلك جميع ما تركت» و قد اشتغل ابنه بتجارة الكتان، و كان شديد الكراهية لمذهب أبيه في الإلحاد، فاستطاع بذلك أن ينجو من كل شر و سوء.

و كان بالقرب من أصفهان قلعة اسمها «دژكوه» بناها «ملكشاه» و أسماها «شاهدز» أي «قلعة الملك» و كانت هذه القلعة تحتوي على خزان الملك و أسلحة الجيوش و كان يقيم بها جماعة من غلمان القصر و وصيفاته، تتولى حراستهم سرية من

(١) المترجم: انظر تفصيل ذلك في حوادث سنة خمسمائة في تاريخ الكامل لابن الأثير
 (٢) أما ابن الأثير وجماعه آخرون من المؤرخين فيقولون إنه كان استاذاً للحسن بن الصباح وليس تلميذاً من تلاميذه.
 تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٩٢
 الجند الديلميين، فكان «ابن عطاش» يذهب إلى هذه القلعة بحجة التدريس لهؤلاء الشبان والشابات حتى استطاع تدريجياً بواسطة الهدايا والأقوال المعسولة أن يستميل رجال الحامية إلى جانبه. ثم أسس بعد ذلك داراً للدعاية في مكان اسمه «دشت گور» شديد القرب من أبواب المدينة، ونجح في دعوته نجاحاً باهراً، حتى بلغ عدد أتباعه ومريديه ثلاثين ألفاً كما يقول مؤرخنا المذكور. وبدأ الرعب في هذا الوقت يستولى على أهل «اصفهان» بسبب ما كان يتكرر وقوعه يومياً من اختفاء مواطنيهم وأهلهم. ثم ما لبث القناع أن تكشف عن هذه الجرائم الغامضة على يد سائلة عجوز، تقدمت إلى أحد المنازل تطلب إحساناً، فسمعت أصوات عويل وأنين تبتعث من داخله، فظنت أن بالمتزل مريضاً وأخذت تدعو الله أن يأخذ بيده ويشفيه. وحاول سكان المنزل أن يستدجروها إلى الدخول ليعطوها طعاماً وقوتاً، ولكنها شككت في نواياهم وأسلمت أرجلها للفرار، وأخذت تستغيث بمن صادفها. والتف حولها خلق كثير، وأحاطوا بالمتزل، ثم كسروا بابها ودخلوه، فوجدوا في سراديبه منظراً مرعباً، يتألف من أربعائة أو خمسمائة جثة من الجثث، بعضهم مصلوب على الجدران، وبعضهم ذبيح على الأرض، وبعضهم ما زال يوجد بأنفاسه الأخيرة، وبين هؤلاء وهؤلاء جماعة استطاع الناس أن يتعرفوا عليهم ويقرروا أنهم من أصدقائهم الذين فقدوهم أخيراً. وقد تبين أن هذا المنزل مملوك لرجل اسمه «علوي المدني» وأنه كان ندوة للحشاشين، وكان من ذاب هذا الرجل أن يستند إلى عصاه، ويقف عند المغرب على باب الدرب المظلم الطويل الذي يؤدي إلى داره، فإذا اجتاز به إنسان أخذ يدعو الله أن يغفر لمن يأخذ بيده الضير الفقير ويقوده إلى باب داره في هذا الدرب...! فإذا استجاب لدعائه واحد من الضحايا الأمتين وأخذ بيده انتهى أمره إلى الموت، لأنه متى وصل به إلى نهاية الدرب انقض عليه جماعة من أتباع هذا الضير، وأخذوه فطرحوه في سراديب الدار حتى يقضى عليه بالموت.

وقد استمر الحال على هذا المنوال بضعة شهور قبل أن تتجلى حقيقته المفزع على هذه الصورة التي بناها. وكان من الطبيعي أن يتلو ذلك انتقام سريع، فصدى الناس

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٩٣
 له، وأوقدوا ناراً كبيرة في سوق المدينة، ثم طرحوا فيها «علوي المدني» وامرأته وجماعة آخرين من شركائه. وكثر عند ذلك الشك، وبالغ الناس في الريبة، فكان ممن شكوا في أمره الوزير «سعد الملك» ولكن السلطان كان يقرب هذا الوزير، فأبى في البداية أن يصدق الناس فيما اتهموه به. وكانت قلعة «دژكوه» محاصرة في هذه الفترة، وكادت موارد «ابن عطاش» أن تنضب، فأرسل سرا إلى «سعد الملك» يبلغه أنه لا قبل له بالمقاومة أكثر من ذلك ويترح عليه التسليم والخضوع. ولكن «سعد الملك» أجابه برسالة فحواها: «اصبر أسبوعاً آخر حتى أهلك هذا الكلب» قاصداً بذلك السلطان نفسه؛ وكان يعلم أن السلطان يحتجم مرة في كل شهر، فأفلح في رشوة الحلاق حتى يسمم موصاه، ويهلكه بهذه الوسيلة الخافية. ولكن غلامه أبلغ أمر هذه الخطة الماكرة إلى زوجته الجميلة التي كان يقاسمها أسرارها، وأبلغتها هذه بدورها إلى عاشقها، فنقلها العشق إلى مسامع أحد ضباط «شرف الملك» ثم نقلها هذا في النهاية إلى مسامع السلطان. فأمر السلطان باستدعاء الحلاق فلما أحضره أمر به فجرحوه بموصاه، ونفذ السم فيه، وظهر تأثيره، فاسود جلده، ومات بسرعة، وهو يتلوى من الوجع والألم الشديدين. عند ذلك فقط صدق السلطان التهمة المنسوبة إلى وزيره، وأمر بصلبه وصلب أربعة من أعيان أصحابه كان من بينهم: «أبو العلا المفضل». ولم يلبث أن انقضى على ذلك يومان حتى سلم «ابن عطاش» قلعة «دژكوه». وأمر السلطان فأركبوه جملاً. وطافوا به في شوارع «اصفهان» وشهر به بين آلاف المتفرجين، فقذفوه بالوحل والقاذورات، وغازوه بأغنياتهم الساخرة، وبقيت من هذه الأغاني مقطوعة منظومة في لهجة محلية نقلها كتاب «راحة الصدور»، ثم علقوه مصلوباً مدة سبعة أيام كاملة. وأخذوا يرشقونه بالسهم والحراب وهو مصلوب لا يستطيع الحركة أو الدفاع عن نفسه، حتى إذا لم يبق في جسده موضع لرشقة أو رمية، أخذوه وأحرقوه حتى استحال رماداً ذارياً. وكان «ابن عطاش» يدعى الخبرة بأحكام النجوم فتقدم إليه وهو مصلوب واحد من النظارة، وسأله هل استطاع أن يتنبأ بمصيره بفضل علمه من أحكام النجوم...؟ فأجاب «ابن عطاش» بقوله: «لقد عرفت من طالعني أنني سأطوف شوارع»

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٩٤
 أصفهان في أبهة تفوق مواكب الملوك، ولكني لم أتخيل أنها ستكون على هذه الحال...!!» (١)
 وقد هال «السلطان محمد» أمر الحشاشين وأحسن بالخطر الذي يهدده فبدأ ينظم الإجراءات التي تؤدي إلى اجتناب أصولهم والاستيلاء على قلاعهم الحبلية الحصينة، ولكن الوفاة أدركته في سنة ٥١٢هـ - ١١١٨ م فتوقف بموته تنفيذ مشروعاته، ووجد الملاحدة فرصة مجددة، لم يظنوا في انتهازها لتقوية حالهم. بحيث إذا انقضت على موته عشر سنوات أو خمس عشرة سنة، نجدهم قد استطاعوا بواسطة القوة أو الخديعة أو الرشوة أن يستولوا على القلاع الآتية في الشام: وهي قلعة «قدموس» وقلعة «باتياس» وقلعة «مصياب» و«٢» وأن يضيفوها إلى ممتلكاتهم في إيران التي شملت «الموت» و«گردكوه» و«شبركوه» و«طيس» و«خور» و«خوسف» و«وزون» و«قاین» و«تون» و«وشمكوه» بالقرب من «أبهر» و«خالنجان» بالقرب من أصفهان، و«استانوند» في مازندران، و«قلعة الناظر» في خوزستان، وقلعة «الطنبور» بالقرب من ارجان، و«خلادخان» وغير ذلك من المواقع الحصينة المنتشرة في سائر أرجاء إيران.

(١) تروى هذه الحكاية بشيء من التحوير مع حذف الأسماء في كتب الحكايات العربية والفارسية مثل «جوامع الحكايات» تأليف محمد عوفى. ومن الجلي أن الشاعر «أنورى» يشير إلى «ابن عطاش» عندما يقول:
 در خواب دیده خصم تو خود را بلندی تعبیر آن بديده بيدار دار یافت و معناه:
 - لقد رأى خصمك لنفسه الرفعة في المنام والأحلام، فكان تعبیر رؤياه أن وجد المشتقة بأعين اليقظة التي لا تنام.
 (٢) المترجم: يسميها صاحب «معجم البلدان» باسم «مصياب» أو «مصياف» ويقول إنها حصن حصين مشهور للاسماعيلية بالقرب من طرابلس.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٩٥

الحركة الأدبية في هذا العصر

إشارة

الآن وقد انتهينا من عرض مجمل للحالة السياسية في إيران على عهد «سنجر» وإخوته، يجمل بنا أن نقوم بدراسة الحركة الأدبية في

هذا العصر. و سنجد أن زيادة عدد شعراء الفرس، و اتساع استعمال الفارسية كلغة أدبية في إيران بدل العربية، سيكونان سببا في أن تقصر عنايتنا على دراسة أشهر الشعراء و أنبيهم ذكرا، كما سيكونان سببا من ناحية أخرى في أن نقلل من عنايتنا بالأمور العربية و الكتابات العربية.

أولا- شعراء الفرس

إشارة

و لنمض الآن في دراسة أشهر شعراء الفرس بحسب ترتيبهم الزمني على وجه التقريب:

سنائي:

[حياته]

ينسب هذا الشاعر إلى غزته أو بلخ «١». و اسمه الكامل هو «أبو المجد مجدود بن آدم» و يعتبر أول الشعراء المتصوفين الثلاثة العظام ممن كتبوا «المثنويات» في إيران، و أما ثانيهم فهو «الشيخ فريد الدين العطار»، و أما ثالثهم فهو «جلال الدين الرومي» و يعتبر هذا الأخير أعظم الثلاثة شأنًا و إن كان هذا لم يمنعه من أن يقول في تواضع: عطار روح بود و سنائي دو چشم او ما از بی سنائي و عطار آمديم و معناه: - لقد كان «العطار» روحا، و كان «سنائي» عينه البصيرتين. و قد أتينا تلو «سنائي» و «العطار»، و في إثر هذين الاثنين.

(١) يتحدث «سنائي» في صحيفة ٨١ من النسخة المطبوعة من ديوانه في إيران بأن بلغ تزدهر بصيته و تفتخر بذبوع اسمه.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٩٦

و كل ما نعرفه عن حياة «سنائي» أمور قليلة، تكاد تنحصر في أنه كان في الفترة المبكرة من حياته متصلا بخدمه «بهرامشاه». أما ما رواه «دولت‌شاه» عن قصة إعراضه عن الدنيا، و زهده في حياة القصور، و انتقاله إلى حياة التصوف، و هي نفس الحكاية التي نقلها «سير جور أوزلي» في كتابه «تراجم شعراء الفرس» فحكاية غير خليقة بالذکر بل جديرة بالإهمال «١». فإذا أتينا إلى المقدمة التي كتبها لكتاب «الحديقه» أو التي كتبها تلميذه «محمد بن علي الرقام» لم نظفر منهما بشيء على الإطلاق يتصل بحياته «٢»، اللهم إلا ما كان متصلا بما هدفا إليه - كما يقول «ريو» - من تأكيد ما ذكره «جامي» من أن الشاعر كتب «الحديقه» و هي خير مؤلفاته في نهاية أيامه، و أنه لم يكذب يوما حتى أدرسته الوفاة في سنة ٥٢٦هـ - ١١٣١ م.

أما «عوفي» في كتابه «الباب الألباب» فلا يذكر لنا كعادته شيئا متصلا بحياة هذا الشاعر. و قد أشار «إتیه» إلى أن بعض الحقائق المعروفة عن هذا الشاعر تتعارض مع بعض التواريخ التي يمكن استخلاصها من المقدمتين المكتوبتين للحديقه «٣»، لأن هذه التواريخ تهدف إلى جعل هذا الشاعر متأخرا من الناحية الزمنية عن «المعزي» و إلى القول بأنه لم يمض قبل سنة ٥٤٥هـ - ١١٥٠ م إلا بفترة وجيزة.

[آثاره]

و آثار «سنائي» تشتمل كما وصلتنا على سبع مثنويات و ديوان. فأما المثنويات فهي:

١- حديقه الحقيقة: و هي المثنوية الوحيدة التي اشتهرت من بين مثنوياته.

٢- طريق التحقيق

٣- غريب‌نامه: أو كتاب الغريب.

٤- سير العباد إلى المعاد.

٥- كارنامه: أو كتاب الأعمال.

(١) أنظر: ١٨٧-١٨٤. Ouseley: Lives of the Persian Poets pp ١٨٤-١٨٧. وكذلك «تذكرة الشعراء» ص ٩٥-٩٧.

(٢) وصف «ريو» محتويات هاتين المقدمتين في «فهرست المخطوطات الفارسية» ص ٥٥٠.

(٣) انظر فهرست المخطوطات الفارسية المحفوظة في المكتبة البودلية، عمود ٤٦٣، و كذلك فهرست المخطوطات الفارسية المحفوظة بمكتبة إدارة الهند، عمود ٥٧١

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٩٧

٦- عشق‌نامه: أو كتاب العشق.

٧- عقل‌نامه: أو كتاب العقل.

و المثنويات الست الأخيرة نادرة جدا، و لم يقدر لي أن أراها بعيني «١». أما الديوان فنسخه المخطوطة كثيرة، و قد طبع على الحجر في طهران سنة ١٢٧٤هـ - ١٨٥٧ م و هذه النسخة المطبوعة تشتمل على ٢٧١ صحيفة، كل صحيفة منها تشتمل على ٤٥ بيتا على وجه التقريب، بحيث يبلغ مجموع الأبيات التي يتضمنها الديوان اثني عشر ألف بيت من الشعر، موزعة بين القصائد و الترجمات و التركيبات و الغزليات و الرباعيات «٢»

و مثنويته «الحديقه» هي أشهر مؤلفاته و أكثرها انتشارا، و قد طبعت طبعه شرقية جميلة على الحجر في مدينة بيباي سنة ١٢٧٥هـ - ١٨٥٩ م؛ و من أجل ذلك فسقتصر حديثنا عليها و على الديوان و نخصهما ببعض ملاحظاتنا «٣».

حديقه الحقيقة:

أهدى سنائي هذا الكتاب إلى «بهرامشاه» سلطان غزته، و هو عبارة عن مثنوية تتصل بالأخلاق أكثر مما تتصل بالتصوف الخالص، و يبلغ عدد أبياتها أحد عشر ألف بيت؛ و قد قسمها الشاعر إلى عشرة فصول أو كتب:

(١) جميع هذه المثنويات موجودة في مخطوطة «مكتبة إدارة الهند» الرقيمة ٣٤٦ و ٣، و هناك مخطوطات أخرى تشتمل عليها باستثناء

المثنوية التي عنوانها «غريب نامه». انظر كذلك فهرست «إتیه» رقم ٩١٤

(٢) المترجم: للدويان جملة طبعات أخرى، خيرها وأحسنها هي التي نشرها «مدرس رضوی» في إيران سنة ١٣٢٠ هـ. ش. على نفقة «شركت طبع كتاب» وقد نشرت مثنويات «سنائی» الأخرى في إيران في تواريخ متفرقة.

(٣) المترجم: كذلك طبع الماجور «ستيفنسون» الجزء الأول من الحديقة مع ترجمته الانجليزية في مدينة كلكتا في سنة ١٩١٠ م و صدر الكتاب بمقدمات قيمة عن حياة سنائی و عن النسخ الخطية و المطبوعة من الحديقة.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٩٨
الأول: في حمد الله. الثاني: في نعت النبي.

الثالث: في العقل. الرابع: في المعرفة.

الخامس: في الإعراض. السادس: في السماوات والبروج.

السابع: في الفلسفة. الثامن: في العشق.

التاسع: في أحوال الشاعر. العاشر: في مدح بهرامشاه سلطان غزنه.

وقد نظم الشاعر هذه المثنوية في بحر من بحور الشعر الخالية من كل روعه أو جاذبية أو سحر «١». و المثنوية في رأيي تعتبر من أسقم الكتب الفارسية المملة، و هي مليئة باليديهيات الساذجة و الحكايات السخيفة «٢»، و لا سبيل إلى مقارنتها بما كتبه «جلال الدين الرومي» في «المثنوي» إلا إذا أجزنا لأنفسنا أن نقارن ما كتبه «روبرت منتجومري» في كتابه «الشیطان» بما كتبه «ملتون» في كتابه «الجنة المفقودة»...!! و فيما يلي حكاية من حكايات الحديقة، تصور لنا أن الإنسان يستحيل عليه أن يدرك الله إلا إدراكا ناقصا معيبا، و هي نموذج طيب من نماذج هذه المثنوية على العموم:

«في جماعة العميان و أحوال الفيل «٣»»

يود شهري بزرگ در حد غورو اندران شهر مردمان همه کور
پادشاهی بر آن مکان بگذشت لشکر آورد و خیمه زد بر دشت
داشت بیلی بزرگ باهیبت از بی جاه و حشمت و صولت
مردمان را ز بهر دیدن بیل آرزو خاست ز آنچنان تهویل
چند کور از میان آن کوران بر بیل آمدند چون عوران
تا بدانند شکل و صورت بیل هر یکی تازیان دران تعجیل
آمدند و بدست پیسودندز آنکه از چشم بی بصر بودند

(١) المترجم: وزن المثنوية هو (فاعلاتن مفاعلتن فعلتن) و هو وزن الخفيف المسدس المشعث المقصور، و أوبائها ليست على ترتيب واحد في جميع النسخ.

(٢) لا تصل إلى مستوى ما كتبه بالانجليزية «مارتن تير» في كتابه «الفلسفة لمثالية» Proverbial Philosophy, by Martin Tupper.

(٣) المترجم: اكتفى «براون» بذكر الترجمة الانجليزية و لكننا للفائدة نقلنا النص الفارسي.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٩٩ هر یکی را بلمس بر عضوی اطلاع اوفتاد بر جزوی

هر یکی صورت محالی بست دل و جان در پی خیالی بسمت

چون بر أهل شهر باز شدند برشان دیگران فراز شدند

آرزو کرد هر یکی ز ایشان آنچنان گمراهان و بدکیشان

هیئت و شکل بیل پرسیدند و آنچه گفتند جمله بشنیدند

آنکه دستش بسوی گوش رسید دیگری حال بیل ازو پرسید

گفت: شکلیست سهمناک عظیم بهین و صعب و فراخ همچو گلیم

و آنکه دستش رسید زی خرطوم گفت: گشت است مرا معلوم

راست چون نآودان میانه تهیست سهمناکست و مایه تهیست

و آنکه را بد ز بیل ملموش دست و پای سطر پرپوشش

گفت: شکلی چنانکه مضبوطست راست همچون عمود مخروطست

هر یکی دیده جزوی از اجزاهمگان را نظر فتاده خطا

هیچ را دل ز کلی آگه نی علم با هیچ کور همره نی

جملگی را خیالهای محال کرده مانند غنفره به جوال

از خدائی خلایق آگه نیست عقلا را در این سخن ره نیست و معنی هذه الأیات:

- کانت فی حدود «الغور «١»» مدینه کبیره ذات خطر

و کان أهلها جميعا مکفوفین ... قد حرموا نعمه البصر ...!!

- فمر بهذه المدینه ملک فی تجواله

و ضرب خیامه فی وادیها، و آنای برجاله ...!!

- و کان له فیل کبیر الحجم و الجثه و الهیبه،

لیدل به علی ما له من جاه و حشمه وصوله ...!!

(١) المترجم: هی جبال و ولایه بین هراه و غزنه، و هی بلاد واسعة موحشه لا تنطوی علی مدینه کبیره، و اکبر ما فیها قلعه یقال لها «فیروز کوه». (انظر معجم البلدان)

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٠٠

- فرغب الناس فی رؤیه هذا الفیل

و ازدادت رغبتهم، لما سمعوا عنه من تهویل ...!!

- فتقدم جماعه من بین هؤلاء العمیان

و اقتربوا من الفیل یتخطون فی غیر اتزان ...!!

- ثم هرع كل واحد منهم إلى مكان الفيل، لكي يعرف شكله و صورته في سرعه و تعجيل...!!!
 - و مدوا جميعهم أيديهم يتحسسون بها جتته لأنهم كانوا محرومين من البصر و نعمته...!!!
 - و لمس كل واحد منهم عضوا من أعضائه و استطاع بذلك أن يعرف جزءا من أجزائه...!!!
 - و كون كل واحد منهم صورة مستحيلة تصورها و استقرت في نفس كل منهم أخيلة تخيلها و قدرها...!!!
 - فلما عادوا إلى أهل المدينة بعد هذه الزيارة اجتمع حولهم الباقون .. و التفوا بجزارة...!!!
 - و شاء كل واحد من هؤلاء الضالين.
 أن يسأل عن حقيقة الأمر ... و يستطلع الخبر اليقين...!!!
 - فلما سألوهم عن شكل الفيل و هيئته أخذوا جميعا يستمعون إلى حديثهم و يصغون له بجملته...!!!
 - و سأل سائل منهم عن حال الفيل و ما له من صورة و كانت يد المستول قد لمست أذنه الكبيرة...!!!
 - فقال. إن الفيل حيوان هائل عظيم الصورة عريض، و متسع، كأنه السجادة المنشورة...!!!
 - أما من لمست يده خرطومها الطويل فقال: إنني - على اليقين - قد عرفت الفيل...!!!
 - إنه مستقيم كالقناة الجوفاء الخالية...!!!
 و لكنه مخيف، و خطر، و مصدر كل داهية...!!!
 تاريخ الادب في إيران من الفردوسی الی السعدی/ تعريب، النص، ص: ۴۰۱
 - و أما من لمس من الفيل يديه الغليظتين أو قدميه الضخمتين المكتنزتين...!!!
 - فقال: إن شكل الفيل على الوجه الصائب المضبوط شبيه على التحقيق بالعمود أو المخروط...!!!
 - و بذلك أدرك كل واحد منهم جزءا من الأجزاء، و لكنهم جميعا وقعوا في أشد الأخطاء...!!!
 - و لم يستطع أن يعرف واحد منهم شكل الفيل في مجموعه و كذلك لن يدرك الأعمى شيئا من العلم أو فروعه...!!!
 - و لقد فكروا جميعا في الخيالات المستحيلة الباطلة و صاروا كالبهائم عقولهم قاصرة جاهلة...!!!
 - و كذلك لن يستطيع الخلق معرفة الحقيقة عن الله القدير و لذلك لا يتحدث عقلاؤهم في هذا الأمر الخطير...!!!

*** أما ديوان سنائي ***

فيشتمل - في رأيي - على أشعار تفضل أشعار «الحديفة» و تمتاز عنها كثيرا بحيث يكاد الفرق بينهما يدفع المرء إلى الشك في كون مؤلفهما شاعرا واحدا، لولا معرفتي بأن شعراء الفرس قلما يجيدون إلا ضربا واحدا من الشعر دون سائر ضروب. و سأكتفي بمثل واحد للتدليل على هذا الرأي، و هو أن قصائد «الأنوري» تفوق قصائد «حافظ» بقدر ما تفوق «غزليات حافظ» غزليات «الأنوري». و فيما يلي أمثلة اقتطفناها من ديوان «سنائي» و هو ديوان جدير بالفحص الدقيق و الدرس العميق.
 يقول في قصيدة مذكورة في الديوان ص ۸۰ من النسخة المطبوعة على الحجر «۱»
 برگ بی برگی ندرای لاف درویشی مز نرخی چو عیاران ندرای جان چو نامردان مکن

(۱) المترجم: هذه القصيدة موجودة في ص ۳۷۵ من نسخة إيران سنة ۱۳۲۰ هـ. ش و قد نقلناها عن هذه النسخة.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسی الی السعدی/ تعريب، النص، ص: ۴۰۲ يا برو همچون زنان رنگی و بوئی پیش گیریا چو مردان اندر آي و گوی در میدان فکن

هر چه بینی جز هوا آن دین بود بر جان نشان هر چه یابی جز خدا آن بت بود درهم شکن
 چون دل و جان زیر پایت قطع شد پائی بکوب چون دو کون اندر دو دست جمع شد دستی بز
 سر بر آرز گلشن تحقیق تا در کوی دین کشتگان زنده بینی انجمن در انجمن
 در یکی صف کشتگان بینی به تیغی چون حسین در دگر صف خستگان بینی بزهری چون حسن
 درد دین خود بو العجب دردیست کاندرو وی چو شمع چون شوی بیمار خوشتر گردی از گردن زدن
 اندرین میدان که خود را می دراندازد جهودو ندرین مجلس که بت را می بسوزد برهنم ***
 سالها باید که تا یک سنگ اصلی ز افتاب لعل گردد در بدخشان یا عقیق اندر یمن
 ماهها باید که تا یک پنبه دانه ز آب و خاک شاهی را حله گردد با شهدی را کفن
 روزها باید که تا یک مشت پشم از پشت میش زاهدی را خرقة گردد یا حماری را رسن
 عمرها باید که تا یک کودکی از روی طبع عالمی گردد نکو یا شاعری شیرین سخن
 قرتها باید که تا از مشت آدم نطفه بو الوفاي کرد گردد یا شود ویس قرن

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٠٣
و معنى هذه الأبيات:

- إنك لا تملك القدرة على الاستغناء، فلا تفخر بأنك درويش كامل...!!!
و وجهك لا يشابه وجوه العيارين، فلا تجعل روحك كروح الأراذل...!!!
- فإما أن تذهب كالنساء، فتعطر بالعطور و تصطبغ بالألوان...!!!
و إما أن تقبل كالرجال، فتقذف الكرة في الميدان...!!!
- و كل ما تراه - خلايف الهوى - فهو دين، فثبته على صفحة روحك و اذكره، و كل ما تدركه - خلايف الله - فهو صنم، فحطمه و كسره...!!!

- و ارقص هتينا ... إذا أصبح القلب و الروح نطعا تحت قدميك
و صفق مرحا ... إذا اجتمع الكونان في قبضة يديك...!!!
- و ارفع رأسك عن روضة التحقيق، حتى ترى في جادة الدين
أن القتلى أحياء، و أنهم صاروا في مجموعهم متراصين «١».
- و ستري في أحد الصفوف قتلى كالحسين ... قتلوا بحد السيف البتار
و ستري في صف آخر قتلى كالحسن ... قتلوا بفعل السم الغدار...!!!
- و في دينك عجب عجاب، فأنت فيه شبيه بالشمع في سيرتك...!!!
و متى صرت غليلا، فإنما تصح و تطيب ... إذا قطعت رقيقتك...!!! «٢»
- و في هذا الميدان يلقي «اليهودي» بنفسه و وجوده
و في هذا المجلس يحرق «البرهمي» صنمه و معبوده...!!!
-

- و تلزم سنوات كثيرة قبل أن يصبح حجر واحد بفعل الشمس و الزمن
ياقوتاً في «بدخشان»، أو عقيقاً في «اليمن» «٣»...!!!
- و تلزم شهور كثيرة ... قبل أن تصيح بذرة القطن بفعل التراب و الماء
حلة لحسنا، أو كفنا لواحد من الشهداء...!!!
- و تلزم أيام كثيرة ... قبلما تصيح حفنة صوف من ظهر الأغنام
خرقة لزاهد، أو رسنا لحمار أو مفوداً للأنعام...!!!

(١) يشير إلى قوله تعالى «وَلَا تَخْتَنِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَالَهُمْ بَلْ أَمْوَالُهُمْ يُرَدُّونَ».

(٢) المترجم: لشمعة إذا قطع فتيلها زاد ضياؤها

(٣) المترجم: الياقوت البدخشي المنسوب إلى «بدخشان» مشهور بجماله و صفاته، و كذلك العقيق الجميل يخرج من اليمن.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٠٤

- و تلزم أعمار طويلة ... قبلما يصبح طفل طيب الطبع، سليم الوجدان
عالمنا كبيرا أو شاعرا حلوا الكلام و الأوزان...!!!

- و يلزم قرون عديدة ... قبلما تصيح نطفة من ظهر آدمي «أبا الوفاء الكردي» أو «أويس القرني» «١»...!!!
*** و فيما يلي غزلية قصيرة من غزلياته، نقلها عن صحيفة ١٦٧ من الديوان: «٢»
هر دل كه قرين غم نياشداز عشق بر او رقم نباشد
من عشق تو اختيار كردم شايد كه مرا درم نباشد
زيرا كه درم هم از جهانست جانان و جهان بهم نباشد
تا در دل من نشسته باشي هرگز دل من دزم نباشد و معناها:
- كل قلب لا يقترن بالغموم و الأحران في حياته
لا يصلح أن يكون مستقرا للعشق، يرقم على صفحاته...!!!
- و لقد اخترت عشقك دون غيرك، و لم أكن مضطرا أو مرغما
و ما ذا يضرني...؟! إذا أصبحت مفلسا لا أملكك درهما...!!!
- لأن الدرهم يعتبر من متعلقات الدنيا الزائلة
و الحب و الدنيا لا يجتمعان، و ليسا على شاكله...!!!
- و ما دمت مستقرا في قلبي، و ما دمت فيه باقيا
فإن قلبي لن يصح قاسيا و لن يصير عاتيا...!!!
و فيما يلي مثل آخر من غزلياته الغنائية نقلها عن صحيفة ٢٠٦ من الديوان «٣»
ترا دل دادم ای دلبر شبت خوش باد من رفتم تو دانی با دل غمخور شبت خوش باد من رفتم

(١) أويس القرني صوفي كبير، مذكورة سيرته في «تذكرة الأولياء» للشيخ فريد الدين لطارق؛ و أبو الوفاء الكردي صوفي أيضا لم أعرش على ترجمة حياته.

(٢) المترجم: هذه الغزلية موجودة في ص ٦٢٦ من النسخة المطبوعة في إيران سنة ١٣٢٠ هـ. ش

(٣) المترجم: هذه الغزلية موجودة في ص ٦٧٤ من النسخة المطبوعة في إيران سنة ١٣٢٠ هـ. ش

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٠٥ اگر وصلت بگشت از من روا دارم روا دارم گرفتار
هجرت اندر بر شبت خوش باد من رفتم

ببردی نور روز و شب بدان زلف و رخ زیباهي جادو زهي دلبر شبت خوش باد من رفتم

بجهره اصل ایماني، بزلنن مابه کفری ز جور هر دو آفتگر شبت خوش باد من رفتم

میان آتش و آیم ازین معنی مرا بینی لبان خشک و چشم تر شبت خوش باد من رفتم و معناها:

- لقد أسلمت لك قلبي أيها الحبيب، فطب مساء... إني ذاهب

و أنت تعلم حال قلبي الحزين، فطب مساء... إنني ذاهب
- و إذا استحال وصلك لي مرة أخرى، فأنت محق .. و على حق
و لكن دعني في ساعة الفراق أضمك إلى صدري، و طب مساء... إنني ذاهب
- لقد سلبت بطر تك السوداء و وجهك الوضيء نور النهار و ظلام الليل
فما أبعدك من ساحر، و ما أجملك من فاتن، و طب مساء... إنني ذاهب
- و أنت بوجهك أصل للايمان... و لكنك بطر تيك أصل للكفر
و كلاهما سبب للبلاء.. فطب مساء... إنني ذاهب
- و إنك تراني بهذا الوضع بين النار و الماء
شفتاي صاديتان، و عينايا باكيتان... فطب مساء... إنني ذاهب...!!!

*** و قد اخترت هذه الأملئة اعتباطا و عن غير تعمد، و لكنها تكشف لنا عن روعة و إبداع بالغين؛ و لا شك أن الأشعار الفارسية ما زالت خبيثة في بعض المناجم الغنية التي لم تكشف حتى الآن، و لو اعتنى بها الباحث الجاد لوجدنا غنية بالدرر الزاهرة و اليواقيت الباهرة

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٠٦

أزرقى:

«أبو بكر» أو «أبو المحاسن الأزرقى» هو ولد «اسماعيل» الوراق الهروي الذي ذكر صاحب «جهاز مقاله» عنه «١»، أن «الفردوسي» اختفى في بيته سنة أشهر عندما أثار عليه حق السلطان «محمود الغزنوي». و الفضل في شهرة «الأزرقى» راجع كما يقول «جامي» و «دولتاشاه» إلى مؤلف أدبي «٢» يشك في نسبته إليه و كذلك إلى رباعية قبلت في مناسبتها، و هي الرباعية التي ذكرناها في الفصل الأول من هذا الكتاب ص ٥٣، فقد استطاع بفضل هذين أن يكسب عطف الأمير السلجوقي «طغانشاه» و أن يفوز برعايته و حمايته «٣». و قد اشتهر «الأزرقى» بين شعراء عصره بأنه من كتاب القصائد و المدائح و وضعه «عوفي» «٤» في المرتبة التالية مباشرة للشاعر «المعزى» الذي يصغر عنه سنا و يكبر عنه شهرة و بعد صيت. و المدائح مهما قيل في أمرها، و من اشتغالها على العرفان بالجميل لمن أشادت بذكرهم، و من فضلها في جلب الغنى العريض لمنشئها، إلا أنها لأسباب واضحة لا تهم الأجيال المتعاقبة بمقدار ما يهمهم الشعر الذي يمس العواطف الإنسانية عامة و يبقى على الزمان مهما قدم العهد أو طال العصر. و من أجل ذلك فقد أصبح «الأزرقى» كما أصبح جماعة آخرون من أشهر منافسيه، مجرد أسماء لا يعرف عنهم القارىء الفارسي شيئا، و بقي ديوانه معدوماً أو نادر الوجود. و قد خصص «دولتاشاه» مقالا للحديث عن سيرته «٥» و لكنه لم ينقل لنا من سائر أشعاره إلا الرباعية التي سبق لنا الإشارة إليها. أما «عوفي» فقد أورد لنا مجموعة من قصائده الطويلة «٦»، كما يجد القارىء

(١) المترجم: أنظر ص ٤٩ من الأصل الفارسي و ص ٨١ من ترجمة «براون» الإنجليزية

(٢) المقصود به كتاب «الفيه شلبيه» و قد وصف «عوفي» محتوياته وصفا كاملا في «لباب الألباب» ج ٢ ص ٨٧ كما فعل ذلك أيضا سائر المؤلفين. و قد أوردت عنوان الكتاب كما ذكر في سائر النصوص، و لكنني أميل إلى الاعتقاد بأن صحة تسميته هي «الفيه شلقيه»

(٣) المترجم: أنظر أيضا التعليقات التي نشرها محمد بن عبد الوهاب الغزنوي عن الأزرقى في «جهاز مقاله» فهي غنية بالتفاصيل

(٤) أنظر «لباب الألباب» ج ٢ ص ٨٨

(٥) أنظر «تذكرة الشعراء» ص ٨٢

(٦) «لباب الألباب» ج ٢ ص ٨٦-١٠٤

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٠٧

أيضا في كتاب «تاريخ سلاجقه كرمان» تأليف «محمد بن ابراهيم» قصيدة كاملة أنشأها الأزرقى في مدح «اميرانشاه» أحد أمراء هذا الفرع من السلاجقه «١».

و لما لم يكن في أيدينا من مؤلفات «الأزرقى» إلا قصائده، و هي صعبة الترجمة، غير مستساغة إذا ترجمت، فسأخذو حذو «دولتاشاه» و أكتفى بهذا القدر عن الأزرقى و انتقل إلى الحديث عن شاعر آخر.

مسعود سعد سلمان «٢»

هو «مسعود بن سعد بن سلمان» و هو جدير بالذكر على الخصوص لبعض القصائد العاطفية المبكرة التي أنشأها عند ما أمر السلطان «ابراهيم الغزنوي» بحبس في قلعة «نای» بتهمة التآمر عليه مع السلطان «ملكشاه» السلجوقي. و قد سجل صاحب «جهاز مقاله» هذه القصة «٣» و علق على هذه الأشعار بقوله إنه يحس عند قراءتها «بأن شعره يقف على جسده، و أن الدموع تجري في مآقيه لما اشتملت عليه من فصاحة و رقة». و أورد مثلين من هذه الحبسيات، الأول منهما عبارة عن الرباعية التالية «٤»:

در بند تو ای شاه ملکشه بایدتا بند تو پای تاجدارى ساید

آنکس که ز پشت سعد سلمان آیدگر زهر شود ملک ترا نگزاید و معناها:

- أيها الملك... إن «ملكشاه» هو الذى يجب أن يرسف في قيدك و أن تربط أقدامه في سلاسل أسرك...!!!

(١) طبع «هو تسما» ص ١٤-١٦

(٢) بعد كتابة هذه المقالة نشرت في «مجلة الجمعية الملكية الآسيوية» عدد أكتوبر سنة ١٩٥٠ ص ٦٩٣-٧٤٠ و عدد يناير سنة ١٩٥٦ ص ١١-٥١ ترجمة لمقالة نشرها بالفارسية صديقي العلامة ميرزا محمد بن عبد الوهاب الغزنوي عن هذا الشاعر، و إنى أحيل القارىء الجاد إلى هذه المقالة لأنها تكمل ما كتبت، بل إنها في بعض المواضع تصحح ما سطر

(٣) أنظر سيرته في ص ٤٤-٤٦ من الأصل الفارسي و ص ٧٢-٧٥ من الترجمة الإنجليزية

(٤) المترجم: لم يذكر «براون» أصل هذه الرباعية الفارسية.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٠٨ - أما من يأتي من ظهر «سعد بن سلمان» أو سلالته فلن يؤذى ملكك... و لو كان سما زعافا برمه...!! و أما المثل الثاني فعبارة عن مقطوعة نصها كالآتي «١»:

مقصور شد مصالح كار جهانيان بر حبس و بند اين تن مهجور ناتوان

بر حبس و بند نيز ندارندم استوارتا گرد من ندارند ده تن نگاهبان

هر ده نشسته بر در و بر بام سجن من يا يكديگر دمام بگویند هر زمان
هان برجهيد زود كه حيلنگريست او كز آفتاب پل كند از سايه نردبان
گيرم كه ساخته شوم از بهر كارزاربيرون جهم ز گوشه اين سجن ناگهان
با چند كس بر آيم در قلعه گرچه من شيري شوم معريد و پيلي شوم دمان
پس بي سلاح جنگك چكونه كنم مكرمن سينه را سپر كنم و پشت را كمان و معناها:
- لقد اقتصرت مصالح أهل الدنيا من الحاكمين
على حبيسي و تقبيدي ... أنا الضعيف العاجز المسكين ...!!
- و هم لا يتقون في يقائى في المحبس و القيد
ما لم يضعوا حولي عشرات من الحراس عن قرب و عن بعد ...!!
- كل عشرة منهم يجلسون على باب سجنى أو فوق سطحه ... في انتباه و التفات
و هم يتصايحون فيما بينهم في كل لحظة من اللحظات ...!!

(١) المترجم: لم يذكر «براون» أصل هذه الأبيات بالفارسية، و لم نجد لها في الأصل الفارسي لكتاب «چهار مقاله».

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٠٩

- فيقولون: تنهبوا و خذوا حذر كم، فإنه متحایل ماكر

يصنع الجسور من أشعة الشمس، و يرفع السلالم من ظلها العابر ...!!

- فلأفرض أنني وفقت في وقت العراك و النزال

و استطعت الفرار فجأة من ركن هذا السجن، و الخلاص من الوبال!!

- فهل أستطيع أن أنتصر على هؤلاء الرجال الكثيرين في هذه القلعة الحصينة و لو كنت أسدا مفترسا ... أو فيلا هانجا قوى الشكيمة
!!...

- و كيف أستطيع أن أحارب بغير آلة أو سلاح ..!؟

و هل أكتفي بأن أجعل صدرى درعا، و أن أجعل ظهري قوسا للرمح ..!؟

و لم تلت قناه السلطان أو يرق قلبه حتى أدركه الموت، و ظل «مسعود» في محبسه اثنتي عشرة سنة كاملة

و فيما يلي قصيدة من قصائده أوردتها «دولتشاء» في ص ٤٧- ٤٨ من كتابه «١»

چون بدیدم بدیده تحقیق که جهان منزل فناست کنون

رادمردان نیک محضر راروی در برقع خفاست کنون

آسمان چون حریف نامنصف بر ره عشوه و دغاست کنون

طبع بیمار من ز بستر آزشکر بزبان درست خاست کنون

وز عقاقیر خانه توبه نوش داروی صدق خواست کنون

وین زبان جهان خدیوسرای مادح حضرت خداست کنون

لهجه نو نواي خوش زخمه بلبل باغ مصطفاست کنون

عزت جامه و قصب؟؟؟ چون فزون شد؟؟؟ کاست کنون

سر آسوده و تن آزدینج گز پشم و پنبه راست کنون

مدتی خدمت شما کردم نوبت خدمت خداست کنون و معناها:

- عندما رأيت بعين البصيرة و التحقیق

أن العالم أصبح الآن منزلا للفناء و الضیق ...!

(١) المترجم: اكتفى «براون» بإيراد الترجمة و قد رأينا إيراد الأصل أيضا.

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤١٠

- و أن الرجال الطيبين الكرماء

قد تسربت وجوههم في براقع الخفاء و الفناء ...!!

- و أن السماء قد أصبحت كالعدو اللدود

و أن أحكامها الآن سائرة في نفاق و خداع و شرود ...!!

- نهضت سليما بعد العرض و تركت فراش الحرص و الحاجة

و أخذت الآن في شكر الله في ضراعة و لجاجه ...!!

- و قصدت دار التوبة، و طلبت منها مختلف العقاقير

لأعالج بها الصدق، و ألتمس بها باب «الحق» الكبير ...!!

- فبدلت هذا اللسان الذي كان يمدح الملوك و السلاطين

و أصبحت الآن أقصر مدحى على رب العالمين ...!!

- و تجددت لهجة مدحى، و أصبحت نغمته جديدة ذائعة

و أصبح لساني بلبل مغردا في حديقه النبي الرائعة ...!!

- و متى زادت الملابس الزاهية الموشاة بالذهب

قل العقل، و نضب معينه و ذهب ...!!

- فالرجل الحر صاحب الهناء و السعادة

تكفيه خمسة أذرع من الصوف أو القطن في العادة ...!!

- و لقد خدمتكم «أيها الملوك» مدة طويلة مديدة

فلتكن نوبتي الآن في خدمة الله ذى المنن العديدة ...!!

*** و يضيف «دولتشاء» على ذلك أن «مسعود بن سعد» كان من أهالي «جرجان» كما أن «إتبه» يرى أن أباه «سعد» كان في خدمة
الأمراء الزياريين في هذه الولاية. و يقول دولتشاء: إن الأكابر و الفضلاء لهم رأى عال في أشعار مسعود، حتى أن «فلكي الشرواني»

عندما أراد أن يفخر ببتريزه في قول الشعر قارن نفسه بمسعود فقال «١»:

(١) المترجم: هذا هو نص البيت بالفارسية وفقاً لما ورد في «تذكرة الشعراء» ص ٤٧

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٤١١. كراين طرز سخن در شاعری مسعود را بودی بجان صد آفرین کردی روان سعد سلمانش و معناه:

- لو كان لمسعود من المهارة في الشعر ما لكلامي من حسن البيان

لنهضت روح أبيه «سعد بن سلمان» وقالت له: أحسنت كل الإحسان...!!!

و المعروف أن وفاة «مسعود» حدثت في سنة ٥١٥ هـ - ١١٢١ م أو في سنة ٥٢٦ هـ - ١١٣١ م وهذا التاريخ الأخير هو أقرب التاريخين احتمالاً و صحته.

أبو طاهر الخاتوني:

شهرة «أبي طاهر الخاتوني» تنحصر أساساً في كونه المؤلف الذي ألف أقدم كتاب، وصل خيره إلينا، في تراجم شعراء الفرس؛ و من سوء الحظ أن هذا الكتاب مفقود و لم يعثر عليه أحد حتى الآن «١» و لكن «دولتاشاه» أشار إليه في موضعين «٢» و ذكر صراحة أنه نقل عنه خبرين من أخباره. و من العجيب أنه لو صح أنه كان حقيقته في حوزته، لما اقتضرت استفادته منه على هذا القدر البسيط و لأكثر من النقل عنه؛ و هذا يدعوني إلى الظن بأنه لم يكن ينقل عنه مباشرة بل بطريق كتاب آخر نقل عنه مباشرة. و قد ذكره «حاجي خليفة» في موسوعته كشف الظنون «٣» و ذكر أن الكتاب مكتوب بالفارسية، و لكنه نسي أن يذكر لنا تاريخ وفاة مؤلفه، و ربما استعصى عليه أن يكشف عن هذا التاريخ، فأهمله إهمالاً، و قد ورد ذكر «الخاتوني» أيضاً في جملة مواضع من كتاب البنداري «تاريخ السلاجقة» و هو يخبرنا «٤» بأن «الخاتوني» أنشأ هجويه في واحد من وزراء السلطان «محمد

(١) المترجم: يقصد به «مناقب الشعراء» و قد أخبرني في سنة ١٩٤٩ أحد الأساتذة الأثراك و هو الأستاذ قاسم أستاذ التصوف في المعهد الإسلامي بتركيا أن أحد أساتذة جامعة استانبول عثر على نسخة هذا الكتاب و أنه عازم على طبعه

(٢) أنظر «تذكرة الشعراء» ص ٢٩، ٥٨

(٣) أنظر طبعة «فلوجل» ج ٦ ص ١٥٢، رقم ٢٦، ر ١٣

(٤) أنظر طبعة «هوتسما» ص ٨٩، ١٠٥-١٠٨، ١١٠، ١١٣

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٤١٢

ابن ملكشاه» جعلها بعنوان «تنزيير الوزير الزبير الخنزيري» و أنه كان يعتبر من أفضل رجال عصره، و من الكتاب الممتازين «١» و قد أورد كذلك طائفة من هجوياته المنظومة، و لكنه للأسف لم ينقلها بأصلها الفارسي بل اكتفى بذكر ترجمتها إلى العربية.

و قد عاش «الخاتوني» حوالي سنة ٥٠٠ هـ أو في بداية القرن الثاني عشر الميلادي و يبدو لي أنه تخلص باسم «الخاتوني» نسبة إلى زوجة السلطان المسماة «جوهر خاتون» لأنه كان ملتحقاً بخدمتها. و قد ورد بيت من أبياته الفارسية في كتاب «لغت فرس» تأليف أسدي. و لكن طابع هذا الكتاب و هو «بول هورن» أخطأ في تسميته، فاسماه «الخاتوني» بدل «الخاتوني» و هو خطأ في الحقيقة لا يغتفر «٢»...!! و أكبر مجموعة من أشعار «الخاتوني» موجودة فيما أعرف في الكتاب الفارسي النادر الذي وضعه «شمس قيس» في الشعر و أوزانه «٣» كما إن «الخاتوني» مذكور أيضاً في كتاب الراوندي «راحة الصدور» حيث ورد ذكره على أنه كان يتولي قيد الصيد الذي يصيده «ملكشاه» (انظر «مجلة الجمعية الملكية الآسيوية» سنة ١٩٠٢ ص ٥٩٨)

و بالرجوع إلى أقدم المصادر يتضح لنا جلياً أن «الخاتوني» كان ميرزا في طائفة من الأمراء؛ و لكن من العجب أن الكتب المتأخرة لا تذكره إلا قليلاً. و ليس هناك من شك في أن ضياع كتابه «مناقب الشعراء» يعتبر من الكوارث الأدبية المحزنة. و ينقل لنا أيضاً «راحة الصدور» مقطوعة للخاتوني في بيتين، هجا بهما الوزير «مجد الملك القمي» و ذكر فيهما ما أمتاز به من لوم و بخل «٤».

(١) أورد «رضا قليخان» طائفة من أشعاره في كتابه «معجم الفصحاء» ج ١ ص ٦٦، و يستفاد مما كتبه «رضا قليخان» عنه أنه كتب أيضاً في تاريخ السلاجقة. و ربما كان المقصود بما كتبه هو كتاب «تاريخ السلاجقة» الذي أشار إليه «دولتاشاه»

(٢) أنظر ص ٢٣ من المقدمة و كذلك ص ٣١

(٣) المترجم: يقصد به كتاب «المعجم في معايير أشعار العجم» و قد طبع ضمن «سلسلة جب التذكارية» سنة ١٩٠٩ م.

(٤) أنظر «مجلة الجمعية الملكية الآسيوية» سنة ١٩٠٢ ص ٦٠٠

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٤١٣

معزى:

الأمير «معزى» هو شاعر السلطان «سنجر»؛ و لكنه استطاع قبل ذلك في أيام السلطان «ملكشاه» أن يفوز بشهرة عريضة في قول الشعر؛ و قد استمد تخلصه الذي عرف به من أحد ألقاب هذا السلطان و هو «معز الدين» كما أخبرنا بذلك هو نفسه في إحدى الحكايات العروية في كتاب «جهار مقاله» و قد ذكرناها برمتها في الفصل الأول من كتابنا هذا. «١» و يصفه صاحب «جهار مقاله» بأنه من أعذب شعراء الفرس قولاً و أجملهم إنشاداً، و أن شعره قد بلغ أوج الروعة و الجمال و امتاز بالفصاحة و شدة الأسر. كما أن عوفي يقول في كتابه «الباب الألباب» «٢»: «إن ثلاثة من الشعراء استطاعوا في ثلاث دول متواليه أن يبلغوا مراتب العز و الإقبال بحيث لم يتيسر ذلك لغيرهم، فأما الأول فالشاعر «رودگي» في عهد السامانيين؛ و أما الثاني فهو ال «عنصرى» في عهد الغزنويين؛ و أما الثالث فالشاعر «المعزى» في عهد السلاجقة.»

و لكن نهاية «المعزى» كانت مفاجئة و حزينة؛ فقد قتله سهم انفلت خطأ من من قوس «سنجر» عندما كان يقوم بالرمية. و قد اشتهرت هذه الحكاية عن مقتله؛ و لكن هناك رواية أخرى تقرر أنه لم يقتل بل أصابه جرح، لم يلبث أن شفئ منه. و يروي «رضا قليخان» في «مجمع الفصحاء» «٣» بيتاً يستشهد به على صحة هذا الرأي، لو صحت نسبتة إلى المعزى، للدلل بغير شك على صحة ما ذهب إليه قليخان؛ و هذا البيت هو:

منت خدای را که بتیر خدایگان من بنده بیگناه نشدم کشته رایگان و معناه:

- المنة لله ذي الفضل و الإحسان

إنني، أنا العبد البريء، لم يهدر دمي سهم السلطان...!!

(١) أنظر ص ٤٩-٥٠

(٢) أنظر ج ٢ ص ٦٩

(٣) أنظر ج ١ ص ٥٧١

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤١٤

و يذكر هذا الكتاب أن وفاة «المعزي» حدثت في سنة ٥٤٢هـ - ١١٤٧ م ثم يورد بعض الأشعار التي رثاها بها الشاعر «سائي». كما يقرر أن «المعزي» كان تلو «الفرخي» في الغزليات، و تلو «المنصري» في القصائد. و فيما يلي مقطوعة تنهض مثلًا لغزلياته «١»:

روى او ماهست اگر بر ماه مشکافشان بودقد او سروسر اگر بر سرو لالستان بود

گر روا باشد که لالستان بود بر زاد سروربر مه رویش روا باشد که مشکافشان بود

دل چو گوی و پشت چون چوگان بود عشاق راتا ز نخدانش چو گوی و زلف چون چوگان بود

گر ز دو هاروت او دلها بدرد آید همی درد دلها را ز دو یاقوت او درمان بود و معناها

- وجهها هو القمر .. لو أمکن أن تنتشر فوق القمر غلالة من المسك سواد ..!!

وقدها هو السرو .. لو أمکن أن يزهر السرو زهرات الشقائق الحمراء ..!! «٢»

- و لو صح للسرو أن يزهر زهرات الشقائق الحمراء

لصح للمسك أن ينتشر فوق وجهها القمري ذی البهاء ...!!

- و قلوب العشاق كأنها الكرات المتدحرجة، و ظهورهم كأنها الصوالج المقوسة منذ استدارت ذقتها كالكرة، و تقوست طرتها كالصولجان.

- و إذا ابتليت القلوب، فأصابها السقم بفعل عينها الساحرتين؛ فإن شفاءها مضمون في شفتيها الياقوتيين ...!!

و عند ما يشير «عوفي» إلى أن «٢» «طفل البلاغة وصل إلى حد البلوغ على يدي

(١) المترجم: اكتفى «براون» بإيراد ترجمة الأبيات الأربعة الأولى من هذه الغزلية و هي الأبيات التي نقلناها أعلاه. و لكن الغزلية برمتها

تشتمل على سبعة أبيات كما هي مذكورة في «لباب الألباب» ج ٢ ص ٧٢

(٢) نفس المرجع ص ٦٩

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤١٥

المعزي» فإنه ربما يقصد بذلك أننا نجد في أشعاره سائر أنواع التشبيهات الأصلية المبتكرة التي أصبحت فيما بعد مبتذلة و مألوقة لدى سائر من يدرس الأشعار الفارسية.

و لو نظرنا إلى الأبيات الأربعة التي نقلناها آنفا لوجدناها مليئة بالتشبيهات العادية المألوفة التي تشبه الوجه الجميل بالقمر المنير، و خصلات الشعر السوداء المعطرة بالمسك الأذفر الذكي «١»، و القامة المدبدة بشجرة السرو المعتدلة، و الخدود الحمراء بزهر الشقائق القانية، و الذقن و القلب بالكرة، و الظهر الذي قوسته أفعال السنين و الهوموم بالصولجان الذي يقذف الكرة، و الشفاء بالياقوت، و العيون الساحرة ب «هاروت» ذلك الملاك الخاطيء الذي يعلم الناس السحر، إذا سعا إليه في الجب الذي يجبس فيه مدينة «بابل».

و فيما يلي غزلية أخرى من غزليات المعزي «٢»:

تا دلم عاشق آن لعل شکر بار بوددیده من صدف لؤلؤ شهوار بود

صدف لؤلؤ شهوار بود دیده آنک دل او عاشق آن لعل شکر بار بود

نخلد ناوک آن نرگس خون خوار دلم تا سلاح دلم آن زلف زردهار بود

ای نگارنده نگاری که ز تو مجلس من گه چو کشمیر بود گاه چو فرخار بود

گر گنه کار نشد زلف تو بر عارض تو چون پسندی که همه سال نگونسار بود

ور گنه کرد چرا یافت بخلد اندر جای خلد آراسته کی جای گناه کار بود

(١) المترجم: يشبه الشاعر شعر المحبوبة بالمسك الأسود ذی الرائحة الطيبة، كما يشبه وجه المحبوبة بزهرات الشقائق الحمراء.

(٢) المترجم: نقلنا الأصل الفارسي عن «لباب الألباب» ج ٢ ص ٧٣

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤١٦

و معناها:

- منذ أصبح قلبي عاشقا لشفتك الحلوة الحمراء ...

و قد أصبحت جفوني أصدافا للدر الثمين اللآلئ ...!!

- و من الحق أن تصبح عين العاشق مليئة بالدرر الغالية

ما دام قلبه يتعشق هذه الشفاء الحلوة القانية ...!!

- و لن تستطيع سهام عينك العطشى إلى الدماء

أن تخترق قلبي، ما دامت طرترك هي الدرر و السلاح و الوقاء ...!!

- و يا أيتها الدمية الجميلة .. لقد أصبح مجلسي بحضورك شديد البهاء

و كأنه مليء بحسان «كشمير» أو غانيات «فرخار» صاحبات الرواء «١» ...!!

- و لو لم تصبح طرترك جانية على وجنتيك

لما قبلت أن تتدلى طوال السنة مقلوبة الرأس على خديك ...!!

- و إذا صح أنها أذنت ... فلماذا تستقر في جنة الخلد العالية

و هل يعقل أن تصبح جنة الخلد البهيجة مستقرا لأصحاب الآثام النابية ...!!

و هنا أيضا نجد عقدا متصل الحلقات من التشبيهات العادية التي تعارفوا عليها في الشعر الفارسي الغزلي. فالعين الباكية هي الصدفة التي تجود باللكلئ و الدرر؛ و الشفاء الحلوة الحمراء هي الياقوت التي تنضج بالسكر؛ و العين نرجسة توصف بأنها ظمأى إلى الدماء

لأنها تجرح بسهامها قلوب العشاق و تدميها؛ و الشعر المجدول يشبه بالسلاسل و الدرر؛ و المحبوبة هي الدمية الجميلة التي تفوق في جمالها تصاوير «اماني» التركستانيه و دمي المعابد الهندية ...!! أما وجه المعشوقة فهو جنة الخلد الموعودة ...!!

و لن يدعشني بعد ذلك كله أن أقرر أن سائر التشبيهات التي استعمالها في عصور متأخرة شعراء الحب في غرب آسيا، إنما هي من إنتاج «المعزى» فقد أبدع الكثيره البالغة منها، و كان له الفضل الأول في تفريرها و استعمالها. و إذا صح هذا الرأي أمكن - إلى حد ما - تحليل السبب الذي من أجله نال «المعزى» هذه الشهرة العريضة في بلاده. و لو لا ذلك لما أمكننا و قد اعتدنا قراءة أشعار «حافظ» و غيره

(١) المترجم: كشمير و فرخار بلدان اشتهرا بجمال من بهما من النساء.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤١٧

من الشعراء المتأخرين أن نعتبر «المعزى» ضمن الناخبين المبدعين من الشعراء، ما لم نذكر دائما هذه الفترة المبكرة التي عاش فيها. فلتتركه الآن و لتنتقل إلى شاعر آخر ممن ذكرناهم في هذا الفصل و هو رشيد الدين الوطواط.

رشيد الدين الوطواط:

«رشيد و طواط» أو «رشيد الدين الوطواط» هو «محمد بن عبد الجليل العمري». سمي بالعمري لانسابه إلى الخليفة «عمر». و كان يشتغل بالكتابة و من أجل ذلك فإنه يلقب غالبا بالكاتب. و قد أُلّف بالإضافة إلى أشعاره طائفة من الكتب المتنورة، أهمها الكتب الآتية:

١- صد كلمه: أو الكلمات المائة من أقوال الخلفاء الراشدين الأربعة، و قد شرحها و فسرها باللغة الفارسية «١».

٢- حدائق السحر: و هو كتاب شهير جدا في البلاغة الفارسية و الشعر الفارسي و قد اعتمد في وضعه فيما اعتقد على كتاب «الفرخي» المفقود ترجمان البلاغة». و قد طبع على الحجر في إيران و يعتبر من أهم الكتب المجلدة في علوم الشعر الفارسية «٢».

و قد لقيه ب «الوطواط» لصلالة جسمه و هزال بنيه، و لكن «دولت شاه»، يذكر لنا أنه كان حاد اللسان قوي البيان، فتتج عن ذلك أن كثر أعداؤه و ازداد خصومه. و يروي لنا هذا المؤرخ أن «الوطواط» كان ذات مرة يتناقش في مجلس من المجالس في حضرة مليكة و راعيه «أتسر خوارزم شاه» و قد وضعوا بالمصادفة

(١) المترجم: لهذا الكتاب تسميتان أخريان هما: «نثر اللاكي من كلام أمير المؤمنين علي» أو «مطلوب كل طالب من كلام علي بن أبي طالب» و قد طبع هذا الكتاب في لبيز سنة ١٨٣٧ م و في طهران سنة ١٣٠٤ هـ.

(٢) المترجم: نشر هذا الكتاب في السنوات الأخيرة الأستاذ عباس إقبال و قدم عليه بمقدمات طويلة مفيدة عن حياة الوطواط و مؤلفاته. و قد طبعه بمطبعة المجلس في طهران سنة ١٣٠٨ الهجرية الشمسية. و قد نقلته عن هذه النسخة إلى اللغة العربية و طبعه بمطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر في سنة ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤١٨

محبرة أمامه، فلما اشتد النقاش أعجب «أتسر» بهذه السبل المنهارة من الكلمات التي تخرج من شخصه الضئيل، فأمر رجاله بأن يرفعوا الدواة حتى يستطيع رؤية الشخص الذي يتحدث من ورائها. فلما سمع ذلك «رشيد الدين الوطواط» أسرع بالتهوؤ و قال على البديهة: «المرء بأصغريه قلبه و لسانه». ثم يقول «دولت شاه» إن «الوطواط» قد عاش طويلا، و إنه مات في «خوارزم» أو «خيوه» في سنة ٥٧٨ هـ - ١١٨٢ م «١» و أما ولي نعمته «أتسر» فقد مات في سنة ٥٥١ هـ - ١١٥٦ و قد بكاه الوطواط بدمع سخين، و رثاه بالرابعة التالية:

«٢»

شاها فلک از سیاست میلرزیدیش تو بطوع بندگی میوزید

صاحب نظری کجاست تا درنگردتا آن همه سلطنت بدین می ارزید و معناها:

- أيها الملك ... لقد كان الفلك يرتعد لشدة قهرک ...

- و كان يتقاد لك طواعية، و يستجيب لأمرک ...!!!

- فأين واحد من أصحاب النظر ... لينظر في خبرک

- و هل كان كل هذا الملك لیسای هذه النهاية عندما غيبوک في قبرک ...!!!

و بعد هذه الحادثة بسبع عشرة سنة، أي في سنة ٥٦٨ - ١١٧٢ م تولى عرش خوارزم ال «سلطان شاه محمود» حفيد «أتسر» و شاء أن يرى هذا الشاعر العجوز العريض، فحملوه إليه في محفة، فلما مثل بين يديه أنشأ له على البديهة الرابعة التالية: «٣»

جدت ورق زمانه از ظلم بشتت عدل پدرت شکستگی کرد درست

ای بر تو قبای سلطنت آمده چست هان تا چه کنی که نوبت دولت تست و معناها

- إن جدک قد غسل صحائف الزمان من المظالم و الشرور

(١) المترجم: برى الأستاذ «عباس إقبال» أن الوطواط توفي سنة ٥٧٣ هـ

(٢) المترجم: نقلنا هذه الرابعة عن «تذكرة الشعراء» ص ٩١

(٣) المترجم: نقلنا هذه الرابعة عن «تذكرة الشعراء» ص ٨ و قد ذكرها «عباس إقبال» كذلك في مقدماته.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤١٩

- و أقام أبوک بعد له ما اعوج من الأمور.

- فیا من يزهو بک رداء الملك و السلطان

- تنبه، و تبين ما أنت فاعل .. فهذه نوبتك من الزمان ...!!!

و قد ورد قدر كبير من الأخبار المتصلة برشيد الدين الوطواط في كتاب لم يطبع بعد عن تاريخ المغول «١» هو كتاب «الجويني» المعروف باسم «تاريخ جهانگشا» و خصوصا في الجزء الثاني منه المتعلق بتاريخ ملوك خوارزم. ففي بداية هذا الجزء، و بعد الفصل الذي كتبه صاحبه عن هزيمة «سنجر» في معركة مع جيوش «الخطا» و غارة «أتسر» على مدينة مرو في سنة ٥٣٦ هـ - ١١٤١ م نجد خطأ طويلا بالعربية كتبه الوطواط إلى شخص يسمى بال «حكيم حسن القطان» يبدو أنه اتهمه بنهب كتبه التي ضاعت أثناء هذه الغارة على مدينة مرو. و قد دافع «رشيد الدين» عن نفسه في هذا الخطاب دفاعا قويا، و أنكر هذه التهمة الكريهة الباطلة و قال: «و أنا أتاني الله من الوجه الحلال قريبا من ألف مجلدة من الكتب النفيسة و الدفاتر الشريفة، و أنا وقفت الكل على خزائن الكتب المبنية في بلاد الإسلام عمرها الله تعالى ليتنفع المسلمون بها. و من كانت عقيدته هذه، كيف يستجيز من نفسه أن يغير على كتب إمام من شيوخ العلم أنفق جميع عمره حتى حصل أو يراقا يسيرة، لو بيعت في الأسواق مع أجلاذ أديم ما أحضرت بشمنها مائدة لقيم ...!!!» «٢» ثم يتلو

ذلك وصف لحصار قصبه «هزار اسف» و كيف أمر «أتسر» بإعدام «أديب صابر» و كيف نجا «الوطواط» بجهد النفس من غضب «سنجر» بسبب أشعاره التي قالها في هذه المناسبة، و قد سبق لنا ذكرها في موضع آخر. فإذا تقدمنا بعد ذلك بضع صفحات من الكتاب علمنا أن «الوطواط» وصاحبه «كمال الدين بن أرسلان خان محمود» حاكم «جند» قد تسببا في سنة ٥٤٧ هـ - ١١٥٢ م في إغضاب «أتسر» فأمر «أتسر» بطرد «الوطواط» من خدمته، ولكنه استطاع بعد ذلك أن يستعطفه بطائفة من القصائد

(١) المترجم: طبع هذا الكتاب برمته في ثلاثة أجزاء ضمن «سلسلة جب التذكارية» صدر الأول منها سنة ١٩١٢ و الثاني سنة ١٩١٦ و الثالث قبيل الحرب العالمية الأخيرة.

(٢) المترجم: نقلت هذه العبارات عن «تاريخ جهانگشا» ج ٢ ص ٦-٧

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٢٠

و المقطعات حتى نال عفوه. و قد أورد «الجويني» فيما أورد من هذه الأشعار المقطوعة التالية «١»:

سى سال شد كه بنده بصف نعال دريودست مدح خوان و تو بر تخت مدح خواه

داند خدای عرش كه هرگز نايستاد چون بنده مدح خوانی در هيچ بارگاه

اكون دلت ز بنده سى ساله شد ملول در دل بطول مدت يابد ملال راه

ليكن مثل زند چو مخدوم شد ملول جويد گناه و بنده بيچاره بي گناه و معنى هذه الأبيات:

- لقد مضت ثلاثون سنة منذ وقفت بالباب في صف النعال، «٢» و كنت مداحا للملك، و كان الملك على عرشه راغبا في مدحي

- و إله العرش يعلم وحده، أن أحدا مثلي

لم يقف مادحا في قصر من القصور ...!!!

- و لكن قلبك الآن أصبح متعيا من خادمك الذي أمضى في خدمتك ثلاثين عاما، و لا شك أن الملل يتطرق إلى القلوب بطول

المدّة و الملازمة ...!!!

- و قد ضربوا الأمثال فقالوا: «عندما يعمل المخدوم، يبحث لخادمه عن ذنب أو جريرة، بينما يكون الخادم المسكين نقي الطوية و

السريّة ...!!!»

(١) المترجم: أنظر «تاريخ جهانگشا» ج ٢ ص ١١

(٢) يبدو من ذكر الثلاثين سنة أن «الوطواط» التحق بخدمة ملوك خوارزم سنة ٥٦٧ هـ - ١١٢٣ م و قد رأينا أنه كان في سنة ٥٦٨ هـ -

١١٧٢ م رجلا مسنا مريضا. كما أن «دولت شاه» ذكر إنه توفي في سنة ٥٧٨ هـ - ١١٨٢ م و يقول «الجويني» إن «الوطواط» كان قد جاوز

الثمانين من عمره في سنة ٥٦٨ هـ و على ذلك يكون مولده حوالي سنة ٤٨٨ هـ - ١٠٩٥ م. و لا أعرف المصدر الذي اعتمد عليه

«بروكلمان» ليقرر في كتابه «تاريخ الآداب العربية» أن «الوطواط» مات سنة ٥٩٩ هـ.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٢١

و يقول «دولت شاه» إن ديوان «الوطواط» يشتمل على خمسة عشر ألف بيت من الشعر كلها مصنوعة و مليئة بالصناعات البلاغية و

البدعية. و قد كان مغرما على الخصوص بصناعة «الترصيع» فادعى أن أحدا غيره لم يسبقه بين شعراء الفارسية أو العربية إلى إنشاء

قصيدة كاملة، دخلها الترصيع في سائر أبياتها. أما قصائده فتمتاز عامة بأنها من نوع الفخرية و المبالغات التي اعتادها شعراء المدح

في هذا الوقت، و لا يستطيع أحد أن يقول إن شهرته الخالدة ترجع إلى هذه القصائد، و إنما مرجعها الأول و الأخير إلى كتابه «حدائق

السحر» و إلى جملة من الأبيات التي تفسر لنا بعض الوقائع التاريخية كما ذكرنا ذلك من قبل.

أديب صابر:

من بين خصوم «رشيد الدين الوطواط» كان الشاعر التاسع «أديب صابر» و قد ذكرنا نهايته المفجعة فيما سبق لنا من قول حينما أمر

«أتسر» بإغراقه في نهر جيحون في شهر جمادى الأولى سنة ٥٤٢ هـ - أكتوبر سنة ١١٤٧ م أو كما يقول «دولت شاه» في سنة ٥٤٦ هـ.

و قد ذكر «دولت شاه» أن هذين الشعارين تهاجيا بهجويات و ضيعة، بلغت منتهى الخسة و التسلف بحيث لم يسمح لنفسه أن يوردها في

كتابه «١». و كان لكل منهما معجوه فكان «الأبوري» و «الخاقاني» من أشهر المعجبين بأديب صابر؛ بل كان «الأبوري» يفضل على

الشاعر «سنائي» الذي يرحبه في بعد الصيت و الأشتهار، فهو يقول «٢»:

چون سنائي هستم آخر گرنه همچون صابر م

و معناه:

- أنا على كل حال شبيه بسنائي و لكنني لست شبيها بصابر

(١) أنظر «تذكرة الشعراء» ص ٩٢

(٢) أنظر «لباب الألباب» لمحمد عوفي ج ٢ ص ١١٧

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٢٢

و لا يعرف من حياة «الأديب صابر» إلا قليل من الأخبار التي تتضمنها أشعاره.

و قد كان من أهل مدينة «ترمذ» و لكن «دولت شاه» يذكر لنا أنه أمضى أكثر حياته في خراسان و خاصة في مدينة «مرو». و فيما يلي

بيتان من الشعر نقلهما «عوفي» في كتابه اللباب، أنشأهما «الأديب صابر» بمناسبة موت أحد أمراء «ترمذ» الظالمين المسمى «أخطي»

حينما كان يستقي الخمر، فانتقل كما يقول «عوفي» في تعبيره الرشيقي «بطريق الشراب إلى نار العذاب ...!!!» و هذان البيتان يدلان على

أن هذا الشاعر لم يحرم بلده من نتائج مواهبه و ثمرات قريحته فهو يقول «١»:

روز می خوردن بدوزخ رفتی ای اخطی ز بزم صد هزاران آفرین بر روز می خوردنت باد

تا تو رفتی عالمی از رفتن تو زنده شد گرچه أهل لعنتی رحمت برین مردنت باد و معناه:

- لقد انتقلت في يوم الشراب .. يا «أخطي» ..! من مجلس المنادمة إلى نار السعير ...!!! فوا فرحتاه .. و طوبى لهذا اليوم الجدير بالتقدير

!!!

- فمنذ ذهب ... أصبح العالم بعد ذهابك في عيش نضير

و أنت جدير باللعنة .. و لكن يوم ممانتك جدير بالرحمة و التقدير ...!!!

و كان «الأديب صابر» يلقب بشهاب الدين، و لا شك أنه ظل فترة من الزمان في علاقات طيبة مع «أتسر» بدليل هذه القصائد التي

يمدحه فيها، ثم ساءت العلاقات بينهما حتى انتهى الأمر بقتله على يديه. و يبدو كذلك أنه كان متصلا بجملة من الشعراء المعاصرين بالإضافة إلى «الوطواط» فكانت «لباب الألباب» ينقل لنا طائفة من أشعاره قالها في مدح الشعراء «عمادي» و «فوحى» كما ينقل لنا مقطوعة قالها في ذم الشاعر «شمالي». و فيما يلي مقطوعة من ثلاثة أبيات، كتبها الأديب صابر إلى رجل من ذوى النفوذ، هجاه جماعة من الظرفاء بهجوية نسبوها إليه فكتب إليه معتذرا: «٢».

(١) نفس المرجع ص ١٢٣

(٢) المترجم: نقلنا هذه الأبيات عن كتاب «لباب الألباب» ج ٢ ص ١٣٤

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٢٣ گفتند كه كرده نكوهش آن را كه ستوده جهانست و اين فعل نه فعل اين ضميرست و اين قول نه قول اين زبانتست
اين قصد كدام زن بمردست و اين فعل كدام قلتبانتست و معناها:
- لقد قالوا: إنك هجوت من هو حقيق بمدائح العالمين !!!
- و في الحق ... إن هذه الفعلة ليست من أفعالي و لا هذا القول من أقوالي !!!
- و يا ليتني أعلم أى زانية قالت هذا القول أو أى قواد فعل هذه الفعلة !!!

[عمق البخارى و «الرشيدى»]

و مما يؤسف له أن هذا الأسلوب العنيف شائع على الخصوص بين شعراء القصور في إيران، و لكننا لا نستطيع أن نقدم للقارىء الأوروبي إلا الألف أمثله و أقلها عنفا و فحشا. و يبدو لى أن الأمراء المعاصرين كانوا يجعلون مثل هذه الأقوال المنبعثة من فوريات الغضب و الغيظ موضوعا لكثير من متعتهم و تسليتهم، بل إنهم في بعض الأحيان كانوا يحرضون عليها تحريضا، كما يتبين لنا ذلك من الحكاية المروية في كتاب «جهاز مقاله» عن شاعرين معاصرين هما «عمق البخارى» و «الرشيدى»؛ و أولهما كان شاعرا ل «خضر خان» أحد أمراء ال «إيلك خانيين» فيما وراء النهر و تركستان. يقول صاحب «جهاز مقاله»:
«إن هذا الأمير كان مجبا للشعراء، و قد التحق بخدمته الأمير عمق، و الأستاذ «رشيدى، و نجار ساغرچى، و على پانيذى و بشر درغوش و بشر الاسفرايينى «١» و «١» على سبهري و نجيبى فرغانى، فقالوا منه الصلوات الغالية و التشريفات الزاهية. و كان «الأمير عمق هو أمير الشعراء في هذه الدولة فتال من أمرائها حظا موفورا و نعمة سابعة» «كان في عدادها الغلمان الأتراك و الجوارى الملبحات و الجياد الصافنات و السرج «الموشاة بالذهب و الأواني الفاخرة و الأموال الطائلة و العقارات الوافرة. و كان «عظيم الاحترام في مجلس الملك مما اضطر سائر الشعراء إلى القيام على خدمته.»

(١) المترجم: علق الأستاذ براون في الهامش بأنه يفضل كتابة هذين الاسمين بلفظ «بشر» بدل «پسر» الفارسية بمعنى «ابن» و لذا وجب التنبيه، لأن الأصل الفارسى يذكر كلمة «پسر»

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٢٤

«و كان يطعم في أن يعامله الأستاذ رشيدى بمثل ما كان يلقاه من غيره من «الشعراء. و لكن ظنه لم يتحقق، لأن رشيدى كان حديث السن غير أنه كان «عالما بصناعته الشعر» و كان يقوم على مدح الست زينب حتى أصبح عالي «المنزلة في حريم خضر خان، و كانت هذه السيدة أثيرة لدى الملك فأخذت «تمدح رشيدى و تعترف بفضلته حتى علا أمره، و ظفر بلقب «سيد الشعراء»، و أخذ الملك يحسن الظن به حتى وصله بالصلوات العزيزة الغالية. و في «يوم من الأيام غاب رشيدى فسأل الملك عمق: كيف ترى شعر عبد السيد «الرشيدى؟ فقال: إنه شعر طيب متقح و منقى ... و لكن يلزمه «قدر من الملح! ثم لم تلبث أن انقضت أيام قليلة حتى عاد رشيدى و التحق «بخدمته الملك، فلما هم بالجلوس ناداه الملك و قال له كما هي عادة الملوك عندما «يضربون الواحد من رعيتهم بالآخر: إننى سألت أمير الشعراء عن شعرك» فقال إنه شعر طيب و لكنه خال من الملح، فيجب عليك أن تقول في هذا «المعنى بعض الأبيات، فانحنى رشيدى إجلالا ثم جلس في مكانه و قال على البديهة: «- لقد عبت أشعاري، و قلت أنها خالية من الملح، و يجوز أن يكون ذلك حقا ...!!» «- لأن شعري شبيه بالسكر و الشهد، و لا يستطاب الملح مع هذين الشيتين الحلوين» «- أما شعرك فهو اللفت و الباقلاء، و لذا يلزمه الملح .. أيها القواد الخاسر «٢» ...!!»

و قد سر «خضر خان» سرورا بالغا بهذه الأبيات العابثة الساخرة، بحيث إنه منح «رشيدى»- كما يقول صاحب «جهاز مقاله»- ألف دينار من الذهب نقلت إليه في مجلس الملك في أربعة أطباق كما جرت بذلك العادة المتبعة لدى أمراء ما وراء النهر و تركستان.

(٢) المترجم: فيما يلي أصل هذه الأبيات بالفارسية:

شعرهاى مرا به بى نمكى عيب كردى روا بود شايد

شعر من همجو شكر و شهدست و ندرين دو نمك نكو نايد

شلغم و باقاليست گفته تونمك اى قلتبان ترا بايد

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٢٥

نظامى عروضى سمرقندى:

آن لنا الآن أن نفصل الحديث بعض الشيء عن صاحب كتاب «جهاز مقاله» الذى أكثرنا من النقل عنه في هذا الفصل و الفصول السابقة؛ هذا الكتاب يعتبر في رأى من أهم الكتب الماثورة في اللغة الفارسية و أكثرها متعة و إناسا، كما إنه أكثر الكتب التى أعرفها فائدة في الكشف عن الصميم من حياة القصور في إيران و في أواسط آسيا أثناء القرن السادس الهجرى و الثانى عشر الميلادى. و قد كان مؤلفه شاعرا مداحا التحق بخدمته الغوريين أو «ملوك الجبال» و بقى في خدمتهم كما يخبرنا هو نفسه حتى ألف هذا الكتاب أى مدة خمس و أربعين سنة. و هو يخبرنا أن اسمه الكامل كما ورد في «جهاز مقاله» هو «أحمد بن عمر بن على» و أن لقبه هو «نجم الدين» و لكنه مشهور بتخلصه الذى تخلص به و هو «نظامى». و قد كان بين معاصريه- كما سيوضح لنا ذلك- جملة من الأشخاص فاقوه شهرة و بعد صيت، عرف كل منهم باسم «نظامى»، كما إن له سميا متأخرا عنه هو «نظامى الكنجوى» الذى يعتبر بحق «نظامى» الآداب الفارسية غير منازع، و من أجل ذلك يشيرون دائما إلى هذا الشاعر الذى ندرسه الآن باسم «نظامى العروضى السمرقندى». و لم يصل إلينا من أشعاره إلا النزر اليسير، بل إن «دولت شاه» نفسه لم ينقل إلينا إلا بيتا واحدا من قصة «ويس و رامين»، و هي قصة يبدو للأسف أنها ليست من آثاره «١». و قد أورد له «عوفى» صفحتين من كتابه «٢»، نقل فيها خمس مقطوعات من أشعاره، كلها من

أشعار المناسبات التي تمتاز بهذا النوع من الفحش الذي تحدثنا عنه فيما سبق، ثم يقرر بعد ذلك أنه ألف جملة «مثنويات» لم يبق منها شيء، بل إن أسماءها ضاعت واندثرت. وكل ما نعرفه عنه عبارة عن أخبار متفرقة يرويها هو نفسه في كتابه «جهاز مقاله» و نستطيع أن نعتمد عليها في تحديد التواريخ التالية من حياته و هي:

- (١) أنظر «تذكرة الشعراء» ص ٦٠-٦١
- (٢) أنظر «لباب الألباب» ص ٢٠٧-٢٠٨
- تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٢٦
- ١- إنه كان في مدينة «سمرقند» في سنة ٥٠٤هـ - ١١١٠ م يسمع أخبار الشاعر المبكر «الرودي».
- ٢- إنه كان في مدينة «نيسابور» في سنة ٥٠٦هـ - ١١١٢ في صحبه الشاعر المنجم المشهور «عمر الخيام».
- ٣- إنه كان في مدينة «هراة» بعد ذلك مدة ثلاث سنوات.
- ٤- وفي السنة التالية أي سنة ٥١٠هـ - ١١١٦ م عاد إلى «نيسابور» ثم ذهب إلى «طوس» حيث أخذ يجمع أخبار الشاعر العظيم «الفردوسي» و انتهز الفرصة لزيارة قبره بهذه المدينة.
- ٥- و قد استطاع في هذا الوقت بفضل مساعدة «المعزى» شاعر «سنجر» أن ينجح في تقديم نفسه إلى هذا السلطان، فكان هذا بداية شهرته و علو شأنه.
- ٦- ثم نجده ثانية في مدينة «نيسابور» في سنة ٥١٢هـ - ١١١٨ م و سنة ٥٣٠هـ - ١١٣٥ م. و تمكن في هذه السنة الأخيرة من زيارة مقبرة «عمر الخيام». و قد شغلت هذه الزيارة أذهان طائفة من أعضاء نادي «عمر الخيام» لأنهم لم يقرأوا كتاب «جهاز مقاله» فظفوا بقديسون الوردة الحمراء و يولونها كثيرا من التقدير، بينما تولى القصة المروية في هذا الكتاب كل تقديرها لزهرا أشجار الخوخ و الكشمري التي كانت تنثر أوراقها على مقبرته ...!!
- ٧- و في سنة ٥٤٧هـ - ١١٥٢ م اختبأ في مدينة «هراة» عقب هزيمة جيوش الغوريين على يدي «سنجر السلجوقي».
- و قد كتب «نظامي» كتابه في السنوات التسع التالية لهذه الواقعة، فهو يشير فيه إلى «حسين جهانسوز» أو «حسين محرق العالم» على أنه ما زال حيا يرقز؛ و نحن نعلم أن هذا الرجل قد توفي في سنة ٥٥٧هـ - ١١٦١ م.
- أما ما يتعلق بالشطر الأخير من حياته فلا علم لنا به؛ بل إن سنة وفاته مجهولة لنا تمام الجهل.
- أما سبب خلود اسمه فيرجع أساسا إلى كتابه «جهاز مقاله» و هو كتاب لم تقدر تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٢٧
- قيمته حتى الآن تقديرا سليما، و لو أنه في تناول دارسي الفارسية بفضل نسخته المطبوعة على الحجر في مدينة طهران سنة ١٣٠٥هـ - ١٨٨٧ م؛ كما إنه في تناول قراء الإنجليزية في ترجمته التي نشرتها له في سنة ١٨٩٩ م. في «مجلة الجمعية الملكية الأسيوية» و الكتاب برمه جدير بالقراءة، و قد أكثر من الرواية عنه في صفحات هذا الكتاب، و لكني مع ذلك كنت مضطرا لضيق المقام أن أحذف كثيرا من الأخبار الممتعة التي تاققت نفسي لذكرها. و سأكتفي في هذا المقام بأن أنقل للقارئ حكاية لها دلالتها التاريخية المتصلة بحياة المؤلف، و هي الحكاية الأخيرة من حكايات الباب الثاني المتعلق بأخبار الشعراء، و يقول فيها:
- «عند ما كنت في خدمة مولاي ملك الجبال نور الله مضجعه و رفع في الجنان» «موضوعه، كان ذلك الملك الكبير قوي الاعتقاد في، رفيع الهممة في إكرامه» «ففي يوم عيد الفطر وصل إلى حضرته كبير من سلالة أكابر بلخ عمرها الله»، «هو الأمير العميد صفى الدين أبو بكر محمد بن الحسين الرواناشاهي، و كان» «شابا فاضلا مفضلا، و كاتبا مجيدا مستوفيا لشروط الأدب، حائزا لثمار الفضل»، «مقبولا في قرارات القلوب ممدوحا بأطراف الألسنة. و لم أكن في هذا الوقت» «حاضرا في خدمة الملك. فلما انعقد المجلس قال الملك للحاضرين: ادعوا النظامي.» «فالتفت الأمير العميد صفى الدين و قال: و هل النظامي موجود هنا؟ فأجابوه: «بلى. و ظن الأمير أن المقصود هو نظامي منيرى. فقال: إنه شاعر مجيد» «و رجل معروف.»
- «فلما أتاني الفراه و استدعاني أسرعرت فوضعت الحذاء في قدمي و دخلت المجلس» «و سلمت و جلست في مكاني. فلما دار الشراب بضع دورات قال الأمير العميد» «إن نظامي لم يأت حتى الآن. و لكن ملك الجبال أجابه على الفور: بل إنه» «قد أتى و هو جالس هنالك ...!!!»
- «فقال الأمير العميد: إنى لا أقصد هذا النظامي» بل أقصد نظاميا آخر،» «ثم إنى لا أعرف هذا الشخص ...!!!»
- «عند ذلك رأيت الملك و قد تغير وجهه، ثم التفت صوبى قائلا: هل يوجد»
- تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٢٨
- «نظامي غيرك في أى مكان ...؟ فأجبت: بلى يا مولاي يوجد اثنان آخران.» «أحدهما من أهل سمرقند و يسمونه نظامي المنيرى» و الآخر من أهل «نيسابور و يسمونه نظامي الأثري.» و أما عبدكم المائل بين يديكم فيسمونه «بالنظامي العروسي.»
- «فقال: و هل أنت خير منهما ... أم هل هما خير منك ...؟»
- «و علم الأمير العميد أنه أخطأ القول، و رأى الملك و قد تغير حاله و غضب» «فقال: يا مولاي إن الآخرين معربدان يثيران المجالس بعربدتهما و يتسببان» «في كثير من الضرر و الأذى ...!!!»
- «فقال الملك مازحا متبسطا: تمهل حتى ترى هذا النظامي يشرب خمسة» «أقداح من النبيذ ثم يلقب المجلس رأسا على عقب ...!!!» و لكن خبرني أى هؤلاء» «الثلاثة أكثر شاعرية و قدرة على الشعر ...؟ فقال الأمير العميد: لقد رأيت الاثنين» «الآخرين و أعرفهما حق المعرفة، أما هذا فلم يسبق لي رؤيته و لم أسمع إلى» «شعره، فياليت يقول في المعنى السابق بضع أبيات حتى أسمع إلى شعره و أحكم» «على ذوقه و أتمكن من أن أقرر أى هؤلاء الثلاثة أجود طبعاً و أحسن» «شعرا ...!!!» تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب النص ٤٢٨ نظامي عروسي سمرقندي: ص: ٤٢٥
- فالتفت الملك إلى و قال: هيا ... يا نظامي ... و حذار أن تخجلنا ...، و قل «ما يرغب فيه الأمير العميد»
- «و كان لي في ذلك الوقت- عندما كنت أقوم بخدمة الملك- طبع فياض» «و خاطر و هاج؛ و كان إكرامه و إنعامه يجعلان يديهي مواية دائية ...» «فلم أكد أمسك القلم و يدور الشراب دورتين حتى قلت هذه الأبيات» «الخمس» «١»:

(١) المترجم: فيما يلي نص هذه الأبيات بالفارسية:

در جهان سه نظامییم ای شاه که جهانی ز ما بافغانند

من بوساد پیش تخت شه و آن دو در مرو پیش سلطاند-

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٢٩

«- أيتها الملك!.. يوجد في العالم «نظاميون» ثلاثة، قد سارت بذكرهم» «الركبان و حجلج بأسمهم كل مكان...!!!»

«- و أنا واحد منهم أمام عرش المليك في مدينة «ورساد»، و أما الآخران» «ففي مرو عند السلطان...!!!»

«و في الحق... قد برز كل منهما في قول الشعر حتى أصبح كل منهما» «مفخرة خراسان...!!!»

«- و هما يقولان الشعر كالماء الجاري، و يقدران مواضع الكلم كلحكيم» «ذی البيان...!!!»

«- و لكنني أنا الشراب المعتق... إذا أدكتهما فإنهما يعجزان و يتخاذلان...!!!»

«فلما عرضت هذه الأبيات انحنى الأمير العميد و قال: دعك من جميع النظاميين» «فلست أعرف بين شعراء ما وراء النهر و خراسان و العراق أحد يستطيع» «ارتجال مثل هذه الأبيات الخمسة و أن يجعلها بهذه المتانة و الجزالة و العذوبة» «بحيث تكون مليئة بالألفاظ العذبة، مشحونة بأبكار المعاني.. فهاأنا» «يا نظامي... فليس لك نظير على سطح الأرض.. و يا مولاي... يا صاحب» «الجلالة... إن له لطبعا لطيفا، و خاطرا قويا، و فضلا كاملا، و قد أصبح» «نادرة زمانه بفضل إقبالك و همتك (رفعهما الله). و سيزداد شأنه علوا لأنه» «ما زال شابا في مقتبل العمر...!!!»

«فاقتد وجه الملك كثيرا، و بدت عليه باشاشة بالغة، و كال لي عبارات الإستحسان» «ثم قال: لقد منتحك منجم الرصاص في ورساد و جعلته لك منذ هذا» «العيد الأصغر حتى عيد الأضحى، فارسل عاملك حتى يشرف عليه.»

بحقيقت كه در سخن امروزه یکی مفخر خراسانند

گر چه همجون روان سخن گویندور چه همجون خردسخن رانند

من شرایم كه شان چو در یایم هر دو از كار خود فرو مانند

تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الی السعدی/ تعریب، النص، ص: ۴۳۰

«فعلت ذلك و أرسلت «إسحاق اليهودي» و كان ذلك في صميم الصيف» «فلما اشتغل الرجال استطاعوا أن يذیبوا كثيرا من هذا المعدن حتى بلغ مقداره اثني» «عشر الف من من الرصاص الخالص، أخرجوها في سبعين يوما، و كان نصيبی» «منها الخمس. و أصبح الملك يقدرني أكثر من ذي قبل بألاف المرات؛ أنا،» «الله مضجعه العزيز بشمع رضاه، و فرح روحه الشريفه برحماته و عطاياه،» «بمنه و كرمه.»

و نستطيع أن نرى من هذه الحكاية أن شاعرنا لم يكن متواضعا في تقرير مواهبه و الكشف عن مزاياه، و لكننا- حيا ل سروره الواضح عند تصريحه بهذه المواهب و المزايا- لا نستطيع إلا أن نجرد أنفسنا من كل أسلحة النقد و الهجوم، و أن نقنعنا بأن التواضع أمر قلما اتصف به شعراء الفرس أو عرفوه...!!!

و قبل أن يتطرق بنا الحديث إلى الكلام عن «الأثوري» أشهر الشعراء الملتحقين بقصر «سنجر» يجب أن نتحدث حديثا مختصرا عن شاعرين آخرين أو ثلاثة من زملائه. فهم و إن كانوا أقل شهرة منه و من سائر الشعراء الذين ذكرناهم في هذا الفصل، إلا أنهم مبرزون بين كثرة من أصحاب الشعر الجيد الذين عاشوا في هذه الفترة؛ و من الحق علينا أن نخصمهم بنظرة عابرة.

عبد الواسع الجبلي:

هذا الشاعر- كما تفيد نسبته- من أهل الولاية الجبلية «غرجستان»، و قد خرج منها إلى «هراة» ثم إلى «غزنة» حيث التحق فترة بقصر «السلطان بهرامشاه ابن مسعود» فلما سار «سنجر» لمحاربة هذا السلطان في سنة ۵۳۰ هـ- ۱۱۳۵ م استطاع هذا الشاعر كما يحدثنا «دولت شاه»، أن ينال رضا «سنجر» بقصيدة جميلة مبتكرة، نقل منها الأبيات الثمانية الآتية «۱»:

(۱) أنظر «تذكرة الشعراء» ص ۷۴

تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الی السعدی/ تعریب، النص، ص: ۴۳۱ ز دل كامل خسرو و رامین شامل سلطان تذرو و كبك و گور و مور در گشتند در گیهان

یکی همخانه شاهین، دوم همخواه طغرل سه دیگر مؤنس ضیغم، چهارم محرم ثعبان

خداوند جهان سنجر كه همواره چهار آیت بود در رایت و رای و جبین و روی او پنهان

یکی بهروزىء دولت، دوم فیروزىء ملت سه دیگر زینت دنیا، چهارم نصرت ایمان

بنان اوست در بخشش، سنان اوست در كوشش لقای اوست در مجلس، لوی اوست در میدان

یکی ارزاق را باسط، دوم ارواح را قابض سه دیگر سعد را مایه، چهارم فتح را برهان

شد اندر قرن او باطل، شد اندر عهد او ناقص شد اندر عصر او حاصل، شد اندر وقت او نقصان

یکی ناموس کیخسرو، دوم مقدار اسکندرسه دیگر نام افریدون، چهارم ذکر نوشیروان و معناها:

- بسبب ما امتاز به السلطان من عدل و أمن شامل

أصبح الأمن يشمل التدرج و الفراج البریه و حجر الوحش و النمل في كل مكان

- فأصبحت التدرج تعاشر «الشاهین»، و أصبحت الفرخه البریه قرینه للصقر.

و أصبح حمار الوحش مؤنسا للضیغم، و أصبحت النملة محرما للثعبان...!!!

- و فی ملك العالمین «سنجر» تستر أربع آیات

توجد على الدوام فی رايته و رأیه و جبينه و وجهه

- ففي رايته الظفر و الاقبال؛ و فی رأیه الفوز و تحقيق الامال

و فی جبينه زینة الدنيا و الحال؛ و فی وجهه نصره الايمان و الأبطال...!!!

- و بنانه مخصص للعطاء، و سنامه مخصص لجهاد الأعداء

تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الی السعدی/ تعریب، النص، ص: ۴۳۲

و لقاءه محبب فی مجلس الأصدقاء، و لواؤه مرتفع فی میدان الفداء...!!!

- فأما بنانه فباسط للأزراق... و أما سنامه فقابض للأرواح

و أما لقاءه فسبب للهنا... و أما لواؤه فبرهان على الفتح و المضاء...!!!

- و قد بطل شيء في زمنه... و نقص شيء في عهده

و حصل شيء في عصره... و قل شيء في وقته...!!!

- فقد بطلت سطوة «كيخسرو»... ونقصت رهبة «الاسكندر» وحصلت معدلة «أفريدون»... وقلت شهرة «انو شيروان»!!!...
و يعتمد «دولت شاه» على أسباب لا تراها كافية ولا شافية، فينكر القصة المعروفة عن «عبد الواسع الجبلي» وأنه في بداية شأنه كان فلاحا
جليفا، استطاع أن يلفت إليه نظر واحد من الأثرياء الأقياء، بشطرات من الشعر قالها على البديهة، وأخذ يرددتها دون أن يظن أن أحدا
يصغى إليه، ليطرد بها بعض الإبل التي أغارت على حقل من القطن كان يقوم على حراسته، فأخذ يقول «١»:
اشتر درازگرداندم چه خواهی کردنا
کردن دراز میکنی بنه بخواهی خوردنا و معناها:
- آيتها الإبل... يا ذات الرقاب الطويلة...!!!- إني أعلم ماذا تصنعين من حيلة...!!!
- إنك تمدين رقبتيك المستطيلة...!!!- لكي تأكلي هذه الأقطان الجميلة...!!!**

(١) يؤكد «دولت شاه» أنه لم ير هذه القصة في أي كتاب من كتب التاريخ المعتمدة، ولكن فاته أنها مذكورة في كتاب «تاريخ كزبده»
وهو من المصادر التي رجع إليها في تأليف كتابه «تذكرة الشعراء» ويعتبر من كتب المصادر التي تعتمد عليها أكثر مما تعتمد على
تذكرته.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٣٣

سوزني:

السوزني من أهل مدينة «نسف» «١» أو «سمرقند» كما يقول «دولت شاه».
واسمه الكامل «محمد بن علي لسوزني» وقد اشتهر بقول الهزليات وبرع فيها أثناء شبابه، والظاهر أن أشعاره كانت لاذعة جدا حتى
بالنسبة لأهل زمانه والوسط الذي عاش فيه؛ «٢» فإن «دولت شاه» الذي لم يعرف بالترمت اعتذر عن أن يورد شيئا من أمثلتها، بينما أحل
لنفسه في غير امتعاض أن يذكر الأخبار الفاحشة التي وقعت بين «أبي العلاء الكنجوي» و«الخاقاني»، وكذلك فعل «عوفي» فاعتبر
هزلياته مليئة بالحكمة ولكنه رأى من الخير أن يقصر عنان البيان عن إيراد أمثلتها، ودعا الله أن يغفر ذنوب هذا الشاعر الخاطيء لأنه
تاب و أناب في شيخوخته وقال جملة قصائد في التوحيد والاستغفار.
وقد ذكر عوفي أنه اشتهر بلقب «السوزني» لتعشقه غلاما جميلا كان يشغل صبيبا لرجل يحترف صناعة الإبر «٣».
وقد ذكر عوفي أيضا أن «حميد الدين الجوهري» كان من خصوم «السوزني» وقد تودلت بينهما جملة من المعارضات الشعرية.
ويذكر «دولت شاه» أن السوزني مات في سنة ٥٦٩هـ- ١١٧٣ م. كما أن صاحب «تاريخ كزبده» يقول إن الله عفا عن السوزني لقوله هذا
البيت من الشعر:
چار چیز آوردهام یا رب که در گنج تو نیست نیستی و حاجت و جرم و گناه آوردهام

(١) المترجم: «نسف» مدينة كبيرة بين جيحون و سمرقند.
(٢) أورد صاحب «تاريخ كزبده» مثلا واحدا من أشعار «السوزني» يتألف من ثلاثة أبيات من الشعر استشهد بها في تمييز رأيه بأن
«السوزني» جاوز حدود المعقول في هزلياته وقد كتب الشاعر هذه الأبيات في الواحدة والخمسين من عمره ولم يشعر فيها بشيء
من؟؟؟
أو الاستغفار. وقد ذكر «تاريخ كزبده» أن اسم «السوزني» هو «أبو بكر السلماني» وأنه من قرية «كلاش» من توابع «سمرقند».
(٣) المترجم: «سوزن» في اللغة الفارسية بمعنى: إبرة.
تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٣٤
و معناها:

- إني جالب لك... يا ربي... أربعة أشياء لا توجد في كنوزك العامرة هي: العدم والحاجة والذنوب والجرائر الجائرة...!!! و يقرر
«السوزني» نفسه أن حياته لم تخل من النقد والتجريح، وهو يقرر هذه الحقيقة ضمن قصيدة طويلة أوردها «دولت شاه» في ص ١٠٠ من
كتابه «تذكرة الشعراء».

رفتم براه دیو و فنادم بدام اووز دیو دیوتر شدم از سیرت تباه
یک روز بیگناه نمودم بعمر خویش گویا که بود بیگنهی نزد من گناه
هر گونه گناه ز اعضای من برست چون از زمین نم زده هر گونه گیاه
فردا پروز حشر که امروز منکرند اعضای من بود بر اعمال من گواه و معناها:
- لقد سرت في طريق الشيطان و وقعت في حباله الشانكة بحيث تشيطت أكثر من الشيطان، وفتته في سيرته الخاطئة...!!!
- و لم أكن في يوم من أيام حياتي مبرءا من الآثام حتى لقد خيل لي أن البراءة منها واحدة من الجرائر العظام...!!!
- و قد نمت من سائر أعضائي مختلف الجرائر والأخطاء كما تنمو الأعشاب في الأرض الخصبة المتدانة بالماء...!!!
- و اليوم إذا أنكر المنكرون ذنوبهم... ففي يوم الحشر في الغداة ستكون أعضاء بدني شاهدة على أعمالی في غير مداراة...!!! و يذكر
«دولت شاه» أن ثلاثة من الشعراء يعتبرون من تلاميذ «السوزني» و مقلديه و هم:
١- علي الشطرنجي صاحب قصيدة «اللكلك» التي أوردتها «عوفي» في كتابه لباب الألباب ج ٢ ص ١٩٩- ٢٠٠
تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٣٥
٢- جنتي النخشي «١».
٣- لامعي البخاري.

صغار الشعراء [في هذا الزمان]

[من نسي ذكرهم من الشعراء]

إشارة

من العيب أن نحاول في هذا المقام ذكر سائر الشعراء الذين عاشوا في هذه الفترة و حققوا شيئا من الشهرة أثناء حياتهم، لأن أسماءهم
قد عفى عليها النسيان و أصبح لا محيص لنا عن الرجوع إليها في كتب التواريخ و التراجم القديمة. وقد ذكر محمد عوفي في الباب

العاشر من كتابه «اللباب» - وهو الباب الذي خصصه لشعراء الفترة الأولى من عهد السلاجقة - أنه عاش في الفترة التي تنتهي بموت «سنجر» والتي هي موضوع دراستنا في هذا الفصل، اثنان وخمسون شاعرا لا يدخل في عدادهم الشعراء من الأمراء والوزراء والأطباء الذين خصص لهم عوفي الشق الأول من كتابه. ولا شك أن جماعة من هؤلاء جديرون بالذكر في أي كتاب يكون أوسع مقاما من كتابي هذا؛ ولكني لن أجرؤ على التحدث. عنهم في هذا المكان لسبب آخر هو أنني لم أكون عن شخصياتهم فكرة واضحة، ولا عن آثارهم رأيا قاطعا؛ ومن هؤلاء:

«جوهري الهروي» و«سمائي المروزي»^٢ و«أثير الدين المروزي» و«سيفي النيسابوري» و«روحي الولوالجي» و«رشيدى السمرقندي» و«أثير الدين الأخصيكتي» و«أبو المعالي الرازي» و«قوامي الرازي» و«أبو الفرج الروني» و«كوهيارى الطبرى» و«سيد حسن الغزنوي» و«عماد الدين الغزنوي» و«علي بن أبي رجاء الغزنوي»^٣.

(١) المترجم: النخشبي نسبة إلى مدينة «نخشب» من مدن ما وراء النهر بين جيحون وسمرقند؛ ويقول ياقوت في معجمه أن «نخشب» هي «نسف» نفسها.

(٢) المترجم: الهروي نسبة إلى مدينة «هراة»؛ والمروزي نسبة إلى مدينة «مرو».

(٣) المترجم: كل شاعر من هؤلاء منسوب إلى بلده. فالولوالجي نسبة إلى «ولوالج» بلد من أعمال «بدخشان» خلف بلخ و طخارستان؛ والخصيكتي نسبة إلى «إخصيكت» وهي مدينة بما وراء النهر وهي قصبه ناحية «فرغانه» على شاطئ نهر الشاش؛ والرازي نسبة إلى مدينة «الري» والروني نسبة إلى مدينة «رونه» من خطه لوهور؛ والغزنوي نسبة إلى مدينة «غزنه»؛ والطبرى نسبة إلى مدينة «طبرستان».

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٣٦

ولكني رغم إغراضى عن ذكر هؤلاء، أمثالهم، أحس بتقصيري و خلوى من دلائل الشهامة إذا أهملت ذكر الشاعرة الأولى من شاعرات الفرس ومضيت عنها في صمت و سكوت، وهي الشاعرة «مهستي».

مهستي

لا تعرف من أمر «مهستي» إلا قليلا من الأخبار، وما زال اسمها وضبطه واشتقاقه من المسائل التي لم يستقر عليها الرأي حتى الآن^١. ويبدو لي - إذا لم نسيء الظن بها كثيرا - أنها كانت طروية تزعة مرحلة النفس، وقد استخدمت «الرباعي» في أكثر أوقالها، ويقال إنها استطاعت أن تجوز رضا «السلطان سنجر» وحسن قبوله عندما غادر مجلسه في ليلة من الليالي ليتمطي جواده فلما هم بفعل ذلك وجد الثلج يتساقط ويغطي الأرض فقالت على البديهة الرباعية الآتية^٢:

شاه فلكت اسب سعادت زين كردوز جمله خسروان ترا تحسين كرد

تا در حرکت سمند زرین نعلت بر گل نهد پای زمین سیمین کرد و معناها:

- أيها المليك ... لقد أسرج الفلك لك جواد السعادة والهناء - و ميزك على سائر الملوك بالعزة والقدرة و السناء !!!

- وجعل لك الأرض فضية الأديم، ناصعة الوجه، بيضاء - حتى لا يظأ جوادك - بحدوته الذهبية - طينتها الغبراء ...!! وقد ذكروا أن «مهستي» كانت معشوقة للشاعر «تاج الدين أحمد بن الخطيب الكنجوي». ونقل صاحب «تاريخ كزیده» في كتابه جملة من الرباعيات التي

(١) يضطونها أحيانا بكسر الميم و سكون الهاء و كسر السين فيقولون «مهستي»، وأحيانا بكسر الميم و فتح الهاء و سكون السين فيقولون «مهستي»، وأحيانا بفتح الميم و سكون الهاء و فتح السين فيقولون «مهستي».

(٢) أنظر، تذكرة الشعراء، ص ٦٥.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٣٣٧

تبدلت بينهما، كما أورد بالإضافة إلى ذلك رباعيتين أخريين وجهتهما «مهستي» إلى جزار شاب كانت تعشقه و تهيم به، وقد كتب «اعتماد السلطنة» مقالا قصيرا عنها في الجزء الثالث من كتابه «خبرات حسان» و هو كتاب يتضمن سير شهرات النساء، ولكن هذا المقال لا يكشف عن جديد تتزود به بشأن حياتها و آثارها، ولم تذكره في هذا المقام إلا لنبه القارىء إلى أن الرباعية التي تسبق الأخيرة من بين الرباعيات المنسوبة إليها في هذا الكتاب إنما هي من قول شاعرة أخرى، هي «بت التجاربه» كما يقرر ذلك صاحب «تاريخ كزیده».

[فريد كاتب عماد زوزنى أو عماد الزوزنى سيد حسن الغزنوي.]

ولا بد لنا أيضا أن نذكر أن من أهم صغار الشعراء الذين ظهروا في هذه الفترة الشعراء الثلاثة الآتية أسماؤهم:

١- فريد كاتب أو فريد دبير و كلاهما بمعنى فريد الكاتب.

٢- عماد زوزنى أو عماد الزوزنى.

٣- سيد حسن الغزنوي.

وقد أنشأ «فريد الكاتب» عند هزيمة «سنجر» على أيدي «الغز» في سنة ٥٣٥ هـ - ١١٤٠ م الرباعية التالية التي اشتهرت شهرة بالغه حتى نرى لزاما علينا أن نقلها في هذا المقام:

شاه ز سنان تو جهانی شد راست تیغ تو چهل سال ز اعدا کین خواست

گر چشم بدی رسید آن هم ز قضاست کان کس که بیگ حال بماندست خداست و معناها:

- أيها المليك ... لقد استقامت الدنيا بفضل سناتك و مضانك - و تأر سيفك، أربعين سنة، من خصوصك و أعدائك

- فإذا أصابك الآن نحس ... فما ذلك إلا من تقدير قضائك - و الله وحده هو الذي يبقى على حال واحدة؛ فلا تجزئ لبلانك !!!

[«الأنوري» و «الخاقاني» و «نظامي الكنجوي»]

أما أشهر الشعراء إطلافا من بين الشعراء الذين اتصل ذكرهم بقصر «سنجر» فهو الشاعر «الأنوري» و سندرسه بالتفصيل في الفصل التالي مع اثنين آخرين من معاصريه الشبان هما «الخاقاني» و «نظامي الكنجوي» فإن لهؤلاء الثلاثة أهمية بالغه تكسبهم الحق في دراسة

واسعة مفصلة.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٣٨

التوايف الفارسية المنثورة في هذا العصر

[«حدائق السحر» «جهار مقاله» «كيمياء سعادت»]

تناولنا بالبحث فيما سبق كتابين من أهم الكتب الفارسية المنثورة التي ظهرت في هذا العصر وهما.

١- «حدائق السحر»: تأليف رشيد الدين الوطواط.

٢- «جهار مقاله»: تأليف نظامي العروضي السمرقندي.

وقد تحدثنا أيضا بعض الحديث عن «الغزالي» و مؤلفاته و يكفي أن نذكر للقارىء في هذا المقام أن أهم مؤلفاته الفارسية هو كتاب:

٣- «كيمياء سعادت»: أو كيمياء السعادة و هو عبارة عن مختصر لكتابه الموسع الذي كتبه بالعربية باسم «إحياء العلوم».

[ثلاثة كتب منثورة أخرى]

إشارة

و بقي علينا أن ننبه القارىء إلى ثلاثة كتب منثورة أخرى جديرة بالذكر و الدراسة و هي:

٤- «ذخيره خوارزمشاهي»

٥- «مقامات حميدى» و هي مقامات مكتوبة بالفارسية

٦- «كليله و دمنه» كما ترجمها «أبو المعالي نصر الله»

و سنتحدث فيما يلي عن هذه الكتب الثلاثة.

ذخيره خوارزمشاهي:

و هي عبارة عن موسوعة طبية، وضعها في بداية القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) «زين الدين أبو إبراهيم إسماعيل الجرجاني» و أهداها إلى «قطب الدين خوارزمشاه» والد السلطان «أتسز»، و هي غير جديرة بإضاعة الوقت فى التحدث عنها، لأنها لا تدخل فى دائرة الآثار الأدبية الفنيه، و هي فى رأى- عبارة عن مختصر أو تلخيص للنظريات الطبية و التجريبية التى اتبعها «ابن سينا» و خلفاؤه.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٣٩

وقد وضعها صاحبها باللغة الفارسية لتكون فى متناول الهواة الذين لا يحسنون فن الطب أو لا يجيدون معرفة اللغة العربية «١»

مقامات حميدى:

وضع هذه المقامات «القاضى حميد الدين أبو بكر البلخى» من معاصرى «الأنورى» و ممدوحه. و هي تقليد فارسى للمقامات العربية الذائعة الصيت التى وضعها «بديع الزمان الهمداني» و «الحريرى» اللذين يرجع إليهما الفضل فى إبداع هذا الأسلوب المصنوع و العمل على ترويجه.

وقد بدأ «حميد الدين» وضع مقاماته الفارسية فى صيف سنة ٥٥١ هـ- ١١٥٦ م و قد ذكر صاحب «جهار مقاله» أن هذه المقامات تعتبر نموذجا للإبلاغه و جودة الأسلوب.

و هي عبارة عن ثلاث و عشرين مقامة أو أربع و عشرين مقامة كما اشتملت عليها النسختان المطبوعتان على الحجر فى طهران و كاتپور. و قد توفى «حميد الدين» فى سنة ٥٦٠ هـ- ١١٦٤ م.

و وصف «ربو» مشتملات هذه المقامات وصفا شاملا «٢». و هي بلا شك لا تبلغ مبلغ زميلاتها العربية من حيث الموضوع و السبك و البراعة فى الأداء، و لكنها مع ذلك حازت كثيرا من إعجاب الفرس و تقديرهم كما تشهد بذلك الآيات الآتية من شعر الأنورى: «٣»
هر سخن كان نىست قرآن يا حديث مصطفى از مقامات «حميد الدين» شد اكون ترهات

(١) ارجع إلى وصف «ربو» لمحتويات هذا الكتاب فى فهرست المخطوطات الفارسية فى المتحف البريطانى ص ٤٦٦- ٤٦٨.

(٢) نفس المرجع ص ٧٤٧.

(٣) وردت هذه الآيات فى ص ٢٥١ من طبعه تيريز سنة ١٢٦٦ هـ و فى ص ٦٠٢ من طبعه لكتو سنة ١٢٩٧ م.

[المترجم: نقلت النص الفارسى عن الطبعة الأخيرة.]

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٤٠ اشك اعنى دان مقامات «حريرى» و «بديع» بيش آن درباى مالامال از آب حيات

شاد باش اى عنصر محموديا را روى تورو كه تو محمود عصرى ما بتان سومنات

از مقامات تو گر فصلى بخوانم بر غدات حالى از نامنطقى جذر اصم يابد نجات

عقل كل خطى تأمل كرد ازو گفتار عجب علم اكسير سخن داند مگر أقضى القضاة

ديرمان اى راي قدرت عالم تأيد رآقتابى بى زوال و آسمانى باثبات و معناها:

- كل كلام لا يكون من الأحاديث النبوية أو من القرآن و آياته

أصبح بعد مقامات «حميد الدين» من لغو القول و ترهاته ...!!

فاعتبر مقامات «الحريرى» و «بديع الزمان» هي دموع العميان

و أما مقامات «حميد الدين» فهي البحار المليئة بماء الحياة ..!!

- فاسعد حالا ... يا من أنت طليعة الشعراء المبرزين

و سر قدما ... فإنك «محمود» هذا العصر ... و ما نحن إلا أصنام «سومنات» «١»

و لو أنني قرأت فضلا من مقاماتك، لاستطاع في الغداة
أن ينجو الأصم الأبيكم مما به من بكم و صمم و صمم!!!
و لقد تأملك «العقل الكلي» فقال يا للعجب العجيب!!!
إنما يعرف أقصى القضاة (أي حميد الدين علم اكسير الكلام...!!)

(١) المترجم: «سومات» هي التي غزاها السلطان محمود؟؟؟ بها من أصنام

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٤١

- فعش طويلا... يا صاحب الرأي القدير... فإنك في عالم التأيد شمس لا تغرب ولا تزول، و سماء مستقرة ثابتة كل الثبات!!! و يختلف ترتيب المقامات وفقا لاختلاف النسخ. و أسماؤها في نسخة طهران تختلف عن نظائرها في النسخة المخطوطة التي وصفها الدكتور «ريو». و بعض هذه المقامات ما هو في الحقيقة إلا «مناظرات» كالمقامة المتعلقة بالشباب و المشيب و المتعلقة بالسني و الشيعي، و المتعلقة بالطيب و المنجم؛ و بعضها يتحدث عن موضوعات مختلفة كالربيع و الحب و الخريف و الجنون؛ و بعضها عبارة عن ألغاز أو أحاجي أو معميات؛ كما أن بعضها الآخر يتناول موضوعات فقهية أو تأملات صوفية. و هناك مقامتان من النوع الوصفي، وصف فيهما المؤلف مدينتي «بلخ» و «سمرقند» و لقد خيل لي أنهما تشتملان على كثير من الأخبار الحقيقية الموثوق بها، بل و على أخبار الرجال الذين عاشوا فيهما، و لكن سرعان ما تحطمت آمالي عندما تحققت بأن الناحية اللفظية قد غطت على الناحية الموضوعية و طغت عليها.

و أسلوب هذه المقامات الذي يمتاز بالتصنيع و التكلف لا يسمح بنقلها إلى لغة أخرى، لأن «الأسلوب» هو عماد هذه المقامات. و أما «الموضوع» فيعتبر أمرا ثانويا بالنسبة له، و من أجل ذلك فإننا إذا شئنا أن نعطي القارئ فكرة عن هذه المقامات في أصلها الفارسي و جب علينا أن نترجم فيها بل أن نفسر و نحاول التلخيص و التقليد، و فيما يلي مثل أخذنا من وصف مدينة «بلخ» قبل غارة «الغز» عليها في سنة ٥٤٨هـ - ١١٥٣ م و ما أصابها بعد هذه الغارة «١»:

«روى بصوب خراسان نهدام، چون بسرحد آنولایت رسیدم از واردان بلخ دیگر گونه حکایت شنیدم

و من يسأل الركبان عن كل غائب فلا بد أن يلقي بسيره؟؟؟

(١) هذه هي المقامة المشروحة في طبعه طهران و قد نقلت منها القطعة الواقعة في ص ٤٤٤

[المترجم: نشر الأستاذ علي أصغر الهمداني هذه المقامات في مدينة تبريز سنة ١٣٠٢ هـ].

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٤٢

تقاة رواة خبر دادند که مشتایی که مقصود و مقصد نه بر نمط و نسق عهد گذشته، و أيام نوشته است، آن همه نسیبها بسموم بدل شده است، و آن همه شکرها بسموم عوض گشته، از ریاحین این بساتین بجز خار نیست، و از آن آقداح آفراخ در سر جز خمار نه، معشوق را در لباس خواری و جامه سوگواری نشاید دید، و مربع یاران در خلخان بمرادی مشاهده نباید کرد
أ من أم أوفى دمنه لم تكلم

گفتم چشم بد کدام ناظر بر این ریاض ناضر باز خورد، و کدام سموم نفاق آن انتظام و انتساق را از هم جدا کرد؟! گفتند که ای جوان .. طوارق حدثان و نوازل زمان را جنس این تصرف بسیار است، و أمثال این دستبرد بی شمار، و ان الدهر ظلام، و ليس البيان كالعيان. بران تا بدانی و برو تا ببینی که ذکر غایب از جمله معایب است

و ترجمتها: «١»

«فانصرفت عن هذا المكان، و اتجهت صوب خراسان؛ فلما بلغت حدود هذه الولاية، و انتهيت إلى هذه الغاية، سمعت من بعض من وردوا مدينة «بلخ» حكاية غريبة للغاية:

و من يسأل الركبان عن كل غائب فلا بد أن يلقي بشيرا و ناعيا فقال لي التقاة من الرواة، تمهل و لا تعجل، فمقصودك و مقصدك ليسا على نمط العهود السابقة، و لا على نسق الأيام السالفة، فقد تبدلت النسائم بالسموم، و الحلوى بالسموم؛ و لم يبق من رياحين البساتين إلا- أشواكها، و لم يبق في الرؤوس من أقداح الراح إلا- خمارها، و لا يجوز رؤية المعشوق في لباس الهوان، متدثرًا بثياب الأحران؛ كما لا يجب مشاهدة مربع الأحياب، و قد رات عليه الذلة و خيم عليه الخراب.

(١) المترجم: لم يذكر الأستاذ «براون» النص الفارسي و إنما ذكر ترجمته و حاول أن يسجح العبارات الانجليزية ليعطي القارئ

الانجليزية صورة عن أسلوب هذه المقامات. و قد ترجمتها أنا أيضا مسجعة لاعتيادنا هذا الأسلوب في العربية.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٤٣ «أ من أم أوفى دمنه لم تكلم»

فقلت لهم: أي التواظر أصابت بالحسد هذه الرياض التواضر...؟! و أي سموم النفاق قد شتت هذا الانتظام و الانتساق...؟!

فقالوا لي: أيها الشاب الكريم و الفتى العظيم...!! ان طوارق الحدثان، و نوازل الزمان، لها أمثلة كثيرة من هذه التصرفات، و أشباه لا يحصها العد من هذه الكوارث و الآفات، و أن الدهر ظلام، و ليس الخير كالعيان، فقدم حتى تعلم، و اذهب بقديمك حتى ترى الأمر بعينيك، فالتحدث عن الغائب، معدود في جملة العيوب و الشوائب.

كليه و دمنه:

انتقل الآن إلى الحديث عن ثالث الكتب الفارسية المتوفرة التي ظهرت في هذا العصر، و أعني به الترجمة الفارسية التي قام بها «نظام الدين أبو المعالي نصر الله» النسخة المشهورة من كتاب «كليه و دمنه» و هي التي كتبها بالعربية «عبد الله بن المقفع».

و قد وضع «أبو المعالي» هذه الترجمة الفارسية امتثالا لأمر «بهرامشاه الغزنوي» ثم أهداها إليه. (و قد حكم هذا السلطان من سنة ٥١٢ هـ - ١١١٨ م إلى سنة ٥٤٤ هـ - ١١٥٠ م؛ و قيل إلى سنة ٥٤٧ هـ - ١١٥٣ م أو إلى السنة التالية «١»). و قد وضعها أبو المعالي على كل حال بعد سنة ٥٣٩ هـ - ١١٤٤ م كما يقول بذلك «ريو» «٢».

و قد أشار «ريو» أيضا إلى أن هذه الترجمة نالت كثيرا من الإعجاب في إيران بحيث إن مؤرخ المغول و مادحهم «الوصاف» يجعلها مثالا للفصاحة و البلاغة، كما أن صاحب «هفت إقليم» يقرر أن سائر المتنورات الفارسية لا تبلغ مبلغها من حيث الجودة و حسن السبك.

و قد طبعت هذه الترجمة على الحجر في مدينة طهران سنة ١٣٠٥ هـ - نهاية

(۱) التاريخ الأول وارد في كتاب «تاريخ كزیده» و الثاني في «روضه الصفا» و الثالث في «ابن الأثير».

(۲) أنظر: فهرست المخطوطات الفارسية المحفوظة في المتحف البريطاني ص ۷۴۵-۷۴۶

تاريخ الادب في إيران من الفردوسی الی السعدی/ تعريب، النص، ص: ۴۴۴

سنة ۱۸۸۷ الميلادية، و سأشير إلى هذه الطبعة كلما أخرجني الأمر إلى ذلك «۱».

و أول ما أقرره في هذا الموضوع هو أن الكتب العالمية التي نجحت نجاح «كليله و دمنه» قليلة جدا، كما أن الكتب التي ترجمت إلى سائر اللغات مثل «كليله و دمنه» نادرة جدا. و أصل هذا الكتاب هندي، أحضروه إلى إيران في القرن السادس الميلادي أثناء حكم «كسرى أنوشيروان» ثم ترجموه إلى اللغة «الهلوية» ثم نقلت الترجمة الهلوية مباشرة إلى اللغة السريانية و إلى اللغة العربية، ثم نقلت النسخة العربية إلى كثير من اللغات الشرقية و الغربية.

و قد وضع «كث فولكرتر» بالتفصيل تاريخ «كليله و دمنه» في كتابه الذي طبعه في سنة ۱۸۸۵ م في مطبعة جامعة كامبردج بعنوان «كليله و دمنه أو قصص بيدبا» «۲» و قد أورد في ص (۸۵) من المقدمة جداول وافية تبين لنا العلاقة بين هذه النسخ المختلفة و تواريخها، و تبين لنا أن جميع هذه النسخ منقولة عن النسخة الهلوية المفقودة التي نقلت في سنة ۵۷۰ م إلى السريانية القديمة، ثم نقلها «ابن المقفع» حوالي سنة ۱۳۳ هـ - ۷۵۰ م إلى اللغة العربية، و لا يشذ عن ذلك إلا النسخة «التيبة» فهي وحدها التي نقلت عن اللغة «السسكرتية» مباشرة.. أما سائر النسخ المعروفة من هذا الكتاب فمشتقة من نسخته العربية التي كتبها ابن المقفع؛ و يدخل في عداد هذه النسخ الترجمة السريانية المتأخرة التي وضعت في القرن العاشر أو الحادي عشر الميلادي «۳» و كذلك الترجمات اليونانية و الفارسية و العبرية «۴» و اللاتينية «۵» و الاسبانية و الإيطالية و السلافية و التركية و الألمانية

(۱) ناشر هذه الطبعة هو «محمد كاظم الطباطبائي» و قد ذكر أن هذا الكتاب طبع مرتين قبل ذلك في سنة ۱۲۸۲ هـ ثم في سنة ۱۳۰۴ هـ.

(۲) أنظر:

Keith Falconer: Kalilah and Dimnah, or the Fables of Bidpai, Cambridge. ۱۸۸۵

(۳) نشر الأستاذ «رايت Wright» هذه النسخة السريانية المتأخرة في سنة ۱۸۸۴ م.

(۴) أنظر:

Derenbourg: Deux versions hebraiques du livre de Kalilah et Dimnah

(۵) في سنة ۱۸۸۷ م نشرت كلية الدراسات العليا بباريس النسخة اللاتينية التي

تاريخ الادب في إيران من الفردوسی الی السعدی/ تعريب، النص، ص: ۴۴۵

و الإنجليزية و الدنمركية و الهولندية و الفرنسية. و آخر هذه الترجمات و أحدثها من الناحية الزمنية هي الترجمة الفرنسية التي بدأها «جاللان Galland» و أكملها «كاردون Cardonne» في سنة ۱۷۷۸ م.

و نسخة «أبي المعالي» هي أقدم الترجمات الفارسية الموجودة في أيدينا، و لم يسبقها فيما نعلم إلا الترجمة المنظومة المفقودة التي تولاها «الرودكي» قبل ذلك بسنوات كثيرة.

أما خير الترجمات الفارسية لقصة «كليله و دمنه» فهي بغير شك الترجمة التي قام بها «حسين الواظ الكاشاني» في نهاية القرن التاسع الهجري أو الخامس عشر الميلادي و قد اشتقت من هذه الترجمة النسخة الفارسية الثالثة التي تعرف باسم «عبار داتش» أي «عبار المعرفة» و هي التي وضعها «أبو الفضل» للسلطان «أكبر»، و كذلك النسخة التركية التي وضعها «علي چلبى» للسلطان سليمان الأول باسم «همايون نامه» أو الكتاب الملكي. و كلاهما من كتب القرن العاشر الهجري أي السادس عشر الميلادي.

و قد هدف صاحب «أنوار سهيلي» - كما يظهر - إلى تبسيط نسخة «نصر الله» و إذا عنها و لكنه أخفق في ذلك فكان أسلوبه أكثر تصنعا و تكلفا.

و للمقارنة بين الأساليب المختلفة لهذه الترجمات سأنقل للقارىء قصة «الثعلب و الطبل» كما وردت في سائر النسخ المختلفة، و هي القصة التي تأتي في بداية باب الأسد و التور. و فيما يلي نصها وفقا لنسخة ابن المقفع العربية «۱»:

«قال دمنه: زعموا أن ثعلبا أتى اجمة فيها طبل معلق على شجرة، و كلما هبت «الريح على قضبان تلك الشجرة حركتها فصربت الطبل فسمع له صوت عظيم» «باهر. فتوجه الثعلب نحوه لأجل ما سمع من عظيم صوته، فلما آتاه وجده ضخما»

وضعها «جون كاپوا: John of Capua» حوالي سنة ۱۲۷۰ م بعنوان Directorium vitae Humanae و قد اعتمد فيها على النسخة العربية القديمة التي اعتمدت مباشرة على نسخة ابن المقفع العربية.

(۱) أنظر طبعة بيروت سنة ۱۸۸۴ م ص ۱۰۶

تاريخ الادب في إيران من الفردوسی الی السعدی/ تعريب، النص، ص: ۴۴۶

«أيقن في نفسه بكثرة الشحم و اللحم، فعالجه حتى شقه، فلما رآه أجوف لا شيء» «فيه قال: لا أدري لعل أفضل الأشياء أجهرها صوتا و أعظمها جنة...!!!»

و فيما يلي نص هذه الحكاية في نسخة «نصر الله» الفارسية «۱»:

«دمنه گفت: آورده‌اند که روباهی در بیشه رفت. آنجا طبلی دید در پهلوی «درختی افگنده، و هر گاه باد بجستی شاخ درخت بر طبل رسیدی آواز» «سهمناک بگوش روباه آمدی. چون روباه ضخامت جته بدید، و مهابت» «آواز بشنید طمع دربست که گوشت و پوست او فراخور آواز باشد، «میکوشید تا آنرا بدرید. الحق جز پوستی بیشتر نیافت. مرکب ندامت» «در جولان کشید و گفت: ندانستم که هر کجا جته ضخم تر و آواز هایلتر» «منفعت آن کمتر...!!!»

أما «أنوار سهيلي» فيخط هذه القصة على النحو الآتي «۲»:

«دمنه گفت: آورده‌اند که روباهی در بیشه میرفت، و بیوی طعمه هر «طرف می گشت. بیای درختی رسید که طبلی از پهلوی آن آویخته بودند» و هر گاه بادی بوزیدی شاخی از آن درخت در حرکت آمده بر روی «طبل رسیدی و آواز سهمنگین از آن برآمدی. روباه بزیر درخت مرغ» «خانگی دید که منقار در زمین میزد و قوتی می طلبید. در کمین نشست» «خواست که او را صید نماید که ناگاه آواز طبل بگوش او رسید. نگاه» «کرد. جته دید بغایت فربه و آواز وی مهیب استماع افتاد. طامعه روباه» «در حرکت آمده با خود اندیشید که هر آینه گوشت و پوست او فراخور» «آواز خواهد بود. از کمین مرغ بیرون آمد و روی بدرخت نهاد. مرغ

از»

(١) أنظر طبعة طهران على الحجر سنة ١٣٠٥ هـ ص ٧٩.

[المترجم: نقلنا النص عن نسخة طهران سنة ١٣١٢ هـ ص ٨٠].

(٢) أنظر «أنوار سهيلي» طبع طهران على الحجر سنة ١٢٧٠ هـ ص ٥٨-٥٩.

[المترجم: وقد اعتمدنا نحن على نسخة كاتنور المطبوعة سنة ١٨٨٠ م ص ٩١].

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٤٧

«آن واقعه خبردار شده بگریخت، و روباہ بصد محنت بدرخت برآمد.» بسی بکوشید تا آن طبل را بدرید. جز پوستی و پاره چوبی هیچ نیافت.» «آنش حسرت در دل وی افتاد، و آب ندامت از دیده باریدن گرفت.» «و گفت: دریغ که بواسطه این جثه قوی که همه باد بود، آن صید حلال» از دست من بیرون شد، و ازین صورت بیمعنی هیچ فائده بمن نرسید...!!!»

دهل در فغانست دائم ولی، «چه حاصل چو اندر میان هیچ نیست» ١

«گرت دانشی هست معنی طلب» بصورت مشو غره کان هیچ نیست «و يبدو من هذا المثل أن نص هذه القصة كما وردت في «أنوار سهيلي» قريب جدا من أصله، و إن كان قد دخله بعض التمثيل و الزيادة. و مع ذلك فهو مشحون بالمبالغات التافهة، و الكلمات الغامضة، و التشبيهات السخيفة، و المجازات البعيدة، و التعبيرات الباردة، بحيث يمثل لنا تماما أسوأ الأساليب التي اتبعتها الكتاب المتصنعون الذين عاشوا في رعاية التيموريين فيما وراء النهر و الأجزاء الشمالية الشرقية من إيران خلال القرنين التاسع و العاشر الهجريين أو الخامس عشر و السادس عشر الميلاديين، و الذين انتقلوا- مع الاسف- في ركاب «بابر» إلى الهند فأصبحوا القدوة التي يحتذيها أهل هذه البلاد المغروم بالتعبيرات المنمقة و العبارات المزوقة. و ربما كان هذا هو أهم الأسباب التي أدت إلى أن أهل الهند لم يعجبوا على الإطلاق بالفارسية البسيطة الخالصة و لم ينتجوا فيها شيئا من الأدب، بل انتجوا طائفة متحذلقين من الكتاب ممن ينشئون بالفارسية المتكلمة، و هم يشبهون تماما طائفة المتحذلقين الذين

(١) المترجم: تختلف هذه القصة عن القصة التي رواها ابن المقفع في أنها تصور الثعلب و قد كمن في البداية ليصيد فرخة و لكنه عندما استمع إلى صوت الطبل ترك الفرخة و طمع في الطبل فلما صعد الشجرة و تحقق من حقيقة الطبل و أنه أجوف، تندم على ترك الفرخة و إفلات الصيد من يده بعبارة متنورة اتبعت بالبيتين اللذين انتهت بهما القصة.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٤٨

ينشئون حاليا بالإنجليزية المتكلمة التي تطربنا أمثلتها المضحكة الواردة في كتاب «ترجمة حياة القاضي موكرجي» ١.

و لكي أتم مقارناتي أنقل فيما يلي قصة «الثعلب و الطبل» كما وردت في النص اللاتيني الذي وضعه «جون كايوا» حوالي سنة ٦٦٩ هـ-

١٢٧٠ م اعتمادا على النسخة العربية المنقولة عن العربية، و ترجمته كما يأتي: ٢»

«يقول دمنه: كان ثعلب ينتجه نحو نهر. و كان يقربه شجرة قد علق عليها «طبل»، و كانت الريح تحرك أغصان الشجرة فتحدث صوتا، فلما رآها الثعلب «ظنها حيوانا سمينا مليئا باللحم فمزقها و لكنه وجدها خالية خاوية...!!!»

«يقول دمنه: أنني لا أعتقد أن الأشياء ذات الحجم الكبير و الصوت المرتفع «يكون لها في نفسها قوة...!!! ثم سار في طريقه و انصرف عائدا...!!!»

الكتب العربية في هذا العصر

إشارة

لم يبق علينا الآن إلا أن نذكر أهم الكتب العربية الخالدة التي تم وضعها في هذا العصر. و من الحق على أن أنه القارئ إلى أن اختيار المجموعة الجديرة بالذكر من بين هذه الكتب ليس أمرا ميسورا و لا سهلا، و من أجل ذلك فقد عمدت

(١) انظر: Biography of Honble. Chief Justice Mookerjee.

(٢) فيما يلي النص اللاتيني كما جاء في طبعه درنيورج ص ٥٠ Ait Dimna: Fuit vulpes quidam ambulans versus flumen, circa quod suspensum erat cimbalum in arbore, ventus autem ramos arboris agitabat et propulsabatur cimbalum. Et cum vulpes videret, estimavit esse aliquod pingue animal et plenum et carnibus, que cum scindere ipsum, invenit ipsum concavum et vacuum. Et ait: -Nolo credere res magni corporis et fortis vocis in se habere potentiam et

abii in viam suam. تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٤٩

إلى اختيار الكتب التي أظنها مفيدة لدراسي الفارسية باعتبارها من المراجع التي يضطرون إلى اللجوء إليها بصرف النظر عن أخوانها العربية التي ترجمها شهرة و بعد صيت.

و أهم كتاب العربية و علمائها الذين توفوا في هذا العصر

الذي ندرسه هم الآتون بحسب ترتيبهم الزمني:

١- «الزوزني»: المتوفى سنة ٤٨٦ هـ- ١٠٩٣ م، و هو عالم لغوي اشتهر بتفسيره للمعلقات السبع. و قد وضع أيضا معجمين بالعربية و الفارسية، أحدهما هو «ترجمان القرآن» ليستفاد به في قراءة القرآن و فهمه.

٢- «التبريزي»: المتوفى سنة ٥٠٣ هـ- ١١٠٩ م و هو أيضا عالم لغوي اشتهر من بين مؤلفاته «شرح الحماسه» و «شرح المعلقات». و قد كان تلميذا للشاعر العظيم «أبي العلاء المعري».

٣- «الغزالي»: و هو «حجة الإسلام» المتوفى سنة ٥٠٥ هـ- ١١١١ م و قد درسنا حياته و مؤلفاته في الفصل السابق.

٤- «الروياتي»: و هو عبد الواحد الروياتي الذي قتل واحد من الحشاشين في مدينة «آمل» عندما كان يقوم بالتدريس و المحاضرة.

٥- «الطغرائي»: صاحب «الأمية العجم» و وزير السلطان مسعود السلجوقي، و قد أعدم حوالي سنة ٥١٤ هـ- ١١٢٠ م

٦- «الحريري»: المتوفى سنة ٥١٥ هـ- ١١٢١ م، و هو صاحب «المقامات» التي ذاع صيتها، و قد أنشأها للوزير «أنو شروان بن خالد» المتوفى سنة ٥٣٣ هـ- ١١٣٨ م و هو صاحب «تاريخ السلاجقة» الذي طبعه «هوتسما» في مدينة ليدن سنة ١٨٨٩ م ضمن مؤلف البنداري.

٧- «الفراء البغوي»: المتوفى سنة ٥١٦ هـ- ١١٢٢ م و هو فقيه و محدث

- تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٥٠
اشتهر من كتبه تفسير للقرآن بعنوان «معالم التنزيل».
- ٨- «الميداني النيسابوري»: المتوفى سنة ٥١٨هـ - ١١٢٤ م وقد سار ذكره بمؤلفه الجامع للأمثال العربية.
- ٩- «ابن عبدون»: المتوفى سنة ٥٢٠هـ - ١١٢٤ م، وهو من أهل الأندلس، وقد اشتهر بقصيدته التاريخية الطويلة التي شرحها فيما بعد واحد من مواطنيه هو «ابن يدرون» المتوفى حوالي سنة ٥٨٠هـ - ١١٨٤ م.
- ١٠- «الزمخشري»: المتوفى سنة ٥٣٨هـ - ١١٤٣ م وهو من رجال المعتزلة وصاحب التفسير الكبير المعروف بـ «الكشاف» وكذلك صاحب جملة من المعاجم اللغوية بالعربية والفارسية.
- ١١- «الجواليقي»: المتوفى سنة ٥٤٠هـ - ١١٤٥ م وهو من علماء اللغة وصاحب «المعرب» في الكلمات الأعجمية المستعملة في اللغة العربية.
- ١٢- «الشهرستاني»: المتوفى سنة ٥٤٨هـ - ١١٥٣ م وهو صاحب «كتاب الملل والنحل».
- ١٣- «النسفي»: وهو نجم الدين أبو حفص عمر المنسوب إلى مدينة نسف المعروفة أيضا باسم «نخشب» وقد توفي سنة ٥٣٧هـ - ١١٤٢ م ويعتبر من أئمة فقهاء الحنفية في زمانه.
- ١٤- «الطوسي»: وهو الفقيه الشيعي المتوفى سنة ٤٦٠هـ - ١٠٦٧ م وصاحب مجموعة الكتب الشيعية التي نشرها «سپرنجر» في مدينة كلكتا سنة ١٨٥٣-١٨٥٥ م.
- ١٥- «الطبرسي»: وهو أيضا من فقهاء الشيعة، وقد توفي سنة ٥٤٨هـ - ١١٥٣ م.
- تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٥١
و أكثر هؤلاء الكتاب- كما هو ظاهر- من أصل فارسي، ولكن دراستهم بالتفصيل تعتبر من موضوعات «الأدب العربية وتاريخها» ولا مجال لها في هذا الكتاب حتى لو اتسعت لذلك صفحاته واستوعبتها أوراقه. ومع ذلك فإني أنه كل جاد في الاشتغال بتاريخ الآداب الفارسية بأن يعود نفسه على الاطلاع على أكثر مؤلفات هؤلاء الكتاب بين الفينة والفينة، لأن اللغة العربية- كما أشرنا إلى ذلك من قبل- ظلت تحافظ على مكانتها في إيران كلغة للعلوم والآداب حتى كانت غارة المغول وسقوط بغداد في منتصف القرن السابع الهجري والثالث عشر الميلادي؛ وقد ألف فيها المؤلفون أكثر كتب المراجع التي لا يستغنى عنها الطالب الجاد والدارس المتفحص، وربما كان من الخير أن أفضل الحديث قليلا عن بعض هؤلاء الكتاب ولبدأ بالباخرزي فقد توفي سنة ٤٦٨هـ - ١٠٧٥ م وكان لزاما علينا أن ندرسه في الفصل السابق لو لا ما وقعنا فيه من سهو وإغفال.

الباخرزي:

هو «أبو القاسم علي بن الحسن بن أبي الطيب الباخري» وقد اشتهر بقول الشعر وكتابة تراجم الشعراء. وقد كتب عنه صاحب «اللباب» باعتباره شاعرا، فترجم له ترجمة مطولة في الجزء الأول من كتابه في الصفحات من ٦٨ إلى ٧١، أما باعتباره من أصحاب كتب التراجم فقد استطاع «الباخرزي» أن يتم كتاب «بثيمة الدهر» الذي وضعه «الثعالبي» من قبل، فأكملة بكتابه «دمية القصر» وضمنه سير حياة ٢٢٥ شاعرا من المعاصرين وعشرين رجلا من أهل الفضل لم يؤثر عنهم شيء من الشعر «١». ومن الأسف أنه قصر عنايته على ذكر الشعراء الذين صاغوا شعرهم بالعربية، وأغفل ذكر شعراء الفرس، ولو أنه تحدث عنهم لكان حديثه صادرا لكثير من الأخبار الصادقة الصحيحة.

(١) لهذا الكتاب مخطوطتان في المتحف البريطاني تحت رقم ٩٩٤ و Add رقم ٢٣٣٧٤

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٥٢
أما أشعار «الباخرزي» نفسه فبعضها عربي وبعضها فارسي، وقد كتب عنه العوفي فقال: «لقد أصبح في اللغتين علما يرتفع فوق أرجاء العالم، وتمكن من أن يسلب فضلاء الزمان قصب السبق في هذين اللسانين».

و كان «الباخرزي» في شبابه كاتباً للسلطان «طغرل» السلجوقي ثم فضل حياة العزلة فاستقال من منصبه وعاش عيشة لاهية عابثة انتهت بمقتله في سنة ثمان وستين وأربع مائة الهجرية (١٠٧٥ م) أثناء ثورة من ثورات الشراب كما يظهر.

ويذكر «العوفي» في الجزء الأول من «اللباب الألباب» ص ٧٠، وكذلك «رضا قليخان» في الجزء الأول من كتابه «مجمع الفصحاء» ص ٣٣٣ أن «الباخرزي» أنشأ بالإضافة إلى أشعاره المتفرقة قصيدة مطولة، جعل عنوانها «طرب نامه» أو «رسالة الطرب» وأنه جعلها مكونة من رباعيات فارسية تتسلسل بحسب الترتيب الهجائي للحروف.

و فيما يلي أبيات منقولة في «اللباب» من قصيدة عربية قالها الباخري في مدح طغرل: «١»
سرنا و مرآة الزمان بحالها فالآن قد محقت وصارت منحللا
تخذ الركاب فلا تعوج بنا على طلل الحبيب ولا تحي المنزلا
و تحرك الأعطاف تشميرا بناتيميم الملك المظفر طغرلا و فيما يلي ترجمة لرباعية من رباعياته الفارسية «٢»:
- حول وجهها الأبيض ليل شديد السواد و القتام (أى الشعر)
- و تحت سكرتها (شفتيها) اثنان و ثلاثون كوكبا (أى أسنانها) تنير الظلام

(١) انظر «لباب الألباب» ج ١ ص ٦٩

(٢) المترجم: فيما يلي أصل هذه الرباعية كما وردت في ص ٧٠ في المرجع السابق

پیرامن روز قیرگون شب داردزیر دو شکر سی و دو کوبک دارد

پر سرخ گل از غالیه عقرب داردو از نوش دو تریاک مجرب دارد

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٥٣

- و فوق وردتها الحمراء (أى وجنتها) عقرب أسود هو طرتها السوداء

- و لكن لديها تریاقان مجربان (أى شفتاهما) لدفع الغمة و رفع البلاء ...!!!

و فيما يلي رباعية أخرى قالها في وصف الشراب «١»:

- إنى أريد تلك الخمر ... فهي سبب للسعادة والهناء- و اسمها الخمر ... ولكنها في الحقيقة كيميائية البهجة والصفاء ...!!!

- و هي من ماء العنب ... ولكنها كالعنب قانية حمراء- و هي ماء عجيب ... يلهب الوجنت بالناز و البريق والضياء ...!!! و فيما يلي

رباعية أخرى يقال إنه أنشأها في حالة الترع «٢»:

- إنني ذاهب .. فتعال الآن وانظر إلى قبل الرحيل- وانظر إلى وأنا أتعدب في هذا الحال المؤلم الويل
- ثم انظر إلى هذه الحجارة من فوقى و إلى يدي من تحتها- و إلى فراق الأحبة ... و إلى سيف الأجل القاطع الثقيل ...!! و قد رثاه
شاعر اسمه «عياضى» بالبيتين الآتين «٥٣»:
مسكين على حسن كه از آن شوم كارزارى جرم چون حسين على كشته گشت زار

(١) المترجم: فيما يلي أصل هذه الرباعية كما وردت في صفحة ٧٠ في المرجع السابق
زان می خواهم كه خرمى را سبب استنامش می و كيميای شادى لقب است
سرخست چو عناب و از آب عنب است آبی كه برخ بر آتش آرد عجب است
(٢) المترجم: فيما يلي أصل هذه الرباعية كما وردت في «الباب الالباب» ج ١ ص ٧١
من می روم بیا مرا سير به بين وين حال بصد هزار تشوير به بين
سنگی ز بر و دست من از زیر به بين وز يار بر يدي بشمشير به بين
(٣) نفس المرجع و الصحيفه

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٥٤ شيرى بد او كه بود ادب مرغزار او گر كشته شد عجب
نود شير مرغزار و معناها:

- مسكين «على بن الحسن» فقد وقع في هذا العراك المشؤم- و قتل بغير جريرة كالحسين بن على الشهيد المظلوم ...!!
- و قد كان أسدا ... و كان الأذب غريبه و واديه- و لا عجب إذا قتل الأسد في مأسده و بواديه ...!!

الروائي:

هو فقيه الشافعية «عبد الواحد بن اسماعيل الروائي» الملقب أثناء حياته بلقب «فخر الاسلام» و بعد مماته بلقب «الإمام الشهيد». و أهم ما يذكر عنه هو طريقة استشهاده و قد أوردها «ابن أسفنديار» في كتابه «تاريخ طبرستان» على النحو الآتي: «١»
«و قد اشتهر بنفاذ البصيرة و صدق الحكم، بحيث أنه عندما طلب الملاحدة» «٢» «في أيامه الفتوى كتابه في مسألة قدموها إلى العلماء على النحو الآتي: ماذا» «يقول علماء الإسلام في قضية اتفق فيها الشاكي و المشكو في حقه على قول» «الترما فيه العدل و الحق، و لكن اعترض دعوتهما شاهد من الشهود فأنكر» «دعوى الشاكي و إقرار المشكو في حقه ... فهل تقبل شهادته أو ترفض ...؟» «و قد كتبوا هذا الاستفتاء على الورق و أرسلوا به إلى المدينتين المقدستين مكة» «و المدينة، فأفتى فقهاء المدينتين و كذلك أئمة بغداد و سوريا بأن شهادة الشاهد»

(١) أنظر ترجمتي المختصره لهذا الكتاب ص ٧٥-٧٦ و هي منشورة في المجلد الثاني من «سلسلة جب التذكارية» و به أصل القطعة باللغة الفارسية

(٢) سميت جماعة الحشاشين باسم «الملاحدة» و عرفوا بهذه التسمية في إيران خاصة
تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٥٥

«مرفوضة، لا يقبل سماعها؛ و لكنهم عندما قدموا الورقة المتضمنة لهذا الاستفتاء» «إلى الروائي، حدق فيها ثم التفت إلى مقدمها و قال له: أيها الملعون التاعس» «إن غفلتك ستجلب لك الهلاك الويل ...!! ثم أمر بحبسها، و جمع رجال القضاء» «و الشرع و قال لهم: لقد كتب الملاحدة هذا الاستفتاء، و هم يقصدون بالشاكي» «و المشكو في حقه النصارى و اليهود، و أما الشاهد الذي يعنونه فهو النبي عليه» «الصلوة و السلام لأن القرآن يقول: و ما قتلوه و ما صلبوه و لكن شبه لهم» «فلما سألوا الملحد في هذه المسألة اعترف لهم بأنه ظل سنة كاملة ينتقل من» «مكان إلى مكان يجمع الفتاوى و الإجابات، فأمروا برجمه؛ و اجتمع أهل» «آمل» فرجموه بالحجارة حتى مات. ثم أمر فخر الإسلام الروائي بلعنه» «الملاحدة و من ينتمى إليهم. فأثار عمله هذا حفيظتهم، فأرسلوا إليه جماعة» «من الفدائيين قتلوه غيلة بالمدى على باب أحد أروقة المسجد الجامع بمدينة» «آمل من الناحية التي تنصب فيها منارته. و ما زالت المدينة التي استعملت في» «قتل هذا الإمام الشهيد محفوظة في الرواق الذي كان يقيم فيه بالمدرسة و قد» «شاهدتها بنفسى جملة مرات»
و قد كان غرض «الحشاشين» و ما يهدفون إليه من وراء هذا الاستفتاء هو أن يسخرها من فقهاء الإسلام بأن يثبتوا لهم أن الشريعة الإسلامية تتنافى مع الفقه الإسلامي تمام المنافاة، فإن النصارى و هم الشاكون في هذه القضية، يتهمون اليهود و هم الجناة و المتهمون فيها بأنهم قتلوا «المسيح» و صلبوه، و اعترف اليهود بصحة التهمة المنسوبة إليهم و قبلوا الآثار المترتبة على جريمتهم، و لكن النبي محمدا يذهب مذهب بعض الفرق الغنوصية «١» فينكر أن اليهود قد صلبوا المسيح، و بذلك يشهد ضد الشاكي و ينكر في الوقت نفسه إقرار المتهم. و قد قبل المسلمون جميعا شهادة نبيهم في هذا الموضوع قبلوها في مواضع أخرى؛ و لكنهم لو اتبعوا آراء فقهاءهم و علمائهم

(١) فرقة من المسيحيين تذهب إلى أن طريق الخلاص هو المعرفة و ليست العقيدة

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٥٦

لما وجدوا ما يبرر قبولهم لهذه الشهادة. و قد استطاع «الروائي» بنفاذ بصيرته و سرعة حكمه أن يكشف موضع الفسخ الذي نصبه الملاحدة، فأثار بذلك دهشتهم و إعجابهم و لكنه في الوقت نفسه أثار حفيظتهم عليه حتى قتلوه غيلة في النهاية.

الحريري:

درسنا فيما سبق هذا الأسلوب المصنوع المتبكر الذي تمتاز به سائر «المقامات» سواء ما كتب منها بالعربية كمقامات «بديع الزمان الهمداني» و مقامات «الحريري» أو ما كتب بالفارسية كمقامات «حميد الدين البلخي»، و لم تعد بنا حاجة إلى التمهّل في هذا المقام لدراسة أسلوب الحريري خاصة، فهو الملك المتوج على رأس هؤلاء الكتاب الذين تخصصوا في هذا الأسلوب المتكلف، كما أن «بديع الزمان الهمداني» هو أول السابقين إلى ابتكاره و ترويجه. يضاف إلى ذلك أن مؤلفات «الحريري» قد درست و شرحت و ترجمت أكثر من مرة في بلاد الشرق و أوروبا، بحيث أن محاولة الحديث عن هذه الدراسات و الشروح و الترجمات تستوعب في مجموعها أكثر مما استوعبته صفحات هذا الكتاب كما إنها تصرف القارئ عن كثير من المسائل الهامة التي بينها «دى ساسى» في طبعته الأنيقة للمقامات في باريس سنة ١٨٢٢ م، أو التي تحدث عنها «تشرنى Chenery» في الصفحات المائة التي قدم بها الجزء الأول من ترجمته للمقامات المطبوعة في لندن سنة ١٨٦٧ «١»، أو التي توجد في التقليدات الألمانية لأسلوب المقامات كما اشتمل

عليها المجلد الثاني من كتاب «فون كريم» عن «تاريخ الأدب الشرقي» ٢٠٠٢ أو في غير ذلك من المؤلفات المتعلقة بالأدب العربية. و يقرر «الزمخشري» في بيت من الشعر، كتبه «دي ساسي» على اتلاف؟؟؟ طبعته

(١) أنظر: Chenery: Assemblies or Maqamat, London ١٨٦٧

(٢) أنظر: Von Kremer: Culturgeschichte des Orients. vol II pp ٤٧٠-٤٧٦ تاريخ الادب في ايران من

الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٥٧

أن مقامات «الحريري» حربة بأن تكتب بماء الذهب؛ و هو في هذا يعبر عن رأي مواطنيه فيه، و لكنه يخالف في ذلك آراء جملة من كبار المستشرقين الممتازين.

و مهما كان الأمر فإن المراجع المتعلقة بدراسة هذه المقامات وافرة و كثيرة و زائدة.

أما صاحب المقامات، فيمكن أن نذكر عنه أنه ولد في البصرة في سنة ٤٤٦ هـ - ١٠٥٤ م و أنه مات بها في سنة ٥١٥ هـ - ١١٢١ م و قد كان ضئيل الحجم، زري المظهر، يقتلع شعرات ذقنه إذا اشتغل بالتفكير و الكتابة، و لكنه مع ذلك كله كان موضعاً لتقدير الوزير «أنو شروان بن خالد» و رعائته، و قد كتب «المقامات» بناء على طلبه و جعل إهداءها إليه «١».

أنو شروان بن خالد:

هذا الوزير جدير بالذكر في هذا المقام لأنه صاحب الرسالة المشهورة عن تاريخ السلاجقة، و هي الرسالة التي طبعها «هوتسما» عند تحقيق تاريخ البنداري و جعلها الجزء الثاني من «مجموعة النصوص المتعلقة بتاريخ السلاجقة» ٢٠٠٢.

و قد جمع «هوتسما» في مقدمته (ص ١١-٣٠) جميع ما يعرف عن هذا الوزير، و لكنني وجدت عنه نبذة في مخطوطة لكتاب «عيون الأخبار» محفوظة بمكتبة جامعة كامبردج تحت رقم ٩٢٢ ر ٢.

Add

بالورقة ١٢٦ فنشرتها في ص ٨٦١-٨٦٢ من مجلة الجمعية الملكية الأسيوية لسنة ١٩٠٢. و فيما يلي خلاصتها كما جاءت تحت سنة ٥٣٢ هـ - ١١٣٧ م.

«و فيها توفي أنو شروان بن خالد بن محمد القاشاني أبو نصر الوزير. مولده بالري»

(١) أنظر ص ٥ من طبعه «دي ساسي» للمقامات، و كذلك ص ١٢ من مقدمه «هوتسما» لتاريخ البنداري و كذلك ص ٢٧٦ من الجزء الأول من كتاب «تاريخ الآداب العربية» لبروكلمان

(٢)

١٨٨٩. Houtsma: Recueil de textes relatifs a l'histoire des Seljoucides, Leyden. تاريخ الادب في

ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٥٨

«سنة تسع و خمسين و أربعمئة. تنقلت به الأحوال إلى أن ولي وزارة السلطان «محمود [بن محمد بن] ملكشاه سنة سبع عشرة و خمس مائة و قدم معه بغداد» «و استوطنها، و كان يسكن بالحریم الظاهري في دار على شاطيء دجلة. و عزل» «عن الوزارة ثم أعيد إليها ثم قبض عليه السلطان و اعتقله ثم أفرج عنه» «و استوزره الامام المسترشد في أواخر سنة ست و عشرين و أقام مدبراً إلى» «أن عزل سنة ثمان و عشرين و أقام بمنزله في الحریم الظاهري مكرماً إلى» «أن توفي في هذه السنة (٥٣٢ هـ)، و كان من الصدور الأفاضل موصوفاً بالجدود» «و الكرم مخياً لأهل العلم، و كان قد أحضر إلى داره أبا القاسم بن الحصين لسمع «أولاده منه مسند ابن حنبل بقراءة أبي محمد بن الخشاب و أذن للناس عامة» «في الحضور لسماعه فحضره الجم الغفير و سمعه خلق كثير، و لابن جكينا» «الشاعر فيه أمداح و أهاجي. فمن أمداحه فيه قوله:»

»

سألوني من أعظم الناس قدراقلت مولاهم أنو شروان

«و إذا أظهر التواضع فيناهو من آبه الرفيع الشان

«و متى لاحت النجوم على صفحة ماء فهن غير دواني» «و كتب إليه القاضي ناصح الدين الأرجاني يطلب منه خيمة، فلم يكن عنده، فبعث إليه صرة فيها خمس مائة دينار و قال: اشتر خيمة: فقال الأرجاني:»

لله در أبي خالد رجلاًحيا لنا الجود بعد ما ذهب

«سألته خيمة ألوذ بها فجاد لي ملء خيمة ذهب» «و كان هو السبب في عمل مقامات الحريري، و إياه عنى الحريري في أول «مقاماته بقوله: فأشاره من أشارته حكم و طاعته غنم. و كان أنو شروان» «يشجع سامحه الله تعالى ...»

الزمخشري:

أما العالم اللغوي و المفسر المعتزلي «أبو القاسم محمد بن عمر الزمخشري» فجدير منا بكمالات قليلة. ولد هذا الرجل في مدينة خوارزم (و هي مدينة خيوة الحديثة) في سنة ٤٧٦ هـ - ١٠٧٤ م و مات بالقرب منها في سنة ٥٣٨ هـ - ١١٤٣ م.

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٥٩

و قد أقام بعض الوقت في مدينة مكة، فأسماء الناس من أجل ذلك ب «جار الله» و قد كان من أقوى المعارضين لمذهب الشيعوية، و هو المذهب الذي كان يفضل العجم على العرب في كل شيء، و لكنه مع ذلك وضع معجماً عربياً فارسياً لينتفع به مواطنوه و قد نشره «فترشتانين» في مدينة ليرج سنة ١٨٤٤ م ١٠٠.

و أهم مؤلفاته هي الكتب الآتية، و جميعها مكتوبة باللغة العربية:

١- الكشاف: و هو تفسير كبير للقرآن

٢- المفصل: و هو كتاب معروف في قواعد اللغة العربية

٣- كتاب الأمكنة و الجبال و المياه: و هو عبارة عن معجم جغرافي.

٤- أطواق الذهب.

الشهرستاني:

هو «أبو الفتح محمد بن أبي القاسم بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني» نسبة إلى «شهرستان» في ولاية خراسان. وقد ولد سنة ٤٧٩ هـ - ١٠٨٦ م و زار بغداد في سنة ٥١٠ هـ - ١١١٦ م و بقي بها ثلاث سنوات. و توفي في النهاية في بلدته سنة ٥٤٨ هـ - ١١٥٣ م. و قد ألف كتابين أو ثلاثة كتب قليلة الأهمية ثم ألف في سنة ٥٢١ هـ - ١١٢٧ م كتابه المعروف «الملل و النحل» و قد نشره «كورتون Cureton

» في سنة ١٨٤٦ م كما ترجمه إلى الألمانية في سنة ١٨٥٠ للدكتور «تيودور هاربروكر». و قد ظل هذا الكتاب مدة طويلة، المرجع الأول و الوحيد لجميع الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع الهام، حتى تم الآن في مدينة القاهرة طبع كتاب يحمل نفس هذه التسمية و لكنه أسبق

(١) المترجم: صحه هذا التاريخ هو سنة ١٨٤٣ م أنظر Persicum, Lipsiae تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٦٠ منه زمنا و أوفى موضوعا، و هو كتاب «ابن حزم» الفقيه الأندلسي الظاهري «١»، المولود في سنة ٣٨٤ هـ - ٩٩٤ م و المتوفى سنة ٤٥٧ هـ - ١٠٦٤ م

و قد كان الفضل في حصولي على نسخة جميلة من هذا الكتاب الهام، و هو شرف لم يفز به الا قليل من المحظوظين، راجعا إلى صديقي و أستاذي المأسوف عليه مفتي مصر الأكبر الشيخ «محمد عبده» الرجل العظيم و الأستاذ القدير و أعمق مفكري الإسلام في هذه الأيام.

(١) كتاب «الملل و النحل» لابن حزم طبع القاهرة سنة ١٣١٧ - ١٣٢١ هـ - ١٨٩٩ - ١٩٠٣ م تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٦١

الفصل السادس الشعراء الأربعة النابون في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي (السادس الهجري)

إشارة

- ١- الأنوري
- ٢- الخاقاني
- ٣- نظامي الكنجوي
- ٤- ظهير الفاريابي

مقدمة:

سأنحرف في هذا القسم قليلا عن تتبع النظام التاريخي الذي راعيته حتى الآن لكي أستطيع أن أدرس في وقت واحد أربعة شعراء من الشعراء الذين ينسبون إلى الفترة الأخيرة من الدولة السلجوقية. و هؤلاء الشعراء الأربعة يعتبرون، باتفاق آراء مواطنهم في عداد كبار الشعراء الذين أنشدوا القصيد في إيران.

و لم يكونوا جميعا متعاصرين بالمعنى الدقيق، كما لا يمكن أن نعتبر غير واحد منهم من شعراء السلاجقة، و لكننا نجتمعهم في هذا الفصل فنقوم بدراستهم و المقارنة بينهم، و ذلك لما لهم من مكانة خاصة في الأدب الفارسي، تدعونا إلى الإفاضة في الحديث عنهم، و إعطائهم ما هم جديرون به من عناية و اهتمام.

هؤلاء الشعراء الأربعة هم:

- ١- أنوري الخاوراني من أهل خراسان:
- عاش بعد «سنجر» مدة ثلاثين أو أربعين سنة و لكنه اشتهر على أيام «سنجر»
- ٢- خاقاني شاعر شروانشاه:
- ولد في «كنجه» (الآن اسمها اليزاقبول) في سنة ٥٠٠ هـ (١١٠٦ - ١١٠٧ م)
- تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٦٢
- ٣- نظامي:

ولد أيضا في «كنجه» بعد الخاقاني بخمس و ثلاثين سنة (٥٣٥ هـ).

٤- ظهير الدين الفاريابي:

ولد في «فارياب» بالقرب من بلخ، و اتصل في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي (-السادس الهجري) بطلانشاه في «نيسابور»، و جسام الدولة اردشير في «مازندران» و الأتابكة في «أذربيجان» ثم مات في النهاية في مدينة «تبريز» عند مطلع القرن الثالث عشر الميلادي (-السابع الهجري).

١- الأنوري

[شهرة «الأنوري»]

أقدم هؤلاء الشعراء و أكثرهم شهرة هو «الأنوري». و اليتان التاليان المعروفان يجعلانه واحدا من ثلاث شعراء يعتبرون أكبر من أنجتهم إيران على الإطلاق:

در شعر سه تن پیغمبراند قولیست که جملگی برآند

فردوسی و أنوری و سعدي هر چند که لا نبی بعدی و معنی هذين البيتين:

- للشعر ثلاثة أنبياء، و هذا قول يتبعه الجميع:

- الفردوسي و الأنوري و السعدي، ثم بعد ذلك لا نبی بعدی.

و من الصعب على مستشرق أوروبي يدرس الفارسية، مهما حاول احترام آراء النقاد من الفرس، أن يتابع هذا القول فيجعل «الأنوري» مساويا للفردوسي أو «السعدي» أو يجعله في مرتبة أعلا من مرتبة «ناصر خسرو» أو «النظامي». ذلك لأن «المدايح» و هي الكثرة المطلقة من أشعار «الأنوري» لا تستطيع أن تلمس إلا قلب الممدوح مهما اجتهد الشاعر في تنميقها و تديجها. و من رأى أحد أصدقائي و هو «ميرزا محمد قزويني»، العالم الفاضل الذي كان من حسن حظي التعرف عليه، أن شهرة الأنوري تعتمد

أصلا على القصائد التي لم يكن غرضها «المدح». وربما كانت هذه النظرة هي أصوب الآراء وأقربها إلى الدقة.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٦٣

و لم يكن الأنوري مبرزا في قول «الغزل» أو «الرباعي» أو ما شابه ذلك من فنون النظم و ضروبه و لكن شخصيته كانت قوية واضحة فيما قال من «مقطعات»

مصادر دراسة الأنوري

و ليس في أيدينا عن حياة «الأنوري» إلا القليل من الأخبار الصحيحة التي يمكن أن يعتمد عليها، و لكننا لو درسنا أشعاره دراسة دقيقة لأمكننا بلا شك أن نحصل على كثير من المعلومات التي ما زالت خافية عنا من نواحي حياته. و للأسف لا تمدنا المصادر الأخرى إلا بالقليل من الأخبار التي لا يمكن الوثوق منها.

أما عوفي في كتابه «اللب الألب» (الجزء ٢ ص ١٢٥-١٣٨) فلا يخبرنا -كعادته- بشيء عنه، إلا أنه كان مبرزا في النجوم و الهندسة و المنطق؛ و هذه حقيقة معروفة لدينا من مصادر أخرى، و على الخصوص من قصائده مروية في «تاريخ كزبده»^١ حيث يذكر هذه العلوم و يضيف إليها الموسيقى و الإلهيات و الأحكام، بل و كل علم نظري أو عملي يعرفه واحد من معاصريه.

(١) أنظر هذه القصيدة و ترجمتها في ص ٧-٨ من مقالتي المنشورة في مجلة الجمعية الأسيوية الملكية عدد أكتوبر سنة ١٩٠٠ عن «شعراء الفرس المذكورين في كتاب تاريخ كزبده»

Biographies of Persian Poets contained in the Tarikh- i- Guzida J. R. A. S. October ١٩٠٠

و النص أيضا موجود في طبعة لكتو على الحجر سنة ١٢٩٧ هـ (١٨٨٠ م) ص ٧٠٤ و ٧٠٥ و في ص ٨١٣ طبعة «براون» المنشورة في «سلسلة جب التذكارية» طبع لندن سنة ١٣٢٨ هـ (١٩١٠ م) و هذه الأبيات هي التالية:

گرچه در بستم در مدح و غزل یکبارگی ظن میر کز نظم الفاظ و معانی قاصر
بلکه از هر علم کز اقران من داند کسی خواه جزوی گیر انرا خواه کلی قادرم
منطق و موسیقی و هیات شناسم آندکی راستی باید بگویم بانصیبی وافر
در الهی آنچه تصدیقش کند عقل صریح گر تو تصدیقش کنی در شرح و بسطش ماهر
نیستم بیگانه از اعمال و احکام نجومور همی باور نداری رنجه شو من حاضر
تاریخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٦٤

نشأة الأنوري:

و الأنوري وفقا لما يقوله دولتشاه (ص ٨٣-٨٦ من طبعتي) ولد في قرية «مهنة» من قرى «أبيورد» في صحراء «خاوران»، و من أجل ذلك تخلص في البداية بكلمة «الخاوري» ثم غيرها فيما بعد إلى «الأنوري»

و قد حصل علومه في المدرسة المنصورية بمدينة «طوس» حيث قضى سنوات تعلمه في فقر و إملاق، و في يوم من الأيام - كما تقول الروايات - مر بباب المدرسة رجل جليل الهيئة قد امتلأ صهوة جواده، و في أثره كثير من الخدم و الحشم، فسأل الأنوري عنه فقالوا له: إنه شاعر... فقال الأنوري: «سبحان الله...! أهكذا أظن فقيرا مسكينا و قد بلغت النهاية من العلم...؟! و يكون هو غنيا مع ما يعرف من هوان أمر الشعر...!! سيما برب العزة و الجلال لأجعلن الشعر شغلي بعد اليوم و لو أنه أقل مراتبي و أهون ما حصلت...»^١ ثم انبرى في هذه الليلة فأنشأ قصيدته المعروفة في مدح السلطان «سنجر» و مطلعها:

گر دل و دست بحر و کان باشددل و دست خدایگان باشد و معناه:

- إذا استطاع القلب و الكف أن يكونا بحرا و منجما للدرر و الجواهر فإن قلب المليك و كفه هما البحر و المنجم لما يوجدان به من عطاء وافر!! فلما أصبح الصباح تقدم إلى السلطان «سنجر» و أنشده قصيدته، فاستحسنها السلطان و سأله عن الجزء الذي يريد منه، و هل يفضل الالتحاق بخدمته أم الحصول على عطاء مالي...؟! فقبل «الأنوري» الأرض بين يديه و قال له بيته المشهور:

(١) المترجم: أنظر ص ٨٣ من «تذكرة الشعراء» و قد اعتمدنا في الترجمة على الأصل الفارسي لأنه أقرب إلى الروح العربية. تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٦٥ جز آستان توام در جهان پناهی نیست سر مرا بجز این در حواله گاهی نیست «١» و معناها:

- هذه أعتابك... و لا ملجأ لي في العالم إلا هذه الأعتاب... و هذا بابك... و لا معصم لرأسي إلا في هذا الجنب...!! عند ذلك أمر له «سنجر» بمرتب شهري و بخلعة طيبة ثم استصحبه معه إلى مدينة «مرو».

و يؤخذ من أبيات مروية في تذكرة الشعراء (ص ٨٤) أن «خاوران» أنجبت أربعة من الأفاضل ليس لهم خامس. أحدهم «الأنوري» و ثانيهم «أبو علي أحمد ابن شادان» الذي كان وزيرا ل «طغرل بيگ» و ثالثهم الأستاذ «أسعد مهنة» من فحول العلماء المعاصرين للغزالي و المناظرين له، و رابعهم الصوفي المعروف «أبو سعيد ابن أبي الخير» الذي ترجمنا له فيما سبق؛ و نص هذه الأبيات كما يلي «٢»:

تا سپهر صبت گردان شد بخاک خاوران تا شیانگاه آمدش چار آفتاب خاوری

خواجه چون «بو علي شادان» وزير نامدار عالمي چون «أسعد مهنة» ز هر شینی بری

صوفي صافي چو سلطان طريقت «بو سعيد» شاعر قادر چو مشهور خراسان «أنوري» و قد أقدم «الأنوري» رغم علو منزلته في علم النجوم، على إخراج حكم من أحكامها لم يتحقق، و كاد يقضى على ما عرف عنه من منزلته و شهرة في هذا العلم.

و تفصيل الخبر: أن الكواكب السبعة السيارة اجتمعت على عهد «سنجر» في برج الميزان، فقرر الأنوري أنه سينتج من اجتماعها في هذا البرج أن تنور العواصف في هذا الشهر، فتقلع البنايات من أساسها و الأشجار من جذورها،

(١) المترجم: الظاهر أن «حافظا الشيرازي» أخذ هذا البيت و جعله مطلقا للغزل رقم ٤٠ من غزلياته. أنظر ترجمتي العربية المنشورة تحت عنوان «أغاني شيراز».

(٢) المترجم: أضفنا هذه الأبيات بنصها الفارسي و ليس لها وجود في الأصل

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٦٦

و تخرب المدن و البلاد... فخاف عوام الناس من هذا التقرير و حفرُوا السرايب ليحتموا فيها عند وقوع الواقعة... فلما حلت الليلة التي حددها «الأنوري» لم يثر من الريح ما يكفي لإطفاء شمعة أشعلوها و رفعوها على منذنة من مآذن المدينة...!! فلما عاتبوه على خطأ

تقديره، اعتذر بأن آثار القرانات لا تظهر فجأة، وإنما تحتاج إلى شيء من المهلة والتدرج... ولكن مضت على ذلك سنة كاملة و الرياح على غاية من الهدوء والضعف بحيث لم يكف هبوبها لتذرية المحصول واضطروا إلى إبقائه في بيادته على حاله حتى الربيع التالي...!!

وقد قال «فريد الكاتب» يبين من الشعر بين فيهما بطلان حكم الأنوري، هذا نصهما:

گفت انوری که از جهت بادهای سخت ویران شود عمارت و که نیز بر سری

در روز حکم او نوزیدست هیچ بادیا مرسل الرياح تو دانی و آنوری و ترجمتهما:

- قال الأنوري: إن الرياح العاصفة ستخرب العمارات وتقتلع الجبال ...

- فلما كان اليوم الذي حدده، لم تهب الرياح بل سكنت ... فإمرسل الرياح أنت أدري بالحال...!!

وقال أيضا البيهقي الآتين في هذا المعنى:

می گفت آنوری که درین سال بادهاچندان وزد که کوه بچنبد تو بنگری

بگذشت سال و برگنجید از درختای مرسل الرياح تو دانی نه آنوری و معناها:

- قال الأنوري إن الرياح ستهب في هذا العام بشدة بحيث تزعج الجبال عن مكانها

- فانقضى عام بطوله ولم تحرك الرياح أوراق الأشجار.. فإمرسل الرياح أنت عالم بحالها... لا الأنوري!!

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٦٧

و المشهور أن قران الكواكب الذي أشار إليه «الأنوري» وقع في شهر رجب سنة ٥٨١ هـ (أكتوبر سنة ١١٨٥ م) أو في السنة التالية كما أشار إلى ذلك «إتبه» ١١، وعلى ذلك يكون موت الأنوري قد حدث بعد هذا التاريخ قطعاً، لا كما يقول أصحاب كتب التراجم من أقوال متناقضة (ربما تتناقض باختلاف الأمكنة من الكتاب الواحد) حينما يجعلون وفاته بين سنة ٥٤٥ هـ و ٦٥٦ هـ - ١١٥٠ - ١٢٥٨ م).

[رسالة الأستاذ «فالتين زوكوفسكي بعنوان «أوجد الدين الأنوري»]

[هذه الرسالة مكتوبة باللغة الروسية]

antin

سأله كتب عن «الأنوري» هي التي نشرها الأستاذ «فالتين زوكوفسكي zhukovski

١٨٨٣ بعنوان «أوجد الدين الأنوري».

و من أسف، أن هذه الرسالة مكتوبة باللغة الروسية، و من أجل ذلك فهي عسيرة على أغلب المستشرقين، ولكن الدكتور «پرتش W Pertshe» - أصبح يديننا بفضل جديد هو أنه لخص لنا الجزء المتعلق بحياة الشاعر ونشره في الجزء الثاني من «الصحيفة الأدبية للفيلولوجيا الشرقية، لبيزج ١٨٨٤»:

Litteratur- Blatt fur orientalische Philologie, Leipzig, ١٨٨٤

و الرسالة الروسية الأصلية تحتوي على:

مقدمات من ٢٤ صحيفة و ١٤٦ صحيفة في صلب الموضوع ثم ٩٠ صحيفة من النصوص الفارسية، و تشمل على الفصول الآتية:

مقدمة - ز

تمهيد ح - خ

(١) يشير ابن الأثير إلى أن هذا القران وقع بين خمسة كواكب (لا سبعة) في ٢٩ جمادى الآخرة سنة ٥٨٢ هـ (١٦ سبتمبر سنة ١١٨٦ م) و يشير إلى أحكام المنجمين و خطأهم بقوله:

«كان المنجمون قديما و حديثا قد حكموا أن هذه السنة في التاسع و العشرين من جمادى الآخرة تجتمع الكواكب الخمسة في برج الميزان و يحدث باقترانها رياح شديدة فلم يكن لذلك صحة و لم يهب من الرياح شيء البتة حتى أن الغلال (الحنطة و الشعير) تأخر إنجازها لعدم الهواء الذي يذرى به الفلاحون. فأكذب الله أهدوئة المنجمين و أخزاهم ...».

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٦٨

الفصل الأول: حياة الأنوري ١- ٣٠

الفصل الثاني: حياته الأدبية و خصائصه ٣١- ٧٨

الفصل الثالث: شروح الأنوري و خاصة شرح أبي الحسن الفراهاني ٧٩- ٩٧

الفصل الرابع: لغة الأنوري و مؤلفاته ٩٨- ١٠٢

ترجمة لبعض القصائد: ١٠٣- ١٣٥

ترجمة لبعض الغزليات ١٣٥- ١٣٧

لوحة لبيان السنوات الهجرية و ما يقابلها من السنوات الميلادية في الفترة الواقعة بين سنتي ٢٣٥ هـ - ١٢٧٣ هـ ١٣٨ - ١٤١

أما الجزء الثاني الذي يشتمل على النصوص الفارسية فقوامه ما يأتي:

ست قصائد ... الأولى منها كاملة الشرح، و الخمس الأخريات عليها تعليقات ص ٢- ٧٢

أربع غزليات مختارة ٧٣- ٧٦

ترجمة حياة الأنوري كما وردت في «تذكرة الشعراء» تأليف دولتشاه ٧٨- ٨٣

ترجمة حياة الأنوري كما وردت في «مرآة الخيال» تأليف شيرخان لودي ٨٣- ٨٥

ترجمة حياة الأنوري كما وردت في «آتشكده» تأليف لطفعلی بیگ ٨٥- ٨٨

ترجمة حياة الأنوري كما وردت في «هفت إقليم» تأليف «أمين أحمد رازی» ٨٨- ٩٠

و يجب العناية بوجه خاص - فيما جمعه «ژوكوفسكي» من أخبار عن الأنوري - بالجدول الذي أورده في ص ٢٩، و بين فيه التواريخ المختلفة لوفاة هذا الشاعر وفقا لاختلاف المصادر، و كذلك بيان الكتب الفارسية و العربية التي تبلغ ستين كتابا و هي الكتب التي أشار إليها «أبو الحسن الفراهاني» في شرحه لأشعار الأنوري (ص ٧٩- ٩٦).

أما تاريخ وفاة الأنوري فبيانه كما يبدو في الجدول الآتي:

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٦٩

اسم الكتاب/ اسم المؤلف/ تاريخ التأليف/ تاريخ وفاة الأنوري

آتشكده: كما ذكر «ژوكوفسكي» / لطفعلی بیگ / ١١٨٠ هـ - ١٧٦٦ - ١٧٦٦ م / ٥٤٥ هـ - ١١٥٠ - ١١٥١ م
 آتشكده طبع بمبای سنة ١٢٧٧ هـ - ١٨٤٠ م / لطفعلی بیگ / ١١٨٠ هـ - ١٧٦٦ - ١٧٦٦ م / ٥٤٥ هـ - ١٢٥٨ م - ١٢٤١
 تقویم التواریخ / حاجی خلیفه / ١٠٥٨ هـ - ١٦٤٨ م / ٥٤٧ هـ - ١١٥٣ م
 تذكرة الشعراء / دولتشاه / ٨٩٢ هـ - ١٤٨٦ م / ٥٤٧ هـ - ١١٥٣ - ١١٥٣ م و في بعض المخطوطات نجد سنة ٥٤٨ هـ أو ٥٥٦ هـ
 مرآة الخيال / شیر خان لودی / ١١٠٢ هـ - ١٦٩٠ م - ١٦٩١ م / ٥٤٩ هـ - ١١٥٥ م
 هفت إقليم / امین أحمد رازی / ١٠٠٢ هـ - ١٥٩٣ م - ١٥٩٤ م / ٥٨٠ هـ - ١١٨٤ م - ١١٨٥ م
 المجلد / فصیحی خوانی / ٨٤٥ هـ - ١٤٤١ م - ١٤٤٢ م / ٥٨٥ هـ - ١١٨٩ م - ١١٩٠ م
 خلاصة الأشعار / تقی خان كاشانی / ٩٨٥ هـ - ١٥٧٧ م - ١٥٧٨ م / ٥٨٧ م - ١١٩١ م
 مرآة العالم / محمد بختاور خان / ٨٧٠ / d'Herbelot and Stewart - ١٦٦٧ م - ١٦٦٨ م / ٥٩٢ هـ - ١١٩٦ م - ١٢٠٠ م - ١٢٠١ م

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي / تعريب، النص، ص: ٤٧٠

و يلاحظ القارئ أن أغلب هذه الكتب حديث التأليف، لا يستثنى من ذلك إلا كتابان اثنان هما «المجلد» و «تذكرة الشعراء» اللذان يرجعان إلى القرن التاسع الهجري. (النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي). أما الكتب القديمة التي كنا نتوقع منها أن تذكر «الأثوري»، فإننا نجد أن كتاب «جهار مقاله» لا يذكره مطلقاً؛ أما كتاب «تاريخ غزیده» تأليف حمد الله المستوفي (في سنة ٧٣٠ هـ - ١٣٣٠ م) فقد تحدث عنه ولكنه لم يذكر تاريخ وفاته؛ وكذلك فعل كتاب «لباب الألباب» تأليف «محمد عوفي» (في بداية القرن السابع الهجري - ١٣٠٠ الميلادي)؛ وكذلك فعل أيضاً الكتاب العربي المعروف باسم «آثار البلاد» تأليف القزويني (طبعة وستنفلد) Wustenfled ص ٢٤٢ تحت كلمة «خاوران» فوصف شعر الأثوري بأنه: «غاية في الحسن و هو لطف من الماء و شعره بالعجمية كشعر أبي العتاهية بالعربية» وهذه المقارنة بين شعر «الأثوري» و شعر أبي العتاهية مقارنة في غير موضعها كما يبدو لي. و ليس في أيدينا إلى الآن أي مصدر يمكن أن نعلم عليه في تقرير التاريخ الذي ولد فيه «الأثوري» أو التاريخ الذي توفي فيه؛ و مع ذلك فالأسباب التي بناها أنفاً تقطع بأن وفاته قد وقعت في سنة ٥٨١ هـ، أو بين سنتي ٥٨٥ و ٥٨٧ هـ (١١٨٩ - ١١٩١ م) كما أشار بذلك المستشرقان «ژوكوفسكي» و «إتيه».

و قبل أن نسير قدما في دراسة هذه الرسالة الممتعة التي كتبها «ژوكوفسكي» نرى من الواجب علينا أن نشير إلى رسالة أخرى كتبها «مسيو فرتيه M. Ferte» عن الأثوري أيضاً، و نشرها في «المجلة الآسيوية Journal Asiatique» في عدد مارس ابريل سنة ١٨٩٥ م (مجموعة ٩ مجلد ٥ ص ٢٣٥ - ٢٤٨). و لكن هذه الرسالة لن تعوقنا طويلاً لعدم أهميتها، و الظاهر أن مؤلفها كتبها دون أن يطلع على ما كتبه «ژوكوفسكي» أو «پرتش» فافتنى بأن يترجم بعض قصائد «الأثوري» المعروفة و أن يسوق بعض النواذر المتصلة به مما رواه كتاب التراجم و مما يكون مشكوكاً في صحته عادة.

[الأسباب التي دعت به إلى اختيار القصائد الست]

يبدأ «ژوكوفسكي» كتابه بمقدمة يصف فيها المصادر التي استطاع جمعها، ثم ينتقل بعد ذلك إلى بيان الأسباب التي دعت به إلى اختيار القصائد الست التي نشرها في

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي / تعريب، النص، ص: ٤٧١

نهاية الكتاب. و أول هذه القصائد هي أيضاً الأولى وفقاً لطبعة «الكنز» و مطلعها:

باز این چه جوانی و جمالست جهان راوین حال که نو کرد زمین را و زمان را و معناه:

- أنظر ثانية .. ما أبدع نصره العالم و جماله و شبابه الفنان ...!! ما أبدع هذه الحال التي جددت المكان و الزمان ...!! و يقول «ژوكوفسكي» إنه اختار هذه القصيدة لأنها من أشهر قصائد «الأثوري» و لأنها من أصعبها و أكثرها تعقيداً و لأن «أبا الحسن الفراهاني» كتب عليها شرحاً مطولاً، استطاع «ژوكوفسكي» أن يطبعه مع نصها و يضيفه إلى كتابه.

أما القصيدة الثانية فمطلعها:

اگر محول حال جهانیان نه قضااست چرا ماجرای احوال بر خلاف رضاست و معناه:

- إذا لم يكن القضاء هو محول حال الناس، فلما ذا تكون الأحوال على غير ما نرضى و نهوى ...؟! و يقول «ژوكوفسكي» إنه نشر هذه القصيدة لأن «نيكولاس: Nicolas» ترجمها قبله و لم يستطع فهمها فأساء تصوير حال «الأثوري» وفقاً لما ذهب إليه من ترجمة خاطئة ...!

أما القصيدة الثالثة فهي التي سبق ذكرها و مطلعها:

گر دل و دست بحر و كان باشد دل و دست خدایگان باشد و معناه:

- إذا استطاع القلب و الكف أن يكونا بحراً و منتجماً للدرر و الجواهر ... فإن قلب المليك و كفه هما البحر و المنجم .. لما يجودان به من عطاء وافر ...!! و يقول «ژوكوفسكي» إنه اختارها لأنها تعتبر من أوائل ما قاله «الأثوري» و من أكثر قصائده جمالاً و روعة.

أما القصيدة الرابعة فقد نشرها «كركپاتريك Kirkpatrick» مع ترجمة إلى اللغة الإنجليزية بعنوان «دموع خراسان The Tears of Khurasan» في المجلد

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي / تعريب، النص، ص: ٤٧٢

الأول من كتاب «Asiatic Miscellany» ص ٢٨٦ و ما بعدها (طبع كلكتا سنة ١٧٨٥ م) و مطلعها:

بر سمرقند اگر بگذری ای باد سحرنامه اهل خراسان به بر سلطان بر و معناه:

- يا نسيم السحر ... إذا مررت بمدينة سمرقند ...! فأحمل رسالة أهل خراسان إلى حضرة السلطان ...!! و يقول «ژوكوفسكي» إنه اختار هذه القصيدة لما اشتملت عليه من أخبار تاريخية و مشاعر إنسانية بالإضافة إلى ما لها من شهرة عريضة و صيت ذائع.

أما القصيدة الخامسة فهي التي مطلعها:

* ای برادر بشنو این رمزی ز شعر و شاعری * «١»

و معنى هذا المصراع:

- أيها الأخ ... استمع إلى حديث رمزي عن الشعر و الشاعرية ...!!

و يقول «ژوكوفسكي» إنه اختارها لأنها تحتوى على اعتراف الشاعر صراحة بدم الشعر و أهله.

أما القصيدة السادسة فهي التي مطلعها:

أی مسلمانان فغان از دور چرخ چنبریوز نفاق تیر و جبر ماه و کید مشتری و معناه:

- واويلاه ... أيها المسلمون ...!! من دورة الملك الدائر ... من نفاق المريح و أفعال القمر و كيد المشتري ...!!

(١) المترجم: في نسخة خطية اشتريتها من طهران يختلف هذا المطبع قليلا فيرد بالصورة التالية:

اي برادر نشوي رمزي ز شعر و شاعري تا ز ما هستي گدا كس را ز مردم نشعري

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٧٣

و يقول «زوكوفسكي» إنه اختارها لأنها من آخر ما نظمه «الأثوري» من قصائد رائعة، هذا بالإضافة إلى ما اشتملت عليه من أخبار متعلقة بحياته.

[اختار «زوكوفسكي» أربع غزليات فقط]

و قد اختار «زوكوفسكي» أربع غزليات فقط من غزليات «الأثوري» و اعترف بأنه اختارها بطريق المصادفة لأنه يعتبر سائر غزلياته متساوية من حيث الصنعة و المعنى.

و قد أتبع «زوكوفسكي» مقدمة كتابه بتمهيد بين فيه مركز الشاعر المحترف في إيران في هذه الفترة على الخصوص، و وضح فيه الحاجة الملحة التي كانت تدفع الشاعر إلى العمل ليحصل على المال اللازم له، مما يجعله يكرس مجهوداته للأشعار السياسية و مدح الأُمراء و الكبراء، و إن كان يتخلل هذا المدح عادة شيء من التهكم بخصوصهم لأن التهكم من مستلزمات المدائح على العموم.

و يقول «زوكوفسكي» إن استعمال البديع في النظم - دون استعماله في الشعر بمعناه الحقيقي - كان نتيجة لتزام «شعراء الملوك» الذين كانوا يقومون إلى حد ما بمهمة الصحفيين في الوقت الحاضر و كذلك بمهمة الندماء و المهرجين. فقد كان شاعر القصر يكتب من أجل المال، و ربما تحدث عن ذلك صراحة كما قال الشيخ «أبو زراعه المعمرى الجرجاني» لممدوحه: «إذا أعطيتني واحدا من ألف مما كان يناله الرودكي من عطاء الملوك، فسأنظم في مدحك من القصيد ما يفضل قول الرودكي و يعلو عليه ألف مرة ...!!» «١» و كان يطلب من الشاعر أن يبرهن على أنه كفى للقول في كل مناسبة تعرض لممدوحه؛ فعليه أن يقول في الفرح و المرح، و أن يقول في الحزن و الترح، و أن يهنئ ملكه بسلامة بصره لأنه استطاع أن يرى الهلال الجديد يعلن انتهاء شهر الصيام، و أن يسليه إذا سقط عن ظهر جواد جامع أو إذا رمى

(١) المترجم: أنظر ص ١٠ من ج ٢ من «لباب الألباب» حيث يقول:

اگر بدولت با رودکی نمی ماتم عجب مکن سخن از رودکی نه کم دایم

اگر بکوری چشم او بیافت گیتی راز بهر گیتی من کور بود نتوانم

هزار یک ز آن کو یافت از عطاء ملوک بمن دهی سخن آید هزار چندانم

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٧٤

الكعبتين فخرجتا بغير ما يريد، أو إذا انهزم أمام عدوه في الموقعة «١» أو إذا أحس بألم في الأسنان أو ما شابه ذلك من أغراض كثيرة ...!!

و يذكر «زوكوفسكي» نقطة أخرى لها غرايتها و طرافتها، و هي أن كل شاعر شهير كان له في العادة راي يقوم برواية أشعاره و ترويحها بين الناس. فذكر عن «الفردوسي» مثلا: أن رايوه هو «أبو دلف» «٢»، كما أن «أبا الفرج الروني» قال في بيت من الشعر ذكره «زوكوفسكي» ما معناه: «لقد أنشد رايوي في حضرته ما قلته في فتح مرو و نيسابور» و كذلك فعل «مسعود بن سعد بن سلمان» حين أمر رايوه «خواجه أبو الفتح» كما يقول «زوكوفسكي»: ألا يظهر مواطن الضعف في أشعاره بل يجتهد في أن يزيل هذه المواضع بما يضيفه عليها حسن صوته من جمال، و بما تكتسبه من بهاء بواسطة إنشاده الذي يثير القلوب و المشاعر ...!!

و لعل الغموض الذي يسر بل كثيرا من مدائحه المصنعة يجعل من الضروري على القارئ أن يستعين بشروح مستفيضة مفصلة حتى يتمكن من فهمها و إلا فإنه سيضطر في النهاية إلى أن يكتفي بقول العبارة المعروفة «إن معنى الشعر في بطن الشاعر».

[حاول «زوكوفسكي» أن يميز بين ثلاثة عصور مختلفة في تطور الشعر الفارسي]

و يختم «زوكوفسكي» كلمته التمهيدية بأن يحاول أن يميز بين ثلاثة عصور مختلفة في تطور الشعر الفارسي حتى نهاية العصر السلجوقي الأول، و هي العصور الآتية:

العصر الأول: عصر القصص الحماسي Epic الذي صاحب النهضة الفارسية القومية على أيام السامانيين، و أنتج الشاعر الكبير الفردوسي.

(١) أنظر الرباعي الذي أنشده «فريد الدين الكاتب» للسلطان «سنجر» عند انهزامه أمام جيوش ال «قرة خطاي» ص ٤٥٩ من «تاريخ گزيده» حيث يقول:

شاه ز سنان تو جهان شد راست تیغ تو چهل سال ز اعدا کین خواست

ور چشم بدی رسید آن هم ز قضاست کانکس که بیک حال بماندست خداست و معناهما:

- ايها الملك .. ان العالم ستقام بسيفك .. و قد انتقم من أعدائك أربعين عاما بعد سنائك

- فإذا أصابتك عين السوء فذلك من فعل القضاء .. لأن الذي يبقى على حال واحدة هو الله سبحانه و تعالي ...!!

(٢) أنظر ما كتبه «نولدكه» في «Iranisches Nationalepos» و كذلك «چهار مقاله» ص ٤٨

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٧٥

و العصر الثاني: عصر المدائح المشتركة Venal Panegyric التي تار عليها الشعاران «ناصر خسرو» و «عمر الخيام».

و العصر الثالث: عصر الشعر الصوفي Mysite Verse و هو الذي ينتهي إليه المداحون الذين لا تتحقق آمالهم و تتكشف أطماعهم عن سراب، و من هؤلاء «سنائي» و كذلك «الأثوري» و إن كان متأخرا قليلا.

و الأخبار المتصلة بحياة «الأثوري» مقتضبة أشد الاقتضاب، و لكن «زوكوفسكي» استطاع أن يكتب في الفصل الأول من كتابه مقالة وافية عن حياة الشاعر، ربما كانت أوفى ما نستطيع أن نكتبه عنه حتى الآن، و قد استعان في كتابتها بكتب التراجم الثمانية التي ذكرناها آنفا «١» بالإضافة إلى ما استطاع أن يستخرجه من قراءة ديوان الشاعر نفسه.

فلا تعرف عنهما شيئا على الإطلاق. و أما إنه كان في شبابه طالبا جادا في تحصيل العلم كما يشير إلى ذلك كتاب التراجم، و أنه كان ملما بكافة العلوم التي يعرفها أهل عصره، فذلك يؤكد ما كان يبديه في شعره من استشهاد يدل على معرفة تامة بشعب العلوم المختلفة و بما ذكره صراحة في مقطوعة معروفة سبق لنا ذكرها و مطلعها:

گرچه در بستم در مدح و غزل یکبارگی ظن میر کز نظم ألفاظ و معانی قاصر م^٢

(١) هي المذكورة في الجدول السابق في صحيفة ٤٦٩ من هذا الكتاب

(٢) هذه المقطوعة تشتمل على ١٩ بيتا و هي موجودة في ص ٣٠٧ من ديوان أنوري طبع تبريز سنة ١٢٦٦ هـ و كذلك باختلاف في ترتيب الأبيات في ص ٧٠٤-٧٠٥ من طبعة لكتو سنة ١٢٩٧ هـ (١٨٨٠ م) و ستة أبيات منها مرويّة في «تاريخ گزیده» ص ٨١٣ و في كتاب ژكوفسكي ص ٦-٧.

و يقول الأنوري في بيت آخر من الشعر (ص ٨٧ من طبعة لكتو) ما معناه: «إذا اخترتني في أي فرع من فروع العلوم لوجدت أنني أدركت فيه مرتبة الكمال».

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٧٦
و معناه:

- إنني أغلقت باب المدح و الغزل دفعة واحدة.

و لكن حذار أن تظن أنني عاجز عن نظم الألفاظ و المعاني!؟..

و في قطعة أخرى رواها «ژكوفسكي» (في ص ٧) يفخر الأنوري بتبريزه في جملة من الهويات مثل الخط و الشطرنج و الترد و معرفة أشعار الأوائل و الأواخر و القدرة على التهكم و الهجاء و السباب!..! و قد أكد لمولاه أنه سوف لا يمل مجلسه لأنه امتاز بسعة في ثقافته و تشعب في نواحي معلوماته!..!

و واضح أيضا أن كتاب التراجم كانوا مصيبين حين قرروا أن «الأنوري» كان يفض من شأن الشعر و لكنه في الوقت نفسه كان يفرق في إعلان مواهبه فيه كشاعر من الطراز الأول. فهو يقول في بيت من الشعر (يغلب على ظني أن نصه الصحيح هو المنشور في الجزء الثاني من لباب الألباب ص ١١٧). «أنه مساو للشاعر سنائي و إن كان لم يصل إلى مرتبة أديب صابر».

«چون سنائي هستم آخر گر نه همجون صابرم»^١

و سنائي كما نعلم شاعر من الطراز الأول، و هو أكثر شهرة من «أديب صابر» و لكن «الأنوري» رفع من قدره لأنه كان يمدح السلطان «سنجر» و قد قتل في النهاية و هو قائم بعمله يؤدي لسيدة خدمة من الخدمات.

و في هذه القصيدة نفسها يقول «الأنوري» بيتا معناه:

- لقد أصبح يستهان بالنوع في هذه الأيام .. و إلا لشهدت أشعاري بأنني لست شاعرا بل ساحرا!..!

خود سزد در عهد باعبيست اگر نه این سخن ميکند برهان که من شاعر نیم بل ساحرم و يقول في موضع آخر (طبعة لكتو ص ٦٩٤)

(١) هذا النص يختلف عن النص المطبوع على الحجر من «لباب الألباب» و هذا النص الأخير لو ترجم لكان معناه هكذا: و أنا لست مساويا للشاعر «سنائي» و لا للشاعر «أديب صابر»

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٧٧

- إن لي روحا متقدة كالنيران، و لسانا عذبا كالماء

و عقلا حادا، و ذكاءا مفرطا، و أشعارا خالية من الخلل و الهراء!..!

- و لكن وا أسفا ... لست أجد ممدوحا جديرا بهذا الثناء

و لا معشوقا أستطيع أن أوجه إليه هذا الغزل في صفاء!..!

خاطري چون آتشم هست و زباني همجو آب فکرت تيز و ذكاء نيك و شعري بي خلل

ای دريغا نيست ممدوحی سزاوار مدیحوی دريغا نيست معشوقی سزاوار غزل و في موضع آخر (ص ٦٨٨) يعلن الأنوري أن أشعاره تجوب أنحاء العالم كالحمام الزاجل، و أن أسلوبه هو ياجماع الآراء أجمل أساليب معاصريه (ص ٣٤).

و على العكس من ذلك يتحدث «الأنوري» عن صناعة الشعر فيقول: (ص ٧٣٠)

- يا أنوري ... هل تعرف ما هو الشعر و ما هو الحرص و الطمع في المال!؟..

أما الأول فطفل رضيع ... و أما الثاني فمريضته!..!

- و أنت كالديك ... لك تاج من العلم فوق رأسك

و لكن هل لك أن تخبرني لماذا يبيض كالدجاج!؟..!

أنوري شعر و حرص داني چيست!؟.. آن يکي طفل، و ان دگر دايه

تاج داری خروس وار از علم چکنی همجو ما کيان خايه!..! ثم هو يلزم نفسه بعد ذلك بأن «يطوح بقاذورات الشعر للرياح الذارية!..!

و هناك قطعة أخرى ممتعة تدل على صدق ما قرره كتاب التراجم عن الأسباب التي دعت «الأنوري» إلى هجر العلوم و الاشتغال بالشعر و هي المذكورة في نهاية ص ٦٢٩ من طبعة لكتو و يقول فيها:

- ما دام جاهي سيرتفع بقول المدح و القريض

فلماذا أحرق روحي و أصيبها في نيران التفكير العميق!؟..!

- و لقد صيبت عشرين عاما من عمري في «العل و عسى»

و لكني تحققت بعد ذلك أن الله لن يمنحني عمر نوح الطويل!؟..!

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٧٨

- و من أجل ذلك فسأخذ نفسي بالروية، و أثنى عناني

إذا لم أجد باب القبول مفتوحا أمامي!..!

- فإذا لم يمنحوني العطاء الجزل لمدحى إياهم

فسأحطم بالهجاء كل من مدحته حتى أخرج الدماء من رأسه!..!

چو آبروی بیفزایدم بمدح و غزل چرا بآتش فکرت همی بکاهم روح

بیاد بو که و بکه بیست سال بردادم مرا خدای ندادست زندگانی نوح

عنان طبع ازین پس کشیده خواهم داشت اگر گشاده نه بینم در قبول و فتوح
و گر عطا ندهندم بر آرم از پس مدح بلفظ هجو دامارا از سر چنین ممدوح و بقول الأنوری فی نهاية ص ٤١ «إن الاستجداء هو وسيلة
الشعراء» گدائی شریعت شعراست) و لكنه على استعداد للهجاء اللاذع إذا لم يفلح الاستجداء في أن يعود عليه بما يريد من عطاء...!!!
و مع ذلك فهو يحسن بركاهية شديدة لحياة القصور والحاشية، و إن كان يعود في ثورة جامحة على زمانه، فيعترف من ناحية أخرى،
بأن حياة القصور وحدها للأسف هي الكفيلة بأن تدر عليه المال الوفير، بينما حياة البعد والاجتهاد لا تفيده شروى تغير...!!! (أنظر ص
٧١١)

- ليس من الحق أن أتعب قلبي وروحي من أجل أن أكتسب آداب الندماء...!!! (أي رجال القصور).

- فأحرك لساني بالنثر والظم، وأبعث الأفكار العذاري من عقلي وخطري...!!!

- لأن الندماء ينتهي بهم الأمر في العادة إلى تلقي اللطمات وتلقي كلمات الازدراء والسباب...!!!

نشايد بهر آداب نديمي دگر بر جان و دل زحمت نهادن

زبان کردن بنظم و نثر جاری ز خاطر نکتھائی بکر دادن

که باز آمد همه کار نديمان بسيلي خوردن و دشنام دادن و يقول في سوء معاملة لرجال العلم (ص ٣٩ سطر ٦).

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٧٩

- و هل يمكن لفرد أن يعلم كيف أن هذا الفلك المعجوز الأحدث مولع بإيذاء العلماء...!!!

كسي چه داند كين كوزيشت مينارتنگ چگوننه مولع آزار مردم داناست و على هذا فقد كان الأنوري «طالب علم» باستعداده ومواهبه،
و شاعرا بصناعته و مهنته، فتوزعت نفسه بين ما يمليه عليه استعداده و ما تقتضيه منه صناعته.

و لم يستطع أن يقنع بنصيب العالم من الفقر، أو أن يهدأ إلى التفاق الذي تضطره إليه حياة القصور والملوك. و تحقق فيما بينه و بين
نفسه مما تجليه عليه أقواله من تعريض و زراية فازدري نفسه و طريقة حياته؛ و تاق إلى أن يعيش كما يعيش «ابن سينا» و لكنه اضطر
اضطرا إلى أن يعيش حياة مشابهة لحياة «أبي نواس».

و قد قال إنه من الواجب على الشاعر ألا يقول الشعر بعد الخمسين (ص ٧٢٥) و لكنه هو نفسه ظل يقرض الشعر أربعين سنة على
الأقل؛ فقد ذكر في إحدى قصائده (ص ٦٣٦) إنه قالها في سنة ٥٤٠ هـ (١١٤٥-١١٤٦ م) ثم ظل يقول الشعر بعد خيبته المعروفة في
إصدار الحكم الذي استوحاه من اجتماع الكواكب في سنة ٥٨١ هـ (١١٨٥-١١٨٦ م). و لكنه على ما يظهر نجح في نهاية أيامه عند ما
ثار عليه أهل «بلخ» (دون جريرة ارتكبتها) في تطلق حياة القصور و ترك خدمة الملوك و الأمراء، و العودة إلى حياة العلم و العزلة و
الاعتكاف، و هي الحياة التي طالما منى نفسه بها و أحبها.

و هناك بعض القصائد التي تقوم دليلا على صحة هذا القول و خاصة المقطوعة التي نشرتها مع ترجمتها الإنجليزية (ص ٨-١٠) في
مقالتي عن «حياة شعراء الفرس المذکورين في تاريخ گزیده» و هي المقالة التي نشرتها في «مجلة الجمعية الآسوية الملكية» سنة
١٩٠٠-١٩٠١ م؛ فهو يذكر في هذه المقطوعة (في شيء من الإخلاص) مقدار الهدوء و الراحة اللذين ظفر بهما في كوخه المتواضع
حيث لا زاد له إلا الخبر الجاف و قليل من الأدام، و حيث لا كأس له و لا مطرب إلا المحابر و الأقلام...!!!
و هو يردد هذا المعنى في موضع آخر (ص ٧٣٣ من طبعه لکنو سنة ١٨٨٠ م).

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٨٠

- يا ربی...! بدل هذه النعم التي أعتدتها على

أعطني القناعة بالحق، و رزقا طاهرا، و زادا نظيفا

- و اجعل قوام حياتي الأمن و الصحة و الطاعة

و رغيفا و خرقه مهلهلة و الاعتكاف في ركن من الأركان الهادئة...!!!

يا رب بده مرا بدل نعمتی که بودخرسندی حقیقت و پاکیزه توشه

امنی و صحتی و پسندیده طاعتی نانی و خرقه و نشستن بگوشه و «السيد نور الله الشوشتری»، مؤلف كتاب «مجالس المؤمنین» الذي
احتوى على تراجم كثير من أهل الشيعة و تم تأليفه حوالي سنة ١٥٨٦ م، يعتبر «الأنوري» واحدا من شعراء الشيعة، و لكن هناك
مقطوعات في ديوانه في مدح «عمر» إذا ثبتت صحتها و نسبتها إليه كان الأمر على خلاف ما قال الشوشتری. هذا بالإضافة إلى أنه لا
يمكن أن يعقل أن شاعرا من شعراء السلاجقة الذين كانوا من أهل السنة يستطيع أن يتغاضى عن هذه الحقيقة فيقدم على مدح مذهب
الشيعة و هو عارف أن أسياده يكرهونه و يبغضونه كل البغض.

و يقول الأنوري في إحدى مقطوعاته الواردة في ص ٥٣: «أن سيف الدين عمر» مفتي بلخ هو الإمام الذي اختاره الإسلام فورث عدل
«عمر» و صلاته...!!!

صفي ملت اسلام و صدر دين خدای عمر که وارث عدل و صلابت عمر است و يقول في مقطوعة ثانية واردة في ص ٧٤ «إن الاسلام
ظهر على يدي عمر».

بدلیری و هیبت عمری که ظهور شریعت از عمر است و يقول في مقطوعة ثالثة:

- إن الکفر قد انمحي على يدي محمد و عمر و قد بعثت أنت أيامها من جديد.

و عندما كان الأنوري ملتحقا بخدمه الملوك لم يمتنع عن شرب الخمر، بل نجده في إحدى مقطوعاته (ص ٦٨٨ القطعة الثانية سطر
٤-٥) يقول: «هل لك أن تدنني على طريقة أستطيع بها أن أعتذر عن شربي للخمر و إحساسى بالنيء و الخمار».

هیچ دانی چگوننه خواهم داشت عذر قی کردگی و مستی خویش

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٨١

و في مقطوعة أخرى (ص ٦٩٨) يقول:

- أنت تعلم... يا مولاي... أنتى مريض بالنقرس، و من أجل ذلك فإني (رغم حبي للخمر) امتنع عن كل ما هو لاذع حريف...!!!

- فلما سألتك كاسا من الشراب أعطيتني كاسا من الخل الحامض الحريف، فلو أنتى شربته لقتمت في يوم القيامة كاللحم المتبله.
(المصوص)

- فأين سافيك الوغد...؟! حتى أستطيع أن أهرق في أنفه و أذنيه كاسا مترعة...!!!

بزرگوارا دانی کز آفت نفرس ز هر چه ترشی من بنده می بهر هیزم

شراب خواستم و سرکه کهن دادی که گر خورم بقیامت مصوص برخیزم

شراب دار تو آخر کجاست تا قدحی بگوش و بینی آن قلیبان فروریزم هذه هي الحقائق المجردة التي استطعت أن أصل إليها من
نظرتي العاجلة لديوان الأنوري، و لكنني على ثقة من أن الدراسة الدقيقة لنص صحيح من هذا الديوان- و هو ما زلنا في حاجة إليه إلى

الآن- ستكشف لنا عن تفاصيل جديدة عن حياة هذا الشاعر و عن كثير من الأسانيد التي يمكن أن نحكم بها على عقلية و نفسيته. فلنكتف الآن بهذا القدر و لنعد إلى الحكايات التي رواها عنه كتاب التراجم و التواريخ، فهي و إن كانت تافهة القيمة بحيث لا يمكن الاعتماد عليها كثيرا، إلا أنه لا يمكن إهمالها جملة و الغرض من شأنها غضا تاما.

و من أهم الروايات المعروفة الرواية التي رواها كتاب «حبيب السير» (مجلد ٢ جزء ٤ ص ١٠٣-١٠٤ من طبعة بمباي سنة ١٨٥٧ م) عن اتصال الأنور، بسنجر فقصتها مخالفة للرواية التي ذكرتها المصادر الأخرى. و هي تقول إن «المعزى» كان أميراً للشعراء لا ذلك العهد، و كان موكولا إليه مقابلة الشعراء الذين يريدون أن يرفعوا قصائدهم إلى السلطان و منع من لم تسم مواهبهم عن التشرف بالمشول بين يديه،

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٨٢

فابتدع «المعزى» حيلة مزيفة يستطيع بها أن يقصى غيره من الشعراء الذين كان يخشى منافستهم له ... ذلك أن ذاكرته كانت قوية على الحفظ بحيث كان يستطيع أن يعيد على التوأبة قصيدة بعد سماعها مرة واحدة، و كان له ابن يستطيع أن يعيدها بعد سماعها مرتين، كما كان له خادم يستطيع إعادتها بعد سماعها ثلاث مرات. فإذا تقدم إليه شاعر يريد التشرف بالمشول بين يدي السلطان، فإنه يأذن له أن ينشده قصيدته برمتها فإذا فرغ منها التفت إليه المعزى و قال له: «إني أنا قائل هذه القصيدة، و سأبرهن لك على صحة قولى بإنشادها لك ثانية...» ثم يأخذ في إنشاد القصيدة؛ فإذا أعادها التفت إلى ابنه و قال: «و ابني أيضا يحفظها عن ظهر قلب..» فيأخذ ابنه أيضا في إنشادها و إعادتها على مسامع الحاضرين، فالتفت معزى إلى خادمه- كما فعل مع ابنه- فأمره بإعادتها لثالث مرة ثم يأمر بطرد الشاعر المسكين بتهمة أنه شاعر وضع غير على أشعار غيره فينتحلها لنفسه...!! و ضاق الشعراء ذرعا بهذه الحيلة التي ابتدعها «المعزى» إلى أن بلغ الأعر «الأنورى» فألقى دلوه في الدلاء لعله فاعل شيئا أو متدبر أمرا، فتقدم إلى «المعزى» في ثياب رثة مهلهلة و أخذ ينشده أشعارا مضحكة تافهة، فاستار بمظهره و شعره جزء الحاضرين و سخرتهم، و ظن «المعزى» أنه مهرج ماجن و لم يستشعر شيئا من الخطر يهدده إذا قدمه إلى السلطان، فوعده بذلك في اليوم التالي. فلما حان الموعد الذي ضرب له تقدم «الأنورى» في ثياب محترمة و أنشد البيتين الأولين من قصيدته التي مطلعها:

گر دل و دست بحر و كان باشد دل و دست خدایگان باشد ثم توقف عن الإنشاد و التفت إلى «المعزى» و قال له «أتمم إنشاد هذه القصيدة إذا كنت سمعتها قبل ذلك... و إلا فاعترف أنها من إنشائي...!!»

فذهل «المعزى» لهذه المفاجأة و اعترف للأنورى بحسن حيلته و قوة بديهته

و هذه القصيدة نفسها تشهد بأن «الأنورى» كان يشتغل بقول الشعر قبل ذلك بضع سنين، فهو يقول فيها:

خسروا .. بنده را چو ده سال است کاش همی آرزوی آن باشد

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٨٣ ذكر نديمان مجلس ار نوداز مقيمان آستان باشد و معنى هذين البيتين:

- أيها المليك... لقد كانت الرغبة الوحيدة لعبدك منذ عشر سنوات

- أن يكون واحدا من ندماء مجلسك، فإذا لم يستطع، فليكن مقيما على أعتاب بابك...!!

و مهما كان من أمر، فإن كلمات «الأنورى» تشهد بأنه نال استحسان الملك و رضاه فهو يقول:

انورى را خدایگان جهان پیش خود خواند و دست داد و نشاند

باده فرمود و شعر خواست ازو.....

و ترجمتها:

- فدعا مليك العالم شاعره «الأنورى» و سلم عليه و أجلسه إلى جواره

- ثم أمر بالشراب و سأله أن ينشده بعض أشعاره...!!

و هناك قصة أخرى عن الأنورى مروية بصور مختلفة في «هفت إقليم» و «بهارستان» و «مجلد فصیحی» و «الباب الألباب» (لمحمد عوفى ج ٢ ص ١٣٨-١٣٩) و هي تشير إلى تحذير تلقاه من شاعر معاصر هو «خالد بن الربيع» حين أراد السلطان علاء الدين ملك الجبال (ملك الغور) أن يستدعي الأنورى إلى حضرته، فأظهر التلطف في استعدائه، و لكنه كان يضرر له سوء و يريد أن يتكل به لأشعار قالها في جهوه! فعلم «خالد بن الربيع» بحقيقة الحال، و شاء أن يحذر صديقه من سطوة السلطان و قهره، و لكنه خشى أن يكتب له صراحة بحقيقة الأمر، خشية أن يثير غضب السلطان عليه، فصدر رسالته إليه بهذه الأبيات العربية:

هي الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشى و فتكى

فلا يفرك طول في ابسامي فقولى مضحك و الفعل مبكى

هي الدنيا أشبهها بشهيدىسم و جيفة ملئت بمسك

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٨٤

فاستدل «الأنورى» من هذه الأبيات على الخطر الحاقق به و رفض الذهاب إلى السلطان «علاء الدين» و أرسل السلطان رسولا آخر إلى «الملك طوطى» الذى كان يستضيف «الأنورى» و طلب منه أن يرسل إليه الشاعر في مقابل ألف رأس من الغنم يعطيها له، و لكن الشاعر استطاع أن يقنع «الملك طوطى» ألا يسلمه غنيمته باردة لخصمه...!!

و يقول بعض الكتاب إن «الأنورى» اعتذر لملك الغور بقصيدة مطلعها: «١»

كله كاندران بروز و بشبجای آرام و خورد و خواب من است و هي قصيدة يرجع تاريخ إنشائها إلى النصف الأخير من حياته حينما هجر القصور و حياة القصور. و المشهور أن «الأنورى» أمضى أواخر أيامه في مدينة «بلخ» حيث اختار عيشة العزلة بعد ما أخفق في حكمه على اجتماع الكواكب السبعة في سنة ٥٨١ هـ (١١٨٥-١١٨٦ م) «٢». و لكن سوء الحظ تابعه في هذه البلدة أيضا، فقد انتشرت بين أهلها قصيدة في هجائهم باسم «خرنامه» أو «رسالة الحمير» كان مؤلفها الحقيقي الشاعر «سوزنى» «٣» و لكنهم نسبوها خطأ إلى «الأنورى» فعامله أهل البلدة بشيء من القسوة و الشدة، و عرضه في شوارع بلدتهم معصوب الرأس بعصابة امرأة، و كادوا يفتكون به لو لا أن تدخل بعض أصحابه في الأمر فخلصوه من أيديهم. و كان بين الذين خلصوه كثير من أصحاب النفوذ مثل القاضي «سيد أبو طالب حميد الدين» و المفتى «صفى الدين عمر» و المحتسب «تاج الدين أحمد» و الأستاذ «نظام»

(١) أنظر ص ٥٩٣-٥٩٤ من ديوان أنورى طبع لكون سنة ١٨٨٠، و كذلك مقالتي عن الشعراء المذكورين في «تاريخ گريده» المنشورة في مجلة الجمعية الآسيوية الملكية في أكتوبر سنة ١٩٠٠.

(٢) حاول البعض الدفاع عن الأنورى فقالوا إنه أشار في حكمه إلى العواصف السياسية، لا العواصف الجوية، لأن جتنگيز خان في ذلك الوقت استطاع أن يتزعم المغول و يتولى أمرهم. تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب النص ٤٨٤ أما

مولد «أنوري» و صباه ص: ٤٧٥

(٣) قالت بعض الروايات أن هذه القصيدة كانت من خمسة أبيات ذم فيها قائلها حواضر خراسان الأربعة (أي مرو و بلخ و نيسابور و هراة) و أن الذي أنشأ هذه المقطوعة هو الشاعر «فوحى» بتحرير من «سوزنى». الذى نسبها متعمدا إلى الأنورى لايقاع به.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٨٥

الدين احمد... و إلى الأخير منهم وجه الشاعر قصيدة تبلغ أبياتها المائة، مدحه فيها على تخليصه إياه من بليته (و هي القصيدة رقم ٦ فى كتاب ژوكوفسكى) و مطلعها:

ای مسلمانان فغان از دور چرخ چنبریوز نفاق تیر و جبر ماه و کید مشتری و لا یفوتنی آن آفر آن هذه القصيدة هي الأصل لقطعة نشرها الأستاذ المرحوم «بالمر» E. H. Palmer - في ص ٦٣- ٨٠ من كتابه المسمى «أغنية الناي» ١- Song of the Reed - تحت عنوان Palinodia و هي ترجمة غير دقيقة، لم تتقيد بالأصل الفارسي، كما يدل على ذلك الفقرتان التاليتان اللتان يقابلهما ثلاثة أبيات من الأصل:

Ah .. the spheres are incessantly rolting, And the Archer is shifting his ground, And the" Moon is for ever patrolling, And Jupiter going his round. The water that tastes to another Refreshing and cool on the lip, Is as fire that no efforts can smother In the cup which I sip." The dust that all quiet is lying When others recline on the ground, Around me in volumes is flying, Like a desert where whirlwinds abound; And Fate, in the ship of my being, In happiness hurries me past, But if ever from sorrow I'm fleeing It anchors me "fast."

فلو أننا ترجمنا الأبيات الثلاثة الفارسية التي ترجمت في هاتين الفقرتين لكان معناها الحرفي هكذا:

(١) طبع تروينر Trubner سنة ١٨٧٧ م

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٨٦

- أيها المسلمون... و اويلاه من دورة هذا الفلك الأعوج

و من نفاق «المريخ» و رياء «القمر» و كيد «المشتري» «١»

- فهي تحيل الماء العذب إلى نار تلتهب في لهاتي و حلقي

و هي تحيل الأرض الهادئة إلى ريح صرصر عاتية تعصف بمسكني

- و السماء دائما تفعل بزروق عمرى أمرا من أمرين:

فهي إما أن تنفخ الريح في قلاعه وقت السرور؛ و إما أن تلتقي براسيه في وقت الأحزان..!!

و أشهر قصيدة معروفة للأنورى في أوروبا

هي التي ترجمها «الكابن» وليام كركياتريك» إلى الإنجليزية نظما تحت عنوان «دموع خراسان» و نشرها في المجلد الأول من كتاب Asiatic Miscellany الذى طبع في مدينة كلكتا سنة ١٧٨٥ م (ص ٢٨٦- ٣١٠) و كذلك نشرها الأستاذ «بالمر» E. H. Palmer - في كتابه المعروف ب «أغنية الناي» ص ٥٥- ٦٢.

و يقول «كركياتريك»: «إن هذه القصيدة من أجمل القصائد في اللغة الفارسية.

فالعواطف الممتلئة بها طبيعية، و هي في الغالب من أجمل العواطف و أنبلها، و كذلك الصور التي اشتملت عليها واضحة ظاهرة للعيان؛ و الشاعر شاعر في قوله و لكنه جميل التعبير منسق العبارة عفيف الألفاظ؛ و نظمه ليس سلسا في كل المواضع و لكنه على العموم متناسب مع موضوع القصيدة، و كذلك البحر الذى نظم فيه الشاعر يعتبر من أبسط البحور من حيث موسيقاه و من أكثرها مهابة و اتزاناً. و هذه القصيدة لها بالإضافة إلى ذلك فائدة تاريخية كبيرة لأنها تمثل لنا الغارات التي قامت بها قبيلة متوحشة من الأتراك «الغز» فخرت أكثر الأنحاء ازدهارا في إيران في سنة ٥٤٨ هـ (أوائل سنة ١١٥٤ م) و كانت هذه القبيلة تستقر برعاها بالقرب من «ختان» من أعمال بلخ، و كانت تمد مطابخ السلطان «سنجر» بأربعة و عشرين ألف رأس من

(١) المترجم: فيما يلي نص الأبيات الفارسية:

آی مسلمانان فغان از دور چرخ چنبریوز نفاق تیر و جبر ماه و کید مشتری

آب نافع را دهد در مشرب من آتشی خاک ساکن را دهد در مسکن من صرصری

آسمان در زورق عمرم کند دایم دو کاروقت شادی بادبانی وقت انده لنگری

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٨٧

الغنم، تقوم بإيفائها له كجزية سنوية مرتبة عليهم. و قد طمع رئيس المطابخ (خوانسالار) في عدد أكثر من ذلك العدد، و قسا على «الغز» في معاملته إياهم، فأدى ذلك إلى كثير من المنازعات التي أربقت فيها الدماء، و قدر حاكم بلخ المسمى «قماج» ما يحيطه من ظروف فكتب إلى مولاه «سنجر» يشكو له من ازدياد قوة «الغز» و جرأتهم عليه و يطلب إليه أن يعينه حاكما عليهم (شحنة) و تعهد له في نظير ذلك أن يخضعهم لسلطانه و أن يجبرهم على رفع الجزية إلى ٣٠٠ رأس من الغنم. و لكن «قماج» لم يفلح في تحقيق وعده و استطاع «الغز» أن يطرده من أراضيه و أن يذبحوا ابنه «علاء الدين».

و حرض الأمراء السلطان «سنجر» أن يخرج إليهم بنفسه، و أن يرفض ما قدموه إليه من معاذير و تعويضات بلغت مائة ألف دينار و ألفا من العبيد الترك...!! و تقدم «سنجر» إلى خيامهم فاستولت عليهم الرهبة و تملكتهم الرعدة، و خرجوا إليه هم و نسائهم و أطفالهم يتوسلون إليه أن يغفر أخطاهم و يتناسى جرائمهم، ثم عرضوا عليه أن يدفعوا له سبعة أمنان من الفضة، يأخذها من كل أسرة من أسراتهم. و لكن الأمراء منعوا السلطان «سنجر» من قبول هذه العروض السخية و خاصة «المؤيد» و «برتقش» و «عمر العجمي» و انتهى الأمر إلى القتال. و استيأس «الغز» في الميدان فاستطاعوا بحماسهم أن يستأصلوا جيوش «سنجر» و أن يأخذوه أسيرا إلى عاصمته في مدينة «مرو» و أن يغيروا على هذه المدينة و يبجحوا للنهب للعام مدة ثلاثة أيام، أذاقوا فيها الأهلين كثيرا من المرارة و العذاب حتى يضطروهم إلى إظهار الكنوز التي أخفوها. ثم التحق بهم مدد يبلغ عدده ثلاثة أضعاف قوتهم الأصلية، أغلبه من الجنود المهزومة و الأوباش و السفلة، فاندفعوا بهم إلى مدينة «نيسابور» فدافعهم أهلها و قتلوا عددا منهم، و لكن «الغز» اشتدوا في غارتهم على هذه المدينة و استطاعوا أن يقتلوا في «المسجد الجامع» عددا كبيرا من أهل البلدة لا يبلغه الإحصاء، لأن القتلى كما تقول الأخبار: «كانوا

غارقين في دمائهم لا تستطاع رؤيتهم و هم في لجة عميقة من الدماء المهزقة...!!
ثم تحول «الغز» فأحرقوا «جامع المطرز» و كانت بنايته تستوعب ألفين من الناس ... ثم استمروا على أضواء المشاعل يغيرون على أنحاء
البلدة و يخربون ما تصل إليه

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٨٨
أيديهم. ثم عسكروا خارج البلدة و لكنهم استمروا يوما يدخلون المدينة و يعيئون فيها، فيقتلون بعض الأفراد، أو يكتفون بتعذيب
بعض من يلاقونه، و قد يخربون الديار و يحطمون المنازل و يفعلون من الأمور ما يثير في النفوس كثيرا من لمرارة و الحسرة.
و قد بلغ عدد ضحاياهم بضعة آلاف، بينهم جماعة من أفاضل الرجال مثل «الشيخ محمد الأكاف» و «محمد بن يحيى» و قد رثى
الأخير منهما الشاعر «خاقاني» في ثلاث قصائد على الأقل «١»
و كان الخراب شاملا بحيث أن مؤلف كتاب تاريخ السلاجقة المعروف ب «راحة الصدور» «٢» يقول: إن «معزى» ربما فكر في هذه
الكارثة حينما أنشأ الأفعال التالية:

- و كان نديمي موجودا في هذه الحدائق الزاهرة و من حوله الرفقاء و الإخوان؛
 - فأصبحت هذه الحدائق مرتعا للتعاب و الذئاب و البوم و الغربان ...!!
 - و أصبحت حمر الوحش ترتع فيها ... و كانت تدور فيها الكؤوس و الأكواب.
 - و أصبحت الغربان تنعب فيها ... و كانت تتجاوب فيها من قبل نعمات العود و المزمار و نبرات الحديث المستطاب ...!!
 - و قد محا الفلك هذه الآثار العزيرة على النفوس و القلوب؛
 - فلن يستطيع منقب في ثناياها أن يتبين المكان الذي كنت أغازل فيه الحبيب ..!
- آنجا که بود آن دلستان با دوستان در بوستان شد کوف و کرگس را مکان شد گرگ و روبه را وطن

(١) أنظر مجلة «الجمعية الآسيوية الملكية» سنة ١٩٠٢ ص ٥٥٤، و كذلك «كليات خاقاني» طبع لكتو سنة ١٢٩٣ هـ ج ١ ص ٥٨٧-٥٩٠
(٢) مؤلف «راحة الصدور» هو الراوندي.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٨٩ بر جای رطل و جام می گوران نهادستند بی بر جای نقل
و نای و نی آوای زاغست و زغن

زين سان که چرخ نيلگون کرد آن نهانهارا نگون ديار کی گردد کنون گرد ديار يار من «١» و قد فعل «الغز» بسائر أنحاء خراسان
مثلا فعلوا بمدينة نسايبور، و لم ينح من أيديهم إلا مدينة «هراة» فإنها قاومتهم أشد المقاومة و قد مكث «سنجر» سنتين أسيرا في
أيديهم و لم يستطع الخلاص إلا بعد أن دفع رشوة لجماعة من رؤسائهم فخرج من «بلخ» إلى «مرو» و أخذ يعد العدة لجمع جيش
جديد و لكن المزن استولى عليه بسبب الخراب و الدمار اللذين أصيبت بهما دياره فمرض مرضا شديدا توفي على أثره في سنة ٥٥٠
هـ (١١٥٥ م) و دفن في «مرو» بالمقبرة المعروفة باسم «دولتخانه».

و قد كتب «الأثوري» قصيدته التي عرفت باسم «دموع خراسان» أثناء الفترة التي وقع فيها «سنجر» أسيرا في يد «الغز» و ربما كتبها في
سنة ٥٥٠ هـ (١١٥٥ م) و قد خاطب بها الشاعر أمير سمرقند «محمد بن سليمان» كما يرى ذلك «كركاتريك» و إن لم يكن هنالك
ما يقطع بهذا الرأي. و القصيدة طويلة بحيث لا يتسع المقام لنشرها لأنها تشتمل على ٧٣ بيتا، و من أجل ذلك فسأكتفي بأن أنشر هنا
قطعا جميلة من ترجمة «كركاتريك» و ترجمة «بالمر»
و فيما يلي ثلاث فقرات من ترجمة «كركاتريك» و هي تقابل الأسطر الأربعة عشر الأولى من ترجمة «بالمر» و تقابل الأبيات الخمسة
الأولى من الأصل الفارسي:

(١) المترجم: أنظر ص ١٨٢-١٨٣ من كتاب «راحة الصدور» طبع ليدن سنة ١٩٢١ م

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٩٠
و فيما يلي نورد الجزء المقابل لهذه الفقرات من ترجمة «بالمر»:

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٩١
و فيما يلي ترجمة حرفية للأبيات الفارسية التي تقابل القطع السابقة «١»

- إذا مرتت ... يا ربيع السحر ...! على مدينة «سمرقند»

فاحملي رسالة أهل خراسان إلى حضرة السلطان ...!!

- فهي رسالة مطلعها عناء للجسد و عذاب للروح

و مقطعا (أي نهايتها) ألم للفؤاد و ضنى للأكباد ...!!

- و هي رسالة تبدو في سطورها تأوهات الأعداء

و تحوى في ثناياها على دماء القتلى من الشهداء ...!!

- و قد جفت صفحاتها بفعل التأوهات الحارة التي تخرجها صدور المظلومين

و لكن عنوانها ما زال نديا مبللا بفعل الدموع الجارية من أعين المحرومين ..!

- و قد احترق بها سمعي ... عندما أخذ يصغى إلى أخبارها

و دمي بها إنسان عيني ... عندما نظر إلى مضمونها و آثارها ...!!

و قبل أن نترك هذه القصيدة الخالدة يجدر بنا أن نذكر قطعا أخرى متعاقبة في ترجمتي «كركاتريك» و «بالمر».

[ثم يذكر الفقرات ١٣-١٦ من ترجمة «كركاتريك» و القطعة التي تقابلها من ترجمة «بالمر» و لم نر حاجة إلى إيرادها].

و الترجمة الحرفية للأصل الفارسي للفقرات الانجليزية التي تركناها هي الآتية: «٢»

(١) المترجم: فيما يلي النص الفارسي للأبيات الخمسة الأولى من القصيدة، و هو الذي اعتمدنا عليه في الترجمة:

بر سمرقند اگر بگذری ای باد سحرنامه أهل خراسان به بر خاقان بر

نامه مطلع آن رنج تن و آفت جان نامه مقطع او درد دل و خون جگر

نامه بر رقمش آه عزیزان پیدانامه در شکش خون شهدان مضم

نقش تحریرش از سینه مظلومان خشک سطر عنوانش از دیده محرومان تر

ریش گردد ممر صوت ازو گاه سماع خون شود مردمک دیده زو وقت نظر

(٢) المترجم: الأبيات الفارسية هي:

- بر بزرگان زمانه شده خوردان سالاربر کریمان جهان گشته لثیمان مهتر -
تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الی السعدی/ تعریب، النص، ص: ٤٩٢
- و قد أصبح الصغار يرأسون العظماء والكبراء
و أصبح أهل اللؤم والبخل يفضلون الكرماء الأسخياء...!!
- و أصبح الأحرار حيارى ... يقفون في حزن على أبواب الأسافل
و أصبح الأبرار أسرى في أيدي الأراذل...!!
- و لم تعد ترى أحدا يبدو البشر على وجهه إلا إذا كان على أبواب الموت
و لم تعد تجد بنتا بكرا إلا من كانت في بطن أمها...!!
- و أصبح المسجد الجامع في كل بلدة مربطاً لدوابهم
و لم يعد له سقف أو باب...!!
- و لم يعد أحد يخطب باسم «الغز» في أي بلدة من البلاد
لأن خراسان قد خلت الآن من الخطباء و المنابر...!!

شعر الأنوري:

نتنقل الآن إلى الفصل الثاني من كتاب «ژوكوفسكي» «١» الذي أفرد له نشاط «أنوري» الأدبي و لخصائص شعره. و هنا نجد أن «الأنوري» اتبع نهج الشعراء الآتية أسماؤهم، و هم من العرب و الفرس و قد ذكرهم في قطع مختلفة من قصائده:
«الأخطل» و «جرير» و «الأعشى» و «حسان بن ثابت» و «البحري» و «أبو فراس» و «بديع الزمان الهمداني» و «الحري» و «العنصرى» و «الفردوسي» و «الفرخي» و «أبو الفرج» و «الأعمر معزى» و «سنائي» و «أديب صابر» و «رشيدى» و «حميد الدين» و «رشيد الدين الوطواط» و «شجاعى» و «كمال الدين اسماعيل». و يبدو

- بر در دونان أحرار حزین و حیران در کف رندان ابرار اسیر و مضطر

شاد إلا بدر مرگ نه بینی مردم بکر جز در شکم مام نیابی دختر
مسجد جامع هر شهر ستور ایشانرا پایگاهی شده نه سقفش پیدا و نه در
نکند خطبه بهر شهر بنام غز از آنکه در خراسان نه خطیبست کنون نه منبر
(١) أنظر ص ٣٤-٣٧ من کتاب «ژوکوفسکی».

تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الی السعدی/ تعریب، النص، ص: ٤٩٣
من هذه القائمة- كما لاحظ ذلك «ژوكوفسكي»- أن الأنوري كانت له معرفة تامة بشعر الشعراء القدامى و كذلك بشعر المحدثين من معاصريه. و قد رأينا أن صلاته كانت طيبة مع واحد من معاصريه هو الأديب المعروف «حميد الدين» مؤلف «المقامات» و قد تبادل معه كثيرا من الأشعار. و قد ذكر «ژوكوفسكي» جملة من هذه القطع الجميلة التي أرسلها الأنوري إلى «حميد الدين» و من بينها هذه الأبيات المعروفة التي ترجمتها:

- إذا أرسلت بجناح جرادة إلى حضرة سليمان

فألتبس لى عذرا عن هذه الهدية التي أخجل من تقديمها...!!

- و إني لأخشى ما ينالني من احتقار زهرك و ربحانك

و قد أقدمت على إرسال هذه الأشواك إلى بستانك...!!

و من بين الشعراء الذين خصهم الأنوري بإعجابه- وفقا لما ذكره صاحب «تاريخ كزیده» و «هفت إقليم»- الشاعر «أبو الفرج الروني» الذي كان من أهل «الاهور» و من المادحين لمملوك «غزته» و توفي في تاريخ لاحق لسنة ٤٩٢ هـ (- ١٠٩٩ م).

أما الأمراء و الأفاضل الذين ورد ذكرهم في أشعار الأنوري فمن بينهم:

«السلطان سنجر» و «أبو الفتح طاهر بن فخر الملك» و هو من أحفاد الوزير المعروف «نظام الملك» و «السلطان طغرل تگین» و «عماد الدين فيروزشاه» حاكم بلخ و «خواجه جهان مجد الدين أبو الحسن العمراني» و «السيد أبو طالب» و «حميد الدين» صاحب المقامات. و يختتم «ژوكوفسكي» هذا الفصل بذكر الفنون الشعرية التي اتبعها الأنوري مثل «القصيد» و «الغزل» و «الرباعي» و «التهجاء» و «المقطوعات» ثم يذكر بعد ذلك جملة من أشعاره التي قالها في احتقار الشعر، ثم يورد بعد ذلك

تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الی السعدی/ تعریب، النص، ص: ٤٩٤

المنظومات التي قالها ثلاثة من الشعراء من بينهم «مجد الدين همكر» و «إمامي» «١» عندما ستلوا عن آرائهم في المفاضلة بين «الأنوري» و «ظهير الدين الفارياي» فاتفقوا جميعا على تفضيل «الأنوري» على صاحبه.

صعوبة أشعار الأنوري:

فإذا وصلنا إلى الفصل الثالث من كتاب «ژوكوفسكي» وجدناه يتعلق بصعوبة أشعار الأنوري، و بالمراجع التي تساعدنا على التغلب على هذه الصعوبة و التمكن من فهم أشعاره و خاصة الشرحين الآتين:

١- الشرح الذي كتبه «محمد بن داود العلوي الشاد آبادي» على أشعار الأنوري (و هذا الشخص نفسه هو الذي شرح أشعار «الخاقاني»).

٢- الشرح الذي كتبه «أبو الحسن الفراهاني» من رجال النصف الأخير من القرن السابع عشر الميلادي (- الحادي عشر الهجري).

و قد أعجب «ژوكوفسكي» بالثاني من هذين الشرحين، لأن صاحبه اعتمد فيه على ما سمعه شفويا من روايات، و كذلك على ما قرأه مكتوبا من تفاسير اشتمل عليها ستة و ثمانون كتابا ذكرها الشارح بأسمائها.

أسلوب الأنوري:

أما الفصل الرابع و الأخير من كتاب «ژوكوفسكي» فيتعلق بأسلوب الأنوري و لغته، و بما قام به المستشرقون من مجهود لتعريف الناس بالأنوري و بأشعاره و ليس هذا الفصل في حاجة إلى تعليق جديد نكتبه عنه.

فلنترك الآن الأنوري، و لننتقل إلى الحديث عن الشاعر «الخاقاني».

(١) النص الفارسي لهاتين القصيدتين موجود مع ترجمته إلى الإنجليزية في ص ٦٠-٦٤ من مقالتي عن الشعراء الفرس المذكورين في كتاب «تاريخ كزیده»، و يذكر مجد الدين أنه قال قصيدته في رجب سنة ٦٧٤ هـ (يناير سنة ١٢٧٦ م) تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٩٥

٢- خاقاني

[نبذة من حياته]

اشتهر هذا الشاعر بصعوبة أشعاره و خفاء معانيها. و أغلب منظوماته من نوع القصائد و لكنه نظم «مثنويًا طويلاً أسماه «تحفة العراقيين» و وصف فيه حجه إلى مكة المكرمة. و ضمنه كثيراً من المعلومات التي تتصل بحياته. و هناك مقالة قيمة كتبها «خانيقوف N. de Khanikoff» عن الشاعر خاقاني تحت عنوان «خاقاني: الشاعر الفارسي في القرن الثاني عشر الميلادي»

Memoire sur Khacani, Poete Persan du XII Siecle

و نشرها في «المجلة الآسيوية» سنة ١٨٦٤-١٨٦٥ م و قد كتب عنه فقال إنه «نجم لامع بين الملهمين من الفرس» ثم أخذ يبين لنا حاله في صورة واضحة، استطاع أن يجلو بها كثيراً مما خفى من أمر الشاعر و أمر عصره. و يؤخذ من بيت من قصيدة له عن أصفهان أن «أفضل الدين إبراهيم بن علي الشيرازي» كان يعرف أولاً باسم «خاقاني» ثم تلقب بعد ذلك بال «خاقاني» و أنه ولد سنة ٥٠٠ هـ (١١٠٦-١١٠٧ م) في مدينة «كنجة» التي تعرف الآن باسم اليزايتبول Elizavetpol. و كان أبوه نجاراً و كانت أمه مسيحية من النساطرة اعتنقت الإسلام «٢١» و كانت تشتغل طاهية. و كان جده- كما يخبرنا هو بصراحة تامّة- نساكاً، و كان عمه طبيباً اسمه «ميرزا كافي بن عثمان» و إليه يرجع الفضل في تأديبه و تثقيفه. و في سن مبكرة تركه أبوه- إما لوفاته أو لهجر أمه- فاهتم عمه بالعناية به و تولي تنشئته و تربيته ثم علمه مبادئ العلوم و اللغة العربية و الطب و النجوم و الفلسفة. و قد

(١) هكذا رأى «خانيقوف» و لكن يبدو لي من «تحفة العراقيين» (النسخة المطبوعة على الحجر في سنة ١٨٧٧ م ص ٣٥) أنه ولد في مدينة «شروان».

(٢) تحفة العراقيين ص ١٩٩ سطر ١-٦ تحت عنوان أصل الشاعر

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٩٦

قاسى في تعليمه الكثير لأنه كان على شاكلة أهل عصره و بيته يريد ألا يفسد الطفل و لو اضطر إلى استعمال العصاة و المقرعة. فلما بلغ «خاقاني» الخامسة و العشرين من عمره مات عمه و لم يتجاوز الأربعين من عمره فانقطعت بموته تربيته الشاعر و وقف تعليمه.

خاقاني و أبو العلاء الكنجوي:

و لكن خاقاني مدين في براعته في النظم إلى أستاذ آخر هو «أبو العلاء الكنجوي» أحد شعراء «مؤجهر شروانشاه» «١» و قد قدمه هذا الشاعر إلى مولاه فأذن له أن يغير تخلصه الذي عرف به باسم «خاقاني» إلى هذا اللقب الفخم الذي أصبح يعرف به و هو: «خاقاني» و قد زوج «أبو العلاء» ابنته من تلميذه «الخاقاني» فكان هذا مثاراً لحسد تلميذه الآخر «فلكي الشرواني» الذي ما زال غاضباً من أستاذه بسبب هذه الزيجة حتى أراضاه في نهاية الأمر بمنحه ٢٠٠٠ ر ٢٠٠ درهم ليشتري بها كما قال له: «عشرين أمّة تركية يقفن عروس الخاقاني جمالا و بهاء...!!!»

و الظاهر أن رضاه «أبي العلاء» على تلميذه و زوج ابنته لم يستمر طويلاً، و أنه أحس من الخاقاني شيئاً من الجفاء و النفور فوجه إليه هذه الرابعة:

خاقانيا گرچه سخن نیک دانیا یک نکته گویمت بشنو رایگانیا

هجو کسی ممکن که ز تو به بود بسن شاید که پدر بود ... تو ندانیا ...!!! و معناها:

- یا خاقانی ...!!! و لو أنك ماهر حقیقه فی قول الشعر- و لكن دعنی أنصحک نصیحة واحدة، فاصح إليها من غیر أجر

- لا تهزأ بشاعر یکبرک سنا ... و حذار أن تهجوہ- فربما كان أباک ... دون أن تعرف أنت هذا الأمر ...!!!

(١) كان على عهده كثير من الشعراء مثل «نظامي الكنجوي» و «أبو العلاء الكنجوي» و «فلكي الشرواني» و «خاقاني» و «السيد ذو الفقار» و «شاهفور». أنظر تذكرة الشعراء ص ٧١.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٤٩٧

و ربما ساء «الخاقاني» ما سمعه من قذح حميه فيه، فطلب منه أن يعتذر عما قال و لكن «أبا العلاء» لم يستمع إليه و جدد هجاءه له في الأبيات الآتية: «١»

تو ای افضل الدين گر راست پرسی بجان عزیزت که از تو نشادم

درو گر پسر بود نامت بشروان بخاقانیت بر لقب بر نهادم

بجای تو بسیار کردم نکوئی ترا دختر و مال و شهرت بدادم

چرا حرمت من ندارى تو چون من ترا هم پسر خوانده هم اوستادم

بمن چند گوئی که گفتی سخنها که من یک شبی مر ترا خوش بگادم

و گر خیزگی می کنی باز گویم کزین سان سخنها نباشد بیادم

بگفتم بگفتم نگفتم بگادم بگادم بگادم و معنی هذه الأبيات:

- یا افضل الدين .. لو أنك سألتني الحق لأقسمت لك بروحي أنني مستاء منك

- لقد كان اسمك في «شروان» ابن النجار، فلقبتك بالخاقاني ...!!!

- ثم أكثرت من إحسانى لك، فزوجتك ابنتي، و أعطيتك المال و الشهرة ...!!!

- فلم لا تحترمنى ... و قد كنت أتخذك ولداً، و كنت لك أستاذاً ...!!!

- و إلى متى تقول أنني قلت بشأنك حديثاً، و أنني نكحتك في إحدى الليالي نكحة طيبة ...!!!

- أما إذا كنت تعبت بي، فإنني أعيد القول أنني أنا نفسي لا أكاد أذكر هذا الحديث !!!...
 - فإن كنت أنا قلته فيها، وإن كنت لم أقله فيها، وإن كنت أتيتك فيها، وإن كنت لم أتتك فيها !!!...
 وقد أجابه «خاقاني» على هذه الأبيات بمنظومة لاذعة فاحشة الألفاظ، نشرها «خانيقوف» مع ترجمتها، ثم اعترض عن إقدامه على نشرها بأنها صيحة فارسية في القرن الثاني عشر الميلادي (السادس الهجري) فلا غرو إذا احتوت على كثير من الفحش

(۱) أنظر «تذكرة الشعراء» ص ۷۱

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدی / تعريب، النص، ص: ۴۹۸
 الذي ربما وجدنا له مثيلا في هذا القرن في لغة إيران وفي لغة أوروبا أيضا «۱».

(۱) المترجم: فيما يلي نص هذه المثنوية نقلا من مقالة «خانيقوف»:

يبنى سگ گنجه در این کوی هم سرخ قفا و هم سیه روی
 آن سرخ نه کز معمري خاست سرخی که ز دست مرغزی خاست
 آن ملحد أبو العلاي سافل چون وحش بی همه عقل و غافل
 غریجه و غرچه ز کوری غوری سگ و عولی اصل عوری
 چون آن سگ عوری از جهان زاده مشیره شیخ نجدی افتاد
 شکر و جو سگ زبان مختال پرورده شیر سگ علی الحال
 آن جاحظ وقت را بدی خواهه آن جاحد دین آبا ده الله
 بطریق زمانه باب بطروس صد ره به ازو جهود و مجوس
 خواهی اش جهود ملحدان دانور خواهی ملحد جهودان دان
 مانند جهود شد زحل رنگ لا بل چو زحل جهود نیرنگ
 او کیست که با روان نازک باشد بمنسبت هو یدیک
 او جز پی نفی حق نبودان از اب و این روح گوید
 آن مشرک و این معطل از دل هم مشرک بهتر از معطل
 از نم شده افتابش از دست شتاب و دهن دریده چون طست
 لا بل که چو شمع طست از آغاز خورده شمعهای سرگاز
 دارد نسب از ججیم خذلان هم نار ججیم گردش جان
 بوده نسبی از آتش آژهم بر سر آژ جان دهد باز
 ماند بجعل بفعل و سیمایی بجعل که وقت گرما
 از نقل چهارپا بر آیدم بر سر آتش جان بر آید
 چون از در دین ستوده گردد گرد در و گرد کوه گردد
 صباحی را در ابر جوید چون یافت نعام صباح گوید
 گوید که حسن پیمبری بود کمال بزرگ مهتری بود
 گوید که محمد ای برادر مردست حکیم کیمیاگر
 که با زن زید این آن کردانگاه ورا نکاح دین کرد
 از محدث کاف و نون که مولیست محجوبم کر این حدیث او نیست
 وز روضه مصطفی که میفرست بیزارم ار این نه گفته اوست
 هستند بر این گوا شب و روز در فندق او دو صد کله دوز
 در فندق او بود دکانش صد کوثر دو مغز در دهانش
 وز فندقیان بطبع ناخوش در نعره چو شه بلوط از آتش
 آنکه احمد را حکیم داند خاقانی را به بین چه خواند
 گوید که رسول بود فاجرد پوری علی چه گوید آخر
 صباح شد این لعین بی دین مانا که نماند اهل قزوین
 شروان که چو کعبه بود از این پیش کردش چو گشت از آفت خویش
 بیت المقدس بده با ایام چون دارا قمامه گشت بدنام
 بر جبهتش از فنا رقم باد اهل الموت را ألم باد .

تاریخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدی / تعريب، النص، ص: ۴۹۹

و لم یکتف «خاقانی» فی هذه القصيدة بانتهام أستاذة و صديقه بأشنع التهم، بل اتهمه بتهمة أشد و أشنع مما كانت تثيره الشكوك حول المسائل الأخلاقية، فأعلن صراحة أنه من أتباع «الحسن بن الصباح» و جماعة الحشاشين الذين كانوا يقيمون في حصن «الموت». و يقول «خانيقوف» إن الخاقاني أنشد هذه القصيدة فيما بين سنتي ۵۳۲- ۵۴۰ هـ (۱۱۳۸- ۱۱۴۶ م) و إنه في ذلك الوقت ترك مسقط رأسه و التحق بخدمه ملك شروان المسمى «أخستان بن منوچهر» الذي انتقل بعاصمته من مدينة «گرشاسب» في أذربيجان إلى مدينة «باكو»، و لكن الأمور لم تسر وفقا لمراده هناك، لأنه كان من الصعب إرضاء هذا الملك الذي كان كثير الشكوك، كثير الغضب، لأقل سبب.

و يتمثل جفاء طباعه في الحكاية المعروفة الآتية:

«... أرسل الخاقاني إليه في إحدى المناسبات قصيدة تضمنت البيت التالي:

و شفی ده که در برم گیر دیا و شافی که در برش گیرم و معناه:

- فأعطني بردا يضمنني إلى منته، أو غلاما أضمه إلى صدري !!!

فأمر «شروانشاه» بقتله على هذا القول الجريء !!!... فلما علم الخاقاني بغضب مولاة أخذ ذباية و قطع أجنحتها ثم أرسلها إلى مولاة قائلا:

إنها السبب في إهدار دمه لأنه كتب «با و شافی» فسقطت الذباية على الباء فجعلتها «ياء» بنقلتين «۲».

و يضيف «دولنشا» على ذلك قوله: «هكذا كان حال الملوك من حيث الهمة و العظمة.

و هكذا كان لطف الشعراء و الفضلاء؛ و لو أن شاعرا طلب الآن من ممدوحه حملين من اللفت لما رأوا في ذلك ما يغض من قدره، و لشكروه على هذا التخفيف فيما يطلب...!! «١».

و استأذن «خاقاني» في الذهاب إلى مكة للحج، و كان قد حج قبل ذلك بثلاثين سنة

(١) أنظر «تذكرة الشعراء» ص ٨٠

(٢) المترجم: بكتابة كلمة «با» يكون معنى البيت:

فأعطني بردا يضمني إلى منته [و أرسله] مع غلام [أي خادم] حتى أضم البرد إلى صدري.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٠٠

عندما كان غلاما صغيرا في رفقته عمه، و أنشد في ذلك قصائد تصف خروجه من «شروان» و مروره على «سفيدرود» و رؤيته الثلج على قمة جبل «سلان».

و ربما فكر في هذا الوقت في زيارة خراسان كما يقول «خانيقوف». و لا شك إنه سمع كثيرا عن جود «سنجر» فشوقه ذلك إلى الالتحاق بخدمته، و لكننا لا نكاد نعثر على الدليل الذي يثبت لنا أنه استطاع أن يحقق ما كان يجول برأسه من رغبة و أمل.

و قد قال في هذا الصدد جملة قصائد، منها:

چه سبب سوی خراسان شدنم نگذارند عندلیم بگلستان شدنم نگذارند و معناه:

- لأى سبب لا يسمحون لى بالذهاب إلى خراسان. و أنا العنديل فلماذا لا يسمحون لى بالذهاب إلى البستان...!! و له قصيدة أخرى مطلعها:

بخراسان شوم إن شاء الله از ره آسان شوم إن شاء الله و معناه:

- سأذهب إلى خراسان إن شاء الله و سأذهب بطريق اليسر إن شاء الله...!! و له قصيدة ثالثة مطلعها:

ره روم مقصد امکان بخراسان بایم تشتهام مشرب إحسان بخراسان بایم و معناه:

- سأسلك سبيلي، و سأجد مقصد الإمكان في خراسان... و إنى ظمآن، و سأجد مشرب الإحسان في خراسان...!! و يبدو أن «الخاقاني» استطاع أن يشرق حتى وصل إلى مدينة «الرى» ثم منع لأمر من الأمور عن تجاوزها، فقال في ذلك قصيدة وجهها إلى هذه البلدة، منها البيتان الآتيان:

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٠١ چون نیست رخصه سوی خراسان شدن مراهم باز پس نکشم من بالای ری

گر باز رفتنم سوی تبریز اجازت است شکرانه گویم از کرم پادشای ری و معناه:

- لا رخصه لى فى الذهاب إلى خراسان... و من أجل ذلك فسأرجع، فلا قدرة لى على تحمل متاع مدينة «الرى»...!!

- و إذ سمح لى بالذهاب إلى «تبريز»... فإننى أكرر الشكر لملك «الرى» و أحمد له كرمه...!!

و ربما تخيل «الخاقاني» أنه سيفوز بكثير من التقدير في خراسان، فقال في نهاية القصيدة التى سبقت البيت الآتى:

چون ز من اهل خراسان همه عنقا بینند من سلیمان جهانان بخراسان بایم و معناه:

- و لما كان أهل خراسان يروني العنقاء، فریما استطعت أن أجد سليمان الحكيم في خراسان...!!

و هو يشير بذلك إلى «سنجر» الذى ذكره صراحة فيما بعد. و يبدو لى أنه قال هذه القصيدة قبل غارة «الغز» على أملاك «سنجر» فى سنة ١١٥٤ م (- ٥٤٩ هـ) و هى الغارة التى قتل فيها الطبيب العالم «محمد بن يحيى» صديق الخاقاني، و كان قد ترأس معه كثيرا أثناء

حياته، فلما قتل خنقا على أيدي «الغز» رثاه بمرثيات جميلة مذكورة فى ديوانه «١»

و كان «الخاقاني» أيضا متصلا بملوك خوارزم (الخوارزمشاه) و يثبت ذلك وجود

(١) أنظر قصيدة باللغة العربية ضمن «كليات خاقاني» موجهة إلى «محمد بن يحيى»

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٠٢

جملة قصائد من قصائده فى مدح ال «خوارزمشاه» و فى مدح شاعره المعروف «رشيد الدين الطوطا» الذى أرسل إليه جملة أبيات يثنى عليه فيها.

و يبدو لى أن «الخاقاني» لم يفكر فى زيارة «خراسان» بعد موت «سنجر» لما أحدثته فيها غارة «الغز» من دمار و هلاك.

تحفة العراقيين:

أما فيما يخص برحلة «الخاقاني» إلى مكة للحج للمرة الثانية، ففي أيدنا سجل من إيشانه فى مثنويته المعروفة ب «تحفة العراقيين» التى طبعت فى مدينة «الكنو» فى سنة ١٢٩٤ هـ. و هذه المثنوية مقسمة إلى خمس مقالات:

المقالة الأولى: فى الشكر الإلهى.

المقالة الثانية: تحتوى على بيانات عن ترجمة حياة الشاعر.

المقالة الثالثة: وصف همدان و العراق و بغداد.

المقالة الرابعة: وصف مكة.

المقالة الخامسة: وصف المدينة.

و قد شرح «خانيقوف» محتويات هذه المقالات الخمس و فسر مورد بها من أسماء و من أجل ذلك فسأكتفى بهذا الحديث الوجيز عنها.

و قد أوحى هذه الرحلة بجملة قصائد أخرى جميلة بالإضافة إلى «تحفة العراقيين» و من بينها القصيدة الرائعة التى مطلعها:

سر حد بادیه است، روان باش بر سرش تریاک روح کن ز سموم معطرش و معناه:

- هاكه حد البادية... فتقدم إليه... و لا تردد...!! و اشف روحك برياحها العليله المعطرة...!!

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٠٣

[زيارة «خاقاني» مدينة أصفهان]

و قد زار «خاقاني» مدينة أصفهان أثناء عودته من الحج، فأصابه هناك شىء من سوء الحظ كالذى أصابه «الأبوري» فى مدينة «بلخ». و تفسير الخبر أنه عند ما وصل إلى «أصفهان» أحسن أهلها استقباله و لكن أحد تلاميذه هو «مجير الدين البيلقاني» نشر رباعية «١» عن

أهل أصفهان مليئة بالسباب و الشتائم، فانبرى شاعر آخر اصفهاني اسمه «جمال الدين عبد الرزاق» للرد عليه بقصيدة لاذعة مليئة بالفحش؛ و أراد «الخاقاني» أن يتخلص مما جره عليه تلميذه، فأنشأ قصيدة أخرى كلها مدح و ثناء على أصفهان و الأصفهانيين، يقول فيها بعد ما أطراها كل الاطراء:

این همه کردم برایگان نه برای طمع کافسر و زر یابم از عطای صفاهان

دیو رجیم آنکه بود دزد بیانم گر دم طغیان زد از هجای صفاهان

او بقیامت سپیدروی نخیزدز آنکه سیه بست بر قفای صفاهان

أهل صفاهان مرا بدی ز چه گویندمن چه خطا کردهام بجای صفاهان و معنی هذه الآيات:

- و قد فعلت ذلك غير طامع، و بدون اجر، و دون أن أفكر في الحصول على تاج ذهبي من عطاء اصفهان !!!

(١) المترجم: الرباعية المنسوبة إلى «مجير الدين البيلقاني» هي الآتية:

گفتم: عراق قوت جان خیزدلعلیست مروت که از آن کان خیزد

کی دانستم کاهل صفاهان کورندبا این همه سرمه کز صفاهان خیزد معناها:

قلت لنفسي إن الروح تسترد قوتها في العراق، و تستطيع أن تجد بواقيت المروءة في مناجها.

و لكني لم أعرف أن أهل اصفهان عمى العيون، رغم هذا الكحل الكثير الذي يجلب منها.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٠٤

- و لكن هذا الشيطان الرجيم الذي سرق فصاحة بياني، لو أنه تنفس بكلمة واحدة في هجاء اصفهان،

- لما قام في يوم القيامة أبيض الجبين، لأنه أراد أن يطلع بالسواد رأس اصفهان ...!!!

- فلماذا يتحدث أهل اصفهان بالسوء في شأنى ... و أى خطأ ارتكبته في حق اصفهان ...?!

و قد نظم الشاعر هذه القصيدة بعد سنة ٥٥١ هـ كما يستفاد ذلك مما بها من إشارات، أو ربما في السنة التالية كما يقول «خانيقوف».

[حجسه في قلعة «شابران»]

و عند ما عاد خاقاني إلى «شروان» غضب عليه ملكها «أختسان» فأمر بحجسه في قلعة «شابران» حيث أنشأ قصيدته «الحجسية» المعروفة. و ربما كان سبب غضب مولاة عليه راجعا إلى غروره و اعتداده بنفسه (و هي صفة لم تفارق الشاعر في أى وقت من الأوقات) أو ربما كان السبب راجعا إلى اتهام بعض الحاسدين له بأنه يسعى إلى الالتحاق بخدمة شخص آخر غير ملك شروان «١».

و لسنا نعرف إلا القليل من أمر «الخاقاني» من يوم حجسه إلى وفاته بعد ذلك في تبريز سنة ٥٨٢ هـ (١١٨٥ م) و لكننا نعلم من قصائده أنه عاش فترة بعد موت مولاة «أختسان» و أنه فقد امرأته و أحد أبنائه المسمى «رشيد» و لم يتجاوز العاشرة من عمره «٢».

(١) المترجم: هذه الحجسية تعتبر من أبلغ ما قاله «الخاقاني» من قصائد، و نحن ننقل منها الآيات الآتية من المطلع:

صبح دم چون کله بندد آه دود آسای من چون شفق در خون نشیند جسم شب پیمای من

مجلس غم ساخته است و من چو بيد سوخته تا بمن راوق کند مژگان می بالای من

رنگ بازبجه است کار گنبد نارنج رنگ چند جوسم کر بیرونم بگردد صفرای من

(٢) تاريخ وفاة «خاقاني» المذكور آنفا قال به عوفى فى «الباب الألباب» و «المستوفى» فى «تاريخ گزینده» و دولتشاه فى «تذكرة الشعراء» و لكن هناك أقوالا أخرى أوردها «خانيقوف» فى مقاله تجعل وفاته بعد ذلك إلى سنة ٥٩٥ هـ (١١٩٨-١٩٥٩ م). و يلاحظ «خانيقوف»

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٠٥

و قد تحدث «خانيقوف» عن الميراثية التي رثا بها «خاقاني» زوجته فقال:

«إن هذه القصيدة- فى رأيي- هى القصيدة الوحيدة التي يظهر فيها الخاقاني كما نود له أن يظهر: شاعرا طيبا رقيق الإحساس. فقد أنساه الأسى قوة بيانه فلم يشحن عباراته بالاصطلاحات العسيرة و لا بالصناعات البديعية الكثيرة، فكان ذلك سببا فى أن تتدفق أشعاره إلى قلب القارىء فيحس فيها بلوغه الأسى التي صورت هذه النكبة المنزلية منذ سبعة قرون ماضية ...!!!»

و قد دفن «الخاقاني» فى مقبرة الشعراء فى «سرخاب» بالقرب من «تبريز» بجوار الشعراء المعروفين «ظهر الدين الفاريابي» و «شاهفور بن محمد الأشهرى النيسابورى».

و قد أخبرنا «خانيقوف» أنه سمع من رجلين عجوزين من أهالى تبريز فى سنة ١٨٥٥ م أن هذه المقبرة كانت قائمة و معروفة قبلما يحطمها الزلزال الشديد الذي خربها و لم يبق على شىء من آثارها. و قد حاول «خانيقوف» البحث عن هذا القبر فأجرى كثيرا من الحفريات و لكنه لم يستطع الكشف عنه.

و ممن اتصل بهم «خاقاني» غير من ذكرناهم:

١- الفيلسوف أفضل الدين الساوجى.

٢- أمير الدين الأحيستكى.

و قد ذكر جماعة غير هؤلاء من الشعراء و الأدباء ... كان يذكرهم فى معرض الفخر عليهم، من بينهم «معزى» و «الجاحظ» (و لكن النسخة المطبوعة على الحجر ذكرت بدل «الجاحظ» كلمة «حافظ» و هذا بالطبع خطأ فاحش تصادف كثيرا مثله فى الشروح الهندية عادة) و «أبو رشيد» و «عبدك الشراوانى» و «قطران التبريزى» و «سنائى الغزنوى» و «العنصرى» و «الرودى».

فن الخاقاني:

يعتبر الخاقاني من الشعراء الذين برزوا فى قول القصائد مثل «الأورى»

- أن التواريخ المتأخرة أقرب إلى الصواب، لأن المعروف أن «خاقاني» عاش بعد «اختسان» و أن «اختسان» توفى سنة ٥٨٣ هـ فلا يعقل أن يقال أن «خاقاني» مات فى سنة ٥٨٢ هـ

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٠٦

و شهرته قائمة على هذا الفن وحده من الفنون الشعرية، رغم أنه أنشأ كثيرا من «الغزليات» و من «الرباعيات» و من «المثنويات» و خاصة «تحفة العراقيين» التي ذكرناها فيما سبق و كذلك جملة من القصائد العربية.

و أسلوبه غامض في العادة، كثير التصنع حتى ليقال إنه يغرق في التكلف، وقد عقد «فون هامر Von Hammer» - مقالته قارن فيها بين «خاقاني» و بين «بندار» و قد استعرضها «خانيقوف» و تناولها بالتفد. أما قصائد «خاقاني» فكتيرة تملأ ١٥٨٢ صحيفة من الصفحات الكبيرة وفقا لطبعة لكتو على الحجر. «١» و في إحدى قصائده التي نشرها «خانيقوف» يظهر «خاقاني» معرفته بالدين المسيحي و مراسمه، و يرغب في أن يتحقق بخدمته امبراطور بيزنطة و أن يعتنق الديانة المسيحية؛ كما يذكر أنه يحيى تعاليم زردشت اذا سمح له بذلك القيصر ... و لكنه عاد فسأل الله الرحمة و الغفران في نهاية قصيدته «٢» ... !!

٣- نظامي الكنجوي

[رسالة الدكتور «ولهلم باخر»]

ثالث الشعراء النابهين الذين عاشوا في هذا العصر هو نظامي الكنجوي، أستاذ الشعر المثنوي الرومانيكي، الذي برز على كل الشعراء في فنه فاكسب به شهرة عريضة خلدت ذكره في إيران و في تركيا أيضا. و في أيدينا رسالة قيمة كتبها الدكتور «ولهلم باخر Wilhelm Bacher Dr.» - و نشرها في مدينة «ليزج» في سنة ١٨٧١ تحت عنوان:

Nizami's Leben und Werke und der zweite theil des Nizamischen Alexanderbuches, mit persischen Texten als anhang

و سأعتمد على هذه الرسالة في الكتابة عن «نظامي» في هذا الجزء من كتابي.

(١) المترجم: أحدث طبعة لديوان «خاقاني» هي التي نشرها الأستاذ «علي عبد الرسول» في سنة ١٣١٦ الهجرية الشمسية، و طبعتها في «شركت چاپخانه سعادت»

(٢) مطلع هذه القصيدة:

فلک کجروتراست از خط ترسامرا دارد مسلسل راهب آسا

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٠٧

اتبع «باخر» في رسالته الطريقة العلمية الصحيحة التي يجب اتباعها عند محاولة الكتابة عن حياة شعراء الفرس، فأهمل تماما جميع الروايات التي لا يعتمد عليها مما كتبه «دولتاشاه» و أمثاله من كتاب التراجم «١»، و قصر همه فيما جمع من معلومات عن الشاعر على مصدر واحد موثوق به، هو عبارة عن الإشارات العارضة التي أشار بها الشاعر إلى نفسه في ثنايا أشعاره.

و على هذا نجد أن كتاب التراجم يختلفون في تاريخ وفاة «نظامي»، فيجعله «دولتاشاه» «٢» في سنة ٥٧٦ هـ (١١٨٠-١١٨١ م)، و يجعله غيره مثل حاجي خليفة ما بين سنتي ٥٩٦ و ٥٩٩ هـ (١١٩٩-١٢٠٣ م). و لكن «باخر» استطاع أن يبرهن بالدليل الكافي على صحة التاريخ الأخير من هذه التواريخ، و أن يثبت أيضا كثيرا من الأخبار التاريخية المتصلة بحياة هذا الشاعر، فقال إنه ولد في مدينة «گنج» (و تعرف الآن باسم اليزاقبول: Elizavetpol) (في سنة ٥٣٥ هـ (١١٤٠-١١٤١ م)، و أنه كتب أولى مثنوياته «٣» المعروفة باسم «مخزن الأسرار» حوالي سنة ٥٦١ هـ (١١٦٥-١١٦٦ م)، و كتب المثنوية الثانية عن قصة «خسرو و شيرين» في سنة ٥٧١ هـ (١١٧٥-١١٧٦ م)، و كتب المثنوية الثالثة المسماة «ليلى و مجنون» في سنة ٥٨٤ هـ (١١٨٨-١١٨٩ م)، و كتب المثنوية الرابعة المسماة «سكندرنامه» في سنة ٥٨٧ هـ (١١٩١ م). و كتب المثنوية الخامسة المسماة «هفت بيكر» أو الصور السبع في سنة ٥٩٥ هـ (١١٩٨-١١٩٩ م)، ثم مات في منتصف العام الرابع و الستين من عمره في سنة ٥٩٩ هـ (١٢٠٢-١٢٠٣ م).

[اسمه و حياته]

و اسم نظامي كما يقول «باخر» هو الياس، و كنيته «أبو محمد»، و لقبه «نظام الدين» و من هذا اللقب استمد الشاعر تخلصه الذي عرف به في أشعاره. و عرف

(١) كان «عوفي» صاحب لباب الألباب معاصرا ل «نظامي» و كان في مقدوره أن يمدنا بمعلومات قيمة عنه، و لكنه كعادته اكتفى بأن يقصر همه على سخافات قليلة في باب اللعب على الألفاظ (أنظر ج ٢ ص ٣٩٦-٣٩٧).

(٢) أنظر ص ١٣١ من «تذكرة الشعراء»

(٣) كتب «نظامي» خمسة من القصائد المزدوجة عرفت باسم «الخمسة» أو المثنويات الخمسة أو باسم «پنج گنج» بمعنى «الكنوز الخمسة».

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٠٨

أبوه باسم «يوسف بن زكي مؤيد» و قد توفي عنه و هو صغير، ثم لم تلبث أمه أيضا أن ماتت بعده بقليل، و كانت من أسرة كردية كريمة. و الشاعر يشير في بعض أشعاره إلى وفاة واحد من أخواله، و يرى «باخر» أن هذا الخال قام بتربيته بعد وفاة أبيه. و للشاعر أخ اسمه «قوامي المطرزي» نال مكانة لا بأس بها في قول الشعر «١»، و اشتهر على أنه مؤلف قصيدة من مائة بيت عن البديع الفارسي أوردناها في الجزء الأول من هذا الكتاب «٢».

و يؤخذ من مواضع مختلفة من أشعار «نظامي» أنه تزوج ثلاث مرات، و أنه أعقب ولدا واحدا على الأقل اسمه: محمد، كانت ولادته في سنة ٥٧٠ هـ (١١٧٤-١١٧٥ م) لأنه كان في الرابعة عشرة من عمره حين أتم والده كتابة مثنويته الثالثة «ليلى و المجنون».

و يقول «دولتاشاه» «٣» أن نظامي كان مريدا «(تلميذا) للشايخ» «أخي فرج الزنجاني» و لكن «باخر» يسمي هذا الشايخ باسم «أخي فرخ الريحاني» .. و فيما عدا الأخبار التي رويناها فيما سبق لا نكاد نعرف شيئا عن الشاعر إلا أنه «كما قال «باخر» ص ١٤-١٥) عرف أغراض الشعر الحقيقية و واجبات الشاعر أكثر مما عرفها غيره من شعراء القصور الذين يمثلهم «الأثوري» فأعرض عن المدائح و تجنب ارتياد القصور «٤»، و إن كان قد تابع أهل عصره في إهداء مثنوياته إلى حكام زمانه؛ فأهدى «مخزن الأسوار» إلى «إبلدگر» حاكم أذربيجان؛ و أهدى «خسرو و شيرين» إلى ولديه اللذين أعقباه في الحكم «محمد» و «قزل أرسلان» «٥» و كذلك

(١) نسخة من ديوانه مكتوبة في القرن الرابع عشر الميلادي موجودة في المتحف البريطاني تحت رقم ٦٤٤٤ Or.

(٢) المترجم: تعرف هذه القصيدة بين الفرس باسم «كشف الأستار عن بدائع الأشعار» أو «بدائع الأسمار في صنائع الأشعار» أنظر الصفحات ٦٣-٨٩ من هذا الكتاب

(٣) انظر: «تذكرة الشعراء» ص ١٢٩

(٤) بذلك أيضا قالت الروايات المختلفة وكذلك أشعاره في مواضع متفرقة.

(٥) أتابه «قرل أرسلان» على هذه الهدية بأن خصص له قرية «حمدونيان» انظر ص ١٢٩ من «تذكرة الشعراء» حيث قال إن الشيخ شكر هذا الإنعام بقوله:

نظر بر حمد و بر اخلاص من كردده حمدونيانرا خاص من كرد -

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٠٩

أهداها لآخر ملك سلجوقي في إيران و هو «طغرل بن أرسلان»، و أهدى «ليلي و المجنون» إلى «اختسان بن منوچهر» حاكم شروان الذي كان يرعى بحمايته الشاعر «خاقاني»، و أهدى كتاب «الاسكندر» أو «سكندرنامه» إلى «عز الدين مسعود» حاكم الموصل ثم إلى «نصرة الدين أبي بكر ببشكين» الذي تولى حكم أذربيجان بعد وفاة عمه «قرل أرسلان» في سنة ٥٨٧ هـ (١١٩١ م)، كما أهدى إليه أيضا كتاب «هفت بيكر».

و يقول «دولت‌شاه» في كتابه «تذكرة الشعراء» ص ١٢٩ أنه بالإضافة إلى هذه المثنويات التي سبق ذكرها و التي تعرف بال «خمس» فإن لنظامي ديوان من الغزليات و الموشحات و القصائد يبلغ العشرين ألف بيت «١». و يذكر «باخر» بيتا من «ليلي و مجنون» يستشهد به على أن «نظامي» رتب ديوانه هذا في نفس الوقت الذي كتب فيه هذه القصة أي في سنة ٥٨٤ هـ (١١٨٨-١١٨٩ م).

أما «عوفي» فعلى العكس من ذلك يذكر في كتابه لباب الألباب (ج ٢ ص ٣٩٧) «إن الرواة لم ينسبوا لنظامي شيئا من الشعر إلا هذه المثنويات. و مع ذلك فقد سمعت من أحد العظماء في مدينة نيسابور أن الرواة نسبوا إليه قول الغزليات الآتية .. ثم يورد عوفي ثلاثا من هذه الغزليات، كل واحدة منها تشتمل على خمسة أبيات، و الأخيرة منها مرثية قالها في رثاء ابنه «٢».

و قد أضاف «دولت‌شاه» (ص ١٢٩-١٣٠) غزلية رابعة من ثمانية أبيات

- و معناه: أنه نظرا لإخلاصه له و حمدي لعمه، فقد خصص لي قرية «حمدونيان»

(١) المترجم: يقول في النص الفارسي: «ديوان شيخ نظامي وراي خمسة قريب بيبست هزار بيت باشد و غزليات مطبوع و موشحات و شعر مصنوع بسيار دارد»

(٢) المترجم: نص هذه المرثية كما يلي:

ای شده هم سر خوبان بهشت آنتجان عارض و آنگه بر خشت

بر نخ عمر بسر بردن خوش دوزخی ناشده رفتی به بهشت

خط نیاورده بتو عمر هنوزاین قضا بر سرت آخر که نوشت

چه عجب گر شودی جان و جهان خاک از دیده من خون آغشت

سیزه زاری خطت اندر خاکست آب کی باز توان داد بکشت .

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥١٠

ذكر في البيت الأخير منها تخلصه صريحا. و مع ذلك فيجب ملاحظة أنه وجد في الأدب الفارسي جملة من الشعراء تخلصوا باسم «نظامي» و أن دولت‌شاه، و قد عرف بكثرة الخطأ فيما كتب من سير و تراجم، معرض لأن يخلط بين (نظامي) الذي ترجم له في هذه المقالة و بين غيره ممن حملوا هذا اللقب الشعري.

و مهما كان من أمر فإننا لو فرضنا صحة القول بوجود ديوان لنظامي، فإن هذا الديوان قد ضاع منذ زمن طويل و غف الأبيات على محتوياته.

مكانة نظامي:

و مكانة «نظامي» كشاعر موهوب، كثير الإنتاج، متميز بذكاء نادر، يعترف بها جميع النقاد من الفرس و غيرهم على السواء. و قد اعترف له بذلك كتاب التراجم و من بينهم «عوفي» و «حمد الله المستوفي القزويني» و «دولت‌شاه» و «لطفعلی بیگ» و كذلك الشعراء و من بينهم «سعدي» و «حافظ» و «جامي» و «عصمت».

و كما أن ذكاه لا ينافسه فيه إلا القليل من شعراء إيران، فكذلك أخلاقه قلما يدانيه فيها أحد؛ ذلك لأنه كان يمتاز بالورع الحقيقي دون أن ينزل إلى التعصب و التزمّت و الجمود، و كان مستغفلا برأيه شديد الاحترام لكرامته، و لكنه كان كذلك ظريفا ودعيا، و كان والدا محبا لأولاده، و زوجا عاشقا لزوجته، و كان لا يحتسى الخمر، و هو في ذلك على التقيض من الكثرة الكثيرة من شعراء إيران و خاصة الصوفيين منهم، فإنهم كانوا يحتسونها برغم تحريمها، و يجعلونها النبع الذي تصدر عنه ألهمه الوحي و الشعر. و لو أردنا تحرى الدقة و الإيجاز في وصف «نظامي» لقلنا إنه الشاعر الوحيد بين شعراء إيران الذي جمع بين الذكاء النادر و الخلق الرفيع، و أنه تميز بهاتين الخصلتين مجتمعين بين جميع شعراء الفرس الذين أمكنت دراستهم و الترجمة لهم.

و من الواجب علينا الآن أن نتحدث حديثا قصيرا عن كل واحدة من هذه المثنويات التي تشتمل عليها ال «خمس»، و مع ذلك فإنه يجب علينا أيضا أن نعترف بأن حديثنا عنها سيكون ناقصا مُتَضَمِّبا، لأنه من المحال أن نوفيها حقها أو شيئا منه في كتاب موجز مثل كتابنا هذا لا يتسع نطاقه للافاضة في العرض و التحليل.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥١١

و قد نشرت «الخمس» في طبعات شرقية مختلفة، و أنا شخصيا أستعين بنسخة طهران المطبوعة على الحجر في سنة ١٣٠١ هـ (١٨٨٤ م)، و هي تقع في مجلد واحد تبلغ عدد صفحاته ستمائة صحيفة، كل واحدة منها تشتمل على خمسين بيتا من الشعر «١».

مخزن الأسرار

فأما «مخزن الأسرار» فهو المثنوية الأولى من هذه المثنويات الخمسة من ناحية ترتيبها الزمني، كما أنها أقصرها طولاً. و هي تمتاز عن المثنويات الأخرى بأنها ليست قصة روائية Romance بل هي منظومة صوفية تشتمل على كثير من النكات و الحكايات على أسلوب «حديقة الحقيقة» التي ألفها «سنائي»، أو على أسلوب «المثنوي» الذي كتبه فيما بعد «جلال الدين الرومي».

و يظهر لي أيضا أنها دون المثنويات الأخرى من الناحية الفنية، و ربما كان سبب ذلك رجعا إلى كراهيتي الشديدة لوزنها الشعري الذي صيغت فيه (البحر السريع) مفتعلن مفتعلن فاعلن

و هي تشتمل على كثير من المقدمات في المناجاة و الحمد، يعقبها عشرون مقالة كل واحدة منها تتعلق بموضوع فقهي أو أخلاقي يتناوله الشاعر أولا من الناحية النظرية و المعنوية، ثم يصوره بعد ذلك بحكاية من الحكايات.

و لكي ندرک أسلوب هذه القصة نكتفي بأن نذكر هنا على سبيل المثال ترجمة حكاية «أبو شروان مع وزيره»، وهي الحكاية التي تمثل الوزير الجري يعنف سيده على ما أصاب الرعية من حيف وإهمال»^{٢٢}:

(١) المترجم: أحدث طبعات «الخمس» هي التي نشرها «وحيد دستگردى» في خمسة أجزاء في طهران- وهناك أيضا نسخة جميلة من «هفت پیکر» نشرها في استامبول المستشرقان «ريتر» و «ريبكا» في سنة ١٩٣٤.

(٢) أنظر ص ٢٣ من «الخمس» طبع طهران سنة ١٣٠١ هـ، وكذلك ص ٨٠ من مخزن الاسرار طبع طهران سنة ١٣١٣ هـ. ش. تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥١٢

- خرج «أبو شروان» يوما للصيد فابتعد به جواده عن كوكبة الفرسان.

- ولم يبق له من أنيس إلا وزيره، فساروا معا ولم يكن معهما كائن من كان !!..

- فمر الملك بناحية مليئة بالصيد، و رأى بها قرية خربة كقلوب الأعداء.

- و قد جلست فيها بومتان متجاورتان، و هما يتحدثان، و الملك يضيق ذرعا بحديتهما

- فالتفت إلى وزيره و قال له: فيم يتحدثان و ما دلالة هذا الصفي الذي يصفران.

- فقال الوزير: يا ملك الزمان، اسمع لى و كن غفورا، أقل لك ما يقولان.

- ليس حديثهما غناء و طربا، بل هما يعدان خطبة للزواج.

- فقد أعطى ذلك الطائر ابنته لهذا الطائر، و هو يطلب منه مهرها الآن.

- و هو يقول له: اترك لى هذه القرية الخربة و كذلك بضع قرى أخرى مثلها

- فيقول له الطائر الآخر: «ما عليك بهذا، ألسنت ترى جور الملك؟ فلا تدع الهموم تستولى عليك... !!»

- فإنه لو امتدت أيام الملك و لو قليلا .. لأعطيتك من القرى الخربة مائة ألف قرية أخرى «١» !!..

(١) المترجم: فيما يلي أصل هذه الأبيات بالفارسية:

صيدکنان مرکب نوشیروان دور شد از کوبه خسروان
مؤنس خسرو شده دستور و بس خسرو و دستور و دگر هیچکس
شاه دران ناحیت صید یاب دید دهی چون دل دشمن خراب
تنگ دو مرغ آمده در یکدیگروز دل شه قافیه شان تنگتر
گفت بدستور: چه دم می زند چیست صفری که بهم می زند
گفت وزیر: آى ملک روزگار گویم اگر شه بود آموزگار
این دو نواز نر بی رامشگری است خطبه از بهر زناشوهری است
دختری این مرغ بآن مرغ دادشیربها خواهد ازو بامداد
کاین ده ویران بگذارى بمانیز چنین چند سپاری بما
آن دکرش گفت کرین درگذر جور ملک بین برو غم مخور
گر ملک اینست نه بس روزگارزین ده ویران دهمت صد هزار
تاریخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥١٣

خسرو و شیرین

في هذه القصة يجرى «نظامى» على نسق «الفردوسى» من ناحية الموضوع و الصياغة. و موضوع قصته يشتمل على مخاطر الملك الساسانى «كسرى پرويز» (خسرو پرويز) و غرامه مع معشوقته الجميلة «شیرين»، و نهاية منافسه التعيس «فرهاد»، و قد اعتمد «نظامى» في هذه القصة على المصادر التي اعتمد عليها «الفردوسى» من قبل أو على مصادر أخرى شبيهة بها، و لكنه تناولها بطريقة أخرى، ابتعد فيها عن الدراسة الموضوعية، فاستطاع أن يخرجها لناقصة غرامية بعكس «الفردوسى» فإنه أخرجها لنا قصة حماسية. و قد استعاض «نظامى» في صياغتها عن «البحر المتقارب» الذي خصصه الاستعمال للشعر الحماسى، بالهزج المسدس على هذا النحو:

مفاعيلن مفاعيلن فعولن «١»

و هذه المنظومة تشتمل على ما يقرب من ٧٠٠٠ بيت، و فيما يلي قطعة منها تمثل حسرة «فرهاد» و موته عندما أمر «خسرو» رجاله بأن يبلعوا «فرهاد» التبا الكاذب بموت «شیرين» في نفس الوقت الذى أتم فيه «فرهاد» المهمة الملقاة على عاتقه من قطع أخدود في جبل «بيستون»^{٢٣}، و هي المهمة التي قام بها و وعد عند إتمامها بالترجوع من «شیرين»:

- فلما سمع «فرهاد» هذا الخبر، سقط من فوق الجبل كقطعة من الحجر!

- و أخرج زفرة حزينة من كبده، كما لو أصابت كبده حربة ذات رأسين فمزقته !!..

- فقال في لوعة: يا أسفا على المشاق التي تحملتها، و قد مت دون أن أظفر بالراحة... !!..

(١) المترجم: هذا هو وزن الهزج المسدس المحذوف.

(٢) جبل «بيستون» قريب من «كرمانشاه» و هو مشهور بالآثار الأكمينية و بالنقوش القديمة، و كان يسمى في اللغة القديمة «باجستانا».

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥١٤

- و يا حسرتاه على مجهودى الضائع، و على أملى الخائب... !!..

- فما النتيجة التي حصلت عليها من شق الصخور...؟! و لم يتيسر مطلبى، و ازدادت مشقتى...؟!..

- و كنت جهولا أطمع في اليواقيت، فلم أظفر بها و لم أصب إلا الحجارة النافهة... !!..

- و اشتعلت نيران الدمار في بيدرى، ثم أفرقتى البلاد في طوفانه... !!..

- و خلت الدنيا من الشمس و القمر، و خلت الخمائل من الزهر و الشجر... !!..

- و انطفأ المصباح المضى، فلم تغب عنى «شیرين» ... بل غابت عنى الشمس المشرقة... !!..

- و هذا هو الفلك الغادر لا يشفق على مظلوم، و لا يرعى برحمته محروم... !!..

- فيا أسفا على هذا الكوكب الذى أصابه الخسوف فجأة... !!..

- ولقد بكت جميع الكائنات على قلبي المحزون، لأن ماء حياتي قد غاض في الظلام!!!
 - ولأى سبب يقع الفراق بيني وبين حبيبتي...؟! ولماذا أبقى في هذه الدنيا وقد ذهبت عنها «شيرين»...!!
 - ولو قسم لي البقاء بغير «شيرين» لا تخلعت عظامي من جسدي...!!
 - و منات من الحملان تمر أمام الذئب الجائع، ولكنه لا يختطف إلا حمل الفقير المسكين...!! «١»

- (١) المترجم: أنظر ص ١٢٩ من الخمسة طبع طهران سنة ١٣٠١ هـ، وكذلك ص ٢٥٦ من «خسرو و شيرين» طبع طهران سنة ١٣١٣ هـ. ش. طبع مطبعة أرمغان. والأصل الفارسي كما يلي:
 چو افتاد این سخن در گوش فرهادز طاق کوه چون کوهی درافتاد
 برآورد از جگر آهی چنان سرده که گفتمی دور باشی بر جگر خورد
 بزاری گفت کاوخ رنج بر دم ندیده راحتی در رنج مردم
 تاریخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥١٥
 - وقد وقعت شجرة السرو الطويلة... فحق لي أن أهيل التراب على هامتي...!!
 - وانتثرت أوراق الورد الباسمة... فحق لبستان أن يصبح سجنًا لي...!!
 - وطارت طيور الربيع البهيجة، فلماذا لا أنوح في لوعة كالسحب الراجعة...!!
 - وانطلق السراج اللامع، فلماذا لا يستحيل نهارى الشمس إلى ليل دامن...!!
 - وخدمت أنفاسي لحسرتي و كربي، واصفرت «شمسي» لغياب «قمرى» و موضع حبي...!!
 - و سألتحق ب «شيرين» فى طيات العدم، و سأهرع إليها فى قفزة واحدة
 - ثم صلى على «شيرين» و ترحم على عشقها، و قبل الأرض على ذكرها، ثم أسلم روحه إلى بارئها «١»...!!

دریغا هرزه رنج روز گارم دریغا آن دل امیدوارم
 مرا زین کوه کنندن حاصل این بودنشد کارم میسر مشکل این بود
 ندیدم لعل و سنگ آمد بدستم چو نادان طمع در لعل بستم
 چه آتش بود کاندن خرمن افتادچه طوفان بد که ناگاه در من افتاد
 جهان خالی شد از مهتاب و خورشید چمن خالی شد از شمشاد و از بید
 چراغ عالم افروز از جهان شدنه شیرین کافتاب از من نهان شد
 نبخشاید فلک بر هیچ مظلوم نباشد شفقتش بر هیچ محروم
 دریغا آنچنان خورشید و آنماه کز اینسان در خسوف افتاد ناگاه
 بگرید بر دل من مرغ و ماهی که رفت آب حیاتم در سیاهی
 چرا از روی آن دلبر جدایم چو شیرین رفت من اینجا چرایم
 اگر بی روی شیرین زنده مانم سزد کز تن برآید استخوانم
 اگر صد گوسفند آید فرایش برد گرگ از کله قربان درویش
 فرو رفته بباک آن سرو چالاک چرا بر سر نریزم هر زمان خاک
 ز گلین ریخته گلبرگ خندان چرا بر من نگردد باغ زندان
 پریده از چمن کبک بهاری چرا چون ابر نخروشم بزاری
 فرو مرده چراغ عالم افروز چرا روزم نگردد شب بدین روز
 چرا غم مرد بادم سرد از آنست مهم رفت آفتابم زرد از آنست
 بشیرین در عدم خواهم رسیدن بیک تک تا عدم خواهم دویدن
 صلاى عشق شیرین در جهاندازمین بر یاد او بوسید و جان داد
 (١) قارن هذه القطعة بما يقابلها فى القصة التى كتبها الشاعر «شيعى» باللغة التركية
 تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥١٦

ليلى و مجنون:

ثالثة المثنويات التى كتبها «نظامى» هى قصة «ليلى و المجنون» و قد أصبحت لها مكانة كبيرة فى أذهان الخاصة و العامة على السواء، و ذاعت شهرتها بين قصص الحب فى الشرق و طغت على ما عداها من هذه القصص، و فازت بالمكانة الأولى فى إيران و كذلك فى تركيا حيث أضاف الشاعر التركى «فضولى» كثيرا من الجمال على قصة هذا العاشق الحزين و على محبوبته الحسنة مما ساعد على نشرها فى الناحية الغربية من القارة الآسيوية «١». و فى العربية ديوان ذائع الصيت يشتمل على كثير من الغزليات الجميلة التى ينسبونها إلى «قيس العامرى» الذى اشتهر بالمجنون، و هو شخصية تكاد تكون خرافية، و يقول عنه «بروكلمان» «٢» أنه توفى فيما يظن فى سنة ٧٠ الهجرية (٦٨٩ م).

و قصة «نظامى» لا تحدث وقائعها فى إيران بل تقع حوادثها فى بلاد العرب، و هى لا تمثل شخصية ملكية كالقصة السابقة، بل تمثل شخصين عاديين من عرب الصحراء أحدهما هو البطل، و الآخر هو الفتاة المعشوقة. و لكن «نظامى» استطاع أن يصيغها بالصيغة الفارسية و قد اختار لها الوزن الشعرى الآتى «٣»:

مفعول مفاعيل فعلن

و تقع هذه المثنوية فيما بين الصفحات ١٩٤-٢٧٨ من نسخة طهران و هى تشتمل على أكثر من ٤٠٠٠ بيت.

و تجدها مذكورة فى كتاب «تاريخ الشعر العثمانى» تأليف المرحوم «جب» ج ١ ص ٣٥٤ أما عرض القصة و تحليلها فى صفحة ٣١٠. (١) أنظر ملخصا عن القصة التركية مع أمثلة لأسلوب «فضولى» فيما نشره «جب» فى كتابه «تاريخ الشعر العثمانى» ج ٣ ص ٨٥ و كذلك ص ١٠٠-١٠٤.

(٢) أنظر «تاريخ الآداب العربية» لبروكلمان ج ١ ص ٤٨. Brockelmann: Geschichte der Arabischen Litteratur

(۳) المترجم: هذا هو وزن الهوج المسدس الأخرى المقبوض المحذوف.

تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الی السعدی/ تعریب، النص، ص: ۵۱۷

و نحن ننقل فیما یلی قطعة منها، صور فیها الشاعر «زیدا» و قد رأى فی منامه لیلی و المجنون فی جنات الخلد. و تعتبر هذه القصة دلیلا- إذا أوجنا الدلیل- على كذب الخرافة الشائعة بین الأوروبيین من أن المسلمین ینكرون على نسانهم الدخول فی جنه أو أنهم ینتخفون بحب طاهر عفیف ...!!

فلما فتح اللیل نوافج العیبر ...و نثر فتات المسك على صفحات النهار المنیر ...!!

- أنى «ملاك» فأظهر له فی غفلته روضة الخلد المزداثة فی جنته ..!

- و قد ازدانت ساحتها بالأشجار العالیة ...!! و امتلأت بالهواء. كقلوب أصحاب الحظوظ المواتية ...!!

- و كل زهرة فی أحضانها حدیقة منمقة نامیه ...!! و كل ورقة من أوراق الورد كأنها التریات الصافیة ...!!

- و الخمائل كأنها العیون المبصرة الراضیه ...!! أصبحت «مستقرا للأرواح» بألوانها اللاجوردیه الراهیة ...!!

- و الزهور المتفتحة قد أمسكت بكؤوس الشراب ...!! و أخذت اللبلاب السكری تشدو بأغانى الحب و الأحباب ...!!

- و خضرتها یانعة ... لا یشابهها الزبرجد فی صفائه ...!! و نورها ساطع ... لا حد لروائه و ضیائه ...!!

- و أخذ العازفون یعزفون بالأناغم و الألحان ...!! و أخذت الحانم تردد أغانى الشوق و الحنان ...!!

- و فی ظلال الورد المشمسمة ذات البهاء ...!! لقد نصبوا «أریكة» على حافة النهر و الماء ...!! «۱»

(۱) المترجم: الأصل الفارسی هو الآتی كما نقله من ص ۲۶۹ من «لیلی و مجنون» طبع طهران سنة ۱۳۱۳ الهجرية الشمسية.-

تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الی السعدی/ تعریب، النص، ص: ۵۱۸ - و فرشوها بالدیاج و الدمقس و الحریر ...!! فبیدت كأنها فراش الجنة الجمیل الوثیر ...!!

شب چون سر ناهه را خراشید بر نیفه روز مشک پاشید
بنمود فرشته ایش در خواب آراسته روضه جهانتاب
صحنش ز بلندی درختان خرم چو دل بلندبختان
در دامن هر شکوفه باغی هر برگ گلی در او چراغی
در هر چمنی چو چشم بینامینو کده برنگ مینا
گلهای شگفته جام بر دست برداشته بانگ بلبل مست
خضرتر از ان زبرجدی نه افرختگیش را حدی نه
هم رود زنان بزخمه راندن هم فاختگان بزند خواندن
در سایه گل چو آفتابی تختی زده بر کنار آبی
وان تخت بفرشهای دیباچون فرش بهشت کرده زیبا
فرخ دو سروش پی خجسته در دست نشاطگه نشسته
سر تا بقدم بزبور نور آراسته چون بعله در حور
می در کف و نوبهار در پیش ایشان دو بدو بقصه خویش
گه بر لب جام لب نهادند گه بر لب خویش بوسه دادند
گاهی سخنان خویش گفتند گاهی بمراد خویش خفتند
پیری بتعهد ایستاده سر بر سر تختشان نهاده
هر لحظه ز نو نثاری انگیخت بر تارک آن دو شخص میریخت
بیننده خواب از آن نهایی پرسید ز پیر آسمانی
کاین سرو بتان که جام دارند در باغ ارم چه نام دارند
در منزل جان هوا گرفتند این منزلت از کجا گرفتند
آن پیر زبان گرفته حالی گفتنش ز سر زبان لآلی
کاین یار دو گانه یگانه هستند رفیق جاودانه
آنشاه جهان بر است بازی این ماه بتان بدلنوازی
لیلی شد لیلی آنکه ماهست مجنون لقب آمد آنکه شاهست
بودند دو لعل نایسوده در درج وفا بمهر بوده
آسایش این جهان ندیده اینجا بمراد دل رسیده
اینجا آلمی دیگر نینندالی آبد الأبد چنین اند
هر کو نخورد در آنجهان برزینگونه کند در این جهان سر
آنکس که در آن جهان حزنست شادیش در این جهان چنین است
تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الی السعدی/ تعریب، النص، ص: ۵۱۹ - ثم أقبل ملاکان رحیمان سعیدان ...!! فجلسا فی حور و سرور و حنان ...!!

- و فاض علیهما النور من أخصم القدم إلى قمة الرأس العالیة ...!! فكأنهما الحور فی أبهی الحلل و الأردیه العالیة ...!!

- و الخمر فی أكفهما، و نضرة الربیع بادیة علیهما ...!! و هما یتحدثان عن قصتهما و أمرهما ...!!

- فیقبلان شفة الكأس فی لهفة و اشتیاق ...!! أو یقبلان الشفاه و الثغور و الأعناق ...!!

- و أحياناً یتحدثان بما هما فیه من حب و هیام ... و أحياناً یتعانقان فی غفلة لذیذة الأحلام ...!!

- و وقف إلى جوارهما «شیخ» وقور جلیل ...!! قد أطل برأسه لیتمتع بمنظرهما الجمیل ...!!

- و كان ینثر علیهما فی كل لحظة الذهب و الجواهر ... و یصب على مفرقهما ما شاء من الإبریز الساحر ...!!

- فتقدم رانی الرؤیا، فسأل ذلك الشیخ الخافی عن العیان ... لیحدثه بأمر هذین العاشقین منذ أقدم الأزمان ...

- فسأله: من ینكون هذان العاشقان الممسکان بالأقداح ...؟ و ما اسمهما فی حدیقة ارم بین الغید و الملاح ...!!

- فإنهما قد تحابا في منزل الأرواح... فمن أين لهما بهذه المكانة والمنزلة... يا صاح...؟!
 - فأجابه الشيخ على الفور بحديث بادي النظام... هو من سحر القول أو من جواهر الكلام...!!
 - فقال: هذان حبيبان فريدان... قد انعقدت الصداقة بينهما منذ أبعاد الأزما...!!
 - فأما أحدهما فملكك... حكم العالم بقائه... وأما الأخرى ففقر... فاق الأقمار بصفائه...!!
 تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٢٠ - فلما ماتت «ليلي»... وكانت القمر المنير...!! جن المليك، فلقبوه بالمجنون الكسير...!!
 - وكان من قبل ياقوتين غير مثقوبتين... اشتمل عليهما درج الوفاء، و ختموه بالحب حتى لا يفرق بينهما اللين...
 - ومن أسف أنهما لم يظفرا في الدنيا إلا بالعناء...!! ولو لكنهما ظفرا هنا بما شاء من سعادة و هنا...!!
 - وسوف لا يريان بعد الآن ألما يدعو إلى الأئين... وسيظلان فيما هما فيه إلى أبد الأبدين...!!
 - فإن الذي لا يظفر في الدنيا ببناءه... سيظفر بما يريد و يشتهي... في آخره...!!
 - وكذلك الذي أعيتته الأحران في دنياه... سيكون سروره في الآخرة على هذا النحو الذي تراه...!!

هفت بيكر أو بهرام نامه (الصور السبع أو كتاب بهرام)

هذا الكتاب في الحقيقة هو آخر المثنويات التي أنشدها «نظامي» ولكنه في طبعه طهران يأتي بعد ليلي و المجنون، و يحتل الصفحات من ٢٨٠ إلى ٣٩٤، و يشتمل على أكثر من ٥٠٠ بيت من الشعر تجري على الوزن الآتي:
 فاعلاتن مفاعل فاعلان
 و موضوع هذه المثنوية مشابه لموضوع «خسرو و شيرين» في كونه متعلقا بقصة خاصة بأحد الملوك الساسانيين و هو «بهرام گور». و أكثر الحكايات التي رويت عن هذا الملك الذي اشتهر بفروسية و مهارته في الصيد و الطراد مبنية على أساس تاريخي، أو متعارف عليها من قديم الزمان، فهي مروية في تاريخ الطبري (و قد صرح نظامي باسمه و ذكره من بين مصادره التي اعتمد عليها. انظر «باخر» ص ٥٤). و ربما كانت تسمية هذه المثنوية باسم «بهرام نامه» أظهر في الدلالة على تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٢١
 موضوعها من تسميتها باسم «هفت بيكر»؛ لأن الصور السبع التي ذكرت فيها ليست إلا موضوعا واحدا من موضوعات القصة، و ربما سميت به لأنه أهم موضوع فيها.
 و الصور السبع التي تشير إليها هذه المثنوية هي الصور التي اكتشفها «بهرام گور» في غرفة سرية في قصره المعروف بالخورتق، و قد تبين له أنها صور سبع أميرات يمتازن بالجمال و الحسن: أولاهن إبنة ملك الهند، و الثانية إبنة خاقان الصين، و الثالثة إبنة شاه خوارزم، و الرابعة إبنة ملك الضغالبية، و الخامسة إبنة شاه إيران، و السادسة إبنة امبراطور بيزنطة، و السابعة إبنة ملك المغرب.
 فلما رأى «بهرام» صورهن وقع في حبهن جميعا، فلما مات أبوه «يزدجرد» و تولى العرش مكانه، كان أول ما فعله أن جد في طلب هؤلاء الأميرات من آباءهن، و استطاع أن يحقق رغبته بالزواج منهن جميعا. و قد أسكن كل واحدة من هؤلاء الأميرات السبع في قصر مستقل، جعله في لونه يمثل إقليما من الأقاليم السبعة التي ينقسم إليها الكون، ثم أخذ في زيارتهن بالتناوب في سبع ليال متتالية، بادنا في يوم السبت بزيارة القصر الأسود الذي خصصه لابنة ملك الهند، و منتهيا بيوم الجمعة بزيارة القصر الأبيض الذي تسكنه إبنة ملك المغرب. و تستقبله كل أميرة من الأميرات باحتفال فائق، و تحنفي به خير احتفاء بأن تسرد له ليلة مبيتها عندها جملة من الحكايات الممتعة كالتي نجدها عادة في قصة «ألف ليلة و ليلة».
 و تنتهي المثنوية بقصة «الوزير الظالم» «١» الذي التفت «بهرام» إلى سوء أعماله عند سماعه لحكاية «الراعي و كلبه الخائن»، فإذا ما انتهت هذه القصة وصلت «المثنوية» إلى خاتمتها ب وفاة «بهرام»
 و في المثنوية حكاية رائعة تمثل صحة المثل القائل بأن: «التكرار يعلم الحمار» تصور «بهرام گور» و هو يخرج كعادته مع جارية له إسمها «فتنه» تعود أن

(١) هذه القصة مروية بتمامها في كتاب «سياسة نامه» تأليف «نظام الملك». أنظر طبيعة شيفر Schefer ص ١٩-٢٧.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٢٢
 يستصحبها معه عند خروجه للصيد، و تعودت هي أن تغني له على نغمات العود في فترات استراحته و استجمامه، ففي يوم من الأيام أظهر الملك مهارة عظيمة في الصيد و الرماية، و كان يريد أن يستمع إلى كلمة إعجاب من جاريته «فتنه»
 - ولكنها تدللت عليه، و منعت نفسها من التناء عليه
 - فضبر الملك على ذلك برهة، حتى اجتاز به عن بعد حمار و حش
 - فقال لها: «أيتها الفتاة التريية يا ذات العيون الضيقة، لا تحترقي مهارتي في الصيد...!!»
 - فمهارتي في الصيد لا يشملها وصف، و كيف يمكن لي أن أبديها لعينيك الضيقتين...؟!
 - فقولي لي، و قد أقبل هذا الحمار كيف أطارده، و في أي جزء من أجزائه أرميه بسهمي... و اختاري مكانا بين رأسه و حافره...؟!
 - فأجابته الجارية: «إذا شئت أيها المليك أن تبيض وجهك، فاضرب هذا الحمار بسهم واحد، و اقرن رأسه بحافره...!!»
 - فعلم الملك بتعقيدها للأمور، و أخذ يبحث عن وسيلة يتخلص بها من سوء مقصدها و نيتها.
 - ثم أسرع يطلب قوسه و وضع فيها كرة من الطين الصلصال
 - و قذف بها حمار الوحش، فأصاب الكرة أذنه و آذته
 - و رفع حمار الوحش حافره إلى أذنه ليحكها به، و يخلصها من هذا الصلصال الذي علق بها.
 - فإذا بالمليك يلقى السهم... فيصبيه كالبرق... و يقرن حافره برأسه...!!
 - فالتفت الملك إلى جاريته المفترية و قال لها: «لقد فزت كما ترين...!!»
 - فقالت الجارية هازئة به «لقد أتقن الملك هذا الأمر فكيف يصعب عليه ما أتقن...؟!»
 - و كل ما يتعلمه المرء، يسهل عليه فيستطيع فعله و لو كان صعبا...!!
 - فإذا كنت قد أصبت بسهمك حافر الحمار فما ذلك إلا لطول مرانك على
 تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٢٣
 الصيد... و ليس في الأمر ما يدل على قوة عضدك «١»...!!
 فلما سمع الملك إجابتها و تهكمها به، اشتد حنقه عليها، و أمر أحد ضباطه بأخذها و قتلها، ولكنها ما زالت بالضابط تتودد إليه و

تستعطفه بأن المليك سيندم على قتلها أشد الندم، حتى استطاعت في النهاية أن تقنعه بأن من الخير له أن ينقذها من الموت، فأخذها الضابط إلى قصره في الريف وأخفاها هنالك، وكانت هي نفسها ما زالت تتوق إلى أن تثبت له إن «الكرار يعلم الحمار» وأن «المران ينتهي إلى الإقتان» فلاحظت أن سلم القصر يشتمل على ستين درجة، فاشتدت عجلاً رضيعاً وأخذت تحمله كل يوم على أكتافها وتصد به ذلك الدرج ثم تهبط به ثانية، حتى اعتادت حمله رغم نموه وكبره.

و في يوم من الأيام نزل «بهرام گور» ضيفاً على هذا الضابط فغطت «فتنة» وجهها بنقاب ثقيل، وأخذت تعرض على الملك رياضتها التي مرت عليها، فأعجب الملك

(١) المترجم: هذه ترجمة الأبيات المذكورة في ص ٨٩ من النص الفارسي ل «هفت بيكر» الذي نشره الأستاذان ريتزر Ritter و ريبكا Rypka في استانبول سنة ١٩٣٤ ونصها كالآتي:

و آن كنيزك ز ناز و عياری در ثنا کرد خوبشتن داری
شاه يك ساعت ايستاد صورتا يكي گور شد روانه ز دور
گفت كاي تنگ چشم ناتاری صيد ما را بچشم در ناری
صيد ما كز صفت برون آيد در چنان چشم تنگت چون آيد
گوری آمد بگو كه چون نازموز سرش تا سمش چه اندازم
گفت بايد كه رخ برفروزی سر اين گور در سمش دوزی
شاه چون دید بیچ بیچی اوچاره گر شد ز بد بیچی او
خواست اول كمان گروهه چو بازمهره در كمان گروهه نهاذ
صيد را مهره در فنگد بگوش آمد از تاب مهره مغز بجوش
سم سوی گوش برد صيد زيون تا ز گوش آرد آن علاقه برون
تير شه برق شد جهان افروخت گوش و سم را بيكديگر در دوخت
گفت شه با كنيزك چینی دست بردم چگونه می بینی
گفت پر كرد شهريار اين كاركار پر کرده كي بود دشوار
هرج تعليم کرده باشد مردگرچ دشوار شد تواند کرد
رفتن تير شاه بر سم گور هست از ادمان نه از زيادت زور

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٥٢٤

كثيراً باستطاعتها أن تحمل ثورا إلى سطح المنزل و بإمكانها كذلك أن تهبط به ثانية إلى الأرض، و طلب إليها أن ترفع نقابها، فلما فعلت عرف أنها معشوقته السابقة، فسر سرورا بالغاً بسلامتها و عفا عما أظهرته نحوه من عناد و دلال.

اسكندرنامه أو كتاب الاسكندر

هذه هي المثنوية الخامسة من مثنويات نظامي، و هي مكتوبة في وزن «المقارب» و هو الوزن الذي كتب فيه أكثر الشعر القصصي. فعولن فعولن فعل

و هذه المثنوية مقسمة إلى قسمين: الأول منهما يسمى «إقبال نامه» (١) أو كتاب الإقبال، و الثاني يسمى «خردنامه» أو كتاب العقل. و الجزء الأول من هذين الجزئين موجود في الصفحات من ٣٩٦-٥٣٠ من طبعة طهران، و يتلوه الجزء الآخر في الصفحات من ٥٣٢-٦٠١ من هذه الطبعة و لا يقل عدد الأشعار التي يشتمل عليها هذان الجزآن عن عشرة آلاف بيت، ثلثاها في الجزء الأول و الثلث في الجزء الثاني.

و قد ترجم «الكولونيل كلارك Colonel W. Clarke» كتاب الإقبال إلى اللغة الإنجليزية نثراً. كما درس الدكتور «و اللس بدج E. Wallis Budge» قصة الإسكندر» دراسة وافية تبين نشأتها في مختلف الآداب الشرقية.

و من أجل ذلك لم أر داعياً إلى الإفاضة في هذا الموضوع من جديد، فلن يكون

(١) هناك اختلاف كبير في عناوين هذين القسمين، فليرجع القارئ إلى مقالة «باخر» ص ٥٠، ٥٢ و المتفق عليه في الفارسية تسميتها تباعاً باسم «شرف نامه» و «إقبال نامه» أي «كتاب الشرف» و «كتاب الإقبال».

أما في الهند، فيميز الهنود القسمين بجعل عنوان أحدهما «اسكندرنامه بري» و عنوان الآخر «اسكندرنامه بحري».

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٥٢٥

من نتيجة ذلك إلا الإطالة في هذه المقالة التي تحدثنا فيها عن «خمس نظامي» فطال فيها الحديث من حيث لا يريد. «١»

٤- ظهير الدين الفارابي

[اسمه و ديوانه]

هذا الشاعر و إسمه الكامل «ظهير الدين طاهر بن محمد الفارابي» (٢) أقل شهرة من الشعراء الثلاثة الذين سبق الحديث عنهم، و هو مدين فيما حاز من شهرة إلى بيت واحد من الشعر، يكثر ترديده بين الفرس دون أن يعرف قائله و هو:

ديوان ظهير فارابي در كعبه بدزد اگر بيابي و معناه: إسرق ديوان «ظهير الدين الفارابي» و لو وجدت في الكعبة !!!

و قد أشرنا فيما مضى إلى آراء «مجد الدين همكر» و «إمامي» و شاعر ثالث في المفاضلة بين «ظهير الدين» و بين «الأثوري» و رأينا أن الشعراء الثلاثة أجمعوا على تفضيل «الأثوري».

و لكن قيام هذا النوع من الجدل بين هؤلاء الشعراء يدلنا بصورة قاطعة على أن أشعار «ظهير الدين» كانت في وقت من الأوقات تقدر حق قدرها و يكثر قراؤها على خلاف حالها الآن.

و قد طبعت أشعار «ظهير الدين» على الحجر في مدينة «لكنو» (٣) و قام على طبعتها «نول كشر: Nawal Kashor» - و لكن النسخة التي اعتمد عليها في هذا البحث عبارة من مخطوط جيد (رقم ٦٤ Oo) من مخطوطات مكتبة «جامعة كامبردج» و هو يشتمل على ١٦٠ ورقة، كل واحدة منها تشتمل على ٢٢ بيتاً من الشعر أي أن كل صحيفة من صفحاتها تشتمل على أحد عشر بيتاً من الشعر، و معنى ذلك أن هذه الورقات تشتمل على ما يزيد على ثلاثة آلاف بيت من الشعر موزعة بين «القائد» و «المفطعات» و «الغزليات» و «الرباعيات».

(١) المترجم: من حسن الحظ أن أحدث بحث عن «نظامي» هو الذي كتبه بالعربية صديقي الدكتور عبد التعم حسنين وأحرر عليه في العام الماضي أول درجة للدكتوراه من جامعة إبراهيم وقد تمكن من نشره هذا العام بعنوان: نظامي الگنجوی، شاعر الفضيلة.

(٢) أنظر «تاريخ گزیده» وكذلك «تذكرة الشعراء» لدولتاشاه.

(٣) المترجم: تاريخ هذه الطبعة هو ١٢٩٧ هـ - ١٨٨٩ م.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٢٦

وقد خصص «عوفي» مقالة ليست بالقصيرة لحياة «ظهر الدين» «١» وفيها مغالاة كبيرة في بيان سمو مرتبه وعلو منزلته حتى إنه قال: «إن لشعره من الرقة واللفظ ما ليس لشعر غيره من الشعراء» «٢» وأضاف «عوفي» إلى ذلك أن «ظهر الدين» ولد في بلدة «فارياب» في الشمال الشرقي من إيران، ولكنه فاز بشهرة عريضة في العراق حيث كان يفوز برعاية خاصة يتلقاها من حاكم آذربيجان الأتابك «نصرة الدين أبي بكر بن محمد بن ايلدگز» الذي كان يلقب باسم «جهان پهلوان» أي «بطل العالم».

وقد أفرد له «دولتاشاه» مقالة طويلة (ص ١٠٩ - ١١٤ من تذكرة الشعراء) قال فيها: أن «ظهر الدين» كان تلميذاً للشاعر رشيدى السمرقندي، وأنه ترك خراسان وهاجر إلى العراق و آذربيجان في أثناء حكم الأتابك «أرسلان بن ايلدگز» (٥٨١ - ٥٨٧ هـ - ١١٨٥ - ١١٩١ م)، وأنه كان قبل ذلك في خدمة «طغان» حاكم نيسابور، وإن بعض الأكابر والأفاضل يعتبرون أشعاره أرق وأدق من أشعار الأنوري.

ويبدو لنا مما جاء في «تاريخ طبرستان» أن «ظهر الدين» كان قبل ذلك ملتحقاً بخدمة إصبهيد مازندران المسمى «حسام الدولة اردشير بن الحسن» الذي قتل في أول إبريل سنة ١٢١٠ م - ٦٠٧ هـ؛ وإليه وإلى جوده يشير «ظهر الدين» في كثير من اللوعة والندم حيث يقول:

شاید که بعد خدمت ده سال در عراق ناتم هنوز خسرو مازندران دهد و معناه: وهل يجوز بعد ما انقضت على عشر سنوات خدمتها في العراق أن يظل ملك مازندران يعطيني قوتي؟! «٣»

(١) أنظر ج ص ٢٩٨ - ٣٠٧ من «لباب الألباب».

(٢) المترجم: العبارة الفارسية الأصلية هي: «و شعر او لطفی دارد که لطف او هیچ شعر دیگر ندارد».

(٣) يقول ابن اسفنديار في كتابه «تاريخ طبرستان» إن بعض الخدم نقل هذا البيت إلى إصبهيد مازندران فأمر بأن يعطى الشاعر مائة دينار و جوادا و خلعه و منطقة مرصعة بالجواهر.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٢٧

وقد زار «ظهر الدين» مدينة أصفهان، ولكن قاضي قضائها المسمى ب «صدر الدين عبد اللطيف الخجندی» لم يحسن استقباله فبقى بها فترة قصيرة، وكان من بين أعدائه «مجير الدين البيلقاني» شاعر الهجاء والتهكم في أصفهان، وهو نفس الشاعر الذي صادفناه من قبل بين خصوم «الخاقاني»، وقد أشار إليه «ظهر الدين» في البيت التالي، وفيه يتهمك به و بملابسه الفاخرة التي كان ينالها من «قرل أرسلان»

گر بدبایهای فاخر آدمی گردد کسی بس در اطللس چیست گرتک و در عبائی سوسمار «١» و معناه:

إذا استطاع الإنسان أن يصير آدمياً بالملابس الفاخرة فماذا يكون الذنب في فروه الوافر، والصب في جلده الفاخر !!! وقد اعتزل «ظهر الدين» قبيل انتهاء حياته عيشة الملوك والقصور وقنع كما فعل الكثيرون غيره من شعراء المديح بعيشة الاعتكاف والتعب في تبرز حتى أدركته الوفاة في نهاية سنة ١٢٠١ م «٢» - ٥٩٨ هـ وقد دفن هنالك، كما رأينا من قبل، في مقبرة «سرخاب» بجانب الشعراء المعروفين «خاقاني» و «شاهفور الأشهرى».

ومع ذلك فإن قصائد «ظهر الدين» خالية من كل أثر للتدين، عاطلة من كل ما يشعرا بأنه أحسن التعبد والتزهد، وهي - على العكس من ذلك - دنيوية في أغراضها ومعانيها، بحيث إذا فرضنا جدلاً أنه شعر بالندم في آخر حياته من التزامه حياة القصور فقر بعد ذلك الاعتزال والاعتكاف، وجب علينا لئلا نأمن أن نفترض أيضاً أنه اعتزل فيما اعتزل قول الشعر وإنشاء القصيد.

ولقد حملت نفس مشقة كبيرة في قراءة ديوانه المخطوط، ولكن النتيجة التي حصلت عليها من هذه القراءة كانت محزنة مزعجة، فلقد وجدت أن الإشارات التي تشير إلى حوادث تاريخية قليلة جداً، كما وجدت أن سائر أشعاره تجرى على نمط واحد، فهي دائماً من نوع القصيد المصقول المهدب الذي امتاز به شعراء المديح من الفرس فجعل أشعارهم خالية من كل ما يستسيغه الذوق، وجعلها خالية من الأقوال العنيفة

(١) أنظر «تذكرة الشعراء» ص ١١٤.

(٢) سنة ٥٩٨ هـ كما ذكر ذلك «تاريخ گزیده» و «تذكرة الشعراء» لدولتاشاه و يقول «تاريخ گزیده» أنه مات في شهر ربيع الأول من هذه السنة.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٢٨

أو التهكمات اللاذعة أو الإحساسات النفسانية العميقة، وهذه الأشياء جميعها هي التي أضفت في الحقيقة كثيراً من الروعة والجمال على قصائد «الأنوري» و «الخاقاني».

وقصائد «ظهر الدين» ومقطعاته وغزلياته تبلغ في عددها ١٨٥ منظومة، أما «رباعياته» فتبلغ ٩٧ رباعية. ويشتمل ديوانه بالإضافة إلى ذلك على مثنوية واحدة في مدح السلطان «قرل أرسلان»

الملوك والأمراء الذين اتصل بهم ظهر الدين:

و الملوك و الأمراء الذين خصهم «ظهر الدين» بمدائحهم كما يلي «١»:

١- عضد الدين طغانشاه بن مؤيد: «٢» الملقب بملك الشرق (خسرو شرق) وقد خصه بسبع أو ثمان قصائد.

٢- حسام الدين أردشير بن حسن ملك مازندران، و خصه بثلاث قصائد «٣».

٣- أختسان شروانشاه، و قد وجه إليه قصيدة واحدة، و هو ملك شروان الذي اختصه «الخاقاني» بمدائح.

٤- «قرل أرسلان بن ايلدگز» أتابك آذربيجان، و قد وجه إليه إحدى عشرة قصيدة و أشار إلى موته في مقطوعتين أخريين «٤»

٥- نصرة الدين أبو بكر بيشكين بن محمد بن ايلدگز ابن أخي «قرل أرسلان» وارث ملكه و قد وجه إليه ٣٥ قصيدة.

٦- طغرل بن أرسلان آخر ملوك السلاجقة في فارس، و قد وجه إليه قصيدة واحدة «٥».

- (١) الأسماء المذكورة في هذا البيان ذكرناها وفقا لما جاء في هذه القوائد لأن العناوين قليلة ولا تذكر فيها هذه الأسماء.
- (٢) مات كما جاء في «ابن الأثير» سنة ٥٨٢ هـ (١١٨٦-١١٨٧).
- (٣) توفي كما جاء في «ابن الأثير» سنة ٦٠٣ هـ (١٢٠٦-١٢٠٧ م).
- (٤) قتل في «قونية» في سنة ٥٨٨ هـ (١١٩٢ م).
- (٥) قتله «الخوارزمشاه» في مدينة الري في سنة ٥٩٠ هـ (١١٩٤ م).
- تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٢٩
- ٧- سيد الرؤساء «بهاء الدين أبو بكر»: وقد خصه بأربع قصائد
- ٨- «تاج الدين إبراهيم»: وقد خصه بقصيدتين
- ٩- «مجد الدين محمد بن علي أشعث»: وقد خصه بأربع قصائد
- ١٠- «سعد الدين»: وقد خصه بقصيدتين
- ١١- «رضي الدين»: وقد خصه بقصيدتين
- ١٢- «جمال الدين حسن»: وقد خصه بثلاث قصائد
- ١٣- الوزير «شمس الدين»: وقد خصه بخمس قصائد
- ١٤- «جلال الدين»: وقد خصه بقصيدة واحدة
- ١٥- «شرفشاه»: وقد خصه بقصيدة واحدة
- ١٦- الوزير «عماد الدين»: وقد خصه بقصيدة واحدة
- ١٧- الوزير «محمد بن فخر الملك»: وقد خصه بقصيدة واحدة
- ١٨- «صفي الدين الأردبيلي»: وقد خصه بقصيدة واحدة
- ١٩- «عز الدين يحيى التبريزي»: وقد خصه بقصيدة واحدة
- ٢٠- الوزير «نظام الدين»: وقد خصه بقصيدة واحدة
- ٢١- «صدر الدين الخجندی»: وهو من كبار رجال الشافعية
- في إصفهان، وكان مقتله على يد «فلک الدين سترق» في سنة ٥٩٢ هـ (١١٩٦ م).
- وقد وجه إليه «ظهير الدين» ثمانى قصائد. وكان «صدر خجند» هذا يعرف باسم «عبد اللطيف» وقد روى لنا «دولشاه» مقالا بين فيه علاقة «ظهير الدين» به، فقال «٢»:

«يقولون إن ظهير الدين خرج سائحا من نيسابور إلى إصفهان، وكان صدر الدين عبد اللطيف الخجندی في ذلك الوقت قاضيا للقضاء في إصفهان، فذهب إليه ظهير الدين ليسلم عليه، فرأى عنده كثيرا من الفضلاء والعلماء، فسلم عليه وجلس في مكان من الأمكنة، ولم يظفر في هذه الجلبة بما كان يطمع فيه من العناية والمطف

- (١) في ديوان «الفاريايى» طبع «لكنو» كتب هذا الاسم بالياء اى «أشعب».
- (٢) انظر ص ١١٢ من «تذكرة الشعراء».
- تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٣٠
- فغضب على صاحب الدار، وما لبث أن قال قطعة من الشعر، أنشأها على البديهة، وأسرع بتسليمها إليه، أو ترجمة هذه القطعة كما يلي:
- أيها السيد العظيم... رفقاً... فإن عظمة الدنيا ليست من الخطورة بحيث تسمح لأحد بأن يرفع رأسه تكبرا وعجبا...!!!
- وبالفضل وحده يكون الشرف، ولقد جمعت برمتي، فلماذا تته اختيالا بهذا النعم المزور...؟! ...
- ولماذا لا تعري باحترامك أهل الفضل...، وأنت معروف في هذا الزمان بأنك ممتاز بالفضل...؟! ...
- فانظر إلي، ولا تهزأ بي، فإن قلبي بما امتلأ من فضل لا يلهو بطر المحور...!!!
- وإذا لم يعجبك حديثي... فاستمع لكلمة واحدة منى واجعلها دستورا لأحوالك...!!!
- واطرح هذا النقاب الذى اتخذته على وجهك في هذه الدنيا، وطوح به بعيدا عنك في يوم عرض المظالم...!!!
- فسوف لا ترفع عليك ظلامه إلا ما تعلق منها بإجابتك الخشنة على سلام الناس عليك...؟! «١»
- وقد أولاه «صدر الدين» كثيرا من رعايته وعنايته، ولكنه لم يشأ أن يقيم بعد ذلك في مدينة إصفهان، وغادرها إلى أذربيجان، فالتحق هنالك بخدمة الأتابك

- (١) المترجم: فيما يلي النص الفارسي لهذه الأبيات وفقا لما جاء في «تذكرة الشعراء» ص ١١٣ وهذه الأبيات موجودة أيضا في ص ١٧٧ من ديوان الفاريايى طبع «لكنو» سنة ١٨٨٠ م
- بزرگوارا دنیا ندارد آن عظمت که هیچ کس را زبید بدان سرافرازی
- شرف بفضل و هنر باشد و ترا همه هست بدین نعيم مزور چرا همی نازی
- ز چیست کاهل هنر را نمیکنى تمیز تو نیز هم بهتر در زمانه ممتازی
- بمن نگه تو بیازی مکن از آنکه بفضل دلم بگیسوی حوران نمیکند بازی
- اگر چه نیست خوشت یک سخن ز من بشنوجت آنکه آترا دستور حال خود سازی
- تو این سیر که ز دنیا کشیده در روبروز عرض مظالم چنان بیندازی
- که از جواب سلامی که خلق را بر تست بهیج مظلمه دیگری نپردازی
- تاریخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٣١
- «مظفر الدين محمد بن ايلدگر»، بقى في خدمته مدة السنوات العشر التالية..»

ولكن هذه القصة لا تتفق مع الحقيقة المعروفة عن «ظهير الدين» من أنه وجه إلى «صدر الدين الخجندی» جملة قصائد ذكر في إحداهها صراحة أنه مكث ملازما لأعتابه الشريفة مدة سنتين كاملتين، وأنه يرجوه في إلحاح أن يستمر على شموله بنعمه، وألا يضطره في يوم من الأيام- وهو كثر العلم والفضائل- إلى أن يمد يده إلى طعمه من الأسافل والأراذل...!!!

وعلى هذا يبدو لنا أن الشاعر مكث في أصفهان سنتين أو ثلاث ثم ساء أنه لم يظفر من «صدر الدين» بالجواز والعطايا التي كان

يطمع فيها فتركه إلى آذربيجان يريد أن يجرب حظه عند سيد جديد ربما يكون أكثر كرما وأجرل عطاء.

حياة ظهير الدين:

[موطنه و مسكنه]

و من العسير أن نفصل الحديث عن حياة «ظهير الدين» لأن كثيرا من الحقائق المتعلقة بحياته ليست في أيدينا، ولكن النقطة الأساسية في سيرته واضحة تمام الوضوح بحيث نستطيع أن نستشف منها صورة كاملة لحياة هذا الشاعر.

فقد بدأ يقول الشعر في بلدته «فارياب» و ذكرها في بعض أشعاره على أنها موطنه و مسكنه؛ ثم خرج منها و ذهب إلى «نيسابور» و مدح حاكمها «طغانشاه بن المؤيد» بجملة من قصائده. و قد مات هذا الأمير في سنة ٥٨٢ هـ (١١٨٦-١١٨٧ م)، و على ذلك يتحتم علينا أن نقول إن الشاعر قال مدائحه التي يخص بها هذا الأمير قبل هذا التاريخ. و قد ذكر الشاعر في أحد أبياته أنه بلغ الثلاثين من عمره، فإذا فرضنا أنه محق في قوله، و أنه لم يكن يقل عن الثلاثين، أو أنه لم يتجاوزها إلا بسنوات قليلة فمن الممكن أن نستنتج من هذه القرينة أن «ظهير الدين» ولد حوالي ٥٦٢ هـ (١١٥٦ م).

و قد جاء إلى «آذربيجان» أثناء حياة «قزل أرسلان»، و على ذلك يبدو أن زيارته ل «حسام الدين أردشير بن حسن» و ل «ملك مازندران» و لمدينة أصفهان،

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٣٢

إنما وقعت جميعها فيما بين سنة ٥٨٢ هـ و سنة ٥٨٦ هـ (١١٨٧-١١٩١ م)، و السنة الأخيرة من هذين التاريخين هي السنة التي جلس فيها الأتابك «نصرة الدين أبو بكر» في مكان عمه «قزل أرسلان».

و إذا صح أن وفاة «ظهير الدين» حدثت في سنة ٥٩٨ هـ (١٢٠١ م) - و ليس لدى من الأخبار ما ينفي هذا التاريخ - فإنه يبدو أنه أمضى السنوات التي سبقت وفاته في خدمة مولا «نصرة الدين أبي بكر»، و أنه لم يعتكف في «تبريز» إلا خلال السنة الأخيرة من حياته، أو على الأكثر خلال الستين الأخيرتين السابقتين على مماته.

و نجد الشاعر يشير إلى بعض ظروف حياته في جملة من قصائده؛ فقد ذكر في إحداها، و ربما قالها عند انتهاء إقامته في «نيسابور» هذين البيتين:

مر بمدت شش سال حرص علم و أدب بخاكدان نيشابور كرد زنداني

بهر هنر كه كسي نام برد در عالم چنان شدم كه ندارم بعهد خود ثاني و معناها:

- إن حرصي على العلم و الأدب جسيبي مدة ست سنوات في مدينة نيسابور الكريهة.

- و لكنني استطعت أن أصبح و لا ثاني لي في كل فن من فنون الفضل المعروفة في هذا العالم !!!

و في هذه القصيدة نفسها إشارة تحملني على الظن بأن «ظهير الدين» تهكم بالشاعر «أنوري» عندما أصدر حكمه عن اقتران الكواكب في سنة ٥٨٢ هـ (سبتمبر سنة ١١٨٦ م) فقد قال هذا البيت:

رسالتي كه ز إنشاي خود فرستادم بمجلس تو بابطال حكم طوفاني و معناها:

- و هي رسالة من إنشائي، أرسلتها إليك لأبطل بها حكم الطوفان !!!

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٣٣

و يساعدي على هذا الظن قطعة أخرى عثرت عليها في ديوانه، إذا صح فهمي لها، فهي تشير صراحة إلى «الأنوري» لأنه قال فيها:

آنكس كه حكم كرد بطوفان باد گفت آسب آن عمارت گيتي كند خراب

تشریف یافت از تو و اقبال دید و جاهد بند آن نشد كه خطا گفت يا صواب

من بنده چون بنكته ابطال كردم با من چرا زوجه دیگر مبرود خطاب و معنى هذه القطعة:

- ذلك الشخص الذي أصدر حكمه بقيام الريح ... قال إن أذاها سيجعل عمائر الدنيا خربة مخطئة.

- و لقد نال منك التشریف و الاقبال و الجاه، فلم يعلق أهمية على قوله إذا أخطأ أو أصاب.

- و لقد أبطلت حكمه بنكته من قولي، فلماذا تخاطبني بطريقة أخرى جزاء لما قلت من صدق و صواب !!!

و ربما تعرف «ظهير الدين» بعد ذلك بالأنوري، أو ربما أطلع على أشعاره، فإنه يبدو لي أن «ظهير الدين» قال قصيدته التي مطلعها:

ای فلک سر بدان در آورده كه تو گوئی كه خاك پای من است يجيب بها «الأنوري» و يعارضه في قصيدته التي مطلعها:

كلبه كه اندر آن بروز و بشب جای آرام و خورد و خواب من است و لا استطع بالإضافة إلى هذه الإشارات أن أجد إشارة صريحة في أشعار «ظهير الدين» لشاعر آخر من معاصريه، اللهم إلا إذا كان البيت التالي يشير إلى الشاعر «نظامي» الذي أكمل مثنويته عن

«خسرو و شيرين» في سنة ٥٧١ هـ (١١٧٥-١١٧٦ م) و هذا البيت هو:

و ليك بيخم ازین در عراق ثابت نيست خوشا فسانه شيرين و قصه فرهاد

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٣٤

و معناها:

- و لكن جذوري ليست ثابتة في العراق

فما أحلى قصة «شيرين» و حكاية «فرهاد» !!!

[معاصريه الكبيرين]

و من المحتمل جدا أن «ظهير الدين» كان يحسد معاصريه الكبيرين «نظامي» و «الأنوري»؛ فإن أشعاره مليئة بالبراهين التي تدل على أنانيته، و حرصه على المنفعة و استعداده لتحين القرص للظفر بما يريد، و تحقيره لأرباب مهنته؛ و هو في هذا كله مشابه للأنوري. و

قد أشار «ظهير الدين» في أشعاره إلى شاعر آخر سابق لعهدده هو «بندار الرازي» الذي عاش في القرن الحادي عشر الميلادي (الخامس الهجري) فقال فيه هذين البيتين:

شعر بندار كه گفتي بحقيقت وحى است آن حقيقت چو به بيني بود از بنداري

در نهان خانه طبعم بتماشا بنگرتا ز هر زاويه عرضه دهم دلداري «١» و معناها:

- إن شعر «بندار» الذي قلت عنه إنه في الحقيقة وحى، إذا نظرت إليه لوجدت أن هذه الحقيقة وهم و خيال ... !!!

- فانظر في دخيلة نفسي، ففي استطاعتي أن أطلعك في كل ركن من أركانها على ما يسيبك و بأسرك ... !!!

و هنا أيضا نلاحظ أن «ظهير الدين» على عادته يحقر أشعار غيره من الشعراء حتى هذا الشاعر المتقدم عليه، الذي لم يكن بينه و بينه أي منافسة أو حسد.

[مذهبه و شربه للخمر]

و كان «ظهير الدين» كغيره من شعراء القصور مولعا بشرب الخمر، و كان سني المذهب، و لكنه ربما لم يهتم بأمر الدين في كثير أو قليل، فهو يقول في إحدى رباعياته: «إنه من الخير لك أن تكون ثملا بالخمر في جهنم من أن تكون مفيقا في الجنة...!!!»

(١) أخطأ «دولت‌شاه» في نقل هذين البيتين فأورد البيت الثاني منهما بقليل من التحريف و سوء الفهم. انظر ص ٤٣ من «تذكرة الشعراء». تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٣٥
و هو يقول في رباعية أخرى: «إنه عبد مطيع للخضر الذي أخرجه من ظلمة العنب و العناقيد...!!!» و هو يشير بذلك إلى رحلة «الإسكندر» في الظلمة تحت إرشاد «الخضر» باحثا عن ماء الحياة.
و قد اعترف «ظهير الدين» بكونه سني المذهب فيما تحدث به عن الخلفاء و خاصة عمر و عثمان.
فهو يذكر «عمر» على أنه مثال للعدل حيث يقول:
شاهنشاه ابي بكر محمد كه جهان را از حضرت او مژده عدل عمر آمد و معناه:
- أن الملك «أبا بكر محمد» قد زف البشرى من لذه إلى الدنيا بعدل عمر و قد ذكر عمر و عثمان معا في مكان آخر، فقال ما معناه:
- فهو الأتابك العظيم الذي استطاع عدله أن يقيم دين الله و سنة الرسول
- و هو كأبي بكر في عظمته، و هو شبيه بعثمان في تواضعه و رحمته، و هو في علمه و عدله مساو للفاروق (عمر) و لحيدر (علي).

[الشعراء على دين ملوكهم]

و لعل المثل العربي الذي يقول إن «الناس على دين ملوكهم» لا ينطبق تمام الانطباق إلا على شعراء القصور؛ و لعله من الخطأ الواضح أن نعلق أية أهمية على مثل هذه الأقوال التي لا دلالة لها أكثر من أنها ترينا أن «ظهير الدين» لم يكن شيعيا متعصبا على أقل تقدير.
و كان شاعرنا- كما قلنا- شحاذا ملحاحا، و لكنه كان على بينة من أنه باستجدانه بأشعاره قد أساء تمام الإساءة في استغلال مواهبه. و الأبيات التالية مثل واضح لطائفة كبيرة من أشعاره، فهو يقول في قصيدة طويلة يخاطب بها «صدر خجند» ما معناه «١»:

(١) هذه الأبيات موجودة في ص ٤٤-٤٥ من ديوان «ظهير الدين الفارابي» طبع لكتنو سنة ١٨٨٠ م، و هذا نصها مع مراعاة أنها لم ترد بالقصيدة على هذا الترتيب:

عالمی از عطیات بر سر موج کشتی من چنین گران لنگر
منم امروز و حالتي که میرس گر بگویم نذاریم باور -

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٣٦

- سار العالم بأجمعه في بحر من عطاياك، و لكن سفيني وحدها نقلت مراسيها...!!!

- فلا تسلني عن حالتي اليوم، فلو حكيتها لك لما صدقتني...!!!

- فالفتنة بأنواعها كامنة حولي و الفاقة بألوانها متكشفة أمام وجهي...!!!

- فهلا تريد أن أصبح بقليل من عنايتك، مادحا لك في هذا العالم...!!!

- ففي البحث عن أوجه المعاش لن يكون هناك مجال لحب أبي بكر أو صداقه عمر «١»

- و ليس في العراق جوهرى خبير بالجواهر، و من أجل ذلك حق لهم ألا يعرفوا قيمة جواهرى...!!!

- فيا قلبى... إنك أنظف من أكياس الفضة، و يا وجهي... إنك أشد اصفرارا من صرر الذهب.

- و كل ما نالني من جاه أتني أصبحت رئيسا للشعراء أجمعين...!!!

و في قصيدة أخرى خاطب بها سيد الرؤساء «بهاء الدين أبي بكر» يقول ما معناه:

- و لما أطلق لساني في مدحك، و إن كان كرمك يستوجب المعذرة من قصائدتي...!!!

فتنه در گرد من گشاده كمين فاقه در روى من كشيده حشر
مى نخواهى كه من ز اندك سعي باشمت در جهان ثناگستر

در وجوه معاش مى شنودمهر بو بكر و دوستى عمر

جوهرى نيست در عراق و رواست گر ندانند قيمت گوهر

اى دل پاك تر ز كيسه سيموى رخ زردتر ز صره زر

نيست دولت وراى آنكه شدم در ميان سخنوران سرور

(١) المترجم: يقول الأستاذ «براون» في تعليقاته على هذا البيت إنه يدل على أن الشاعر كان متهمًا أمام «صدر الدين الخجندی» و هو من كبار المتشيعين، فأراد أن يعتذر عن سنتيه بمثل هذا القول، و ربما كان هذا هو السبب الذي انتهى به إلى الابتعاد عن أصفهان.

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٣٧

- و لقد نفر خاطري من الشعر لأنه ينقص من درجة الفضلاء «١»

- و كل غرضي هو أن أمدحك، و إلا فأين مكاني من الشعر و الشاعرية...؟

- و مقامى في فريبك هو أدنى مقام في خلوة سراى القدرة...!!!

- فكيف أفخر بالشعر، و لو ثبت اسمي في جرائد الشعراء...!!!

- و الشعر في ذاته ليس أمرا مشينا، و لكن شكواى منه ترجع إلى خسة شركائى فيه...!!!

و هو يقول في قصيدة أخرى ما معناه «٢».

- و الشاعرية هي أقل مواهبى، فانظر إلى أنواع البلاء التي تحملتها منها...!!!- فلم يثبت لى منها شيء في العراق سواء في «همدان» أو «بغداد»...!!!

- و كل ما تلقيته من تنعم بسبب فضلى في هذا العالم كان قاصرا على جفاء أبى و صفعات أستاذى...!!!

- و كل من مدحته و رفعت ذكره، عمل كل ما في استطاعته ليمحو ذكرى عن خاطره...!!!

- و الغزل هو أحسن أنواع الشعر، و لكنه للأسف ليس البضاعة التي يمكنني أن أعتمد عليها...!!!

(۱) المترجم هذه الأبيات موجودة في ص ۱۱۶ من ديوان «ظهیر الدین الفاریابی»، و هذا نصها الفارسی:

من بمدحت زبان نداده هنوز کرمت عذر صد قصیده بخواست
نفرتی داشت خاطر من از شعرز آنکه آن نقص منصب فضلاست
غرضم مدحت تو بود ار نه شاعری از کجا و بنده ز کجاست
ز آنکه خلوت سرای قدرت را ز قربت جای من در مقام او آذناست
چون تفاخر کنم بشعر ار چه نام من در جریده شعراست
شعر در نفس خویش هم بد نیست ناله من ز خست شرکاست

(۲) المترجم: هذه الأبيات موجودة ص ۳۱ من الديوان، و هذا نصها الفارسی:

کمیته مایه من شاعریست خود بنگر که چند گونه کشیدم ز دست او بیداد
و لیک هیچم ازین در عراق ثابت نیست تو خواه در همدان گیر و خواه در بغداد -

تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الی السعدی/ تعریب، النص، ص: ۵۳۸

- و لقد أخذ بناء عمری فی التحطم ... فیالی متی أ عمر منزل أطماعی بعطایا الناس و ما أؤمل منهم !!! تاریخ الادب فی ایران من

الفردوسی الی السعدی/ تعریب النص ۵۳۸ الشعراء علی دین ملوکهم ص: ۵۳۵

و أية فائدة لی من أن حسناء فضیة الصدر موجودة فی «کشمیر» ...

و أی نفع لی ... من أن حلوة الشفاء موجودة فی «نوشاد» «۱»؟! ...

- فاقع بهذا القول و لا تسلی عن حال توبتی، فلیس فی استطاعتی أن أشرح لک مقدار العناء الذی یقاسیه قلبی !!!...

- و أظیب وردة تفتحت لی من قول الشعر هو أنتی أصبحت أسمى نفسی عبد و أسمى معشوقی حرا «۲»

- و أحيانا أصف عبدا زنجیا بأنه من حور الجنان، و أحيانا أصف السفلة و الأراذل بأنهم أشد الناس نبلا و مجدا !!!...

و لا شك أن مثل هذه الأقوال تعتبر اعترافات صريحة لادعة، شاء الشاعر أن يتهمك بها بكل مداح محترف، و لا شك أيضا أن «ظهیر

الدین» كان يعتبر نفسه واحدا من هذا الطراز من الشعراء، فهو يعترف فی قصیده أخرى أنه ليس من أصحاب الثروات الواسعة، و لا من

أصحاب المتاجر الرائجة، و من أجل ذلك فهو

تعلمی که من از فضل در جهان دیدم همین جفای پدر بود و سیلی استاد

به پیش هر که ازو یاد میکنم حرفی نمیکنم پس از آن ناتواند از من یاد

ز جنس شعر غزل بهتر است و ان کم نیست بضاعتی که توان ساختن بران بنیاد

بنای عمر خرابی گرفت چند کنم برونک و بوی کسان خانه هوس آباد

مرا از ان چه که سیمین بریست در کشمیر مرا از ان چه که شیرین لبیست در نوشاد

برین پسند کن از حال تو به هیچ مپرس که شرح درد دل این نمیتوانم داد

بهین گلی که مرا بشگفت ازو این است که بنده خوانم خود را و سرو را آزاد

گهی لقب نهم آشفته زنگی را حور گهی خطاب کنم مست و سفله را راد

(۱) اشتهرت جملته مدن بأن أهلها یمنارون بالجمال و الحسن، و من أشهر هذه المدن فی الشعر الفارسی المدن الآتیة: «کشمیر»،

«نوشاد»، «ختان»، «فرخار»، «جگل».

(۲) المترجم: يشبه المعشوق فی الشعر الفارسی بشجرة السرو فيقولون «سرو آزاد» أی شجرة السرو الحرّة أو النبیلة و هی أجمل أنواع

السرو و أكثرها اعتدالا.

تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الی السعدی/ تعریب، النص، ص: ۵۳۹

لا یملک المخازن الملائی باللال، و لا الصنادیق الزائرة بالنقود و الأموال !!!... و من أجل ذلك أيضا تحتم علیه أن یتکسب بما یقول

من شعر، و أن یخضع نفسه إلی ما یستلزمه قول المدیح من اعتبارات، ربما كان یحس لها بالمضض و الحسرة فی قرارة نفسه. و هو

فی هذا یلزم نفسه بأن تفتح مؤقتا بما تظفر به من عطاء، و أن تتطلع إلی وسیلة تتلمس بها المزید، فإذا ظفر مثلا بخلعه طبیة و بمرکب

فاره، فإنه یجد الفرصة مواتية لیقول:

- إننی لا زلت أطمع فی برذعة و لجام

لکی أستطیع أن امتطی متن هذا المرکب الذلول !!!...

فإذا لم یظفر بالمال لقاء ما یصدر عنه من مدیح، فإنه ربما لجأ إلی «الهیاء» و ربما ظفر من أعداء من یهجو به بما یعوض علیه ما فاته

عند قول المدیح، و لعل الأبیات الآتیة تقوم دلیلا علی هذا الرأی، و فیما یلی ترجمتها: «۱»

- أیها السید .. لقد انقضی علی ما یزید علی عام

و أنا أترجع شراب مدحک فی کؤوس النظم و الشعر !!!...

- و لکننی لم أر منک شیئا أستطیع التحدث عنه

و لم أظفر منک بشیء أستطیع أن أتدثر به !!!...

- فإذا سألونی عما أظفر به من جود فی مجلسک ؟..

أجد نفسی مضطرا إلی أن أحشو أذانی بالقطن و أدعی الصمم !!!...

(۱) المترجم: الأبیات الفارسیة موجودة بالدیوان ص ۱۹۷، و هذا نصها:

خدایگانا سالی زیادست که من بجام نظم می مدح تو همی نوشم

ندیدهام ز تو چیزی چنانکه بر گویم نیافتم ز تو چیزی چنانکه درپوشم

به مجلس تو ز جودت مرا سؤال کنند نهاده باید ناچار پنه در گوشم

مباش غره اگر چه من از شمائل خوب حکیم سیرت و نیکونهاد و خاموشم

بگاہ نظم چو من بر سخن سوار شوم کشند غاشبه آقران ز فخر بر دوشم

بمدح و هجو همه کس بی شکایت و شکر چو آفتاب بتابم چو بحر بخروشم

من از ز هجو تو بیی دو بر کسی خوانم نهند تخته دنیا همی در آغوشم

بزر سرخ چو از من هجای تو بخزندروا بود که به نرخ تمام بفروشم
تاریخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٤٠
- فلا تغتر بشمائل الطيبة
إذا بقيت حكيمًا، طيب العنصر، ملتزمًا للضمت !!!
- فإنني إذا امتطيت سهوة النظم عندما أريد قول الشعر
فإن أقراني يحملون لي - في فخر - البراذع على أكتافهم !!!
- وفي المدح أو في الهجاء، جميع الناس إلى شكايه أو ثناء
لأنني في كلا الحالين أضيء كالشمس الساطعة وأصخب كالبحر الزاخر !!!
- ولو أنني أشدت أحدا بيتا أو بيتين في هجانك
لوضع في أحضاني خزائن الدنيا !!!
- وما داموا على استعداد لأن يشتروا هجاءك مني
فمن الحق على أن أبيعهم إياه بثمن باهظ !!!

[التهديد بالهجاء]

و الظاهر أن مجرد التهديد بالهجاء كان في ذاته كافيا لأن يجعل (حتى الذين لا يرتاحون إلى المديح) يحلون عن طيب خاطر الأربطة التي تزم أكياس نقودهم فييدولونها راضين أو كارهين للشاعر، و من أجل ذلك أيضا لا نجد في ديوان الشاعر إلا عددا قليلا من هذه الهجويات.

و فيما يلي هجاء موجه إلى فقيه اسمه «محيي الدين» نلاحظ فيه، على خلاف ما هو متبع في الهجو، أنه معتدل اللهجة مترن الحاشية، و فيما يلي ترجمته «١»:

- يا إمام العالم، و يا مفتي الخلق، يا محيي الدين ...

أنت تفوق بمركبك «٢» و طلعتك، الخلق أجمعين !!!

(١) المترجم: الأبيات الفارسية موجودة بالديوان ص ١٨٨، و فيما يلي نصها:

إمام عالم و مفتي خلق محيي الدين توفى باسب و رخ از كل كائنات فره

بمدحت تو دو نوبت قصيدها گفتم نه کرده سعی تو از کار من کشاده گره

ز پیش منبرت امروز مردکی برخاست که توبه میکنم از جرهما تو گفتمی زه

ز مردمانش زر و سیم خواستی و همه بر طوع طبع بدادند بی لجاج و سته

ز بهر شعر چیزی ندادیم باری برای توبه کنه دادی بشاعریم بده

(٢) الكلمتان الفارسيستان هما «أسب» و «رخ» و الأولى بمعنى جواد، و الثانية بمعنى «وجه» أو «قلعة» و هما أيضا قطعتان من قطع الشطرنج.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٤١

- لقد مدحتك مرتين بقصائدي

و لكنك لم تحل المعقد من أموري !!!

- و اليوم وقف رجل أمام منبرك

فقال: إنني تائب عن جرائز فأجبت: لقد أحسنت !!!

- ثم طلبت له من الناس بعض النقود و الأموال

فاستجابوا لطبايعهم الكريمة و أعطوك المال بغير لجاجه أو إلحاح

- فإذا لم تعطني شيئا في مقابل ما أقول من الشعر

فلا أقل من أن تعطيني شيئا في مقابل التوبة التي أوحيت لي بها عن قول الشعر !!!

و من السهل أن نستشهد بكثير من أقوال الشاعر التي كان يلجح فيها على ممدوحه بطلب المال، و التي كان يضح فيها بالشكوى من فقره و عوزه، فيقول مثلا: «إن الدائنين يرابطون على أعتاب داري، كما يرابط الحظ السعيد على أبوابك !!!... و لكننا نكتفي بما سبق من أمثلة فهي كافية لتصوير اللهجة التي كان يتخذها الشاعر و لتصوير نوع الشعر الذي كان يقوله.

[منزله في العلم]

و كان ظهير الدين - رغم فقره بعلو منزلته في العلم - أقل مكانة من الأنوري و الخاقاني اللذين تمتلئ قصائدهما بإشارات كثيرة تدل على علم غزير.

و فيما يلي يجدر بنا أن نقف قليلا لتأمل بيتا من الشعر قاله الشاعر لا يخرج في معناه عما نجده في الإنجيل:

شتر بچشم سوزن بیرون نخواهد شدحسود خام طمع گو درین هوس بگداز و معناه:

- إن الجمل لا ينفذ من عين إلا برة.

فقل لحسودك الساذج: «احترق في رغبتك الجامحة !!!...»

و لست أعرف النظام الذي اتبع في تنسيق ديوان «ظهير الدين» فإن ترتيب القصائد الموجودة به ليس موافقا للترتيب الزمني و لا للترتيب الأبجدي؛ و يبدو لي أن

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٤٢

جامعه سعی إلى أن يضع في بداية الديوان أجمل قصائد الشاعر؛ و ربما كان مستغريا أن نجد أن ثلاثا من القصائد الخمس الأولى في الديوان قد استشهد بها «عوفي» في كتابه «اللباب الألباب» «١»، و أن رابعها قد استشهد بها «دولت شاه» في كتابه «تذكرة الشعراء» «٢»، و في رأي أن أجمل قصيدة في الديوان هي القصيدة الأولى التي تشتمل على سبعة و ثلاثين بيتا، و ربما كان من الخير أن أختتم مقالتي عن «ظهير الدين» بترجمة بعض أبياتها:

- و لكي تملأ بطنك بالطعام؛ و لكي تستر جسدك بالثياب انظر إلى ما تلافيه الكائنات منك ... من ألم و نصب و عذاب !!!

- و إلى الإعباء الثقيلة التي تعانيتها منك الهوام و السوام و إلى الأرزاء المريرة التي تصادفها منك قلوب الوحوش و الطيور و الأنعام !!!

- و هذا حيوان في غفلة من أمره ... يرعى الأشواك في واد بعيدو لكنك تعد لحلقه هذا الساطور القاطع الشديد !!!...
 - و هذه ديدان ضعيفة ... تتسح أعشاشها بدماء قلوبها الضعيفة، لكنك تجمعها لتتخذ منها الأطلس والحريز والثياب اللطيفة
 !!!...
 - و أنت تأخذ أكفان الدودة الميتة فتلبيسها في هئاهل يعذرك أحد من أهل المروءة فيما تفعل من بلاء !!!...
 - و لشدة جشعك و غاية حرصك على أن تجعل لسانك حلو المذاق جلست لترصد النحل أن يتقياً من فمه ما يحمل من شهد يراق
 !!!... ٥٣

(١) أنظر ج ٢ ص ٢٩٨-٣٠٧.

(٢) أنظر ص ١١٠

(٣) المترجم: الأبيات الفارسية موجودة في ص ٢-٣ من الديوان و هي الآتية:

بهين كه تا شكمت سير و نت پو شیده است چه مایه جانوران از تو خسته و رنجور
 چه بارهاست ز تو بر تن سوام و هوام چه داغهاست ز تو در دل وحوش و طیور
 بدشت جانوری خار میخور غافل تو نیز میکنی ز بهر حلق او ساطور
 كناغ چند ضعیفی بخون دل بتند تو جمع آری کین اطلس و آن سیفور -
 تاریخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٤٣

خاتمه: [في علة الإطالة الكلام فيه]

و من العدل أن أعترف إنني أطلت الحديث عن «ظهر الدين الفارياي» و لم يكن ذلك لأنني أساويه ب «الأثوري» أو «الخاقاني» أو «نظامي» أو لأنني أقرنه ب «الفردوسي» أو «ناصر خسرو» و لكن لأنني وجدته نموذجاً طيباً لعدد لا يحصى من شعراء المديح الذين لازموا القصور في هذه الفترة، مثل «أثير الدين الأخسيكتي» و «مجير الدين البليقاني» و «فريد الكاتب» و «شغروه الأصفهاني» و كثير غيرهم ممن لا يريدون أو يقولون في مكانتهم عن «ظهر الدين».
 و من الخير أن نكتفي في هذا المقام بذكر أسمائهم، دون أن نحاول أن نفصل الحديث عنهم جميعاً في كتاب، مثل كتابنا هذا، لا تتسع صفحاته للتفصيل و الإفاضة.

ز گرم مرده كفن بر كشي و درپوشي ميان أهل مروت كه داردت معذور
 بدان طمع كه دهن خوش كني ز عايت حرص نشسته مترصد كه في كند زيبور
 تاریخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٤٥

الفصل السابع مملكة خوارزم

غارة المغول على خوارزم، و استيلاؤهم على بغداد و تحطيمهم للخلافة العباسية

تحدثنا في الفصل الخامس من هذا الكتاب عن نشأة ملوك خوارزم المعروفين باسم ال «خوارزمشاه» أو «ملوك خيوه» الذين ينتسبون إلى «أنوشكين» ساقى «ملكشاه» السلجوقي.
 و لقد وصلنا الآن إلى بداية القرن الثالث عشر الميلادي (السادس الهجري) و فيه نجد أن «علاء الدين محمد» حفيد «أتسز» قد تربع على عرش خوارزم، و أخذ يحكم امبراطورية واسعة الأرجاء كانت في السنوات الأخيرة تنافس في اتساع رقعتها و فسحة نواحيها امبراطورية السلجوقية في أبهى أيامها و أسعد أوقاتها، فقد امتدت من جبال الأورال إلى الخليج الفارسي، و من جبال الإنديس إلى حدود الفرات، و شملت جميع ولايات إيران ما عدا ولايتي فارس و خوزستان.
 و من المستبعد جداً أن تكون مملكة خوارزم قد قامت على دعائم قوية ثابتة تفوق تلك التي قامت عليها الدول التي سبقتها، و التي أخذت تزول عند ظهورها، كدولة الغزنويين و السلجوقية و الغوريين، و لكنها مع ذلك استطاعت أن تثبت أقدامها مدة تزيد على قرن كامل من الزمان؛ و لم يمحها من الوجود إلا كارثة عامة لم يكن ينتظر وقوعها أحد من الناس؛ و كانت هذه الكارثة من الشدة و القسوة بحيث استطاعت أن تغير وجه البسيطة بأجمعه، و أن تحرك من القوى الكامنة ما ظل يفعل فعله حتى هذه اللحظة الحاضرة، و لقد أصابت الجنس البشري بكثير من الشرور التي لم تحدثها كارثة أخرى في تاريخ العالم المعروف؛ و أعنى بهذه الكارثة: غارة المغول.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٤٦

فهذه الغارة شبيهة بثورة جامحة من ثورات الطبيعة الشاردة، و لكنها لا تشبه في شيء ما نعرفه من أحداث التاريخ الإنساني، لأنها امتازت بالمفاجأة، و التخريب الشامل، و القسوة النابية، و الغلظة الجافية، و الشدة التي لا تقاوم، و التحطيم الذي لا رحمة فيه، و الدمار الذي لا مقصد من ورائه !!!...

و قد قامت بهذه الأفعال جميعها قبائل متوحشة لم يكن يعرفها أحد، حتى أشد الناس اتصالاً بهم من جيرتهم !!!...

و يقول «دوسون d'Ohsson»: - لولا أن المصادر كلها تتفق على تصوير ما قاموا به من قتل و تخريب و تدمير لما استطاع أحد أن يصدق مقدار البلاء الذي أوقفته في سنين قليلة هذه الجموع البربرية بمساحات واسعة من العالم امتدت من اليابان إلى ألمانيا «!!!...».
 و لقد نستطيع أن نعرف مدى الأثر الذي أثروا به في قلوب معاصريهم من الكتاب إذا أوردنا هذه النبذة التي كتبها عنهم الكاتب المدقق و المؤرخ المحقق «ابن الأثير» عندما أراد أن يتحدث عنهم تحت سنة ٦١٧ هـ (- ١٢٢٠ - ١٢٢١ م) فقد قال:

«ذكر خروج التتر إلى بلاد الإسلام»: [في كلام ابن الأثير]

«لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة، استعظماً لها، كارهاً لذكرها، «فأنا أقدم إليها رجلاً و أواخر أخرى، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي» «الإسلام و المسلمون...؟! و من الذي يهون عليه ذكر ذلك...؟! فيا ليت» «أمي لم تلدني، و يا ليتني مت قبل هذا و كنت نسياً منسياً. إلا أنني حتى جماعة» «من الأصدقاء على تسطيرها و أنا متوقف، ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدي»

(١) طلب المغول من اليابان الخضوع لسلطانهم في سنة ١٢٧٠ م و هاجمهم ثلاث مرات كانت الأخيرة منها في سنة ١٢٨٣ م و قد

حطم أسطول المغول في سنة ١٢٨٠ م كما حطمت الأرمادا الأسبانية تماما. أما غارات المغول في أوروبا فقد حدثت ما بين سنة ١٢٣٦ و سنة ١٢٤١ م.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٥٤٧

«نفعاً، فنقول: هذا الفصل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى» التي عفت الأيام والليالي عن مثلها؛ عمت الخلائق وخصت المسلمين، فلو قال: «قائل: إن العالم منذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان» صادفاً. فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يبدانها. ومن أعظم ما يذكرون» من الحوادث ما فعله «بختنصر» بنى إسرائيل من القتل وتخريب بيت المقدس. «و ما البيت المقدس بالنسبة إلى ما خرب هؤلاء الملائع من البلاد التي كل مدينة» منها أضعاف البيت المقدس، و ما بنى إسرائيل بالنسبة إلى من قتلوا...؟! «فإن أهل مدينة واحدة ممن قتلوا أكثر من بنى إسرائيل...!! ولعل الخلق» لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم وتفتى الدنيا إلا بأجوج و مأجوج» أو أما الدجال فإنه يبقى على من اتبعه و يهلك من خلفه، و هؤلاء لم يبقوا على» أحد، بل قتلوا النساء و الرجال و الأطفال، و شقوا بطون الحوامل، و قتلوا» الأجنة. «فإن الله و إنا إليه راجعون، و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم» لهذه الحادثة التي استطار شررها، و عم ضررها، و سارت في البلاد كالسحاب» استديرته الريح. فإن قوما خرجوا من أطراف الصين، فقصدوا بلاد» تركستان مثل كاشغر و بلاساغون ثم منها إلى بلاد ما وراء النهر مثل سمرقند» و بخارى و غيرها، فملكونها و يفعلون بأهلها ما تذكره، ثم تعبر طائفة» منهم إلى خراسان فيفرغون منها ذكاً و تخريباً و قتلاً و نهباً، ثم يتجاوزونها» إلى الري و همدان و بلد الجبل و ما فيه من البلاد إلى حد العراق، ثم يقصدون» بلاد أذربيجان و آران و يخربونها و يقتلون أكثر أهلها، و لم ينح إلا» الشريد النادر... في أقل من سنة، هذا ما لم يسمع بمثله...!!!

«ثم لما فرغوا من أذربيجان و آران» ساروا إلى «دريند شروان» فملكوا» مدنه و لم يسلم غير القلعة التي بها ملكهم، و عبروا عنها إلى بلد اللان» و اللكر و من في ذلك الصقع من الأمم المختلفة فأوسعهم قتلاً و نهباً و تخريباً» ثم قصدوا بلاد القيقاق و هم من أكثر الترك عدداً فقتلوا كل من وقف لهم» فهرب الباقون إلى الغياض و رؤوس الجبال و فارقوا بلادهم و استولى هؤلاء» التتر عليها. فقلوا هذا في أسرع زمان، لم يلبثوا إلا بمقدار سيرهم لا غير...!!!

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٥٤٨

«و مضت طائفة أخرى غير هذه الطائفة إلى غزته و أعمالها و ما يجاورها من» بلاد الهند و سجستان و كرمان ففعلوا فيها مثل فعل هؤلاء و أشد. هذا ما لم» يطرق الأسماع مثله، فإن الإسكندر الذي اتفق المؤرخون على أنه ملك الدنيا» لم يملكها في هذه السرعة إنما ملكها في نحو عشر سنين و لم يقتل أحداً،» إنما رضى من الناس بالطاعة، و هؤلاء قد ملكوا أكثر المعمور من الأرض» و أحسنه و أكثره عمارة و أهلاً و أعدل أهل الأرض أخلاقاً و سيرة في نحو» سنة...!!! و لم يبت أحد من البلاد التي لم يطرقوها إلا و هو خائف يتوقعهم» و يرتقب وصولهم إليه...!!!

«ثم إنهم لا يحتاجون إلى ميرة و مدد يأتهم، فإنهم معهم الأغنام و البقر و الخيل» و غير ذلك من الدواب، يأكلون لحومها لا غير، و أما دوابهم التي يركبونها» فإنها تحفر الأرض بحوافرها و تأكل عروق النبات لا تعرف الشعر...!!! «إذا نزلوا منزلاً لا يحتاجون إلى شيء من خارج...!!!

«و أما دياتهم فإنهم يسجدون للشمس عند طلوعها، و لا يحرمون شيئاً، فهم» يأكلون جميع الدواب حتى الكلاب و الخنازير و غيرها...!!! و لا يعرفون نكاحاً» بل المرأة يأتها غير واحد من الرجال، فإذا جاء الولد لا يعرف أباه...!!!

«و لقد بلى الإسلام و المسلمون في هذه المدة بمصائب لم يبتل بها أحد من» الأمم، منها: هؤلاء التتر- قبجهم الله- أقبلوا من المشرق ففعلوا» الأفعال التي يستعظمها كل من سمع بها، و سترها مشروحة مفصلة» إن شاء الله تعالى؛ و منها خروج الفرنج- لعنهم الله- من المغرب» إلى الشام و قصدهم ديار مصر و ملكهم ثغر دمياط منها، و أشرفت ديار مصر» و الشام و غيرها على أن يملكوها لو لا لطف الله تعالى و نصره عليهم، و قد» ذكرناها سنة أربع عشرة و ستمائة؛ و منها أن الذي سلم من هاتين» الطائفتين فالسيف بينهم مسلول، و الفتنة قائمة على ساق، و قد» ذكرناه أيضاً» «فإننا لله و إنا إليه راجعون، نسأل الله أن ييسر للإسلام و المسلمين نصراً من» «عنده، فإن الناصر و المعين و الذاب عن الإسلام معدوم، و إذا أراد الله بقوم»

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٥٤٩

«سوءاً فلا مرد له، و ما لهم من دونه من وال ثان... هؤلاء التتر إنما» استقام لهم هذا الأمر لعدم المانع. و سبب عدمه أن خوارزمشاه محمداً كان» قد استولى على البلاد و قتل ملوكها و أفنأهم، و بقي هو وحده سلطان البلاد» جميعها، فلما انهزم منهم لم يبق في البلاد من يمنعهم و لا من يحميها ليقتضى الله» «أمرها كان مفعولاً...!!!

و قد كتب «ابن الأثير» هذا البيان برمه قبلما تحدث النكبة النهائية بثلاثين سنة تقريباً عندما أغار المغول على بغداد و حطموا الخلافة في فبراير سنة ١٢٥٨ م- ٦٥٦ هـ. و قد انتهى «ابن الأثير» من تاريخه بذكر سنة ٦٢٨ هـ (١٢٣٠- ١٢٣١ م) ثم مات بعد سنتين من ذلك التاريخ و لم يشهد بعينه الفظائع التي تحدث عنها، ولكنه كان يسمعا من المحاربين الهاربين الذين استولى عليهم الرعب و الفرع ثم أخذ في تسجيلها بعد ذلك فاستطاع أن يحفظ لنا جملة من رواياتهم، ذكرها في السنة الأخيرة التي انتهى بها تاريخه حيث يقول:

«... و لقد حكى لي عنهم حكايات يكاد سامعها يكذب بها من الخوف الذي» ألقاه سبحانه و تعالى في قلوب الناس منهم، حتى قيل إن الرجل الواحد منهم» «كان يدخل القرية أو الدرب و به جمع كثير من الناس، فلا يزال يقتلهم» «واحد بعد واحد، لا يتجاسر أحد أن يمد يداً إلى ذلك الفارس...!!! و قد بلغني» «أن إنساناً منهم أخذ رجلاً، و لم يكن مع التري ما يقتله به، فقال له: ضع» رأسك على الأرض و لا تبرح...!!! فوضع رأسه على الأرض و مضى التري فأحضر» «سيفاً فقتله به...!!! و حكى لي رجل قال: كنت و معي سبعة عشر رجلاً في» «طريق، فجاءنا فارس من التتر، و قال لنا حتى يكتف بعضنا بعضاً، فشرع» «أصحابي يفعلون ما أمرهم...!!! فقلت لهم: هذا واحد فلم لا تقتله و تهرب؟» «فقالوا: نخاف. فقلت: هذا يريد قتلك الساعة فنحن نقتله فلعل الله» «يخلصنا...!!! فو الله ما جسر أحد يفعل ذلك...!!! فأخذت سكيناً و قتلته» «و هربنا فنجونا. و أمثال هذا كثير...!!!»

(١) ترجم هذه النبذة المؤرخ «دوسون d'Ohsson» في كتابه الجزء الثالث ص ٨٠

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٥٥٠

[كلام «ياقوت الحموي» حول جنائيات المغول]

و كان «ياقوت الحموي» معاصراً لغارة المغول (فقد ولد سنة ٥٧٥ هـ- ١١٧٨ و توفي سنة ٦٢٧ هـ- ١٢٢٩ م) و كان صديقا لابن الأثير الذي ذكرناه سابقاً، و قد استطاع أن ينجو بنفسه من غارتهم، و أن يخلف لنا صورة جلية لما كانوا يلقون في النفوس من رعب و فرغ. و إشارات إلى ذلك واضحة فيما نقله إلينا متفرقا في كتابه الجغرافي «معجم البلدان» و كذلك في خطاب له أورده «ابن خلكان» في

كتابه وفيات الأعيان «١»، وقد وجه ياقوت خطابه هذا إلى «القاضي الأكرم جمال الدين أبي الحسن علي الشيباني الفطفي» وزير ملك حلب، وذلك بعد ما تمكن «ياقوت» من التغلب على كثير من المصاعب والهزب من «مرو» والوصول إلى الموصل.

ويرجع تاريخ هذا الخطاب إلى سنة ٦١٧ هـ (١٢٢٠-١٢٢١ م) وقد وصف فيه ياقوت المكتبات الموجودة في مدينة مرو، وقال في لغة قوية رصينة:

أنها كانت سببا لنسيان أهله والأحباب والوطن والأصحاب، وأن محتوياتها وما اشتملت عليه من الكتب «شغله عن الأهل والوطن، وأذهله عن كل خل صفي وسكن، فظفر منها بضالته المنشودة، وبغية نفسه المفقودة، فأقبل عليها إقبال النهم الحريص، وقابلها بمقام لا يزمع عنها محيص».

ثم ذكر مقدار الرخاء والعمران اللذين فيهما كانت تنعم خراسان، وأنها كانت في ذلك شبيهة بجنة المأوى ورياض الخلد، فقال:

«فكم فيها من خير راق خيره، ومن إمام توجت حياة الإسلام سيره» «آثار علومهم على صفحات الدهر مكتوبة، وفصائلهم في محاسن الدنيا والدين» «محسوبة، وإلى كل قطر مجلوبة، فما من متين علم وقويم رأى إلا ومن»

- وكذلك السير هنري هوورث Sir Henry Howorth - في كتابه «تاريخ المغول، History of the Mongols جزء ١ ص ١٣١.

(١) هذه الرسالة المذكورة في ترجمة ياقوت الرومي بالجزء الثاني من وفيات الأعيان طبع المطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣١٠ هـ انظر ص ٢١١-٢١٤ وانظر أيضا ترجمة De Slane لكتاب وفيات الأعيان (جزء ٤ ص ١٢-٢٢).

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٥١

«مشرقهم مطلعهم، وما من معرفة فضل إلا عندهم مغريه وإليههم مترعه، وما «نشأ من كرم أخلاق بلا اختلاف إلا وجدته فيهم، ولا إغراق في طيب» «أعراق إلا اجتنيتهم من معانيهم، أطفالهم رجال وشبابهم أبطال، وما شايخهم» «أبدال؛ شواهد مناقبهم باهره، ودلائل مجددهم ظاهره. ومن العجب العجيب أن «سلطانهم المالكة، هان عليه ترك تلك الممالك وقال لنفسه اله واللك وإلا فأنت في الهالك». «وأجفل إجمال الرال، وطفق إذا رأى غير شيء ظنه رجلا بل رجال...!! «١» «٢» «كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين»، «فجاس خلال تلك الديار أهل الكفر والإلحاد، وتحكم في تلك الأستار» «أولو الزين والعناد» «فأصبحت تلك القصور كالمحوى من السطور»، «وأمت تلك الأوطان مأوى للأصدقاء والغربان، يتجاوب في نواحيها اليوم» «ويتناوح في أراضيها السموم، يستوحش فيها الأيس، ويرثي لمصابها إبليس»

«كان لم يكن فيها أوانس كالدمي وأقال ملك في يسائلهم أسد

«فمن حاتم في جوده وابن مأمو من أحنف أن عد حلم ومن سعد

«تداعي بهم صرف الزمان فأصبحوا لآخرة تدمي الحشا ولمن بعد «فإنا لله وإنا إليه راجعون من حادثه تقصم الظهر وتهدم العمر، وتفت» «في العضد، وتوهي الجلد، وتضاعف الكمد، وتشيب الوليد، وتحب لب» «الجلد، وتسود القلب، وتدهل اللب...!!»

«فحينئذ تفهقر المملوك على عقبه ناكصا، ومن الأوبة إلى حيث تستقر» «فيه النفس بالأمن آيسا، بقلب واجب، ودمع ساكب، ولب عازب، وحلم غائب»، «فتوصل وما كاد حتى استقر بالموصل، بعد مفاصة أخطار، وإتلاء» «و اصطبار، وتمحيص الأوزار، وأشراف غير مرة على البوار والتبار، لأنه» «مر بين سيوف مسلولة، وعساكر مغلولة ونظام عقود مخلولة، ودماء»

(١) أي «علاء الدين محمد» ملك خوارزم.

(٢) أي المغول.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٥٢

«مسكوبة؛ وكان شعاره كلما علاقيا، أو قطع سببا: لقد لقينا من سفرنا» «هذا نصبا !! فالحمد لله الذي أقدرونا على الحمد، وأولانا نعمنا نفوت الحصر» «والعدو؛ جملة الأمر إنه لو لا فسحة في الأجل، لعز أن يقال: سلم البائس» «أو وصل، ولصفت عليه أهل الوداد صفة المغبون، والحق بألف ألف» «ألف ألف هالك بأيدي الكفار أو يزيدون. وحلف خلفه جل» «ذخيره ومستمد معيشته»:

تكرلى دهرى ولم يدر أننى أعز وأحداث الزمان تهون

«و بات يرينى الخطب كيف اعتداؤه بت أريه الصبر كيف يكون !!!... الخ «١»

وقد ساعد مظهر المغول البغيض، وما امتازوا به من عادات قبيحة كرهية على زيادة الفزع الذى استولى على القلوب بسبب ما عرف عنهم من غلظة لا تتفق عند حد وقسوة لا تزيد عليها. ولقد كان فتح العرب لإيران سببا في كثير مما وقع فيها من دمار وخراب و عناء، ولكن العرب كانوا على حد تعبير أعدائهم الأسيانيين - «فرسانا وأبطالاً. يمتازون بكثير من الرقة والدمائة ولو كانوا من المعاربة القساة الأشداء!!!» وقد خربوا في الحقيقة كثيرا من إيران ولكنهم جلبوا معهم كثيرا من الخير والفتح؛ وعلى العكس من ذلك كان المغول الذين وصفهم مؤرخهم النابه «دوسون» بقوله «٢»:

«... لقد فاقوا في قسوتهم أشد الشعوب همجية، فقتلوا غيلة جميع من وقع في أيديهم من أهل البلاد التي فتحوها، ولم يبقوا على رجل أو امرأة أو طفل

(١) المترجم: الترجمة الانجليزية لهذه النبتة مختصرة وقد أثبتنا هنا الأصل العربى.

(٢) انظر ص ٦ من المجلد الأول من كتابه المعروف «تاريخ المغول من جنكيز خان إلى تيمور لنگ». Histoire des Mongols depuis Tchenguiz Khan jus'qua Timour Bey ou Tamerlan, par M. Le Baron C. d'Ohsson,

Paris ١٨٣٤-٣٥. ٤ vols. تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٥٣

وأحرقوا البلدان والقرى، وأحالوا الديار العامرة إلى مفاظات مقفرة؛ ولم يكن يحفزهم على ذلك كله رغبة في ثار أو حب لانتقام، فقلما كانوا يعنون بمعرفة أسماء ضحاياهم الكثيرة، وقلما كانوا يهتمون بالكشف عن هويتهم أو الوقوف على شخصيتهم.

ولربما ظن طان أن التاريخ تعالى في وصف مآسيهم وفظائعهم، ولكن جميع المراجع التي دونت عنهم في بلاد مختلفة، تتفق تمام الاتفاق على ما امتازوا به من غلظة وعنق. وكانت عاداتهم أن يسترقوا البقية الباقية من أهل البلاد التي يفتحونها وأن يعذبوهم أشد العذاب، بحيث كان من ينجو برأسه من صيوفهم لا يستطيع أن ينجو بنفسه من عسفهم وظلمهم. وكانت حكومتهم تعمل على نشر الفساد فتقصي كل من عرف بالشرف والتبلى، وتقرب كل من اشتهر بالضعف والخسة، وتجزيهم على طاعتهم الدليلية وعلى خضوعهم لساداتهم من ذوى القلوب الغليظة بكل ما يتمنون من مال أوقوه أو سلطة، يستطيعون بها التعسف مع ذوى قراهم وأبناء

جلدهم. وقد أصبح تاريخ المغول، بما انفرد به من وحشية و عنجهية، سجلا لكثير من حوادث الفزع والرعب، ولكن دراسته على الرغم من ذلك واجبة على كل من يريد تفهم الحوادث الهامة التي وقعت في القرنين الثالث عشر والرابع عشر. خاصة وأن تاريخهم قد اتصل بتاريخ جملة من الممالك والامبراطوريات...!!!

وربما اقتصر فضائل المغول على مزاياهم الحربية، فقد كانوا يمتازون بالنظام والخضوع وطاعة الرؤساء، وكانت الترقية عندهم قاصرة على من يكون جديرا بها لكفاية أو دراية؛ وكان الفاضل في أداء الواجب أو الخارج على النظام أو العاجز عن القيام بما وكل إليه، يعاقب بالموت هو وزوجه وأولاده...!!!

وإذا غضب امبراطور المغول لأمر ارتكبه أكبر قواده، فإنه كان يأمر بعقابه عقابا علنيا أمام سائر جنده، وربما وكل أمر عقابه إلى رسول بسيط من رسله...!!!

وكان المغول يسترخصون حياة الناس، ولكنهم كانوا يعنون بحياة المغولي أشد العناية، فلا يلجأون إلى الحرب والقراع إلا إذا أعيتهم الحيلة ولم تنفعهم الوقعة والخداع.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٥٤

وكانوا يعاقبون من يقف في وجههم بالموت، ولكنهم أيضا كانوا يعاقبون من يخضع أمامهم بالموت...؟؟ ولم يكونوا يبقون على أحد من سكان المدن التي يفتحونها إلا على من ينتفعون بمهارته في حرفته، أو من يستخدمونه في غارتهم التالية في محاربة أبناء وطنه و عشيرته. وكانوا يضعون في طليعة جيوشهم جماعات من الأسرى المساكين فإذا بدأت المعركة فإنهم كانوا يقذفون بهم لقيمو لهم آلة الحرب والحصار، ثم ربما أكرهوهم بحد السيف إلى أن ينفذوا خلال الفجوات التي يحدونها في أسوار المدينة وأن يملأوا الخنادق بأجسادهم لكي يعبروا عليها، فإذا سلم منهم أحد بعد هذا كله، فإنهم كانوا يحزون رأسه ليتخلصوا منه وليفسحوا المجال للأسرى الجدد الذين يظفرون بهم في موقعتهم الجديدة...!!!

[ذكر مرجعين للتخفيف في تاريخ المغول]

وكانت قسوة المغول متمردة بقصدون بها إيقاع الرعب في قلوب أعدائهم حتى يشل الفزع حركتهم فلا يقدر على المقاومة أو المدافعة. وكانوا يجدون أنه آمن لجيوشهم المظفرة ألا يتركوا وراءهم إلا الخراب الملتهية، أو الأفران المملأ بالجنث الآدمية. لأنهم كانوا يخشون أن يبقوا على أحد بعد المعركة مخافة أن يثير لهم الفتن والقلال...!!!

ولا- تنسج صفحات هذا الكتاب لإيراد التفاصيل المتعلقة بتاريخ المغول، أو لإيراد ملخص عن إحدائهم في إيران، وإني أحيل القارئ الذي يرغب في استيعاب هذه التفاصيل إلى أحد مرجعين:

١- تاريخ المغول الذي كتبه «دوسون

d'Ohsson

٢- «تاريخ المغول الذي كتبه «السير هنري هورث Sir Henry Howorth» - ويمتاز المرجع الأول من هذين المرجعين، بأن مؤلفه قد استعان في تأليفه بالمصادر العربية والفارسية كما حدثنا بذلك في مقدمة الجزء الأول من كتابه «١».

و أهم المصادر الإسلامية في تاريخ المغول هي الآتية:

١- تاريخ «ابن الأثير» وهو مكتوب بالعربية.

(١) أنظر ص ١٠-٦٨ من المقدمة.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٥٥

٢- سيرة السلطان جلال الدين المنكريني وقد كتبها بالعربية صاحب رسائله المسمى ب «شهاب الدين محمد النسوي».

٣- تاريخ «جهان گشا» وقد كتبه بالفارسية «علاء الدين عطا ملك الجويني» وزير «هولاكو خان».

٤- جامع التواريخ وقد كتبه بالفارسية «رشيد الدين فضل الله».

٥- تجزئة الأمصار أو «تاريخ الوصاف» وقد كتبه بالفارسية «أبو عبد الله بن فضل الله الشيرازي».

و الكتاب الأول من هذه الكتب طبع مرتين إحداهما في القاهرة والأخرى طبعه تورنبرج Tornberg؛ و أما الكتاب الثاني فقد نشره و ترجمه إلى الفرنسية «م. هوداس M. Houdas» في باريس سنة ١٨٩١-١٨٩٥ م «١» و أما الكتاب الأخير فقد نشره مع ترجمة ألمانية المستشرق «هامر بورجستال Hammer Purgstall» - وقد ظهر الجزء الأول منه في مدينة فينا في سنة ١٨٥٦، و له كذلك طبعه شرقية على الحجر. و أما الكتاب الثالث والرابع فمخطوطان حتى الآن «٢».

(١) المترجم: أحدث طبعه لسيرة جلال الدين هي التي نشرتها دار الفكر العربي سنة ١٩٥٣ م

(٢) المترجم: عندما كتب الأستاذ «براون» هذا الفصل لم يكن في متناول يده إلا النسخ الخطية من كتابي «تاريخ جهانگشا» و «جامع التواريخ» ولكن هذين الكتابين طبعوا بعد ذلك في سلسلة جب التذكارية.

وقد أشار الأستاذ براون إلى أن «شيفر Sehefer» - نشر جزءا من تاريخ «جهان گشا» في ص ١٠٦-١٦٩ من الجزء الثاني من كتابه المعروف باسم مختارات فارسية Chrestomathie Persane وهذا الجزء هو الذي يتحدث فيه المؤلف عن غارة المغول على خوارزم و ينتهي بغارتهم على نيسابور؛ كما نشر كاترمير Quatremere - جزءا من «جامع التواريخ» مع ترجمة فرنسية في سنة ١٨٣٦ وهذا الجزء هو الذي يفسر فيه المؤلف أحوال هولاكو خان؛ و قد نشر «برزين Beresine» - جزءا آخر من هذا الكتاب و لكن الحصول عليه عسير لقله نسخه، و قال إن بلوشية Blochet يقوم بتكملة العمل الذي بدأه كاترمير ليم طبع جامع التواريخ في سلسلة جب التذكارية كما تنوى هذه السلسلة أيضا طبع تاريخ «جهانگشا». [و قد تم طبعه فعلا في ثلاثة أجزاء]

وقد أصدرت هذه السلسلة أيضا في سنة ١٩٤٠ م «تاريخ مبارك غازاني» باهتمام «كارل يان»

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٥٦

[طمع و خيانة ملك خوارزم «علاء الدين محمد» هو السبب لوقوع غارة المغول]

و الرأي السائد أنه لم يكن هنالك ما يحول دون وقوع غارة المغول، و لكنها من غير شك سهلت و تيسر حدودها بواسطة ما عرف عن ملك خوارزم «علاء الدين محمد» من طمع و خيانة و تردد. فطمعه ظاهر كما يقول «ابن الأثير» في أنه استولى على البلاد و قتل ملوكها و أضافهم، ليبقى هو وحده على مملكة نخرة هاونية، فلما نهزم أمام المغول و فر أمام جيوشهم تاركا بلاده للندد يفعل بها ما يشاء، لم تجد هذه البلاد أميرا إسلاميا واحدا يستطيع أن يلم شعنها و يوحد جهودها أمام الجيوش المغيرة من أهل الكفر و الزيف. و أما

خيانتة فظاهرة لأنه أقدم على قتل رسل المغول و تجارهم فأعطى بذلك ل «جنگيز خان» الحجة الدامغة لتبرير الهجوم عليه ولإثبات أوجه الضعف والخذلان التي تسود الحالة في إيران. و أما ترده فظاهر كذلك من أنه عند أول صدمته تلقاها من المغول أسرع إلى إظهار الفزع والخوف بدل ما كان يبديه من غطرسة وتحد، و لم تكذب تنفضى ستنان على قتله لرسل المغول حتى تجده في النهاية يموت شريدا طريدا في جزيرة من جزر بحر قزوين. ولولا الجهود الجبارة والأعمال الخالدة الجليلة التي أثرت عن ولده «جلال الدين» للازم العار جبين هذه الدولة الكبيرة التي كانت تعرف بمملكة خوارزم.

و هناك سبب آخر يرجع إليه ضعف المقاومة الإسلامية في وجه المغول، و هو الخلاف الذي نشأ بين ملك خوارزم «محمد» و الخليفة العباسي «الناصر». فقد كان هذا الخليفة يخشى ملك خوارزم و ازداد قوته و طمعه في الاستيلاء على «بغداد»، فسمي كما كان يفعل الخلفاء المتأخرون إلى أضعاف منافسه و الإيقاع به و تدبير المكائد له، و أخذ يشجع المغول على مهاجمته، و قد أشار إلى ذلك «ابن الأثير» إشارة عارضة كما صرح بذلك «المقريزي» في كتاباته؛ و من عجب أن أعقاب هذا الخليفة قد هلكوا على أيدي هؤلاء المغول الذين أبادوهم جميعا و حطموا دولتهم و استولوا على بلادهم «١».

و يبدو أن الكارثة قد بدأت عندما علم ملك خوارزم عند استيلائه على مدينة غزنه، بأمر مراسلات متبادلة بين الخليفة و حكام «غزنه» من أعقاب «سبكتگين» «٢»

(١) أنظر ما كتبه «دوسون» في جزء ١ ص ٢١١.

(٢) أي الغزنويين من أعقاب محمود الغزنوي بن سبكتگين.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٥٧

يثيرهم فيها الخليفة على ملك خوارزم؛ و قد أسرع هذا برد الكيل مضاعفا، فأعلن أن الخليفة العباسي لا يمكن أن يعتبر إماما للمؤمنين، و نصب أحد الأشراف من سلالة «علي» في مكانه و اعترف له بالسلطة الروحية التي كانت للخليفة. و أصبحت بذلك نجد أن ملك خوارزم بدل أن يجمع قوته لملاقاة الكارثة التي تهدد حدوده الشمالية الشرقية يزع نفسه في خصومة حامية مع خليفة بغداد. ثم يزداد الأمر سوء بوقوع كارثة أخرى كان سببها اشتداد البرد و قسوة الشتاء في هذه الديار بشكل لم تعرفه من قبل.

و من المحتمل جدا أن الكارثة كانت آتية لا ريب فيها، و أنه لم يكن ليمنعها مانع، أو ليؤجل وقوعها مؤجلا. و لكن سببها المباشر يرجع إلى إحدى هذه البعثات التي نسمع عنها كثيرا في تلك الأيام. فقد رأى «جنگيز خان» أن يرسل جماعة من التجار محملين بمصنوعات بلاده إلى مدينة على حدود خوارزم اسمها «أترا». و قد اختلفت المصادر اختلافا بينا في عدد هؤلاء التجار، فقال «النسوي» إنهم أربعة، و أنهم كانوا مسلمين و من رعايا خوارزم؛ بينما قال كتاب آخرون أنهم يبلغون الأربعمئة و الخمسين تاجرا، و قد قتلهم حاكم «أترا» جميعا بتحريض خفي من ملك خوارزم بعدما ألقى في روعه أنهم ليسوا تجارا في الحقيقة بل هم جواسيس للمغول.

فلما قتل هؤلاء التجار، أسرع «جنگيز خان» بإرسال بعثة إلى ملك خوارزم مكونة من عضوين مغوليين و ثالث تركي اسمه «بغرا» و كلفهم بأن يحتجوا لديه على ما أصاب رسله من إهدار لحقوق الضيافة و تضييع لواجبات المجاملة، و إن يطلبوا إليه أن يسلمهم حاكم «أترا» و إلا فليعد العدة لحرب طويلة قاسية.

و لم يجهم ملك خوارزم إلى ما طلبوا، بل على العكس من ذلك قتل الرسول التركي «بغرا» و أمر الرسولين المغوليين الآخرين بالعودة إلى مولاهم بعد أن حلق ذقنيهما.

[الإهانة برسول «جنگيز خان»]

و ثار «جنگيز خان» لإهانة رسله، فعقد جمعية عامة من المغول «قوريلتاي» و قرر مهاجمة «خوارزم».

و بدأت الحرب بانتصار تافه فاز به «محمد خوارزمشاه» و لكنه بقي مع ذلك

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٥٨

خاملا متعبدا بنفسه عن مواقع الخطر، تاركا أمر المدافعة عن حدود بلاده التي أغار عليها المغول إلى حكامها، منتظرا- فيما يقولون- لحظة مباركة يشير بها المنجمون لبدأ فيها منازلة خصمه !!!... «١»

[ذكر عدد من جنایات المغول في فتح المدن]

و في أثناء انتظاره و ترقبه، عصفت العاصفة بشدة فيما وراء النهر في خريف سنة ١٢١٩ م- ٦١٦ هـ و سقطت مدينة «أترا» بعد حصار دام خمسة أشهر أو ستة، و قبض المغول على حاكمها الذي أمر بقتل تجارهم، فأعدموه بأن صبوا الفضة المصهورة في عينيه و أذنيه، ثم ساقوا أمامهم من نجا من غارتهم على هذه المدينة فدفعوا بهم إلى مدينة «بخارى» ليتفوهوا بهم كما ذكروا ضد مواطنيهم و أهل دينهم.

و أغاروا على «أوزكند» و على مدينتين صغيرتين أو ثلاث؛ ثم أتوا إلى «جند» فاستولوا عليها بعد حصار قصير و عملوا الغارة فيها تسعة أيام كاملة، و لكن من عجب أنهم لم يقتلوا سكانها !!!.. ثم سقطت مدينة «بناكت» في أيديهم، و صمدت في وجههم مدينة «خجند» لأن «تيمور ملك» دافع عنها دفاعا مجيدا.. و لم تظهر تبشير سنة ١٢٢٠ م- ٦١٧ هـ حتى سيطر المغول على مدينة «بخارى» و عملوا الغارة فيها و أحرقوها و قتلوا عددا كبيرا من سكانها و استحبوا النساء و هتكوا الحرمات و قد أثر الموت جهادا جماعة من سكانها لم يرضوا بحية العار و الذل فاستشهدوا مقاتلين، و كان من بين هؤلاء «القاضي بدر الدين» و الإمام «اركن الدين» و ابنه.

و جاءت نوبة «سمرقند» بعد ذلك فحاصرها المغول أربعة أيام ثم خضعت لهم في نهاية هذه المدة، فأغاروا عليها كعادتهم و نهبوا و قتلوا كثيرا من سكانها و استعبدوا من نجا من حد سيوفهم.

و استمر «محمد خوارزمشاه» في التقهر و التراجع، و أخذ ينصح سكان البلاد التي يمر بها أن يعملوا ما يستطيعون لحماية بلدانهم لأنه في موقف يعجز معه عن معاونتهم أو حمايتهم. و اعتقد أن المغول سوف لا يجسرون على عبور نهر «جیحون»

(١) ربما قبل فيه ذلك إظهارا لجبنه و ترده

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٥٩

فتوقف قليلا في مدينة «تيسابور»، و لكن لم تنفض على ذلك ثلاثة أسابيع حتى علم أنهم دخلوا خراسان، فأسرع إلى الهرب إلى ناحية الغرب صوب «قزوين» فلما بلغها دار على عقبه و يمم وجهه شطر «گیلان» و «مازندران» و هناك تركه أتباعه و انفصوا من حوله، ثم مرض بالبرص و اشتدت عليه علته فمات شريدا طريدا في جزيرة بعيدة من جزر بحر قزوين، تاركا ملكه لابنه الشجاع «جلال الدين» و

قد وقعت أمه «تركان خاتون» مع زوجاته وأولاده و جواهره في أيدي المغول و حوزتهم.

و سقطت بعد ذلك «خوارزم» و كانت قد قاومت المغول مقاومة شديدة أثارت حفيظتهم، فلما وقعت في أيديهم عملوا سيوفهم في رقاب أهلها جميعا و لم يبقوا من سكانها إلا على أصحاب الحرف و الصناعات فقتلهم كعادتهم إلى «منغوليا». و قد ذكر صاحب «جامع التواريخ» أن الجيش المغولي الذي حاصر «خوارزم» كان يبلغ خمسين ألف مقاتل، و إنه وكل إلى كل واحد من هؤلاء أن يقتل أربعة و عشرين رجلا من الأسرى الذين وقعوا في قبضتهم بعد الاستيلاء على هذه المدينة...!!
و استشهد على أيديهم في هذه المدينة العالم الورع الشيخ «نجم الدين كبرى» (١) و عاملوا سكان مدينة «ترمد» نفس هذه المعاملة فقتلوا سكانها، و وقعت في أيديهم امرأة عجوز ابتلعت جوهره لتخفيها عنهم، فأمرؤا جندهم بإخراج القتلى و شق بطونهم بحثا عن الدرر و الجواهر...!!

و ازدادت قسوة المغول و غلظتهم بزيادة نجاحهم و نفوذهم، فلم نعد بعد الآن نسمع بحادثة واحدة أظهروا فيها قليلا من الرحمة و الشفقة حيال سكان المدن البائسة التي وقعت تحت أيديهم بل أخذوا يبيدونهم عن آخرهم في غلظة و فظاعة كما فعلوا بسكان «بلخ» و «نصرت كوه» و «نسا» و «نيسابور» و «مرو» و أماكن أخرى كثيرة. و قد قدر «ابن الأثير» القتل من أهل «مرو» ب ٧٠٠,٠٠٠ قتل، و أما صاحب «تاريخ جهانگشاي» فقد رفع عددهم إلى ١,٣٠٠,٠٠٠ و ذلك فيما عدا

(١) ارجع إلى «نضجات الأنس» تأليف جامي، طبع «نساوليز» ص ٤٨٦-٤٨٧.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٦٠
الذين اختفت أجسادهم في فجوات مجهولة أو تحت الأنقاض و الخراب...!!

و في «نيسابور» قطع المغول رؤوس القتلى، و بنوا أهرامات عالية أحدها للرجال، و الآخر للنساء، و الثالث للأطفال، و بذلك ضمنوا أن لا ينجو مخلوق من حد سيوفهم بادعائه الموت و ارتمائه بين الأشلاء و الجثث المترامية...!!
و خفت غارتهم على مدينة «هراة» قليلا، و لكنهم عندما وصلوا إلى «باميان» قتل أحد أمرائهم أثناء المعركة فخرى بها تخريبا كاملا، و لم يأخذوا شيئا من أسلحتها بل فضلوا أن يتركوها صحراء خاوية، بقيت خالية من السكان قرنا كاملا من الزمان...!!
و لم يأل «المغول» جهدا في إيقاع الدمار و الخراب بالأماكن التي اجتازتها جيوشهم و كانوا يعمدون إلى إحراق الحبوب و الغلال التي تزيد على حاجتهم، و كثيرا ما كانوا يعودون إلى البلدان التي أغاروا عليها فيفتشونها من جديد و يقتلون البقية الباقية من أهلها المساكين الذين اختبأوا أثناء الغارة الأولى و أخذوا يخرجون الآن باحثين عن الطعام أو الشراب...!! و قد فعلوا ذلك مع أهل «مرو» فاستطاعوا أن يقتلوا أثناء عودتهم خمسة آلاف رجل نجوا من غارتهم الأولى التي ذكرنا خبرها فيما سبق من حديث.

و كانوا يلجأون إلى شتى وسائل التعذيب لحمل الأسرى على الاعتراف بأماكن النقود و الكنوز التي أخفوها...!!

أما كنوز الآداب و الفنون التي كانت تزخر بها المدن القديمة التي فتحها فقد حطمت تمام التحطيم و كان هذا طبيعيا و منتظرا من قوم يستهينون أشد الاستهانة بكل شيء و بالحياة الإنسانية على وجه الخصوص.

و يذكر «الجويني» أنه «لم يبق بالبلاد التي فتحها المغول واحد من ألف من ألف من سكانها»؛ ثم يعلن: أنه إذا لم تقع بخراسان و العراق العجمي حادثة من الحوادث تعوق ازدياد السكان بهاتين الولايتين، فإن أهلها لم يبلغوا إلى يوم القيامة عشر العدد الذي بلغوه قبل غارة المغول...!!» (١)

(١) أنظر ما كتبه «دوسون» جزء ١ ص ٣٥٠.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٦١

[ذكر شيء عادات المغول الكارهة]

و كانت أعمال المغول الإرهابية تلقى الفرع في نفوس سكان البلاد التي يزعمون الإغارة عليها، و كانت قلوبهم تنلغ رعبا و فرعا حينما يوجهون إليهم إنذارهم المعتاد:

«و لسننا نعلم ماذا تفعل بكم الأقدار إذا لم تسرعوا إلى تقديم الخضوع و الاستسلام لنا، و الله وحده هو الذي يعلم ما هو نازل بكم...!!» (١)

و كانت عادات المغول و طباعهم تدعو إلى الاشمزاز؛ كما إن بعض أمورهم كانت تبعث في نفوس المسلمين كثيرا من النفور و الكراهية لمنافاتها لتعاليمهم، فكانوا على استعداد لأن يأكلوا كل ما حرمه الإسلام و كذلك كل حيوان دنس كالفئران و القطط و الكلاب. بل كان طعامهم - كما يقول «جان دي پلان كاربان» Jean de Plan Carpin - يشتمل على كل ما استطاع مضغه، و قد رأيناهم يزدردون كل شيء حتى الأعواد الجافة و البراغيث...!!» (٢).

و كانوا يكرهون الاستحمام و الاعتسال، و حرموا غسل الأيدي أو الثياب في المياه الجارية و اعتبروا ذلك جريمة جنائية بل من أمهات الجرائم التي يعاقب عليها بالإعدام...!!

و كذلك اعتبروا ذبح الحيوان (قطع حلقة) من أمهات الجرائم، فحرموا على المسلمين ذبح حيواناتهم وفقا للطريقة التي أجازها الشرع، و استعاضوا عن ذلك بطريقتهم الخاصة، فكانوا يشقون بطن الحيوان ثم يمدون أيديهم إلى جوفه، فإذا وصلوا إلى قلبه أمسكوه و نزعوه من مكانه...!!

[المغول في أمور الدين]

و كان المغول في أمور الدين يتساهلون أشد التساهل، و قد سوا بين رجال الدين في مختلف العقائد و المذاهب و ميزوهم ببعض الميزات و أعفوه من بعض الضرائب، و هكذا كان حالهم في معاملتهم للأطباء و لجماعات خاصة من أرباب الحرف، و قد امتاز «چنگيز خان» على الخصوص بتسويته بين الأديان جميعها دون أن يعتق واحدا منها، و أما «قبلاي خان» ١٢٧٥-١٢٩٤ م- ٦٥٥-٦٩٤ هـ «٣» فكان أول

(١) نفس المرجع، جزء ١ ص ٣٩٤.

(٢) نفس المرجع ص ٤١١.

(٣) حبي «قبلاي خان» هذه العادة فيما بعد كما يحدثنا «دوسون» في جزء ٢ ص ٤٩١-٤٩٢

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٦٢

من اعتنق البوذية من عشيرته؛ وأما أول من اعتنق الإسلام فهو: أحمد تاكدار خان ١٢٨٢-١٢٨٤ م- ٦٨١-٦٨٣ هـ ثم غازان خان ١٢٩٥-١٣٠٤ م- ٦٩٥-٧٠٤ هـ وقد بقي أعقابهم الذين حكموا إيران يدينون بهذا الدين، وقضى نهائياً على أمل طالما تردد في نفوس المسيحيين بأن يكسبوا إلى جانبهم المغول وأن ينجحوا في جلبهم إلى حوزة المسيحية و معتقياً، حتى يتمكنوا من القضاء على الإسلام القضاء الأخير الذي لا يبعث بعده. ولم يبق من أثر للبعثات المسيحية التي وصلت إلى المغول في عاصمتهم «قراقورم» إلا السجلات الخالدة لأسفار جماعة من المبشرين والقسيسين الذين احتملوا في شجاعه فائقة أهوال السفر العديدة ومخاطره الشديدة لعلمهم يظفرون بفوز مؤزر للكنيسة المسيحية بجلب المغول إلى حوزتهم، وكان من بين هؤلاء:

«جان دي پلان كارپان» و «روبريكس Rubruquis» وغيرهما من القسس والرهبان.

وقد تحققت أوروبا من أن «خان» المغول الذي ظل يرأسهم في لغته المغولية برسائل مكتوبة بالخط الأيوغوري، سوف لا يعتنق المسيحية، وبدا هذا اليقين واضحاً في رسالة مكتوبة في «نورنامتون» في ١٦ أكتوبر سنة ١٣٠٧ م بعث بها «إدوارد الثاني» إلى ملك المغول «ألبايو خدابنده»^(٢).

وهذه الاتصالات التي كانت تتكرر بين أباطرة المغول وملوك أوروبا كان الغرض منها التحالف مع المغول ضد المسلمين، ومساعدة الأرمن، والسعي إلى استرجاع لأراضي المقدسة، وقد نجحت هذه الاتصالات إلى حد ما، فجلبت إلى حوزة المسيحية عشيرة مغولية اسمها ال «قرايت» كذلك أظهر الميل إلى اعتناق الدين المسيحي بعض الأمراء كالأمرء «أوروك خاتون» و «اتين من الملوك الإبلخانيين في إيران هما «أحمد تاكدار» و «ألبايو خدابنده» فكلاهما عمد في صباه باسم «نيكولاس»

(١) «خان» هو لقب ملوك المغول.

(٢) أنظر ما كتبه «دوسون» جزء ٤ ص ٥٩٢-٥٩٤ وكذلك ما كتبه رموسا Abel Remusat بعنوان «بحث في العلاقات السياسية بين الأمراء المسيحيين، وخاصة بين ملوك فرنسا وأباطرة المغول»- «Memoire sur les relations politiques des princes Chretiens et particulièrement les Rois des France avec les Empereurs Mongols»

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٦٣

ولكنهما فيما بعد اعتنقا الدين الإسلامي وأصبحا من أكبر المتفقيين في تعاليمه «١».

ومهما قيل في غارة المغول وأنها كانت كارثة كبرى أصابت صميم الحياة وأنها جت على العلوم والمعارف وخاصة الحضارة العربية التي استطاعت أن تحتفظ بكيانها سليماً في إيران طوال القرون الستة التي تلت الفتح العربي لهذه البلاد، فإن هذه الغارة كانت مجلبة لبعض عناصر الخير برغم ما عرف عنها من شدة وغلظة، وربما كان من بعض فضائلها أنها كانت سبباً في المزج بين الشعوب المختلفة المتباعدة، مما نتج عنه فيما بعد تجديد العقليات التي طال ركودها وخمولها.

[تأثيرها في أوروبا]

وكان تأثيرها في أوروبا واضحاً، فقد كانت سبباً هاماً بل أهم الأسباب في حركة النهضة، فهي التي دفعت بالأتراك العثمانيين من مجاهل خراسان إلى أبواب القسطنطينية، فكانت بذلك السبب المباشر والأخير في تحطيم الامبراطورية البيزنطية وما نتج عن ذلك من انتشار اليونان وكنوزهم العلمية في مختلف البلاد الأوروبية. وقد استطاعت هذه الغارة أيضاً أن تحطم الحدود والحوارج بين مختلف الأقاليم والممالك، فمكنت بذلك لبعض الرحالة من أمثال «ماركوبولو

Marco Polo

« أن يجوبوا الأقطار النائية من آسيا وأن يحدوثوا بالعجائب التي لم يكن من المستطاع الوصول إليها لشدة المحافظة عليها. وكما كانت سبباً في البداية في خلق التماثل بين الفرس والعرب من ناحية، وبين الصينيين وأهل «البت» من ناحية أخرى، فإنها كانت كذلك سبباً في إيجاد التوافق والتعاون بينهم، بمساواتها بين «الفقيه المسلم» و«القس المسيحي» و«اللاما البوذي» و«البخشي المغولي» وكل رئيس لدين آخر أو مذهب مخالف؛ وكانت هذه المساواة الدينية قد انعدم وجودها منذ خمسة قرون أو ستة خلت قبل هذه الغارة .. «٢»

(١) أنظر كتاب «دوسون» جزء ٣ ص ٦٥١ و جزء ٤ ص ٧٩.

(٢) في سنة ١٢٧٢ م استعان «قبلاي خان» باثنين من المهندسين الإيرانيين في حصار «فان شيج» بالصين وكان أحدهما يدعى «علاء الدين» والآخر يدعى «إسماعيل» [انظر كتاب دوسون جزء ٢ ص ٢٨٩]؛ وعندما خرج «هولاكو خان» في حملته على بغداد في سنة ١٢٥٢ م- ٦٥٠ هـ جلب معه ألفاً من مهندسي الصين ليقيموا له المجانيق وآلات الحصار [انظر نفس المرجع جزء ٣ ص ١٣٥] وقد استعان المنجم الفارسي المشهور والفيلسوف-

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٦٤

[الإعتاق بالدين الإسلامي]

ومما لا شك فيه أن الأمور تحسنت كثيراً عند ما ترك أعقاب «هولاكو خان» في إيران معتقداتهم الوثنية واعتنقوا الدين الإسلامي، فقد كان هذا سبباً في انفصالهم نهائياً عن ذوي قراهم من أهل «قراقورم» وفي اندماجهم في النهاية بالشعوب المغلوبة على أمرها التي كانت تخضع لحكمهم.

ومن عجب أن «هولاكو خان» الذي حطم الخلافة في بغداد، والذي يعتبر أكبر خصم للإسلام، كان يشمل برعايته اثنين من كبار الكتاب في زمانه، أحدهما «نصير الدين الطوسي» والآخر «عطا ملك الجويني» مؤلف تاريخ «جيهانگشاي» «١» وقد عاش مؤرخان آخران أثناء حكم «غازان خان» ١٢٩٥-١٣٠٤ م- ٦٩٥-٧٠٤ هـ وهما «عبد الله بن فضل الله الشيرازي» المعروف باسم «وصاف الحضرة» والوزير «رشيد الدين فضل الله» وكلاهما يعتبر من أكبر الكتاب الذين دونوا التاريخ باللغة الفارسية.

والأدب الفارسي بمعناه الضيق، لا يمكن أن يقال عنه أنه قد أصيب بسبب غارة المغول بكارثة دائمة الأثر ... لأننا نجد أن ثلاثة من أكبر الشعراء الذين نشأوا في إيران قد عاصروا هذه الغارة وعاشوا خلالها، ونقص بهم «سعدى الشيرازي» و«فريد الدين العطار» و«جلال الدين الرومي» كما أن جماعة آخرين من أكبر الشعراء قد نشأوا بعدها بقليل.

ومع ذلك كله فإن تحطيم بغداد كعاصمة للمسلمين، وإزالتها إلى مرتبة المدن الإقليمية، قد أصاب رباط الوحدة بين الأمم الإسلامية بلطمة شديدة كما أصاب مكانة اللغة العربية في إيران بضربة قاصمة، فاقصرت استعمالها بعد ذلك على العلوم الفقهية والفلسفية، فإذا وصلنا إلى نهاية القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري) لم نعد نصادف إلا القليل النادر من الكتب العربية التي تم تأليفها في

إيران.

- المعروف «نصير الدين الطوسي» بجماعة من المنجمين الصينيين في عمل الزيج الذي قدمه إلى «هولاكو خان» في سنة ١٢٥٩ م - ٦٥٨ هـ.

[أنظر نفس المرجع جزء ٣ ص ٢٦٥]

(١) بمعنى «تاريخ فاتح العالم» ويقصد به جنكيز خان

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٦٥

عهد استعلاء نفوذ المغول في إيران:

فلننضم بعد ذلك إلى بيان العهود المختلفة التي استعلى فيها نفوذ المغول في إيران.

وهذه العهود يمكن ان يقال أنها تمتد منذ الغزوة الأولى التي تم بها لجنكيز خان فتح هذه البلاد في سنة ١٢١٩ م - ٦١٦ هـ و تنتهي بموت «أبي سعيد خان» في سنة ١٣٣٥ م - ٧٣٦ هـ و يتبع هذه الفترة مدة تقرب من نصف قرن من الزمان سادت فيها الفوضى و انتهت بغزوة أخرى للتمر بقيادة «تيمور لنگ» (١١) «١٣٨٠ - ١٤٠٠ م - ٧٨٢ - ٨٠٣ هـ)

و هذه الحادثة التاريخية الأخيرة تعتبر «فترة انتقال» إلى ما يمكن أن نسميه ب «تاريخ إيران الحديث» و هي تخرج عن نطاق هذا الجزء من كتابنا الذي نقصره على عهد المغول بمعناه الضيق، و لم يكن ذكرنا لها في هذا الموضوع إلا لنبه القارئ إلى أن يجعلها حدا للفترة التي سنتناولها بالبحث.

[عهد التدمير]

و أول عهد لاستعلاء نفوذ المغول هو العهد الذي أسماه «ستانلي لين بول» بعهد كبار الملوك (أو الخانات جمع خان بمعنى ملك) و هو العهد الذي حكم فيه «جنكيز خان» و «أوگداي» و «كيوك» و «منگو» و قد امتد هذا العهد من سنة ١٢٠٦ م إلى سنة ١٢٥٧ م (٦٠٣ - ٦٥٥ هـ)

و يمتاز هذا العهد بأن الولايات المختلفة التي فتحها المغول و أصبحت جزءا من امبراطوريتهم، كان يقوم على حكمها ولاية يعينهم «الخان الأكبر» الذي كان يقيم في عاصمة المغول «قراقرم».

و عند ما اجتمعت الجمعية الكبرى للمغول أي ال «فوريلشاي» في سنة ١٢٥١ م - ٦٤٩ هـ و ذلك في بداية عهد «منگو» قررت هذه الجمعية إيفاد بعثتين حربيتين إلى ناحيتين مختلفتين، يتولاهما اثنان من أخوة هذا الامبراطور و من أحفاد «جنكيز خان»؛ فأما البعثة الأولى فكانت موفدة إلى الصين، و كان يتولاهما

(١) أو تيمور الأعرج.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٦٦

«قبلاي خان»؛ و أما الثانية فكانت موفدة إلى إيران و العراق و آسيا الصغرى و كان يرأسها «هولاكو خان»

[عهد لاستعلاء]

و ثاني عهد لاستعلاء نفوذ المغول هو العهد الذي يمكن تسميته بعهد «الإيلخانيين الكفرة» أو العهد الذي أصبح فيه منصب «نائب الملك» في إيران و آسيا الصغرى منصبا متوارثا في أبناء نائب الخان الأكبر. و هذا العهد يبدأ بعبور «هولاكو خان» لنهر جيحون في يناير سنة ١٢٥٦ م - ٦٥٤ هـ و ينتهي بقتل «بايدو» في ٥ أكتوبر سنة ١٢٩٥ م - ٦٩٥ هـ. و يمتاز هذا العهد بأن الإسلام فيه أخذ يستعبد قوته و أخذ يناضل بكل ما يملك من قوة لحفظ كيانه ضد هجمات البوذية و المسيحية، و يمتاز أيضا بأن الصلات التي كانت تربط الإيلخانيين في إيران بأباطرة المغول في موطنهم الأصلية أخذت تنفصم و تتلاشى. و جدير بنا أن نلاحظ هذا التطور الديني الذي أصاب المغول المقيمين في إيران، فبينما كان مقتل «أحمد تاگدار» في أغسطس سنة ١٢٨٣ م - ٦٨٢ هـ يرجع سببه جزئيا إلى حبه للإسلام (١)، فإن مقتل «بايدو» بعد اثنتي عشرة سنة من ذلك التاريخ يرجع إلى حد كبير إلى بغضه للإسلام و حبه للمسيحية و تفضيلها عليه (٢) و لم يكده عقبه «غازان» يجلس في مكانه حتى أعلن اعتناقه للإسلام و أمر بهدم الكنائس المسيحية و المعابد البوذية في إيران. و بعد ذلك بقليل نجده في سنة ١٣٠٠ م - ٧٠٠ هـ يأمر كهنة المغول «٣» الذين يقيمون في إيران أن يعتنقوا الدين الإسلامي أو أن يتركوا إيران و إلا- أمر بقتلهم و القضاء عليهم. و من أجل ذلك نجد أن أشرف المغول و قوادهم ممن كانوا يناوون الإسلام يجتمعون عند اعتلاء «غازان» العرش في سنة ١٢٩٥ م - ٦٩٥ هـ و يدبرون مؤامرة كبيرة لخلعه تنتهي بفشلهم و مقتلهم جميعا «٤»، و بعد ذلك بعشر سنوات نجد أن بعض الأميرات و الأمراء يحاولون أن يحرضوا «الجابيتو خدابنده» على ترك الدين الإسلامي و الرجوع إلى عقيدة آبائه

(١) أنظر كتاب «دوسون» ج ٣ ص ٦٠٨.

(٢) أنظر كتاب «دوسون» ج ٤ ص ١٤١.

(٣) يعرف الكاهن المغولي باسم «بخشي».

(٤) كتاب «دوسون» ج ٤ ص ٢٨١ - ٢٨٢.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٦٧

و اجداده «١». و ربما كانت هذه الحادثة هي آخر مظهر للوثنية المغولية في إيران.

و كانت هذه الوثنية تظهر من قبل في أمور تثير النفوس كاختيار المغول للفتيات الحسنات ثم قتلهم و تقديمهم قربانا لروح الأباطرة عند وفاتهم !!!... و كقتل جميع الذين يصيبهم الحظ النكد بأن يصادفوا جنازة الامبراطور في أثناء نقلها إلى مقرها الأخير خشية أن يتسرب نأ موتها قبل إعلانها رسميا !!!... «٢»

فإذا رجعنا الآن إلى هذه العهود التي وصفناها من عهود استعلاء المغول نجد أن العهد الأول منها و هو عهد التدمير و التحطيم يمتاز بموجتين من أمواج الفتح:

الأولى بقيادة جنكيز خان ١٢١٩ - ١٢٢٧ م - ٦١٦ - ٦٢٥ هـ.

و الثانية بقيادة هولاكو خان ١٢٥٥ - ١٢٦٥ م - ٦٥٣ - ٦٦٤ هـ.

وقد اكتسحت الغزوة الأولى إقليم خراسان وامتدت غربا إلى «الري» و«قم» و«قاشان» و«همدان» وفي خلالها قام «جلال الدين خوارزمشاه» بأعماله الفائقة في مقاومة المغول فأبدى من أعاجيب البطولة ما يخلب أبصارنا عندما نقرأ قصته كاملة واضحة فيما سجله من مآثره كاتبه المعروف «شهاب الدين محمد النسوي» الذي ظل يرافقه حتى اغتاله أحد الأكراد في ١٥ أغسطس سنة ١٢٣١ م - ٦٢٩ هـ.

أما الغزوة الثانية التي قادها «هولاكو خان» فقد اكتسحت أيضا خراسان في بداية سنة ١٢٥٦ م - ٦٥٤ هـ وامتدت إلى حصون الإسماعيلية في «الموت» و«قهندان» فحطمتها، ثم مضت إلى الخلافة في بغداد فأودت بها أيضا، واستمرت تحرق غربا حتى أوقفها مماليك مصر في موقعة «عين جالوت» التي وقعت في ٣ سبتمبر سنة ١٢٦٠ م - ٦٥٩ هـ و فاز فيها المصريون فوزا كبيرا اعتبر أول فوز أصابه المسلمون

(١) نفس المرجع ج ٤ ص ١٥٧.

(٢) أمر «أوكداي» بقتل أربعين فناه عذراء قربانا لروح جنكيز خان و كذلك أمر بقتل عدد كبير من الجياد. [كتاب دوسون ج ٢ ص ١٣] و قرر الجند الذين رافقوا جنه «منكو خان» إلى مقرها الاخير في جبال آلتاي أنهم قتلوا أثناء الجنازة ما لا يقل عن ٢٠٠ و ٢٠ شخص.

[أنظر: كتاب «دوسون ج ١ ص ٣٨»]

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٦٨

ضد «المغول» في مدى السنوات الثلاثين التي تلت موت «جلال الدين خوارزمشاه» ومنذ ذلك التاريخ انحطمت موجة الفتح المغولي، وأخذ المسلمون يرون أن القول بأن أعداءهم لا يقهرون كان مجرد خرافة و خزعبله، فاستجمعوا قوتهم من جديد و تمكنوا من أن ينتصروا عليهم في كثير من المواقع الفاصلة و خصوصا موقعة «عين تاب» في ١٦ أبريل سنة ١٢٧٧ م - ٦٧٦ هـ عندما تمكن «الظاهر بيبرس» من هزيمة المغول هزيمة نكراء و استطاع أن يقتل منهم في هذه الموقعة ٦٧٠٠ جنديا.

و ربما كان فوز المصريين أكبر و أوضح في موقعة «مرج الصفر» بالقرب من دمشق في ٢٣ أبريل سنة ١٣٠٣ م - ٧٠٣ هـ فقد استطاع الملك الناصر أن يجلب عند عودته إلى القاهرة ١٦٠٠ أسير مغولي مصفدين في الأغلال، و قد حمل كل واحد منهم رأس قتل مغولي، تتدلى من سلسلة في عنقه، و سار بهم في المدينة، يتقدمهم ألف فارس من رجاله، قد شهروا حرايبهم، و على كل واحدة منها رأس قتل مغولي جلبوه معهم من الموقعة !!!

و قد وصفنا فيما مضى هول الفظائع التي كان يأتيها جند «جنكيز خان» أثناء الغزوة الأولى لإيران، و لمن شاء زيادة الإيضاح أن يرجع إلى وصف البلاء الذي أصاب المدن الآتية «أترار» و«جند» و«بناكت» و«بخارى» و«نيسابور» و«سمرقند» و«خوبشان» و«طوس» و«إسفرابين» و«دامغان» و«سمنان» و«نخشب» و«أرگنج» (أو گرگانج أو الجرجانية كما يسميها العرب) و«ترمد» و«بلخ» و«نصرت كوه» و«نساء» و«خرنندر» و«مرو» و«هراة» و«کردوان» و«باميان» و«غزنه» و«الري» و«قم» و«مراغه» و«اربل» و«قاشان» و«بيلقان» و«همدان» و عددا آخر من المدن و القرى الفارسية.

و هذا الوصف مذكور بإيضاح في «تاريخ جهانگشاي» و في «جامع التواريخ» و كذلك في الكتب التي كتبها «دوسون» و «السير هنري هورث»، و منها يبدو أن البلاء الذي عانته إيران و آسيا الصغرى على يد المغول كان مساويا للبلاء الذي أصابها به الصين و آسيا الوسطى، و أقل قليلا مما ابتلوا به أوروبا الشرقية.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٦٩

و قد اتسعت رقعة الامبراطورية المغولية و بلغت ذروة الاتساع أثناء حكم «قبلاي خان» ١٢٦٠-١٢٩٤ م - ٦٥٩-٦٩٤ هـ. و في أثناء هذه السنوات تمكن «ماركوبولو Marco Polo» من القيام برحلاته الخالدة في أرجاء هذه الامبراطورية الشاسعة، التي لم تبلغها إمبراطورية أخرى، و التي كانت تتضمن الصين و كوريا و الهند الصينية و التبت و الهند إلى حدود نهر الكنج و إيران و آسيا الصغرى و القرم و جزءا كبيرا من روسيا إلى حدود نهر الدنيبر «١».

و قد تهدمت إمبراطورية المغول في إيران بموت «أبي سعيد» في سنة ١٣٣٥ م - ٧٣٦ هـ، و تهدمت إمبراطوريتهم في الصين بعد خمسين سنة من ذلك التاريخ، و ظلت إمبراطوريتهم في روسيا حتى نهاية القرن الخامس عشر «٢»؛ و كانت آخر بقاياهم منتهية في خانبة خيوه (خوارزم) و خانبة بخارى. (و قد فقدتا استقلالهما في سنة ١٨٦٨ و سنة ١٨٧٢ م) و كذلك في خانبة القرم التي زالت قبل ذلك في سنة ١٧٨٣ م. و قد بقي واحد من أحفادهم اسمه «السلطان كريم گرای كئی گرای» انتهى به المطاف إلى اسكتلندا فتزوج بها و أقام في مدينة «إدنبره» «٣».

جلال الدين خوارزمشاه

في هذه الأيام الحالكة التي وقعت فيها غارة جنكيز خان، و في هذه الأوقات التي تلبدت فيها سماء إيران بالأدخنة المتصاعدة من المدن المحترقة، و تبلل فيها ثراها بالدماء المهرقة من قلوب أبنائها، نجد أن «جلال الدين خوارزمشاه» بما حياه الله من شخصية لامعة يسطع لحظة قصيرة كالشهاب الناقب و البرق الخاطف، ثم تخمد ناره و ينطفئ أواره دون أن ينتج أثرا أو يجدي نفعا. و وربما خلت صفحات التاريخ من ذكر أمير مثله

(١) أنظر «دوسون» ج ٢ ص ٤٧٧.

(٢) أنظر «دوسون» ج ٢ ص ١٨٣-١٨٦.

(٣) أنظر كتاب «الدول الاسلامية» تأليف «ستانلي لين پول». Mohammadan Dynasties, by S. Lane- Poole. تاريخ

الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٧٠

امتاز بجرأته و إقدامه، فقد كان يعلم من البداية أنه يحارب موقعة خاسرة لا رجاء فيها، و كان من أجل ذلك حقيقا، بأن يرتفق به القدر فلا يقضى عليه بأن يموت شريدا طريدا على بد جلف من أجلاف الأكراد في سنة ١٢٣١ م - ٦٢٩ هـ. و لقد رأينا فيما سبق كيف تبدل حال أبيه «علاء الدين محمد خوارزمشاه» عندما تحقق من قسوة المغول فانقلب بين عشية و ضحاها من ذئب كاسر إلى حمل وديع فما زال يفر و يهرب حتى قضى نجه في جزيرة من جزر بحر قزوين في سنة ١٢٢٠ م - ٦١٧ هـ؛ و رأينا كيف قبض المغول على جدته «تركان خاتون» و حملوها أسيرة ذليلة إلى «جنكيز خان» في عاصمته «قراقورم» في سنة ١٢٣٣ م - ٦٢٠ هـ و كيف وقفوا بها فترة على حدود خوارزم لتنتحب على ملكها الضائع «١»، و لتكفر عن صلفها و قسوتها عندما وجدت الأمور تفلت من يدها فأمرت بقتل البقية الباقية من أمراء السلاجقة و الغوريين، و كانوا رهائن لديها لا يملكون من أمر أنفسهم شيئا «٢»

في هذه الأحوال المضطربة نجد أن «جلال الدين» يستجمع قوته فيتزود بدعاء أبيه و يتمنطق بسيفه ثم يمضي أمام العاصفة على عجل فيحتمى بالحدود الهندية «٣» و يقوم هنالك بأعجوبة من أعاجيب بطولته التي ذاع صيتها و انتشر خبرها. و تفسير الأمر أنه عندما بلغ مع جيشه الصغير نهر السند وجد نفسه فجأة و قد أحاطت به جموع كبيرة من المغول فأنقذ العدة و العتاد، فقاومها قدر ما يستطيع من مطلع الفجر إلى منتصف النهار، و أبدى من ضروب الشجاعة و الجلد ما لا مزيد عليه، و لكنه أدرك في النهاية أنه قد خسر الموقعة فهجم على أعدائه هجوم اليائس، ثم يمم وجهه شطر النهر و ألقى بدرعه عن جسده، ثم امتطى صهوة جواده، و عبر النهر على متنه، و تبعه قوم من أتباعه ففعلوا مثل ما فعل و لكن أكثرهم غرقوا أو أهلكتهم سهام المغول الذين كانوا يجدون في أثرهم «٤».

(١) أنظر كتاب دوسون ج ١ ص ٣٢٢.

(٢) نفس المرجع ج ١ ص ٢٥٨.

(٣) نفس المرجع ج ١ ص ٢٥٥.

(٤) نفس المرجع ج ١ ص ٣٠٦ و الصفحات التالية، و قد روى صاحب تاريخ جهانگشاى أن أم جلال الدين و زوجها و بعض نساء حرمه كن معه في ذلك الوقت و أن المغول أسروهن،

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٧١

و لقد استطاع بعد ذلك أن يجمع شتات جيشه و أن يدفع عن نفسه غارة شنها عليه أمير هندي اسمه «جودي»، و شجعه هذا الانتصار فجمع الزاد و العتاد و هاجم أمير السند «قراجه» و أمير دهلي «التامش» و كانا متحالفين على قتاله، و لكنه استطاع رغم هذا التحالف أن يبقى في بلادهما حتى ينسحب المغول و يفسحوا له طريق العودة إلى إيران ليسعى مرة ثانية إلى استرجاع مملكته آياته و أجداده.

و أعقبت ذلك ثمان سنوات قام فيها «جلال الدين» بسلسلة لا نظير لها من المجازفات و المخاطرات التي سجل تفاصيلها كاتبه «السوي» في كتاب يمكن قراءته باللغة العربية، و كذلك باللغة الفرنسية في ترجمة كاملة تولى نشرها المسيو هوداس M.Houdas

١-٦

و لقد اضطر «جلال الدين» إلى أن يحارب جميع الناس تقريباً؛ فقد كان عليه أن يحارب المغول الذين كانوا يتبعونه، و كان عليه أن يحارب أيضاً أخاه الخائن «غياث الدين»، و أن يحارب أيضاً حاكم كرمان «براق الحاجب» و كانما لم يكنف القدر له بهذا العدد من الأعداء فاضطره في ظروف مختلفة إلى أن يحارب الخليفة في بغداد و كذلك التركمان و الحشاشين (الاسماعيلية) و أن ينفذ إلى ولاية جورجيا فاتحاً غازياً.

و في سنة ١٢٢٣ م - ٦٢٠ هـ نجده يقتحم كرمان و فارس و أصفهان و الري؛ و في سنة ١٢٢٥ م - ٦٢٢ هـ يتمكن من هزيمة «قشتمر» قائد الخليفة و يتبع جيشه حتى أبواب بغداد و يستولي على تبريز و يهزم جيوش جورجيا؛ و في سنة ١٢٢٦ م (٦٢٣-٦٢٤ هـ) يستخلص مدينة «تفليس» ثم يعود في عجلة إلى الجنوب الشرقي من إيران لينزل سخطه بحاكم كرمان «براق الحاجب» الذي خانته و تحالف مع المغول على الإيقاع به.

و في سنة ١٢٢٧ م - ٦٢٥ هـ تمكن من معاقبة التركمان و الحشاشين ثم اتبع

و لكن كاتبه السوي روى رواية أخرى فقال إنهن سألن «جلال الدين» أن يأمر بإغراقهن خشية أن يقعن في أيدي المغول و رأى جلال الدين استحالة العبور بهن فأمر بإغراقهن.

(١) المترجم: أحدث طبعاً لكتاب «سيرة السلطان جلال الدين» هي التي نشرتها دار الفكر العربي سنة ١٩٥٣ م.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٧٢

ذلك بنصر كبير على المغول في «دامغان» و قتل اربعمائة أسير مغولي وقعوا في يده، ثم دار إلى أصفهان فدافع المغول عنها، ثم علم أن أهل «جورجيا» قد تحالفوا مع المغول على قتاله فأسرع إليهم و قتل أربعة من قوادهم في موقعة واحدة انتهت بهزيمتهم هزيمة منكرة.

و في سنة ١٢٢٩ م - ٦٢٧ هـ أخذ يدعو أمراء المسلمين للتحالف معه على محاربة المغول و كاد يتجح في إنشاء هذا الحلف و لكن جيشاً من المغول قوامه ٣٠,٠٠٠ محارب بقيادة «نويان جرماغون» حمل عليه فجأة و اضطره إلى الهرب شمالاً حيث استطاع أن يستولي على مدينة «كنج» «١».

و انقلب حظه بعد ذلك، و خمد نشاطه، و أدمن الشراب، و هام على وجهه دون غاية، و بدت عليه الهوموم، فأصبح كبير القلب، سريع البكاء، و أخذ ينتحب أشد الانتحاب لموت «قليج» أحد غلمانه المقربين إليه، و ما زال يهرب أمام المغول حتى انتهى به مطافه إلى قرية كردية، فهجم عليه أحد رجالها و تمكن من قتله في ١٥ أغسطس سنة ١٢٣١ م - ٦٢٩ هـ.

و قد أحاط كثير من الشك بنهاية «جلال الدين» و لم يستطع المؤرخ الكبير «أبن الأثير» أن يقطع بأمر في مصيرها، و ظلت الاشاعات تملأ الوادي الأيراني مدة السنوات الاثنتي و العشرين التي تلت موته، فظنوا أنه ما زال حياً، و أنه قد خرج ثانية من مخبائه، و ادعى ذلك كثير من المدعين و انتهى الأمر بقتلهم على أيدي المغول.

و نهاية «جلال الدين» هذه و ما أحاطها من شك في مصيره، تمثل لنا حال أي بطل قومي تتعلق به الآمال في ساعات اليأس العصبية ... و شبيه بها عندنا حالة «هارولد الانجليزى»، ففي كلنا الحالتين نجد الأوهام الشعبية تنتهي بالبطل إلى حياة الزهد و التقشف ثم الموت في سن الشيخوخة ميتة الأولياء و الصالحين.

(١) هي المعروفة الآن باسم «اليزافيتبول Elizavetpol»

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٧٣

أوكداى (أوتاي):

مات «چنگيز خان» في الصين في ١٨ أغسطس سنة ١٢٢٧ م - ٦٢٥ هـ بعد ما حكم اثنتين و عشرين سنة، و كان يبلغ من العمر سنة و ستين عاماً. و قد انتقضت على موته سنتان قبل أن يتمكن أمراء المغول و رؤسائهم في مختلف البلاد التي فتحوها من الاجتماع في جمعية عمومية «قوريلتاي» لأختيار خليفته؛ و قد انتخب ابنه «أوكداى» في تاريخ تصادف وقوعه مع موت «جلال الدين» و انتهاء حكمه ال «خوارزمشاه» أو ملوك خوارزم. و قد كان حكم أوكداى قصيراً لأنه مات في ديسمبر سنة ١٢٣١ م - ٦٢٩ هـ و ربما ساعد على التعجيل بموته إدمانه للشراب القوى، و هي خصلة اعتادها المغول من بين ما اعتادوه من خصال سيئة شريرة.

و امتاز حكم «أوكداى» بجملة أشياء من بينها:

١- تأسيس عاصمة المغول في «قراقورم» في سنة ١٢٣٥ م- ٦٣٣ هـ
 ٢- إيفاد بعثة حربية إلى إيران بقيادة «نويان جرماغون».
 ٣- غزو روسيا و بولندا ما بين سنتي ١٢٣٦ و ١٢٤١ م- ٦٣٤- ٦٣٩ هـ و قد ابتلى المغول روسيا و بولندا بنفس الأحوال التي ابتلوا بها إيران فتحمل كثير من مدنها شتاغات المغول وخاصة «موسكو» و «روستوف» و «ياروسلاف» و «تير» و «شيرنيكوف» و «كييف» و «كراكاو» و «پست».
 و في بولندا وحدها جمع المغول أكياسا مملوؤها بأذان ضحاياهم و قتلهم فبلغ مجموع ما جمعه ٧٠٠٠ ر ٢٧٠ أذن، أخذوها معهم دليلا على ما كانوا يفخزون به من بأس و سطوة...!!!
 و ازعج المغول بأفعالهم و شتاغاتهم العالم المسيحي، فيث البابا «جريجوري التاسع» خطابا دوريا إلى الأمراء المسيحيين يحثهم فيه على التكاثر لإعلان حرب صليبية على هؤلاء الغزاة من التتر.
 و مع ذلك كله ... فقد كان «أوگدای» بالقياس إلى المغول الآخرين، لين العريكة
 تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٧٤
 كريم الجانب، و قد أجمع المؤرخون الإسلاميون على وصفه بذلك و خاصة مؤلف كتاب «تاريخ جهانگشای» و كذلك «طبقات ناصري» «١»، فقد أورد هذان المؤلفان أمثلة كثيرة تبرهن على شدة حبه للشفقة و الرحمة و على بغضه لإراقة الدماء بغير داع أو سبب، و على خصال يخالف فيها ما عرف عن أخيه الأكبر «چغتای» من غلظة و فظاظة «٢».

كيوك:

عندما مات «أوگدای» تولت امرأته «توراكتينا» حكومة البلاد حتى يستطيع ابنها الأكبر «كيوك» العودة إلى «منغوليا» من معاركه التي كان مشغولا بها في روسيا و بولندا عند موت أبيه. و قد امتازت الجمعية العامة التي تم فيها انتخابه بوفرة عدد من حضرها من ممثلي الدول الأجنبية و الشعوب الخاضعة لنفوذ المغول، فقد حضرها ممثل للخليفة في بغداد، و آخر يمثل شيخ الجبل أو رئيس الحشاشين في الموت، و اثنان من الكهنة بعث بهما البابا، و كان أحدهما هو «جان دي بلان كاربان» و قد أشرنا إلى مذكراته فيما سبق، و كان يحمل من البابا خطابات يرجع تاريخها إلى أغسطس سنة ١٢٤٥- ٦٤٣ هـ.
 و قد استقبل هذان الكاهنان خير استقبال و نجحا في التأثير على وزيرين من وزراء «كيوك» إسمهما «كدك» و «چنگاج» فاعتنقا الديانة المسيحية و استطاعا بما لهما من مكانة لدى مولاها التأثير عليه بحيث أخذ يعطف على المسيحية و معتقها.
 أما ممثل «الخليفة» و ممثل «شيخ الجبل» فقد استقبلا شر استقبال، و طردهما الإمبراطور المغولي من حضرته بعد ما زودهما بكثير من التهديدات التي سرعان ما حققتها الأيام.
 و الظاهر أن المسيحيين جميعا كانوا على استعداد لأن يتفاوضوا عن الشتاغات التي

(١) أنظر ص ٣٨٠- ٣٩٦ في طبيعة ناساو ليز Nassau Lees

(٢) أنظر ص ١٥٣ من «تذكرة الشعراء» تأليف دولتشاه.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٧٥

ارتكبتها المغول ضد أبناء دينهم في روسيا و بولندا و أن يمجدوا المغول كمحظمين لقوة العرب، لأننا نجد أن بعثات أخرى مسيحية تقصد المغول في هذا الوقت من بينها بعثة «دومنيكية» وصلت إلى حضرة «بايدو» في إيران في سنة ١٢٤٧ م- ٦٤٥ هـ و كذلك بعثة أخرى بعثها «سانت لويوس» في ١٠ فبراير سنة ١٢٤٩ م- ٦٤٧ هـ من «نيكوسيا» عاصمة «جزيرة قبرص» و كان يرأسها «روبريكس Rubruquis» و لكنها لم تصل إلى «قراقورم» إلا في نهاية سنة ١٢٥٣- ٦٥١ هـ و كان كيوك قد مات و تولى مكانه «منگو»

منگو:

مات «كيوك» في إبريل سنة ١٢٤٨ م- ٦٤٦ هـ خلفه على عرش المغول ابن عمه «منگو» بن «تولي» بن «چنگيز خان» و قد تم تنويجه في أول يولية سنة ١٢٥١ م- ٦٤٩ هـ و قد تآمر عليه أحفاد «أوگدای» لخروج الملك من فرعههم و لكن «منگو» أسرع بالقبض عليهم و قتلهم قبل أن تفلح مؤامرتهم.

و عند ما اجتمع ال «قوريلتاي» في سنة ١٢٥١ م- ٦٤٩ هـ لتتويج «منگو» تقرر إيفاد بعثتين حريبتين، إحداهما إلى الصين و الأخرى إلى إيران. فأما الأولى فقد أعطيت رئاستها ل «قبلاي»، و أما الثانية فكانت قيادتها في يد «هولاكو»، و كان كل من هذين القائدين أخوا للإمبراطور «منگو»

و بدخول هولاكو في إيران، تبدأ الفترة الثانية من الفترات الثلاث التي ينقسم إليها عهد استعلاء النفوذ المغولي، و هي فترة الإيلخانيين الكفرة التي امتدت من سنة ١٢٥٦ إلى سنة ١٢٩٥ م- ٦٥٤- ٦٩٥ هـ حينما أصبحت إيران و غرب آسيا قسرا على فرع خاص من الأسرة المغولية المالكة، يتبع إسمها الخان الأكبر في منغوليا، و لكنه عمليا مستقل استقلال تاما عنه، حتى قبل أن يعتنق أفراده الديانة الإسلامية و قبل أن يتم اندماجهم بأفراد رعاياهم عند ما لم تعد تربطهم رابطة من الروابط بعشائرم الوثنية في منغوليا و الصين.

و على ذلك فمن الممكن، لكي نصل إلى أغراضنا التي نتحراها، أن نتغاضى عن

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٧٦

ذكر الأعمال المجيدة التي قام بها «قبلاي خان» و أن نمر سريعا، فلا نصف العظمة التي اتصفت بها عاصمته «خان بالقي» «١» و هي العظمة التي وصفها الشاعران «كولريدج Coleridge» و «الونج فيللو Longfellow» للفناري الإنجليزي و أن نقصر جهودنا على أعمال «هولاكو» «٢» و حفته في إيران و هم الذين يعرفون باسم: «الإيلخانيين»

هولاكو:

خرج «هولاكو» من «قراقورم» يولية سنة ١٢٥٢ م- ٦٥٠ هـ مزودا بتعليمات مشددة بأن يستأصل شأفة «الحشاشين» في «الموت»، و أن يحطم الخلافة في بغداد، و كان يصطحب في حملته عددا كبيرا من المهندسين و رجال المدفعية من أهل الصين ليستعين بخبرتهم في أعمال الهجوم و المحاصرة. و كان سيره في البداية ونيدا بطيئا، و أمضى صيف سنة ١٢٥٢- ٦٥٢ هـ، في تركستان ثم وصل إلى سمرقند في سبتمبر سنة ١٢٥٥ م- ٦٥٣ هـ و بقي أربعين يوما. و في يناير سنة ١٢٥٦ م- ٦٥٤ هـ، وصل إلى «كيش» فلاقاه بها «أرغون» الذي كان يتولى حكم إيران من قبل «منگو» منذ سنة ١٢٥٣ م- ٦٥١ هـ و كان في صحبته كاتبه الأكبر (الوچ بتكجي) بهاء الدين الجويني و ابنه

عطا ملك الجويني. وقد لحق الابن ب «هولاكو» فأصبح كاتبه الخاص وصحبه في أشد معاركه وحضر معه غارته على حصن «الموت» معقل الحشاشين، فتمكن بذلك من الرجوع إلى مصادر أصيلة موثوق بها، كان عليها اعتماده في تأليف كتابه «تاريخ جهانگشاى» الذى طالما أشرنا إليه في مواضع مختلفة.

الحشاشون أو الاسماعيلية في الموت:

إشارة

تحدثنا فيما سبق عن نشأة الحشاشين أو الاسماعيلية في الموت، وقلنا أن أولهم

[الحسن بن الصباح]

كان «الحسن بن الصباح» الذى كان معاصرا لعمر الخيام، وهو الذى أنشأ «الدعوة

(١) كانت تسمى بأسماء مختلفة منها «خندو» و «كملو» و هى «يكن» الحالية.

(٢) الشاعر الانجيزى Longfellow اسمى «هولاكو» فى قصائده باسم Alau

تاريخ الادب فى ايران من الفردوسى الى السعدى/ تعريب، النص، ص: ٥٧٧

الجديده، واستطاع أن يكون مرهوب الجانب منذ استيلائه على حصن «الموت» فى ٦ رجب سنة ٤٨٣ هـ - ٤ سبتمبر سنة ١٠٩٠ م؛ ثم مات فى ٢٣ مايو سنة ١١٢٤ م «١١-٥١٨» هـ.

و كان الحسن رجلا غليظ القلب؛ خالقه ولدها فى بعض تعاليم مذهبه فأمر بقتلها، وعين أحد أتباعه خليفه له وهو المعروف باسم «كيا بزرگ أميد» وإليه ينتسب الستة الذين أعقبوه فى رئاسة هذا المذهب. فقد خلفه عند مماته ابنه «محمد» فى ٢٠ يناير سنة ١١٣٨ م - ٥٣٣ هـ؛ فلما مات فى ٢١ فبراير سنة ١١٦٢ م - ٥٥٨ هـ خلفه ابنه الحسن الذى عرف بين أتباعه باسم «الحسن على ذكره السلام». وقد أعلن الحسن فى جراءة أنه ليس من أحفاد «كيا بزرگ أميد» بل هو من سلالة الفاطميين و من أعقاب الإمام «نزار بن المستنصر» الخليفة الفاطمى الذى دعا له الإسماعيليون دعوتهم الجديده، وبهذا الادعاء الجريء أعلن الحسن نفسه إماما للمذهب وليس داعيا له.

و كان الحسن يريد أن يعلن هذا الادعاء قبل وفاة أبيه. ولكن أباه استطاع أن يكبح جماحه فأسرع بقتل جماعة من أتباعه يبلغون مائة وخمسين رجلا، و شرد مائة وخمسين آخرين ففاهم خارج حصنه فى الموت، ولكن الفرصة تهيأت للحسن عند وفاة أبيه فعقد فى ١٧ رمضان سنة ٥٥٩ هـ - ٨ أغسطس سنة ١١٦٤ م جمعية عامة للإسماعيليين أسماها «عيد القيامة» ثم خطب فيهم بوصفه «إماما» لهم، وأعلنهم أن القرآن قد أُلغيت معانيه الحرفية منذ ذلك التاريخ، وأن تعاليم الإسلام لا تشير إلى هذه المعانى الحرفية التى تدل عليها الكلمات بل إلى معان أخرى رمزية تحتاج إلى إيضاح وتفسير !!!

وقد قابل أتباعه هذا التصريح خير قبول وأسرعوا إلى العمل بمقتضاه فكان ذلك سببا فى زيادة النفور الذى أجسه أهل السنة لهم، ويقول «رشيد الدين فضل الله» أنه ابتداء من ذلك الوقت أخذ أهل السنة يطلقون عليهم اسم «الملاحدة»، ومن عجب أن الحسن كان يطلق على مقره اسم «مؤمن آباد» أو بلدة المؤمنين !!!

(١) اعتمدنا فى هذه التواريخ على ما ذكره صاحب «جامع التواريخ» وقد ذكر هذا الكتاب تفاصيل كثيرة عن الإسماعيلية تزيد على ما ورد عنهم فى تاريخ «جهانگشاى» ولكن هناك قدرا مشتركا بينهما تكاد تنفق كلماته.

تاريخ الادب فى ايران من الفردوسى الى السعدى/ تعريب، النص، ص: ٥٧٨

و إلى «الحسن» يرجع الفضل فى تنمية تعاليم الاسماعيلية وخاصة من ناحيتها الفلسفية وهو الذى أنشأ الدعوة الجديده التى أسماها ب «دعوة القيامة». وقد انتهى الأمر بقتله فى «المسرى» فى ١٠ يناير ١١٦٦ م - ٥٦٢ هـ على يد صهره «الحسين بن ناماور» أحد أحفاد الديالمة من آل بويه.

[ابنه «نور الدين محمد»]

وقد تولى مكانه ابنه «نور الدين محمد» فكان أول ما فعله أن أمر بإعدام قاتل أبيه، وكذلك باستئصال البقية الباقية من البويهيين. وقد اتبع تعاليم أبيه، وكان فيما يقولون على نصب كبير من القدرة الأدبية والمعرفة الفلسفية، كما كان على جانب كبير من القدرة على الإقناع، فاستطاع أن يضم إلى جانبه الفيلسوف الكبير «فخر الدين الرازى» بواسطة «الحجج الدامعة» التى قدمها إليه أى بواسطة الذهب والسيف، فجعله على الأقل يظهر شيئا من الاحترام للمذهب الذى كان يتولى رئاسته. وقد كانت هذه بداية طيبة لفخر الدين الرازى لأن المرتب الكبير الذى كان يتلقاه فى «الموت» لقاء أن يكف عن ذكر الاسماعيلية بسوء، مكته فى النهاية من أن يقدم نفسه إلى الأميرين الغوريين «شهاب الدين» و «غياث الدين» وكذلك إلى ملك خوارزم «محمد خوارزمشاه». ومات «محمد بن الحسن على ذكره السلام» فى أول سبتمبر سنة ١٢١٠ م - ٦٠٧ هـ فأعقبه ابنه «جلال الدين» وقد خالف سياسة أبيه وجده فأعلن إلغاء جميع المذاهب، وأعلن نفسه مسلما سنيا، وأصبح يعرف باسم «نومسلان» أو «المسلم الجديده» وقد أسرع بتقديم خضوعه للخليفة العباسى «الناصر لدين الله» وأخذ يوثق العلاقات بينه وبين أمراء المسلمين، وبعث بأهله إلى مكة لتؤدى فريضة الحج فى سنة ١٢١٠ م - ٦٠٧ هـ. ولكى يقيم الدليل على حسن نواياه بعث إلى فقهاء «قروين» وهى أقرب البلاد جوارا إلى مقره فى «الموت» يدعوهم إلى أن يرجعوا الكتب التى يفتننها وأن يعدموا منها ما يرونه خارجا عن تعاليم الإسلام أو متضمنا لشيء من الإلحاد.

وقد وثق به فى النهاية جميع الناس، وخلع عليه الخليفة الخلع الطيبة وقربه أشد التقريب، فكان ذلك مثارا لحسد ال «خوارزمشاه» مما ترتب عليه اشتداد الخلف بين خوارزم وبغداد بحيث أدى ذلك إلى كثير من النتائج السيئة والعواقب الوخيمة وقد تحالف مع الأتابك «مظفر الدين أزيك» ١٢١٣ - ١٢١٥ (٦١٠ - ٦١٢ هـ) ضد «ناصر الدين منگلى»؛ وكان الوحيد من بين «مشايخ الجبل» الذى

تاريخ الادب فى ايران من الفردوسى الى السعدى/ تعريب، النص، ص: ٥٧٩

استطاع أن يقضى ما يقرب من سنة ونصف السنة خارج معاقل الإسماعيلية فى العراق و أران و أذربيجان، وقد تحالف فى بداية الأمر مع «جلال الدين خوارزمشاه» ولكن عندما أخذت طلائع «جنگيز خان» تتقدم فى داخل إيران، وجد من الحكمة أن يتحالف مع هذا الفاتح الوثئى، فكان رسله أول من قدموا خضوعهم له بعد ما عبر بجيوشه نهر جيحون. وربما أثارت فعلته هذه حتى أتباعه وسخطهم عليه فبعد قليل من الزمن نجده يموت مسموما على يد إحدى نساائه فيما يقولون، فى الثانى أو الثالث من شهر نوفمبر سنة ١٢٢٠ م - ٦١٧ هـ وقد خلفه ابنه الوحيد «علاء الدين» ولم يكن عمره يزيد على تسع سنوات فتولى الوصاية عليه وزيره، وكانت فاتحة أعماله أن

أمر بقتل جماعة من النساء اللاتي كن في حريم «جلال الدين نو مسلمان» بحجة أنهم تأمرن على قتله، كما أمر بحرق بعضهم و هن على قيد الحياة. وقد ذكر «رشيد الدين» في كتابه، أن «علاء الدين» لم يكذب يبلغ الخامسة عشرة من حياته حتى أصيب بعارض شديد من المالمخوليا بحيث أصبح من المخطر على أي إنسان أن يقربه ليقضى إليه بأبناء لا تسره أو ليخبره بأمر لا ترضيه. وفي أيامه تمكن الحاكم الاسماعيلي ل «قهبستان» واسمه «ناصر الدين» (١) من أن يختطف المنجم المشهور.

«نصير الدين الطوسي» مؤلف الرسالة الأخلاقية المعروفة باسم «أخلاق ناصري» وأن يبعث به إلى حصن «الموت» حيث أقام كارها حتى تمكن المغول من فتحه والاستيلاء عليه. وقد كان لهذه الحادثة دلالة مزدوجة من حيث الناحية الأدبية والناحية التاريخية، فهي من الناحية الأدبية قد أتاحت لبعض الرواة أن يخلطوا بين الأسماء المتشابهة فيضمونوا طرفا من هذه القصة في الترجمة الزائفة التي وضعت عن حياة «ناصر خسرو» الذي كان يعيش قبل ذلك بما يزيد على قرن ونصف القرن من الزمان؛ أما من حيث الناحية التاريخية فأهميتها ناتجة من أننا نعلم أن «نصير الدين الطوسي» هو أول من حرص «اركن الدين خورشاه» إلى أن يسلم نفسه للمغول الغادرين (٢)، ثم هو الذي أشار على «هولاكو خان» بأن غضب السماء سوف لا ينصب عليه إذا هو

(١) أهدى «الطوسي» كتابه إلى هذا الحاكم الاسماعيلي، ولكنه في نسخة أخرى اعتذر عن هذا الهداء وعن بعض المواضيع التي أبدى فيها ميله إلى المذهب الاسماعيلي.

(٢) أنظر ص ٢٥٩ من ترجمتي الانجليزية ل «تاريخ طبرستان» تأليف ابن اسفنديار.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٨٠

أقدم على قتل «المستعصم بالله» آخر خلفاء بني العباس (١)!!.. وما أعجب تهكمات القدر التي سمحت لهذا الخائن المخادع أن يكتب رسالة في الأخلاق، لا زالت تعتبر من أجمل ما كتب في موضوعها باللغة الفارسية!!

وقد تزوج «علاء الدين» وهو صغير، ولم يكذب يبلغ الثامنة عشرة من عمره حتى أنجب أول أولاده «اركن الدين خورشاه» فجعله خليفة له على الإسماعيلية، ولكن أفعال الأيام جعلت الحسد يدب بينهما بحيث سعى الوالد إلى خلع ابنه، وعمل جاهدا على ذلك ولكن الإسماعيلية رفضوا أن يجيبوه إلى ما طلب، لأنهم يدبون بالمذهب القديم الذي ينص على أن ولاية العهد متى صدرت من إمام له الحق في منحها فلا يمكن بحال من الأحوال الرجوع أو التحول عنها. وقد ترتب على هذه الظروف أن وجد «علاء الدين» مقتولا في «شيركوه» في آخر شوال سنة ٦٥٣ هـ - أول ديسمبر سنة ١٢٥٥ م، وقد بادر ابنه «اركن الدين» إلى الأعر بإعدام قاتله «الحسن المازندراني» وإحراق جثته، ولكن الأقاويل ثارت بأنه هو الذي حرّضه على قتل أبيه!!.. وقد برهن على صحة هذه الأقاويل «رشيد الدين» فقال أن «اركن الدين» بادر إلى إعدام قاتل أبيه ولم يتبع معه الطرق القانونية العادية خشية أن يفضى أثناء التحقيق بما حرص على إخفائه!!..

وقد ذكر هذا المؤرخ أن من يقتل أباه لا يستطيع أن يفلت من عقاب الله، وساق على ذلك الأمثلة الكثيرة كحادثتي «شيرويه الساساني» و «المنتصر» الخليفة العباسي؛ فقد قتل كلاهما أباه فلم يعيشا إلا فترة قصيرة، ثم أشار إلى هذه المصادفة الغريبة التي أدت ب «اركن الدين» إلى أن يسلم نفسه لقاتله بعد سنة هجرية كاملة من مقتل أبيه حينما سلم نفسه للمغول في آخر شوال سنة ٦٥٤ هـ - الأحد ١٩ نوفمبر سنة ١٢٥٦ م.

(١) أنظر كتاب «دوسون» المجلد الثالث، الفصل ٤، ٥.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٨١

[حملة «هولاكو»]

فإذا عدنا الآن إلى حملة «هولاكو» التي تركناها في مدينة «كيش» في يناير سنة ١٢٥٦ م - ٦٥٤ هـ فإننا نجده يتحول سريعا إلى معقلين من معاقل الاسماعيلية في ولاية قهبستان فيستخلصهما في مارس سنة ١٢٥٦ م و هما «تون» و «خواف» وقد أمر بإعدام كل من يزيد عمره على عشر سنوات من سكان مدينة خواف ولم يستثن إلا عددا قليلا من الفتيات الجميلات، أبقى عليهن ليتحملن حظا هو في الحقيقة أكثر سوءا وأشد بؤسا من الموت!!..

ثم استعمل «هولاكو خان» الطرق المغولية المعروفة، فنشر الوعود الكاذبة، رجا أن يجنى من ورائها كل ما يريد، قبل أن يجرّد سيفه من غمده فلا يستطيع أحد أن يوقفه ولا يستطيع الدماء أن تروى ظمأه؛ وتنازعت المخاوف روح «اركن الدين» ولم يكن له من الجرأة ما يدفعه إلى المقاومة حتى النهاية المريرة... ولم يكن له من الحزم و بعد النظر ما يدفعه إلى الإسراع بتقديم خضوعه للمغول حتى يستطيع بذلك من أن يتعلّق بأمل واه في إطالة حياته الشائنة، بل استمر على تردده و تراخيه فترة من الزمان و أخذ يساوم المغول، ولكنه أعطاهم كل ما يريدون و لم يحصل منهم إلا على وعود كاذبة، و ما زالوا يضيّقون عليه الخناق حتى رضى بأن يسلمهم بعض حصونه و معاقله على شريطة ألا يعدموا حاميتها و سكانها، ثم أرسل أخاه «شاهنشاه» و معه ثلثمائة رجل إلى «هولاكو خان» ليستبقيهم لديه كرهائن. و لكن «هولاكو» سرعان ما التمس بعض الأعداء فأمر بقتل «شاهنشاه» في بلدة «جمال آباد» (١) بالقرب من قزوین، ثم اتبع ذلك بقتل جميع الاسماعيلية الذين سلموا معاقلمهم له، و لم يستثن من ذلك أحدا منهم بل و قتل الأطفال في مهادهم!!.. و استيأس جماعة من أشداء الاسماعيلية في مقاومة المغول و حصل لهم «اركن الدين خورشاه» على عفو كتابي (برلين) من هولاكو خان و لكنهم استمروا على مدافعة المغول و استطاعوا أن يقتلوا عددا كبيرا منهم. غير أن هذه المحاولات جميعها لم تستطع أن تؤجل النهاية التي كانت تنتظر طائفة الاسماعيلية حينما سلم «اركن الدين» نفسه إلى المغول في ١٩ نوفمبر سنة ١٢٥٦ م - ٦٥٤ هـ و حينما

(١) أشار «الجويني» إلى أن القزوينيين اعتادوا بعد هذه الحادثة أن يستعملوا عبارة «ذهب إلى جمال آباد» بمعنى ذهب إلى حتفه!!

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٨٢

ستولي المغول على قلعتي «الموت» و «ميجون دژ» فأعملوا فيهما الغارة ثم اشعلوا فيهما النار بعد ذلك.

[عطا ملك الجويني و التوايف القيمة]

وقد استطاع «عطا ملك الجويني» أن يستأذن مولاه «هولاكو خان» في أن يحتجز لنفسه جملة من التوايف القيمة التي اشتملت عليها مكتبة «الموت» الشهيرة، و أن يحتفظ كذلك ببعض الأدوات التي استعملوها في رصد النجوم، و تمكن من أن يترك لنا في مقابل ذلك وصفا رائعا للمهارة الفائقة التي بنى على أساسها حصن «الموت» بحيث أصبح من الأماكن الحصينة التي لا يمكن اختراقها. و قد نقل لنا عن كتاب تاريخي وجدته في هذا الحصن و كان من تأليف «فخر الدولة البويهی» أن هذا المؤلف يذكر أن الذي بنى هذا

الحصن هم أمراء الديلم في سنة ٢٤٦ هـ - ٨٦٠ م.

و استولى المغول بعد ذلك على بقية معاقل الاسماعيلية في إيران «١» فأخذوا «لمسر» في ٤ يناير سنة ١٢٥٧ م (- ٦٥٥ هـ) و لكنهم لم يستطيعوا أن يأخذوا «گردكوه» حتى سنة ٦٥٨ هـ - ١٢٦٠ م و كان «منهاج السراج» قابعاً فيه على تدوين كتابه «طبقات ناصري». و أخذ المغول «ركن الدين خورشاه» إلى همدان و أحسنوا معاملته و سمحوا له بأن يتزوج فتاة مغولية أعجب بها، و منحوه مائة من الجياد الفارهة كان يتسلى برؤيتها و هي تتعارك مع بعضها، و هي متعة مرذولة لم تكن لتليق بحالته و مكانته، و ربما كانت أكثر خسة من الهواية الغريبة التي اشتهر بها أبوه و هي غرامه برعى الأغنام...!!! و في ١٩ مارس سنة ١٢٥٧ م - ٦٥٥ هـ أرسله المغول «٢» إلى «قراقرم» ليقدم نفسه إلى الاميراطور المغولي «منكو خان» و في أثناء الطريق اضطروه إلى أن يأمر ضباطه في «قهرستان» بتسليم قلعتهم إلى المغول، ففعلوا ذلك بعد ما أمنهم المغول على حياتهم، و لكنهم ما لبثوا أن قتلوا من السكان الآمنين اثني عشر ألفاً بمجرد تحرك

(١) كان للاسماعيلية فرع آخر في سوريا، لم يقض عليه كما قضى على أخيه في إيران و ما زالت بقية من الفرع السوري باقية حتى الآن.

(٢) ذكر «الجويني» و «رشيد الدين» أن ذهابه إلى قراقرم كان بناء على طلبه و لكننا لا نوافقهما على ذلك.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٨٣

ركاب «ركن الدين» في طريقه إلى «قراقرم». فلما وصل ركابه إلى بخارى أساء حراسه معاملته، و لم يكده يصل إلى قراقرم حتى أمر «منكو خان» بقتله قاتلاً:

أنه كان من السفه استعمال حيول البريد في نقله إلى قراقرم...!!!

و أمر بعد ذلك بقتل جميع أتباعه حيثما كانوا. و لا شك أن العدد الذي هلك منهم كان كبيراً جداً، و لكن مما لا شك فيه أيضاً أن الإبادة لم تشملهم جميعاً، فلا زالت لهم بقايا في إيران كما أخبرني بذلك «درويش كرماني» من البائية، رأيته في القاهرة في سنة ١٩٠٣، و لهم بقايا في الهند باسم «خواجه» أو «جزال» و كذلك لهم بقايا في الزنجبار و سوزيا و في أماكن أخرى غير تلك، و لكن يجب أن اعترف بأنني محتاج إلى كثير من التعب و العناء لكي أتمكن من أن أربط بين رئيسهم الحالي «أفا خان» الذي يمتاز بالرفقة و الوداعة، و بين «مشايخ الجبل» في حصن ألموت كما أسماهم بذلك «ماركوبولو» في رحلته المشهورة.

الهجوم على بغداد

[الإنذار إلى الخليفة «المستعصم بالله»]

فاز «هولاكو خان» بعد القضاء على «الحشاشين» بإعجاب أهل السنة في العالم الإسلامي. و لكن خطوته التالية اقترنت بكثير من الرعب الذي لم يتمكن من إخفائه أشد الناس تحفظاً و أكثرهم حرصاً على كتمان الأمور؛ فبعد انقضاء سنة أشهر على خروج «ركن الدين خورشاه» إلى قراقرم ليلاقي حنقه هنالك، أرسل هولاكو خان من مقره في «همدان» إنذاراً إلى الخليفة «المستعصم بالله» بأن يسلم نفسه إليه و أن يسلمه كذلك مدينة بغداد التي ظلت عاصمةً للمسلمين طيلة القرون الخمسة الماضية. و انقضت على ذلك شهران ثم بدأ «هولاكو خان» معركته في نوفمبر سنة ١٢٥٧ م - ٦٥٥ هـ و كان يستصحب معه جملة من أمراء المسلمين من بينهم أتابك شيراز «أبو بكر بن سعد بن زنگي» الذي عرف برعايته للشاعر الكبير «سعدى» و كذلك أتابك الموصل «بدر الدين لولي» الذي يشير إليه «ابن الطقطقي» كثيراً في كتاب الفخرى؛ و كان يرافقه كذلك كاتبه «عطا ملك الجويني» مؤلف «تاريخ جهانگشاي» و كذلك المنجم المعروف «نصير الدين الطوسي».

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٨٤

و كان الخليفة العباسي قد بادر بإرسال «شرف الدين عبد الله بن الجوزي» إلى «هولاكو خان» في همدان، و زوده برسالة إليه، و لكن هذا القائد المغولي اعتبر رسالة الخليفة غير مرضية و غير قاطعة، فأخذ يوجه الجزء الأساسي من جيشه إلى بغداد ليحيط بها من ناحية الشرق، و أمر جيشاً آخر بقيادة «باجو نويان» أن يتحرك من الشمال عن طريق تكريت بالقرب من الموصل، و أن يلفت حول المدينة من ناحية الغرب. و كان قوام الجيش الأول كما يقول ابن الطقطقي «١» يزيد على ثلاثين ألف محارب، بينما يقول مؤلف كتاب «طبقات ناصري» «٢» إن قوام الجيش الثاني كان يبلغ ثمانين ألف جندي «٣»، و أن جيش الخليفة في بغداد لم يكن يزيد على عشرين ألف مقاتل.

[تلاقى جيوش المغول مع جيوش الخليفة في تكريت]

و تلاقت جيوش المغول مع جيوش الخليفة في تكريت، و استطاع جند الخليفة أن يحطموا الجسر القائم على «دجلة» و كان القائد المغولي «باجو نويان» يريد العبور بواسطته، و لكن انتصارهم هذا كان قصير الأمد و ما لبث المغول أن اندفعوا إلى «دجيل» و «الإسحاقى» و نهر الملك و نهر عيسى و أماكن أخرى كثيرة بالقرب من بغداد. و استولى الفرع على سكان هذه البلاد فأخذوا يفرون أمام المغول لاندئين بعاصمتهم الكبيرة بغداد. و استغل ملاحو القوارب حالة الفرع هذه، فأخذوا ينقلون الشخص من شاطئ إلى آخر لقاء أجر كبير أو لقاء سوار ذهبي أو بعض الأمتعة الثمينة الغالية كما حدثنا بذلك صاحب كتاب الفخرى.

[تلاقى الجيوش للمرة الثانية بالقرب من دجيل]

ثم تلاقت جيوش المغول و جيوش الخليفة للمرة الثانية بالقرب من دجيل في يوم ١١ يناير سنة ١٢٥٨ م - ٦٥٦ هـ و تمكن جيش الخليفة بقيادة «مجاهد الدين أيبك» الملقب بالدويدار الصغير، و «الملك عز الدين بن فتح الدين» من إحراز نصر صغير رغم قلة الجند الذين كانوا تحت قيادتهما، و لكن المغول انتظروا إلى الليل و استعانوا بالمهندسين الصينيين الذين كانوا في رفقتهم، ثم غمروا معسكر المسلمين بالماء

(١) أنظر ص ٣٠٠ من كتاب الفخرى طبع القاهرة سنة ١٣١٧ هـ.

(٢) أنظر ص ٤٢٦ من هذا الكتاب طبع ناساو ليز Nassau Lees.

(٣) ربما بالغ المؤلف في هذا التقدير.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٨٥

فتمكنوا بذلك من إنزال الهزيمة بجيوش الخليفة و من الإيقاع بالمشاة و الأسرى الذين وقعوا في أيديهم بعد ذلك.

و عندما تحدث صاحب كتاب الفخرى عن فتح العرب لایران في القرن السابع الميلادی ذكر أن جنود الایرانيين كانوا مزودين بخیر العدة و العتاد فأخذوا یتهكمون بالبدو من العرب الذين لم يكونوا یتدثرون إلا بالخرق البالیة المهلهلة ثم قارن هذه الحادثة بحادثة رواها له «فلک الدین محمد بن أیدمر» عند قدوم المغول إلى بغداد فقال: «كنت في عسكر الدویدار الصغیر لما خرج إلى لقاء التتر بالجانب الغربی من مدینة السلام في واقعتها العظمی سنة ست و خمسين و ستمائة، قال فالتقينا بنهر بشیر من أعمال دجیل، فكان الفارس منا یرخرج إلى المبارزة و تحته فرس عربی و علیه سلاح تام، كأنه و فرسه الجبل العظیم، ثم یرخرج إليه من المغول فارس تحته فرس كأنه حمار و فی یده رمح كأنه المغزل، و لیس علیه كسوة و لا سلاح فیضحک منه كل من رآه ثم ما تم النهار حتى كانت لهم الكرة فکسرونا كسرة عظيمة كانت مفتاح الشر، ثم كان من الأمر ما كان.»^(١)

[عدد الهلكی فی بغداد]

و قد هلك عدد كبير ممن نجوا من المعركة في الأوحال التي نتجت عن غمر الأراضی بالماء، و لم ینج منهم إلا من استطاع أن یعبّر النهر سباحة و إن یدخل البریة و یمضی علی وجهه إلى الشام، و قد نجا الدویدار مع جماعة صغيرة من أتباعه و استطاعوا أن یدخلوا بغداد. ثم أخذ هو و «عز الدین» یحرضان الخلیفة علی مغادرة بغداد و الذهاب إلى البصرة و لكن الوزير «ابن العلقمی» لم یوافقهما علی هذه الخطة؛ و تردد الخلیفة و لم یستطع أن یقطع برأی و إذا بجیوش المغول تحيط ببغداد من كل ناحية و تضرب علیها الحصار ابتداء من ٢٢ ینایر (- الخمیس ٤ محرم سنة ٦٥٦ هـ).

و بدأ المغول هجومهم العام فی الثلاثین من هذا الشهر، و بعد أربعة أيام أرسل الخلیفة رسوله «ابن الجوزی» ثانية إلى هولانگو خان ليقدم له فی هذه المرة كثيرا من الهدایا القیمة مشفوعة برضاه بالتسليم و وقف القتال؛ و لم تمض علی ذلك بضعة أيام حتى

(١) أنظر ص ٧٦ من كتاب الفخری طبع القاهرة سنة ١٣١٧ هـ.

تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الى السعدي/ تعریب، النص، ص: ٥٨٦

خدعه المغول بالوعود الكاذبة فسلم نفسه إليهم مع ولديه الأكبرين «أبي العباس أحمد» و «أبي الفضائل عبد الرحمن»، و لكن «هولانگو خان» سرعان ما أمر بإعدامهم جميعا دون شفقة أو رحمة [في صفر سنة ٦٥٦ هـ].

أما الطريقة التي اتبعها المغول في قتل الخلیفة

فیحوظها كثير من الشك و الغموض، و قد ذكر الشاعر الانجلیزی «لونجفellow» في قصیده «كالبالو Cambalu» إنهم حبسوا الخلیفة فی خزائنه و بیت ماله و تركوه هنالك یموت جوعا ...!!! و لكن هذه الروایة بعيدة عن الاحتمال، و ربما كان أقرب منها إلى التصدیق الروایة التي ذكرها المؤرخون الإسلامیون حینما قالوا أن المغول لفوا الخلیفة فی سجادة ثم انهالوا علیه ضربا بعصیهم و دبابیسهم حتى مات. و مما یؤید أنهم اتبعوا هذه الطريقة أو ما یشابهها فی قتل الخلیفة أنهم كانوا یحرمون إهراق الدم الملكي، و كانوا إذا رادوا إعدام أحد أمرانهم یتبعون طريقة وحشية اختصاصا بها فی إعدام الأمراء فلا یقتلونهم بالسلاح بل یكتفون بكسر ظهورهم ...!!!

و بدأت الفارة علی بغداد فی يوم ١٣ فبرایر سنة ١٢٥٨ م - منتصف المحرم سنة ٦٥٦ هـ

و استمرت أسبوعا كاملا، أعدم فیها المغول عددا یبلغ الثمانمائة ألف من سكانها، و استولوا خلاله علی الكوز المادیة و الأدبیة و العلمية التي اجتمعت فی بغداد خلال القرون الطويلة الماضية التي ظلت فیها بغداد عاصمة زاخرة لخلفاء العباسیین.

أما الخسارة التي أصابت الحركة العلمية الإسلامية

فلا یمكن وصفها مهما عملنا فی ذلك ضروب الفكر و الخیال؛ و لم یحصر أثر هذه الكارثة فی خسارة العدد الكبير من الكتب القیمة التي أییدت تمام الإبادة، و لكنها امتدت فأهلكت من رجال العلم عددا كبيرا و لم یتبق منهم إلا علی فئة قليلة مشردة الأذهان، بحيث نجد أن الدراسة الصحیحة و البحت العلمی اللذین امتازت بهما من قبل دراسة الآداب العربیة لم تقم لهما قائمة بعد هذه الكارثة. و لم یحدثنا التاریخ أن مدینة زاخرة كالحضارة الإسلامیة قد اختفت فی مثل هذه السرعة التي اختفت فیها هذه المدینة و أصبحت طعمه تلتهما التیران المستعرة و تفرقها الدماء المهرقة.

ثم تبع ذلك كما یقول صاحب كتاب الفخری: «أن تقحم العسكر السلطانی

تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الى السعدي/ تعریب، النص، ص: ٥٨٧

هجومها و دخولها، فجرى من القتل الذریع و النهب العظیم و التمثیل البلیغ ما یعظم سماعه جملة، فما الظن بتفاصيله ..!؟

و كان ما كان مما لست أذكره فظن ظنا و لا تسأل عن الخبر الخ»^(١)

هذا ما قاله صاحب كتاب «الفخری» بعد أربعة و أربعین سنة من هذه الكارثة (لأنه كتب كتابه فی سنة ١٣٠٢ م - ٥٧٠٢ هـ) و لم یكن طلیق العنان یكتب ما یشاء و یسجل ما یرید و لكنه كان یكتب ما یكتب و هو یعلم أنه یعیش تحت حكم مغولی أيام غازان حفید هولانگو خان.

ابن العلقمی: [و الدور الذي لعبه فی تسلیم بغداد]

أما الدور الذي لعبه وزیر الخلیفة «مؤید الدین محمد بن العلقمی» فی تسلیم بغداد فیحوظه كثير من الشك و الغموض، فصاحب «طبقات ناصری» یتهمه بالخيانة و إنه قلل من عدد الحامیة متمدا، و إنه هو الذي زین للخلیفة التسليم و وقف القتال، و أنه كان یرید من وراء ذلك إرضاء أطماعه المتزايدة و كذلك الانتقام لبعض الاضطهادات التي أنزلها ابن الخلیفة الأكبر بأهل الشیعة الذين كان یدین بمذهبهم.

أما «ابن الطلقفی» فیدفع عنه هذه التهم مستندا إلى ما ذكره له «أحمد بن الضحاك» - و هو ابن أخت الوزير ابن العلقمی - من أن نصیر الدین الطوسی هو الذي قدم الوزير إلى هولانگو خان فسمع كلامه و وقع موقع الاستحسان عنده ثم قدمه إلى شحنة بغداد «علی بهادر» فسلمه المدینة ... و یعلق «ابن الطلقفی» علی ذلك «بأن من أقوى الأدلة علی عدم مخارمته سلامته فی هذه الدولة، فإن السلطان هولانگو لما فتح بغداد و قتل الخلیفة سلم البلد إلى الوزير و أحسن إليه و حكمه، فلو كان قد خامر علی الخلیفة لما وقع الوثوق إليه ..!!»^(٢)

و لكن یجب ألا یغیب عن أذهاننا أن «ابن العلقمی» و كذلك «نصیر الدین الطوسی» كانا من أهل الشیعة، و أن الثاني منهما رغم

كتابه في الموضوعات

(١) المترجم: أنظر ص ٣٠٠ من كتاب الفخرى طبع مصر سنة ١٩٢٣ م.

(٢) نفس المرجع و الصحيفة.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٨٨

الأخلاقية والدينية قد أنكر جميل مضيئه من الاسماعيلية، كما ساعد على الإيقاع بالخليفة في سبيل أن يرضى فاتحا وثيا سفكا للدما مثل هولاءكو...!! ولما كان «ابن الطقطقي» شيعيا مثل هذين تماما، فإني شخصيا أرى أن ما ذكره في كتاب الفخرى عن هذه الواقعة، يجب تأويله تأويلا مضادا للرأى الذى رآه.

ولكى نوفق بين آرائنا وبين ما نعرفه عن المغول وخاصة هولاءكو خان، يجب أن نفترض أن «ابن العلقمي» قد خدعته الوعود الطيبة التى بذلها له المغول، ثم أعماه التعصب المذهبي، فزين له تفضيل الوثني الكافر على من يخالف مذهبه من أهل دينه. وربما انضم إلى ذلك أنه كان على وفاق مع «نصير الدين الطوسي» الذى أصبح وزيرا لهولاءكو خان والذى كان مثله أيضا من أهل الشيعة، فقبل من أجل هذه الفروض جميعها أن يخون الخليفة وأن يخون بغداد وأن يسلمهما معا إلى المغول ليفعلوا بهما ما يشاءون. وقد قرره المغول كعادتهم، حتى إذا اعتصروا عصارته و نالوا منه ما يريدون تخلصوا منه فى قليل من الزمن. وربما يؤيد هذا الرأى إتنا نجد أن حياته لا تمتد إلا إلى ثلاثة أشهر بعد موت الخليفة أى إلى مايو سنة ١٢٥٨ م - جمادى الأولى سنة ٦٥٦ هـ

و مع كل هذا ... يجب أن نقرر أن الأمر مستغلق، وأنه سيطر مستغلقا غامضا ما شاء الله له أن يكون، فإذا لم تشأ أن تدعو للوزير بالرحمة كما فعل ابن الطقطقي، فلا أقل من أن تمتنع عن لعنته كما فعل صاحب «طبقات ناصري». ومن الملاحظ أن هذا الأخير يتغالى في سنتيه أكثر مما يتغالى «ابن الطقطقي» في تشييعه.

المستعصم:

و يبدو لنا من الفصل الأخير من كتاب «الفخرى» وهو الفصل الذى خصصه للخليفة المستعصم، أن الخليفة كان لين الجانب سهل العريكة مستضعف الرأى، وأنه لم يكن الشخص المناسب لمداغة هذا الخطر الداهم الذى شقبت به أيامه والذى انتهى بالقضاء عليه شخصيا فى قليل من الزمن.

و كان «المستعصم» خيرا، متدينا، غفيف اللسان، عالما، مليح الخط، يكثر القراءة فى الكتب، خفيف الوطأة على أتباعه؛ ولكنه كان برغم هذه الخصال الطيبة رعيديا مترددا، ضعيف البطش، قليل الخبرة بأمر المملكة. وقد رفض أن يتبع سنة آباءه الذين كانوا يحسبون أولادهم وأقاربهم مخافة أن يتآمروا على خلعهم ويستأثروا بالسلطة

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٨٩

لأنفسهم. وقد حكوا عنه أن خويدهما صغيرا كان يقوم على خدمته، نام قريبا من الأريكة التى كان يجلس عليها الخليفة فى خزانه كئبه، وكان الخليفة فى ذلك الوقت جالسا يقرأ، فاستغرق الغلام فى النوم و تقلب حتى تلف فى الملحفة المسبوطة على الأريكة ثم تقلب حتى صارت رجلاه على المسند، فأشار الخليفة إلى خازن الكتب أن يترق بالغلام و ألا يوقظه حتى يخرج من الحجره خشية أن تنفطر مرارته من الخوف إذا علم بما فعل !!!...

و كان الوزير «ابن العلقمي» يشبه مولاه من حيث شغفه بالكتب و تقريبه لرجال العلم و الأدب، و قد احتوت مكتبته على عشرة آلاف مجلد من نفائس الكتب، و قد صنف له الناس كثيرا من الكتب، و أهده كثير من الشعراء دواوينهم. و كان كما يقول ابن الطقطقي - و هو الذى اعتمدنا عليه فى استقاء هذه الأخبار - عفيفا عن أموال الديوان و أموال الرعية، متزها مترفعا.

و قد كنت أحب أن أفعل كما فعل صاحب كتاب «طبقات ناصري» فأختم هذا الجزء من كتابي بهذا الملخص التاريخي الذى أوردته فيما سبق، و طالما تمنيت ألا تكون نهايته مفعجة مثل هذه النهاية الحزينة التى وصلنا إليها عندما نزلت هذه الطامة الكبرى بالإسلام و بالحضارة «العربية الفارسية» التى ازدهرت أيام الخلافة العباسية، و لكن بقى أمامى أن أتم هذا الجزء بالحديث (فى فصلين تالين) عن الحركة الأدبية التى نشأت فى هذه الفترة التى أجملنا الحديث عنها سياسيا، و هى فترة تستغرق الخمسين أو الستين سنة الأولى من القرن الثالث عشر الميلادى. (السابع الهجرى)

و لا شك أننا بهذا نوفى موضوعنا الأصل الذى اخترنا الكتابة فيه و هو «تاريخ الأدب فى إيران» و إنى أرجو أن أكمله فى مجلد آخر أو أكثر، حتى أصل به إلى الحديث عن الأدب فى إيران فى أوقانتنا الحاضرة.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٩٠

جدول بأسماء كتاب العصر الموقلى الأول [وفقا لورود ذكرهم فى الفصل التالى]

١- أصحاب التواريخ العامة ابن الأثير

ابن العبرى

منهاج السراج

جرجيس المسكين

٢- أصحاب التواريخ الخاصة الجرياذقاني

الفتح البندارى

عطا ملك الجوينى

أحمد النسوى

٣- كتاب التراجم ابن خلكان

القفطى

ابن ابى أصيبعة

محمد عوفى

٤- أصحاب التواريخ المحلية ابن اسفنديار

ابو عبد الله الديبى

جماعة آخرون

٥- الجغرافيون و الرحالون ياقوت الرومى

زكريا القزويني

ابن جبير

٦- الفلاسفة فخر الدين الرازي

نصير الدين الطوسي

٧- أصحاب التواليف العربية ابن ميمون

البونى

ابن البيطار

التيفاشى

عز الدين الزنجاني

جمال القرشى

ابن الحاجب

المطرزى

ضياء الدين ابن الأثير

مجد الدين ابن الأثير

البيضاوى

ياقوت المستعصى

٨- مؤلفون آخرون أبو نصر الفراهي

شمس قيس الرازي

٩- كتاب الصوفية روزبهان

نجم الدين كبرى

مجد الدين البغدادي

سعد الدين الحموى

شهاب الدين السهروردى

محيى الدين بن العربى

عمر بن الفارض

تاريخ الادب في ايران من الفردوسى الى السعدى/ تعريب، النص، ص: ٥٩١

الفصل الثامن كتاب العصر المغولى الأول ٦٠٠-٦٦٠هـ- ١٢٠٣-١٢٦٢ م

مقدمة:

سأحدث في هذا الفصل عن أهم الكتاب الذين ظهروا في العصر الذى تحدثت عنه في الفصل السابق، وسأترك الحديث عن «شعراء الفرس» إلى فصل لاحق لأن ثلاثة منهم على الأقل تكفى أخبارهم لملء هذا الفصل الذى سيكون خاتمة فصول هذا الكتاب. وهؤلاء الكتاب ينقسمون إلى ثلاثة أقسام متباينة:

١- كتاب ولدوا في «إيران» وكتبوا كل كتاباتهم أو أغلبها باللغة الفارسية.

٢- كتاب ولدوا في «إيران» وكتبوا كل كتاباتهم أو أغلبها باللغة العربية.

٣- كتاب ليسوا من أصل إيراني وكتبوا بالعربية، ولكن لا يمكن التفاضل عن ذكرهم لما لهم من صلة خاصة بإيران، وبالموضوعات الفارسية، أو لما لهم من أثر هام في العالم الإسلامى عامة. ومن أجل ذلك كان لزاما علينا أن نتحدث عنهم بعض الشيء في هذا الكتاب الذى خصصناه أصلا لدراسة النشاط الأدبى في إيران دون غيرها من الأقطار.

ولكن بعض الدوافع العملية تجعل من المناسب إهمال هذا التقسيم، وتفرض علينا أن نتناولهم جميعا بالبحث طبقه طبقه، وفقا للموضوعات التى تناولوها بالكتابة، دون تفرقة بين من كتب منهم بلغة من اللغات أو بأخرى، ذلك لأن اللغة العربية كانت إلى ذلك الوقت منتشرة في إيران، يصاغ فيها كثير من الأدب والعلم والثقافة؛ وقد ظلت محافظة على مالها من مكانة عالية في هذه الديار حتى انتهى الأمر بسقوط الخلافة وتخريب بغداد عاصمة الإسلام وحاضرة المسلمين.

فلنبدأ إذن بذكر المؤرخين وأصحاب التراجم والجغرافيين وقد سبق لنا الإشارة إلى أهمهم في الفصول السابقة.

تاريخ الادب في ايران من الفردوسى الى السعدى/ تعريب، النص، ص: ٥٩٢

١- أصحاب التواريخ العامة

ابن الأثير:

و أول هؤلاء وأجدرهم بالذكر بين جميع المؤرخين في كل زمان ومكان، هو «عز الدين ابن الأثير الجزرى» المنسوب إلى موطنه جزيرة «ابن عمر» بالقرب من الموصل، ومؤلف التاريخ الكبير المعروف باسم «الكامل». وهذا الكتاب يشتمل على تاريخ العالم كما عرفه المسلمون في هذا العصر منذ بداية الزمان حتى سنة ٦٢٨ هـ - ١٢٣٠ م. وقد زاره «ابن خلكان» في مدينة حلب في سنة ٦٢٧ هـ - نوفمبر سنة ١٢٢٩ م وتحدث عنه حديثا طيبا، أكد فيه أنه كامل حقا في الفضل والتواضع وكرم الأخلاق. ولا حاجة بي في هذا المقام إلى ذكر المقالة التى كتبها عنه «ابن خلكان» لأن القارئ الأوروبى يستطيع قراءتها في الترجمة التى نشرها «دى سلان» de Slane - لكتاب وفيات الأعيان «١» و سأكتفى هنا بأن أذكر أن «ابن الأثير» ولد في سنة ٥٥٦ هـ - مايو سنة ١١٦٠ م وتوفى في سنة ٦٣١ هـ - مايو سنة ١٢٣٣ م.

وقد طبع «تورنبرج» Tornberg كتابه «الكامل» في مدينة ليدن في سنة ١٨٥١ م إلى سنة ١٨٧٦ م ونشره في ١٤ مجلدا، كما طبع هذا الكتاب أيضا في «بولاق» في سنة ١٢٩٠ هـ إلى سنة ١٣٠٣ هـ - ١٨٧٣ - ١٨٨٦ م ونشر في ١٢ مجلدا؛ ولكن من سوء الحظ أن الطبعة المصرية وهى الطبعة الوحيدة التى يمكن الحصول عليها الآن، لا تشتمل على فهرست مبوب بأسماء الأعلام، ومن أجل ذلك فقد نقصت فائدتها نقضا كبيرا، ولا شك أن هذا عيب خطير قد أصاب مرجعا كبيرا لا يستطيع أن يستغنى عنه طالب من طلبة التاريخ الإسلامى «٢».

وقد كتب «ابن الأثير» بالإضافة إلى كتابه التاريخي الكبير كتابا في أخبار

(١) انظر الجزء الثاني من الترجمة ص ٢٨٨ - ٩

(٢) المترجم: طبع هذا الكتاب بعد ذلك أكثر من مرة في القاهرة، ففي سنة ١٣٠٢ هـ طبعته المطبعة الأزهرية وفي سنة ١٣٠٣ هـ نشره محمد افندي مصطفى وفي سنة ١٣٥٣ هـ نشرته إدارة الطباعة المنيرية.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٩٣

أهم صحابة النبي وأسماء «أسد الغابة في معرفة الصحابة» وقد طبع في القاهرة في ٥ أجزاء في سنة ١٢٨٠ هـ - ١٨٦٣ م، وكذلك لخص كتاب الأنساب للسمعاني وهو غير مطبوع «١»؛ كما كتب «تاريخ المملكة الأتابكية بالموصل»، وهو مطبوع بتمامه في الجزء الثاني من «مجموعة المؤرخين العرب الذين أروخوا الحروب الصليبية» «٢».

ابن العبري:

و آخر من كبار المؤرخين الذين عاشوا في هذه الفترة، و كتبوا بالعربية كما فعل «ابن الأثير» هو النصراني يعقوب «يوحنا أبو الفرج» المعروف بابن العبري، أي ابن اليهودي، لأن أباه «هرون» ترك ديانته الأصلية و كانت اليهودية و اعتنق المسيحية؛ و يعرف «ابن العبري» أيضا باسم «جرجوريوس» أو «غريغوريوس» و هو الاسم الذي أطلقه على نفسه في سنة ٦٤٤ هـ - ١٢٤٦ م عندما تولى أسقفية «جوباس» من أعمال «ملطية».

وقد ولد «ابن العبري» في مدينة «ملطية» في سنة ٦٢٤ هـ - ١٢٢٦ م، فلما حدث الفرغ من غارة المغول فر به أبوه و كان طبيبا إلى مدينة «أنطاكية» في سنة ٦٤١ هـ - ١٢٤٣ م ثم خرج بعد ذلك فزار مدينة «طرابلس». و في سنة ٦٥١ هـ - ١٢٥٣ م تولى أسقفية حلب، حتى إذا كانت سنة ٦٦٣ هـ - ١٢٦٤ م أقامه اليعاقبة «مفريانا» عليهم «٣» فكان يقيم أحيانا في «الموصل» و أحيانا أخرى

(١) المترجم: يعرف هذا الكتاب باسم «اللباب في معرفة الأنساب».

(٢) انظر: Recueil des historiens Arabes des croisades. و قد ترجمه إلى الفرنسية البارون دي سلان de Slane

(٣) المترجم: فيما يلي معنى كلمة «مفريانا» نقلا عن المقدمة الموضوعية على كتاب «تاريخ مختصر الدول» طبع الألب أنطون صالحاني اليسوعي «بيروت سنة ١٨٩٠ م، قال:

«مفريانا من السرياني ومعناها عندهم الثمير. و كان منصب المفريانا عند اليعاقبة من أكبر» المناصب بعد البطريركية و تحت رئاسته عدد من الأساقفة له عليهم ملء السلطان مثل «ما للبطريرك على أساقفته، و هو عندنا بمقام كبير رؤساء الأساقفة».

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٩٤

في إقليم «أذربيجان» أي في تبريز و المراغة في الشمال الغربي من إيران. و قد مات في مدينة «المراغة» في الثلاثين من يولييه سنة ١٢٨٦ م - ٦٨٥ هـ.

وقد كتب «ابن العبري» تاريخه المعروف باسم «مختصر تاريخ الدول» في الأصل باللغة «السريانية» ولكن جماعة من كبار المسلمين طلبوا إليه أن ينقله إلى العربية ففعل ذلك في السنوات الأخيرة من عمره. و قد طبع هذا التاريخ لأول مرة سنة ١٠٧٤ هـ - ١٦٦٣ م في مدينة أكسفورد بالعربية و اللاتينية بمراجعة العلامة «يوكوك» ثم نشرت له ترجمة إلى الألمانية في سنة ١١٩٨ هـ - ١٧٨٣ م ثم طبعه طبعة أتيقة «الأب أنطون صالحاني اليسوعي» في مدينة بيروت سنة ١٨٩٠ م.

و تشتمل هذه الطبعة الأخيرة على ٦٣٠ صحيفة تتضمن أصل الكتاب و كذلك ترجمة لحياة مؤلفه، و فهرسة للأعلام و الأماكن، و جدولاً لمقابلة السنين الهجرية بالسنين المسيحية.

وقد تحدث «ابن العبري» في كتابه عن عشر دول، هي الآتية:

الدولة الأولى: دولة الأولياء من آدم أول «البرنساء» أي الناس.

الدولة الثانية: دولة قضاة بني إسرائيل.

الدولة الثالثة: دولة ملوك بني إسرائيل.

الدولة الرابعة: دولة ملوك الكلدانيين.

الدولة الخامسة: دولة ملوك المجوس. أي ملوك إيران منذ الملك الأسطوري «غيومرث» إلى «دارا» و مقتله على أيدي الاسكندر الأكبر

الدولة السادسة: دولة ملوك اليونانيين الوثنيين.

الدولة السابعة: دولة ملوك الفرنج، و يقصد بهم ملوك الرومانيين.

الدولة الثامنة: دولة ملوك اليونانيين المنتصرين، أي البيزنطيين.

الدولة التاسعة: دولة ملوك العرب المسلمين.

الدولة العاشرة: دولة ملوك المغول: و قد أوصل ابن العبري تاريخهم إلى سنة ٦٨٣ هـ - ١٢٨٤ م و هي السنة التي تولى فيها «أرغون» الحكم.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٩٥

وقد كتب الأستاذ «تولدكه» مقالا ممتعا عن «ابن العبري» و العصر الذي عاش فيه نشره في كتابه «صور من التاريخ الشرقي» و لهذا الكتاب ترجمة إلى الإنجليزية تحيل إليها القارئ الذي يريد أن يتزود بمعلومات أوفى عن هذا الكاتب و كتابه «١»

منهاج السراج:

و من بين كتاب التاريخ العام الذين كتبوا بالفارسية في هذه الفترة، بل أنهمم ذكرا «منهاج السراج» المنتسب إلى «جوزجان» بالقرب من «بلخ» و هو مؤلف كتاب «طبقات ناصري» الذي أكثرت من الإشارة إليه في الفصل السابق من هذا الكتاب.

ولد «منهاج السراج» حوالي سنة ٥٩٠ هـ - ١١٩٣ م و التحق كأبيه و جده بخدمه ملوك الغور، فلما كانت سنة ٦٢٤ هـ - ١٢٢٦ م أقبل إلى الهند و التحق بخدمه السلطان «ناصر الدين قباچه» و ظل بها سنة حتى إذا تغلب «شمس الدين أتمش» على هذا السلطان التحق بخدمته، و أهدى كتابه إلى ابنه المسمى «ناصر الدين محمود شاه» و قد فرغ من تأليف كتابه في سنة ٦٥٩ هـ - سبتمبر ١٢٦٠ م.

وقد أعطى «ريو» في «فهرست المخطوطات الفارسية» كثيرا من الأخبار المتعلقة بحياته «٢». كما أن السير «. م. اليوت» تحدث عنه في كتابه «تاريخ الهند» «٣».

(١) أنظر ترجمة هذا الكتاب إلى الإنجليزية بعنوان: ٢٥٦-٢٣٦ Skelches from Eastern History, pp

و مترجم هذا الكتاب إلى الإنجليزية هو المستر جون بلاك John S. Black.

(٢) أنظر ص ٧٢ من فهرست المخطوطات الفارسية.

(٣) أنظر ص ٢٦٠ من كتاب H. M. Elliot: History of India.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٩٦

و كتاب «طبقات ناصري» موزع على عشرين فصلاً تبدأ بالأولياء و الأنبياء و تنتهي بغارة المغول. و قد تحدث المؤلف عن هذه الغارة حديثاً مستقيماً أمكنة فيه أن يزودونا بأخبار فريدة لا توجد في غيره من المراجع.

و قد طبع الكابتن «نساو ليز Nassau Less» جزءاً من هذا الكتاب، ترجمه الماجور «رافرتي Raverty» في سلسلة مكتبة الهند «١» و من أسف أن هذا الجزء المطبوع لا يتناول إلا ذكر الدول المتصلة بالهند و يهمل كل ماله صلة بالطاهرين و الصغارين و السامانيين و الديلميين و السلاجقة و الخوارزمشاه و غير ذلك من الدول التي لها أهمية خاصة لدى كل مشغوف بدراسة التاريخ الفارسي.

و ترد في نهاية الكتاب قصيدة غربية جداً منظومة باللغة العربية و منسوبة إلى شخص إسمه «يحيى أعقب» من أتباع «علي بن أبي طالب» صهر النبي و ابن عمه، و فيها نبوءة عجيبة عن المصائب التي أحدثتها غارة المغول. و قد قرنت هذه القصيدة العربية بترجمة متوفرة إلى الفارسية منشورة في ص ٤٣٩-٤٤٣ من الجزء المطبوع من هذا الكتاب.

جرجيس المكين:

و آخر من كتب التاريخ العام المؤلفة في هذا العصر، و يجدر بنا ذكره في هذا المقام، لأنه من أوائل الكتب العربية التاريخية التي طبعت في أوروبا، هو «كتاب المجموع المبارك» تأليف «جرجيس» أو «عبد الله بن أبي الياسر بن أبي المكارم المكين بن العميد». و قد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية المستشرق الهولندي «اربنوس Erpenius» و نشر الترجمة مقرونة بالنص العربي في مدينة «اليدن» سنة ١٠٣٥ هـ - ١٦٢٥ م. ثم ترجمه إلى الإنجليزية في السنة التالية المستشرق

(١) أنظر: Bibliotheca Indica:

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٩٧

«برجاس ١» Purchas - حتى إذا كانت سنة ١٠٦٨ هـ - ١٦٥٧ م ترجمه «فاتير Vattier» إلى الفرنسية، و بذلك أصبح هذا الكتاب و معه كتاب تاريخ أبي الفدا أمير حماة «٢» هما عماد المصادر العربية التي ظلت فترة طويلة في متناول الباحث الأوربيين المشتغلين بالتاريخ الإسلامي. و لو لم تكن له هذه الميزة لما ذكرناه في هذا المكان لأن مؤلفه مسيحي مصري لا علاقة له بإيران على الإطلاق. و قد ولد في سنة ٦٠٢ هـ - ١٢٠٥ م و توفي في سنة ٦٧٢ هـ - ١٢٧٣ م.

٢- أصحاب التواريخ الخاصة

إشارة

و نحن نمضي الآن إلى دراسة طبقة أخرى من المؤرخين و كتاب التراجم، و هم الذين عنوا بدراسة أسرة من الأسر الجاكمة، أو ملك من الملوك، أو فترة من الفترات أو ولاية من الولايات، أو بلدة من البلدان، أو جماعة خاصة من جماعات الناس، و يدخل ضمن هؤلاء أصحاب كتب التراجم الميوبة تبويب المعاجم.

الجرىاذقاني:

عندما كنا نتحدث في فصل سابق عن «آل سبكتكين» أو الدولة الغزنوية، أشرنا مراراً إلى تاريخ «العيني» المسمى «تاريخ الميني» نسبة إلى السلطان الغزنوي محمود يمين الدولة. و قد كتب العيني هذا الكتاب باللغة العربية حتى إذا كانت هذه الفترة التي ندرسها، قام على ترجمته إلى اللغة الفارسية «أبو الشرف ناصح الجرىاذقاني» أو «الكلبايگاني» نسبة إلى الكلمة الفارسية «كلبايگان» و هو إسم مكان بين أصفهان و همدان «٣» و قد تحدث «ريو» في «فهرست المخطوطات الفارسية»

(١) عنوان هذا الكتاب باللاتينية كما نشره «أرنينوس» هو: Historia Saracenicā arabice olim exarata a Georgio

.El Macino ct latine reddita opera Th. Erpedii

(٢) ولد «أبو الفدا» سنة ٦٧٢ هـ - ١٢٧٣ م و مات سنة ٧٢١ هـ - ١٣٣١ م

(٣) المترجم: جاء في معجم البلدان أن «جرىاذقان» يتلفظ بها بفتح الجيم المقابلة لحرف الكاف الفارسية. و يقول ياقوت أنه يشار بها إلى بلدين إحداهما بلدة قريبة من همدان و الأخرى بلدة بين استراباذ و جرجان من نواحي طبرستان.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٩٨

حديثاً طويلاً عن هذه الترجمة و ذكر في ص ١٥٧-١٥٨ أنها تمت بين سنتي ٦٠٢ هـ - ٦٠٧ هـ - ١٢٠٥ - ١٢١٠ م كما يذكر أن «المتحف البريطاني» يشتمل على مخطوطة قديمة جميلة منها، يرجع تاريخ نسخها إلى سنة ٦٥٥ هـ - ١٢٦٦ م. و قد نشرت هذه الترجمة في طبعة على الحجر في مدينة طهران سنة ١٢٧٢ هـ - ١٨٥٥ م.

و قد نقلت هذه الترجمة الفارسية إلى اللغتين التركية و الإنجليزية، فقام «درويش حسن» بترجمتها إلى التركية، و قام الأب «جيمس رينولدز James Reynolds» بترجمتها إلى الإنجليزية. كما عنى الأستاذ «نولدكه» بمقارنة الترجمة الفارسية بأصلها العربي و نشر خلاصة آرائه المتعلقة بهذا الموضوع في العدد الثالث و العشرين من «محاضر جلسات الأكاديمية القيصرية» «١».

و هو يقرر في هذا البحث أن الترجمة الفارسية لم تنقيد بالأصل إلا فيما يتعلق بالمراسلات و المستندات و القصاصات التي وردت في الأصل العربي، و أما فيما عدا ذلك فكانت ترجمة مطلقة من كل قيد، لم يراع فيها المترجم الدقة في نقل العبارات بقدر ما راعى تزويقها بالصناعات البلاغية لتكون محاكية للأصل العربي. و من أجل ذلك فقد أباح المترجم لنفسه أن يغير بعض العبارات أو أن يحذف منها في بعض المواضع أو يضيف إليها في مواضع أخرى.

الفتح البنداري:

أما «آل سلجوق» وهم حكام الدولة التي خلفت الدولة الغزنوية فهناك رسالة هامة عنهم، يرجع تاريخ كتابتها إلى هذا العصر الذي ندرسه. وقد كتبها صاحبها باللغة العربية، ونشر الفصلين الثالث والأخير منها المستشرق «هو تسما» Houtsma. -
و تاريخ السلجوقه الذي أشرنا إليه مرارا عديدة في الفصول التي درسنا فيها فترة السلجوقيين، عبارة عن مؤلف ألفه أصلا باللغة الفارسية الوزير

(١)

١٠٢-١٥ Sitzungsberichte der Kaiserlichen Akademie, Vienna ١٨٥٧, Vol XXIII pp تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٥٩٩
«أبو شروان بن خالد المتوفى في سنة ٥٣٢ هـ - ١١٣٧ م وفقا لما جاء في كتاب «عيون الأخبار» وقد ترجمه بعد ذلك إلى العربية، بإضافة كثير من الزيادات «عماد الدين الكاتب الاصفهاني» وكان ذلك في سنة ٥٧٩ هـ - ١١٨٣ م ثم اختصر هذه الترجمة ونشرها بعد ذلك «الفتح بن علي بن محمد البنداري» في سنة ٦٢٣ هـ - ١٢٢٦ م.
وقد بحث «هو تسما» العلاقة بين هذه الكتب في مقدمته الواضحة التي قدم بها طبعته لنسخة «البنداري» و قرر أن هذه النسخة توجد في صورتين مختلفتين، الأولى منهما مطولة وتشتمل عليها مخطوطة أكسفورد، والأخرى قصيرة وتشتمل عليها مجموعة باريس. بالإضافة إلى ذلك يجب أن نذكر أننا مدينون للبنداري أيضا بتلخيص نثرى كتب بالعربية لكتاب «الشاهنامه» من تأليف الفردوسي، وتشتمل «مكتبة جامعة كامبردج» على نسخة خطية جميلة لهذا المختصر «١». وقد كتب الأستاذ «نولدكه» في ص ٧٧ من كتابه «الحماسة الإيرانية» «٢» بينه الأذهان إلى احتمال أن يكون هذا المختصر هاما من ناحية المساعدة في نشر نصوص ال «شاهنامه» بصورة أصح وأصوب.

عطا ملك الجويني:

من بين كتب التاريخ الخاصة التي ألقت عن دولة بعينها في هذه الفترة، يجب أن نفرّد مكانا ممتازا لكتاب أشرنا إليه كثيرا في الفصل السابق، وأعني به الكتاب المكتوب بالفارسية بعنوان «تاريخ جهان گشا» أو «تاريخ فاتح العالم» «٣»، من تأليف «عطا ملك الجويني».

(١) المترجم: هذا المختصر هو الذي نشره الدكتور عبد الوهاب عزام بعنوان «الشاهنامه» في سنة ١٣٥٠ هـ - ١٩٣٢ م. وكان موضوعا لرسالة الدكتوراه التي قدمها للجامعة المصرية
(٢) أنظر كتاب: Noldeke; Iranisches Nationalepos.

(٣) المقصود بعبارة «فاتح العالم» هو «چنگيز خان».

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٠٠
وقد بينت فيما مضى أهمية هذا الكتاب بما فيه الكفاية، كما شرحت أيضا حال مؤلفه شرحا كافيا، ولكني يجب أن أصرح القارىء بأن عدم طبع هذا الكتاب ونشره حتى الآن، برغم كثرة نسخه الخطية الجميلة وخاصة الموجودة في المكتبة الأهلية في باريس، يعتبر فضيحة أدبية كبرى، جعلت معالجتها من أهم آمالي وأطماعي «١».
و الكتاب يشتمل على ثلاثة أجزاء أو مجلدات: الأول منها يتحدث عن أصل المغول وفتوحات چنگيز خان؛ والثاني عن ملوك خوارزم المعروفين باسم «خوارزمشاه» والثالث عن الحشاشين أو إسماعيلية حصن «الموت» و«فهرستان» ومجربة «هولاكو خان» لهم «٢». وقد استفاد «دوسون» فائدة كبرى من هذا الكتاب عند تأليف كتابه «تاريخ المغول» «٣» ولكنه كان - في رأبي - شديد القسوة على مؤلفه، ولم يراع أن سوء الحظ هو الذي اضطره إلى خدمة المغول الأجلاف، وأنه اضطر بالتجربة إلى التحدث عنهم في أدب و مجاملة.

أحمد النسوي:

الكاتب الذي يستحق بعد ذلك أن نخصه بالذكر هو «شهاب الدين محمد بن أحمد النسوي» كاتب السلطان الشجاع «جلال الدين خوارزمشاه» ومؤرخ سيرته.
وقد أشرنا في الفصل السابق كثيرا إلى مذكراته التي كتبها عن هذا السلطان

(١) المترجم: هكذا كتب الأستاذ «براون» عندما أخذ يكتب هذا الكتاب وقد نشر بعد ذلك كتاب تاريخ «جهانگشا» في ثلاثة أجزاء ضمن سلسلة جب التذكارية و عنى بتصحيحه علامة «براون» المرحوم «محمد بن عبد الوهاب القزويني» وقد استطاع الأستاذ براون أن يكتب مقدمة بالانجليزية ألحقها بآخر المجلد الأول، أرخها ٤ أغسطس سنة ١٩١٢ كما أن الجزء الثالث منه طبعه على حدة أستاذي الجليل المرحوم السير دنيسون روس Sir Denison Ross في صورة فوتوغرافية عن أصله المخطوط.

(٢) أنظر مقالي التي نشرتها في يناير سنة ١٩٠٤ في «مجلة الجمعية الملكية الآسيوية» في موضوع محتويات هذا الكتاب التاريخي و المواد التي تساعد على نشره.

(٣) أنظر: كتاب تاريخ المغول لدوسون: D'Hosson; Histoire des Mongols.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٠١
ذي الحظ العاثر. وهذه المذكرات يمكن الاطلاع عليها في أصلها العربي و في ترجمتها الفرنسية التي قام بنشرها السيد «هوداس» Houdas - في باريس من سنة ١٨٩١-١٨٩٥ م.

وقد كتب «النسوي» هذه المذكرات المعروفة باسم «سيرة جلال الدين» في سنة ٦٣٩ هـ - ١٢٤١ م أي بعد عشر سنوات تقريبا من موت «جلال الدين».

وقد كان النسوي وثيق الارتباط بسلطانه طوال حياته المليئة بالأحداث والمغامرات، و من أجل ذلك فإن كتاباته مليئة بالمتعة والأهمية؛ وقد بين ذلك بما فيه الكفاية «السيد هوداس» في مقدمته التي قدم بها ترجمته الفرنسية ل «سيرة جلال الدين» ونحن نكتفي بأن نقل منها هذه العبارات الرصينة: تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب النص ٦٠١ أحمد النسوي: ص :

٦٠٠

و خلال المدة الطويلة التي حكمها السلطان جلال الدين، لم يتركه النسوي إلا «في أوقات قليلة نادرة، كان يؤدي له فيها بعض المهمات الخاصة التي يكلفه» «بها». وقد كان إلى جواره ليلة هربه، حينما هم به أحد الأكراد المتوحشين «و كاد يقتله بطعنه من

خنجره».

«و شاهد النسوي معظم الأحداث التي رواها في كتابه، بل وساهم فيها فعليا» «بعض المساهمة، حتى يمكننا أن نقول أن كتابه عن سيره جلال الدين إنما» هو من باب المذكرات الشخصية الصحيحة؛ لأن النسوي استطاع، بفضل «تقريب السلطان له، وبفضل علاقاته الوثيقة مع أعظم شخصيات المملكة،» أن يرى الأشياء على حقيقتها، وأن يكشف عن عللها وأسبابها. ولما كان «معروفا أنه لم يؤلف كتابه إلا بعد موت سيده بعشر سنوات، فمن الواضح» «الأكيد أنه استطاع أن يتحدث عنه وعن الموضوعات التي ذكرها بصراحة» «تامة وجرأة كاملة؛ وإذا لاحظنا أحيانا أنه يتحفظ بعض التحفظ عندما يعرض لنقد» «بعض الأمور، فما ذلك إلا لأنه كان يخشى أن يتهم بالجورود و نكران الجميل» «إزاء صاحب الفضل عليه، ولأنه أيضا كان يحرص في هذه الفترة على سمعة» «بعض أصدقائه وأصحابه. ولكنه رغم هذا التحفظ لم يستطع أن يخفى» «مشاعره الحقيقية وأراءه الشخصية. ولا شك أن النحو الذي نراه من حيث» «التوسط والاعتدال ليدل دلالة واضحة على صدقه وإخلاصه.»

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٠٢

«و لم يقنع النسوي بأن يصف لنا ما رآه، أو أن يروي لنا ما سمع، بل» «أجهد نفسه في فهم الحوادث التي ذكرها واستقصاء أسبابها و تتبع نتائجها،» «و هي نتائج عجيبة، نتبين أهميتها إذا رجعنا إلى دراسة هذه الفترات الموعلة» «في القدم.»

«و يبدو لي أنه- مع إعجابي بكتاب الكامل لابن الأثير- قد تحقق مما» «في هذا الكتاب من جمود يدعو إلى الملل والسأم، فحاول في كتابه أن» «يبرهن للناس أن في الإمكان كتابة التاريخ بأسلوب آخر، يكون أكثر» «تشويقا وأشد أسرا بحيث يشبع الفضول ويرضى العقول.»

«و كان النسوي بارعا في استعمال اللغة العربية وإجادة الإنشاء فيها، ولكن» «مما لا شك فيه أن قارنه ما زال يحس بشيء من الأثر الفارسي، قد تخلف في» «أسلوبه وتعبيره.»

٣- كتاب التراجم

ابن خلكان:

إذا انتقلنا الآن إلى ذكر «كتاب التراجم» فإن «ابن خلكان» يحتل المكانة الأولى بينهم؛ ولا يقتصر شأنه في ذلك على كتاب التراجم من معاصريه بل بالنسبة إلى كتاب المسلمين عامة. فكتابه المشهور «وفيات الأعيان» الذي بدأ في تصنيفه في القاهرة في سنة ٦٥٤ هـ- ١٢٥٦ و انتهى منه في سنة ٦٧٣ هـ- ١٢٧٤ م يعتبر من أوائل كتب التراجم التي يحرص على اقتنائها كل مستشرق مبتدىء. وقد نشره في طبعه على الحجر المستشرق «وستفلد» من سنة ١٨٣٥ إلى سنة ١٨٤٣ م و طبع بعد ذلك مرتين على الأقل في مصر «١» كما أن القاريء الإنجليزي يستطيع

(١) المترجم: طبع هذا الكتاب عدة مرات في مصر و آخر طبعة له صدرت في سنة ١٩٤٩ م. و قد طبع أيضا في «إيران».

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٠٣

الاطلاع على ترجمته الإنجليزية التي قام بها البارون «دي سلان» و نشرها بلندن في أربعة مجلدات من سنة ١٨٤٣ إلى سنة ١٨٧١ م. و كان «ابن خلكان» من سلالة البرامكة و قد ولد في إربل في سنة ٦٠٨ هـ- ١٢١١ و أقام بها حتى بلغ الثامنة عشرة من عمره ثم انتقل إلى حلب ثم إلى دمشق ثم إلى القاهرة ثم إلى الإسكندرية حيث تولى كثيرا من المناصب التعليمية والقضائية. و قد أدركته منيته أخيرا في سنة ٦٨١ هـ- أكتوبر سنة ١٢٨٢ م و قد اشتغل الكتاب بعد ذلك بكتابة الإضافات والزيادات التي ألحقها بمعجمه الكبير «وفيات الأعيان» فكتب «الموقف فضل الله الصقاعي» ملحقا بلغ به سنة ٧٢٦ هـ- ١٣٢٥ م و كتب «ابن شاعر» ملحقا آخر [مات سنة ٧٦٤ هـ- ١٣٦٢ م] و قد نقل هذا الكتاب إلى الفارسية، نقله يوسف ابن محمد بن عثمان في سنة ٨٩٦ هـ- ١٤٩٠ م، ثم «كبير بن أويس بن محمد الطفي» في أيام السلطان سليم العثماني الذي حكم بين سنتي ٩١٨-٩٢٦ هـ- ١٥١٢-١٥١٩ م فإذا انتقلنا الآن إلى «كتاب التراجم» التي تذكر طائفة خاصة من الناس أو جماعة من أصحاب الحرف، فإننا نجد لزاما علينا أن نذكر منها مؤلفين بالعربية و ثالثا بالفارسية و هي جميعا من مؤلفات هذا العصر و نقصد بهذه الكتب الثلاثة ما يأتي:

(١) تاريخ الحكماء: للفظي بالعربية

(ب) طبقات الأطباء: لابن أبي أصيبعة بالعربية

(ج) لباب الألباب: لمحمد عوفي بالفارسية و هو في جزءين طبع الأول منهما في سنة ١٩٠٣ و الثاني ما زال في المطبعة «٢»

فلننضم الآن في دراسته هؤلاء الكتاب الثلاثة متبعين نفس النهج الذي اتبعناه فيما سبق.

(٢) المترجم: بدأ «براون» بطبع الجزء الثاني من هذا الكتاب في سنة ١٩٠٣ م ثم طبع الجزء الأول سنة ١٩٠٦ م

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٠٤

القطبي

ولد «جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القطبي» في مدينة «قفت» من صعيد مصر في سنة ٥٦٨ هـ- ١١٧٢ م و قد جاء آباؤه أصلا من مدينة الكوفة، أما أمه فبرج نسيها إلى قبيلة قضاة العربية الكبيرة. و قد اهتم بتحصيل علومه حتى الخامسة عشرة من عمره في مدينتي القاهرة و قفت ثم اختار «صلاح الدين الأيوبي» والده «يوسف» ليتولى القضاء في مدينة القدس فاضل بأسرته في القدس و أقام فيها حتى إذا كانت سنة ٥٩٨ هـ- ١٢٠١ م ذهب يوسف إلى «حوران» و كانت منذ العصر العباسي الأولى مشهورة بأنها مركز هام من مراكز الدراسات الفلسفية اليونانية في آسيا بحيث سميت باسم «هلنوبوليس» فاشتغل بها و زيرا للملك الأشرف، ثم أدى فريضة الحج و ذهب إلى اليمن حيث مات في النهاية في سنة ٦٢٥ هـ- ١٢٢٧ م.

أما ابنه، و هو المؤلف الذي نعتى به في هذا المقام، فقد انتقل في تلك الأثناء إلى «حلب» حيث تولى وزارة المالية بها و لقب باسم «القاضي الأكرم» و يبدو لي أن أمره لم يقتصر على كونه موظفا كفاءا أمينا و باحثا عالميا يجد في طلب المعرفة. بل كان بالإضافة إلى ذلك من أكبر المعينين لرجال العلم، و قد كان الجغرافي «ياقوت» واحدا من هؤلاء الذين شملهم عطفه و رعايته عندما فر أمام غارة المغول من خراسان إلى ناحية المغرب كما سبق لنا أن ذكرنا ذلك في موضعه. و كان القطبي حريصا كل الحرص على أن يوفر لنفسه أوقات الفراغ ليتابع فيها دراساته و لكنه اضطر في سنة ٦٣٤ هـ- ١٢٣٦ م أن يقبل الاستغلال لثلاث مرة بالمناصب الحكومية فتولى الوزارة للملك العزيز و توفي بعد اثنتي عشرة سنة و هو ما زال وزيراً في سنة ٦٤٦ هـ- ديسمبر ١٢٤٨ م. و يجد القاريء تفاصيل أوفى مما ذكرت عن حياة «القطبي»، مذكورة فيما كتبه الدكتور «ليبرت» Dr. Lippert في مقدمته التي قدم بها طبعته التي نشرها لكتاب

«تاريخ الحكماء» وقد استقى معظم أختباره من معجم الأدياء لياقوت (و هذا المعجم يعده الآن للطبع ضمن سلسلة جب التذكارية الأستاذ مرجوليوت

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٠٥

الأستاذ بجامعة أكسفورد «١» وقد أجمل رأيه في «القفطي» فوصفه بأنه الصورة العربية ل «و لهلم فون همبولد» «٢».

وقد كتب «القفطي» كثيرا، واستطاع ياقوت، وقد توفي قبله بما يقرب من عشرين سنة، أن يذكر لنا عاوين عشرين مؤلفا من مؤلفاته، ضاعت جميعها تقريبا كما يقول «مولر Muller» في غارة المغول على مدينة حلب في سنة ٦٥٩ هـ - ١٢٦٠ م. وفي رأى الدكتور ليرت أن كتابه «تاريخ الحكماء» في صورته الحاضرة ما هو إلا مختصر من الكتاب الذى وضعه أصلا بهذا الاسم. و الكتاب فى صورته الحاضرة يشتمل على ٤١٤ سيرة من سير الفلاسفة والأطباء والرياضيين والمنجمين الذين ظهروا فى مختلف العصور التاريخية منذ أقدم الأزمنة حتى زمان المؤلف، و هو غنى بالمعلومات الهامة التى تساعد على دراسة تاريخ الحكمة والفلسفة. وقد استفاد به كثير من معاصريه و من تبعهم، نخص منهم بالذكر «ابن أبى أصيبعة» و «ابن العبري» و «أبا الفداء». و الكتاب مرتب على الحروف الهجائية و لم يرتب وفقا للترتيب الزمنى.

ابن أبى أصيبعة:

ولد «ابن أبى أصيبعة» مؤلف «طبقات الأطباء» فى مدينة دمشق فى سنة ٦٠٠ هـ - ١٢٠٣ م و درس الطب فيها و فى القاهرة ثم مات فى موطنه فى سنة ٦٦٩ هـ - يناير ١٢٧٠ م و قد اشتغل كوالده بصناعة الطب و اختص على وجه الدقة بطب العيون، و قد ذكر «ابن أبى أصيبعة» بين أساتذته العالم النباتي والطبيب المشهور «ابن البيطار». و قد اشتغل فترة من حياته بإدارة إحدى المستشفيات التى أنشأها «صلاح الدين الأيوبي» فى مدينة القاهرة.

أما كتابه «طبقات الحكماء» فقد نشره «مولر» فى مدينة «كوزنجبرج»

(١) المترجم: أتم الأستاذ المحروم مرجوليوت طبع هذا الكتاب فى سلسلة جب التذكارية؟؟؟

كما طبع هذا المعجم فى مصر.

(٢) اسمه بالحروف اللاتينية: Wilhelm von Humboldt

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٠٦

فى سنة ١٨٨٤ م كما نشر بالقاهرة فى سنة ١٨٨٢ م، و توجد له نسخة خطية قديمة يرجع تاريخ نسخها إلى سنة ٦٩٠ هـ - ١٢٩١ م و هى ضمن مجموعة مخطوطات «شيفر» المحفوظة بالمكتبة الأهلية بمدينة باريس، و قد اعتمد «وستنغله» اعتمادا كليا على كتاب ابن أبى أصيبعة فى تأليف كتابه «تاريخ الطب و النبات عند العرب» «١»

محمد عوفى:

الكاتب الجدير بالذكر بعد ذلك هو «محمد عوفى» مؤلف كتاب «لباب الألباب» الذى أشرنا إليه كثيرا فى هذه الفصول، و هو كذلك مؤلف مجموعة من الحكايات بعنوان «جوامع الحكايات و لواعم الروايات».

و هو يقرر فى القسم الأول من كتابه الأخير أنه استمد نسبه ف عرف باسم «العوفى» نسبة إلى «عبد الرحمن بن عوف» أحد صحابة النبي لأنه كان من سلالة. و قد أمضى «العوفى» معظم طفولته فى خراسان و ماوراء النهر و خاصة فى مدينة «بخارى»، ثم رحل عن هذه المدينة إلى الهند فالتحق بخدمة السلطان «ناصر الدين قباچه» و أهدى إلى وزيره «عين الملك حسين الأشعري» معجمه الذى صنفه عن شعراء الفرس باسم «لباب الألباب». فلما فقد هذا السلطان ملكه و حياته فى سنة ٦٢٦ هـ - إبريل ١٢٢٨ م انتقل «العوفى» كما فعل المؤرخ «منهاج السراج» إلى خدمة السلطان الذى قهره [شمس الدين بلتمش] و أهدى إليه كتابه «جوامع الحكايات». هذا هو جماع ما نعرفه عن العوفى، بالإضافة إلى بعض التفاصيل الأخرى المتعلقة بتاريخ زيارته لمختلف البلاد و أفاضل الشعراء و أكابر الناس.

أما كتابه «جوامع الحكايات» فلم يطبع حتى الآن «٢» و نسخة الخطية غير قليلة

(١) أنظر كتاب:

WUOstenfeld: Geschichte der Arabischen Aerzte und Naturforscher Gottingen, ١٨٤٠.

(٢) المترجم: أوفى ما كتب عن هذا الكتاب حتى الآن هو ما كتبه «محمد ناظم الدين» الأستاذ بالجامعة العثمانية فى حيدرآباد. و قد نشر كتابه عن هذا الموضوع فى مدينة لندن سنة ١٩٢٩ بعنوان: Introduction to the Jawami u'L - Hikayat:

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٠٧

و لا نادرة و من بينها نسخة قديمة نخصها بالذكر كانت من ممتلكات «السير وليم جونز» و هى الآن محفوظة بمكتبة إدارة الهند تحت رقم (٩٧ W).

و هذا الكتاب عبارة عن مجموعة واسعة من الحكايات، تختلف فى قيمتها و جمالها، و هو مقسم إلى أربعة أقسام، كل قسم منها يشتمل على خمسة و عشرين بابا، و كل باب منها يشتمل على مجموعة من الحكايات تصور موضوعه و تفسره. و أسلوب الكتاب سهل بسيط، و هو فى هذا يختلف تماما عن الكتاب الأخر الذى ألفه العوفى قبل ذلك، و هو أهم كتابيه، و نعى به «لباب الألباب». فهذا الكتاب يعتبر أقدم كتب التراجم التى كتبت عن شعراء الفرس. و قد ذكر ذلك «بلاند» فى مقاله التى وصف بها إحدى النسختين المخطوطتين الموجودتين فى أوروبا «١» و قد انتفع بهذا الكتاب الدكتور «إتية» انتفاعا بالغا فى تأليف مقالاته العديدة الفائقة التى كتبها عن شعراء الفرس المبكرين. و لم يكن هذا الكتاب فى متناول الباحثين حتى أصدرت طبعته فى، فظهر المجلد الثانى منه فى سنة ١٩٠٣ و سيظهر المجلد الأول منه فى خلال سنة ١٩٠٦ م. و كتاب «لباب الألباب» يعتبر من أهم الكتب فى تاريخ الأدب الفارسى بالنظر إلى قدمه و بالنظر إلى ما أورده من تراجم بعض الشعراء الذين كادت أخبارهم تدرس كلية و لم يرد قبل ذلك ذكر عنهم، و لكنه رغم ذلك كله مخيب للآمال من عدة وجوه، فالأخبار التى رواها عن الشعراء خالية من التواريخ الدقيقة أو التفاصيل الممتعة، و قد استعاض المؤلف عن

(١) نشرت مقالة بلاند Bland فى الجزء التاسع من مجلة الجمعية الملكية الأسيوية فى سنة ١٨٤٨ أما المخطوط الذى تحدث عنه فقد أعاره له صديقه «جون باردون اليوت John Bardon Elliot» فلما مات اشتراه مع سائر كتبه اللورد كروفورد Lord Crawford فى سنة ١٩٠١ ثم باعه ابنه اللورد كروفورد الحالى مع سائر مخطوطاته الشرقية إلى «المسز ريلاندز Mrs Reylands

٦- من أهالي منشستر فوضعه في مكتبة جون ريلاندز بهذه المدينة أما المخطوطة الأخرى الموجودة في أوروبا من نسخ هذا الكتاب فهي ضمن مجموعة سبرنجر Sprenger المحفوظة في مكتبة برلين، وكانت في الأصل من ممتلكات ملك أود. وقد استخدمت هاتين المخطوطتين في إعداد طبعتي لهذا الكتاب فأصدرت الجزء الثاني منه أولاً في سنة ١٩٠٣ و يكاد الجزء الأول منه يتم الآن و أنا أكتب في إبريل سنة ١٩٠٦. ولا بد أن هذا الكتاب توجد له مخطوطة ثالثة على الأقل في إيران لأن «رضا قليخان» استعمله كثيراً في تصنيف كتابه «مجمع الفصحاء» المطبوع على الحجر في طهران سنة ١٨٧٨ م

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٠٨

ذلك بشحنها بالعبارة البلاغية والمحسنات اللفظية، كما أن مختاراته التي استشهد بها من أقوال الشعراء تعتبر من المختارات الرديئة الخالية من الذوق والجمال، يضاف إلى ذلك أنه أهمل ذكر جماعة من الشعراء المشهورين مثل «ناصر خسرو» و «عمر الخيام» بينما أفاض في نهاية الجزء الأول في ذكر جماعة من متوسطي الحال أخذ ينعتهم بمختلف الأوصاف و يطيل في أخبارهم بغير ما داع أو سبب، إلا أنهم كانوا من معاصريه الذين التحقوا مثله بخدمة السلطان «ناصر الدين قباچه». وفيما عدا ذلك فإن هذا الكتاب يعتبر من كتب الدرجة الأولى لأنه يشتمل على ما يقرب من ثلثمائة ترجمة من تراجم شعراء الفرس الذين ظهروا قبل أن يشتهر اسم «السعدي»، و متى أحسن الانتفاع به فستزيد معلوماتنا كثيراً فيما يختص بهذه الفترة المبكرة من فترات الأدب الفارسي. ومع ذلك كله فمن العسير أن يتفاد المرء شعوره بالضيق والخيبة عندما يفكر قليلاً في أن المؤلف كان في استطاعته بما مهد له من وسائل، أن يجعل مؤلفه أبلغ أثراً و أشمل نفعاً «١».

٤- أصحاب التواريخ المحلية

ابن اسفنديار

نتقل الآن إلى الحديث عن «التواريخ المحلية» فنقول إن أهم ما ألفت منها في هذه الفترة باللغة الفارسية هو «تاريخ طبرستان» تأليف «محمد بن الحسن بن اسفنديار». ولسنا نعرف إلا القليل عن حياة المؤلف. و كل ما نعرفه عنه هو عبارة عن الأخبار المنفرقة التي يرويها عرضاً عن نفسه في صفحات كتابه. و يستفاد من هذه الأخبار أنه عاد من بغداد إلى مدينته الري في سنة ٦٠٦ هـ - ١٢٠٩ م، و أنه وجد هناك في مكتبة الملك «رستم بن شهریار» النسخة العربية من «تاريخ طبرستان»

(١) المترجم: تم طبع الجزءين و هما الآن من أهم المراجع التي يعتمد عليها الباحثون في دراسة شعراء الفرس

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٠٩

و هي التي قام بتأليفها «اليزدادي» في أيام «قابوس بن وشمگیر» سنة ٣٦٦-٤٠٣ هـ - ٩٧٦-١٠١٢ م فأخذ هذه النسخة العربية، و اعتمد عليها في وضع كتابه الفارسي.

ثم اضطر «ابن اسفنديار» بعد فترة وجيزة إلى العودة إلى مدينة «آمل» ثم انتقل منها إلى مدينة «خوارزم» و حدثنا عن حالها في تلك الفترة فوصفها بأنها مدينة عامرة رجال العلم و الأدب. و قد بقي في «خوارزم» فترة لا تقل عن خمس سنوات اكتشف في خلالها كثيراً من الأخبار المتصلة بموضوع مؤلفه، فجمعها و أدخلها فيه لأنه كان حتى هذا الوقت مشتغلاً بإكمالها في سنة ٦١٣ هـ - ١٢١٦ م.

بعد ذلك تنقطع أخباره فلا نعرف عنه شيئاً، و لا نستطيع أن ندلي برأى فيما إذا كان قد هلك على يد المغول أثناء غارتهم على خوارزم في سنة ٦١٧ هـ - ١٢٢٠ م.

أو إذا كان قد نجح بحياته فعاد قبل ذلك إلى موطنه «مازندران».

و لسننا في حاجة إلى تفصيل القول عن كتابه لأن فائدته يمكن التحقق منها بمراجعة الترجمة المختصرة التي نشرتها له في المجلد الثاني من «سلسلة جب التذكارية» و كل ما يمكن أن يقال عنه هو أن أجزاءه الأولى تشتمل على كثير من الأمور المتصلة بالأساطير، و لكنه متى وصل إلى العصر الإسلامي فإنه يفيض في ذكر الحقائق التاريخية و الجغرافية و الأخبارية، و خاصة التفاصيل المتعلقة بسير الرجال المحليين من أصحاب الشهرة و الصيت، سواء أقاموا في طبرستان أم خارجها، و على الخصوص سير الشعراء الذين أنشأوا أشعارهم في اللهجة الطبرية، و هي لهجة يبدو أنها كانت مستعملة في طبرستان استعمالاً واسعاً بحيث أصبحت لهجة أدبية متعارفاً عليها. و قد انتهى «ابن اسفنديار» من تاريخه في الحد الطبيعي الذي قدر له، أي بوفاة «رستم بن أردشير» في سنة ٦٠٦ هـ - ١٢٠٩ م، لكن يدا متأخرة استطاعت أن توصل سجل الأخبار المروية فيه إلى سنة ٧٥٠ هـ - ١٣٤٩ م.

و التواريخ المحلية الشبيهة بتاريخ «ابن اسفنديار» كثيرة و وفيرة، و هي تولف في مجموعها قسماً متميزاً من أقسام الأدب الفارسي. و لدينا منها على سبيل المثال تواريخ متعلقة ب «أصفهان» و «شيراز» و «يزد» و «قم» و «هراة» و «سجستان» و «شستر» و طائفة أخرى من المدن الإيرانية، كما أن لدينا منها عدداً آخر ألف عن

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦١٠

«طبرستان» نفسها. و قد نشر «دورن Dorn» طائفة كبيرة من هذه المجموعة الأخيرة، و لكن أغلبها ما زال خطياً، و لم ينشر منها في بلاد الشرق إلا مجموعة قليلة طبعت على الحجر.

بالإضافة إلى ذلك يوجد نوع آخر من هذه التواريخ المحلية يمكن وصفه على وجه الدقة بأنه عبارة عن «معجم محلي» مرتب في الغالب على حسب الحروف الهجائية، و يشتمل على سير الرجال النابهين الذين ظهروا في بلدة بعينها أو في ولاية بعينها.

و قد ألفت «ابن الخطيب البغدادي» المولود في سنة ٣٩٣ هـ - ١٠٠٢ م و المتوفى في سنة ٤٦٣ هـ - ١٠٧١ م كتاباً من هذا النوع باللغة العربية ذكر فيه رجال العلم و الأدب في بغداد، و جعله في أربعة عشر مجلداً «١»، فلما كانت الفترة التي نتحدث عنها في هذا الفصل أضاف إليه «أبو عبد الله محمد الدينبي» المتوفى سنة ٦٣٧ هـ - ١٢٣٩ م ملحقاً كتبه أيضاً باللغة العربية. و هذا الملحق فيما نعلم غير موجود بتمامه، و يوجد منه جزء في باريس، كما يوجد جزء آخر قد يكون من بين أجزائه فيما اعتقد في مكتبة كامبردج. و هذا الجزء الأخير منسوبة كتابته، كما يبدو على الغلاف إلى «ابن الخطيب» نفسه، و قد ذكرت فيما سبق أنه توفي في سنة ٤٦٣ هـ - ١٠٧١ م فإذا كان هذا الجزء يشتمل على أخبار مروية عن سنة ٦١٥ هـ - ١٢١٨ م فمن الواضح الجلي أنه ليس من تأليف «ابن الخطيب» نفسه، بل هو ملحق كتب في زمن متأخر، و إذا لاحظنا أيضاً أن هذا الجزء كبير الحجم إلى درجة ملحوظة، و لكنه لا يشتمل إلا على جزء من حرف «العين» فمن السهل أن نتصور أن هذا الملحق كان بالغ الطول مفرطاً في الضخامة.

(١) المترجم: طبع هذا الكتاب برمته في القاهرة في مطبعة السعادة في سنة ١٣٤٩ هـ الموافقة سنة ١٩٣١ م.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦١١

٥- الجغرافيون والرحالون [الكتب الجغرافية و كتب الأسفار]

إشارة

ننتقل الآن إلى دراسة الكتب الجغرافية و كتب الأسفار التي كتبت في هذه الفترة. و سأقتصر في هذا المقام على ذكر ثلاثة منها كتبت جميعا باللغة العربية.

ياقوت:

و أهم هذه الكتب مرجع أشرت إليه كثيرا في الفصل السابق، و هو المعجم الجغرافي الواسع الذي ألفه ياقوت بعنوان «معجم البلدان» و قد طبعه «وستفلد» في سنة أجزاء من سنة ١٨٦٦ إلى سنة ١٨٧١ م «١». و قد ولد «ياقوت بن عبد الله» في سنة ٥٧٥ هـ - ١١٧٩ م من أبوين يونانيين و من أجل ذلك سمي بالرومي. كما إنه في طفولته كان عبدا بالشراء لتاجر من تجار مدينة «حماة» و من أجل ذلك نسب إليها فقيل «الحموي» و قد تمكن ياقوت من أن ينال قسما وافرا من التعليم، و أن يجوب كثيرا من الديار بحيث شملت أسفاره الأقطار الممتدة جنوبا بشرق حتى جزيرة «كيش» في الخليج الفارسي، و الأقطار الممتدة شمالا بشرق حتى «خراسان» و «مرو» حيث دأب على الاشتغال في مكتباتها العامرة التي امتازت بها هذه المدينة الزاهرة، حتى إذا كانت غارة المغول أضطر إلى الهرب إلى «الموصل» و استطاع في ربيع عام ٦٢١ هـ - ١٢٢٤ م أن يكمل مؤلفه الواسع «معجم البلدان». و هذا الكتاب مرجع من أهم المراجع التي يعتمد عليها الباحثون في كل ما يتعلق بجغرافية الأنحاء الغربية من آسيا، و في كثير مما يتعلق بتاريخها، و هذه الأمور، و خاصة ما يتعلق منها بإيران، لم يكن من السهل، لغير المستشرقين، مراجعتها إلا فيما كتبه باريبي دي منار في «معجمه الجغرافي التاريخي»

(١) المترجم: هذه هي الطبعة الأوروبية و قد طبع الكتاب في ثمانية أجزاء في القاهرة بمطبعة السعادة في اختتام سنة ١٣٢٣ هـ و افتتح سنة ١٩٠٦ م.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦١٢

الأدبي لبلاد إيران و البلاد المصاحبة» «١». و قد ألف ياقوت كتابين آخرين في الجغرافيا هما:

(أ) مرصد الأطلال: و قد طبعه «جونيبول Juynboll» في مدينة ليدن من سنة ١٨٥٠ إلى سنة ١٨٦٤ م.

(ب) المشترك: و هو كتاب يذكر فيه أسماء البلاد المشتركة في أسمائها، و قد تم طبعه بمجهود «وستفلد» في مدينة «جوتنجن» في سنة ١٨٤٦ م.

بالإضافة إلى هذه الكتب صنف «ياقوت» معجما مشتملا على سير الأدباء و أسماء «معجم الأدباء» استطاع أجزاءه بواسطة الأستاذ «د. س. مارغوليوت» ضمن «سلسلة جب التذكارية» «٢». و له كتاب آخر في الأنساب.

و قد كتب «فون كريم» مقالة طيبة عن ياقوت فيها تقدير جميل له في الجزء الثاني من كتابه الممتع «٣» «تاريخ الأدب الشرقي» ص ٤٣٣-٤٣٦.

القرويني:

الجغرافي الآخر الذي لا يبلغ مرتبة ياقوت من الناحية العلمية، هو «زكريا بن محمد بن محمود القرويني» و قد ألف كتابين نشرهما «وستفلد» في سنتي ١٨٤٨ و ١٨٤٩ م. و أول هذين الكتابين عنوانه «عجائب المخلوقات» و هو يشتمل على بيان التقويم الشمسي و النجوم و الأجرام السماوية و الحيوانات و النباتات و المعادن و كذلك كل ما يتعلق بالوحوش و الحيوانات الخرافية المختلفة. و أما كتابه الثاني فهو

(١) أنظر:

Barbier de Meynard: Dictionnaire Geographique, historique et Litteraire de la Perse et des contres adjacentes Paris ١٨٧١.

(٢) المترجم: تم طبع «معجم الأدباء» ضمن «سلسلة جب التذكارية» و قد طبع بالقاهرة و تولى طبعه الدكتور أحمد فريد رفاعي في عشرين جزءا في سنة ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م

(٣) أنظر: Von Kremer; Culturgeschichte des Orients

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦١٣

«آثار البلاد» و هو عبارة عن وصف علمي بقدر الاستطاعة للمدن و البلاد المعروفة للعالم الإسلامي في هذا الزمان، و قد رتب المؤلف وفقا لحروف الهجاء و تبعا لأقاليم الدنيا السبعة، فابتدأ بالإقليم الأول و هو المصاحب لخط الاستواء ثم اختتمه بالإقليم السابع و هو الذي يتضمن جميع البلاد الواقعة إلى أقصى الشمال.

و كتاب «عجائب المخلوقات» هو أكثر هذين الكتابين ذكرا و أوسعهما انتشارا في بلاد الشرق، و توجد منه نسخ خطية كثيرة مزدانة في الغالب بتصاوير كثيرة منقولة عن أصله العربي أو عن ترجمته الفارسية.

أما كتاب «آثار البلاد» فهو أهم الكتابين و أكثرهما متعة، و يرجع ذلك إلى أنه يشتمل على كثير من الأخبار الجغرافية النافعة، و إلى أنه كذلك يشتمل على كثير من الأخبار المتصلة بتاريخ الرجال الذين ورد ذكرهم بمناسبة الحديث عن بلدانهم، و من بين هؤلاء عدد كبير من شعراء الفرس من أمثال «الأثوري» و «عسجدي» و «أبو الدين الكرمانلي» و «فخرى الجرجاني» و «فرخي» و «الفردوسي» و «جلال طيب» و «جلال خاوري» و «خاقاني» و «أبو طاهر الخاتوني» و «مجير البيلقاني» و «ناصر خسرو» و «نظامي الكنجوي» و «عمر الخيام» و «أبو سعيد بن أبي الخير» و «سنائي» و «شمس طبرسي» و «عنصرى» و «رشيد الدين الوطواط».

و الأخبار الجغرافية التي ترد في هذا الكتاب لا تبلغ من حيث الدقة مبلغ ما رواه «ياقوت»، و غيره من الجغرافيين المبكرين، و لكنها مع ذلك مشحونة بالأخبار الممتعة المسلية. و من الغريب أن الكتاب لم يرد به ذكر إطلاقا ل«النجار» و لكنه يشتمل على مقالة عن إيرلنده و وردت ضمن كلامه عن الإقليم السادس مع وصف مجمل لصيد الحيتان، و كذلك يشتمل على مقالة مطولة عن مدينة روما. و عندما تعرض المؤلف لذكر الإقليم السابع تحدث عن الطفوس التي يتبعها الفرنج في النار و الماء و المعارك، و عن السحر و السحرة و إحراق المشعوذين، و عن «الخليج الفارنجي Varangian Fiord» في أقصى الشمال. و في رأيي أنني لم أصادف بين الكتب العربية كتابا ممتعا جدرا بالقرأة مثل هذا الكتاب. و إذا راعينا الدقة التامة

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦١٤
 وجب علينا أن نقول إن هذا الكتاب يخرج عن دائرة الفترة التي تناولها الباحث في هذا المؤلف. لأن نسخته الأولى تم تأليفها في سنة ٦٦٢ هـ- ١٢٦٣ م بينما لم تتم نسخته الثانية [وهي نسخة مزيدة ومنقحة] إلا بعد ذلك بثلاث عشرة سنة أي في سنة ٦٧٥ هـ- ١٢٧٦ م. وقد ولد القزويني في مدينة «قزوين» من بلاد إيران في سنة ٦٠٠ هـ- ١٢٠٣ م وأقام فترة من حياته في مدينة «دمشق» وتولى القضاء في أيام الخليفة «المستعصم» آخر الخلفاء العباسيين فصبوه قاضيا على «واسط» و«الحلة» ثم توفي في سنة ٦٨٢ هـ- ١٢٨٣ م. ومن الجدير أن نذكر أيضا أنه أهدى كتابه «عجائب المخلوقات» إلى «عطا ملك الجويني» مؤلف كتاب «تاريخ جهانگشا».

ابن جبير:

و الآن يجدر بنا أن نتحدث حديثا مختصرا عن الرحالة «ابن جبير» وهو الرحالة الذي نشر أسفاره الأستاذ المرحوم «و. رايت Wright» في مدينة ليدن سنة ١٨٨٢ م.

كان «ابن جبير» من أهالي «غرناطة» وقد فاز بشهرة عريضة عرف بأنه كاتب مجيد وشاعر مجيد أيضا. وقد سافر إلى المشرق ثلاث مرات، أدى في كل مرة منها فريضة الحج إلى مكة. وقد بدأ أولى أسفاره في ٥٧٩ هـ- ٤ فبراير سنة ١١٨٣ م وعاد إلى موطنه في ٥٨١ هـ- نهاية أبريل سنة ١١٨٥ م. ثم وقعت بعد ذلك مدينة «بيت المقدس» في يدي «صلاح الدين» فدفعته هذه الأنباء إلى القيام برحلته الثانية فشرع فيها في ٥٨٥ هـ- أبريل ١١٨٩ م وانتهى منها في ٥٨٦ هـ- أواسط سبتمبر سنة ١١٩٠ م. ثم ماتت زوجته وكان يحيا حيا شديدا فدفعه الحزن عليها إلى القيام برحلته الثالثة فخرج من «سبته: Cueta» إلى «مكة» وبقى في «مكة» فترة من الزمن ثم غادرها إلى «بيت المقدس» و«القاهرة» و«الاسكندرية» حيث توفي في هذه المدينة الأخيرة في ٦١٤ هـ- ٢٩ نوفمبر سنة ١٢١٧ م ولم يترك لنا «ابن جبير» إلا حديثه عن الرحلة الأولى من هذه الرحلات الثلاث.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦١٥

٦- الفلاسفة

إشارة

و إذا انتقلنا الآن إلى الحديث عن الفلاسفة فإن أهم فيلسوفين ظهرا في هذه الفترة وسبق لنا الإشارة إليهما في الفصل السابق من هذا الكتاب هما:

«فخر الدين الرازي» و«نصير الدين الطوسي»

فخر الدين الرازي:

ولد «الرازي» في ٥٤٤ هـ- ٧ فبراير سنة ١١٤٩ م؛ ثم أخذ في تحصيل علومه في موطنه أي مدينة «الري» وكذلك في بلدة «المراغة» ثم رحل إلى «خوارزم» وما وراء النهر وانتهى به المطاف إلى مدينة «هراة» حيث أدرسته الوفاة في ٦٠٦ هـ- ١٢٠٩ م. وقد كان إنتاجه الأدبي كبيرا شمل كثيرا من الموضوعات فكتب عن تفسير القرآن والحديث، وكتب عن الفقه والفلسفة والنجوم والتاريخ والبلاغة كما صنف موسوعة في العلوم. وقد عدّ بروكلمان ثلاثة وثلاثين مؤلفا من مؤلفاته «١» لا زالت باقية برمتها أو أغلبها حتى الآن. وربما كان من آخر تأليفاته رسالة «في ذم الدنيا» كتبها في مدينة هراة سنة ٦٠٤ هـ- ١٢٠٧ م وقد ألف أحد مؤلفاته باللغة الفارسية وهو الكتاب الذي أهداه إلى ملك خوارزم «علاء الدين خوارزمشاه» وأسماء من أجل ذلك باسم «الاختيارات العلائية» كما أنه ألف أيضا لهذا الملك نفسه موسوعة العلوم التي كتبها في سنة ٥٧٤ هـ- ١١٧٨ م.

نصير الدين الطوسي:

سبق لنا الإشارة إلى هذا الفيلسوف في الفصل السابق، ونحن هنا نكتفي بأن نذكر أنه ولد في مدينة «طوس» كما تدل على ذلك نسبته في سنة ٥٩٧ هـ- ١٢٠٠ م «٢»

(١) أنظر:

Brockelmann: Gesch. d. Arab. Litt. vol I, pp ٥٠٦-٥٠٨

(٢) هكذا يقول «ابن شاذان» في كتابه «فوات الوفيات» أما بروكلمان فيقول إنه ولد في سنة ٦٠٧ هـ- ١٢١٠ م ولكني لأعرف المرجع الذي اعتمد عليه في ذلك.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦١٦

وقد اشتغل - كما رأينا - رغما عنه مع «الحشاشين» حتى إذا تم للفاتح المغولي «هولاكو» إخضاع قلعتي «الموت» و«ميمون دژ» انتقل «نصير الدين» إلى خدمته وأصبح موضعاً لتكريمه وتشريفه. وقد استفاد كثيرا من مصاحبه للجيش المغولي الذي حطم «بغداد» فاستغل فرصة العتب بالمكتبات وأغنى مكتبته الخاصة بحيث أصبحت في النهاية تضم بين جدرانها أكثر من أربعمئة ألف مجلد كما يقول «ابن شاذان» «١». وكان شديد التأثير في مولاه المغولي المتوحش «هولاكو» بحيث أصبح هذا الفاتح الهمجي لا يقدم على أمر من الأمور دون أن يستشير به بشأن حكم النجوم وملاءمة الوقت لتنفيذ ما يقدم عليه أو الأحجام عنه. وقد استطاع في وقت من الأوقات أن يستغل الخرافات التي كان يؤمن بها «هولاكو» وينقذ بذلك حياة «صاحب الديوان» «٢» «علاء الدين الجويني» وجماعة آخرين من الناس حكم عليهم بالإعدام. وقد ساعده في بناء المرصد المشهور بمدينة «المراغة» وهو المرصد الذي بدأ بناؤه في سنة ٦٥٨ هـ- ١٢٥٩. جماعة من مشاهير العلماء، ذكر أسماءهم جميعا في كتابه المعروف، باسم «زيج إيلخاني» وقد مات «نصير الدين» في مدينة بغداد سنة ٦٧٣ هـ- يونيو ١٢٧٤ م. ويمتاز «نصير الدين» بأنه كان كاتبا خصب الإنتاج في الموضوعات الدينية والفلسفية والرياضية والطبيعية والمسائل المتصلة بأحكام النجوم وقد عدّ «بروكلمان» ما لا يقل عن ستة وخمسين مؤلفا من مؤلفاته «٣» وأغلب هذه المؤلفات مكتوب باللغة العربية، وهي اللغة التي كانت حتى هذا العصر تعتبر «اللغة العالمية الإسلامية الشرقية» ولغة العلوم والفنون، ولكنه أيضا كتب جملة من مؤلفاته باللغة الفارسية؛ وكذلك أنشأ كثيرا من الأشعار في هذه اللغة، كما أشار إلى ذلك «ابن شاذان» مرتين عندما تعرض لترجمة حياته في كتابه «فوات الوفيات» «٤».

(١) أنظر «فوات الوفيات»، ج ٢ ص ١٤٩.

(٢) المترجم: هذا التعبير كان من ألقاب الوزراء في هذا الوقت.

(٣) أنظر:

Brockelmann: Gesch. d. Arab. Litt, vol II pp. ٥٠٨- ٥١٢

(٤) أنظر الجزء الثامن ص ١٥١.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦١٧

و مؤلفاته المنثورة التي كتبها بالفارسية تتضمن الكتب الآتية:

١- «أخلاق ناصري»: و هو كتاب مشهور في علم الأخلاق.

٢- «بيست باب در معرفت اسطرلاب»: أي عشرون بابا في معرفة الاطرلاب

٣- «رسالة سي فصل»: أي رسالة الفصول الثلاثين و تتضمن الحديث عن النجوم و التوقيت السنوي.

٤- «زيح إيلخاني»: و هو الزيح الذي ألفه ل «هولاگو خان»

٥- «تنسوق نامه إيلخاني»: و هو عبارة عن رسالة في المعادن و الأحجار الكريمة و كذلك ألف بالفارسية مجموعة من الرسائل

المتصلة بالفلسفة و النجوم و الرياضة و رسالة عن أخلاق المتصوفة أسماها «أوصاف الإشراف» و رسالة أخرى عن «علم الرمل».

أما مؤلفاته العربية فأهمها فيما أظن هو كتابه الذي كتبه عن الفلسفة الدينية بعنوان «تجريد العقائد».

و يمكن الاطلاع على سائر مؤلفاته في «تاريخ الأدب العربي» تأليف «بروكلمان» و كذلك في «فوات الوفيات» لابن شاعر و في «مجالس المؤمنين» و كتب أخرى.

و قد تمكن صاحب الكتاب الأخير من أن يورد في كتابه نقدا لا ذعا للفردوسي نقله عن كتاب «تاريخ الحكماء» من تأليف الشهرزوري، و فيه يعلن المؤلف أن شهرة «الطوسي» لا تعزى إلى مقدار ما امتاز به من فضل و إنما تعزى إلى حدة طبعه و كراهيته للمعارضة. و قد تحقق الناس من ذلك كما تحققوا من مدى السلطة التي يتمتع بها في حكومة «هولاگو» فلزموا جانب الحكمة و امتنعوا عن نقده أو التعرض له و التقليل من شأنه.

و لم يبق من أشعاره الفارسية إلا أمثلة قليلة. و قد اقتصر «رضا قلي خان» على أن يورد لنا طائفة من أشعاره، نقلها في كتابه الكبير «مجمع الفصحاء» (١) و لكنها لا تزيد

(١) أنظر «مجمع الفصحاء» ج ١ ص ٦٣٣-٦٣٤.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦١٨

على ست رباعيات و مقطوعة في بيتين اثنين. و يحسن بنا في هذه المناسبة أن نذكر أيضا أن صاحب «مجمع الفصحاء» قد نقل لنا في

صفحة ٣٧٤ من الجزء الأول من كتابه خمسة رباعيات من نظم الفيلسوف الذي تقدم ذكره أي «فخر الدين الرازي»

و لا يفوتنا أيضا أن نذكر اسم منجم آخر، جدير بالذكر «هو الجعيني الخوارزمي» نسبة إلى موطنه خوارزم. و المعتقد أن هذا المنجم قد توفي في سنة ٦١٨ هـ - ١٢٢١ م و لكن هناك كثيرا من الشك في تحديد الفترة التي عاش فيها كما إن سائر مؤلفاته قد ضاعت باستثناء مؤلف واحد هو «الملخص».

٧- أصحاب التوليف العربية

إشارة

و من بين الكتاب الذين كتبوا باللغة العربية في هذه الفترة، نكتفي بذكر الأسماء الآتية لجماعة منهم:

ابن ميمون

و هو الفيلسوف و الطبيب اليهودي «أبو عمران موسى بن ميمون» من أهالي قرطبة، و قد اشتغل في أواخر حياته طبيا ل «صلاح الدين الأيوبي» و مات في سنة ٦٠١ هـ - ١٢٠٤ م. و قد ذكرناه لأهميته و لو أنه لا تربطه بإيران صلة من الصلات

البوني

كذلك يأتي من المغرب الشيخ «محيي الدين البوني» المتوفى ٦٢٢ هـ - ١٢٢٥ م و هو من أشهر من كتبوا و انتجوا في العلوم الباطنة»

ابن البيطار

و هو أيضا من الغرب، من مدينة «ملقه» و قد كان عالما بالنبات. و مات في مدينة دمشق في سنة ٦٤٦ هـ - ١٢٤٨ م

التيفاشي

و قد كتب عن المعادن و الأحجار الكريمة و كذلك عن موضوعات أخرى متصلة بالفلسفة الطبيعية.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦١٩

عز الدين الزنجاني:

و هو من علماء اللغة الذين ظهروا في هذه الفترة. و قد مات في مدينة بغداد في سنة ٦٥٥ هـ - ١٢٥٧ م و قد ألف كتابا في النحو العربي انتشرت نسخه بشكل عجيب.

جمال القرشي:

و قد ترجم إلى الفارسية القاموس العربي المشهور الذي ألفه «الجوهري» باسم «الصحيح».

ابن الحاجب:

و قد توفي في سنة ٦٤٦ هـ - ١٢٤٨ م و هو مؤلف الكتابين المعروفين في النحو العربي باسم «الكافية» و «الشافيه».

المطرزي:

و هو الكاتب الذي ولد في سنة ٤٣٥ هـ - ١١٤٣ م، و هي السنة التي مات فيها «الزمخشري» و من أجل ذلك فقد عرف باسم «خليفة الزمخشري».

ضياء الدين بن الأثير:

و هو شقيق المؤرخ العظيم الذي اعتمدنا عليه كثيرا في كتابه هذا الكتاب و قد توفي في مدينة بغداد في سنة ٦٣٧ هـ - ١٢٣٩ م و له كتب كثيرة في اللغة العربية، ربما كان أهمها «كتاب المثل السائر».

مجد الدين بن الأثير:

و ثالث هؤلاء الأخوة هو «مجد الدين بن الأثير» المولود في سنة ٥٤٤ هـ - ١١٤٩ م و المتوفى سنة ٦٠٦ هـ - ١٢٠٩ م و قد كان محدثا و فقيها استطاع أن يعطى يحض الشهرة و الصيت.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٢٠

البيضاوي:

البيضاوي أهم هؤلاء جميعا، و اسمه «أبو عبد الله بن عمر البيضاوي» من مواليد إقليم فارس. و قد اشتغل فترة من حياته بالقضاء في مدينة «شيراز» و ألف تفسيرا للقرآن ما زال يعتبر أحسن التفسير و أكثرها انتشارا حتى هذا الزمان. و له أيضا مختصر ممل في التاريخ كتبه باللغة الفارسية باسم «نظام التواريخ».

ياقوت المستعصي:

كذلك يعتبر من رجال هذه الفترة واحد من كبار الخطاطين الذين ظهروا في ديار المشرق و هو «ياقوت» الملقب ب «المستعصي» لأنه اشتغل بخدمته الخليفة صاحب الحظ العاثر الذي سبق لنا بيان نهايته في خاتمة الفصل السابق.

و قد ذكر «ميرزا حبيب» في كتابه «خط و خطاطان» أي «الخط و الخطاطون» ترجمته حياته «١». و أشار إلى أنه توجد في القسطنطينية عاصمة الدولة العثمانية ثلاث نسخ من القرآن كتبها ياقوت بخط يده: الأولى مؤرخة سنة ٥٨٤ هـ - ١١٨٨ م و هي محفوظة في ضريح السلطان سليم؛ و الثانية مؤرخة سنة ٦٥٤ هـ - ١٢٥٦ م و هي محفوظة في جامع آيا صوفيا، و الثالثة مؤرخة سنة ٦٦٢ هـ - ١٢٦٣ م و هي محفوظة في ضريح الحميدية.

و يقال أن «ياقوت» ظفر بمائتي ألف مقال من الذهب، أجرا لنسخة من «الشفاء» كتبها لملك دهلي «محمد تغلق» «٢».

و قد مات في سنة ٦٦٧ هـ - ١٢٦٨ م وفقا لعبارة بحساب الجمل مذكورة في كتاب «ميرزا حبيب»، و لكن «بروكلمان» يذكر أنه مات في سنة ٦٩٨ هـ - ١٢٩٨ م «٣». و يعتبر «ياقوت» و سلفاه اللذان سبقاه «ابن مقلة» و «ابن البواب» أكبر الخطاطين الثلاثة الذين لهم فضل بالغ عظيم على الخط العربي.

- (١) طبع هذا الكتاب في مدينة القسطنطينية سنة ١٣٠٦ هـ.
 - (٢) هذه الرواية يشوبها اضطراب من ناحية صحة التاريخ المنسوبة إليه.
 - (٣) أنظر الجزء الأول ص ٣٥٣ من كتابه «تاريخ الأدب العربي».
- تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٢١

٨- مؤلفون آخرون

أبو نصر الفراهي:

و هناك مؤلف آخر واسع الشهرة بين تلاميذ المدارس الإيرانية هو «أبو نصر الفراهي» مؤلف منظومة بالعربية و الفارسية ما زالت منتشرة بكثرة في مدارس إيران، و له أيضا منظومة بالعربية متعلقة بالفقه على مذهب أبي حنيفة. و قد مات في سنة ٦٤٠ هـ - ١٢٤٢ م.

شمس قيس الرازي:

و من أهم الكتب التي تم تأليفها في هذا العصر، كتاب نادر في «الشعر الفارسي» اسمه «المعجم في معاني أشعار العجم» قام بتأليفه في مدينة شيراز شخص اسمه «شمس قيس» و أهدها إلى حاكمها «الأنابك أبي بكر بن سعد بن زنگي» «١» و هو الحاكم الذي اشتهر صيته بفضل رعايته للشاعر العظيم الشيخ «سعدى». و هذا الكتاب القيم له - فيما أعلم - نسخة واحدة في أوروبا محفوظة بالمتحف البريطاني تحت رقم ٨١٤ ر ٢ من المخطوطات الشرقية، و لكن الدكتور «بول هورن» يقول كذلك إنه اكتشف نسختين أخريين من مخطوطات هذا الكتاب، و أنهما محفوظتان في مدينة القسطنطينية و يجري الآن طبع هذا الكتاب في مدينة بيروت ليدخل في عداد المطبوعات التي تقوم على نشرها «سلسلة جب التذكارية» «٢» و يمتاز الكتاب بأنه يتضمن مجموعة كبيرة من أقوال كثير من شعراء الفرس المبكرين، و كذلك أقوال جماعة من شعراء الفرس الذين ضاعت أخبارهم كلية، و كذلك عددا كبيرا من «الفهوليوات» أي الأشعار المنظومة في بعض اللهجات الفارسية.

- (١) تولى الحكم في مدينة شيراز سنة ٦٢٣ - ٦٥٩ هـ - ١٢٢٦ - ١٢٦٠ م.
 - (٢) المترجم: أتم الأستاذ براون و الأستاذ محمد عبد الوهاب القزويني تصحيح هذا الكتاب و طبعه في سنة ١٣٣٧ هـ - ١٩٠٩ م.
- تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٢٢
- و لا يعرف عن مؤلف هذا الكتاب إلا القليل من الأخبار التي جمعها «ريو» من ثنايا هذا الكتاب نفسه «١» و يستفاد منها أنه كان من أهل «خراسان» أو «ما وراء النهر» و أنه كان في عداد جيش خوارزم الذي استأصله المغول أمام حصن «فرزين» في صيف سنة ٦١٧ هـ - ١٢٢٠ م «٢»

سعد الدين الوروايني:

و هناك كتاب آخر من الكتب التي ظهرت في هذا العصر، من الخير إلا نهمله في هذا المقام و هو كتاب «مرزبان نامه» و قد كتبه

أصلا باللهجة الطبرية «مرزبان ابن رستم بن شروين» الذي ألف أيضا منظومة في هذه اللهجة أسماها «نيكي نامه» أو «كتاب الخير» و أهداها لشمس المعالي «قايوس بن وشمگیر» (٣٦٦-٤٠٣ هـ - ٩٧٦-١٠١٢ م). وقد قام «سعد الدين الورائني» فيما بين سنتي ٦٠٧ هـ - ٦١٢ هـ - ١٢١٠، ١٢١٥ م بنقل كتاب «مرزبان نامه» من اللهجة الطبرية «٣» إلى الفارسية الأدبية المتعارفة «٤»

(١) أنظر ١٢٥-١٢٣ Rieu; Persian Supplement. pp

(٢) المترجم: جدير بالذكر أيضا أن مؤلف هذا الكتاب وضعه أصلا على نسختين: إحداهما عربية والأخرى فارسية، ولكن النسخة العربية ضاعت ولم تصل إلى أيدينا وبقيت النسخة الفارسية و هي التي طبعت.

(٣) أنظر ما يأتي:

Ethe: Neupersische Litteratur, vol. II Grundriss der Iranische Philologie, p. ٣٢٨. Schefer:
Chrestomathie Persane, vol II, pp ١٧١- ١٩٩ text, and pp ١٩٤. ٢١١ of the notes. Browne:
Abridged Translation of ibn Isfandiyar's History of Tabaristan, p. ٨٦

(٤) المترجم: اللهجة الطبرية هي لهجة طبرستان الولاية المصاغة لبحر قزوين، والورائني نسبة إلى بلدة «ورائني» أو «وروي» كما يقول ياقوت في معجمه و هي بلدة طيبة كثيرة الخيرات والمياه في جبال آذربيجان بين أردبيل و تبريز.

و يجدر الإشارة إلى أن كتاب «مرزبان نامه» قد تم طبعه بتصحيح محمد بن عبد الوهاب القزويني في مدينة ليدن سنة ١٣٢٧ هـ - ١٩٠٩ م و دخل في مجموعة الكتب التي نشرها

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٢٣

٩- كتاب الصوفية

[كاتبين عربيين و كاتبين فارسيين]

نتاول بالبحث بعد ذلك طائفة أخرى من الكتاب لهم أهميتهم الخاصة، و هم كتاب الصوفية العظام الذين ظهروا في هذه الفترة من الزمان، و يدخل في عدادهم بعض الأسماء اللامعة ممن اشتغلوا بهذا النوع من التفكير و الأدب، و نخص بالذكر منهم اثنين من أصل عربي، امتازا بكثير من التفوق و بعد الصيت بحيث أصبح لزاما علينا أن نراجع أنفسنا في صحة النظرية التي سادت في وقت من الأوقات بأن التصوف في جملته عبارة عن رد فعل آرى للتعاليم الجافة التي أتت بها ديانة الساميين. و هذان العربيان هما:

(أ) عمر بن الفارض: الشاعر الصوفي المصري.

(ب) الشيخ محيي الدين بن العربي: المتصوف النابه و هو من أهل الأندلس.

و بالإضافة إلى هذين نرى واجبا علينا أن نتحدث عن سمين آخرين، أحدهما اسمه «نجم الدين كبرى» و الآخر «نجم الدين دايه» و كذلك عن الشيخ «روزبهان» و الشيخ «شهاب الدين عمر السهروردي». كما يجب علينا أن نتحدث حديثا مختصرا عن الشيخ «صدر الدين القونوي» «١» لأنه أشهر تلاميذ الشيخ «محيي الدين»، ثم نتقل بعد ذلك إلى الحديث عن واحد أو اثنين آخرين من الصوفية المعاصرين لهؤلاء، تاركين مؤقتا الحديث عن اثنين من كبار شعراء الصوفية اللذين ظهرنا في هذا الوقت، و هما:

(أ) الشيخ «فريد الدين العطار»

(ب) مولانا «جلال الدين الرومي»

فقد أفردنا الفصل المقبل للحديث عنهما بشيء من التفصيل و التناول.

«سلسلة جب التذكارية» كما تجدر الإشارة أيضا إلى أن مصحح الكتاب يرى أن هذا الكتاب نقل من اللهجة الطبرية إلى اللهجة الفارسية فيما بين سنتي ٦٠٧ هـ - ٦٢٢ هـ - ١٢١٠ و ١٢٢٥ م.

(١) نسبة إلى مدينة «قونية» في آسيا الصغرى.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٢٤

روزبهان

أسبق المتصوفة الذين ذكرناهم في الكلمة السابقة، من الناحية الزمنية، هو الشيخ «أبو محمد روزبهان بن أبي نصر البقلى» الملقب ب «شطاح فارس» فقد مات في بلدته شيراز في شهر المحرم سنة ٦٠٦ هـ - يولييه ١٢٠٩ م و قد ورد ذكره ضريحه في المخطوطة العربية المحفوظة في المتحف البريطاني تحت رقم ٣٩٥ ر ٣ و هي المخطوطة التي تسمى عادة باسم «هزار مزار» أي «الألف مزار» باللغة العربية، و لكن يجب تصحيح اسمها إلى «شد الإزار» و هذه المخطوطة قام على تأليفها «معين الدين أبو القاسم جنيد الشيرازي» في سنة ٧٩٢ هـ - ١٣٨٩ م و نتاول فيها الحديث عن ظهر في بلدته من أولياء و أصفياء «١». فذكر أن الشيخ «روزبهان» كان كثير الأسفار في شبابه شأن الدراويش المتصوفين، و أنه تمكن من زيارة العراق و كرمان و الحجاز و الشام، كما تمكن من تأليف مجموعة كبيرة من الكتب اشتهر منها كما يقول مؤلف الكتاب الفارسي «شيرازنامه» «٢» ما يقرب من ثلاثين كتابا، يدخل في عدادها تفسير صوفي للقرآن بعنوان «لطائف البيان» و كذلك كتاب «مشارب الأرواح» و كتاب «منطق الأسرار» و كتب أخرى غير هذه.

و قد نظم أيضا أشعارا بالفارسية، نورد ترجمة مثلين منها فيما يلي:

المثل الأول:

هذا الذى لم تستطع أن تراه أعين الزمان...! و لم تستطع أن تسمعه على الأرض أذن من الآذان...!!

قد أبدى اليوم سناه... فأبدع خلق الإنسان...! فقم... و تعال و تمتع برؤيته في هذا الكيان...!!

(١) المترجم: طبع هذا الكتاب في طهران سنة ١٣٢٨ هـ. ش و قد صححه المرحوم محمد قزويني و الأستاذ عباس إقبال و عنوانه الكامل «شد الإزار في حط الأوزار عن زوار المزار»

(٢) كتاب «شيرازنامه» و هو كتاب ألفه بالفارسية أحد أحفاد الشيخ «زركوب» و فرغ منه في سنة ٧٤٤ هـ - ١٣٤٣ م.

[المترجم: و قد طبع هذا الكتاب بتصحيح «بهمن كرمي» في طهران سنة ١٣٥٠ هـ و ورد به ذكر «روزبهان» في ص ١١٦-١١٧.]

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٢٥

و المثل الثاني هو قوله ما ترجمته:

في هذا الزمان أنا القائد في طريق الصراط المستقيم لكل سالك و طالب. و لقد سلكت طريق الله من أدنى المشارق إلى أقصى

المغارب

و لكن ... هل يستطيع حقا أن يدركنى الصلحاء والعرفاء...! أو قد استقرت روعي فيما وراء الحدود والأنحاء...!! «١» واستمر الشيخ «روزبهان» يصلي بانتظام مدة خمسين سنة في جامع شيراز المعروف باسم «الجامع العتيق» وقد توفي في الرابعة والثمانين من عمره، و على ذلك يمكننا تأريخ ولادته بأنه مقارب لسنة ٥٢٣ هـ - ١١٢٨ م، وكان الأتابك «أبو بكر بن سعد» من أصدقائه والمعجيين به، و قد درس مع الشيخ «أبي النجيب السهروردي» في مدينة الاسكندرية «٢»، وهناك أخبار أخرى قليلة متعلقة بالشيخ «روزبهان» رواها «جامي» في كتابه «نفحات الأنس» «٣» عند ما تعرض لترجمة سيرته و هي تشمل على طائفة من الحكايات العجيبة التي تصادفها عادة في المؤلفات التي تذكر كرامات الأولياء ومعجزاتهم.

نجم الدين كبرى:

نتناول بالبحث بعد ذلك صوفيا آخر هو «أبو الجناح أحمد بن عمر الخيوي» نسبة إلى مدينة «خيوة» أو «خوارزم». و يعرف عادة باسم «الشيخ نجم الدين كبرى» و تقول أصدق الروايات المعتمدة أن لقبه «كبرى» ما هو إلا الاختصار لعبارة «الطامة الكبرى» و هو اللقب الذي لقبه به أصدقاؤه لما لاحظوه عليه من قدرة في المناقشة ومهارة في الجدل. «٤»

(١) المترجم: أصل هذه الأشعار بالفارسية موجود في كتاب «شد الإزار» ص ٢٤٤ و ص ٢٤٦.

(٢) مات هذا الشيخ في سنة ٥٦٣ هـ - ١١٦٧ م.

(٣) أنظر كتاب «نفحات الأنس» طبع «نساو ليز: Nassau Lees» ص ٢٨٨ - ٢٩٠.

(٤) من حسن الحظ أن هذا اللقب أيضا ميّزه عن سميّه «نجم الدين دايه».

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٢٦

و يلقب أيضا بعبارة «ولي تراش» أي «ناحت الأولياء» لأن الناس كانوا يعتقدون أنه إذا نظر و هو في حالة الوجد والانبذاب إلى شخص من الأشخاص، فإن هذا الشخص يصبح على الفور وليا من أولياء الله و أصفياه، و يذكر «جامي» طائفة من الحكايات يبين فيها أن كرامته الخارقة هذه، لم يقتصر فعلها على الآدميين بل تعدتهم إلى الكلاب و العصافير.

أما تكتيته ب «أبي الجناح» فيقال أن النبي أطلقها عليه في رؤيا رآها و فسرت له بأن معناها أن يتجنب الدنيا تجنبا دائما.

و ليس هناك من شك في أن «نجم الدين كبرى» كان في عداد الضحايا الكثيرين الذين قتلوا أثناء غارة المغول على «خوارزم» في سنة ٦١٨ هـ - ١٢٢١ م. و ليس هناك ما هو أدل على علو شأنه من أن كتاب «جامع التواريخ» لم يذكر إسما واحدا من أسماء الضحايا الذين قتلوا في هذا اليوم المنكود و قد بلغ تعدادهم ٦٠٠ ر ٦٠٠ قتيل إلا اسم هذا الشيخ؛ و يقول مؤلف هذا الكتاب «١»: أن چنگيز خان سمع عن شيخ المشايخ و قطب الأولياء الشيخ نجم الدين كبرى عليه الرحمة، فلما عرف بخبره أرسل إليه رسالة يخبره فيها بعزمه على الإغارة على «خوارزم» و قتل أهلها، و يوصيه و قد آن أوان العاصفة و نزول الكارثة، أن يخرج منها و يلحق به لأنه يقدر له مكانته التي تجعله أكبر رجال العصر و الأوان. و لكن الشيخ أجابه قائلا: «إني أعتبر خروجي وحدي دون سائر الأهلين عملا خاليا من كل معاني الفضيلة و الكرامة.» و قد ترتب على ذلك أن جنته وجدت بين جثث القتلى و المذبوحين في هذه الواقعة.

و يؤيد نيا قتلته أيضا قصيدة أنشأها في رثائه «المؤيد بن يوسف الصالحى» و قد نقلها اليايى في كتابه «مرآة الزمان» «٢» و هو يقول فيها بيتين، معنى الأول منهما:

- فهل رأى أحد من الناس بحرا من العلم غارقا في بحر من الدماء...!!!

(١) نسخته المخطوطة موجودة في «إدارة الهند» تحت رقم ٥٢٤ ر ٣ المقابلة لرقم ٨٢٨ ر ٢ من فهرست إتيه Ethه للمخطوطات الفارسية الموجودة في هذه الإدارة.

(٢) مخطوطة رقم ١١ د ر ١ بالمتحف البريطاني، الورقة ٣٤١.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٢٧

و معنى البيت الثاني:

- و يا يوم فجيعة خوارزم ... لقد سارت بذكرك الأخبار فمألنا بالرهبة و الخوف ... و جعلتنا نفقد الإيمان و الأمن و القرار ...!!! و هذان البيتان يكتيان لبيان مكان قتله و ظروفه و كلفته.

و قد نسجت على هذه الحقيقة التاريخية المجردة، جملة من الحكايات لا نكاد نؤمن بصحتها، و قد أورد «جامي» الرواية التالية في كتابه نفحات الأنس: «١»

«فلما بلغ المغولي الكافر مدينة خوارزم جمع الشيخ نجم الدين كبرى تلاميذه» «و أتباعه حوله، و كانوا يزيدون على الستين. و كان السلطان محمد خوارزمشاه» «قد هرب من خوارزم و لكن المغولي الكافر ظل يعتقد أنه ما زال بها، و صمم» «على الإغارة عليها بجيشه. فاستدعى الشيخ جماعة من أتباعه من بينهم الشيخ» «سعد الدين الحموي و «رضي الدين على لالا» و قال لهم: قوموا و غادروا هذه» «الديار بسرعة إلى مواطنكم و دياركم فستتقد في المشرق نار يندلع لهيبها حتى» «يلفح المغرب، و إنها لكارثة لم يحدث مثلها حتى الآن لهؤلاء القوم الآمنين.» «فلما سكك قال له واحد من أتباعه: و لم لا تصل من أجليهم فريما ينكشف» «البلاء عن ديار الإسلام...؟! و لكن الشيخ أجابه على الفور بأن هذا البلاء» «قدر مقدور لا تتف فيه صلاة أو ضراعة...!!! ثم ذهب إليه أتباعه و قالوا له: إن» «الدواب على أهبة الاستعداد للرحيل ... فهل لك أن تشاركنا في سفرتنا إلى خراسان» «فالفارصة ما زالت باقية...!!! و لكن الشيخ أجابهم سلبا، و قال لهم أنه سيبقى ليموت» «شهيدا، لأنه غير مسموح له بالسفر، ثم تركهم يسافرون إلى خراسان...!!!»

«فلما دخل الكافر مدينة خوارزم جمع الشيخ حوله من تخلف معه من» «أتباعه و قال لهم: انهضوا باسم الله حتى نحارب في سبيل الله...!!! ثم دخل منزله» «و ارتدى خرقته و شد على وسطه حزاما، و ملأ جعبته بالحجارة ثم خرج إليهم» «على هذا النحو و قد أمسك في يده حربة طويلة، فلما التقى بالمغول أخذ يقذفهم»

(١) أنظر ص ٤٨٦ - ٤٨٧ من هذا الكتاب.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٢٨

«بالحجارة حتى فرغت جعبته، و رشقه واحد منهم بسيل من السهام، اخترق» «أحدها صدره، فمد يده و جذبته من صدره و طرحه جانبا ثم لفظ أنفاسه الأخيرة» «على هذا النحو...!!! و يقال إنه قبض أثناء استشهاده على ضفيرة واحد من المغول» «فلم يستطيعوا تخليصها من قبضته بعد موته و اضطروا إلى قطعها...!!!»

«و يقول بعض الناس إن مولانا جلال الدين الرومي يشير إلى هذه القصة» و إلى صلته بهذا الشيخ في هذين البيتين من غزلياته:

ما از آن محتشمانيم كه ساغر گيرند» «نه از آن مفلسكان كه بز لاغر گيرند
«بيكي دست می خاص إمام نوشند» بيكي دست ديگر پرچم كافر گيرند» و معاهما:

- إنا من أغنياء الناس الذين يتناولون كؤوس الخمر الجميلة ولسنا من المفلسين الذين لا يراعون إلا المعازر التحيلة...!!!

- ونحن قوم نشرب خمر الإمام الصافية بإحدى اليدين،- و نمسك بضمير الكافر بثانية الكفين...!!! «و قد استشهد قدس الله سره في سنة ٦١٨ هـ (- ١٢٢١ م) و كان له أتباع» «كثيرون من بينهم جماعة كانوا من نوادر الدهر و نوابغ الزمان مثل الشيخ» «مجد الدين البغدادي، و الشيخ سعد الدين الحموي و بابا كمال الجندی» «١» «و الشيخ رضی الدين علي لالا و الشيخ صفی الدين الباخري و الشيخ نجم» «الدين الرازي و الشيخ جمال الدين الجيلاني» «٢». و يؤكد جماعة من الناس

(١) المترجم: الجندی نسبة إلى مدينة «جند» و هي مدينة عظيمة في بلاد تركستان بينها و بين خوارزم عشرة أيام تلقاء بلاد الترك و وراء النهر.

(٢) المترجم: الجيلاني نسبة إلى «جيلان» أو «جيلان» و هي البلاد المصاوبة لبحر قزوين.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٢٩

«أن مولانا بهاء الدين ولده والد مولانا جلال الدين الرومي» كان أيضا «من تلاميذه».

و قد بقي من مؤلفات الشيخ «نجم الدين كبرى» كتابان على الأقل ما زال موجودين بالمتحف البريطاني: أحدهما عبارة عن رسالة قصيرة مكتوبة بالعربية في صحيفتين أو ثلاث، و موضوعها قول الصوفية المعروف «إن الطرق إلى الله بعدد أنفاس الحلائق»؛ و أما الكتاب الآخر فمكتوب بالفارسية و قد أسماه «صفة الآداب» و بين فيه الآداب التي يجب أن يتحلى بها المرید الجديد. و أشار «ميرزا محمد بن عبد الوهاب القزويني» في مقدمته التي قدم بها طبعة «نيكلسون» لكتاب «تذكرة الأولياء» إلى أن الشاعر الصوفي العظيم «فريد الدين العطار» تحدث عن الشيخ «نجم الدين كبرى» في كتابه «مظهر العجائب» بكثير من التجلة و الاحترام «١» و قد كان هو نفسه كما يقول «جامي» في نفاحاته، تلميذا لتلميذه «مجد الدين البغدادي» الذي سيكون مدار حديثنا التالي.

مجد الدين البغدادي:

هو الشيخ «أبو سعيد مجد الدين شرف بن المؤيد بن أبي الفتح البغدادي» و يقول عنه «جامي» إنه قدم إلى «خوارزم» ليكون طبيبا للخوارزمشاه و لكن بعض المراجع الأخرى تدحض هذا القول و تجعله موضعا للناكار. و مهما كان من أمر فمن الواضح أنه ألحق نفسه بخدمة الشيخ «نجم الدين كبرى» و أصبح واحدا من مريديه، و لكنه لم يلبث أن اعتبر نفسه في منزلة أعلى من شيخه بحيث أثر عنه أنه قال في يوم من الأيام: «لقد كنا بيضا على ساحل البحر، فضمنا الشيخ نجم لدين تحت جناحيه، و ما زال يحميننا حتى أفرخنا، فلما صرنا بطيطات قفزنا إلى البحر و بقي الشيخ على الشاطئ...!!!» و قد استشاط الشيخ «نجم الدين» عند

(١) أنظر كتاب «تذكرة الأولياء» ج ١ ص ١٧.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٣٠

سماعه هذه العبارة، و لعن قائلها مبهتلا إلى الله أن يغرقه في الماء...!!! و بلغت هذه اللعنة إسماع الشيخ «مجد الدين» فاستولى عليه الرعب و أخذ يعتذر في خضوع و ندم إلى شيخه أن يرفع عنه هذه اللعنة؛ و لكن جهوده و اعتذاراته ذهبت عبثا، و لم يلبث إلا فترة قصيرة حتى أمر الخوارزمشاه، تحت تأثير الشراب و الكراهية بأن يطرحوه في اليم و يغرقوه. و من العجيب أن الشيخ «نجم الدين» غضب لذلك غضبا شديدا و دعا الله أن يثار للغريق من ملك خوارزم لإقدامه على قتل بهذه الصورة الشنعاء التي لم تكن في الحقيقة إلا استجابة لدعائه عليه. و قد اضطرب ملك خوارزم لهذه الدعاء و حاول بمختلف الوسائل أن يجعل الشيخ يرفع عنه لعنته، و لكن الشيخ أجابه بقوله: «إن هذا القدر مكتوب في كتاب معلوم، و سيثار الله له بزوال مملكتك برمتها، فتموت أنت و يموت كثيرون من رجالك و سأكون أنا أيضا في عدادهم...!!!»

و تاريخ موت الشيخ «مجد الدين» مختلف فيه، و يذكر «جامي» إن وفاته حدثت في سنة ٦٠٦ هـ - ١٢٠٩ م أو في سنة ٦١٦ هـ - ١٢١٩ م

سعد الدين الحموي

تلميذ آخر من تلاميذ الشيخ «نجم الدين كبرى» ممن نالوا شيئا من بعد الشهرة و الصيت هو «سعد الدين الحموي» و يقول عنه «جامي» في نفاحاته ص ٤٩٢ إنه ألف كثيرا من المؤلفات و لكنه لم يذكر منها إلا كتابين اثنين هما:

١- كتاب محبوب: أو «كتاب المحبوب».

ب- سجنجل الأرواح.

و يصف «جامي» هذين الكتابين فيقول إنهما «مليان بالألغاز و المعميات و الأرقام و الدوائر التي لا تستطيع عين العقل و الأدراك أن تكشف خفاياها».

و يبدو أن «سعد الدين» كان عرضة لتوبات طويلة من نوبات الوجد أو الصرع و أن إحدى هذه التوبات ظلت تلازمه ثلاثين يوما كاملة. و قد أورد «جامي» في نفاحاته أمثلة من أشعاره العربية و الفارسية. و هو يقرر أن وفاته حدثت في نهاية سنة ٦٥٠ هـ -

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٣١

فبراير سنة ١٢٥٣ م و كان له من العمر إذ ذاك ثلاث و ستون سنة. و قد تعرف «سعد الدين» أثناء حياته بالشيخ «صدر الدين القونوي» و لكننا نرجى الحديث عنه إلى أن نتعرض له أثناء حديثنا عن الشيخ «محيي الدين بن العربي».

نجم الدين دايه:

نتناول الآن بالحديث ثاني التجمين هو «نجم الدين دايه» و يقول «جامي» عنه إنه كان تلميذا للشيخين «نجم الدين كبرى» و «مجد الدين البغدادي».

و لنجم الدين دايه كتاب كبير الأهمية اسمه «مرصاد العباد» ما زالت مخطوطة جميلة من مخطوطاته القديمة، مكتوبة في سنة ٧٧٩ هـ - ١٣٧٧ م، محفوظة بالمتحف البريطاني تحت رقم ٢٤٢ ر ٣، و هو يتحدث فيها عن نفسه فيقول إن اسمه الكامل هو: «أبو بكر عبد الله بن محمد شاهور» ثم يتحدث عن «مجد الدين البغدادي» في صراحة تامة فينتعه بأنه «سلطان الزمان و مرشده الروحي».

أما مؤلفاته الأخرى فأهمها كتاب «بحر الحقائق» وقد كتبه في سنة ٦٢٠ هـ - ١٢٢٣ م في مدينة «سيواس» من بلاد آسيا الصغرى عندما اضطر إلى الاحتما بها فرارا من غارة المغول. وقد تلافى في هذه البلاد بالشيخ «صدر الدين القنوي» وبالصوفي الشهير «جلال الدين الرومي». وأدركته الوفاة في سنة ٦٥٤ هـ - ١٢٥٦ م.

شهاب الدين السهروردي:

صوفي آخر من مشاهير الصوفية الذين ظهوروا في هذا العصر هو الشيخ «شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد البكري السهروردي» المولود في رجب سنة ٥٣٩ هـ - يناير سنة ١١٤٩ م، والمتوفى سنة ٦٣٢ هـ - ١٢٣٤ م، وقد كان من بين شيوخه القدماء الذين استرشد بهم في خطواته الأولى في طريق التصوف، عمه «أبو التجيب السهروردي» المتوفى سنة ٥٦٣ هـ - ١١٦٧ م، وكذلك الشيخ تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٣٢

المعروف «عبد القادر الجيلاني» المتوفى قبل ذلك بعامين أي في سنة ٥٦١ هـ - ١١٦٥ م.

و أهم مؤلفاته كتابان هما:

(١) عوارف المعارف.

(ب) رشف النصائح.

و الكتاب الأول تكثر نسخه الخطية، وقد طبع على الأقل مرة واحدة على هامش كتاب «إحياء العلوم» للغزالي المطبوع في القاهرة في سنة ١٣٠٦ هـ - ١٨٨٨ م.

وقد ترجم «ابن خلكان» سيرة «شهاب الدين السهروردي» و روى بعض أشعاره العربية، و تحدث عن أحوال الوجد التي كان يبلغها، و أنفاسه المباركة التي كانت تجعل الناس يتواجدون في مجلسه عند سماع أقواله، ثم يقول: «لم يتفق لي رؤيته لصغر السن».

و كان الشيخ «سعدى الشيرازي» واحدا من تلاميذه، و قد روى عنه حكاية قصيرة في كتابه ال «بوستان» فصوره بأنه كان ينتهل إلى الله أن يملأ به جهنم إذ كان في ذلك منجاة لغيره ...!!

و كان «شهاب الدين» شيخ الشيوخ في مدينة بغداد، و كان يمتاز بصحة الرأي و الحكم، فقد روى أن واحدا من الصوفية كتب إليه يقول: «يا سيدي ... إن تركت العمل أخذت إلى البطالة، و إن عملت داخلني العجب؛ فأيهما ألي؟ فكذب جوابه:

عمل! و استغفر الله تعالى من العجب ...!!

و من الواجب علينا ألا نخلط هذا الشيخ بالشيخ المتقدم عنه «شهاب الدين يحيى بن حبش السهروردي» مؤلف كتاب «حكمة الإشراف» فإن هذا الشيخ كان من أهل الكرامات و أصحاب الخوارق، و قد اتهم بالزندقة على أيام «الملك الظاهر بن صلاح الدين» فأعدموه في مدينة حلب في سنة ٥٨٧ هـ - ١١٩١ م، أو في السنة التالية لذلك، و لم يكن قد تجاوز السنة السادسة و الثلاثين أو الثامنة و الثلاثين من عمره، و قد لقبه لهذا السبب بلقب «المقتول» تمييزا له عن غيره من الشيوخ، و يبدو لي أن «السهروردي المقتول» كان خيرا من سمي، من حيث

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٣٣

عقريته و سلامة طبعه و مقدرته على الإبداع. و ما زال كتابه «حكمة الإشراف» مخطوطا، و قد تصفحته بنظرة عابرة فوجدته جديرا بالاهتمام و الدرس «١».

محيى الدين بن العربي «٢»:

[مولده و حياته]

نتناول الآن بالبحث شخصا تعارف العالم على اعتباره من أكبر رجال الصوفية الذين ظهوروا في ديار الإسلام، بل ربما كان أكبرهم على وجه الإطلاق .. و نقصد به الشيخ «محيى الدين بن العربي» المولود في مدينة «مرسيه» من بلاد الأندلس في خلال سنة ٥٦١ هـ - ٢٨ يولييه سنة ١١٦٥ م. و قد بدأ دراساته الفقهية في مدينة «إشبيلية» في سنة ٥٦٨ هـ - ١١٧٢ م ثم خرج في سنة ٥٩٨ هـ - ١٢٠١ م قاصدا بلاد المشرق فعاش فترة في مصر ثم في الحجاز ثم في بغداد ثم في الموصل ثم في آسيا الصغرى، و انتهى به المطاف إلى دمشق حيث توفي بها في خلال سنة ٦٣٨ هـ - ١٦ نوفمبر ١٢٤٠ م.

و قد وصفه «بروكلمان» فقال: «إنه كان كاتباً غزير الإنتاج كثير الإخراج، و عد من مؤلفاته مائة و خمسين كتابا ما زالت باقية في أيدينا حتى اليوم، و لا شك أن من أشهر هذه الكتب الكتابان الآتيان:

(١) فصوص الحكم.

(ب) الفتوحات المكية.

و قد كتب أولهما في مدينة دمشق في سنة ٦٢٨ هـ - ١٢٣٠ م و كثرت بعد ذلك طباعته على الحجر و بالحروف كما كثرت ترجماته و شروحه في مختلف بلاد الإسلام «٣»، أما كتابه الثاني فموسوعة كبيرة جدا طبعت في مصر أيضا.

(١) المترجم: طبع هذا الكتاب في طهران على الحجر سنة ١٣١٦ هـ - ١٨٩٨ م.

(٢) المترجم: يفضل بعض المحققين تسميته ب «ابن عربي» بغير استعمال إياه التعريف.

(٣) المترجم: آخر طبعة صدرت من «فصوص الحكم» هي التي أخرجها و علق عليها الدكتور «أبو العلاء عفيفي» أستاذ الفلسفة بجامعة الإسكندرية، و قد صدرت عن دار إحياء الكتب العربية سنة ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٣٤

و أوفى ترجمة أعرها لحياة «ابن العربي» هي تلك التي يتضمنها كتاب «المقري» المعروف باسم «نفتح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» «١» و قد ترجم «جامي» له أيضا ترجمة وافية في كتابه «نفتح الأوس» «٢».

و كان «ابن العربي» كأغلب رجال الصوفية شاعرا، و قد وردت أمثلة كثيرة من أشعاره في كتاب «نفتح الطيب» كما أن له ديوانا مطبوعا على الحجر في ٢٤٤ صحيفة، قام على طبعه «ميرزا محمد شيرازي» من أهل بمباي. و قد وصف «جامي» أشعاره فقال: «إن قصائده غريبة و ثمينة، و لكن كثيرا من رجال الدين يتهمونه بالكفر و الزندقة، و قد حاولوا قتله في مصر جملة مرات، و لم ينج من الموت إلا لأن المتعصبين من أتباعه و المعجبين به كانوا كثيرين و متعددين. و من الغريب أن تأثيره حتى الآن ما زال محسوسا في إيران الشيعية، بل ربما فاق في ذلك كل صوفي آخر.

و قد ادعى «ابن العربي» أنه خاطب النبي في أحلامه، و أنه أخذ خرقته من «الخضر» و أنه يعرف علم الكيمياء و العلم المتعلق باسم الله الأعظم. و كان على صلة بالشاعر الصوفي «عمر بن الفارض» فسأله أن يأذن له بكتابه شرح على تائيه، و لكن ابن الفارض أجابه بأن

«كتابتك الفتوحات المكبية ما هو، في الحقيقة، إلا شرح لهذه الثانية...!!».

وكان «ابن العربي» يؤمن بالأحلام وأن الإنسان له قدرة على تحقيقها بمحض إرادته فهو يقول ما معناه: «وخلق بعبد الله أن يستعمل إرادته ليحقق بها التركيز في أحلام و بذلك يستطيع أن يتغلب على خياله، وأن يتحكم فيه أثناء النوم كما يتحكم فيه أثناء اليقظة، فإذا تم لإنسان هذا التركيز وأصبح بالنسبة له أمراً طبيعياً فإنه يستطيع بواسطته أن يجنى ثماره في «البرزخ» ويتنفع بها انتفاعاً كبيراً. وعلى ذلك يجب على الإنسان أن يجاهد لكي يدرك هذه الحال، لأنها نعمة له بإذن الله نعمة كبيرة...».

(١) طبع القاهرة سنة ١٣٠٢ هـ - ١٨٨٤ م. انظر ج ١ ص ٣٩٧ - ٤٠٩.

(٢) طبع «نساو ليز» ص ٦٣٣.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٦٣٥

و أسلوب «ابن العربي» غامض، وربما تعتمد ذلك تعمدًا، جريا على ما تعارف عليه الأولياء وأهل الكرامات والمتصوفة من المسلمين؛ فإنهم كانوا يحاولون دائما أن يعبروا عن آرائهم التي لم يتعارف عليها عامة الناس بكلمات وتعبيرات تكون قريبة الفهم من تعبيراتهم ومصطلحاتهم حتى يتفادوا بذلك القتل كما أصاب «الحسين بن منصور الحلاج» والشيخ «شهاب الدين المتول».

وقد سئل الشيخ «محيي الدين» مرة عما يعنيه بقوله:

يا من يراني ولا أراه كم ذا أراه ولا يراني فأضاف على الفور شطرتين إلى هذا البيت، تجعلان معناه مقبولاً لدى الكافة، لا يجدون فيه مطعنا، فقال:

يا من يراني مجرما ولا أراه آخذا

كم ذا أراه منعوما لا يراني لائذا ولست أستطيع في هذا المقام أن أصف «ابن العربي» بعبارة أبلغ من العبارة التي استطاع «جويينو» بما امتاز به من إدراك عميق للعقلية الشرقية، أن يكتبها عن فيلسوف آخر متأخر هو ال «ملا صدرا» فإن كلماته عن هذا الفيلسوف تنطبق تماما على الشيخ «محيي الدين» وأضرابه، قال «١»:

«إن عنايته بتعمية أحاديثه أوجبت عليه أن يعمي كتبه أيضا، ومن أجل ذلك فإن قارئها يخرج منها بفكرة غير كاملة عن تعاليمه. خاصة من يقرأها» «دون أن يستعين بخبير يعرف أسرارها ويملك ناصيتها؛ فأما إذا تهيأ له ذلك فإنه» «ينفذ إلى قراراتها دون مشقة أو تعب. وقد توارث تلاميذه جيلا بعد جيل» «أفكاره الحقيقية، وأصبح لديهم مفتاح اصطلاحاته، ولكنهم لم يستخدموه» «اللافصاح بل استخدموه للاهتداء والاسترشاد. وأكدت التفسيرات التي» «تناقروها فيما بينهم قيمة كثير من مؤلفات هذا الأستاذ، و بينت كيف تركت» «فيها وقت تأليفها متعة مجتمع ينتشى بالجدل، تستهويه المعارضة الدينية»

(١) أنظر:

Gobineau: Les Religions et les Philosophes dans l'Asie Centrale. Paris ١٨٦٦ p. ٨٨ تاريخ الأدب

في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٦٣٦

«و يتعشق الآراء الجريئة التي يتداولها سرا، و يتحمس كثيرا للمموهات الرائعة» «و الأباطيل البارعة».

كتاب فصوص الحكم:

قلما يصادف المرء كتاب «فصوص الحكم» دون أن يكون مقرونا بالشروح والتعليقات ولكن من المشكوك فيه أن يستطيع أحد - برغم وجود هذه الشروح وكثرتها - أن يفهم أفكاره ومعانيه... اللهم إلا إذا استعان على ذلك بواحد ممن قدر لهم أن يعيشوا في هذه الأودية الفكرية التي عاش فيها مؤلف هذا الكتاب واستطاع أن يستمد من ثناياها كل ما امتاز به من نشاط ذهني وفكري ولست أعرف صوفيا آخر من متصوفة المسلمين يفوق «الشيخ محيي الدين» من حيث تأثيره و غزارة إنتاجه و غموض معانيه... اللهم إلا إذا استثنينا «جلال الدين الرومي».

ولم يتهيأ لأحد في أوروبا حتى اليوم أن يدرس جميع مؤلفاته و يبين مذهبه دراسة وافية كافية؛ ولكن الفرصة ما زالت مهيأة و سانحة لأصحاب الطموح ممن يشتغلون بالعربية و يعنون بهذا النوع من خصائص الفكر الشرقي.

ولا يتسع موضوع هذا الكتاب، الذي خصصناه أساسا للأدب الفارسي، للافاضة في الحديث عن رجل لا تربطه بإيران إلا صلة واحدة محصورة في الأثر الذي أحدثته كتاباته فيها حتى اليوم. و لكننا نكتفي بأن نقول بأن «فخر الدين العراقي» كان من أشهر شعراء الفرس و كتابهم المتصوفين الذين وقعوا تحت تأثيره مباشرة، فقد اعتاد أن يلزم مجالس «صدر الدين القونوي» عندما كان يشرح مؤلف أستاذه العتيدي «فصوص الحكم» فاستوحى منه موضوع كتابه القيم «اللمعات» الذي أصبح بدوره في نهاية القرن التاسع الهجري (نهاية الخامس عشر الميلادي) موضوعا لتفسير مفصل وضعه عليه «الملا نور الدين عبد الرحمن الجامي» بعنوان «أشعة اللمعات».

وقد قابله شاعر فارسي آخر ممن اشتهروا بين شعراء الفرس هو «أحمد الدين الكرمانى» و ظل يرافقه مدة حتى أصبح من الضروري أن نقرر أنه تأثر به

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٦٣٧

بعض الشيء. و قد أصبحت أميل إلى القول بأننا إذا تعمقنا في دراسة عقلية الجيل التالي من صوفية الفرس، و هم الذين سنتناولهم بالبحث في مطلع المجلد التالي من مجلدات هذا الكتاب، اتضح لنا بجلاء أن أى شخص من الأشخاص (باستثناء جلال الدين الرومي) لم يستطع أن يؤثر في تفكير من تبعوه بقدر ما أثر «شيخ الأندلس الأكبر» في تفكير خلفائه.

و فيما يلي مثل من أشعاره منقول عن كتاب «نفع الطيب» للمقرى «١».

حقيقتي همت بهاو ما رآها بصرى

و لو رآها لعداقتيل ذاك الحور

فعدما أبصرتهاصرت بحكم النظر

فبت مسحورا بهاأهيم حتى السحر

يا حذرى من حذرى لو كان يغنى حذرى

و الله ما هيمنى جمال ذاك الخفر

فى حسنهما من ظبية ترعى بذات الحمر

إذا رنت أو عطفت تسيى عقول البشر

كأنما أنفاسها أعراف مسك عطر

كانها شمس الضحى في النور أو كالقمر
إن أسفرت أبرزها نور صباح مسفر
أو سدلت غيبتها سواد ذاك الشعر
يا قمرا تحت دمي خذي فوادى و ذرى
عيني لكى أبصرك إذ كان حظى نظرى

(١) أنظر «نفع الطيب» طبع القاهرة سنة ١٣٠٢ هـ. ج ١ ص ٤٠٠

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٣٨

ابن الفارض:

نعرض بعد ذلك للحديث عن «ابن الفارض»، واسمه الكامل هو «شرف الدين أبو حفص عمر» وليس له كباين العربي علاقة مباشرة بإيران و لكننا نتناوله بالحديث لأنه كان من أشهر شعراء الصوفية المسلمين و أنهمم ذكرا و أكثرهم نبوغا. و من الواجب علينا أن نؤكد كل ذلك عنه لأن الرأي السائد في أوروبا يميل إلى الاعتقاد بأن مذهب الصوفية هو نتاج فارسى أو آرى خالص، و هو رأى معيب لا أقره بل أقول إنه لا يستقيم مع الواقع و حقيقة الأمر.

و يذكر كثير من المراجع أن «ابن الفارض» ولد بالقاهرة في سنة ٥٥٦ هـ - ١١٦١ م أو في سنة ٥٦٦ هـ - ١١٧٠ م و لكن «ابن خلكان» يذكر أنه ولد في الرابع من ذى القعدة سنة ٥٧٦ هـ - ٢٢ مارس ١١٨١ م.

و تحدر أسرته من مدينة «حماة» من بلاد الشام، و من أجل ذلك فقد نسبوه إليها فقالوا عنه «الحموى» كما نسبوه إلى مصر فقالوا «المصرى». و لم تكن حياته مليئة بالأحداث، و كل ما رواه أصحاب التراجم عنه عبارة عن بعض الأحداث التي لها طابع الكرامات، و قد اعتمدوا في روايتها على ابنه «كمال الدين محمد». و قد أمضى «ابن الفارض» شطرا كبيرا من شبابه في الخلوة في جبل المقطم بالقرب من القاهرة. و قد ترك والده قبيل مماته خدمة الحكومة و آثر الانقطاع إلى الله في الجامع الأزهر، فلما أدركته الوفاة أطل «ابن الفارض» أوقات عزله و لزوم الخلوة في جبل المقطم. ثم حرضه بقال عجوز، توسم فيه أنه ولي من أولياء الله أن يخرج للحج، فلبى «ابن الفارض» دعوته و خرج من القاهرة إلى مكة حيث أقام فترة من الزمن، لازمته خلالها دابة غامضة تدعوه عينا إلى امتطاء متنها في رحلاته و أسفاره. و قد ظل على هذه الحال كما يقول جامى في تفحاته (ص ٦٢٧) مدة خمس عشرة سنة ثم هتف به هاتف أن يعود إلى القاهرة ليكون إلى جوار البقال و هو يحضن على فراش الموت. و قد حكوا عن هذا البقال كثيرا من الكرامات كما حكوا بمناسبة جنازته كثيرا من الحكايات الغريبة المتعلقة بطيور الجنة الخضراء التي تسكنها أرواح الشهداء.

و قد بقى «ابن الفارض» بعد ذلك الوقت في مدينة القاهرة حتى أدركته الوفاة في

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٣٩

اليوم الثاني من جمادى الأول سنة ٦٣٢ هـ - ٢٣ يناير سنة ١٢٣٥ م

و لم يكن «ابن الفارض» غزير الانتاج كباين العربي. و لم ترد آثاره على مجموعة من الأشعار وصفها «ابن خلكان» بأنها عبارة عن «ديوان شعر لطيف» و بأن «أسلوبه فيه رائق ظريف ينحو منحى طريقة الفقراء». و قد أنشأ بالإضافة إلى أشعاره الأدبية جملة من الأشعار العامية التي تعرف باسم «المواليا» و ضرب «ابن خلكان» مثلا من أمثلة المواليا التي قالها في غلام صنعتها الجزيرة «١»، و هذا المثل قاذ في دلالة، لغرابية موضوعه، و لأنه شبيه في مضمونه برباعية أخرى مروية في كتاب «تاريخ غزيرة» للشاعرة الفارسية «مهستي» [بفتح الميم و سكون الهاء و فتح السين] أو «مهستي» [بفتح الميم و الهاء و سكون السين] أو «مهستي» [بفتح الميم و فتح الهاء و سكون السين].

و ابن الفارض شبيه بالشيخ، «محبى الدين» من حيث أنه رأى «النبي» في أحلامه و تبقى منه تعاليمه التي ضمنها أشعاره و قد قالوا إنه لم ينشئ شعرا لم يوح إليه به، و يقول «جامى» إنه ربما ظل في حاله وجد مدة أسبوع أو عشرة أيام لا يعي فيها شيئا مما حوله ثم يعود إلى وعيه فيملى ثلاثين بيتا أو أربعين بيتا أو خمسين بيتا أو ما يفتح الله عليه به أثناء غيوبته. و أشهر قصائده و أطولها هي تائته الكبرى التي تتضمن خمسين و سبعمائة بيت من الشعر. و يقول «اليافعى» أنه برز في وصف الخمر و العشق في أشعاره و أن ديوانه يتضمن كل النكات الدقيقة المتصلة بالزهد و الطريق و الحب و الحنين و الوصال و ما شابه ذلك من التعبيرات الفنية و العلوم الحقيقية المتعارف عليها في كتب مشايخ الصوفية. و إذا صدقنا ما رواه عنه ولده الشيخ «كمال الدين محمد» فإن ابن الفارض كان من حيث مظهره متناسق التركيب. يمتاز بطلعة جميلة

(١) المترجم: المواليا المنسوبة إلى ابن الفارض هي الآتية.

قلنو لجزار عشقتو كم تشرخنى قتلتنى، قال: دا شغلى، نوبختى!؟

و مال إلى، و باس رجلى، یرنخنى یرید ذبحى فینفخنى لیسلخنى ...!! أما الرباعية النسوبة إلى «مهستي» فهي الآتية.

هر كارد كه از كشته خود برگرد و اندر لب و دندان چو شكر گيرد

گر بار دگر بر كلوى كشته نهاد از ذوق لبش زندگى از سر گيرد

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٤٠

جذابة قد أشربت بحمرة، يزداد جمالها و بهاؤها متى دخل في حالة الوجد بعد سماعه للأذكار و التضمرات، فإذا بلغ هذه الحال فإن العرق يتصبب من جسده حتى يسيل تحت أقدامه. و يقرر «كمال الدين» بعد ذلك أنه لم ير من يشبه «ابن الفارض» جمالا لا بين العرب و لا بين العجم، و إنه أشبه الناس به.

و أحسن طبعه أعرفها من ديوان «ابن الفارض» هي تلك التي نشرها الشيخ «رشيد بن شالب الدحداح اللبناني» في مدينة باريس سنة ١٨٥٥ و قد صدرها بمقدمة للأب بارجيس Abbe Barges أستاذ العربية في جامعة السوربون. و قد اشتملت هذه الطبعة على أشعار «ابن الفارض» و كذلك على شرحين مطولين لهذه الأشعار: أولهما لغوى صرف و قد كتبه الشيخ «حسن البيرونى»، و الآخر يعنى بتفسير المعاني الباطنة و قد كتبه الشيخ «عبد الغنى التابلسى».

و فيما يلي قصيدة من قصائد «ابن الفارض» تبدو لي مثلا طيبا لأشعاره عامة و ما تمتاز به من جمال فائق ورقة باللغة «١»:

ما بين ضال المنحنى و ظلاله ضل المتيم و اهتدى بضلاله

و بذلك الشعب اليماني منية للصب قد بعدت على آماله

يا صاحبي هذا العقيق فقف به متوالها إن كنت لست بواله

و انظره عنى إن طرفى عاقنى إرسال دمعى فيه عن إرساله
و أسأل غزال كناسه هل عنده علم بقلبي في هواه و حاله
و أظنه لم يدر ذل صبايتى إذ ظل ملتها بجز جماله
تفديه مهجتي التي تلفت و لامن عليه لأنها من ماله
أتري درى أنى أحن لهجره إذ كنت مشتاقا له كوصاله
و أبيت سهرانا أمثل طيفه للطرف كى ألقى خيال خياله
لا ذقت يوما راحة من عاذل إن كنت ملت لقلبه و لقاله

(١) المترجم: أورد «براون» ترجمة هذه القصيدة بالإنجليزية و أما نحن فقد أوردناها بعينها.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٦٤١ فو حق طيب رضى الحبيب و وصله ما مل قلبي حبه لملاله
واها إلى ماء العذيب و كيف لي بحشاي لو يطفى ببرد زلاله
و لقد يجل عن اشتياقي ماؤه شرفا فواظمأى للامع آله *** و لما كان موقع الآداب العربية ثانويا بالنسبة إلى هذا الكتاب فمن العسير
علينا أن نفصل القول فيه عن هذا الشاعر النابى الذى تذكرنا قراءة كثير من أشعاره بهذه الصورة الفكرية و المعنوية التى ردها شعراء
الصوفية من الفرس. بل إننا نقرر أنه يفوق الكثير منهم قدرة و تنوعا و غنى بالتعبيرات.
و قد كتب كثير ممن تناولوا «الصوفية» بالدرس فوصفوها بأنها فى أساسها حركة آرية خالصة، و من أجل ذلك وجدت لزاما على أن
أؤكد الحقيقة الماثلة لى الآن، و هى أن اثنين من أكبر المتصوفين كانا من أصل غير آرى، و أقصد بهما «ابن العربي» و «ابن الفارض»
و ربما أضفنا إليهما ثالثا هو «ذو النون المصري».
ففى رأى صديقى المستر «ر. ا. نيكلسون» أن هذا الأخير هو أول من صاغ «الزهد» بنظرية «وحدة الوجود» و نظرية «الحب الإلهي» و
هما الفكرتان اللتان أصبحتا من أخص خصائص المتصوفة كما نعرف «١».

(١) المترجم: أحدث ما كتب عن ابن الفارض كتاب قيم أصدره الصديق الأستاذ الدكتور محمد مصطفى حلمى بعنوان «ابن الفارض
و الحب الإلهي» (طبع القاهرة فى ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م).
تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٦٤٢

الفصل التاسع شعراء العصر المغولى الأول

إشارة

١- فريد الدين العطار

٢- جلال الدين الرومى

٣- سعدي

٤- جماعة آخرون من صغار الشعراء

إذا كان «ابن الفارض» الذى تحدثنا عنه فى نهاية الفصل السابق، يعتبر بغير شك أكبر شعراء الصوفية لدى العرب، فإن «جلال الدين
الرومى» يفوز بهذه المرتبة العالية لدى الفرس. فهو صاحب الكتاب الصوفى الكبير المسمى ب «المنوى» و هو كذلك صاحب
مجموعة من الغزليات تعرف باسم «ديوان شمس تبريز».
و قد لاحظنا فيما سبق، أن «جلال الدين» يعتبر الشاعرين «سنائى» و «فريد الدين العطار» قديته و أستاذه فى إنشاد الشعر الصوفى، فإذا
أتينا الآن و قلنا إن هؤلاء الشعراء الثلاثة هم أهم دعاة المذهب الصوفى بين شعراء الفرس، فإننا نكون على حق فيما نقول. لأنه فى
مثل هذه الموضوعات يجب أن يكون الحكم النهائى لأهل اللغة أنفسهم، لأنه يصعب على الناقد الأجنبى أن ينصف فى حكمه كما
ينصف الناقد الذى تربطه بالشاعر صلة القرابة و اللغة. و لقد أحس أنا شخصيا عند قراءة «أشعار عراقى» بكثير من المتعة التى لا
أحسها عند قراءة أشعار «سنائى» و لكن ذلك لا يشفع لى فى أن أرتفع برأى الشخصى لأجعله فى عداد النظريات العامة المقررة.

١- فريد الدين العطار

[عدد تأليفاته]

«فريد الدين العطار» حاله كحال كثير من شعراء المشرق؛ لو أنه كتب أقل مما كتب، لاشتهر بين الخلق أكثر مما اشتهر، و لقرأ له الناس
أكثر مما قرأوا.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٦٤٣

فمن المعروف أن عدد مؤلفاته مساو لعدد سور القرآن أى ١١٤ مؤلف، كما يقرر ذلك «القاضى نور الله الششتري» فى كتابه «مجالس
المؤمنين» و لكن يبدو لى أن هذا العدد مبالغ فيه جدا لأنه لم يبق من مؤلفاته إلا قرابة ثلاثين مؤلفا، بعضها ليس فى أيدينا، و إنما
وردت إشارات عنه فى بعض كتاباته. و أهم هذه المؤلفات الكتب الآتية:

(أ) بندانامه: أى كتاب النصيحة، و هو كتاب صغير مجمل مليء بالمواعظ الأخلاقية، و قد طبع أكثر من مرة فى بلاد المشرق.

(ب) منطق الطير: و هو منظومة رمزية، نشرها مع ترجمة فرنسية «جارسان دى تاسى» Garcin de Tasy - فى باريس «١» سنة ١٨٥٧
و سنة ١٨٦٣.

(ج) تذكرة الأولياء: أو تذكرة الأولياء. و قد نشر الجزء الأول منه «المستر ر. ا. نيكولسون» R. A. Nicholson - فى مجموعة «الكتب
التاريخية الفارسية» التى أتولى بنفسى نشرها، أما الجزء الثانى فما زال تحت الطبع «٢».

و قد صدره بمقدمة قيمة بالفارسية صديقى الفاضل «ميرزا محمد بن عبد الوهاب القزوينى» معتمدا فى كتابتها على المعلومات
الموثوق بها التى جمعها من آثار الشاعر نفسه. و لما كانت هذه المقدمة هى أدق ما كتب عن العطار، و لما كانت للألسف لم تترجم
إلى الإنجليزية، فسأجعلها عمادى فيما أكتب عن هذا الشاعر فيما يلي من حديث.

حياة العطار:

إسمه الكامل «أبو طالب محمد» أو «أبو حامد محمد» و هو ابن «أبى بكر إبراهيم» ابن «مصطفى بن شعبان»؛ و يعرف عادة باسم «فريد

الدين العطار» و كلمة «عطار» معناها بائع العطر، و لكن «ميرزا محمد» يثبت بأمله وجدها في كتابه

(١) المترجم: نشر هذا الكتاب أكثر من مرة في إيران و له طبعه لا بأس بها في اصفهان سنة ١٣٥١ هـ.

(٢) المترجم: تم بعد ذلك طبع الجزء الثاني.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٤٤

«خسرونامه» و «أسرارنامه» أن هذه الكلمة لها معنى أوسع من ذلك، و يقول أنها أطلقت عليه لأنه كان يتولى الاشراف على دكان لبيع الأدوية حيث كان يزوره المرضى، فيعرضون عليه أنفسهم، فيصف لهم الدواء و يقوم بنفسه على تركيبه و تحضيره. و لقد تحدث عن نفسه في كتابه «مصيبت نامه» و «إلهي نامه» فذكر صراحة بأنه ألّفهما في صيدليته «داروخانه» التي كان يتردد عليها في ذلك الوقت خمسمائة من المرضى، كان يقوم على فحصهم و جس نبضهم، و يقول «رضا قلي خان» في كتابه «رياض العارفين» «١» أنه تعلم الطب على يدي «الشيخ مجد الدين البغدادي» و هو الشيخ الذي ذكرناه في نهاية الفصل السابق و أحد تلاميذ «الشيخ نجم الدين كبرى».

أما التفاصيل المتعلقة بحياة «العطار» فلا يصح منها إلا أخبار قليلة مذكورة في كتب التراجم. و قد كتب عنه «عوفي» و هو أقدم كتاب التراجم في كتابه «لباب الألباب» مقالة قصيرة جدا «٢» و وضعه بين الشعراء الذين اشتهروا بعد زمان السلطان «سنجر» أي بعد سنة ٥٥٢ هـ- ١١٥٧ م، و يؤيد هذا القول أننا نجد «العطار» نفسه يتحدث في قصائده عن «سنجر» باعتباره ميتا؛ كما يؤيده أيضا أننا نجد «اللباب» و هو مؤلف قطعا في سنة ٦١٧ هـ- ١٢٢٠ م يتحدث عن «العطار» باعتباره باقيا على قيد الحياة.

و قد ولد «العطار» كما يبدو من قطعة واردة في «لسان الغيب»، في مدينة «نيسابور» و أمضى بها ثلاثة عشر عاما من طفولته، التزم فيها ضريح الإمام «الرضا» ثم أكثر بعد ذلك من الترحال فزار «الري» و «الكوفة» و «مصر» و «دمشق» و «مكة» و «الهند» و «تركستان» ثم عاد فاستقر في مدينته الأصلية. و اشتغل تسعا و ثلاثين سنة من حياته في جمع أشعار الصوفية و أقوالهم، و أبي طوال حياته على حد قوله «أن يلوث موهبته الشعرية بإنشاد المدائح». و قد روى لنا أيضا في «أشترنامه: كتاب الجمل» بأنه رأى النبي في أحد أحلامه و أن النبي باركه كما حدث ذلك تماما ل «ابن العربي» و «ابن الفارض».

(١) لم يذكر لنا المصدر الذي اعتمد عليه في استقاء هذا الخبر.

(٢) أنظر «لباب الألباب» ج، ص ٣٣٧-٣٣٩.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٤٥

و من كتبه المتأخرة كتاب اسمه «مظهر العجائب» «١» و هو عبارة عن منظومة في مدح «علي ابن أبي طالب» و كان يلقب بهذا اللقب؛ و يقرر «ميرزا محمد» أن هذه المنظومة تمتاز بشيئين؛ أحدهما: امتلاؤها بالميول الشيعة الواضحة، و الآخر بضعف أسلوبها عن مستوى أساليب كتاباته الأخرى. و يبدو أن نشر «العطار» لهذه المنظومة كان سببا لإذاعة روح السخط و الغضب و التعصب لدى أحد الفقهاء السنيين من أهل «سمرقند» فإنه أمر بإحراق نسختها و انهم صاحبها بالإلحاد و أنه حقيق بالموت و الإعدام. ثم أمعن في الكيد له فاتهمه بالكفر لدى «براق الترماني» «٢» و حرض العامة على هدم منزله و الإغارة على أمعته. و اضطر «العطار» بعد ذلك إلى أن يرحل و يلجأ إلى «مكة» حيث ألف كتابه الأخير «لسان الغيب» و هو عبارة عن منظومة سقيمة اشتهرت كسابقها بركاكة العبارة مما يدل على أن الشاعر كتبها و قواه خائرة و عمره متقدم و إنه قارب الفناء. و مما يجدر بنا ملاحظته في هذا الصدد أن الشاعر شبه نفسه في هذه القصيدة ب «ناصر خسرو» الذي اضطر كما فعل «إلى أن يهجر العالم و يخفي نفسه كاليافوثة البدخشية» «٣» لكيلا يقع بصره على مضطهديه و وجوههم البشعة النكراء...!!!

موت العطار:

أما تاريخ وفاة وفاة الشيخ «العطار» فقد اختلفت فيه آراء أصحاب التراجم اختلافا كبيرا. فالقاضي «نور الله الششتري» يجعله في سنة ٥٨٩ هـ- ١١٩٣ م، و يجعله النسخة القديمة من «فهرست المخطوطات العربية المحفوظة في المتحف البريطاني» «٤» في سنة ٥٩٧ هـ- ١٢٠٠ م؛ فإذا اتينا إلى «دولت شاه» وجدناه

(١) المترجم: يكتبها الأستاذ براون بفتح الميم ولكنه بعد ذلك يقول أن هذه العبارة لقب عرف به «علي ابن أبي طالب» مما يقتضي

قرءتها بضم الميم

(٢) من سلالة «گورخان» و أحد أمراء خوارزم «خوارزمشاه» و قد فتح «كرمان» في سنة ٦١٩ هـ- ١٢٢٢ م.

(٣) المترجم: أحسن أنواع اليواقيت هو ما ينسب إلى «بدخشان».

(٤) أنظر ص ٨٤ من هذا الفهرست.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٤٦

يحدد وفاته «١» بسنة ٦٠٢ هـ- ١٢٠٥ م و لكن هذين التاريخين الأخيرين يتناقضان تماما مع الخبر الذي رواه «دولت شاه» في الصحيفة السابقة متعلقا بوفاة العطار على أيدي المغول أثناء غارتهم على مدينة «نيسابور» سنة ٦٢٧ هـ- ١٢٢٩ م.

و مع ذلك فإن «دولت شاه» يذكر تاريخا آخر يجعل فيه وفاة «العطار» في سنة ٦١٩ هـ- ١٢٢٢ م و هو يتفق في ذلك مع ما ذكره «تقي الدين كاشي». أما «حاجي خليفة» و «أمين أحمد رازي» فيجعلان وفاته في سنة ٦١٩ هـ و سنة ٦٢٧ هـ.

و يبدو لي أن هذا التاريخ الأخير هو أكثر التواريخ قبولا، و يؤيدني في ذلك ثمانية من أصحاب المصادر «٢» و لو أن «حاجي خليفة» يذكر تاريخا آخر لوفاة العطار هو سنة ٦٣٢ هـ- ١٢٣٤ م.

و يتضح من ذلك أن الفجوة الواقعة بين أسبق التواريخ المذكورة عن وفاة العطار و آخرها، هي فجوة لا يقل مداها عن ثلاث و أربعين سنة قمرية، و هذا الفرق الواضح يجعلنا نغير شك لائق في أقوال أصحاب التراجم المتأخرين، و يجعل لزاما علينا أن نلتمس أسانيد أخرى من أقوال الشاعر نفسه في كتاباته، فقد نستطيع بواسطة ذلك أن نقرب بين جانبي الهوة و نقصر مسافة الفجوة. و يؤكد بعض أصحاب التراجم أن «العطار» عاش إلى الرابعة عشرة بعد المائة من عمره، و لكن هذا القول لا يرتفع إلى مرتبة التصديق، و من المعروف أنه ذكر في إحدى قصائده بيتا يدل على أنه بلغ السبعين من عمره و جاوزها، و لكننا رغم ذلك لا نملك من الوسائل ما نستطيع بواسطته أن نحقق به مدى الفترة التي عاشها بعد السبعين. و يشير «العطار» في إحدى مثنوياته إلى ثورة «الأتراك الغز» في سنة ٥٤٨ هـ- ١١٥٣ م. و كذلك نجد في إحدى نسخ كتاب «منطق الطير» المحفوظة في المتحف البريطاني «٣» و كذلك في نسخة أخرى محفوظة في «إدارة الهند» قطعة شعرية تجعل تاريخ انتهاء الشاعر من نظمها هو «يوم الثلاثاء، اليوم العشرين من شهر

(١) أنظر ص ١٩٤ من كتاب «تذكرة الشعراء».

(٢) أغلب هؤلاء متأخرون، وقد قال عنهم «ميرزا محمد» أنهم يتابعون في ذلك كتاب «جامي» المعروف باسم «نفحات الأنس».

(٣) نسخة رقم ٢٢٧. ٥٢.١.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٤٧

الله سنة ٥٧٣ هـ - ١١٧٧ م» يضاف إلى ذلك أن «الطار» كان معاصراً للشيخ «مجد الدين البغدادي أو الخوارزمي» وأنه كان تلميذاً له كما ذكر ذلك «جامي» في «نفحات الأنس».

و ربما استقى «جامي» هذا الخبر مما ذكره الطار نفسه في مقدمته لكتاب «تذكرة الأولياء»^١، ومن المعروف أن الشيخ «مجد الدين» مات في سنة ٦٠٦ هـ أو سنة ٦١٦ هـ - ١٢٠٩ أو ١٢١٩ م، أما البرهان القاطع فموجود حقيقة في مقطوعة واردة في كتاب «مظهر العجائب» حيث يتحدث الشاعر عن الشيخ «نجم الدين كبرى» باعتباره ميتاً، وقد تحدثنا عن هذا الشيخ في الفصل السابق وقلنا أنه قتل على أيدي المغول أثناء غارتهم على خوارزم في سنة ٦١٨ هـ - ١٢٢١ م و بناء على ذلك يمكن أن تنتهي من هذه الأبحاث بتقرير أن «الطار» كان حياً في هذه السنة وأن مولده كان سابقاً على سنة ٥٤٥ هـ أو ٥٥٠ هـ - ١١٥٠ - ١١٥٥ م؛ وأنه لا دليل إطلاقاً على ما ذكره «جامي»^٢ من أن المغول قتلوه في سنة ٦٢٧ هـ - ١٢٢٩ م، ولا على ما ذكره «دولتशा» في مقال مفصل عن طريقته قتل وكيف حاول أن يخدعنا بحكايته الباطلة، فمدقق في ذكر تاريخ مقتله، بل وذكره على وجه التحديد فجعله في اليوم العاشر من جمادى الثانية سنة ٦٢٧ هـ - ٢٦ إبريل سنة ١٢٣٠ م حتى تصدق بذلك جميع ما يقول عنه. وهناك أخبار أخرى من هذا القبيل ترددها كتب التراجم المتأخرة، من بينها الخبر المروي عن توبته، وكذلك الخبر المروي عن إضفائه بركته على الطفل «جلال الدين» الذي أصبح فيما بعد مؤلف «المتنوى المعنوي»، وكذلك الخبر المروي عن المعجزة التي أظهرها بعد موته ليبرهن بها على قداسته و يلزم بذلك أحد منكريه!!! وفي رأيي أن مثل هذه الحكايات ما هي في الحقيقة إلا اختراعات من انتحالات «دولتशा» و اتباعه، وأنها غير جديرة بأن يلتفت إليها، ويمكن لمن يشاء الاطلاع عليها أن يرجع إلى ما كتبه «سير جور أوزلي»

(١) أنظر ج ١ ص ٦ طبع نيكولسون.

(٢) أنظر «نفحات الأنس» ص ٦٩٩

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٤٨

في كتابه عن «أخبار شعراء الفرس»^١

وأغلب آثار «الطار» لم تطبع حتى الآن إلا طباعة على الحجر في مدينة «لكنو» في سنة ١٨٧٢ م ولكن للأسف لا أملك نسخة من هذه الطبعة^٢، ويجب أن أقر في هذا المكان أنه ما زال ينقصنا كثير من الدراسات المستفيضة المتعلقة بمؤلفات «الطار» قبل أن نجرؤ على التحدث عنها ولو حديثاً إجمالياً. فإذا أضفنا إلى ذلك أنني أكتب هذا الفصل وأنا بعيد عن المكتبات العامة التي تشتمل على مخطوطات لأهم آثاره، فإني أكون معذوراً إذا اضطرت إلى أن أقنع نفسي بالاكتماء بابتداء ملاحظات قليلة عن أهم مثنوياته الصوفية وأوسعها شهرة، وأقصد بها مثنوية «منطق الطير»^٣، فقد أصبحت في متناول الجميع بفضل الطبعة الجميلة التي نشرها «جارسان دي تاسي». وقد استطاع هذا الأستاذ الفاضل أن يصدر مقدمته التي كتبها على ترجمة هذه المنظومة بقصيدة تألفت من أربعة وعشرين بيتاً نقلها عن النصب الذي أقيم على مقبرته في مدينة «نيسابور». ولكن يجب ملاحظة أن هذا النصب أقيم في زمن متأخر نسبياً أي في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، وقد أمر ببنائه السلطان «أبو الغازي الحسين» الذي كان حاكماً لخراسان من سنة ٨٧٣ هـ إلى سنة ٩١٢ هـ - ١٤٦٨ - ١٥٠٦ م مما يجعل فائدة الأشعار المنقوشة عليه قليلة القيمة، وما يوفر علينا الجهد الذي تنكفه في إظهار ما بها من سقم واضطراب.

منطق الطير:

«منطق الطير» عبارة عن منظومة رمزية تبلغ ٦٠٠ ر بيت. و موضوعها هو بحث الطيور عن الطائر الوهمي المعروف بالنعناء أو كما يسميه الفرس «سيعرغ»

(١) إرجع إلى:

Sir Gore Ouseley: Biographical Notices of Persian Poets London. ١٨٤٦, pp. ٢٢٦- ٢٤٣

(٢) المترجم: طبع أغلب هذه الآثار فيما بعد في إيران والهند ومصر والبلاد الأوربية الأخرى

(٣) ليس لدى من جديد أضيفه إلى ما سبق لي ذكره عن كتابه «تذكرة الأولياء» و «بندنامه».

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٤٩

و «الطيور» هنا ترمز إلى السالكين من أهل الصوفية، وأما «النعناء» فترمز إلى «الله الحق»، وتبدأ المنظومة كما هو العادة بجملته من المدائح في حمد الله ومدح الرسول والخلفاء الراشدين الأربعة مما يدل على أن «الطار» كان إلى وقت كتابة هذه المنظومة سنيا مؤمناً بسنيته. والجزء المتعلق بالحكاية نفسها يبدأ بالبيت ٥٩٣ من المنظومة نفسها وهو يشتمل على خمسة وأربعين مقالا. تنتهي بخاتمة. وتبدأ القصة بتوجيه الخطاب والترحيب بثلاثة عشر طائراً يتعقد بهم المجلس، فيقررون أنه لا بد لهم من أن يخضعوا أنفسهم لواحد منهم يجعلونه مرشداً لهم أثناء بحثهم عن النعناء حتى يوفقوا إلى العثور عليها. ثم يختارون «الهدهد». والهدهد (كما هو معروف) مشهور جداً بين المسلمين لأنه كان رسول «سليمان» إلى «بليقيس» ملكة سبأ. و يأخذ «الهدهد» في مخاطبتهم بحديث طويل ينتهي بهذه الأبيات التي يتمثل فيها تجلي النعناء وظهورها^١:

ابتدأ كار سيعرغ أي عجب جلوه گر بگذشت در چین نيمشب

در میان چین فتاد از وی پری لاجرم پرشور شد هر كشوری

هر کسی نقشی از آن پر برگرفت هر كه دید آن نقش كاری در گرفت

هست آن پر در نگارستان چین اطلبوا العلم و لو بالصين بين

گر نگشتی نقش پر او عيان اين همه غوغا نبودى در جهان

چون نه سر پيداست وصفش را نه بن نيست لايق بيش ازین گفتن سخن^٢ و معنى هذه الأبيات بالعربية:

- ابتداء أمر النعناء يا للعجب العجائب إنها اجتازت بديار الصين في نصف الليل مجلولة الإهاب!!!

(١) المترجم: الأبيات الفارسية غير مذكورة في الأصل.

(۲) المترجم: فی نسخه اصفهان المطبوعة فی سنة ۱۳۵۱ هـ بیت آخر یسبق هذا البیت الآخر و نصه:

اینهمه آثار صنع از فر اوست نقشها جمله ز نقش پر اوست و معناه:

- آثار الإبداع جميعها وليدة عظمتها، و جميع الكائنات صورة من ريشته.

تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الی السعدی/ تعریب، النص، ص: ۶۵۰ - فسقطت ريشة من ريشها فی وسط بلاد الصين فامتلات بالصخب و الجلبة ديار العالمين ...!!

- فتوهم كل واحد صورة هذه الريشة الفريدة، فأما من رآها من الناس ... فقد تعلق بها فی لحظة وحيدة ...!!

- و هذه الريشة ... كائنه فی معبد تصاویر الصين فاطلبوا العلم و لو بالصين، كما قال سيد المرسلين ...!!

- و لو لم تجعل نقوش هذه الريشة واضحة للعيان، لما وجد فی هذا العالم صخب تدوی به الأركان ...!!

- و وصف هذه الريشة لا بداية له و لا انتهاء فمن الخير أن نجمل الحديث عنها و لا نكثر الأقوال و الآراء ...!! و لم تكذ أنواع الطيور تصمم على الوصول إلى «العنقاء» حتى عادت فوجدت الطريق إليها طويلة متعبة، فأخذ كل طائر منها يلتبس لنفسه عذرا من الأعذار، فاعتذر «البلبل» بأنه مشغول بحب الورد الضعيف، و اعتذرت «البيغاء» بأن جمالها جعلها للأفئاص أسيرة، و اعتذر «الطاووس» بادعاء الخجل و التواضع لافتران اسمه بقصة إخراج آدم من الجنة، و اعتذرت «البطة» بعدم استطاعتها البعد عن الماء؛ و اعتذرت «الخجولة» بأنها لا تستطيع البعد عن الجبال و الأودية؛ و اعتذرت «الجمعة» بعدم استطاعتها مغادرة البحيرات الصافية؛ و اعتذرت «الجمعة» بعدم استطاعتها مغادرة الأماكن الخربة التي اعتادت أن ترتاها، و أبدى طائر ال «هما» إعجابته بقدرته على منح الملوك ألقابهم «ال» و اعتذر «الصقر» بأنه لا يستطيع أن يترك مكانه الممتاز على أكف الملوك، و اعتذرت «الصعولة» بأنها ضعيفة هزيلة يقبدها الوهن و السقم ...!!

و جميع هذه الأعذار ترمز إلى الأعذار التي يبيديها الآدميون عندما يقعدون عن التماس عالم الروح و يعجزون عن المضى فيه، و قد أخذ «الهدهد الحكيم» يجيب عليها واحدا واحدا و يمثل بطائفة من الحكايات للتدليل على آرائه و أفكاره

(۱) المترجم: طائر الهمما طائر وهمي، تجري الأساطير أنه إذا وقع على أحد أصبح ملكا.

تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الی السعدی/ تعریب، النص، ص: ۶۵۱

ثم يأخذ «الهدهد» بعد ذلك فی وصف الطريق الخطرة التي يجب على الطيور اجتيازها حتى يصلوا إلى ال «سيمرغ»، و يعرض أثناء ذلك إلى حكاية طويلة تتعلق بالشيخ «صنعان» الذي أغرم بفتاة مسيحية غراما شديدا، و عرف الفتاة حبه لها فأمعت فی غيها و تيهها، و اضطرت إلى إطعام خنازيرها، مما جعل أصدقائه و تلاميذه يتكفرون له و ينكرونه. و تقرر الطيور عند ذلك أن تخرج فی رحلة بقيادة «الهدهد» للبحث عن ال «سيمرغ» و لكنها سرعان ما تلتبس الأعذار أو تقيم العقبات حتى يأخذ «الهدهد» من جديد فی الإجابة على أعذارها مؤيدا إجابته بطائفة من الحكايات و النكات. و هنا نجد تفاصيل هذه الأعذار التي ذكرها اثنان و عشرون طائرا مقترنة بإجابة «الهدهد» على كل واحد منها. ثم تأخذ بقية الطيور فی سيرها للبحث عن ال «سيمرغ» حتى إذا سلكت «أودية السلوك السبعة» و مرت على التوالي ب «وادي الطلب» و «وادي المشق» و «وادي المعرفة» و «وادي الاستغناء» و «وادي التوحيد» و «وادي الحيرة» و «وادي الفقر و الفناء» و استطاعت بمجاهداتها الطويلة أن تظهر من أدران النفس و الجسد، و وجدت فی النهاية طلبتها أي «السيمرغ» و حققت وجوده و وجودها. و الأبيات التي تمثل لنا هذه النهاية أبيات عجيبة، تمثل لنا تمثيلا حسنا فكرة الصوفية المتعلقة ب «الفناء فی الله» و فيما يلي ترجمة حرفية لواحد و عشرين بيتا منها «ال»:

(۱) المترجم: فيما يلي نص هذه الأبيات نقلا عن نسخة «اصفهان» سنة ۱۳۵۱.

جان آنرغان ز تشوير و حياشد فناى محض و تن شد توتيا

چون شدند از كل كل پاك آنهمه یافتند از نور حضرت جان همه

باز از سر بنده نوجان شدند می ندانستند این تا آن شدند

کرده و نا کرده دیرینه شان پاك گشت و محو شد از سینه شان

آفتاب قریب از ایشان بتافت جمله را از پرتو آن جان بتافت

هم ز عکس روی سیمرغ جهان چهره سی مرغ دیدند آن زمان

چون نگه کردند آن سی مرغ زودیشک این سی مرغ آن سیمرغ بود

در تحیر جمله سرگردان شدند این ندانستند تا خود آن شدند

خویشرا دیدند سیمرغ تمام بود خود سیمرغ سی مرغ تمام

چون سوی سیمرغ کردند نگاه بود خود سی مرغ در آن جایگاه

ور بسوی خویش کردند نظر بود این سی مرغ ایشان آن دگر -

تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الی السعدی/ تعریب، النص، ص: ۶۵۲ - و أصبحت روح تلك الطيور بما أصابها من عناء و حياة فناء محضا ... كما أصبحت أجسادها هباء ...!!

- فلما تطهرت من «كل الكل» جميعها على السواء ظفرت بالروح و الحياة ثانية من نور الله ذى البهاء ...!!

- و عادت ثانية فأصبحت خدما تجددت فيهم الأرواح و لم يعلموا بذلك حتى أصبحوا على هذه الحالة من الفلاح ...!!

- و انمحي ما صنعوه ... و ما لم يصنعوه ... فى أيامهم الأخيرة و انمحي عن صدورهم كل ما اقترفوه من جريرة ...!!

- و أضاءت شمس القرب من عندهم فى جلاء و بهاء فاستارت أرواح جميعا بما لها من ضياء ...!!

- و انعكست صورة هذا «السيمرغ» فى هذا الأوان ... فبذت صورة «التلاتين طائرا» ... و رأوها فى هذا الزمان ...!!

- فلما نظر فى عجلة هؤلاء الطيور التلاتين [سى مرغ] ... كان أمامهم جميعا طلعة «السيمرغ» الأمين ...!!

- فدارت رؤوسهم جميعا و ظلوا فى حيرة و اضطراب ... و لم يدروا بذلك حتى أصبحوا فيما هم فيه من أمر عجاب ...!!

ور نظر در هر دو کردندى بهم هر دو يك سيمرغ بودى بيش و كم

بود این يك آن و آن يك بود این در همه عالم كسى نشود این

آنهمه غرق تحیر ماندند بی تفكر در تفكر ماندند

چون ندانستند هيچ از هيچ حال بيزبان کردند از آنحضرت سؤال

كشفت ابن سر قوی درخواستحل مائی و تویی درخواستند
بیزبان آمد از آنحضرت جواب کایته است آنحضرت چون آفتاب
هر که آید خویشتن بیند در اوجان و تن هم جان و تن بیند در او
چون شما سی مرغ اینجا آمدیدسی در این آینه پیدا آمدید
گر چل و پنجاه و شصت آید باز پرده از خویش بگشایند باز
گر چه بسیاری بسر گردیده آیدخویشرا دیدید و خود را دیده آید

تاریخ الادب في إيران من الفردوسی الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٥٣ - و ظنوا أنفسهم ال «سيمرغ» بلا- اختلاف .. و ظن ال «سيمرغ» نفسه الثلاثين طائرا [سی مرغ] في ائتلاف ...!!- فلما نظروا إلى ال «سيمرغ» و أعتوا النظر كان في مكانه ثلاثون طائرا [سی مرغ] يقع عليهم البصر ...!!- فلما نظروا إلى أنفسهم ... و أعتوا فيها التدقيق ... كانوا الثلاثين طائرا [سی مرغ] و كانوا «السيمرغ» على التحقيق ...!!- فلما نظر الطرفان كل منهما إلى الآخر ... كان كلاهما هو «السيمرغ» بغير زيادة أو قصر ...!!- فكان هذا هو ذاك بعينه ... و كان ذاك هو هذا بعينه ... فهل سمع بهذا أحد في العالم .. أو أصغى إليه بأذنه ...؟!- فبقوا جميعا في تعجب و اضطراب و تحير ... و ظلوا جميعا ... من غير تفكير ... يديمون التفكير ...!!- فلما لم يعرفوا شيئا قط عن هذه الحال .. أخذوا بغير لسان يسألون هذه «الحضرة» عن هذا الأمر المحال ...!!- و طلبوا كشف هذا السر الخفي المكين ... و حل اللطاسم عما تكون نحن ؟ و ما تكونون ...!!- فأجابت هذه «الحضرة» بغير مقال أو لسان ... إنها كالشمس مرآة ذات ضياء و لمعان ...!!- و كل من يقبل عليها يرى نفسه ظاهرا في صفحاتها ... و يرى الروح روحا ... و الجسد جسدا في لوحها ...!!- فلما أتيتم إليها ثلاثين طائرا على نظام ... ظهرت تم فيها ثلاثين طائرا في انتظام ...!!- و لو أتى إليها أربعون ... أو خمسون ... أو ستون ... لكشفوا كذلك الحجاب الذي يحجبهم أجمعين ...- و لو أضيفتم إلى أنفسكم أكثر من ذلك بكثير ...!! لرأيتم أنفسكم .. و لما رأيتم غير أنفسكم .. و هذا أمر يسير ...!! تاريخ الادب في إيران من الفردوسی الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٥٤

٢- جلال الدين الرومي

اشارة

اسمه «جلال الدين محمد» و لكنه اشتهر فيما بعد بلقبه الذي عرف به و هو «مولانا جلال الدين الرومي» نسبة إلى بلاد الروم أو آسيا الصغرى حيث قضى الشطر الأكبر من حياته. و هو يعتبر- بغير شك- أشهر شعراء الصوفية الذين أخرجتهم إيران؛ كما أن كتابه الصوفي المعروف باسم «المثنوي» جدير بأن يوضع في صف الملاحم الكبرى التي جاد بها الزمان.

حياة جلال الدين

ولد «جلال الدين» في مدينة بلخ في خريف سنة ٦٠٤ هـ - ١٢٠٧ م. و لم يكده يمضي وقت طويل على ولادته حتى اضطرب والده «محمد بن الحسين الخطيبى البكرى» المعروف عادة باسم «بهاء الدين ولد» إلى الرحيل عن موطنه و الهجرة غربا نتيجة للاضطهاد الذي لقيه من «علاء الدين محمد خوارزمشاه»- كما تذكر القصة المعروفة- و سار الوالد حتى اجتاز مدينة «نيسابور» في سنة ٦٠٨ هـ - ١٢١٢ م و زار هنالك الشيخ «فريد الدين العطار» و يقال أن هذا الشيخ أخذ الطفل «جلال الدين» بين ذراعيه و بشره بمستقبل عظيم ثم باركه و أعطاه نسخة من منظومته «إلهي نامه». ثم انصرف المهاجرون عن «نيسابور» فرحلوا إلى «بغداد» ثم إلى «مكة» و خرجوا من هنالك إلى مدينة «مطليه» حيث أقاموا أربع سنوات، ثم غادروها إلى مدينة «الارنده» التي تعرف الآن باسم «قرمان» فأقاموا بها سبع سنوات ثم غادروها إلى مدينة «قونية» التي كانت في ذلك الوقت عاصمة للحاكم السلجوقي «علاء الدين كيقباد» و هنا يستقر بهم المقام و يموت «بهاء الدين» و ولد «جلال الدين» في سنة ٦٢٨ هـ - فبراير سنة ١٢٣١.

و كان «جلال الدين» و هو في مدينة «الارنده» قد قارب الواحد و العشرين من عمره؛ فتزوج هنالك فتاة اسمها «جوهر خاتون» ابنة «اللا شرف الدين لسمرقندی». و قد أنجبت له ولدين؛ أحدهما «علاء الدين» و الآخر «بهاء الدين سلطان ولد». فأما أولهما فقد قتل في مدينة «قونية» أثناء الفتنة التي حدثت بها و قتل خلالها «شمس الدين التبريزي» الذي يعتبر المرشد الروحي ل «جلال

تاريخ الادب في إيران من الفردوسی الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٥٥

الدين الرومي»؛ و أما الآخر أى «بهاء الدين سلطان ولد» فقد ولد في سنة ٦٢٣ هـ - ١٢٢٦ م و فاز بشهرة عريضة لأنه يعتبر صاحب أول منظومة ما زالت في أيدينا من أمثلة الأشعار التركية الغربية المبكرة، و تقصد بها مثنويته المعروفة باسم «رباب نامه» التي تشتمل على ١٥٦ بيتا، و قد استطاع المرحوم «إ. ز. و. جب» أن يترجم نظما إلى الانجليزية شطرا كبيرا من هذه المثنوي و أن يترجم كذلك طائفة من «الغزليات» التي أنشأها صاحبها، و أضاف إلى هذه الترجمات كثيرا من التفاصيل المتعلقة بهذه الأشعار، و كثيرا من الأخبار المتعلقة بناظمها و بوالده «١».

و يبدو أن «جلال الدين» فقد زوجته الأولى فتزوج بعد وفاتها زوجة أخرى أنجبت له طفلين آخرين أحدهما ذكر و الآخر أنثى. فلما كانت سنة ٦٧٢ هـ - ١٢٧٣ م توفي «جلال الدين» و دفن في نفس الضريح الذي ضم رفاة والده، و هو الضريح الذي شيده في سنة ٦٢٨ هـ - ١٢٣١ م سلطان «قونية» «علاء الدين كيقباد السلجوقي» «٢».

و يخيل إلى أن «جلال الدين» ظل يدرس العلوم المتعارف عليها مع والده حتى أدرته الوفاة في سنة ٦٢٨ هـ - ١٢٣١ م ثم رحل بعد ذلك إلى «حلب» و «دمشق» طلبا لاستيفاء الدرس و التحصيل، فتلقى هنالك بواحد من تلاميذ أبيه هو «الشيخ برهان الدين الترمذی» و درس عليه «أسرار الطريقة» فلما توفي هذا الشيخ انتقل إلى الشيخ «شمس الدين التبريزي» المعروف باسم «شمس تبريز» فتلقى عليه تعاليمه الصوفية. و يصف «نيكلسون» هذا الشيخ بأنه «شخصية غامضة تندثر ببلاد أسود خشن، تضوى لحظة قصيرة على مسرح الحياة ثم تختفي فجأة و في سرعة فائقة» «٣» و يقال عن هذا الشيخ العجيب بأنه من أبناء «جلال

(١) أنظر:

E. J. W. Gibb: History of Ottoman Poetry, vol. I, pp. ١٦٣- ١٤١.

[المترجم: طبع «ديوان سلطان ولد» في استانبول سنة ١٣٥٨ هـ - ١٩٤١ م ضمن «الآثار المولوية في أدوار السلجوقية»].

(٢) للاطلاع على وصف هذا الضريح إرجع إلى الفصل العاشر من كتاب: Cl. Huart: Konia, la ville des Derviches.

(Tourneurs.) Paris ١٨٩٧ (pp. ١٩٤- ٢١١).

(٣) إرجع إلى ص ١٨ من مقدمة كتاب «غزليات مختارة من ديوان شمس تبريز» R. A. Nichol son: Selected Odes

from the Diwan- i- Shamsi- Tabriz تاريخ الادب في إيران من الفردوسی الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٥٦

الدين» الملقب بلقب «نومسلان» الذي كان زعيماً «للحشاشين»، ثم انقلب عليهم بسبب غيرته على الإسلام، كما تحدثنا عن ذلك فيما سبق من صفحات «٢» وقد اشتهر «شمس تبريز» بكثرة تغلاته و سرعته تجولاته بحيث لقيه بلقب «برنده» أي «الطائر» و يصفه «ردهاوس»

Redhouse

«٣» بأنه «شخصية عاتية مسيطرة» و لكن «سبرنجر» Sprenger يقول على عكس ذلك «إنه فظ غليظ القلب مكروه الطباع» أما «نيكلسون» Nicholson فقد أجاد في إجمال صفاته في عباراته التي قال فيها: «إنه كان إلى حد ما أمياً، ولكنه امتاز بحماس روي شديد، مصدره الفكرة التي استولت عليه فجعلته يتخيل إنه مبعوث العناية الإلهية، وقد استطاع بواسطة ذلك أن يسيطر على كل من قدم عليه أو دخل في مجلسه. و هو من هذه الناحية و من نواح أخرى تتصل بجه المتقد، و فقره المدقع، و موته العنيف، شبيه كل المشابهة بالفيلسوف «سقراط» فكلاهما استطاع أن يفرض نفسه على أذكيا الناس بقدرته على تصوير أفكارهم البسيطة في تعبير في رائع، و كلاهما استطاع أن يكشف لنا عن غنط العلوم الظاهرة، و عن شدة حاجتنا إلى التقف و التور و عن قيمة الحب في حياتنا، و أن الانفعالات الشاردة و التجديبات الجاهلة للقوانين الإنسانية إنما تؤدي إلى فقد «الاتزان العقلي» و «السمو الأخلاقي» اللذين هما مقياس التمييز بين الحكيم و المرید «٥».

و يقول «شمس الدين أحمد الأفلاكي» في كتابه «مناقب العارفين» «٦» إن «جلال الدين» تعرف إلى هذه الشخصية الغامضة في مدينة قونية في شهر رجب ٦٤٢ هـ ديسمبر سنة ١٢٤٤ م و كان قبل ذلك قد رآه في دمشق و لكنه لم يتحدث معه، ثم

(١) المترجم: بمعنى «المسلم الجديد».

(٢) ارجع إلى ص ٥٧٨ من هذا الكتاب.

(٣) أنظر ص ١٠ من المقدمة التي كتبها و ألحقها بترجمته الانجليزية للكتاب الأول من «المنثوي».

(٤) أنظر: ٤٩٠: Sprenger ; Catalogue of the Oudh Mss. p.

(٥) أنظر ص ٢٠ من مقدمته لكتاب Selected Odes etc

(٦) ترجم منه جزء كبير نشر بعنوان Acts of the Adepts في مقدمة الترجمة المنظومة التي نشرها «دهاوس» للكتاب الأول من «المنثوي».

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٥٧

ازدادت صلته به و استمرت الألفة بينهما مدة تقرب من خمسة عشر شهراً، انتهت فجأة في ذي القعدة سنة ٦٤٤ هـ - مارس سنة ١٢٤٦ م بمقتل «شمس تبريز» كما أشرنا إلى ذلك من قبل، و يقول «أفلاكي» بالإضافة إلى ذلك أن «جلال الدين» قرر تخليداً لذكرى صديقه القليل أن يرتدى اتباعه «الزى المولوي» المكون من القلنسوة الطويلة المصنوعة من اللباد البني و من العباءة السوداء القفصاضة؛ و هو الزى الذي ما زال دراويش المولوية يرتدونه حتى الآن «١» كما قرر عليهم أيضاً هذه الرقصات الدائرة التي جعلتهم يعرفون لدى الأوروبيين باسم «الدراويش الرافضيين» و مع ذلك فقد ذكر «أفلاكي» في صفحات تالية من كتابه (ص ٢٧- ٢٨) أمورا أخرى عزى إليها سبب فرض الغناء و الرقص على هؤلاء الدراويش

و لا يعرف على وجه التحقيق التاريخ الذي بدأ فيه «جلال الدين» نظم مؤلفه الصوفي الكبير «المنثوي المعنوي» و هو عبارة عن «منثوية» تشتمل على ستة كتب «٢» تتضمن في مجموعها - كما يقول «أفلاكي» - ٦٦٠ ر ٢٦ بيتا عن الشعر، و المعروف أن «جلال الدين» بدأ ينظم الكتاب الثاني من المنثوية في سنة ٦٦٢ هـ - ١٢٦٣ م بعد سنتين من فراغه من نظم الكتاب الأول، لأنه شغل في هذه الفترة بوفاء زوجة تلميذه المقرب و كاتبه الخصوصي «حسن حسام الدين» و على ذلك يمكن أن نقرر مطمئنين أنه فرغ من نظم الكتاب الأول في سنة ٦٦١ هـ - ١٢٦١ م و لكن لا حيلة لنا إلى تحديد الفترة التي استغرقها نظمه، و إن كان من المحتمل أنه بدأ بعد فترة طويلة من مقتل «شمس تبريز» و أنه لم يبنه من سائر الكتاب إلا في سنة ٦٧٢ هـ - ١٢٧٣ م حينما أدركته الوفاة. «٣» و من المحتمل أيضاً أن تأليف هذا الكتاب استغرق فترة تزيد على عشر سنوات. و يبدأ كل جزء من الأجزاء الخمسة الأخيرة من الكتاب بنصيحة يوجهها المؤلف إلى حسن حسام الدين بن

(١) المترجم: اختفى هذا الزى الآن بسبب إلغاء تكايا المولوية في ١٩٤٤؟ ثم في مصر.

(٢) قد يقابل الباحث كتابا سابقا، و لكنه بغير شك منتحل و قد طبع هذا الكتاب السابع على الحجر في بلاد الشرق.

(٣) مات «جلال الدين» على وجه التحديد في مغرب يوم الأحد ٥ جمادى الآخر سنة ٦٧٢ هـ - ١٦ ديسمبر سنة ١٢٧٣ م. أنظر أيضا كتاب «ردهاوس» ص ٩.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٥٨

أخي ترك» كما أن المؤلف لم ينس أن يذكر لنا في مقدمته المكتوبة باللغة العربية للجزء الأول بأنه أُلّفه استدعاء لهذا الحسن و استيحاء منه. و لما كنا نعرف أن هذا «الحسن» اشتغل كاتباً خاصاً ل «جلال الدين» بعد موت «صلاح الدين فريدون زر كوب» «١» في سنة ٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م فمن المحتمل أنه بدأ «المنثوي» بعد ذلك التاريخ مباشرة.

و نحن في غنى عن أن نفصل الحديث أكثر من ذلك فيما يتعلق بحياة «جلال الدين» و سيرته لأن أصدق الأخبار المروية عنه و أكثرها تفصيلاً يرويها لنا «أفلاكي» في كتابه «مناقب العارفين» و هو الكتاب الذي ترجم بعض فصوله الأستاذ «ردهاوس». و من الحق أن نعرف في هذا الصدد بأن أكثر الكرامات المروية في هذا الكتاب عن «جلال الدين» و أسلافه و أتباعه لا يمكن أن يتصورها العقل، كما أن هناك مواضع غير قليلة بها أخطاء تاريخية و موضوعية، و لكن ذلك جميعه لا يقلل من قيمة الكتاب إذا راعينا أن صاحبه بدأ تأليفه بعد خمس و أربعين سنة فقط من وفاة «مولانا جلال الدين» أي في سنة ٧١٨ هـ - ١٣١٨ م؛ و أنه انتهى منه في سنة ٧٥٤ هـ - ١٣٥٣ م؛ و أن صاحبه كان تلميذاً ل «جلال الدين» يعيش معه في مكان واحد، و يستقي أخباره من أوثق المصادر و أكثرها صحة و اعتماداً، بناء على أمر أحد أحفاد «جلال الدين» المسمى ب «چلبی أمير عارف» ابن «بهاء الدين سلطان ولد»

ديوان شمس تبريز:

أما أشعار «جلال الدين» الغنائية أو الغزلية فيتضمنها ديوانه المعروف باسم «ديوان شمس تبريز». و يقول «نيكلسون» أن «دولشاه» يقرر أن «جلال الدين» أنشأها في فترة غياب «شمس تبريز» في مدينة «دمشق»؛ بينما يقرر «رضا قلي خان» أن «جلال الدين» كتبها رثاء له بعد مقتله. و رأى «نيكلسون» الخاص (و هو أقرب الآراء من الصواب) هو «أن جزءاً من هذا الديوان قد تم إنشاؤه أثناء حياة

(١) «زركوب» كلمة فارسية معناها «دقاق الذهب».

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٥٩

«شمس تبريز» ولكن أكثره لم يتم إلا بعد موته بفترة من الزمن. وهو يضيف إلى ذلك: أن جلال الدين قد ألف أيضا رسالة منشورة عنوانها «فيه ما فيه» تشتمل على ثلاثة آلاف بيت وقد أهداها لشخص اسمه «معين الدين» حاكم الروم المعروف بلقبه «بروانه» (١).

قيمة المثنوي

و أشعار «المثنوي» و «الديوان» تعتبر من أرقى الأشعار، وقد تعارف أهل إيران على تسمية «المثنوي» بالقرآن البهولي و يقصدون بذلك القرآن الفارسي. كما أن صاحبه كتب في مقدمته العربية التي ألحقها بالكتاب الأول منه: «إن المثنوي هو أصل أصول أصول أصول الدين، في كشف أسرار الوصول واليقين، وهو فقه الله الأكبر، و شرع الله الأزهر، و برهان الله الأظهر، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، يشرق إشراقاً أنور من الإصباح، و هو جنان الجنان، ذو العيون والأغصان، منها عين تسمى عند أبناء هذا السبيل سلسيلا، و عند أصحاب المقامات و الكرامات خير مقاماً و أحسن مقيلاً، الأبرار فيه يأكلون و يشربون، و الأحرار منه يفرحون و يطربون، و هو كتيل مصر شراب للصابرين، و حسرة على آل فرعون و الكافرين، كما قال يضل به كثيراً و يهدى به كثيراً...».

و المثنوي منظوم برمته على وزن الرمل المسدس المحذوف، فتكرر تفعيلته «فاعلاتن» ست مرات في كل بيت من الأبيات، ولكنها في نهاية كل شطر تكون محذوفة التون أي «فاعلات». و كل بيت من الأبيات تنفي شطرته الأولى مع شطرته الثانية كما تدل على ذلك تسميته بالمثنوي. و هو يتضمن عدداً من الحكايات المتداولة تتعلق بمختلف الموضوعات و الأغراض؛ بعضها مليح متزن، و بعضها قبح مستهجن، و هي جميعها موزعة في مختلف الأبواب الصوفية أو الكشفية التي لا يفهم المقصود منها بسهولة و وضوح؛ أما الأجزاء القصصية من «المثنوي» فعلى العكس من ذلك مكتوبة في لغة بسيطة واضحة لا يشوبها إلا بعض الخسائص اللغوية و اللفظية. و يمتاز «المثنوي» بالإضافة إلى ذلك بأنه يبدأ مباشرة في الموضوع دون أن يصدر بالتصدير التقليدي المتعلق بمدح الله و الرسول و الأنبياء. فيبدأ «جلال الدين»

(١) المترجم: هذه الرسالة مطبوعة على الحجر.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٦٠

بالمقطوعة المشهورة الجميلة التي ترجمها الأستاذ المرحوم «إ. ه. بالمر» و نشرها بعنوان «أغنية الناي» (١) و هو كتاب صغير لم يقدر له أن ينتشر بقدر ما يستحق، و يتضمن ترجمات و منشآت منظومة مختلفة و لا يقتصر على ترجمة المنظومة الافتتاحية من المثنوي المعروف بـ «أغنية الناي» بل يتعداها إلى غيرها من الحكايات المذكورة في الكتاب الأول من المثنوي. و قد ترجمها «بالمر» بتصريف شديد، و لكنه استطاع مع ذلك أن يحتفظ بروحها و معانيها الأصلية بحيث يمكن أن اعتبرها من أروع الترجمات التي صادفها في نقل الأشعار الفارسية إلى اللغة الإنجليزية.

مترجمو جلال الدين إلى الإنجليزية:

و قد انفرد «جلال الدين الرومي» من بين سائر شعراء الفرس بعناية مترجمة من الانجليز. فبالإضافة إلى «أغنية الناي» التي ذكرناها فيما سبق، توجد ترجمة منظومة للكتاب الأول من المثنوي قام بها «السير جيمس ردهاوس Sir James Redhouse» و نشرها «تروبرنر Trubner» في المجموعة الشرقية (٢) التي تتضمن أيضاً بين أعدادها مجلداً آخر هو عبارة عن مختصر للمنظومة كلها يشتمل على مقتطفات منها ترجمها نثرا المستر «إ. ه. هونفيلد E. H. Whinfield» و قد استطاع هذا المترجم ترجمته لهذه المقتطفات و ترجمته التي قام بها لكتاب «گلشن راز» للشيخ «محمود الشبستري» أن يؤدي لنا أجل الخدمات لدراسة التصوف في إيران و تفسير نصوصه و متونه.

و لم يفت المترجمين الإنجليز النظر إلى ديوان «جلال الدين»، و في رأيي أن الكتاب الذي نشره «المستر نيكلسون» في كامبردج سنة ١٨٩٨ بعنوان «قصائد مختارة من ديوان شمس تبريز» (٣) مع نشر الأصل و الترجمة و إضافة المقدمات و التعليقات و الفهارس، يعتبر من أيدع الدراسات و أكثرها أصالة في هذا الموضوع

(١) أنظر: E. H. Palmer: Song of the Reed.

(٢) أنظر: Messrs Trubner; Oriental Series.

(٣) عنوان هذا الكتاب بالانجليزية هو: A - Selected Poems from the Divan i shams - Tabriz Cambridge ١٨٩٨.

١٨٩٨. تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٦١

فقد تمكن بواسطة خبرته و تخصصه من أن يفحص الصلات التي اعتقد و إياه إنها قائمة بين تعاليم «الصوفية المسلمين» و أصحاب «الأفلاطونية الحديثة» في الاسكندرية، و أن يبرهن على قيام هذه الصلات فعلاً. و قد أدى هذه الدراسة بقدره عجيبة كما تشهد بذلك مقدمته على «القصائد المختارة» و لكنه ما زال يتابعها و يكمل أبحاثها في مؤلفات أخرى و قد استطاع بنشره لكتاب «تذكرة الأولياء» من تأليف الشيخ «فريد الدين العطار» الحصول على كثير من المعلومات الجديدة المفيدة (١)، و هو يخبرني بأنه أصبح الآن يعيل إلى أن ينسب نشأة الناحية الفلسفية من مذهب التصوف إلى «ذو التون المصري» وحده، و لا شك أن هذا الرأي إذا ثبت صحته سيكون عظيم الخطورة و الأهمية لأنه سيرهن على وجود الحلقة المفقودة التي تربط «الصوفية» بـ «الاسكندرية الفلسفية» (٢). و وجود هذه الترجمات الكثيرة التي ذكرتها في متناول الأيدي، يحتم على ألا أكثر من ضرب الأمثلة من مؤلفات «جلال الدين الرومي»؛ و على ذلك سأكتفي بأن أقدم للقارئ مثلاً واحداً اخترته من «المثنوي» و غزليتين أخذتهما من «الديوان» أما المثل الأول فمأخوذ من قصة الوزير «اليهودي» المذكورة في الكتاب الأول من المثنوي. و للقارئ أن يقارن بين ترجمتي التي أسوقها في السطور التالية و بين الترجمة التي قام بها «بالمر» في كتاب «أغنية الناي» ص ٢٤-٢٥ و الترجمة التي قام بها «ردهاوس» في ص ٢٩-٣١ من كتابه (٣).

(١) المترجم: عندما كتب «براون» هذا الجزء لم يكن نيكلسون قد نشر إلا الجزء الأول من «تذكرة الأولياء» و أما الجزء الثاني منها فكان معداً للطبع، و قد تم بعد ذلك طبع هذا الجزء ضمن مجموعة «النصوص الفارسية التاريخية» التي قام بنشرها «براون» بعنوان: (Persian Historical Texts Series)

(٢) المترجم: استمر الأستاذ «نيكلسون» في هذه الأبحاث حتى أدرسته الوفاة في سنة ١٩٤٨ و قد استطاع قبل وفاته أن ينشر كثيراً منها و

آن یتم نشره و ترجمته للمثنوی برمه فوقه ذلك فی ستة مجلدات طبعت منذ سنة ۱۹۲۵ فی «سلسلة جب التذکارية».

(۳) المترجم: هذا بالطبع لفائدة القارئ الانجليزية، أما القارئ العربي فإني أنشر لفائدة النص الفارسی مع ترجمته العربية و فيما يلي أصل الأبيات الفارسیة:

هر شبی از دام تن ارواح رامی رهانی می کنی الواح را -

تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الی السعدی/ تعریب، النص، ص: ۶۶۲

- أنت ... فی کل لیلۃ من اللیالی ... تدع هذه الأرواح

و تخلصها من محبس الأجساد ... و تنزع عنها هذه الألواح !!!

- فتتحرر هذه الأرواح فی کل لیلۃ من أقباس الأجساد

- و تتحرر من الأحكام و الأقوال و أفعال العباد !!!

- و فی اللیل .. لا یدری «المحبوسون» شینا عن «السجن» الذی هم فیہ

و فی اللیل ... لا یدری السلاطین شینا من أمر الحکم و العز و التیه ... !!!

- و فی اللیل ... یمتنع التفكير فی الريح و الخسران

و فی اللیل ... یمتنع التفكير فی أمر فلان أو فلان ... !!!

- و حال «العارف» هی هذه الحال تماما ... دون غفلة أو منام

و «هم رقود» كما قال تعالی، فلا تجفل من هذا الكلام

[انظر سورة «الكهف» آية ۱۷ حیث یقول تعالی: وَ تَحْتِیْهِمْ أَنْبَاطًا وَ هُمْ رُقُودٌ]

می رهند ارواح هر شب زین قفص فارغان از حکم و گفتار و قصص

شب ز زندان بی خیر زندانیان شب ز دولت بی خیر سلطانان

نی غم و اندیشه سود و زیان نی خیال این فلان و آن فلان

حال عارف این بود بی خواب هم گفت ایزد: هم رقود زین مرم

خفته از احوال دنیا روز و شب چون قلم در پنجه تقلیب رب

آنک او پنجه نبیند در رقم فعل پندارد بجنبش از قلم

شمه زین حال عارف وانمود خلق را هم خواب حسی در ربود

رفته در صحرای بی چون جاننشان روحشان آسوده و ابداننشان

وز صغیری باز دام اندر کشی جمله را داد و در داور کشی

فالق الإصباح اسرافیل وارجمله را در صورت آرد زان دیار

روحهای منبسط را تن کندهر تنی را باز آستن کند

اسب جانها را کند عاری ز زین سر النوم أخو الموتست این

لیک بهر آنک روز آیند بازبرنهد بر پاش پابند دراز

تا که روزش واگشد زان مرغزاروز چراگاه آردش در زیر بار

کاش چون أصحاب کهف این روح را حفظ کردی یا چو کشتی نوح را

تا ازین طوفان بیداری و هوش وارهیدی این ضمیر و چشم و گوش

ای بسا أصحاب کهف اندر جهان پهلوی تو پیش تو هست این زمان

غار با او یار با او در سرودمهر بر چشمت و بر گوشت چه سود

تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الی السعدی/ تعریب، النص، ص: ۶۶۳

- و العارف راقد فی غفلة عن أحوال الدنيا أثناء اللیل و النهار

و هو كالقلم فی «قبضة» ربه یقلبه كما یختار ... !!!

- فالذی لا یستطیع أن یری «القبضة» عند الكتابة و التحریر

یظن أن حركة «القلم» نفسه هی التي تحدث الرقم و التسطیر ... !!!

- و قد أبدی «العارف» شینا مما یتصل بهذه الحال

و لكن النوم الحسی سلب أبواب سائر الخلق و الرجال

- فذهبت أرواحهم إلی صحراء العدم و الفنا

و استقرت هی و أبدانهم فی راحة و هدوء علی السواء ... !!!

- ثم إذا أنت بصغیر واحد تطوی الشباک و الشراک

و تدعوهم جمیعا إلی الحساب ... و إلی لقاءک !!

- و کاسرافیل یدعوهم فائق الإصباح [أی اللہ. انظر سورة الأنعام آية ۹۶]

من هذه الدیار، فیلبسهم صورهم التي كانت لهم

- و یجعل لهذه الأرواح المنبسطة الشفافة أجسادا

و یجعل کل جسد منها محملا بروحه

- و فی اللیل یرعی جواد الروح من سرجه

و هذا هو قولهم: «إن النوم هو أخو الموت»

- و لما كانت الأرواح تعود فی أثناء النهار

فإنه قد کبلها بقیود ثقيلة طويلة

- حتی یسترجمها أثناء النهار من هذه المروج الیانة

و حتی یسترجمها من مراعیها، و یحملها الأحمال النافعة

- فیا لیته حفظ هذه الروح كما حفظ أصحاب الكهف

و یا لیته حفظ هذه الروح كما حفظ سفینة نوح ... !!!

- حتی یتمكن الضمیر و تتمکن الأعین و الآذان

أن تتخلص من طوفان البقطة و العقل و الأثران ... !!!

- وما أكثر ما في الدنيا من رجال يشبهون أصحاب الكهف
هم أماما .. وإلى جور ... ووجودون في كل زمان ...!!
تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٦٤
- وهم في الغار ومعهم الأحبة الأخيار ... وهم يتغنون بأعذب الألحان
ولكن ما الفائدة وقد ختم الله على بصرك وسمعتك فعميت الأبصار واندست الآذان

ديوان شمس تيريز:

وأهل المشرق لا يقرأون ديوان «جلال الدين الرومي» أو يدرسونه كثيرا كما يفعلون بالمشوى. ولكن بعض المستشرقين الأوروبيين يجعلون الديوان أعلا مرتبة من «المتنوي» من ناحية صياغته الشعرية ومعانيه المبتكرة. وقد كان هذا الرأي -وفقا لما جاء في إحدى الحكايات التي ذكرها الأفلاكي في كتابه «١»- رأى جماعة من أكبر الأدباء الذين عاصروا «جلال الدين» نفسه، ويدخل في عدادهم الشاعر الكبير «سعدى» فقد ورد الخبر بأن أمير شيراز أرسل إليه أن ينتقى له أطيّب غزلية في الشعر الفارسي وأن يراعى في اختيارها أن تكون ممتازة بأسمى الأفكار وأعلا المعاني، فاختار «سعدى» غزلية من ديوان «جلال الدين» وقدمها إليه قائلا: إن جمال الكلمات التي صيغت فيها هذه الغزلية جعلتها بحيث لم يستطع أحد في الماضي أن يقول مثلها و لن يستطع أحد في المستقبل أن يبلغ مبلغها، و يا ليتني أستطيع أن أذهب إلى بلاد الروم لأمسح وجهي بتراب أقدام من قالها ...!! «٢».

وقد اعتنى المستر «نيكلسون» عناية بالغة بهذه الغزليات وأبدى كثيرا من الذوق والخبرة في دراسته لها في الكتاب الذي أشرت إليه آنفا، ومن تحصيل الحاصل أن أضيف شيئا إلى ما قاله لأنه لم أدرس الديوان دراسة بحث واستقصاء. ولكني لا أريد في هذه المناسبة أن أحرم نفسي أو القاريء من إيراد ترجمة نيكلسون المنظومة لغزليتين من أجمل الغزليات ذكرهما في الجزء الثاني من ملاحق كتابه «٣».

(١) أنظر ترجمة «ردهاوس» رقم ١٤ ص ١٨ - ٣٠.

(٢) يقول «الأفلاكي» أن أمنية «سعدى» قد تحققت فيما بعد؛ ولكني لا أستطيع أن أجد مصدرا واحدا معتمدا يؤيد التقاء هذين الشاعرين الكبيرين.

(٣) المترجم: هاتان الغزليتان غير كاملتين وهما واردتان بتمامهما في كتاب نيكلسون تحت رقم ٣١ و ٣٦

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٦٥
و فيما يلي ترجمة الغزلية الأولى «١»:

- أيها المسلمون ... ما التدبير ... وأنا نفسي لا أعرف نفسي ...!!
فلا أنا مسيحي، ولا أنا يهودي، ولا أنا مجوسي، ولا أنا مسلم ...!!
- ولا أنا شرقي، ولا أنا غربي، ولا أنا بري، ولا أنا بحري
ولا أنا من عناصر الأرض والطبيعة، ولا أنا من الأفلاك والسموات ...!!
- ولا أنا من التراب، ولا أنا من الماء، ولا أنا من الهواء، ولا أنا من النار
ولا أنا من العرش، ولا أنا من الفرش، ولا أنا من الكون، ولا أنا من المكان ...!!
- ولا أنا من الهند، ولا أنا من الصين، ولا أنا من البلغار، ولا أنا من السكسون ...!!
ولا أنا من ملك العراقين، ولا أنا من بلاد خراسان ...!!
- ولا أنا من أهل الدنيا، ولا أنا من أهل العقبي، ولا أنا من أهل الجنة، ولا أنا من أهل النار ...!!
ولا أنا من نسل آدم، ولا أنا من نسل حواء، ولا أنا من أهل الفردوس، ولا أنا من أهل جنة الرضوان ...!!
- وإنما مكاني حيث لا مكان، وبرهاني حيث لا برهان
فلا هو الجسد ... ولا هو الروح ... لأنني أنا في الحقيقة من روح الروح (الحبيب) ...!!

(١) المترجم: فيما يلي أصل هذه الأبيات بالفارسية:

چه تدبير ای مسلمانان که من خود را نمی دانم نه ترسانه یهودم نه نه گیرم نه مسلمانم
نه شرقیم نه غربیم نه بریم نه بحریم نه از کان طبعیم نه از افلاک گردانم
نه از خاکم نه از آیم نه از بادم نه از آتش نه از عرشم نه از فرشم نه از کونم نه از کانم
نه از هندم نه از چینم نه از بلغار و سقسیم نه از ملک عراقیم نه از خاک خراسانم
نه از دنیی نه از عقبی نه از جنت نه از دوزخ نه از آدم نه از حوا نه از فردوس و رضوانم
مکانم لا مکان باشد نشانم بی نشان باشند نه تن باشد نه جان باشد که من از جان جانانم
تاریخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٦٦
و فيما يلي ترجمة الغزلية الثانية: «١»

- أيها العشاق ... هذا هو وقت الرحيل عن هذا العالم
و ها هي بطول الرحيل تدق في السماء و تصل إلى مسامع روجي ...!!
- فتنه ... فقد نهض الجمال، و هيا القافلة و شد الرحال
و طلب منا كل ما هو حلال، فلما ذا تظل في غفلة .. أيها المسافر ...!!
- و هذه الأصوات التي تحيط بك من خلف و من قدام إنما هي أصوات الرحيل و في كل لحظة من اللحظات ... تسرى نفس و يسرى نفس إلى لا مكان ...!!
- و من هذه الشموع المقلوبة (أي النجوم) و من هذه الحجب الزرقا (أي السماء)
خرجت المخلوقات العجيبة، حتى تجعل ما في الغيب عيانا ...!!
- و قد أصابك نوم ثقيل في هذه العجلة الدائرة (الأفلاك)
فيا لوعته على هذا العمر الخفيف .. و يا حذرا من هذا النوم الثقيل ...!!
- و يا قلبي .. عليك بالحبيب، و يا أيها الحبيب ... سر إلى لقاء الحبيب
و يا أيها الرقيب .. تيقظ .. فلا يجوز لصاحب التوبة أن يغفل ...!!

(١) المترجم: فيما يلي أصلها بالفارسية:

ای عاشقان ای عاشقان هنگام کویست از جهان در گوش جانم میرسد طبل رحیل از آسمان
تک ساریان برخاسته قطارها آراسته از ما حلالی خواسته چه خفته اید ای کاروان
این بانگها از پیش و پس بانگ رحیلت و جرس هر لحظه نفس و نفس سرمیکند در لا مکان
زین شمعهای سرنگون زین پرده های نیلگون خلقی عجب آمد برون تا غیبها گرد عیان
زین چرخ دولابی ترا آمد گران خوابی ترافریاد ازین عمر سبا ز نهار ازین خواب گران
ای دل سوی دلدار شو ای یار سوی یار شوای پاسبان بیدار شو خفته نشاید پاسبان
تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الی السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٦٧

و اینی لأعترف بأنی لا أذكر من الترجمات الانجليزية المنظومة لأشعار شرقية إلا أمثلة قليلة تبلغ في جمالها و عذوبتها مبلغ هذه
الترجمات التي نظمها «نيكلسون»، و من أسف أن أمورا كثيرة تمنعه عن مواصلة مجهوده في هذا السبيل، منها صعوبات الطبع و
تصحيح الأصول، و حضور المجتمعات، و إعادة المعلومات البديهيّة على مسامع جمهورهم يتوق إلى الاستزادة من المعلومات التي
تتضمنها عادة بطون الموسوعات و دوائر المعارف؛ فمثل هذه الأمور جميعها تعوقه - كما تعوق كثيرا من أمثاله - عن المثابرة في
سلوك الطرق التي مهدت لهم و السبل التي طمعوا دائما في سلوكها و الوصول إلى غايتها

٣- سعدي

[صيت السعدي و شهرته]

نصل الآن إلى «سعدي الشيرازي» و هو ثالث الشعراء الثلاثة الكبار الذين نشأوا في هذه الفترة، و قد ذكرنا أنه يعتبر - وفقا لمقطوعه
سبق لنا إيرادها - واحدا من «أبناء الشعر» الثلاثة، الذين يتم ثلوثهم بالشاعرين الآخرين «الفردوسي» و «الأثوري». و من الحق أن نقرر
أيضا أن الشهرة الواسعة و الصيت الكبير اللذين فاز بهما «سعدي» لم يفز بهما أديب فارسي آخر حتى اليوم، سواء كان ذلك في
موطنه بالذات أم في أي مكان آخر يعني باللغة الفارسية. و ما زال كتابه «گلستان» و «بوستان» يعتبران فاتحة الدراسات الأدبية التي
تقدم لطالب الفارسية. كما أن غزلياته لا يعلوها من حيث مكانتها الأدبية إلا غزليات مواطنه المعروف «حافظ الشيرازي»
و «سعدي» شاعر من طراز آخر «١»، يختلف تماما عن أخويه اللذين ترجمنا لهما في هذا الفصل؛ و هو يمثل بوجه عام الشخصية
الفارسية المترننة التي تعنى بالدين و الدنيا في وقت واحد، بينما يمثل زميلاه الآخران الشخصية التي خلصت تدينها و تصوفها تمام
الخلوص. و كان التصوف في هذا الوقت قد راج راجا كبيرا في إيران، و أصبحت تعابير الصوفية و مصطلحاتهم - كما هو الحال حتى
الآن - جزءا من الحديث العادي بين كافة الناس، فبقيت آثار منها ظاهرة و كثيرة في كتابات «السعدي»، و مع ذلك

(١) المترجم: كتب عن «سعدي» بالعربية كتابان:

أ- رسالة بعنوان «السعدي الشيرازي» مطبوعة على الآلة الكاتبة و محفوظة بدار الكتب تحت رقم ٧٣٨٠ و هي من تأليف الأستاذ «ظهر
الدين أحمد» من خريجي دار العلوم و جامعة حيدرآباد و تاريخها ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦ م.
ب- كتاب بعنوان «سعدي الشيرازي» نشره الدكتور «محمد موسى هندواي» المدرس بكلية دار العلوم في سنة ١٩٥١ م.

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الی السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٦٨

فإننا لا نتردد مطلقا في أن نقرر أن طابعه الخاص كان ينحو نحو الحكمة الدنيوية دون لنصوفية أو الدينية، و يعتبر كتابه «گلستان» على
الخصوص، من أهم الكتب «المكافيلية» التي كتبت بالفارسية، و لربما يوجد به كثير من الآراء و العواطف الدينية و لكنها في الواقع
آراء عملية تبعد عن الناحية المثالية التي يتصف بها غيره من كتاب الصوفية الخالصين

حياة السعدي:

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الی السعدي/ تعريب النص ٦٦٨ حياة السعدي: ص: ٦٦٨

يبدو من مراجعة أقدم النسخ الخطية «١» الموجودة في أيدينا من مؤلفات «السعدي» أن اسمه الكامل هو «مشرف الدين بن مصلح
الدين عبد الله» و لم يكن اسمه «مصلح الدين» كما هو معروف عادة، و المشهور عنه أنه ولد في مدينة شيراز حوالي سنة ٥٨٠ هـ -
١١٨٤ م، و أنه مات و قد جاوز المائة من عمره في سنة ٦٩١ هـ - ١٢٩١ م، و أنه فقد أباه في سن مبكرة كما تدل على ذلك الأبيات
الآتية «٢» من «بوستان»:

(١) النسخة الخطية الرقيمة ٨٧٦ بإدارة الهند بلندن و هي مكتوبة في سنة ٧٢٩ هـ - ١٣٢٨ م أي بعد موت سعدي بسبع و ثلاثين سنة
فقط.

(٢) المترجم: فيما يلي نص الأبيات بالفارسية.

پدر مرده را سایه بر سر فگن غبارش بيفشان و خارش بکن
ندانای چه بودش فرومانده سخت بود تازه بی بیخ هرگز درخت
چو بینی یتیمی سرافگنده پیش مده بوسه بر روی فرزند خویش
یتیم ار بگرید که نازش خردو گر خشم گیرد که بازش برد
الا تا نگرید که عرش عظیم بلرزد همی چون بگرید یتیم
برحمت بکن آیش ز دیده پاک بشفتت بيفشانش از چهره خاک
اگر سایه خود برفت از سرش تو در سایه خویشتن پرورش
من آنکه سر تاجور داشتم که سر در کنار پدر داشتم
اگر بر وجودم نشستی مگس پریشان شدی خاطر چند کس
کنون دشمنان گر برندم اسیر نباشد کس از دوستانم نصیر
مرا باشد از درد طفلان خیر که در طفلی از سر برقمم پدر

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الی السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٦٩

- انشر ظل حنانك على الیتيم الذي قضى الموت على أبيه

و انفض الغبار عنه، و اقتلع الشوك الذي يؤذيه...!!!
 - و هل تراك تعلم إلى أي حد هو عاجز مقهور...!!!
 و هل تبقى الشجرة نضيرة إذا اجتثت منها الجذور...؟!
 - و إذا رأيت يتما قد خفض رأسه في ذلة و انكسار
 فحذار أن تقبل أمامه واحدا من أولادك الصغار...!!!
 - و هل لليتيم أحد يرعاه إذا بكى أو انتحب...!!!
 و هل لليتيم أحد يسترضيه إذا حنق أو غضب...!!!
 - فلا تدع اليتيم يبكي، فإن العرش العلي العظيم
 تهتز جنباته، إذا استمع إلى بكاء اليتيم...!!!
 - و امسح دموعه من مآقيه في حنو و شفقة
 و انفض الغبار عن وجهه في عطف ورقة...!!!
 - و إذا انحسر عنه الظل و انكشف جسده للهجير
 فخذه و ربه في ظلك الوارف الغزير...!!!
 - فلقد كانت رأسى يعلوها تاج ذهبي
 عندما كنت أعيش هاتنا في كنف أبي...!!!
 - و كانت إذا حطت ذباية واحدة على جسدي
 اضطربت أذهان جملة من الناس خوفا من غضبي...!!!
 - أما الآن فإذا استطاع أن ياسرني الأعداء
 فلن يكون لي نصير واحد من بين الأصحاب و الأصدقاء...!!!
 - و من أجل ذلك فإني خبير بالآلام الأطفال
 لأن أبي تركني في طفولتي يتما ضعيف الحال...!!!

و للدكتور «إتبه» مقالة بعنوان «الأدب الفارسي» منشورة في المجلد الثاني من كتاب «المفصل في الدراسات اللغوية الإيرانية».

و هي تتضمن أو في بحث كتب عن «السعدي» فيما أعرف. و قد ذكر «إتبه» في هذا البحث أن السعدي عند موت أبيه انتقل إلى رعاية حاكم فارس المعروف باسم

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٧٠

الأتابك «سعد بن زنگي» الذي تولى العرش سنة ٥٩٢ هـ - ١١٩٥ م. و قد اختار الشاعر تخلصه الذي عرف به و هو «السعدي» من إسم هذا الحاكم و تكريما له.

و إلى هذا الحاكم يرجع الفضل في إرساله إلى المدرسة النظامية في بغداد لتابعة دروسه و استيفاء تحصيله. و بهذه الحادثة تبدأ أولى الفترات الثلاث التي قسم إليها الدكتور «إتبه» حياة «السعدي» و أعنى بها:

(أ) فترة التحصيل: و قد استمرت إلى سنة ٦٢٤ هـ - ١٢٢٦ م و قد أمضى الشاعر أكثرها في بغداد. و مع ذلك يبدو من إحدى الحكايات الواردة في الباب الخامس من ال «گلستان» أن الشاعر استطاع خلال هذه الفترة أن يقوم برحلة الطويلة إلى مدينة «كاشغر» فهو يقول إنه «دخل هذه المدينة في نفس السنة» التي اختار فيها السلطان محمد خوارزمشاه لأمر سياسية أن يعقد الصلح مع الخطائين» و من المعروف لنا أن هذه الحادثة وقعت في سنة ٦٠٧ هـ - ١٢١٠ م. و الظاهر أيضا كما يبدو من هذه الحكاية أن شهرته حتى في هذه الفترة المبكرة كانت قد شاعت و ذاعت بحيث سبقته إلى هذا النفر القاصي من الثغور الإسلامية الواقع في الناحية الشمالية الشرقية من بلاد الإسلام. و هذه المسألة لا تدل فقط على نجاحه و فوزه و ذيوخ إسمه و هو ما زال في السادسة و العشرين من عمره، ولكنها تدل أيضا على شيء آخر حاولت مرارا أن أؤكد في كتاباتي و هو مقدار السرعة التي كانت تنتشر بواسطتها الأنباء و الأخبار في ديار المسلمين في هذا الوقت البعيد.

و قد وقع «السعدي» أثناء إقامته في بغداد تحت تأثير الشيخ الصوفي المشهور «شهاب الدين السهروردي» المتوفى سنة ٦٣٢ هـ - ١٢٣٤ م و قد تحدث «السعدي» عن صلاح هذا الشيخ و تقواه و عن حبه الخالص لأفراد البشر في إحدى الحكايات العروية في ال «بوستان». و تدل حكاية أخرى مروية في الباب الثاني من ال «گلستان» على أن «شمس الدين أبا الفرج بن الجوزي» كان أيضا من بين الرجال الذين استطاعوا بفضلهم و علمهم أن يفيديا السعدي أثناء هذه الفترة من الشباب.

(ب) فترة الترحال: أما الفترة الثانية من حياة «السعدي» فهي فترة الأسفار

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٧١

الواسعة التي قام بها. و قد بدأت كما يقول الدكتور «إتبه» في سنة ٦٢٤ هـ - ١٢٢٦ م حينما اضطرت الظروف المضطربة في إقليم فارس إلى الهجرة عن «شيراز» و كان قد عاد إليها من بغداد. فاستمر قرابة ثلاثين عاما أي إلى سنة ٦٥٤ هـ - ١٢٥٦ م يتجول في الأنحاء المختلفة من ديار الإسلام، ما بين الهند شرقا إلى الشام و الحجاز غربا. و قد أشار في مقدمة ال «گلستان» إلى أسباب مغادرته مدينة شيراز في الآيات الآتية «١»:

- لا تدري لماذا أمضيت في أقاليم الغربية أزمانا طويلة...!!!

- لقد فررت من مضايقة الأتراك عندما رأيت العالم قد اختلطت أحواله كشمع الزنوج...!!!

- و كانوا جميعا من أبناء آدم، و لكنهم كانوا من حيث التعطش إلى سفك الدماء ذئابا حادة المخالب...!!!

- فلما عدت... وجدت الديار هائلة و قد تخلصت النور من طابعها الشرسة..!!

- و وجدت في الداخل أناسا طبيين كالملائكة، و في الخارج جنودا أبطالا كالأسود المقترسة...!!!

- و قد كانت الدنيا في عهدها الأول الذي شاهدته مليئة بالفتن و الاضطرابات و المضايقات...!!!

- و لكنها أصبحت آمنة ساكنة في أيام السلطان العادل الأتابك «أبي بكر سعد بن زنگي»...!!!

(١) المترجم: فيما يلي أصل هذه الآيات بالفارسية:

ندانی که من در اقالیم غربت چرا روز گاری بکردم درنگی

برون رضم از تنگ ترکان که دیدم جهان در هم افتاده چون موی زنگی

همه آدمی زاده بودند لیکن چو گرگان بخون خوارگی تیز چنگی

جون باز آمدم کشور آسوده دیدم پلنگان رها کرده خوی پلنگی
درون مردمی چون ملک نیکم حضرت برون لشکری چون هزیران جنگی
چنان بود در عهد اول که دیدم جهان پر ز آشوب و تشویش و تنگی
چنین شد در ایام سلطان عادل تا بک ابو بکر سعد بن زنگی

تاریخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٧٢

(ج) الفترة الثالثة: فترة الاستقرار والتأليف: وقد كانت عودة السعدي إلى «شيراز» و هي العودة التي أشار إليها في آخر الأبيات السابقة، في سنة ٦٥٤ هـ - ١٢٥٦ م و تعتبر هذه السنة بداية الفترة الثالثة والأخيرة من حياته، و هي الفترة التي استوعبت بوجه خاص نشاطه الأدبي برمه. فبعد سنة واحدة من عودته أي في سنة ٦٥٥ هـ - ١٢٥٧ م استطاع أن ينشر منظومته المشوية «بوستان» فلما انقضت سنة أخرى بعد ذلك نشر ال «گلستان» في صورة مجموعة من الحكايات، استقاهها من ملاحظاته المختزنة و تجاربه المكتتزة، و أفاض عليها مثلاً أخلاقية و حكماً عملية؛ و قد سطرها جميعاً في أسلوب متنور يختلط به كثير من الأبيات المنظومة. و ال «بوستان» و ال «گلستان» كتابان مشهوران تماماً. و قد ترجما إلى سائر اللغات بحيث لا أجد ضرورة تضرني إلى الإفاضة في الحديث عنهما في هذا المقام «١».

أسفار السعدي:

أشرنا فيما سبق إلى أن أسفار السعدي كانت واسعة و أنه استطاع خلالها زيارة «بلخ» و «غزنة» و «البنجاب» و «سومنا» و «كجرات» و «اليمين» و «الحجاز» و أجزاء أخرى من «بلاد العرب» و «الحيشة» و «سوريا» و على الخصوص مدينتي «دمشق» و «بعلبك» و «شمال أفريقيا» و «آسيا الصغرى» و قد قام بهذه الرحلات في زى الدراويش، و سلك جميع الطرق و السبل، و اختلط بكافة الناس على سائر أنواعهم. و من خلال كتاباته و خاصة ال «گلستان» نرى السعدي أحياناً و قد سار متغزياً في أثر قافلة الحجاج مخترقاً صحراوات بلاد العرب القاطنة؛ و أحياناً نراه يتنهد مع صبيان «كاشغر» بفكاهات نوحية لها طابعها الفني الدقيق؛ و أحياناً أخرى يقع أسيراً في أيدي الفرنج و يحكم عليه بالأشغال الشاقة مع جماعة من اليهود في مدينة «طرابلس»، و أحياناً أخرى تجده مشغولاً بالكشف عن سر ضم هندي عجيب في معبد «سومنا»، فإذا اكتشفه حارس هذا الصنم و هو مستغرق في الفحص و التدقيق لا يجد السعدي بدا من قتل هذا الحارس حتى

(١) تحدث «إتيه» عنهما باستفاضة في مقاله المذكور آنفاً أنظر ص ٢٩٥ - ٢٩٦

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٧٣
يستطيع النجاة بنفسه. و هو يروي هذه القصة الأخيرة بكل صراحة و اطمئن على هذا النحو «١»:
- فاغلقت باب الدبر بإحكام ... في ليلة من الليالي !!!
و جريت كالعقرب عن يميني و شمالي !!!
- و نظرت تحت المائدة و فوقها ... بنفوس و إمعان !!!
فرأيت ستارة موشاة بالذهب في هذا المكان !!!
- و قد جلس وراءها كاهن من عبدة النيران «٢» !!!
يشد إلى يديه جبلاً بمسكه في أتران !!!
- فانكشف الأمر أمامي فوراً ... و انجلى الحال للعيان !!!
و تيسر الأمر، كما تيسر للحديد أن يصبح شعماً رخوا في يد داود بن سليمان !!!

(١) المترجم: روى السعدي هذه القصة في نهاية الباب الثاني من كتابه «بوستان» و فيما يلي نص الأبيات الفارسية:

در دیر محکم به بستم شی دودیم چپ و راست چون عقربی
نگه کردم از زیر تخت و زیریکی پرده دیدم مکمل بزر
پس پرده مطرانی آذرپرست مجاور سر ریسمانی بدست
بغورم دران حال معلوم شد چو داود کاهن برو موم شد
که ناچار چون در کشد ریسمان بر آرد صنم دست فریادخوان
برهن شد از روی من شرمسار که شعت بود بخیه بر روی کار
بتازید و من در پیش تاختم بگوش بجاهی در انداختم
که دانستم از زنده آن برهن بماند کند سعی در خون من
پسندد که از من بر آرد دمار مبادا که سزش کنم آشکار
و از کار مفسد خبر یافتی ز دستش بر آور چو دریافتی
که گر زنده اش مانی آن بی هنر نخواهد ترا زندگانی دگر
و گر سر بخدمت نهی بر درت اگر دست یابد ببرد سرت
فریبنده را پای بر پامنه چو رفتی و دیدی امانش مده
تماش بکشم بسنگ آن خبیث که از مرده دیگر نباید حدیث

(٢) من المدهش أن المسلمین حتی المتعلمین منهم لا یعلمون إلا القلیل عن الأدیان الأخری غیر الاسلام و هكذا نجد السعدي رعم راءاته الواسعة و أسفاره الكثيرة يعجز عن أن يحدثنا عن معبد الصنم الهندي دون أن يختلط عليه الأمر فبدر؟؟؟ إلى أمور متعلقة بالديانة الزردشتية أو الديانة المسيحية.

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٧٤

- فعلمت أنه عند ما يشد هذا الكاهن هذه الحبال !!!
يرفع الصنم يديه في ضراعة و ابتهاج !!!
- و حجل «البرهمي» مني و أحس لرؤيتي بالعار !!!
و تأكد من شناعة الحال إذا انفضحت الأسرار !!!
- فجری هاربا ... و جريت في عقبه دون تريث أو إبطاء

حتى استطعت أن أقبه في بئر مليئة بالماء...!!
 - فلقد أيقنت أنه إذا بقي على قيد الحياة
 فلن يتردد في أن يهرق دمي في غير أداة...!!
 - و أنه سيسر كثيرا إذا استطاع أن يوردني موارد الدمار
 خشية أن أهنك الأستار و أفضح الأسرار...!!
 - فإذا قبض لك أن تطلع على حال مفسد من المفسدين
 فلا تتردد في القضاء عليه ... إذا كنت من القادرين...!!
 - فانك إن أبقيته سالما على قيد الحياة
 فلن يتردد هذا الخبيث عن إهلاكك بأي أداة...!!
 - و لو فرض و وضع جبينه على بابك خضوعا في خدمتك
 لما تردد إذا تهأت له الفرصة ... أن يقطع رأسك و رقبتك
 - فلا تتابع كل مختال خداع أثيرم
 و إذا تابعته فلا تعطه الأمان ... فهو لئيم...!!
 - و من أجل ذلك قضيت عليه تماما حتى مات هذا الخبيث
 و الميت كما يقولون: لا يستطيع ترديد الحديث...!!

سعدى و تعليم الأخلاق:

عندما يوصف «السعدى» كما هو العادة بأنه شاعر «أخلاقي» يجب ألا يغيب عن بالنا أن هذا الوصف صحيح إلى حد ما، و لكن مثله و مبادئه الأخلاقية تختلف بعض الشيء عن قواعد الأخلاق المقررة في البلاد الغربية من أوروبا؛ فمضمون أولى حكايات ال «گلستان» يتلخص في «أن الكذب المقترن بالمصلحة خير من الصدق المثير للفتنة» و كذلك الحكاية الرابعة تمثل لنا «أن خير أنواع التهذيب لا يستطيع أن

تاريخ الادب في ايران من الفردوسى الى السعدى/ تعريب، النص، ص: ٦٧٥

يصلح الطماع المعوجة و الميول المتوارثة الآتمة»؛ فإذا وصلنا إلى الحكاية الثامنة وجدناه بنصح الأمراء بأن يهلكوا بغير رحمة جميع الذين يخشونهم (أى يخشون الأمراء) لأن «القطعة إذا عجزت فإنها تلتقط بمخالبها عيون النمر»؛ و أما الحكاية التاسعة فتؤكد الحقيقة المريرة التي تجعل ورثة المرء هم أعدى أعدائه، و الحكاية الرابعة عشرة يسوقها دفاعا عن جندى هرب من ميدان القتال لأن أجره لم يدفع إليه، و أما الحكاية الخامسة عشرة ففارسية لحما و دما و خلاصتها: «إن وزيراً عزل من الوزارة فلحق بقلعه من حلقته الدراريش ثم عاد الملك فرضى عنه و أراد أن يرجعه إلى منصبه و لكن الوزير لم يقبل هذا التشريف؛ فقال الملك: و لكنى أريد رجلا عاقلا قادرا يستطيع تدبير أمور الملك، فأجابه الوزير المغزول: إن علامة القدرة و العقل لا تثبت لإنسان إلا إذا رفض مثل هذا العمل الذي تعرضه على...!!»

و الحكاية التالية بعد ذلك توضح هذا الرأي أكثر من ذلك فتقرر «إن الحكماء يقولون: إن الإنسان يجب أن يكون على حذر من تلون الملوك و تقبل طبايعهم فهم أحيانا يؤذون من يقابلهم بالسلام و الاحترام، و أحيانا أخرى يبيون من يوجه إليهم بدئ الكلام...!!»

و لكي أوجز الحديث في هذا الموضوع اكتفى بأن أسوق إلى القارىء الحكاية التالية المذكورة في الباب الأول من ال «گلستان» فهي عاطلة من كل مبادئ الأخلاق و المعنويات «١»:

«حكى عن وزير شرير أنه ضرب رجلا صالحا على رأسه بحجر، و لم يستطع هذا الدرويش المسكين أن ينتقم منه فاكتمى بأخذ الحجر و الاحتفاظ به حتى إذا غضب الملك على هذا الوزير الشرير، و أمر بحبسه في الجب، أسرع الدرويش و قذف بنفسه هذا الحجر. فقال المحبوس: من أنت يا من قذفتى بالحجر و لماذا قذفتى به...؟
 فأجاب الدرويش: أنا فلان، و هذا هو الحجر الذي قذفتى به في التاريخ الفلاني فقال المحبوس: أين كنت طوال هذه العدة الماضية... قال: كنت مختفيا خشية

(١) أنظر الحكاية الثانية و العشرين.

تاريخ الادب في ايران من الفردوسى الى السعدى/ تعريب، النص، ص: ٦٧٦

جاهك و نفوذك ... حتى إذا رأيتك الآن في قاع الجب انتهزت الفرصة، و انتقمت لنفسى، متابعا قول من قال:

- إذا وافي الحظ سفيها من السفهاء... فإن العقلاء يسلمون له ... حتى ينكشف البلاء...!!

- فإذا لم تكن أظافرك حادة قاطعة... فحذار أن تدخل مع الأشرار في واقعة...!!

- فإن من يصارع أصحاب السواعد الفولاذية... لا يؤذى إلا سواعده البضة القضية...!!

- فانظر حتى يشل الزمان يديه و اشف رغبة أجيابك ... فاقبل مخه و أقض عليه...!! و في الحق إن جمال كتابات «السعدى» و فوزه بالشهرة العريضة التي نالها، لا يرجعان إلى ما امتاز به من مثالية كاملة بل إلى ما اتصف به من مرونة شاملة. ففي كتاباته أمور ترضى سائر الأذواق: الرفيع و الوضع، و المهذب و الخليع، و الموقر و الرقيق.
 و كتاباته بهذا الوضع عبارة عن أنموذج مصغر من نماذج الشرق، تمثل فيه خير المناظر و أطيهاها، و كذلك شر الصور و أقيحاها، و من أجل ذلك لم يكن من مجرد المصادفة التي لا سبب لها أن تستمر كتبه طوال القرون الستة و النصف الماضية هي أوائل الكتب التي تعطى لدارس الفارسية حينما اتفقت له هذه الدراسة.

مؤلفات السعدى:

قصرت حديثي حتى الآن على أهم مؤلفات «السعدى» و أكثرهما شهرة و أعني بذلك كتابيه «گلستان» و «بوستان» و لكن للسعدى بالإضافة إلى ذلك «كليات» أى آثار مجموعة تشتمل على ما يأتي:

(أ) قصائد عربية

(ب) قصائد فارسية.

(ج) ملمعات أى أشعار بعضها فارسي و بعضها عربي.

(د) مراثي

(هـ) ترجيعات

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٦٧٧

(و) غزليات: مقسمة إلى أربعة أقسام تشمل «الغزليات القديمة» و «الطيبات» و «البدائع» و «الخواتيم».

(ز) رباعيات و مقطوعات و أبيات مفردة.

(ح) هزليات أو قصائد عابئة.

(ط) رسائل مثورة تشتمل فيما تشتمل على ثلاث مقالات خلية بشكل لا يتصور تسمى بالخبيثات.

(ي) رسالات موجهة إلى «صاحب الديوان» و يقصد به أول رؤساء الوزراء الذين وزروا ل «هولاكو خان» المغولي. ثم خليفته «شمي

الدين محمد الجويني»

(ك) مضحكات: و هي حكايات بعضها مضحك و لكنه غير ممتع.

(ل) پندنامه: أي كتاب النصائح، و قد وضعه على نمط كتابات «الطار» و غيره من الكتاب.

سعدى اللغوى:

و واضح و جلي أن هناك استحالة تحول دوننا و تفصيل الحديث- أو حتى إعطاء الأمثلة- عن كل ناحية من هذه النواحي التي يتمثل فيها نشاط السعدي و إنتاجه. بل إن آثاره التي ذكرناها في البيان السابق لم تشمل مؤلفاته على سبيل الحصر، لأن «سعدى» قد اشتهر بالإضافة إلى ذلك بأنه أول من أنشد لشعر باللغة «الهندوسانية» أو «الأردية» التي تعلم أصولها فيما يظهر أثناء أسفاره في بلاد الهند. و قد رأيت أمثلة من هذه الأشعار في مخطوط تمتلكه «الجمعية الملكية الآسيوية»، و لكني لا أستطيع أن أبدي رأياً فيما يتعلق بصحة نسبة هذه الأشعار إليه و عدم تزييفها.

و قد أنشأ «سعدى» أيضا بعض «الفهوليوات» أي القصائد المنظومة في إحدى اللهجات الفارسية، و قد نشرت أمثلة منها في مجلة «الجمعية الملكية الآسيوية» في شهر أكتوبر سنة ١٨٩٥ م في مقالة جعلتها بعنوان: «ملاحظات على الأشعار المنظومة

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٦٧٨

في لهجات فارسية»^{١١}؛ و من بين هذه الأشعار قصيدة فاتني ذكرها في هذا المقال و لا أستطيع الحصول عليها الآن، و لكنها تشتمل على أشعار قد نظمت في جملة من اللغات و اللهجات المختلفة. و لا معدى لنا من أن يظل الشك يساورنا فيما يتعلق بمعرفة الشاعر لكل هذه اللغات و اللهجات، حتى نستطيع الحصول على نسخة من مؤلفاته تكون أكثر اعتمادا و صحة، و حتى تتمكن من معرفة اللهجات الفارسية التي كانت سائدة في القرون الوسطى معرفة تامة كاملة. و من الجائز جدا أن تكون هذه الأشعار محاولات مصنعة و منتحلة قام بها غيره دون أن يعرف السعدي عنها شيئا على الإطلاق؛ و حاله في ذلك حال من يكتبون الكتب عن «إرلنده» و ينسبونهم إلى أناس لا يعرفون عنها شيئا بالمرء، و لكي يظهرها بظهر الكتب الصحيحة المعتمدة، يضطرون إلى التماس بعض الوسائل لستر عملهم، كأن يكتبوا الكلمات الإنجليزية بإملاء سقيم مضطرب أو أن ينثروا بين الصفحات ألفاظا إيرلندية مهوشة أو غير مفهومه^{١٢}.

قصائد سعدي:

السائد في «إيران» و «الهند» أن القصائد العربية التي أنشأها «سعدى» جميلة جدا، و لكن أدباء العربية مع ذلك يعتبرونها متوسطة أو دون المتوسطة.

أما قصائده الفارسية- فعلى عكس ذلك- تعتبر الغاية في الفن و الجمال، و خاصة قصيدته التي مطلعها «٣»:

- حذار أن تسلم نفسك لصديق من الأصدقاء ... أو للدار و الديار

فالناس كثيرون ... و الأراضي متسعة ... و كذلك البحار ...!!!

(١) عنوان المقالة بالإنجليزية:

Otes on the Poetry of the Persian Dialects. pp ٧٩٢-٨٠٢

(٢) المترجم: يسوق المؤلف أمثلة لهذه الألفاظ هي: "musha", "acusla machree", -mavourneen

(٣) المترجم: فيما يلي مطلع هذه القصيدة بالفارسية:

بهیچ یار مده خاطر و بهیچ دیار که بر و بحر فراخت و آدمی بسیار

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٦٧٩

و هناك أيضا قصيدة أخرى مشهورة من قصائده و هي التي رثي بها تخريب بغداد على أيدي المعول و قبل الخليفة «المستعصم» في

سنة ٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م و قد ذكرنا طرفا منها في الصفحات السابقة «١».

غزليات سعدي:

و قد ذكرت أيضا أن ال «سعدى» لا يقل من حيث غزلياته عن أي شاعر فارسي آخر و لو كان هذا الشاعر «حافظ الشيرازي». و عدد غزلياته كبير جدا و هي موزعة بين الكتب الأربعة التي عنوانونها: «الطيبات» و «البدائع» و «الخواتيم» و «القصائد القديمة» و كل هذه تقع في ١٥٣ صحيفة من صفحات نسخة «الكليات» المطبوعة على الحجر في مدينة بمبای في سنة ١٣٠١ هـ - ١٨٨٣ - ١٨٨٤ م و سأكتفي في هذا المقام بترجمة اثنتين من هذه الغزليات تصلحان مثلا لسائر غزلياته.

أما الغزلية الأولى فترجمتها كما يلي «٢»:

- ما أحب هذه التأوهات التي تحرق القلوب بنارها الضرام ...

فإنتى أستطيع بواسطتها .. مهما اشتدت .. أن أقضى الليالي و الأيام ...!!!

(١) المترجم: انظر ص (٤١) من هذا الكتاب.

(٢) المترجم: فيما يلي أصل هذه الغزلية بالفارسية [انظر: كليات سعدي طبع بمبای سنة ١٣٠١ هـ ص ٢٤٦].

دوست میدارم من این نالیدن دلسوز راتا بهر نوعی که باشد بگذرانم روز را

شب همه شب انتظار صبح روئی میرودم کان صباحت نیست این صبح جهان افروز را

وه كه گر من باز بنم چهر مهرافرای اوتا قیامت شكر گویم طالع پیروز را
 گر من از سنگ ملامت روبگردانم ز من جان سپر کردند مردان تاوك دلدوز را
 كامجویانرا ز ناکامی کشیدن چاره نیست بر زمستان بر؟؟؟ باید طالب نوروز را
 عاقلان خوشه چین از سر لیلی غافلند کین کرامت نیست جز مجنون خرمن سوز را
 عاشقان دین و دنیا باز را خاصیتی است کان نباشد زاهدان مال و جاه اندوز را
 دیگریرا در کمند آور که ما خود بنده ایم ریسمان باز حاجت نیست دست مرز؟؟؟ را
 سعديا دی رفت و فردا همچنان موجود نیست در میان این و آن فرصت شمار امروز را
 تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الی السعدی/ تعریب، النص، ص: ۶۸۰
 - ولقد ينقضی الليل .. و أنا أتلهف طواله إلى رؤية وجه حبيبي الصبح ..
 فإن صباحته تضيء علی صباحی كثيرا من النور والوضوح !!!
 - و لو أنني رأيت ثانية وجهه الذي يزيد ما بی من حب و حنين ...
 لظلمت أشكر يمن حظی و طالعی إلى يوم الدين !!!
 - و هل أستطيع أن ألوئ وجهی خجلا من لوم اللاتمين ...
 و شجعان الرجال يتقون بأرواحهم قدح القادحين !!!
 - و ليس علی طالب الظفر إلا أن يتحمل التعب و العناء ...
 كما أن طالب الربيع، عليه أن يصبر علی زمهرير الشتاء !!!
 - و ها هم العقلاء من أصحاب الحرص فی غفلة عن هوی «اللي» الدفين ...
 و لم يظفر بهذه الكرامة إلا «المجنون» الذي أتلف المهجة و حصاد السنين !!
 - و إذا كانت هناك ميزة يميز بها عاشقو الدنيا و الدين ...
 فإن هذه الميزة تنتفي عنم بحرص علی جمع المال و الجاه من الزاهدين !!
 - فإذا أوقعت فی شراكك أحدا .. فأوقع غيری .. فإنني لك عبد مطيع لأوامرك
 و لا حاجة بك إلى وضع القيود و الحبال فی أقدام من هو طوع إشارتك!!
 - و يا سعدي .. لقد مضى الأمس، و ما زال الغد محجوبا فی ستار الغيب ..
 فاغتنم الفرصة بين هذا و ذاك، و تمتع بيومك الحاضر حتى يشتفي القلب !!!
 و الغزلية الثانية معروفة جدا لدى أهل «شيراز» لأنها تتضمن مدحا رقيقا تستحقه مدينتهم الجميلة، و ترجمتها كما يلي «۱»:

(۱) المترجم: فيما يلي أصل هذه الغزلية بالفارسية: [كليات سعدي ص ۲۸۹]

رها نميکنند ایام در کنار منش که داد خود بستانم بیوسه از دهنش
 همان کمند بگيرم که صيد خاطر خلق بدان همی کند و در کشم بخويشتش
 وليک دست نیارم زدن بدان سر زلف که مبلغی دل خلقت زير هر شکتش
 غلام قامت آن لعيتم که بر قد او بریده اند لطافت چو جامه بر بدنش
 ز رنگ و بوی تو ای سرو قدسيم اندام برت رونق نسرين و باغ و نسترنش
 یکی بحکم نظر پای در گلستان نه که پایمال کنی ارغوان و یاسمنش
 تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الی السعدی/ تعریب، النص، ص: ۶۸۱
 - إن الأيام لا تسمح للحبيب أن يكون فی أحضاني ...
 حتى أشفي النفس بتقبيل ثغره ... و أحقق الأمانی !!!
 - فلأسرق هذه الشراك التي يصيد بها ألباب الأنام ...
 حتى أستطيع أن أصيده، و أضمه إلى ... فی يوم من الأيام !!!
 - و لكن من أسف ... أنني لن أستطيع أن أمسك يدي أطراف طرته
 لأن كل ثنية منها قد اشتملت علی القلوب التي وقعت فی محبته !!!
 - و إنني لعبد لقامته المديدة التي يقاس عليها اللطف و الجمال ...
 كما يقاس الرءاء علی جسده المتميز بالحسن و الدلال !!!
 - فیا شجرة السرو ... یا ذات الكيان الفضي .. إنك بما امتزت به من عيب و صفاء ...
 قد أوديت بما امتاز به السرين و نسترن من رونق و رواء !!!
 - فتقدمی خطوة .. لتفرج علی ما فی هذه الروضة من رياحين ...
 و لا حرج عليك .. إذا وطئت أقدامك زهور الأرغوان و الیاسمين !!!
 - و ما أبهج مشاهدة النوروز ... خاصة فی مدينة شیراز
 فإنها تنسی الغریب موطنه ... بفعل جمالها الممتاز !!!
 - و لقد أصبح الورد بجماله (الذي يبلغ جمال يوسف) عزيزا علی خميلة مصر الزاهرة؛ و جلبت نسائم الصبا إلى هذه المدينة روائحه
 المعطرة !!!
 - فلا تعجب ... أيها الحبيب .. إذا استطعت فی وقت الربيع اللیل
 إن تثير الغيرة حتى يبکی السحاب و يضحك الزهر الجمیل !!!
 - و لا تعجب ... إذا استطعت بمثل صفاتك أن تتجاوز بیت من الأموات
 فينهض الميت من ثراه ... و تتجاوب فی أكفانه الأصوات !!!

خوشا تفرج نوروز خاصه در شیراز که بر کند دل مرد مسافر از وطنش
 عزیز مصر چمن شد جمال یوسف گل صبا بشهر بر آورد بوی پیرهنش
 عجب مدار که از غیرت تو وقت بهار بگرید ابر و بخندد شکوفه در چمنش

بدین روش که تویی گر بر مرده برگذری عجب نباشد اگر نعره آید از کفخش
نماند فتنه در ایام شاه جز سعدي که بر جمال تو فتنه است و خلق بر سخنش
تاریخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٨٢
- و في أيامك ... ايها المليك ... لم تعد تنور في هذه البلدة فتن أو ثورات
غير افتان «سعدي» بجمالک، و افتتان الخلق بما يقول من غزليات ...!!

و بندر في هذه الغزليات أن توجد بها إشارات متعلقة بحياة الشاعر، و لو ان سعدي قد تحدث في واحدة منها فقال: إنه في مازق بسبب عشقه لأنه يكاد يفقد في خمسة أيام كل ما جمع من حكمة و حزم في خمسين سنة متتالية ...!! و كذلك بالغزليات إشارات كثيرة لسيدة و مولاه «صاحب الديوان» فقد ورد ذكره في غزلية كتبها فيما يظهر قبيل خروجه من شيراز قاصدا مدينة بغداد، فهو يقول فيها:

دلَم إز صحبت شیراز بکلی بگرفت وقت آنست که برسی خبر از بغدادم
هیچ شک نیست که فریاد من آنجا برسد عجب ار «صاحب دیوان» نرسد فریاد
سعديا حب وطن گرچه حدیثیست صحیح نتوان مرد بسختی که من اینجا زادم و معنی هذه الأبيات:
- لقد انقبض قلبي تماما من حياء شيراز و ما أحسه فيها من بلاء
و آن لك أن تسأل عن أخباري من بغداد؛ إذا التمس الأبناء ...!!
- و لا شبهة عندی في أنني إذا استغثت هنالك فسيسمع صوت استغاثتي
و لكن يا عجباً- إذا امتنع «صاحب الديوان» من إعانتی ...!!
- و يا سعدي ...! إن حب الوطن حديث صحيح السند «١»
و لكنی لا أستطيع أن أموت هنا بکری ... لا لشيء إلا لأنني ولدت في هذا البلد

أشعار سعدي الواردة في الكستان و ديوان حافظ:

و هناك نقطة أخرى جديرة بالملاحظة و هي أن طائفة من أشعار السعدي المروية في ديوانه تذكر أيضاً في كتاب ال «كستان». و لا غرابة في ذلك لأن كلا الكتابين من تأليفه؛ و لكن وجه الغرابة واقع في أن بعض هذه الأشعار تذكر أحيانا في ديوان شاعر آخر يعادله شهرة و مكانة و لكنه متأخر عنه من الناحية الزمنية و هو مواطنه «حافظ الشيرازي». و قد وجدت في قراءة عابرة ثمانية أمثلة من أمثلة

(١) المترجم. الحديث الذي يشير إليه هو «حب الوطن من الايمان».

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٨٣
الأشعار المروية في ال «كستان» كما وجدت ثلاثة أخرى من أمثلة الأبيات المروية في ديوان «حافظ» و من الجائز جدا أن نكثر الأمثلة إذا دققنا البحث و صبرنا على الفحص. و لنبدأ بذكر الأمثلة التي تمثل الطائفة الأولى، ففي صفحة ٣٧ من «الطببات» المطبوعة على الحجر في بعباي سنة ١٣٠١ هـ نجد البيت الآتي:

نه آنجان مشغولم بتو أي بهشتی رو که یاد خویشتم در ضمیر می آید و معناه:

- و أنتی مشغول بک أيتها الجميلة الحسنة بحيث لا يواتيني التفكير في نفسي في هذه الأثناء ...!! و قد ورد هذا البيت في الباب الخامس من كتاب ال «كستان» و كذلك ورد في «البدائع» البيت التالي:

آنرا که جای نیست همه شهر جای اوست درویش هر کجا که شب آمد سرای اوست و معناه:

- کل من لا منزل له، فالمدنية برمتها منزله و داره و الدرويش حينما يواتيه الليل ... فالمكان قصره و سرايه ...!! و قد ورد هذا البيت في الباب الثالث من كتاب ال «كستان» مع بعض التعديل في شطرته الأولى بحيث أصبح على هذا النحو:

شب هر توانگری بسرائی همی رود درویش هر کجا که شب آمد سرای اوست و معناه:

- أثناء الليل ... يذهب كل غني إلى قصر من القصور أما الدرويش فحينما أتاه الليل .. فقصره حينما اتفق له العبور ...!! و كذلك نجد في «البدائع» ص ٩٩ هذه الشطرة التالية:

* بنده چه دعوی کند؟ حکم خداوند راست*

و معناها:

و أي دعوى يدعيها العبد ...؟ و الحكم لمولاه ...!؟

و هذه الشطرة ترد في الباب الأول من «الكستان» و قد أضيفت إليها شطرة أخرى تكملها في حكاية «عمرو بن الليث الصفاري» و عبده. أما الأبيات الأخرى التي ترد في الديوان و كذلك في الكستان فهي الآتية:

بيتان في الغزلية المذكورة في ص ١٠٠ التي مطلعها:

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٨٤ معلمت همی شوخی و دلبری آموخت جفا و ناز و عتاب و ستمگری آموخت و معناه:

- لقد علمك معلمك الجرأة و القحة و سلب القلب و الفؤاد علمك الجفاء و الدلال و العتاب و الظلم و الاستبداد ...!! و البيت المروي في ص ١١٥ من «البدائع» و نصه:

عجب از كشته نباشد بدر خيمه دوست عجب از زنده، که چون جان بدر آورد سليم و معناه:

- فلا عجب من قتيل ... قتل على باب خيمة أحبابه و لكن العجب من الحي، كيف استطاع النجاة بروحه و لم يقل على بابه ...!! و البيت المروي في ص ١٤٤ من «الخواتيم» و نصه:

ديدار می نمائی و برهیز می کنی بازار خویش و آتش ما تیز می کنی و معناه:

- و أنت تظهر طلعتك، ثم تمنع و تصدعناو كأنك تروج تجارتك، و تشعل النار المتقدة في صدورنا و في النهاية توجد في ص ١٤٥ من «الخواتيم» رواية أخرى بها بعض التعديل للأبيات التي وردت في مقدمة ال «كستان» و قد ذكرناها فيما سبق في الفصل الأول من هذا الكتاب عندما تحدثنا عن «شعر القرمس و بلاغتهم» و ذكرنا الصناعة التي تعرف ب «التضمين» بمعنى أن يضمن الشاعر في أشعاره شطرة أو بيتا أو أكثر من أشعار غيره من الشعراء. و كان الشاعر لكيلا ينهم بالسرقه يراعي في تضميناته أحد أمرين: أولهما ألا يضمن من الأشعار إلا ما كان متداولاً و معروفاً لدى جميع المتعلمين حتى لا يتهمه واحد منهم بأنه شاء أن ينسبها لنفسه؛ و الآخر ألا يضمن شعرا لشاعر غير معروف إلا إذا ذكر اسمه صراحة في أشعاره. فإذا وجدنا أن «حافظ الشيرازي» عندما ضمن الأبيات الآتية في أشعاره لم يذكر صراحة اسم سلفه «السعدي» فإن ذلك وحده يكفي دليلاً - إذا أعوزنا الدليل - على البرهنة على ما امتازت به

غزليات السعدي؟؟؟ رواج عريض و شهرة واسعة.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٨٥

يقول «حافظ» في إحدى غزلياته:

بدم گفتی و خرسندم، عفاك الله نكو گفتی جواب تلخ میزید لب لعل شكر خارا و معناه «١»:

رعاك الله أن تمضى بإيلامى و تجرحى فمر القول لا يجرى على شفة رشفناها و الشطرة الأولى من هذا البيت ترد بنصها في ص ٦٨

من «طبيبات» السعدي على هذا النحو:

بدم گفتی و خرسندم، عفاك الله نكو گفتی سگم خواندى و خوشنودم، جزاك الله كرم كردى و معنى الشطرة التي قرنت بالشطرة

المشتركة هو التالي:

و قد اسميتى كلبا، و سعدت بذلك، فليجزك الله لقد أكرمتى...!!!

و كذلك يقول السعدي في ص ١٠٧ من «البدائع»:

جز اين قدر نتوان گفت در جمال تو عيب كه مهربانى از آن طبع و خو نمى آيد و معناه:

- ولا يستطيع أحد أن يقول إن في جمالك عيبا ... إلا هذه الرذيلة هي: أن الحب لا يتأني من أصحاب الوجوه الجميلة و الطباع

الويلية...!!! و قد أخذ «حافظ» الشطرة الأولى من هذا البيت و قرنها بشطرة أخرى من شعره، نصها كما يلي:

كه خال مهر و وفا نيست روى زيبا را

و معناها:

فإن الحب و الوفاء لا يكون لأصحاب الوجوه الجميلة...!!!

و كذلك نجد «سعدى» يقول في «الطبيبات» ص ٨٠ البيت الآتي:

ذوقى چنان ندارد بى دوست زندگانی دودم بسر برآمد زين آتش نانی

(١) المترجم: انظر ترجمتى لديوان حافظ الشيرازى المنشورة في جزءين بعنوان «أغانى شيراز»

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٨٦

و معناه:

- أن الحياة لا طعم لها بغير صحبة الخلان و قد صعد الدخان إلى رأسى مما في دخيلتى من نيران...!!! و قد أخذ «حافظ» الشطرة الأولى

من هذا البيت و قلبها على هذا النحو:

«بى دوست زندگانی ذوقى چنان ندارد»

و لست أعرف حتى الآن أن أحدا من الكتاب قد سبق له الإشارة إلى هذا الدين الذى استدانته «حافظ» من سلفه «السعدي»، و من أجل

ذلك جرؤت على معالجة الموضوع بشيء من التفصيل الذى ربما اعتبره بعض القراء من لغو القول الذى لا تدعو إليه حاجة أو

ضرورة.

٤- صفار الشعراء

إشارة

أما صفار الشعراء الذين ظهروا في هذه الفترة فكثيرون، و قد نستطيع أن نجتمع من «الباب الألباب» تأليف عوفى مجموعة منهم تبلغ الأربعين شاعرا كانوا برمتهم أو أكثرهم معاصرين للشعراء الثلاثة الكبار الذين خصصنا لهم هذا الفصل من الكتاب. و يضطرني ضيق المقام إلى أن أقصر حديثي على اثنين فقط من الممتازين بين هؤلاء الأربعين، و أقصد بهما الشاعرين الإصفهانيين «شرف الدين محمد شفروه» و «كمال الدين اسماعيل» الذى يلقب ب «خلاق المعاني». و قد يضاف إليهما شاعر ثالث هو «الأمير خسرو الدهلوى» لأن شهرته تجعله جديرا بالذكر و الحديث، و لكننا اضطرنا إلى التجاوز عنه لأننا راعينا أن نخرج كل ما يتعلق بالهند من دائرة هذا الكتاب. و من أجل ذلك فإننى أكتفى بأن أذكر أن هذا الشاعر ولد في «پتيالى» في سنة ٦٥١ هـ - ١٢٥٣ م و توفى في «دهلى» في سنة ٧٢٦ هـ - ١٣٢٥ م و أنه كان في أشعاره تلو «نظامى الكنجوى».

(أ) شرف الدين شفروه:

«شرف الدين شفروه» و كذلك «جمال الدين عبد الرزاق» (والد الشاعر «كمال الدين إسماعيل») كان كلاهما مداحا لقاضى قضاء

مدينة اصفهان الملقب ب «صدر خجند»

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٨٧

و هما يعتبران من جيل متقدم نسبيا لجيل الشعراء الذين ذكرناهم آنفا، لأن الأخير منهما مات في سنة ٥٨٨ هـ - ١١٩٢ م و الأول مات

في سنة ٦٠١ هـ - ١٢٠٤ م و قد وقع كلاهما - من أجل ظروف بينهاها في فصل سابق - «١» في عراك مع تلميذ «خاقانى» المسمى ب

«مجير الدين البيلقانى». فقد أقدح هذا الأخير في هجائهما مما كان سببا فيما بعد لإهدار دمه؛ و قد هجا كل منهما الآخر أثناء الفترات

التي قاما فيها بتوجيه المدائح لمولاهما المشترك قاضى قضاء اصفهان. و لم أصادف بين أشعار «جمال الدين» شيئا يلفت النظر و

لكنى صادفت بين أشعار «شرف الدين» قصيدة جميلة جدا يصف فيها مجد «اصفهان» الغابر و ما أصابها من تخريب و تحطيم، و قد

نشرت نصها في مقالى الذى أذعته في «مجلة الجمعية الأسيوية الملكية» في سنة ١٩٠١ م بعنوان «مقال عن مخطوط نادر متعلق بتاريخ

اصفهان». «٢»

(ب) كمال الدين اسماعيل:

كان «كمال الدين إسماعيل» الملقب ب «خلاق المعاني» مداحا مثل أبيه «جمال الدين عبد الرزاق». و قد اختص بمدائحه جماعة من

الناس من بينهم «ركن الدين صاعد بن مسعود» و جملة من ملوك خوارزم المعروفين باسم «خوارزمشاه» مثل «تكش» و «قطب الدين

محمد» و «جلال الدين» و كذلك مدح ملك مازندران «حسام الدين أردشير» و حكام فارس المعروفين بالأتابكة و خاصة «سعد بن

زنگى» و ابنه و خليفته «أبا بكر بن سعد» و قد ذكرنا من قبل أن هذين الحاكمين كانا من ممدوحى «سعدى» و أصحاب الفضل عليه.

و قد كان «كمال الدين» واحدا من كبار الضحايا الكثيرين الذين قتلهم المغول؛ و يذكر «دولت شاه» عنه أنه كان كريما و غنيا، و قد

أنكر فضله بعض من من خصهم بكرمه من أهل اصفهان فذم المدينة و أهلها في أبيات معناها «٣»:

(١) أنظر صحيفة ٥٠٣ من هذا الكتاب

(٢) أنظر: «مجلة الجمعية الملكية الآسيوية» سنة ١٩٠١ م

و مطلع القصيدة التي يشير إليها هو:

ديدي تو اصفهان را آن شهر خلد پروروآن سدره مقدس آن عدن حور پرورو

(٣) المترجم. أنظر ص ١٥٢ من تذكرة الشعراء. وهذا هو نص الأبيات:

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٨٨

- يا إله الكواكب السبع السيارة

أرسل كافرا شديد الفتك والعاره

- حتى يجعل «دردشت» قاحله كالصحاري

و حتى يجري نهرا من الدماء في «جوياره» (١)

- و حتى يضاعف عدد سكان هذه المدينة

بأن يقطع كل واحد منهم إلى مائة قطعة...!!

و قد استجاب الأقدار بسرعة لدعوته فدخل جيش المغول مدينة أصفهان حوالي سنة ٦٣٥ هـ- ١٢٣٧ م بقيادة «أوكداي» وأوقع بها شر وقعة على النحو الذي عرفت به غارات المغول و ما يصاحبها من قتل و تعذيب و اضطهاد. و يقرر «دولشاه» (و قد ذكرنا من قبل أنه لا يعتمد عليه تمام الاعتماد لكثرة جنوحه إلى الخيال) أن «كمال الدين إسماعيل» ليس في هذه الأثناء خرقه الصوفية، و تشبه بهم، و اختار زاوية خارج المدينة فلزمها فترة من الزمان، لم يتعرض له فيها المغول بشيء من الأذى و لكن أهل أصفهان استغلوه لمصلحتهم فأودعوا لديه كثيرا من أموالهم و أمتعتهم، فأخذها و أخفاها في بئر في هذه الزاوية. و ذات يوم دخل صبي من المغول إلى زاويته و في يده قوس، فقتل طائرا بقذيفة، فسقط شطه من أصبعه و وقع في هذه البئر؛ فلما طلب إخراجه منها اكتشف الكنوز المخبأة فيها. و ثار طمع المغول و جشعهم فلم يكتفوا بما وجدوه بل أخذوا يعذبون «كمال الدين» رجاء أن يضطر إلى الكشف عما عساه قد خبأه من أموال و كنوز أخرى. و يقال إن «كمال الدين» و هو في حالة النزاع استطاع أن يكتب بدمه الرابعة التالية:

- لقد دمی قلبی ... و هذا هو شرط الذلة و التفاني - و هو أيضا مظهر الذلة و الخضوع أمام الله الباقي

ای خداوند هفت سیاره کافری را فرست خونخواره

تا در دشت چو دشت کندجوی خون راند او ز جویاره

عدد مردمان بیفزاید هر یکی را کند بصد پاره

(١) محلطان في اصفهان. انظر ص ٢٠٥ من كتاب: Le strange: Lands of the Eastern Caliphate. تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٨٩ - و مع ذلك فلست أستطيع أن أقول شيئا من الاقوال و كأنما أجز الخدمة هو ما أنا فيه من حال...!! (١)

خاتمة الكتاب

عند ما ندرس تاريخ أمة من الأمم، أو نتعرض على الخصوص لحضارتها و حياتها العقلية، لا يمكننا أن نصل إلى نقطة من النقطة نستطيع أن نقف عندها و نقول في دقة و إيمان بأن هذه النقطة تنتهي بها فترة من فترات تاريخها. و مع ذلك فهذا التحديد ضروري لأغراض عملية كثيرة. و قد سبق لي أن قررت أن تاريخ إيران بل تاريخ الإسلام كافة لا يمكن أن توجد به معالم واضحة تفرق بين أزمنته السابقة أو اللاحقة لهذه النكبة التي ابتلت ديار المسلمين بغارة المغول؛ و كل ما هنالك أنه منذ وقعت هذه النكبة النكباء لم يستطع الإسلام أن يفيق مما أصابه من ركود عام في سائر نواحيه، و خاصة النواحي الفكرية و العقلية منها. و قد اختفى المغول منذ أمد بعيد و لم يعودوا قوة عالمية يحسب حسابها، أو عاملا سياسيا يرهب جانبها، و لكنهم مع ذلك كله استطاعوا أن يغيروا معالم الأرض بما أحدثوه فيها من تخريب لا يمكن إصلاحه و بلاء لا يمكن علاجه.

و هذا المجلد الذي يؤذن بالانتهاء لا يشتمل إلا على دراسة فترة لا تزيد على قرنين و نصف القرن من الزمان، و لو ساعدتني صحتي و تمهدت لي أوقات الفراغ لكان من اليسير على أن أعالج في مجلد مثل هذا المجلد ما بقي من تاريخ القرون الستة و النصف التي تصل بين النقطة التي وقفنا عندها و بين وقتنا الحاضر (٢)،

(١) المترجم: فيما يلي نص الرابعة:

دل خون شد و شرط جانگدازی اینست در حضرت او کیمینه بازی اینست

با این همه هم هیچ نمی یازم گفت شاید که مگر بنده نوازی اینست

(٢) المترجم؟؟؟ المؤلف ذلك في مجلدين آخرين كل منهما في حجم المجلد الحالي

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٩٠

و لجعلت دراستي لهذه الفترة الطويلة أدق و أوفى من دراسة هذه الفترة القصيرة التي تناولتها في هذا المجلد بكثير من التوسع و التفصيل، و مع ذلك فإنها للأسف الشديد تبدو للقارئ العادي غير مغنية و لا شافية، و إني متحقق من ذلك كله، و لكنني لو أنني انتظرت حتى أستطيع أن أقدمها له دراسة وافية كافية لما تمكنت مطلقا من الانتهاء من هذا الكتاب. و في رأيي أن الأدب شبيه بالحب.

و عليهما جميعا ينطبق المثل التركي الذي يقول:

«يار سز قالير كيمسته عيب سز يار ايسته ين»

و معناه: يبقى بلا حبيب من يريد حبيبا مبرءا من العيوب...!!

أو كما قال الشاعر العربي:

إذا كنت في كل الأمور معاتباصديقك لم تلق الذي لا تعاتبه [و كان الفراغ من ترجمة هذا الكتاب في يوم الإثنين ٤ إبريل سنة ١٩٤٩]

[و كان الفراغ من طبعه في يوم السبت أول مايو سنة ١٩٥٤]

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٩١

إشارة

١- أسماء المؤلفات

٢- أسماء الأعلام

٣- أسماء الأمكنة

[هذا الكشف مرتب ترتيباً أبجدياً باعتبار الكلمات مجردة من أداة التعريف «ال» ومن كلمة «ابن» وكلمة «أبو» وإذا وضعت شرطه بين رقمين فمعناها «إلى»]

-١- أسماء المؤلفات

إشارة

[هذه المؤلفات والمنشآت الأدبية مكتوبة بلغات مختلفة تعرف بالرجوع إلى مواضعها]

[١]

أبحاث في البلاغة و العروض و القافية:

تأليف «جلادوين» ٣٠

الأينية عن حقائق الأدوية: تأليف «الموفق الهروي» ١٣٢، ١٧٨، ٣٣١

آتشكده: تأليف «لطفعلی بیگ» ٢٦٦، ٤٤٣١، ٤٦٨، ٤٦٩

الآثار الباقية: تأليف «البيروني» ١٠٦، ١١١، ١١٧، ١١٩، ١٢١

آثار البلاد: تأليف «القرظيني» ٢٦٦، ٣١٢، ٤٧٠، ٤١٣

الأحكام السلطانية: تأليف «الماوردي» ٣٦٣

إحياء علوم الدين: تأليف «الغزالي» ٣٦٩، ٤٣٨، ٤٣٢

أخبار شعراء الفرس: تأليف «أوزلي» ١٥٤، ٣٩٦، ٤٦٨

الاختيارات العلية: تأليف «الرازي» ٤١٥

أخلاق جلالی: تأليف «جلال الدين دواني» ٣٢٥

أخلاق ناصري: تأليف «نصير الدين الطوسي» ٢٦٨، ٥٧٩، ٤١٧

أدب الدنيا و الدين: تأليف «الماوردي» ٣٦٣

الاستيفاء: تأليف «شرف الملك» ١٣٤

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٩٢

أسد الغابة: تأليف «ابن الأثير» ٥٩٣

أسرار التوحيد: تأليف «محمد بن المنور» ٣٢٦، ٣٢٧

أسرارنامه: تأليف «القطار» ٦٤٤

اسكندرنامه: تأليف «نظامي» ٥٠٧، ٥٠٩، ٥٢٤

اسكندرنامه بحري: تأليف «نظامي» ٥٢٤

اسكندر نامه بري: تأليف «نظامي» ٥٢٤

أشترنامه: تأليف «القطار» ٦٤٤

أشجان باباطاهر: تأليف «هرون آلن» ٣٢٣

أشعة اللمعات: تأليف «جامي» ٦٣٦

أطواق الذهب: تأليف «الزمخشري» ٤٥٩

أغاني شيراز: تأليف «إبراهيم أمين الشواربي» ٣٨، ٩٢، ٤٦٥، ٦٨٥

أغنية الناي: تأليف «بالمرو» ١٢٧، ٤٨٤، ٤٨٦، ٤٦٠، ٤٦١

أفستا: تأليف «زردشت» ١١، ١٢، ١٧

إقبال نامه: تأليف «نظامي» ٥٢٤

الإكسير الأعظم: تأليف «ناصر خسرو» ٣٠١

ألف ليلة و ليلة: القصة الشعبية ٥٢١

ألفية شلفية: تأليف «أزرقى» ٤٠٦

ألهي نامه: تأليف «الأنصاري» ٣٣٧

إلهي نامه: تأليف «القطار» ٦٤٤، ٦٥٤

الأمكنة و الجبال و المياه: تأليف «الزمخشري» ٤٥٩

الأنساب: تأليف «السمعاني» ٥٩٣

أنوار التحقيق: تأليف «الأنصاري» ٣٣٦، ٣٣٧

أنوار سهيلي: تأليف «حسين كاشفي» ٢٧، ١٠٤، ٤٤٥-٤٤٧

أنيس العشاق: تأليف «شرف الدين رامي» ٣٠، ٩٨

أنيس المرديدن و شمس المجالس: تأليف «الأنصاري» ٣٣٧

أوصاف الأشرف: تأليف «نصير الدين الطوسي» ٤١٧

الإيقان: تأليف «بهاء الله» ١٠٤

تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٩٣

(ب)

بحر الحقائق: تأليف «نجم الدين دايه» ٦٣١

البدائع: تأليف «سعدى الشيرازى» ٦٧٧، ٦٧٩، ٦٨٣-٦٨٥

بدايع الأسمار فى صنائع الأشعار:

تأليف «قوامى الكنجوى» ٥٠٨

البلاغة لدى الفرس: تأليف «خلادوين» ٦٩

بهارستان: تأليف «جامى» ٢٩٨، ٤٨٣

بهرام نامه: تأليف «نظامى» ٥٢٠

بوستان: تأليف «سعدى» ٩١، ٩٤، ٦٣٢، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٧٠، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٦

بيان الأديان: تأليف «أبى المعالى» ٣٦٢

بيست باب در معرفت اسطرلاب:

تأليف «نصير الدين الطوسى» ٦١٧

(ب)

پنج گنج: تأليف «نظامى» ٣٧، ٥٠٧

پند نامه: تأليف «سعدى الشيرازى» ٦٧٧

پند نامه: تأليف «العتار» ٤٤٣، ٤٤٨

(ت)

تاريخ أبى الفدا: تأليف «أبى الفدا» ٥٩٧

تاريخ الآداب العربية: تأليف «بروكلمان» ١٢٢، ٣٦٣، ٣٦٨، ٤٢٠، ٤٥٧، ٥١٦، ٥١٧، ٥٢٠

تاريخ الأدب الشرقى: تأليف «فون كريمير» ٤٥٦، ٦١٢

تاريخ الأدب العربى: تأليف «بروكلمان» أنظر «تاريخ الآداب العربية»

تاريخ الأدب فى إيران: تأليف «براون» ١٧، ٤٠، ٢١٥، ٢٣٩، ٥٨٩

تاريخ اردشير بن بابك: تأليف «نولدكه» ٣٨٧

تاريخ الأشعار العثمانية: تأليف «جب» ٢٩، ٣٩، ٥١٦، ٦٥٥

تاريخ الادب فى ايران من الفردوسى الى السعدى/ تعريب، النص، ص: ٦٩٤

تاريخ أصفهان: تأليف «الماقروشى» ١٣١

تاريخ آل سلجوق: تأليف «البندارى» ٣١٤، ٥٩٨

التاريخ الألفى: تأليف «التوى» ٢٣٨، ٣١٥

تاريخ بخارى: تأليف «الرشخى» ١٣١

تاريخ بغداد: تأليف «ابن الخطيب» ٦١٠

تاريخ الثقافة: تأليف «فون كريمير» ٣٣

التاريخ الجديد: تأليف من كتب البايبة ٨٤

تاريخ الحضارة فى الشرق: تأليف «فون كريمير» ٣٦٥

تاريخ الحكماء: تأليف «القفطى» ٣٠٩، ٦٠٣-٦٠٥

تاريخ السلاجقة: تأليف «أبو شيروان بن خالد» ٤٤٩، ٥٩٨

تاريخ السلاجقة أو آل سلجوق: تأليف «عماد الدين الأصفهاني» ٢٠٩

تاريخ سلاجقة كرمان: تأليف «محمد بن إبراهيم» ٢٢٣، ٤٠٧

تاريخ الطب و النبات عند العرب: تأليف «وستنفلد» ٦٠٦

تاريخ طبرستان: تأليف «ابن اسفنديار» ٦٢، ١١٩، ١٣٣، ١٥٥، ٣٤٩، ٤٥٤، ٥٢٦، ٥٧٩، ٦٠٨

تاريخ طبرستان: تأليف «اليزدادى» ١٣١، ١٣٣، ٦٠٨، ٦٠٩

تاريخ الطبرى: تأليف «ابن جرير الطبرى» ١٩٩، ٢٨١، ٣٥١، ٥٢٠

تاريخ العتبي: تأليف «العتبى» (أنظر تاريخ اليميني)

تاريخ الفلسفة فى الإسلام: تأليف «دى بوير» ٣٦٨

تاريخ قم ١٣١

تاريخ الكامل: تأليف «ابن الأثير» ١٩٩، ٢٠٩، ٢١٨، ٣٩١، ٥٩٢، ٥٥٤

تاريخ كزنده: تأليف «حمد الله المستوفى» ١٥٦، ١٧٦، ١٧٨، ٢٣٣، ٢٤٩، ٢٥٠، ٣١٩، ٣٢٥، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٣، ٣٣٦، ٣٣٧، ٤٤٣

٤٦٢، ٤٧٥، ٤٨٤، ٤٩٣، ٤٩٤، ٥٠٤، ٥٢٥، ٥٢٧

تاريخ الادب فى ايران من الفردوسى الى السعدى/ تعريب، النص، ص: ٦٩٥

تاريخ ملوك غازانى: تأليف «رشيد الدين» ٣١٣، ٥٥٥

تاريخ مختصر الدول: تأليف «ابن العبرى» ٥٩٣، ٥٩٤

تاريخ المغول: تأليف «دوسون» ٥٤٩، ٥٥٢، ٥٥٤، ٥٦٣، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٧٠، ٦٠٠

تاريخ المغول: تأليف «هورث» ٥٥٠، ٥٥٢، ٥٥٤

تاريخ المملكة الأتابكية بالموصل: تأليف «ابن الأثير» ٥٩٣

تاريخ الهند: تأليف «إليوت» ٥٩٥

تاريخ وصاف: تأليف «الوصاف» ٢٧، ٥٥٥

تاريخ اليميني: تأليف «العتبى» ١١٤، ١٣٠، ١٦١، ٢٤٨، ٢٩٢، ٥٩٧

تائية ابن الفارض: قصيدة ل «عمر بن الفارض» ٦٣٤، ٦٣٩

تجريد العقائد: تأليف «نصير الدين الطوسى» ٦١٧

تجزئة الأمصار و تزجية الأعصار (انظر تاريخ وصاف)

- تحفة العراقيين: مثنوية للشاعر «خاقاني» ٤٠٦، ٥٠٢، ٤٩٥
- تحقيق مالمهند: تأليف «البيروني» ١١٧، ١٢١
- تذكرة الأولياء: تأليف «الطار» ٤٠٤، ٤٢٩، ٤٣٣، ٤٤٧، ٤٦١
- تذكرة الشعراء: تأليف «دولتشاه» ٢٤، ٢٦، ٢٩، ٣٠، ٨٣، ٩٥، ١٣٦، ١٤٠، ١٥٢، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٦، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٦، ٣٠٨، ٣١٥، ٣٣٩، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٦٨، ٣٨٥، ٣٩٦، ٤٠٦، ٤١٠، ٤١١، ٤١٨، ٤٢١، ٤٢٥، ٤٣٠، ٤٣٢، ٤٣٤، ٤٣٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٩، ٥٠٤، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣٤، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩
- تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٩٦
- تراجم شعراء الفرس: تأليف «أوزلي» ١٥٤، ٣٩٦
- ترجمان البلاغة: تأليف «فرخي» ٣٠، ١٣٣، ١٤٤
- ترجمان القرآن: تأليف «الزوزني» ٤٤٩
- ترجمة تاريخ الطبري: ترجمة «البلعمي» ١٣٢
- ترجمة حياة القاضي موكرجي ٤٤٨
- ترجمة كيلة و دمنة إلى الفارسية: ترجمة «نصر الله ابن عبد الحميد» ٣٧٣، ٤٣٨
- ترستان و ايزلت ٣٤٢
- تفسير فارسي للقرآن ١٣٢
- تفسير القرآن: تأليف «ناصر خسرو» ٣٠١
- التفهيم في صناعة التنجيم: تأليف «البيروني» ١١٧، ١٢١
- تقويم التواريخ: تأليف «حاجي خليفة» ٤٦٩
- تلخيص شاهنامه: بقلم «البنديري» ٥٩٩
- التمثيل والمحاضرة: تأليف «العالبي» ١١٦
- تنزير الوزير الزبير الخنزير: قصيدة للشاعر «الخاتوني» ٤١٢
- تنسوق نامه إيلخاني: تأليف «نصير الدين الطوسي» ٦١٧
- تهافت التهافت: تأليف «ابن رشد» ٣٧٠
- تهافت الفلاسفة: تأليف «الغزالي» ٣٧٠
- تهذيب طبقات الصوفية: تأليف «الأنصاري» ٣٣٧

(ج)

- جامع التواريخ: تأليف «رشيد الدين» ٢، ٢٣٩، ٢٤٣، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٥، ٢٥٥، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٦، ٢٦٦
- الجنة المفقودة: تأليف الشاعر «ملتون» ٣٩٨
- جهان گشا: تأليف «الجويني» ٢، ٢١، ٢٣٩، ٢٤٣، ٢٥٨، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤٧٤، ١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨، ١٤٧٩، ١٤٨٠، ١٤٨١، ١٤٨٢، ١٤٨٣، ١٤٨٤، ١٤٨٥، ١٤٨٦، ١٤٨٧، ١٤٨٨، ١٤٨٩، ١٤٩٠، ١٤٩١، ١٤٩٢، ١٤٩٣، ١٤٩٤، ١٤٩٥، ١٤٩٦، ١٤٩٧، ١٤٩٨، ١٤٩٩، ١٥٠٠، ١٥٠١، ١٥٠٢، ١٥٠٣، ١٥٠٤، ١٥٠٥، ١٥٠٦، ١

خسروانامه: تأليف «أمير جلال» ١٥
 خسروانامه: تأليف «الطار» ٦٤٤
 خسرو و شيرين: تأليف «نظامي» ٥٠٧، ٥٠٨، ٥١٣، ٥١٤، ٥٢٠، ٥٣٣
 خط و خطاطان: تأليف «ميرزا حبيب» ٦٢٠
 خلاصة الأشعار: تأليف «تقي الدين الكاشي» ٢٦٦، ٢٦٩
 خمسه نظامي: تأليف «نظامي» ٥٠٩-٥١١، ٥٢٥
 الخواتيم: للشاعر «سعدى الشيرازي» ٦٧٧، ٦٧٩، ٦٨٤
 خوان الأخوان: تأليف «ناصر خسرو» ٢٦٩، ٣٠١
 خيرات حسان: تأليف «اعتماد السلطنة» ٤٣٧

(د)

دانشنامه علاني: تأليف «ابن سينا» ١٢٧، ١٣٢، ٣٦٢
 دبستان ٢٧٥
 دراسات إسلامية: تأليف «جولديزهر» ٣٦٥
 الدستور الأعظم: تأليف «ناصر خسرو» ٣٠١
 دموع خراسان: تأليف «كركياتريك» ٤٧٢، ٤٨٦، ٤٨٩
 دمية القصر: تأليف «الباخرزي» ١١٥، ١٣١، ٤٥١
 الدول الإسلامية: تأليف «لين بول» ٢٠٧، ٥٦٩
 ديوان أنوري: للشاعر «أنوري» ٤٨٤
 ديوان حافظ شيرازي: للشاعر «حافظ الشيرازي» ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٥
 ديوان الحماسة: جمع «أبي تمام» ١٠٢، ٣١٥
 ديوان دقيق: للشاعر «الدقيقي» ٣٣٨
 ديوان سلطان ولد: للشاعر «سلطان ولد» ٦٥٥
 تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٦٩٩
 ديوان شمس تبريز: للشاعر «جلال الدين الرومي» ٦٤٢، ٦٥٨-٦٦١، ٦٦٤
 ديوان ظهير الدين: للشاعر «الفاريايي» ٥٢٧-٥٣٠، ٥٣٧، ٥٤٠، ٥٤٢
 ديوان ابن العربي: للصفوي «محمي الدين بن العربي» ٦٣٤
 ديوان عمر بن الفارض: للشاعر «عمر بن الفارض» ٦٣٩، ٦٤٠
 ديوان عنصري: للشاعر «عنصري» ١٤٠
 ديوان قوامي الكنجوي: للشاعر «قوامي» ٥٠٨
 ديوان ناصر خسرو: للشاعر «ناصر خسرو» ٢٠١، ٢٦٩، ٢٧٤-٢٧٧
 ديوان نظامي الكنجوي: للشاعر «نظامي» ٥٠٩، ٥١٠

(ذ)

ذخيره خوارزمشاهي: تأليف «زين الدين الجرجاني» ٣٧٣، ٤٢٨
 ذم الكلام: تأليف «الأنصاري» ٣٣٨

(ر)

راحة الصدور: تأليف «الراوندي» ١٣٥، ١٨٨، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٠-٢٢٣، ٢٢٨-٢٣٠، ٢٣٦، ٢٤٤، ٢٤٥، ٣٢٥
 ٣٧١، ٣٧٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٣، ٤١١، ٤١٢، ٤٨٨، ٤٨٩
 رباب-نامه: تأليف «سلطان ولد» ٦٥٥
 رباعيات بابا طاهر الهمداني ٣٢٢، ٣٢٣
 رباعيات الخيام: للشاعر «عمر الخيام» ١٦٩، ٢٣٧، ٣١٥، ٣١٧، ٣٢٠، ٣٢٨
 رباعيات أبي سعيد بن أبي الخير ٣٢٦، ٣٢٨
 رحلة ابن جبير: تأليف ابن جبير ٦١٤
 رساله أسرار: تأليف «الأنصاري» ٣٣٧
 رساله جوديه: تأليف «ابن سينا» ١٢٧
 رساله حورانية: تأليف «أبي عبد الله بن محمود» ٣٢٤، ٣٢٧
 رساله در حقيقت و كيفيت موجودات تأليف «ابن سينا» ١٢٧
 تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٧٠٠
 رساله سي فصل: تأليف «نصير الدين الطوسي» ٦١٧
 رساله الغفران: «أبي العلاء المعري» ٣٦٧
 رساله في الاحتيال لمعرفة مقداري الذهب و الفضة في جسم مركب منهما: تأليف «عمر الخيام» ٣١٧
 رساله في براهين الجبر و المقابله:
 تأليف «عمر الخيام» ٣١٧
 رساله في الجواب عن ثلاث مسائل:
 تأليف «عمر الخيام» ٣١٧
 رساله في جواب القاضي أبي نصر النسوي:
 تأليف «عمر الخيام» ٣١٧

- رسالة في ذم الدنيا: تأليف «الرازي» ٦١٥
 رسالة في الرد على الباطنية: تأليف «الغزالي» ٣٦٩
 رسالة في السحر: تأليف «ناصر خسرو» ٣٠١
 رسالة في شرح ما أشكل من مصادرات إقليدس:
 تأليف «عمر الخيام» ٣١٧
 رسالة في الطبيعات: تأليف «عمر الخيام» ٣١٧
 رسالة في قول الصوفية: تأليف «نجم الدين كبرى» ٦٢٩
 رسالة في الكون والتكليف: تأليف «عمر الخيام» ٣١٧
 رسالة في لوازم الأمكنة: تأليف «عمر الخيام» ٣١٧
 رسالة في الوجود: تأليف «عمر الخيام» ٣١٧
 الرسالة القشيرية: تأليف «القشيري» ٢١٨
 رساله نبضية: تأليف «ابن سينا» ١٢٧
 رسائل المعري: تأليف «أبي العلاء المعري» ٣٦٧
 رشف النصائح: تأليف «شهاب الدين السهروردي»
 رگ شناسي: تأليف «ابن سينا» ١٢٧
 روشنائی نامه: تأليف «ناصر خسرو» ٢٦٦، ٢٦٩، ٢٧٤، ٣٠١-٣٠٣
 روشنائی نامه نثر: تأليف «ناصر خسرو» (أنظر: شش فصل)
 روضة الصفا: تأليف «ميرخواند» ٢٧، ٢٣٨، ٤٤٣
 تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٧٠١
 رياض العارفين: تأليف «رضا قليخان» ١٣٥، ٣٢٤، ٦٤٤

(ز)

- زاد العارفين: تأليف «الأنصاري» ٣٣٧
 زاد المسافرين: تأليف «ناصر خسرو» ٢٦٩، ٢٨٢، ٣٠١
 زيچ ايلخاني: تأليف «نصير الدين الطوسي» ٦١٦، ٦١٧
 زيچ ملكشاه: تأليف «عمر الخيام» ٣١٧
 زين الأخبار: تأليف «الگرديزي» ٣٦٢

(س)

- سجنجل الأرواح: تأليف «سعد الدين الحموي» ٦٣٠
 سحر البلاغة: تأليف «النعالي» ١١٦
 سرگذشت سيدنا: تأليف «الحسن بن الصباح» ٢٣٩، ٢٤٧، ٢٥٨
 سعادتنامه: تأليف «ناصر خسرو» ٢٦٩، ٣٠١، ٣٠٣
 السعدي الشيرازي: تأليف «ظهير الدين أحمد» ٦٦٧
 سعدي الشيرازي: تأليف الدكتور «هنداوي» ٦٦٧
 سفرنامه: تأليف «ناصر خسرو» ٢٤٦، ٢٦٦، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٤-٢٧٦، ٣٠٠، ٣٠٢، ٣٣٨، ٣٦٤
 سقط الزند: للشاعر «أبي العلاء المعري» ٣٦٧
 سكندرنامه: تأليف «نظامي» ٥٠٧، ٥٠٩، ٥٢٤
 سلامان و أبسال: تأليف «جامي» ١٢٤
 سلسلة جب التذكارية (مجموعة من الكتب) ٢، ٢٣، ١١٦، ١٣٥، ١٨٩، ٢٠٩، ٢٣١، ٢٤٣، ٢٦٤، ٣١٣، ٣٢٤، ٣٦٣، ٤١٢، ٤١٩، ٤٥٤، ٤٦٣، ٥٥٥، ٦٠٠، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٩، ٦١٢، ٦٢١، ٦٢٣
 سنة بين الفرس: تأليف «براون» ٦٦١، ١٠٧، ٢٦٧، ٢٩٩
 تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٧٠٢
 سياستنامه: تأليف «نظام الملك» ١٩، ١٦٤، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٤٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٦، ٣٤٦، ٣٤٨، ٣٥٤، ٣٨١، ٥٢١
 سير العباد إلى المعاد: للشاعر «سنائي» ٣٩٦
 سير الملوك: تأليف «نظام الملك» (أنظر: سياستنامه)
 سيرة السلطان جلال الدين: تأليف «النسوي» ٥٥٥، ٥٧١، ٦٠١ تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب النص ٧٠٢
 (س) ص: ٧٠١
 رة ابن هشام: تأليف «ابن هشام» ٣٧٥

(ش)

- الشافية: تأليف «ابن الحاجب» ٦١٩
 شاهنامه: تأليف «الفردوسي» ١٥، ٢٨، ٣٧، ٩٣، ١٠٣، ١١٠، ١٤٠، ١٥٣-١٥٣، ١٥٨، ١٦٠، ١٦١، ١٦٣، ١٦٦، ١٧١، ١٧٤-١٧٦، ١٧٩، ١٩٩، ٢٧٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٥، ٣٨٣، ٥٩٩
 شاهنامه: تأليف «أبي المؤيد البلخي» ١٤٦
 شد الإزار في حط الأوزار:
 تأليف «جنيد الشيرازي» ٦٢٤، ٦٢٥
 شرح أشعار خاقاني: تأليف «أبي الحسن الفراهاني» ٤٩٤
 شرح أشعار خاقاني: تأليف «الشادي آبادي» ٤٩٤

- شرح الحماسة: تأليف «التبريزى» ٤٤٩
 شرح المعلمات: تأليف «التبريزى» ٤٤٩
 شرف نامه: تأليف «نظامى» ٥٢٤
 شش فصل: تأليف «ناصر خسرو» ٢٦٩، ٣٠١
 الشفاء: تأليف «ابن سينا» ١١٣، ١٢٢
 شيراز نامه: تأليف «أبى العباس أحمد زركوب» ٦٢٤
 الشيطان: تأليف «روبرت منتجومرى» ٣٩٨
 تاريخ الادب في ايران من الفردوسى الى السعدى/ تعريب، النص، ص: ٧٠٣

(ص)

- الصحاح: تأليف «الجوهري» ٦١٩
 صد كلمة: تأليف «الوطواط» ٤١٧
 صفة الآداب: تأليف «نجم الدين كبرى» ٦٢٩
 صور من التاريخ الشرقى: تأليف «نولدكه» ٥٩٥

(ط)

- طبقات الصوفية: تأليف «السلمى» ٣٣٧
 طبقات ناصرى: تأليف «منهاج السراج» ٥٧٤، ٥٨٢، ٥٨٤، ٥٨٧-٥٨٩، ٥٩٥، ٥٩٦
 طرب نامه: قصيدة من نظم «الباخرزى» ٤٥٢
 طريق التحقيق: مثنوية تأليف «سنائى» ٣٩٦
 الطبيات: للشاعر «سعدى الشيرازى» ٦٧٧، ٦٧٩، ٦٨٣، ٦٨٥

(ظ)

- ظفر نامه: تأليف «ابن سينا» ١٢٧

(ع)

- عجائب المخلوقات: تأليف «زكريا القزوينى» ٦١٢-٦١٤
 العروض الفارسية: تأليف «بلوخمان» ٣٥
 عشق نامه: مثنوية تأليف «سنائى» ٣٩٧
 عقل نامه: مثنوية تأليف «سنائى» ٣٩٧
 علم اليونان: تأليف «ناصر خسرو» ٣٠١
 عوارف المعارف: تأليف «شهاب الدين السهروردى» ٦٣٢
 عيار دانش: تأليف «أبى الفضل» ٤٤٥
 عيون الأخبار: مخطوطة بمكتبة جامعة كامبردج ٢٣٨، ٤٥٧، ٥٩٩

(غ)

- غاية العروضيين: تأليف «بهرامى السرخسى» ٣١، ١٩٤
 غرر أخبار ملوك الفرس: تأليف «التمغالى» ١١٦
 غريب نامه: مثنوية تأليف «سنائى» ٣٩٦، ٣٩٧
 تاريخ الادب في ايران من الفردوسى الى السعدى/ تعريب، النص، ص: ٧٠٤
 غزليات حافظ الشيرازى: للشاعر «حافظ الشيرازى» ٤٠١
 الغزليات القديمة: للشاعر «سعدى» ٦٧٧، ٦٧٩
 غزليات مختارة من ديوان شمس تبريز: تأليف «نيكلسون» «أنظر قصائد مختارة»

(ف)

- ابن الفارض و الحب الإلهى: تأليف الدكتور «محمد مصطفى حلمى» ٦٤١
 الفتوحات المكية: تأليف «ابن العربى» ٦٣٣، ٦٣٤
 الفخرى: تأليف «ابن الطقطقى» ١٠٠، ٢١٥، ٣٦٨، ٥٨٣-٥٨٨
 فردوس التواريخ: تأليف «الأبرقوهى» ٣١٥
 فرهنگ أسدى: طبع «بول هورن» ١٧٨
 فرهنگ ناصرى: تأليف «رضا قليخان» ٢٩٢
 الفصل فى الملل و النحل: تأليف «ابن حزم» ٤٦٠
 فصوص الحكم: تأليف «ابن العربى» ٦٣٣، ٦٣٦
 الفصول و الغايات: تأليف «أبى العلاء المعرى» ٣٦٤، ٣٦٧
 فقه اللغة: تأليف «التمغالى» ١١٦
 الفلسفة المثالية: تأليف «مارتن تير» ٣٩٨
 فن الشعر الانجليزى: تأليف «جورج بنتهام» ٦٣، ٦٨
 الفهرست: تأليف «ابن النديم» ١٣١
 قوافى الوفيات: تأليف «ابن شاعر» ٣١٧، ٦١٥-٦١٧

(م)

- المبهيج: تأليف «التعالى» ١١٦
- المثل السائر: تأليف «ضياء الدين بن الأثير» ٦١٩
- المثنوى المعنوى: تأليف «جلال الدين الرومى» ٣٧، ٣٠٩، ٣٩٨، ٥١١، ٦٤٢، ٦٤٧، ٦٥٦، ٦٦١، ٦٦٤
- مجالس المؤمنين: تأليف «الششتري» ١٩٧، ٤٨٠، ٤١٧، ٦٤٣
- مجمع الأمثال: تأليف «الميدانى» ٣٧٤
- مجمع الفصحاء: تأليف «رضا قليخان» ٤١٢، ٤١٣، ٤٥٢، ٦٠٧، ٦١٧، ٦١٨
- المجمل: تأليف «فصيحى خوافى» ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٨٣
- المجموع المبارك: تأليف «جرجيس المكين» ٥٩٦
- مجموعة المؤرخين العرب للحروب الصليبية ٥٩٣
- مجموعة النصوص المتعلقة بتاريخ السلاجقة نشرها «هوتسما» ٢٠٩، ٤٥٧
- محبته نامه: تأليف «الأنصارى» ٣٣٨
- مختارات فارسية: تأليف «شيفر» ١٠٨، ٥٥٥، ٦٢٢
- مخزن الأسرار: تأليف «نظامى» ٥٠٧، ٥٠٨، ٥١١
- مراصد الاطلاع: تأليف «ياقوت» ٦١٢
- مرآة الخيال: تأليف «شيرخان لودى» ٤٦٨، ٤٦٩
- مرآة الزمان: تأليف «اليافعى» ٦٢٤
- مرآة العالم: تأليف «محمد بختاور خان» ٤٦٩
- مرزبان نامه: تأليف «سعد الدين الوراونى» ٦٢٢
- مرزبان نامه: تأليف «مرزبان بن رستم بن شروين» ١٠٨، ١٣٣، ٣٤٦، ٦٢٢
- مرصاد العباد: تأليف «نجم الدين الرازى» ٣٠٨، ٦٣١
- المستوفى: تأليف «ناصر خسرو» ٣٠١
- مسند ابن حنينا ٤٥٨
- مشارب الأرواح: تأليف «روزبهان» ٦٢٤
- المشترك: تأليف «ياقوت» ٦١٢
- مصيبت نامه: تأليف «القطار» ٦٤٤
- تاريخ الادب في ايران من الفردوسى الى السعدى/ تعريب، النص، ص: ٧٠٨
- مطلوب كل طالب من كلام على بن أبى طالب تأليف «الوطواط» ٤١٧
- المظفرة: كتاب قدم للبارون «فون روزن» ١٢٦، ٣٠٧
- مظهر العجائب: تأليف «القطار» ٦٢٩، ٦٤٥، ٦٤٧
- معالم التنزيل: تأليف «الفراء اليعقوبى» ٤٥٠
- معجم الأدباء: تأليف «ياقوت» ٦٠٤، ٦١٢
- معجم البلدان: تأليف «ياقوت» ٣٩٤، ٣٩٩، ٥٥٠، ٥٩٧، ٦١٠
- معجم البلدان الفارسية: تأليف «باربييه دى منار» ١٦٣، ٦١١، ٦١٢
- المعجم فى معايير أشعار العجم: تأليف «شمس قيس الرازى» ٢، ٢٩، ٣١، ٢٣١، ٤١٢، ٦٢١
- المعراجنامه: تأليف «ابن سينا» ١٢٧
- المعرب: تأليف «الجوالقى» ٤٥٠
- المعلقات: ١٦٨، ٤٤٩
- مفاتيح العلوم: تأليف «السكاكى» ١٣١
- المفصل: تأليف «الزمخشرى» ٤٥٩
- المفصل فى الدراسات اللغوية الايرانية نشره «كون» ١٣٥، ١٥٥، ١٦٧، ١٨٠، ٢٠٠، و «جيجر» ٢٣٧، ٢٧٩، ٣٤١، ٦٢٢، ٦٦٩
- مقالات: تأليف «الأنصارى» ٣٣٨
- مقامات بديع الزمان: تأليف «بديع الزمان الهمذانى» ٣٣، ١٠٩، ١٢٨، ١٢٩، ٤٥٦
- مقامات الحريرى: تأليف «الحريرى» ١٠٩، ١٢٩، ٣٧٤، ٤٤٩، ٤٥٦-٤٥٨
- مقامات حميد الدين: تأليف «حميد الدين أبى بكر البليخى» ٣٧٤، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٩٣
- الملل و النحل: تأليف «الشهرستانى» ١٢٢، ٣٧٤، ٤٥٠، ٤٥٩
- مناجات نامه: تأليف «الأنصارى» ٣٣٦، ٣٣٧
- تاريخ الادب في ايران من الفردوسى الى السعدى/ تعريب، النص، ص: ٧٠٩
- منازل السائرين: تأليف «الأنصارى» ٣٣٦، ٣٣٨
- مناقب الشعراء: تأليف «أبى طاهر الخاتونى» ٢٢٨، ٤١١، ٤١٢
- مناقب العارفين: تأليف «الأفلاكى» ٦٥٦، ٦٥٨
- مناظرات أسدى: تأليف «أسدى» ١٨٠
- منطق الأسرار: تأليف «روزبهان» ٦٢٤
- منطق الطير: تأليف «القطار» ٣٢٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٨
- المنقذ من الضلال: تأليف «الغزالى» ٣٦٩، ٣٧٠
- موش و گربه: تأليف «عبيد زاكاني» ٩٢

(ن)

نثر اللاكى من كلام أمير المؤمنين على: تأليف «الوطواط» ٤١٧

نثر النظم: تأليف «التعالبي» ١١٦
 النحو الفارسي: تأليف «فوربس» ٣٤٨، ٣٤٩
 زهت نامه علائي: تأليف «شهمردان ابن أبي الخير» ٣٦٢
 زهه الأرواح: تأليف «الشهرزوري» ٣١٠، ٣١٥
 نصايح (نصيحت): تأليف «الأنصاري» ٣٣٧، ٣٣٨
 نظام التواريخ: تأليف «البيضاوي» ٦٢٠
 نظامي الكنجوي شاعر الفضيلة:
 تأليف دكتور «عبد التميم حسنين» ٥٢٥
 نفحات الأنس: تأليف «جامي» ٣٢٨، ٥٥٩، ٦٢٥، ٦٢٧، ٦٣٠، ٦٣٤، ٦٣٨، ٦٤٦، ٦٤٧
 نفع الطيب من غضن الأندلس الرطيب:
 تأليف «المقرئ» ٦٣٤، ٦٣٧
 النهاية في الكناية: تأليف «التعالبي» ١١٦
 نوروزنامه: تأليف «عمر الخيام» ٣١٧
 نيكي نامه: تأليف «مرزبان بن رستم» ١٠٨، ١٣٣، ٦٢٢
 تاريخ الادب في ايران من الفردوسى الى السعدى/ تعريب، النص، ص: ٧١٠

(٥)

هفت إقليم: تأليف «أمين أحمد رازي» ٢٢٦، ٢٢٧، ٤٤٣، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٨٣، ٤٩٣
 هفت أورنگك: تأليف «جامي» ٣٧
 هفت بيكر: تأليف «نظامي» ٥٠٧، ٥٠٩، ٥١١، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٣
 هفت قلم: تأليف «معز الدين شاه» ٣٣، ٣٤
 همايون نامه: تأليف «علي چلبى» ٤٤٥

(٥)

وامق و عذرا: تأليف «فصيحى الجرجاني» ٣٤٤، ٣٤٥
 الوصايا: منسوبة إلى «نظام الملك» ٢٣٧، ٢٣٨
 وفيات الأعيان: تأليف «ابن خلكان» ١٢٢، ٣١٧، ٥٥٠، ٥٩٢، ٦٠٢، ٦٠٣
 ويس و رامين: تأليف «فخر الدين الجرجاني» ٣٤٢، ٣٤٣، ٤٢٥

(٥)

يتيمة الدهر: تأليف «التعالبي» ٣٧، ٧٨، ١٠٧، ١١٤، ١١٥، ١١٨، ١١٩، ١٢٩، ١٣١، ١٣٢، ٤٥١
 اليمينى: تأليف «العتبي» (أنظر: تاريخ اليمينى)
 يوسف و زليخا: تأليف «الفردوسى» ١٥٤، ١٥٥، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٥
 تاريخ الادب في ايران من الفردوسى الى السعدى/ تعريب، النص، ص: ٧١١

٢ أسماء الأعلام

(١)

إبراهيم (عليه السلام) ٢٤٣، ٢٧٨
 إبراهيم بن أدهم ٢٨٠
 إبراهيم أمين الشواربى، دكتور (انظر: المترجم)
 إبراهيم بن إينال بن سلجوق ٢١٦
 إبراهيم الخيامى ٣١٧
 إبراهيم عبد القادر المازنى ٣١٨
 إبراهيم الغزنوى ٢٢٥، ٣٨١-٣٨٣، ٤٠٧
 إبراهيم مذكور (دكتور) ١٢٢
 إبراهيم معينى ١٣٣
 أبرهه ٩٣
 الأبيوردى ١٠٣، ٣٧٤
 أتراك ٢٧، ٢٩، ٢٢٢، ٢٢٣
 آنسز ٣٧٢، ٣٧٩، ٣٨٦-٣٨٨، ٤١٧-٤١٩، ٤٢٢، ٤٣٨، ٤٤٥
 إتيه ٢٢، ١٢٤-١٢٧، ١٣٥، ١٣٦، ١٥٤، ١٥٥، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٣، ٢٣٧، ٢٥٨، ٢٦٦، ٢٦٩
 ٢٧٤، ٢٧٩، ٣٠٢-٣٠٤، ٣٢٥-٣٢٨، ٣٣٧، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٨٦، ٣٩٦، ٤١٠، ٤٦٧، ٥٠٧، ٥٢٢، ٥٢٦، ٥٦٩-٥٧٢
 ابن الأثير: ١١٦، ١٢٠، ١٢٣، ١٣٨، ١٣٩، ١٦٠، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٣، ٢١٧-٢١٧، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٣، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٤٥-٢٤٧، ٢٤٩-٢٤٩، ٣٧٩، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٨، ٣٩٠، ٣٩١، ٤٤٣، ٤٤٧، ٤٥٢، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٧٢، ٤٩٠، ٥٩٢، ٥٩٣، ٦٠٢
 أثير الدين (شاعر) ٣١٩
 أثير الدين الأخصيكتى ٤٣٥، ٥٠٥، ٥٤٣
 أثير الدين المروزى ٤٣٥
 أحمد (النبي صلعم) ٣٦٦

- أحمد تاقدار ٥٦٢، ٥٦٦
أحمد حامد الصراف ٣١٨
أحمد بن الحسن الميمندي ١١٣، ١٢٠، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٢، ١٦٦
أحمد بن حنبل ٢٢٧، ٤٨٥
أحمد خان (ملك سمرقند) ٣٧٢، ٣٩٠
أحمد الخجستاني ٢٣
أحمد رامى ٣١٨
أحمد زكى ابو شادى ٣١٨
أحمد الصافى النجفى ٣١٨
أحمد بن الضحاك ٥٨٧
أحمد بن عبد الملك بن عطاش (انظر: ابن عطاش)
أحمد بن عمر بن على (انظر: نظامى عروضى)
أحمد الغزالي ٣١٩
أحمد فريد رفاعى (دكتور) ٦١٢
أحمد الفرغونى ٤٥١
أحمد بن محمد بن أبى بكر الخالنجانى ١٦٠، ١٦٧
أحمد بن ملكشاه ٢٢٧
أحمد بن نصر الله التوى ٣١٥
أحمد بن وهسودان ٣٨٩
أختسان بن منوچهر ٤٩٩، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٩، ٥٢٨
الأخطل ٤٩٢
أخطى (أمير ترمذ) ٤٢٢
أخو فرج الزنجاني ٥٠٨
ادم ٢٤٣، ٢٤٣، ٢٧٨، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٦٥٠، ٦٦٥
إدوارد براون (انظر: براون)
إدوارد الثانى ٥٦٢
إدوارد هرون ألن (انظر: هرون ألن)
أديب صابر ٣٧٣، ٣٧٩، ٣٨٥، ٣٨٦، ٤١٩، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٧٦، ٤٩٢
تاريخ الادب في إيران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٧١٢
أريتيوس ٥٩٦، ٥٩٧
أردشير ١٧٠
أرسطو (ارستطاليس) ١١١، ١٢١، ٣٥٨
أرسلاشاه ٣٨٠
أرسلان أرغون ٢١٠، ٢٢١، ٣٧٦
أرسلان جاذب ٢١٤
أرسلان خاتون خديجة ٢١٠، ٢١٦
أرسلان بن مسعود بن إبراهيم ٣٨٢
أرطغرل ٢٠٨
أرغش فرهادوند ٣٤٦
أرغون ٥٧٦، ٥٩٤
إزرقى ٥٣، ١٦٠، ٣٧٣، ٤٠٦، ٤٠٧
أبو إسحق الشيرازى ٩٧
أبو إسحق الصابى (انظر: الصابى)
أسحق اليهودى ٤٣٠
أسدى ٢٨، ١٣٤، ١٧٨-١٧٨، ١٨٠، ١٨٦، ٣٤٠
أسدى الأصغر ١٧٨، ٣٣٨، ٣٤٠-٣٤٢، ٤١٢
أسرائيل بن سلجوق ٢١٠، ٢١٣، ٢١٤
أسعد مهنه ٤٦٥
إسفنديار (بطل أسطورى) ١٤٧، ١٥٠
ابن اسفنديار ٦٢، ١٠٨، ١١٦، ١١٩، ١٣٣، ١٥٥-١٥٨، ١٦٠، ١٦١، ١٦٣-١٦٥، ١٩٦، ٣٤٩، ٤٥٤، ٥٢٦، ٥٧٩، ٥٩٠، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦٢٢
إسكندر ١٢، ١٣٠، ١٩٥، ٣٥٢، ٣٥٣، ٤٣١، ٤٣٢، ٥٢٤، ٥٣٥، ٥٤٨، ٥٩٤
إسماعيل (مهندس) ٥٦٣
إسماعيل بن جعفر الصادق ٢٤١-٢٤٣، ٢٥٨
أبو إسماعيل عبد الله الأنصارى (انظر: الأنصارى)
إسماعيل الفقيه ١٢٢
إسماعيل بن نوح السامانى ١٣٦
إسماعيل الوراق ١٦٠، ١٦٧، ٤٠٦
إسماعيلية (أبضا باطنية، ملاحدة، حشاشون) ٢٠، ٢١، ١٢٠، ١٢٩، ١٦٦، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٢٠، ٢٢٩، ٢٣٢، ٢٣٧-٢٣٧، ٢٣٩-٢٤١، ٢٥٤، ٢٥٧
٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٥، ٢٦٨، ٢٧١، ٢٧٧، ٢٨٢، ٢٨٤، ٣٠١، ٣٢٢، ٣٦٩، ٣٧٢، ٣٧٧، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٤-٣٨٦، ٤٨٦

ابو أيوب الأنصاري ٣٣٦

(ب)

بابا جعفر ٣٢٤

بابا طاهر الهمداني ٣٠٤، ٣٢٢-٣٢٨، ٣٢٥

بابا كمال الجندی ٦٢٨

باير ٢٨، ٤٤٧

البايئة ١٠٤، ٢٣٢، ٢٤٨، ٥٨٣

باتسون (السيدة) ٣٠٧

باجونيان ٥٨٤

بانخر ٥٠٦-٥٠٩، ٥٢٤

الباخرزي ١١٥، ١٣١، ٤٥١-٤٥٤

باربد الجريدي ١٠٨، ١٣٣

باربييه دي منار ١٠٧، ١٦٣، ٣٥٤، ٦١١، ٦١٢

بارجيس ٦٤٠

باوند ١٦٠، ١٦١

بايتوز ١١٤

بايدو ٥٦٦، ٥٧٥

بايزيد البسطامي ٢٧٠، ٢٨٠

بايسنقر ١٦٦

البحري ٢٧٩، ٢٩٢

بختنصر ٥٤٧

البيخيتاري الأهوازي ١٧٥

بدر ٢٤٩

بدر الدين ٥٥٨

بدر الدين لولي ٥٨٣

ابن بدرون ٤٥٠

بديع الزمان الهمداني ٣٣، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٩، ١٠٩-١٢٨، ١٣٠، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٥٦، ٤٩٢

بديهي السجاوندي ٣١٩

براقي الحاجب (أو التركماني) ٥٧١، ٦٤٥

البرامكة ٢٣٠، ٦٠٣

براون ١-٣، ٨، ٢٣، ٣٣، ٣٧، ٥٦، ٥٩، ١٢٥، ١٥٩، ١٧١، ١٨٠، ٢٠٨، ٢٣٤

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٧١٤

٣٠٤، ٣١٥، ٣٩٨، ٤٠٦-٤٠٩، ٤٢٣، ٤٢٣، ٤٤٢، ٤٦٣، ٥٣٦، ٥٥٥، ٥٠٠، ٦٠٣، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٤٠، ٦٤٥، ٦٦١

براون (الآنسة إم. م) ٤

برزين ٥٥٥

بركيارق ٢٣٠، ٣٧٢، ٣٧٤-٣٧٤، ٣٧٧، ٣٨٩، ٣٩٠

برهان الدين الترمذي ٦٥٥

برهاني ٤٩-٥١، ٢١٨، ٢٣٤، ٣٨٥

بروكلمان ١١٦، ١١٧، ١٢١، ١٢٢، ٣٦٣، ٣٦٨، ٣٦٩، ٤٢٠، ٤٥٧، ٥١٦، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦٢٠، ٦٣٣

بزجمهر ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٣

البيستي ١١٤

بسحق الشيرازي (انظر: أبو إسحاق)

بشار بن برد ٤٧

بشر الإسفرايني ٤٢٣

بغا ٣٧٥

بغرا ٥٥٧

بقراط ١٢١، ٣٥٣

أبو بكر (الصدق) ١٦١، ٢٤٠، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٩٦، ٥٣٦، ٥٣٦

أبو بكر الأزرق (انظر: أزرق)

أبو بكر بن إسحاق ١٦٥

أبو بكر بن سعد بن زنگي ٥٨٣، ٦٢١، ٦٢٥، ٦٧١، ٦٨٧

أبو بكر بن السلماي ٤٣٣

أبو بكر عبد الله بن محمد (انظر: نجم الدين داية)

أبو بكر الكهستاني ٣٥٠

أبو بكر محمد بن علي السرخسي ١٠٩

البكري ٣٧٤

بكتل (انظر: هرمان بكتل)

البلادري ١٦٤

بلاند ٢٥٨، ٢٦٦، ٦٠٧
 البلعمي ١٣٢
 بلقيس ٦٤٩
 بلكا (انظر: أترو بلكا)
 بلوخمان ٣٠، ٣٥
 بلوشيه ٣١٣، ٥٥٥
 بنت التجارية ٤٣٧
 البنداري ٢٠، ٤٠، ٢٠٩، ٢١٣، ٢١٦، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٢-٢٢٤، ٢٣١، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤٨، ٢٥١، ٣٧٨، ٣٧٩، ٤١١، ٤٥٧، ٥٩٠، ٥٩٨، ٥٩٩
 بنيامين التيوديلي ٢٥١
 بهاء الدولة البويهى ١٦٧
 بهاء الدين أبو بكر ٥٢٩، ٥٣٦
 بهاء الدين الجوينى ٥٧٦
 بهاء الدين ولد ٦٢٩، ٦٥٤
 بهاء الدين سلطان ولد (انظر: سلطان ولد) بهاء الله ٨٤، ١٠٤
 بهرام جوبين ١٠٦، ١٣٠
 بهرامشاه (الغزنوى) ٣٧٢، ٣٨٣، ٣٨٣، ٣٩٦، ٣٩٧، ٤٣٠، ٤٤٣
 بهرام گور ١٠٦، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢
 بهرامى السرخسى ٣١، ١٣٢، ١٣٤، ١٩٤
 بهمن كرمي ٦٢٤
 ابن البواب ٦٢٠
 البونى ٥٩٠، ٦١٨
 البويهية (بنويه) ٢١، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٩، ١١٥، ١١٧، ١٦٧، ٢٠٧، ٢١٣، ٥٧٨
 بيدبا ٤٤٤
 البيرونى ١٠٦، ١١١-١١٣، ١١٦، ١١٧، ١١٩-١٢١
 البيصاني ١٠٢
 البيضاوى ٥٩٠، ٦٢٠
 ابن البيطار ٥٩٠، ٦٠٥، ٦١٨
 تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٧١٥

(ب)

بالمر ١٢٧، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٦٠، ٤٦١
 پتزی ٢٣
 پتتهام ٣٣، ٦٨، ٧٩
 پر تش ٣٠، ٢٥٨، ٢٧٤، ٣٦٢، ٤٦٧، ٤٧٠
 پرجاس ٥٩٧
 پرستون ١٢٨، ١٢٩
 پسر خمخانه ٣٣٩
 پشن (بطل أسطوري) ١٥٣
 پندار الرازی ١٣٥، ١٩٥-١٩٧، ١٩٩، ٣٥٠، ٥٠٦، ٥٣٤
 پوكوك ١٢٤، ٥٩٤
 پول هورن ٢٨، ١٧٨، ٣٤١، ٤١٢، ٦٢١
 پيغو (انظر: موسى أرسلان پيغو)

(ت)

تاج الدين إبراهيم ٥٢٩
 تاج الدين أحمد ٤٨٤
 تاج الدين أحمد بن الخطيب الكنجوى ٤٣٦
 تاج الملك ٢٣٠-٢٣٢، ٢٣٦، ٢٦٠، ٣٧٥
 التاهرتي ٢٤٨
 التبريزي ٣٧٤، ٤٤٩
 التار أو (التتر، أنظر: المغول)
 تنش ٢١٠، ٣٧٦
 تربنر ١٥٥، ٤٨٥، ٦٦٠
 ترکان خاتون الخوارزمية ٥٥٩، ٥٧٠
 ترکان خاتون (زوجة ملكشاه) ٢٢١، ٢٢٧، ٢٣٠، ٣٧٥، ٣٧٦
 ترنر مكن ١٥٥، ١٧١، ٣٤١
 تشسترتون ٣
 تشنرى ٤٥٦
 تقاق ٢١٠

تقي الدين الكاشاني ٢٦٦، ٤٦٩، ٦٤٦

تكش (ابن ألسان) ٢١٠

تكش خوارزمشاه ٦٨٧

أبو تمام ١٠٢

أبو تميم معد (انظر: المستنصر بالله)

تيسون ٣٢٦، ٣٧

توبه ابن الحمير ٣٣٥

ورانشاه ٣٨٠

توراكتنا (زوجه اوكداي) ٥٧٤

تورنبرج ٥٥٥، ٥٩٢

توفيق مفرج ٣١٨

تولى بن چنگيز خان ٥٧٥

توم هود ٦٣

التيفاشي ٥٩٠، ٦١٨

تيمور ألباتو ٣١٣

تيمور لنگ ٢١، ٥٥٢، ٥٦٥

تيمور ملك ٥٥٨

التيمورية (الدولة) ٤٤٧

تيودور هاربروكر (انظر: هاربروكر)

(٥)

التغالي ٧٨، ١٠٧، ١١٥، ١١٦، ١١٨، ١١٩، ١٢٨، ١٢٩، ١٣١، ١٣٢

نقة الملك شهريار ٣٤٣

(ج)

جارسان دي تاسي ٦٤٣، ٦٤٨

الجاحظ ٥٠٥

جار الله (انظر: الزمخشري)

جاللان ٤٤٥

جالن (جالن أو جالينوس) ١١١، ١٢١، ٣٥٣

جامي ٣٧، ١١٠، ١٢٤، ١٧٦، ٢٩٩، ٣٢٧، ٣٩٦، ٤٠٦، ٥١٠، ٥٥٩، ٦٢٧-٦٢٥، ٦٢٧، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣٤، ٦٣٦، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٦، ٦٤٧

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٧١٦

جانتن (انظر: كاتنان)

جان دي پلان كاربان ٥٦١، ٥٦٢، ٥٧٤

جب (إ. ژ. و) ٢٩، ٣٠، ٣٩، ٩٨، ٥١٦، ٦٥٥

جيلان ٢٥١

ابن جبير ٥٩٠، ٦١٤

جراف ٩١، ٩٤

الجرىاذقاني ٥٩٠، ٥٩٧

جرجيس المكين ٥٩٠، ٥٩٦

جرجورى التاسع ٥٧٣

جرجوريوس (انظر: ابن العبري)

جرير ٤٩٢

الجزويت ٢٤٢

جعفر الصادق ٢٤٠

جعفر ك ٢٢٧

جعفر بن المقتدى ٣٧٥

الجغميني الخوارزمي ٦١٨

ابن چكتينا ٤٥٨

جلادوين ٣٠، ٦٤، ٦٩، ٧٥، ٩٠، ٩٨

جلال (الأمير جلال) ١٥

جلال خاوري ٦١٣

جلال الدين ٥٢٩

جلال الدين الرومي ١٢٧، ٢٥١، ٣٠٩، ٣١٩، ٣٢٨، ٣٩٥، ٣٩٨، ٥١١، ٥٦٤، ٦٢٣، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣١، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٤٢، ٦٤٧، ٦٥٤-

٦٦١، ٦٦٤

جلال الدين المنكبرني (خوارزمشاه) ٣٨٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٩، ٥٦٧-٥٧٣، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٦٨٧

جلال الدين نومسلان ٢٥٣، ٥٧٨، ٥٧٩، ٦٥٦

جلال طيب ٦١٣

جلال هماني ١١٧

جمال الدين حسن ٥٢٩

جمال الدين الجيلاني ٦٢٨

جمال الدين أبو الحسن على (انظر: القفطي) تاريخ الادب في ايران من الفردوسى الى السعدى/ تعريب النص ٧١٦ (ج) ص :

٧١٥

الدين عبد الرزاق ٥٠٣، ٤٨٦، ٤٨٧

جمال الدين القزويني ٣١٩

جمال القرشي ٥٩٠، ٤١٩

جمال الملك بن نظام الملك ٢٢٧، ٢٣٠

جمشيد ٢٧٨

جميل صدقي الزهاوي ٣١٨

أبو الجناح أحمد بن عمر الخيوي (انظر:

نجم الدين كبرى)

جناح الدولة ٣٨٩

جنتي الخشي ٤٣٥

جنگيز خان ٢١، ٢٣٩، ٤٨٤، ٥٥٢، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٦١، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٧، ٥٧٠، ٥٧٣، ٥٧٩، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٢٦

جنيد الشيرازي ٦٢٤

جهان پهلوان (انظر: نصرة الدين أبو بكر)

جهان سوز (انظر: علاء الدين حسين الغوري)

الجواليقي ٣٧٤، ٤٥٠

جوينو ٦٣٥

جودي ٥٧١

جور أوزلي (انظر: أوزلي)

جورج پنتهام (انظر: پنتهام)

جورج قناتي ١٢٢

ابن الجوزي ٥٨٤، ٥٨٥، ٦٧٠

جولديزهر ٣٦٥-٣٦٨

جولوغ ١٤٤

جون باردون إليوت ٦٠٧

جون باين ٣٢٠

جون بلاك ٥٩٥

جون كايوا ٤٤٥، ٤٤٨

جوهر ٣٧٩

جوهر خاتون (زوجة جلال الدين الرومي) ٦٥٤

تاريخ الادب في ايران من الفردوسى الى السعدى/ تعريب، النص، ص: ٧١٧

جوهر خاتون (زوجة محمد بن ملكشاه) ٤١٢

الجوهري ٦١٩

جوهرى الهروي ٤٣٥

جويارد ٢٤٣، ٢٥٧

جوينيل ٦١٢

الجويني (انظر: عطا ملك)

جييجر ١٨٠

جيسي كادل (الآنسة) ٣٢٠

جيمس ردهاوس (انظر: ردهاوس)

جيمس رينولدز ٥٩٨

(ج)

چغتاي ٥٧٤

چغري بيگ داود ٢١٠، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٧٠

چلبى أمير عارف ٦٥٨

چنگاج ٥٧٤

چنگيز خان (انظر: چنگيز خان)

چودزكو ١٢٦

(ح)

ابن الحاجب ٥٩٠، ٦١٩

حاجي خليفة ٣٠، ٣٠١، ٣١٧، ٤١١، ٤٦٩، ٥٠٧، ٦٤٦

الحافظ (الخليفة) ٣٨٩

حافظ الشيرازي ٣٨، ٣٩، ٥٩، ٩٢، ٢٥١، ٣١٩، ٣٢٢، ٣٣٤، ٤٠١، ٤١٦، ٥١٠، ٦٦٧، ٦٨٢-٦٨٦

الحاكم بأمر الله ٢٤٥

حام ٢٧٨

أبو حامد محمد (أنظر: الغزالي)
الحريري ١٠٣، ١٠٩، ١٢٩، ٣٧٤، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤٩، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٩٢
ابن حزم ٤٦٠
حسام الدوله أردشير ٤٦٢، ٥٢٦، ٥٢٨، ٥٣١، ٥٨٧
حسام الدين أردشير (انظر: قبله)
حسان بن ثابت ٢٧٩، ٤٩٢
حسن البيروني ٦٤٠
أبو الحسن البيهقي ٣١٥
حسن حسام الدين بن أخي ترك ٦٥٧، ٦٥٨
الحسن بن الصباح ١٢٩، ٢١٢، ٢٣٢، ٢٣٥-٢٣٥، ٢٤٦، ٢٤٨-٢٥٨، ٢٦٢، ٢٦٥، ٢٧٠، ٣١٤، ٣٨٨، ٣٩١، ٤٩٩، ٥٧٦، ٥٧٧
أبو الحسن الفراهاني ٤٦٨، ٤٧١، ٤٩٤
الحسن بن فيروزان ٣٤٧، ٣٥٣
الحسن بن علي ٢٤٠، ٣٥٣، ٤٠٢، ٤٠٣
أبو الحسن علي بن جولوغ (انظر: فرخي)
الحسن بن علي الطوسي (انظر: فردوسي)
أبو الحسن علي الماوردي (انظر: الماوردي)
الحسن المازندراني ٥٨٠
الحسن بن محمد بن كيا بزرگ اميد ٥٧٧
حسنويه (آل حسنويه) ١٠٥
أبو الحسين ١٠٨
حسين جهانسوز (انظر: علاء الدين حسن)
حسين بن علي ٨٤، ١٠٤، ٢٤٠، ٣٥١، ٣٥٣، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٥٤
حسين بن علي ميكائيل ١١١
حسين الغوري (انظر: علاء الدين حسين)
حسين بن قتيبة ١٥٧، ١٥٨
حسين مظلوم رياض ٣١٨
الحسين بن منصور الحلاج ٦٣٥
الحسين بن نامور ٥٧٨
حسين واعظ كاشفي ٢٣٧، ٤٤٥
الحشاشون (انظر الاسماعيلية)
حقائقي ٤٩٥، ٤٩٦
الحكيم حسن القطان ٤١٩
الحكيم الموصلی ٢٣٣
الحلاج (انظر: الحسين بن منصور)
تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٧١٨
حمد الله المستوفي ١٥٦، ٤٧٠، ٥٠٤، ٥١٠
حمشا (الشيخ) ٣٢٤
حميد الدين أبو بكر البلخي ٣٧٤، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٥٦، ٤٩٢، ٤٩٣
حميد الدين الجوهري ٤٣٣
ابن حنبل (أنظر: أحمد بن حنبل)
حنظلة بادغيسي ١٠
أبو حنيفة النعمان ٢١١، ٢٢٧، ٢٨٠، ٦٢٦
حواء ٢٧٨، ٦٦٥
حيي قتيبة ١٥٧، ١٥٨

(ح)

خاتون سفريه ٢١٠، ٢٢١
الخاتوني (أنظر: أبو طاهر الخاتوني)
خاقاني ٩٦، ٩٩، ٣١٩، ٤٢١، ٤٣٣، ٤٣٧، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٨٨، ٤٩٤-٥٠٦، ٥٠٩، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٤١، ٥٤٣، ٥٦٣، ٦١٧
خالد بن الربيع ٤٨٣
خانيقوف ٩٦، ٤٩٥، ٤٩٧-٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠٢، ٥٠٤-٥٠٦
خرشيد بن أبي القاسم المامطري ١٠٨، ١٣٣
الخرمية ٢٦٢، ٢٦٣
خسرو پرويز ١٠٦، ٥١٣
خسرو دهلوي ٦٨٦
خسرو شاه بن بهرامشاه ٣٨٣
الخشروي ١٠٩
الخضر (عليه السلام) ٦٣٤
حضر خان ٤٢٣، ٤٢٤

ابن الخطيب البغدادي ۶۱۰

ابن خلدون ۱۰۱، ۱۰۲، ۱۰۴

خلف ۱۴۵

ابن خلکان ۱۱۱، ۱۱۶، ۱۱۸، ۱۲۲، ۱۲۷، ۳۱۶، ۳۱۷، ۵۵۵، ۵۹۰، ۵۹۲، ۶۰۲، ۶۰۳، ۶۳۲، ۶۳۸، ۶۳۹

ابن الخمار (أنظر: أبو الخير الحسن)

خواجہ أبو الفتح ۴۷۴

الخوارزمشاه (الدولة الخوارزمية) ۲۲۵، ۳۸۳، ۳۸۸، ۴۱۷، ۴۲۰، ۵۰۱، ۵۰۲، ۵۲۸، ۵۴۵، ۵۴۹، ۵۵۶، ۵۷۳، ۵۷۸، ۵۹۶، ۶۰۰، ۶۳۰، ۶۴۵، ۶۸۷

خورشيد بن أبي القاسم المامطيري (أنظر:

خرشيد)

أبو الخير الحسن بن الخمار ۱۱۱، ۱۱۲

الخيام ۴۸، ۹۹، ۱۲۵، ۱۲۶، ۱۶۹، ۲۰۶، ۲۲۰، ۲۲۶، ۲۳۵، ۲۳۸ - ۲۳۹، ۲۷۰، ۳۰۴ - ۳۲۱، ۳۲۳، ۳۲۸، ۳۶۷، ۳۷۳، ۴۲۶، ۴۷۵، ۴۷۶، ۶۰۸، ۶۱۳

(د)

دارا ۲۸۵، ۵۹۴

دارا بن منوچهر (الزياري) ۲۱۲

دار مستتر ۱۱

دانيال ۲۷۸

داود بن سليمان ۶۷۳

داود بن ملكشاه ۲۲۶

داوري شيرازي ۵۷

أبو داؤود (داعي الدعاة) ۲۴۹

الديبتي ۵۹۰، ۶۱۰

دربورج ۴۴۰، ۴۴۸

الدروز ۲۴۵

درويش حسن ۵۹۸

درويش کرمانی ۵۸۳

دعبل ۴۶

الدقيقي ۲۸، ۱۳۳، ۱۵۰، ۱۵۳، ۲۷۰، ۳۳۸

أبو دلف ۱۵۷، ۱۵۸، ۴۷۴

دنيسون روس ۱۷۵، ۳۰۷ - ۳۰۹، ۳۱۷، ۳۲۲، ۶۰۰

دون ۱۱۶، ۲۵۸، ۶۱۰

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدى / تعريب، النص، ص: ۷۱۹

دوسون ۵۴۶، ۵۴۹، ۵۵۲، ۵۵۴، ۵۵۶، ۵۶۰، ۵۶۱، ۵۶۳، ۵۶۶ - ۵۶۹، ۵۸۰، ۶۰۰

دولتنامه ۲۴، ۲۶، ۳۰، ۳۰، ۸۳، ۱۰۴، ۱۱۴، ۱۳۶، ۱۳۹، ۱۴۰، ۱۴۳، ۱۴۴، ۱۵۲، ۱۵۳، ۱۶۲، ۱۶۴، ۱۶۵، ۱۶۷، ۱۶۸، ۱۷۸، ۱۸۰، ۱۸۹ - ۱۹۴

۱۹۴، ۱۹۶ - ۱۹۹، ۲۳۳، ۲۳۴، ۲۷۵، ۳۰۱، ۳۰۸، ۳۱۵، ۳۳۸، ۳۳۹، ۳۴۳ - ۳۴۵، ۳۴۹، ۳۷۸، ۳۸۵، ۳۸۶، ۴۰۶، ۴۰۷، ۴۰۹ - ۴۱۲، ۴۱۸

۴۱۸، ۴۲۰ - ۴۲۲، ۴۲۵، ۴۳۰، ۴۳۲ - ۴۳۴، ۴۶۴، ۴۶۸، ۴۶۹، ۴۹۹، ۵۰۴، ۵۰۷، ۵۱۰ - ۵۲۵، ۵۲۷، ۵۲۹، ۵۳۴، ۵۴۲، ۵۷۴، ۶۴۷ - ۶۴۵، ۶۴۷

۶۵۸، ۶۸۸

الدويدار الصغير (أنظر مجاهد الدين ابيك)

الديالمة ۱۰۵، ۵۷۸، ۵۸۲، ۵۹۶

دى يوير ۳۶۵

دى جويه ۲۴۳

دى ساسى ۲۴۳، ۲۴۴، ۴۵۶، ۴۵۷

دى سلان (سلين) ۱۱۴، ۵۵۰، ۵۹۲، ۵۹۳، ۶۰۳

ديواروز (انظر: على بيروزه)

ديواروز مستمر ۱۳۳

ديو جينس رومانوس ۲۲۲، ۲۲۳

دى يونج ۱۱۶

(ذ)

ذو القرنين (انظر: الإسكندر)

ذو النون المصري ۲۸۰، ۶۴۱، ۶۶۱

(ر)

رابعة بنت كلب القسدانية ۱۳۴، ۱۹۴

الرازي (انظر: فخر الدين)

الراشد (الخليفة) ۳۸۰، ۳۸۱، ۳۸۹

رافعى ۱۳۴

رافرتي ٥٩٦
 رامين ٣٤٢-٣٤٤
 الراوندي ١٨٩، ٢١١، ٣٧١، ٣٧٩، ٤١٢، ٤٨٨
 رايت ٤٤٤، ٤١٤
 ربيع بن المطهر القصري ٣٥٢
 ردهاوس ٦٥٦-٦٥٨، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٤
 رستم (البطل الإيراني) ١٧١، ١٧٣، ٣٥٧، ٣٨٧
 رستم بن أردشير (أو شهريار) ٦٠٨، ٦٠٩
 ابن رشد القرطبي ٣٧٠
 الرشيد (انظر: هارون الرشيد)
 أبو رشيد ٥٠٥
 رشيد بن الخاقاني ٥٠٤
 رشيد بن شالب الدحداح اللبناني ٦٤٠
 رشيد الدين سنان ٢٥٧
 رشيد الدين فضل الله ٢، ٢٣٨، ٢٣٩، ٣١٣، ٥٥٥، ٥٦٤، ٥٧٧، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨٢
 رشيد الدين الطواط ٣١، ٥٦، ٦٨، ٩٤، ٩٦، ١٤٤، ٣٣٩، ٣٧٣، ٣٨٥-٣٨٨، ٤١٧-٤٢١، ٤٢١، ٤٣٨، ٤٩٢، ٥٠٢، ٥١٣
 رشيدى السمرقندى ٣٣٩، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٣٥، ٤٩٢، ٥٢٦
 الرضا (انظر: علي الرضا)
 رضاء الدين ٣١٩
 رضا قلي خان ١٣٥، ٢٩٢، ٣٢٤، ٣٤٦، ٤١٢، ٤١٣، ٤٥٢، ٦٠٧، ٦١٧، ٦٤٤، ٦٥٨
 رضى الدين ٥٢٩
 رضى الدين علي لالا ٦٢٧، ٦٢٨
 ركن الدين (امام بخارى) ٥٥٨
 ركن الدين خورشاه ٢٥٣، ٢٥٧، ٢٥٨، ٥٧٩-٥٨٣
 ركن الدين صاعد بن مسعود ٦٨٧
 الروانشاهي ٤٢٧-٤٢٩
 روبرت منتجومرى ٣٩٨
 روبريكس ٥٦٢، ٥٧٥
 أبو روح لطف الله ٣٢٧
 تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٧٢٠
 روحى الولولجى ٣٣٩، ٤٣٥
 رودكى ١٠، ٢٢، ٢٤، ٢٥، ٢٧، ٢٨، ١٠٣، ١٠٤، ١٤٦، ٢٧٩، ٣٤٢، ٤١٣، ٤٢٦، ٤٤٥، ٤٧٣، ٥٠٥
 روزبهان ٥٩٠، ٦٢٣-٦٢٥
 روس (انظر: دينسون روس)
 روكرت ٣٠، ٣٣، ٥٦، ٧٩، ٨٧، ٩٠، ٩٨، ١٥٥
 رومانوس (انظر: ديوجينيس)
 الروياني (انظر: عبد الواحد الروياني)
 ريكا ٥١١، ٥٢٣
 ريتز ٥١١، ٥٢٣
 أبو ربحان البيروني (انظر: البيروني)
 ربحانه الخوارزمية ١١٧
 ريلاندز (السيدة) ٦٠٧
 ربو ١١٧، ٢٣٧، ٢٥٨، ٢٧٤، ٣١٧، ٣٤٦، ٣٩٩، ٤٣٩، ٤٤١، ٤٤١، ٤٩٥، ٥٩٧، ٦٢٢

(ز)

زبيده (زوجة ملكشاه) ٣٧٥، ٣٧٧
 أبو زراعة المعمرى الجرجاني ٤٧٣
 زردشت ٩، ١١، ١٢، ١٥٣، ٥٠٦
 زكريا القزويني (انظر: القزويني)
 زليخا ٣٩، ٣٣٧
 زليخا خاتون (أخت ملكشاه) ٢٢٧
 الزمخشري ٣٧٤، ٤٥٠، ٤٥٦، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٥٩، ٤٦٩
 زوتنبرج ١١٦
 الزوزنى ٣٧٤، ٤٤٩
 ابن الزيات ١٠٢
 الزيارية (آل زيار) ١٠٣، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٨، ١١٥، ٣٥٤، ٤١٠
 زيد ٥١٧
 الزيدون ١٠٨
 رليجمان ١٧٨، ٣٤١

السمعاني ٥٩٣

سنائي ٣٠٤، ٣٢٨، ٣٨٣، ٣٨٢، ٣٩٥-٣٩٧، ٤٠١، ٤١٤، ٤٢١، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٩٢، ٥٠٥، ٥١١، ٤١٣، ٤٢٢

سنائي المروزي ٤٣٥

سنباد المجوسى ٢٤٢

سنجر ٢٠، ١٣٦، ١٤٢، ٢٢٦، ٣٠٦، ٣١١، ٣٢٦، ٣٢٩، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٤، ٣٧٦، ٣٧٨-٣٨٢، ٣٩١، ٣٩٥، ٤١٣، ٤١٩، ٤٢٦، ٤٣٠، ٤٣١

٤٣١، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠-٤٥٢، ٤٤٤

سهراب ١٧١-١٧٣

السهروردي المقتول ٦٣٥، ٦٣٢

ابن سهل ١٠٢

سهل الخجندی ٣٥٢

ابو سهل المسيحي ١١١، ١١٢

سهل بن هارون ١٠٢

سورى بن المغيرة ١٦٦

سوزنى ٣٧٣، ٤٢٣، ٤٣٤، ٤٨٤

سيد حسن الغزنوى ٤٣٥، ٤٣٧

السيد ذو الفقار ٤٩٦

سيد ابو طالب حميد الدين ٤٨٤، ٤٩٣

السيدة والدة مجد الدولة ٣٥٠، ٣٥٢

تاريخ الادب فى ايران من الفردوسى الى السعدى/ تعريب، النص، ص: ٧٢٢

سيف الدين الباخزرى ٢١٩

سيف الدين حسين ٣٨٢

سيف الدين عمر ٤٨٠

سيفى التيسابورى ٤٣٥

ابن سينا ١١١-١١٤، ١٢١-١٢٢، ١٢٧، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢

السيوطى ٢٢٠، ٣٧٠

(ش)

شارل شيفر (انظر، شيفر)

الشافعى ٢٨٠

ابن شاذان ٣١٧، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤١٥-٤١٧

شاه إسماعيل الصفوى ٢٠

شاهفور أشهرى ٣٠٨، ٤٩٦، ٥٠٥، ٥٢٧

شاهنشاه ٥٨١

شاهى ٣١٩

شبل الدولة ٢٣٣

شجاعى ٤٩٢

شرف الدين ابو حفص (انظر: عمر بن الفارض)

شرف الدين رامى ٣٠، ٩٨

شرف الدين عبد الله (انظر: ابن الجوزى)

شرف الدين محمد (انظر: شرفه)

شرفشاه ٥٢٩

شرف المعالى ٣٥٣، ٣٥٤

شرف الملك ١٣٤، ٣٩٣

شرف الملك أبو سعد ٢٣١، ٢٦٠

أبو الشرف ناصح (انظر: الجريزى)

الشريف الرضى ١٠٢، ١٣٠

شرفه الإصفهاني ٥٤٣، ٤٨٦، ٤٨٧

شكسبير ١٠

ابو شكور البلخى ٣٥٣

شلشتا و سرد ١٧٦

شمالي ٤٠٢

شمس الدين ٥٢٩

شمس الدين أحمد الأفلاكي ٦٥٦-٦٥٨، ٦٦٤

شمس الدين ألتشمش ٥٩٥، ٦٠٦

شمس الدين التبريزى (شمس تبريز) ٦٥٤-٦٥٩، ٦٦٤

شمس الدين ابو الفرج (انظر: ابن الجوزى)

شمس الدين محمد الجوينى ٦٧٧

شمس سيمكش ٣٣٩

شمس طبسى ٦١٣

شمس قيس الرازي ٢، ٣١، ٢٣١، ٤١٢، ٥٩٠، ٦٢١

شمس الكفأة (انظر: احمد بن الحسن الميمندي)

شمس المعالي (انظر: قابوس بن وشمگیر)

شمعون ٢٧٨

شناسی افندی (الشاعر التركي) ١٠٣

شهاب الدين (الأمير الغوري) ٥٧٨

شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد البكري (أو شهاب الدين السهروردي ٥٩٠، ٦٢٣، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٧٠

شهاب الدين محمد بن أحمد (انظر: النسوي)

شهاب الدين يحيى بن حبش (انظر: السهروردي المقتول)

شهربانويه بنت يزدجرد ٣٥١، ٣٥٣

الشهرزوري ٣١٠، ٣١١، ٣١٥، ٣١٦، ٦١٧

الشهرستاني ١٢٢، ٣٧٤، ٤٥٠، ٤٥١

شهریار (الإصهيد) ١٦٠-١٦٢

شهریار بن شرزین ٩٣

شهمردان بن أبي الخير ٣٦٢

شبيخي (الشاعر التركي) ٥١٥

شيرخان لودي ٤٦٨، ٤٦٩

شيرزاد (الإصهيد) ٩٣

شيرزاد بن مسعود بن إبراهيم الغزنوي ٣٨٢

شيرويه الساساني ٥٨٠

شيرين ٥١٣-٥١٥، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٨

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي / تعريب، النص، ص: ٧٢٣

شيفر ١٩، ١٠٨، ١٣٥، ٢٠٩، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٤٨، ٢٥٩، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٦، ٢٦٩، ٢٧٢، ٣٠٠-٣٠٢، ٣٣٩، ٣٦٢، ٣٦٤، ٣٨١، ٥٢١، ٥٥٥، ٥٥٦، ٦٢٢

(ص)

الصابي ١٠٢، ١٠٣، ١٠٩، ١١٩

الصاحب إسماعيل بن عباد ١٠٣، ١٠٩، ١١٦-١١٩، ١٢٩، ١٣١، ١٩٦، ٣٥١-٣٥٣

صائب الإصفهاني ١، ٧٨

صدر خجند (انظر: صدر الدين عبد اللطيف)

صدر الدين عبد اللطيف الخجندی ٣٨٩، ٥٢٧، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٥، ٥٣٦، ٦٨٧

صدر الدين الفوتوي ٦٢٣، ٦٣١، ٦٣٦

صدر الدين محمد بن المظفر ٣٠٦

صدقة بن مزيد ٣٧٧

الصفارية (الدولة أو الصفاريون) ١٩، ٢٣، ٢٤، ١٤٥، ٥٩٦

الصفوية (الدولة) ٢٠

صفي الدين الأردبيلي ٥٢٩

صفي الدين البخاري ٦٢٨

صفي الدين أبو بكر محمد (انظر: الرواشهي)

صفي الدين عمر ٤٨٤

صلاح الدين الأيوبي ٢٤١، ٢٥٦، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦١٤، ٦١٨

صلاح الدين فریدون زركوب ٦٥٨

الصليبيون ٢٠٨

صنعان (الشيخ) ٦٥١

(ض)

ضراب ٢٤٨

الضحاک ٢٧٩

ضياء الدين بن الأثير ٥٩٠، ٦١٩

ضيا ياشا ٤٠، ٦٣، ١٠٣، ١١٤، ١٢٧

(ط)

طالب الأملي ٣١٩

ابو طالب رستم (انظر: مجد الدولة)

الطالقاني ١٩٤

طاهر بن الحسين ١٩

ابو طاهر الخاتوني ٢٢٨، ٢٣١، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣

ابو طاهر الخسراوني ١٧٧، ١٧٨

أبو طاهر الهمداني ١٨٦

الطاهرية (الدولة) ١٩، ٥٩٦
 الطبرى (الفقيه الشافعى) ٤٥٠
 الطبرى ١٩٩، ٢٨١، ٣٥١، ٥٢٠
 طغانشاه السلجوقى ٥٣، ٤٠٦، ٤٦٢، ٥٢٦، ٥٢٨، ٥٣١
 الطغرائى ٣٧٤، ٤٤٩
 طغرل بن أرسلان ٥٠٩، ٥٢٨
 طغرليگ ١٣٥، ٢٠٧، ٢١١، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٨-٢٢٠، ٢٢٠، ٢٨١، ٣٢٤، ٣٤٣، ٣٥٢، ٣٥٣، ٤٥٢، ٤٦٥
 طغرل تگين ٤٩٣
 ابن الطفيل ١٢٤
 ابن الطقطقى ٤٨٣، ٥٨٤، ٥٨٧-٥٨٩
 الطوسى ٤٥٠

(ظ)

الظاهر بيبرس ٥٦٨
 الظاهر بن صلاح الدين ٦٣٢
 ظهير الدين الفاريابى ٩١، ٩٩، ١٩٧، ٤٦١، ٤٩٤، ٥٠٥، ٥٢٥-٥٢٩، ٥٣١، ٥٣٥، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٤٠، ٥٤٢، ٥٤٣
 تاريخ الادب في ايران من الفردوسى الى السعدى/ تعريب، النص، ص: ٧٢٤

(ع)

عاكف (شاعر) ٣١٩
 عائشة ٢٨٠
 أبو العباس أحمد ٥٨٦
 عباس إقبال ٤١٧، ٤١٨، ٤٢٤
 عباس الرازى ٣٩٠
 أبو العباس الرويانى ٣٤٩، ٣٥٢
 أبو العباس الغانمى ١١٩
 عباس المروزى ٢٢
 العباسية (الدولة أو العباسيون) ٢٠، ٢١، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٤٦، ٣٥٣، ٣٨٠، ٣٨١، ٥٨٠، ٥٨٦، ٥٨٩، ٦١٤
 عبد الجبار الخوجانى ٣٥٢
 عبد الحسين خان ١٤
 عبد الحق فاضل ٣١٨
 عبد الخالق ٣٤١
 عبد الرحمن السميرامى ٣٨٩
 عبد الرحمن بن عوف ٦٠٦
 عبد الرزاق (أمير طوس) ١٦٢
 عبد السلام (كاتب قابوس) ١١٩
 عبد الغنى النابلسى ٦٤٠
 عبد القادر الجيلانى ٦٣٢
 عبدك الشروانى ٥٠٥
 عبد اللطيف بن الخجندى (انظر: صدر الدين)
 عبد الله الأنصارى (انظر: الأنصارى)
 أبو عبد الله الديبى (انظر: الديبى)
 عبد الله بن طاهر: ٣٤٥
 أبو عبد الله عمر (انظر: البيضاوى)
 أبو عبد الله بن فضل الله الشيرازى (انظر: الوصاف)
 أبو عبد الله بن محمود ٣٢٧
 عبد الله بن المقفع (انظر: ابن المقفع)
 عبد الله بن ميمون القداح ٢٤٢، ٢٤٢
 عبد الله بن أبى الياسر (انظر: جرجيس)
 عبد الملك العبرى ٣٥٢
 عبد الملك بن عطاش ٣٩١
 عبد الملك بن مروان ١٠
 عبد النعم حسنين (دكتور) ٥٢٥
 عبد الواحد بن إسماعيل الرويانى ٣٨٩، ٤٤٩، ٤٥٤-٤٥٦
 عبد الواسع الجبلى ٤٣٠، ٤٣٢
 ابن عبدون ٤٥٠
 عبد الوهاب عزام (دكتور) ٥٩٩
 ابن العبرى ٥٩٠، ٥٩٣-٥٩٥، ٦٠٥
 عبيد زاكنى ٩٢، ٩٧

عبيد الله المهدي ٢٤٣
 أبو العتاهية ٤٧٠
 العتبي ١١٤، ١١٦، ١١٩، ١٢٠، ١٣٢، ١٦١، ٢٤٨، ٢٩٢، ٥٩٧
 عثمان (رأس الدولة العثمانية) ٢٠٨
 عثمان بن عفان ١٦١، ٢٤٠، ٢٧٩، ٥٣٥
 عثمان (عم ملكشاه) ٢٢٥
 عثمان بن أبي علي الجلابي (انظر: الهجويري)
 العثمانية (الدولة) ٢٨، ٢٠٨، ٥٦٣
 عدنان (الشاعر) ٣٣٩
 العراق (انظر: أبو نصر العراق)
 العراقي (انظر: فخر الدين)
 ابن العربي ٥٩٠، ٦٢٣، ٦٣١، ٦٣٣-٦٣٦، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤١، ٦٤٤
 عز الدين بن الأثير (انظر: ابن الأثير)
 عز الدين الزنجاني ٩، ٦٠٩
 عز الدين بن فتح الدين ٥٨٤، ٥٨٥
 عز الدين الكراتشي ٣١٩
 عز الدين مسعود ٥٠٩
 عز الدين يحيى التبريزي ٥٢٩
 تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٧٢٥
 عزة ٣٣٥
 عسجد ١٣٤، ١٤٣، ١٥٣، ٣١٩، ٣٥٣، ٣٥٩، ٦١٣
 عصمت (شاعر) ٥١٠
 عضد الدولة البويهية ١٠٨، ١٣١-١٣٣، ٣٥٢
 عضد الدين طغانشاه بن مؤيد (انظر: طغانشاه)
 العطار ٣١٩، ٣٢٢، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٧٣، ٣٩٥، ٤٠٤، ٥٦٤، ٦٢٣، ٦٤٢-٦٤٢، ٦٤٩، ٦٥٤، ٦٦١، ٦٧٧
 عطاردى ١٣٤، ١٩٤
 ابن عطاش ٢٢٩، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥١، ٣٩٤
 عطا ملك الجويني ٢، ٢٣٩، ٣٨٢، ٣٨٤، ٣٨٧، ٤١٩، ٤٢٠، ٥٥٥، ٥٦٠، ٥٦٤، ٥٧٦، ٥٨١-٥٨٣، ٥٩٠، ٥٩٩، ٦١٤، ٦١٦
 علاء الدولة خاص بك ٣٦٢
 علاء الدولة السمناني ٣١٩
 علاء الدولة على بن فرامرز ٤٩-٥٢
 علاء الدولة بن كاكويه ١٢٣
 علاء الدولة محمد ١١٢
 علاء الدولة ملك الري ٣١٧
 علاء الدين ٥٦٣
 علاء الدين بن جلال الدين الرومي ٦٥٤
 علاء الدين بن جلال الدين نومسلمان ٥٧٩، ٥٨٠
 علاء الدين حسين جهانسوز ١٢٤، ٣٨٢، ٣٨٣، ٤٢٦، ٤٨٣، ٤٨٤
 علاء الدين بن قماج ٤٨٧
 علاء الدين كيقباد ٦٥٤، ٦٥٥
 علاء الدين محمد بن الحسن ٢٥٣
 علاء الدين محمد خوارزمشاه ٥٤٥، ٥٥١، ٥٥٦-٥٥٨، ٥٧٠، ٥٧٨، ٦١٥، ٦٢٧، ٦٥٤، ٦٧٠
 أبو العلاء السروي ١٠٨
 أبو العلاء سعيد التيسابوري ٣٨٩
 أبو العلاء الكنجوي ٩٦، ٤٣٣، ٤٩٦، ٤٩٨
 أبو العلاء المعري ١٠٣، ٢٧٠، ٣٦٤-٣٦٨، ٣٦٩
 أبو العلاء عفيفي (الدكتور) ٦٣٣
 أبو العلاء المفضل ٣٩٣
 ابن العلقمي ٥٨٥، ٥٨٧-٥٨٩
 علوى المدني ٣٩٢، ٣٩٣
 على بن أحمد الأسدي (انظر: أسدي الأصغر)
 أبو علي أحمد بن شادان (وزير طغرليگك) ٤٦٥
 علي أصغر الهمداني (دكتور) ٤٤١
 أبو علي بن أفضل ٣٨٩
 علي بهادر ٥٨٧
 علي يانيزي ٤٢٣
 علي بيروزه ١٠٨، ١٣٣
 علي چلبى ٤٤٥
 أبو علي الحسن بن إسحق (انظر: نظام الملك)

على بن الحسن البخارزي (انظر: البخارزي)

على ديلم ١٥٧، ١٥٨

على بن أبي رجاء الغزنوي ٤٣٥

على الرضا ٢٧٤، ٦٤٤

على زين العابدين ٢٤٠

على سپهرى ٤٢٣ تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب النص ٧٢٥ (ع) ص: ٧٢٤

و على سيمجور ١٨٧، ٢٤٨، ٣٥٢، ٣٥٣

على بن شادان ٢١٩

على الشطرنجي ٤٣٤

على بن أبي طالب ٢٠، ١٥٩، ٢٤٠-٢٤٢، ٢٥٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨٢، ٣٥٣، ٤١٧، ٥٣٥، ٥٥٧، ٥٩٦، ٦٤٥

على بن العباس المجوسي (انظر: المجوسي الطبيب)

على عبد الرسول ٥٠٦

أبو على عميد خراسان ٢٢٧

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٧٢٦

على بن فرامرز (انظر: علاء الدولة على)

على بن مأمون الفريغوني ٢٩٢

على بن مسكويه ١٣٢

أبو على المنصور ١٢٠

على بن موسى الرضا (انظر: على الرضا)

على النسائي ٢٧٠

عماد الدين ٥٢٩

عماد الدين الأصفهاني ١٠٢، ٢٠٩

عماد الدين الغزنوي ٤٣٥

عماد الدين فيروزشاه ٤٩٣

عماد زوزني ٤٣٧

عمادي ٤٢٢

أبو عمران موسى بن ميمون (انظر:

ابن ميمون)

عمر بن الخطاب ١٦١، ٢٤٠، ٢٧٩، ٢٨٠، ٣٥١، ٤١٧، ٤٨٠، ٥٣٥، ٥٣٦

عمر الخيام (انظر: الخيام)

عمر العجمي ٤٧٨

عمر بن الفارض ٥٩٠، ٦٢٣، ٦٣٤، ٦٣٨-٦٤٢، ٦٤٤

أبو عمرو (شاعر طبرستان) ١٠٨

عمرو بن الليث الصفار ٣٥١، ٣٥٣، ٦٧٣

عمق البخارى ٣٧٣، ٣٧٨، ٤٢٣، ٤٢٤

العميد أسعد ١٤٥، ١٥٠، ١٥١

عميد الملك (انظر: الكندي)

عنصر المعالي (انظر: كيكاس)

عنصرى ٥٢، ١٠٣، ١٣٤، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٣، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٦٦، ١٨٩، ١٩١-١٩٣، ٢٧٩، ٣٤٤، ٣٤٥، ٤١٣، ٤١٤، ٤٩٢، ٥٠٥، ٦١٣

عوفى (انظر: محمد عوفى)

عياضى ٤٥٣

عيسى بن مريم (انظر: المسيح)

عيسى بن يحيى ١٢٣

عين الملك حسين الأشعري ٦٠٦

(غ)

غازان خان ٣١٣، ٥٦٢، ٥٦٤، ٥٦٦، ٥٨٧

أبو الغازي حسين ٦٤٨

غريغوريوس (انظر: ابن العبري)

الغز ٢١٠، ٢١٣، ٢٧٨، ٣٧١، ٣٧٩، ٣٨٠، ٤٣٧، ٤٤١، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٩، ٤٩٢، ٥٠١، ٥٠٢، ٦٤٦

الغزالي ٢٢٠، ٣١١، ٣٦٨-٣٧٠، ٣٧٤، ٣٧٨، ٤٢٨، ٤٤٩، ٤٥٢، ٦٣٢

الغزنوية (الدولة) ١٩، ٢٤، ٢٨، ١٠٥، ١١٠، ١٢٣، ١٣٩، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٣، ٢٨٠، ٢٩٢، ٣٧٢، ٣٨١، ٣٨٣، ٤١٣، ٤١٤، ٤٤٥، ٤٥٦، ٥٩٧، ٥٩٨

الغزى ١٠٣

غضائري الرازي ٨٣، ١٣٤، ١٩٣

أبو الغنائم تاج الملك (انظر: تاج الملك)

الغوريون (ملوك جبال الغور) ٣٧٢، ٣٨١، ٣٨٣، ٣٨٨، ٤٢٥، ٥٤٥، ٥٧٠، ٥٧٨، ٥٩٥

غياث الدين (الأمير الغوري) ٣٢٦، ٥٧٨

غياث الدين (أخو جلال الدين خوارزمشاه) ٥٧١

غياث الدين سليمان شاه ٣٨٤

غياث الدين محمد بن سام (الأمير الغوري) ٣٢٦، ٥٧٨

(ف)

فاتير ٥٩٧

فاطمة ٢٤١، ٢٨٠، ٢٨٦

الفاطمية (الدولة أو الفاطميون) ٢٠، ٢٠٧، ٢١٢، ٢٢١، ٢٣٢، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٦، ٢٥٠، ٢٦٢، ٢٧١، ٢٧٧، ٢٨٠، ٥٧٧

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٧٢٧

فالنتين زوكوفسكي (أنظر: زوكوفسكي)

فانيان ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٧٤، ٣٠١، ٣٠٣

فتح ٣٥٠

أبو الفتح البستي (أنظر: البستي)

الفتح البنداري (أنظر: البنداري)

أبو الفتح طاهر بن فخر الملك ٤٩٣

أبو الفتح محمد بن أبي القاسم (انظر:

الشهرستاني)

فتزشتاين ٤٥٩

فتنه ٥٢١-٥٢٣

فوحى ٤٢٢، ٤٨٤

فخر الدولة البويهى ١١٦، ١٩٨، ٣٥٢، ٥٨٢

فخر الدين أسعد الجرجاني ٣٣٨، ٣٤٢، ٦١٣

فخر الدين الرازى ٣١٩، ٥٧٨، ٥٩٠، ٦١٥، ٦١٨

فخر الدين العراقي ٦٣٦، ٦٤٢

فخر الملك بن نظام الملك ٣٨٩، ٣٩١

أبو الفدا ٥٩٧، ٦٠٥

الفراء البيهقي ٣٧٤، ٤٤٩

فرايبينو ٢٥٥

أبو فراس ٤٩٢

فرته ٤٧٠

أبو الفرج البستي ٣٥٢

أبو الفرج الرونى ٤٣٥، ٤٧٤، ٤٩٢، ٤٩٣

أبو الفرج السجزي ١٨٧، ١٨٨

فرخى ٣٠، ١٣٣، ١٣٤، ١٤٤-١٤٦، ١٥٠-١٥٣، ٣٥٣، ٤١٤، ٤١٧، ٤٩٢، ٦١٣

الفردوسي ٩، ١٠، ١٥، ١٧، ٢٢، ٢٨، ٣٠، ٣١، ٣٧، ٤٢، ٩٣، ٩٥، ١٠٣، ١١٠، ١١١، ١١٤، ١٢٠، ١٢٣، ١٣٤، ١٣٨-١٤٠، ١٤٤، ١٥٢-

١٥٦، ١٥٨، ١٥٩-١٧٠، ١٧٤-١٧٦، ١٧٨، ١٧٩، ١٩٥، ٢٧٩، ٣١٩، ٣٢٣، ٣٤٠، ٣٤٠، ٣٨٣، ٤٠٦، ٤٢٦، ٤٦٢، ٤٧٤، ٤٩٢، ٥١٣، ٥٤٣،

٥٩٩، ٦١٣، ٦١٧

الفرنج ٥٤٨

فرهاد ٥١٣، ٥٢٣، ٥٣٤

فريد الدين العطار (أنظر: العطار)

فريد الكاتب ٤٣٧، ٤٦٦، ٤٧٤، ٤٤٣

فريدون ٢٧٩، ٤٣١، ٤٣٢

فريغون ٢٨٠، ٢٩٢

فصيحي الجرجاني ٣٣٨، ٣٤٤، ٣٤٥

فصيحي خوافي ٤٦٩

أبو الفضائل عبد الرحمن ٥٨٦

أبو الفضل (شاعر) ١٩٤

أبو الفضل (صاحب عيار دانش) ٤٤٥

أبو الفضل أحمد بن الحسين (انظر: بدیع الزمان)

أبو الفضل البلعمي ٢٨١، ٣٥٢، ٣٥٣

أبو الفضل السكري المروزي ٧٨

أبو الفضل القمي (أنظر: مجد الملك)

أبو الفضل الكرمانى ٣٨٤

أبو الفضل الميكالى ١١٦

فضلون ٣٥٢

فضولى ٥١٦

فلک الدين سنقر ٥٢٩

فلک الدين محمد بن إيدمر ٥٨٥

فلک المعالى منوچهر ١١٩، ١٩٣

فلکی الشروانى ٤١٠، ٤٩٦

فلوجل ٣٠، ٤١١
 فوريس ٣٤٨، ٣٤٩
 فولكتر ١٢٤، ٤٤٤
 فون روزن ١٢٦
 فون كرامر (كريم) ٣٣، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٨، ٤٥٦، ٤١٢
 فون هامر ٥٠٦
 تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٧٢٨
 فيتزجيرالد ١٢٤، ١٦٩، ٢٠٦، ٢٣٧، ٣٠٤، ٣٠٧، ٣١٤، ٣١٧، ٣١٨، ٣٢٠-٣٢٢
 فيتاغورث ٣٥٣
 فيشر أنوين ٨
 فيكتور روزن ٣٠٧

(ق)

قايوس بن وشمگیر ١٠٦، ١٠٩، ١١٢، ١١٦-١١٩، ١٢٣، ١٣٣، ١٦١، ٣٤٥، ٣٤٩، ٣٥١، ٣٥٣، ٣٥٤، ٤٠٩، ٤٢٢
 القادر بالله ١٠٥، ١٢٠، ٢٦٨، ٣٥٢
 قارن ٢٧٩
 قارلوند ١١٩
 قارون ٤٦، ٢٧٨
 أبو القاسم الجرجاني ١٦٤
 أبو القاسم بن الحسين ٤٥٨
 أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن (انظر:
 القشيري)
 أبو القاسم علي بن الحسن (انظر: الباخري)
 أبو القاسم محمد بن عمر (انظر: الزمخشري)
 القاضى الأكرم (انظر: القفطي)
 قاورت ٢١٠، ٢١٦، ٢٢٤-٢٢٦
 القائم بأمر الله ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٦، ٣٥٣، ٣٥٤
 قباذ ١٠٦، ١١٩
 قبيحاق ٥٤٧
 قبلاي خان ٣١٣، ٥٦١، ٥٦٣، ٥٦٦، ٥٦٩، ٥٧٥، ٥٧٦
 قلمش بن موسى أرسلان ٢١٠، ٢١٤، ٢١٦
 قدامة بن جعفر ١٠٣
 قراجة ٥٧١
 قرامطة ٢٠، ١٦٦
 قره خطاي ٤٧٤
 قره العين ٥٦
 قزل أرسلان ٨٧، ٩١، ٩٢
 قزل أرسلان بن اليندگر ٥٠٨، ٥٠٩، ٥٢٦-٥٢٨، ٥٣١، ٥٣٢
 القزويني ٢٦٦، ٣١٢، ٤٧٠، ٥٩٠، ٦١٢، ٦١٤
 قسطنطين ٢٧٨
 قشتمر ٥٧١
 القشيري ٢١٨، ٣٦٣، ٣٧٤
 قضاة ٦٠٤
 قطب الدين خوارزمشاه ٤٣٨، ٦٨٧
 قطب الدين محمد ٣٨٢
 قطران التبريزي ٢٧٠، ٣٣٨-٣٤٠، ٣٤٠، ٥٠٥
 القفطي ٣٠٩-٣١١، ٣١٣، ٥٥٠، ٥٩٠، ٦٠٣، ٦٠٥
 قليج ٥٧٢
 قماج ٤٨٧
 قمرى الجرجاني ١٠٩، ٣٥٣
 قوامى الرازي ٤٣٥
 قوامى گنجوى (او مطرزي) ٤٣، ٤٤، ٥٠٦
 قيرايث ٥٦٢
 قيس العامري ٥١٦-٥١٨، ٦٨٠

(ك)

كاترمير ١٠٢، ٣١٣، ٥٥٥
 كارا دى فو ١٢٢
 كاردون ٤٤٥

- کارل یان ۳۱۳، ۵۵۵
 کازانیف ۲۵۱
 تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الی السعدی / تعریب، النص، ص: ۷۲۹
 گازمرسکی (کازیمرسکی) ۱۸۸، ۲۲
 کافی بن عثمان ۴۹۵
 کبیر بن اویس بن محمد اللطیفی ۶۰۳
 کنیر ۳۳۵
 کدک ۵۷۴
 کرکپاتریک ۴۷۱، ۴۸۶، ۴۸۹، ۴۹۱
 کروفورد ۶۰۷
 کریم گرای کتی گرای ۵۶۹
 الکسانی المروزی ۱۳۵، ۱۹۵، ۱۹۶، ۲۰۰-۲۰۳، ۲۰۵، ۲۰۶، ۲۷۹
 کلارک ۵۲۴
 کلثوم بن عمر العنابی ۱۰۲
 کلیمان اویار (أنظر: اویار)
 کمال بک ۱۰۳
 کمال الدین (أنظر: پندار الرازی)
 کمال الدین بن أرسلان خان ۴۱۹
 کمال الدین بن إسماعیل الأصفهانی ۹۶، ۲۱۴، ۳۱۹، ۴۹۲، ۶۸۶-۶۸۸
 کمال الدین أبو الرضا ۲۳۰، ۲۳۱
 کمال الدین محمد ۶۳۸-۶۴۰
 الکندری ۲۱۶-۲۱۹، ۲۲۷
 کولریدج ۵۷۶
 کون ۱۸۰
 کونزاد ۲۵۶
 کوهیاری الطبری ۴۳۵
 کوول ۱۲۴
 کوبری ۳۴۶
 کیا بزرگ امید ۳۸۸، ۵۷۷
 کیث فولکتر ۱۲۴، ۴۴۴
 کیرتون ۴۵۹
 کیکوس (عنصر المعالی) ۱۰۳، ۳۴۵، ۳۴۶، ۳۶۰
 کیکوس بن قباذ ۳۴۶
 کیوک ۵۶۵، ۵۷۴، ۵۷۵

(ک)

- گانتان ۲۳۳، ۲۴۹، ۳۱۵
 الگردیزی ۳۶۲
 گوشاسب ۳۴۱
 گشتاسب ۱۵۳، ۳۵۱
 گمشگین ۲۲۵
 گورخان ۶۴۵
 گوهر آتین ۲۲۲، ۲۲۴
 گیلاشاه ۳۴۶
 گیو ۱۵۳
 گیومرث ۵۹۴

(ل)

- لالا شرف الدین السمرقندی ۶۵۴
 لامعی البخاری ۴۳۵
 اللان ۵۴۷
 لیبی ۱۹۴، ۳۵۳
 لسترنج ۶۸۸
 لطفعلی بیگ ۲۶۶، ۳۰۱، ۴۶۸، ۴۶۹، ۵۱۰
 اللکر ۵۴۷
 لمعی ۳۴۵
 لوط ۱۸۰، ۱۸۴
 لونج فیلمو ۵۷۶، ۵۸۶
 لويس کارول ۶۱

ليبرت ۶۰۵، ۶۰۴، ۳۰۹

ليلي ۵۱۶-۵۱۸، ۶۸۰

ليلي الأخيلية ۳۳۵

(م)

مانيو آرنولد ۱۷۱

ماجوج ۵۴۷

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ۷۳۰

مارتن تير ۳۹۸

مارتن لوثر ۹۱

مارجوليت ۲۳، ۳۶۷، ۳۶۸، ۶۰۴، ۶۰۵، ۶۱۲

ماركو پولو ۲۵۳، ۵۶۳، ۵۶۹، ۵۸۳

مارينو سانوتو ۲۵۵

المافروني ۱۳۱، ۱۳۲

مالك ۲۸۰

المامطري (انظر: خرشيد بن أبي القاسم)

المأمون ۱۰، ۱۹، ۲۲، ۳۵۲، ۳۵۳

مأمون (أمير خوارزم) ۱۱۱، ۱۱۲، ۱۱۵، ۱۱۶، ۱۱۸، ۱۲۳

ماني ۴۱۶

ماه ملك (أخت ملكشاه) ۳۷۵

ماه ملك (بنت سنجر) ۳۷۸

الماوردي ۳۶۳

المترجم (دكتور إبراهيم أمين الشواربي) ۱، ۲، ۳، ۴، ۷، ۱۰، ۱۱، ۲۲، ۳۰، ۳۱، ۳۳، ۳۷، ۳۸، ۴۱، ۴۳-۶۰، ۶۳-۶۵، ۶۷، ۶۹، ۷۰، ۷۳، ۷۵-۷۵

۷۷-۸۰، ۸۲، ۹۰، ۹۲، ۹۴-۹۶، ۱۰۰، ۱۰۱، ۱۰۳، ۱۱۵، ۱۱۷، ۱۱۸، ۱۲۲، ۱۲۵، ۱۲۷، ۱۳۲، ۱۳۵، ۱۴۰، ۱۴۴، ۱۴۶، ۱۴۸، ۱۵۷، ۱۵۹

۱۵۹، ۱۶۰، ۱۶۱، ۱۶۴، ۱۷۱، ۱۷۵، ۱۷۸، ۱۸۰، ۱۸۵، ۱۸۶، ۱۸۸، ۱۸۹، ۱۹۱، ۲۰۰، ۲۰۱، ۲۰۳، ۲۰۸، ۲۰۹، ۲۱۱، ۲۲۶، ۲۴۳، ۲۶۱

۲۶۲، ۲۶۴، ۲۶۹، ۲۷۰، ۲۷۶، ۲۷۹، ۲۸۰، ۲۸۲، ۲۸۴، ۲۸۵، ۲۹۵، ۳۰۱، ۳۰۵، ۳۰۹، ۳۱۳، ۳۱۵، ۳۱۷، ۳۱۸، ۳۲۴، ۳۲۸، ۳۳۳، ۳۳۵-۳۳۵

۳۳۷، ۳۴۰، ۳۴۳، ۳۴۵، ۳۴۹، ۳۵۷، ۳۵۸، ۳۶۰، ۳۶۴، ۳۶۷، ۳۷۶، ۳۷۸، ۳۸۳، ۳۹۱، ۳۹۴، ۳۹۷، ۳۹۹، ۴۰۱، ۴۰۶، ۴۱۰، ۴۱۲، ۴۱۴-۴۱۴

۴۲۰، ۴۲۲، ۴۲۴، ۴۳۳، ۴۳۵، ۴۳۹، ۴۴۰، ۴۴۶، ۴۴۷، ۴۵۲، ۴۵۳، ۴۵۹، ۴۶۴، ۴۶۵، ۴۷۲، ۴۸۶، ۴۸۹، ۴۹۱، ۴۹۸، ۴۹۹، ۵۰۳، ۵۰۴-۵۰۴

۵۰۶، ۵۰۸، ۵۰۹، ۵۱۱، ۵۱۲، ۵۱۴، ۵۱۶، ۵۱۷، ۵۲۵، ۵۲۶، ۵۳۰، ۵۳۶، ۵۴۰، ۵۴۹، ۵۹۹، ۶۰۰، ۶۰۲، ۶۰۳، ۶۰۵، ۶۰۸، ۶۱۰، ۶۱۲، ۶۱۶

۶۲۲، ۶۲۴، ۶۲۵، ۶۲۸، ۶۳۳، ۶۳۹-۶۳۹، ۶۴۱، ۶۴۳، ۶۴۸-۶۴۸، ۶۵۱، ۶۵۵-۶۵۷، ۶۵۹، ۶۶۱، ۶۶۴-۶۶۴، ۶۶۸، ۶۷۲، ۶۷۳، ۶۷۸-۶۷۸، ۶۸۰، ۶۸۲، ۶۸۵

۶۸۷، ۶۸۹

المتنبي ۱۰۳، ۱۳۳، ۱۷۰، ۳۶۷

المتوكل ۳۵۰، ۳۵۳

مجاهد الدين إبيك ۵۸۴، ۵۸۵

مجتبي ميني ۳۴۴

مجد الدولة أبو طالب رستم ۱۶۷، ۱۸۷، ۱۹۶-۱۹۶، ۱۹۹، ۳۵۰

مجد الدين بن الأثير ۹۵۰، ۶۱۹

مجد الدين البغدادي ۵۹۰، ۶۲۹-۶۳۱، ۶۴۴، ۶۴۷

مجد الدين أبو الحسن العمراني ۴۹۳

مجد الدين أبو الفتح ۱۱۵

مجد الدين محمد بن علي أشعث ۵۲۹

مجد الدين همكر ۳۱۹، ۴۹۴، ۵۲۵

أبو المجد مجدود بن آدم (أنظر: سنائي)

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ۷۳۱

مجد الملك أبو الفضل القمي ۲۳۱، ۲۶۰، ۳۷۵، ۳۷۷، ۳۹۱، ۴۱۲

مجنون ليلي (انظر قيس)

المجوسي الطيب ۱۳۱

مجير البلقاني ۵۰۳، ۵۲۷، ۵۴۳، ۶۱۳، ۶۸۷

أبو المحاسن الأزرق (أنظر: أزرق)

محمد (صلعم) ۴۱، ۱۸۱، ۱۸۴، ۲۲۰، ۲۴۳، ۲۴۴، ۲۵۴، ۲۵۵، ۲۶۳، ۴۵۵، ۴۸۰

محمد بن إبراهيم ۴۰۷

محمد بن أرسلاشاه ۳۸۰

محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ۲۴۳

محمد إقبال ۱۸۹، ۲۰۹، ۲۶۴، ۳۲۴

محمد الأكاف ۴۸۸

محمد بن إبلدگر ۵۰۸، ۵۳۱

محمد بهتاور خان ۴۶۹

محمد تغلق ۶۲۰

محمد بن الحسن بن إسفنديار (انظر ابن إسفنديار)

- منس (٥)، ٤
المنشوري ١٩٤
أبو منصور بن عبد الرزاق ١٦٧
منصور بن علي الرازي ١٠٩
أبو منصور المعمرى ١٦٧
أبو منصور الموفق (انظر: موفق الدين أبو منصور)
منصوري ١٣٤
المنظفي (انظر: منصور بن علي الرازي)
منگو ٥٦٥، ٥٦٧، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٨٢، ٥٨٣
منهاج السراج ٥٨٢، ٥٩٠، ٥٩٥، ٦٠٦
منوچهر شروانشاه ٤٩٦
منوچهر بن قابوس ١٠٩، ١٩٣
منوچهرى ٢٣، ٤٢، ٥٧-٥٩، ١١٩، ١٣٤، ١٣٩، ١٨٧-١٨٩، ١٩٣
المنيني ١١٥
المهدى ٢٤١
مهستی ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٩
الملهب ٣٥٢
مهيار الديلمي ١٢٩
مود ٣٣٦
مودود ٣٨٩
مودود بن مسعود الغزنوي ١١٧، ٢١٣، ٢١٥
مورجان ٦٤، ٩١
موردتمان ١٥
مورير ٦٨
موسى ١٨٤، ٢٤٣، ٢٧٨، ٢٩٨
موسى أرسلان بن سلجوق (بيغو) ٢١٥، ١٧١، ٣٤١
تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٧٣٤
الموفق فضل الله الصقاعي ٦٠٢
الموفق التيسابوري ٢١٨، ٢٧٠
مول ١٥٤، ١٥٥
موللر ٦٠٥
المؤمن ٢٤٨، ٢٤٩
المؤيد ٣٧٨، ٤٨٧
أبو المؤيد البلخي ١٧٥، ٣٤٦
مؤيد الدين محمد (انظر: ابن العلقمي)
مؤيد الملك بن نظام الملك ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٩٠
المؤيد بن يوسف الصالحى ٦٢٦
مى ٨٢، ٨٣
الميداني ٣٧٤، ٤٥٠
مير خواند ٢٧
ميرزا حبيب ٦٢٠
ميرزا محمد شيرازى ٦٣٤
ميكائيل بن سلجوق ٢١٠
الميمندى (أنظر: أحمد بن الحسن)
ابن ميمون ٥٩٠، ٦١٨
ميمون بن نجيب الواسطى ٢٢٦

(ن)

- النابعة الذبياني ٢٧٩
النابلي ١٢٢
نانان هسكل دول ٣١٨
نادر شاه ١٤
ناساوليز (أنظر: نساو)
ناصر الدين الأرجاني ٤٥٨
الناصر (الخليفة العباسي) ٥٥٦، ٥٧٨
الناصر (ملك مصر) ٥٦٨
ناصر خسرو ١٩٩-٢٠٣، ٢١٢، ٢٣٥-٢٤٦، ٢٤٨، ٢٥٨-٢٦٥، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٧، ٢٨٤، ٢٩٧-٣٠٣، ٣٣٨، ٣٤٢، ٣٤٦، ٤٦٢
٤٧٥، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨٣، ٤٨٤
ناصر الدين (حاكم قهستان) ٥٧٩

ناصر الدين شاه ٢٢٦، ٢٣٢

ناصر الدين عبد الرحيم ٢٦٨

ناصر الدين قباچه ٥٩٥، ٦٠٦، ٦٠٨

ناصر الدين محمود شاه ٥٩٥

ناصر الدين منگلى ٥٧٨

ابن النيه ١٠٢

نجار ساغرجى ٤٢٣

أبو النجم أحمد بن قوص (انظر: منوچهرى)

نجم الدين أبو حفص (انظر: النسفى)

نجم الدين دايه (أو الرازى) ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٢، ٣١٩، ٦٢٣، ٦٢٥، ٦٢٨، ٦٣١

نجم الدين كبرى ٥٥٩، ٥٩٠، ٦٢٣، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٩، ٦٣١، ٦٤٧

أبو النجم السراج ٢٤٨

أبو النجيب السهروردى ٦٢٥، ٦٣١

نجيبى فرغانى ٤٢٣

ترگسى ١٠٤، ٢٨

نزار بن المستنصر ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٨، ٣١٥، ٥٧٧

نساويز ٣٢٨، ٣٤٢، ٥٥٩، ٥٧٤، ٥٨٤، ٥٩٦، ٦٢٥، ٦٣٤

النسفى ٤٥٠

النسوى ٥٥٥، ٥٥٧، ٥٦٧، ٥٧١، ٥٩٠، ٦٠٠-٦٠٢

نصر بن أحمد السامانى ٢٥، ٢٤٨، ٢٦٢

أبو نصر أحمد بن منصور (انظر: أسدى)

أبو نصر الإسماعيلى ٣٦٩

نصر الثانى (السامانى) ٢٤٨

أبو نصر خليل بن أحمد ١٨٣، ١٨٦

نصر بن سيكتكين ١١٥، ١١٦، ١٤٠، ١٤١

تاريخ الادب في ايران من الفردوسى الى السعدى/ تعريب، النص، ص: ٧٣٥

أبو نصر العتبى (انظر: العتبى)

أبو نصر بن العراق ١١١، ١١٢

نصر الله بن عبد الحميد ٣٧٣، ٤٣٨، ٤٤٣، ٤٤٥، ٤٤٦

أبو نصر الفراهى ٥٩٠، ٦٢٠

نصر بن منصور التميمى ٣٥١

نصرة الدين أبو بكر بيشكين ٥٠٩، ٥٢٦، ٥٢٨، ٥٣٢، ٥٣٥

نصير الدين الطوسى ٢٦٨، ٣٠٠، ٣١٩، ٥٦٤، ٥٧٩، ٥٨٣، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٩٠، ٦١٥-٦١٧

نظام الدين أحمد ٤٨٤، ٤٨٥

نظام الدين أبو المعالى (انظر: نصر الله بن عبد الحميد)

نظام الدين محمود القارى ٩٧

نظام الدين الوزير ٥٢٩

نظام الملك ١٩، ٤٩، ٢١١، ٢١٨-٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٤٩، ٢٥٩-٢٦١، ٢٦٤، ٢٧٠، ٣١٣، ٣١٤، ٣٦٩، ٣٧٥

نظامى الأثير ٣٧١، ٣٧٦، ٣٨٩، ٤٩٣، ٥٢١

نظامى الأثير ٤٢٨

نظامى عروضى سمرقندى ٢، ٢٣، ٢٤، ١٣٩، ١٥٥، ٣٠٤، ٣٤٣، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٧، ٤٢٥-٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٨

نظامى الكنجوى ٣٧، ٦٣، ٣٠٤، ٣٤٣، ٣٧٣، ٤٢٥، ٤٣٧، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٩٦، ٥٠٦-٥١٠، ٥١٣، ٥١٦، ٥٢٠، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٤٣

٦٨٦، ٦١٣

نظامى منيرى ٤٢٧، ٤٢٨

نظامى الهروى ١٧٦

أبو نظر عبد العزيز (انظر: العسجدى)

نعمه الله الكرمانى ٣١٩

أبو نواس ١٠٢، ٤٧٩

نوح ٢٤٣، ٢٧٨، ٤٧٧، ٤٧٨

نوح بن منصور السامانى ١٢٣

نور الدين عبد الرحمن (انظر: جامى)

نور الله الشوشترى (أو الشسترى) ٤٨٠، ٤٤٣، ٤٤٥

نوشتكين ٣٥٣

نولدكه ١٣، ١٥٤-١٥٦، ١٦٠، ١٦٤، ١٦٦، ١٦٧، ٢٥٨، ٢٦١، ٣٨٧، ٤٧٤، ٥٩٥، ٥٩٨، ٥٩٩

نول كشور ٥٢٥

نومسلمان (انظر: جلال الدين)

نويان چرماغون ٥٧٢، ٥٧٣

نيكولاس ٣١٩-٣٢١، ٤٧١

نيكولسون ٣٦٧، ٤٢٩، ٤٦١، ٤٦٣، ٤٦٧، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٤، ٤٦٧

(هـ)

- هاتف الإصفهاني ٥٤
 هار بروكر ١٢٢، ٤٥٩
 هاروت ٤١٤، ٤١٥
 هارولد الإنجليزي ٥٧٢
 هارون بن الترتاس ٢١٤
 هارون الرشيد ١٠، ١٨، ١٩، ١٠٢، ٣٥٠، ٣٥٣
 هامبور جستال ٥٥٥
 هبة الله بن محمد المأموني ٢١٦
 الهجویری ٣٦٣
 هرمان بيكل ٩٠، ٩١
 هرمان الفارسي ٣١٥ تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب النص ٧٣٥ (هـ) ص: ٧٣٥
 ون ألتن ٣١٨، ٣٢٠-٣٢٢
 هشام (القاضي) ٦٢
 هنري (ملك بيت المقدس) ٢٥٥
 تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي/ تعريب، النص، ص: ٧٣٦
 هنري هوورث (أنظر: هوورث)
 هوتسما ٢٠٩، ٢٣٧، ٢٣٨، ٣٧٨، ٤٠٧، ٤١١، ٤٤٩، ٤٥٧، ٤٩٨، ٥٩٩
 هوداس ٥٥٥، ٥٧١، ٦٠١
 هولوكو خان ٢١، ٢٣٩، ٣١٣، ٥٥٥، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٦، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٩، ٥٨١-٥٨٥، ٥٨٧، ٥٨٨، ٦٠٠، ٦١٦، ٦١٧، ٦٧٧
 هوورث ٥٥٠، ٥٥٤، ٥٦٨
 هونفلد ١٢٥، ١٢٦، ٢٣٧، ٣٠٩، ٣١١، ٣١٩، ٣٢٠، ٦٦٠

(و)

- واجنر ١٦٨
 واللس بدج ٥٢٤
 ويكه ٣٠٩، ٣١٧
 ودع البستاني ٣١٨
 ودع دستگردی ٥١١
 وست ١١
 وستفلد ١٢٧، ٣١٢، ٣٧٥، ٤٧٥، ٤٠٢، ٤٠٦، ٤١١، ٤١٢
 وشمگیر ٣٥٤
 وصاف ٢٧، ٤٤٣، ٥٥٥، ٥٦٤
 الوطاط (أنظر: رشيد الدين)
 أبو الوفاء الكردي ٤٠٣، ٤٠٤
 ولهم باخر (أنظر: باخر)
 ولهم فون همبولد ٦٠٥
 ولیم جونز ٦٠٧
 ولیم درموند ٦٢
 ولیم كركياتريك (أنظر: كركياتريك)
 ويس ٣٤٢-٣٤٤
 ويسی ٢٨، ١٠٤

(ی)

- ياجوج ٥٤٧
 اليافعی ٦٢٦، ٦٣٩
 ياقوت ٤٣٥، ٥٥٠، ٥٩٠، ٥٩٧، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦١١-٦١٣
 ياقوت المستعصي ٥٩٠، ٦٢٠
 ياقوت بن جفري بيگ ٥٩٠، ٦٢٠
 يحيى أعقب ٥٩٦
 يرتقش ٤٨٧
 اليزدادی ١١٩، ١٣١، ١٣٣، ٦٠٩
 يزجرد الأثيم ٥٢١
 يزجرد بن شهریار ١٦١، ٣٥٣
 يعقوب بن ليث الصفار ١٩، ٢٦٥
 ابن يعين ٣٤
 يعين الدولة (أنظر: محمود الغزنوي)
 يمينی ١٣٤
 يوحنا أبو الفرج (أنظر: ابن العبري)

يوسف (عليه السلام) ٥٣٩، ٦٠٧، ٦٨١
 يوسف بن زكى مؤيد ٥٠٨
 يوسف بن محمد بن عثمان ٦٠٣
 يوسف القفطى ٦٠٤
 يوسف نرزمى ٢٢٣
 يوقليدس ٢٧٨
 يوليوس ليرت (أنظر: ليرت)
 يونس ٢٧٨
 يونس بن سلجوق ٢١٠
 تاريخ الادب في ايران من الفردوسى الى السعدى / تعريب، النص، ص: ٧٣٧

٣ أسماء الأمكنة

(١)

آيا (آبه) ٢٤٤، ٣٧٥
 أبهر ٢١٦، ٢٥٠، ٣٦٤
 أيبورد ١١٢، ١٢٣، ٤٦٤
 أترار ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٦٨
 الإحصاء ٢٧٣
 أخصيكت ٤٣٥
 أخلاط (خلاط) ٢٢٢، ٢٧٠
 إديتيره ٥٦٩
 أذربيجان ٢١٦، ٢٤٩، ٣٥٤، ٤٦٢، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥٢٦، ٥٢٨، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٤٧، ٥٧٩، ٥٩٤، ٦٢٢
 أران ٥٧٩
 أرائية ٥٤٧
 إربل ٥٦٨، ٦٠٣
 أردبيل ٢٦٢
 أردهان ٢٥٠
 أرزن ٢٧٠
 أرجان ٢٧٣، ٣٩٤
 أرگنج (أنظر: الجرجانية)
 أرمينيا ١٩، ٣٥٤
 إسبانيا ١٨، ٢٠، ١٠٨، ٢٠٧
 إستانبول (إستانبول) ١٤، ١٦٤، ١٦٥، ١٧٥، ٤١١، ٤١١، ٥٢٣، ٦٥٥
 أستراياد ١٦٥، ١٨٨، ٥٩٧
 أستناوند (انظر: أستوناوند)
 أستوناوند (قلعة) ٢٥٠، ٢٩٤
 الإسحاقى (نهر) ٥٨٤
 إسفراين ٥٦٨
 أسكتلندا ٥٦٩
 الإسكندرية ٢٤٩، ٦٠٣، ٦١٤، ٦٢٥، ٦٣٣، ٦٦١
 آسيا ١٠٧، ٢٥٨، ٣٨٨، ٤٢٥، ٥٦٣، ٥٦٨، ٥٧٥، ٦٠٤، ٦١١
 آسيا الصغرى ٢٠٨، ٢١١، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٨، ٣٤٦، ٣٧٩، ٥٦٨، ٥٦٩، ٦٢٣، ٦٣١، ٦٣٣، ٦٥٤، ٦٦٤، ٦٧٢
 إشييلية ٦٣٣
 إصطخر ١١
 أصفهان ٥١، ٩٧، ١١٦، ١١٧، ١٢٢، ١٢٣، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٧٣-٢٧٣، ٢٧٨، ٣١١، ٣١٤، ٣١٥، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٨١، ٣٨٩
 ٣٩١-٣٩٤، ٣٩٥، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٢٧، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٦، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٩٧، ٦٠٩، ٦٤٣، ٦٤٩، ٦٥١، ٦٨٧، ٦٨٨
 إفريقيا ١٩، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٢، ٢٤٢، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٧٢، ٣٨٩، ٦٧٢
 أفغانستان (بلاد الأفغان) ١٩، ١١، ١١٧، ٢٠٨، ٢٢٥
 تاريخ الادب في ايران من الفردوسى الى السعدى / تعريب، النص، ص: ٧٣٨
 أكسفورد ٦٢، ١٢٤، ٣٦٧، ٥٩٤، ٥٩٩، ٦٠٥
 أليز ١٠٥
 آلناى ٥٦٧
 ألمانيا ٥٤٦
 ألموت ٢١، ٢٣٩، ٢٥٠، ٢٥٦، ٢٥٨، ٣٧٢، ٣٧٦، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٤، ٤٩٨، ٥٦٧، ٥٧٤، ٥٧٦-٥٧٦، ٥٧٩، ٥٨٢، ٥٨٣، ٦٠٠، ٦١٦
 آمد ٢٧٠، ٣٩٠
 أمريكا ٣٠٤، ٣١٨
 آمل ٤٤٩، ٤٥٥، ٦٠٩
 إنجلترا ١٧٥، ٣٠٤، ٦١٣
 أندلس ٦١، ٤٥٠، ٦٢٣، ٦٣٣، ٦٣٧

الروم (أنظر: آسيا الصغرى)

روما ۶۱۳

رونة ۴۳۵

الرى ۱۱۲، ۱۱۷، ۱۲۳، ۱۳۵، ۱۹۳، ۱۹۵، ۱۹۶، ۱۹۸، ۲۱۳، ۲۱۶، ۲۱۷، ۲۲۶، ۲۳۸، ۲۴۷-۲۴۶، ۲۴۹، ۲۶۴، ۲۷۸، ۳۱۴، ۳۱۷، ۳۳۵، ۳۷۵، ۳۹۱، ۴۳۵، ۴۵۷، ۵۰۰، ۵۰۱، ۵۲۸، ۵۴۷، ۵۶۷، ۵۶۸، ۵۷۱، ۶۰۸، ۶۱۵، ۶۴۴
تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الی السعدی/ تعریب، النص، ص: ۷۴۲

(ز)

زاب ۱۸

زابل (زابليستان) ۲۹۲، ۲۷۸

زرنند ۸۴

زنجان ۲۱۶

الزنجبار ۵۸۳

زوزون ۲۵۰، ۳۹۴

(س)

سان پتر سيورج (سان بطرسوغ) ۱۱۶، ۱۲۶، ۲۵۹، ۳۰۷، ۳۲۷، ۴۶۷

ساوه ۳۷۵، ۳۷۸

سبته ۶۱۴

سيلان ۵۰۰

سپاهان (أنظر: أصفهان)

ستراسبورج ۲۶۱

سجستان ۱۱۱، ۱۲۹، ۱۴۴، ۱۴۵، ۱۵۰، ۱۵۱، ۱۶۴، ۲۱۵، ۲۷۸، ۳۴۱، ۳۷۲، ۵۴۸، ۶۰۹

سرخاب ۵۰۵، ۵۲۷

سرخس ۲۷۳، ۳۷۹، ۳۸۴

سر من رأى ۲۴۱

سروج ۲۲۷

سغد ۲۱۰

سفيدرود ۵۰۱

سمرقند ۱۰۸، ۱۱۱، ۲۱۰، ۲۲۵، ۲۲۷، ۳۷۲، ۳۹۰، ۴۲۶، ۴۲۸، ۴۳۲، ۴۳۵، ۴۴۱، ۴۷۲، ۴۸۹، ۴۹۰، ۴۹۱، ۵۴۷، ۵۵۸، ۵۶۸، ۵۷۶، ۶۴۵

سمنان ۲۷۰، ۵۶۸

سمنگان ۲۴۰

سنجان ۲۱۶، ۲۲۷، ۲۴۹، ۳۷۹

السند ۱۸، ۱۳۰، ۲۷۸، ۳۱۵، ۵۷۰، ۵۷۱

سوريا ۲۰۷، ۲۰۸، ۲۴۵، ۲۵۸، ۳۶۴، ۴۵۴، ۵۸۲، ۵۸۳، ۶۷۲

سومنا ۴۴۰، ۶۷۲

سيستان (أنظر: سجستان)

سيواس ۶۳۱

(ش)

شاران ۵۰۴

الشاش ۳۲۷، ۴۳۵

الشام ۲۰۸، ۲۱۲، ۲۲۸، ۲۴۵، ۲۴۶، ۲۴۹، ۲۵۳، ۲۷۱، ۳۶۹، ۳۷۲، ۳۸۸، ۳۹۴، ۵۴۸، ۵۸۵، ۶۲۴، ۶۳۸، ۶۷۱

شاه دژ ۲۴۹، ۲۵۰، ۳۹۱

شورغان ۲۷۰

شروان ۴۹۵، ۴۹۷، ۴۹۹، ۵۰۰، ۵۰۴، ۵۰۹

ششتر ۲۷۸، ۶۰۹

شقان ۱۶۵

شهرستان ۴۵۹

شيراز ۳، ۱۱، ۳۹، ۹۰، ۳۳۷، ۳۳۸، ۵۸۳، ۶۰۹، ۶۲۰، ۶۲۱، ۶۲۴، ۶۲۵، ۶۶۴، ۶۶۸، ۶۷۱، ۶۷۲، ۶۸۰-۶۸۲

شيركوه ۳۹۴، ۵۸۰

شيرنيكوف ۵۷۳

(ص)

صغانيان ۲۲۱

صقلية ۲۴۶

تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الی السعدی/ تعریب، النص، ص: ۷۴۳

صور ۲۴۹، ۲۷۱

صيدا ۲۴۹، ۲۷۱

قزوین ٤٩، ١٠٥، ١١٨، ١٢٣، ١٣٠، ٢٤٩، ٢٧٠، ٣٣٩، ٥٥٦، ٥٥٩، ٥٧٠، ٥٧٨، ٥٨١، ٦١٤، ٦٢٢، ٦٢٨
 قسدار ١٣٤
 القسطنطينية ٣، ٤٠، ٩٧، ٢٢٧، ٦٢٠، ٦٢١
 القظيف ٢٧٣
 قفط ٦٠٤
 قلعة أردهان ٢٥٠
 قلعة أستوناوند ٢٥٠، ٣٩٤
 قلعة بانیاس ٢٥٧، ٣٩٤
 قلعة خلادخان ٢٥٠، ٣٩٤
 قلعة دزکوه ٢٢٩، ٢٤٩، ٣٩١، ٣٩٣
 قلعة شایران ٥٠٤
 قلعة شیرکوه ٣٩٤، ٥٨٠
 قلعة الطنبور ٢٥٠، ٣٩٤
 قلعة قدموس ٣٩٤
 قلعة کالنجان ٢١٣
 قلعة گردکوه ٢٥٠، ٣٩٤، ٥٨٣
 قلعة مصیبات ٣٩٤
 قلعة الناظر ٢٥٠، ٣٩٤
 قم ٢٤٧، ٢٤٨، ٥٦٧، ٥٦٨، ٦٠٩
 قنوج ١١١
 قهستان ٢٤٧، ٢٥٠، ٢٦٨، ٥٦٧، ٥٧٩، ٥٨١، ٥٨٢، ٦٠٠
 القوقاز ٢٢٢
 قومس ٢٧٠
 قوینیه ٥٢٨، ٦٢٣، ٦٥٤-٦٥٦
 القیروان ٢٧٢

(ج)

کاراکار ٥٧٣
 کاشان ٢٦٤، ٥٦٧، ٥٦٨
 کاشغر ٢٢٧، ٥٤٧، ٦٧٠، ٦٧٢
 تاریخ الادب فی ایران من الفردوسی الى السعدی/ تعریب، النص، ص: ٧٤٥
 کالنجان ٢١٣
 کامبردج ١، ١٣٢، ١٧٩، ٢٣٨، ٢٥٩، ٤٤٤، ٤٥٧، ٥٢٥، ٥٩٩، ٦١٠، ٦٦٠
 کانپور ٤٣٩، ٤٤٦
 کربلاء ٢٨٠
 الکرج ٢٢٦، ٣٧٥
 کردستان ١٠٥
 کردوان ٥٦٨
 کرمان ٢٠٩، ٢١٦، ٢٢١، ٢٢٤-٢٢٦، ٢٤٩، ٣٧٢، ٣٨٠، ٣٩٠، ٥٤٨، ٥٧١، ٦٢٤، ٦٤٥
 کرمانشاه ٣٥٧، ٣٨١، ٥١٣
 کریت ١٩
 کشمیر ١١١، ٤١٥، ٤١٦، ٥٣٨
 کلاش ٤٣٣
 کلکتا ٣٠٧، ٣٤٢، ٣٩٧، ٤٧٢، ٤٨٦
 کمبردج (أنظر: کامبردج)
 کمندر ٢١٩
 کونپنجان ٣٢٧
 کوریا ٥٦٩
 کوشک میدان ٣٧٦
 الکوفة ٢٤٧، ٦٤٤
 کونجزبرج ٦٠٥
 کیش ٥٧٦، ٥٨١، ٦١١
 کیف ٥٧٣

(ج)

گجرات ١١١، ٦٧٢
 گردکوه ٢٥٠، ٣٩٤، ٥٨٢
 گرشاسب ٤٩٩
 گرانج (أنظر: الجرجانية)

گليباگان ٥٩٧

الگنج ٥٩٩

گنجه (اليزاقبول) ٣٥٢، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٩٥، ٥٠٧، ٥٧٢

گيلان ١٠٥، ٢٦٨، ٣٤٦، ٥٥٩، ٦٢٨

(ج)

اللاذقية ٢٢٨

لارنده ١٥٤

لاهور ٤٩٣، ٤٣٥

لكنو ٣٢٠، ٣٢٥، ٤٣٩، ٤٧١، ٤٧٥-٤٧٧، ٤٧٩، ٤٨٤-٤٨٨، ٥٠٢، ٥٠٦، ٥٢٥، ٥٢٩، ٥٣٠، ٦٤٨

لمسر ٥٨٢، ٥٧٨

لندن ٨، ١٢٨، ١٦٤، ١٦٥، ١٧٦، ٣٠٧، ٣١٧، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٢٤، ٣٥٦، ٤٦٣، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢

لوت ٢٧٨

لوهور (أنظر: لاهور)

ليبرج ٤١٧، ٤٥٩، ٤٦٧، ٥٠٦

ليدن ٢٦، ١٠٣، ١١٦، ٢٠٩، ٢٤٣، ٢٧٤، ٣٠٢، ٣٠٨، ٣١٥، ٣٣٦، ٤٥٧، ٤٨٩، ٥٩٢، ٥٩٦، ٦١٢، ٦١٤، ٦٢٢

(ح)

مازندران ١٠٥، ٢٥٠، ٢٧٥، ٢٧٨

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي / تعريب، النص، ص: ٧٤٦

٣٩٤، ٤٦٢، ٥٢٦، ٥٢٨، ٥٣١، ٥٥٩، ٦٠٩، ٦٨٧

مالطه ٢٤٦

ما وراء النهر ١٠٧، ١١١، ١١٤، ١٤٥، ٢٢٧، ٣٢٧، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٩، ٤٣٥، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٥٦، ٤٦٥، ٤٦٦

المتحف البريطاني ١٤٤، ٢٣٩، ٣٦٣، ٤٣٩، ٤٣٩، ٤٩٨، ٥٢١، ٥٢٤، ٥٢٦، ٥٢٩، ٥٣١، ٥٤٥، ٥٤٦

المدائن ٢١٥

المدينة ٢٢١، ٢٤٦، ٤٥٤، ٥٠٢

المراغة ٣٨٠، ٥٦٨، ٥٩٤، ٥١٥، ٥١٦

مراكش ٣، ١٨، ٢٤٦، ٢٤٨

مرج الصفر ٥٦٨

مرسيه ٦٣٣

مرو ٢٢، ١٤٣، ١٦٥، ١٩٥، ٢١١، ٢١٥، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٧٠، ٢٧٣، ٢٧٤، ٣٧٦، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨٤، ٣٨٥، ٤١٩، ٤٢٢، ٤٢٨

٤٢٩، ٤٣٥، ٤٦٥، ٤٧٤، ٤٨٤، ٤٨٧، ٤٨٩، ٥٥٠، ٥٥٠، ٥٦٠، ٥٦٨، ٥٦٩

مشهد ١٥٦، ١٨٨

مصر ١٨، ١٩، ١٣٢، ٢٠٨، ٢١٢، ٢٣٢، ٢٣٧، ٢٤٢، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٧، ٢٦٧، ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٣٨٩، ٤٥٨، ٥٥٠

٥٦٧، ٥٨٧، ٥٠٢، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٦٤، ٥٦٨، ٥٥٧، ٥٥٩، ٥٨١

المصلي ٣٩، ٩٠

معة النعمان ٢٧٠، ٢٦٤، ٣٦٥

المغرب ٦١

المقطم ٦٣٨

مكة ٩٣، ٢٢١، ٢٢٦، ٢٤٦، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٩٦، ٢٩٨، ٣٥٤، ٤٥٩، ٤٥٩، ٤٥٨، ٥٧٨، ٥٠٢، ٤٩٥، ٤٥٩، ٤٥٤، ٤٦٤، ٤٦٤، ٤٦٤، ٤٦٤

ملازگرد ٢٢٢

الملايو ١٤

ملطية ٥٩٣، ٦٥٤

ملقه ٦١٨

منشستر ٦٠٧

منغوليا ٥٥٩، ٥٧٤، ٥٧٥

المهدية ٢٦٥

مهنة ٣٢٥، ٣٢٦، ٤٦٤

موسكو ٥٧٣

الموصل ٢١٦، ٢٢٧، ٢٤٩، ٥٠٩، ٥٥٠، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٩٢، ٥٩٣، ٦١١، ٦٣٣

موليان ٢٥

مؤمن آباد ٥٧٧

ميافارقين ٢٤٩، ٢٧٠

ميمون دز ٥٨٢، ٥١٦

ميهنه (أنظر: مهنة)

(ح)

ناي ٤٠٧

نائين ٢٧٣

الإسلامية، إنالة المنافع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام والشبهات المنتشرة في الجامعة، و...

- منها العدالة الاجتماعية: التي يُمكن نشرها وبتحاً بالأجهزة الحديثة متصاعدة، على أنه يُمكن تسريع إبراز الترافيق والتسهيلات- في آكاف البلد - ونشر الثقافة الإسلامية والإيرانية - في أنحاء العالم - من جِهَة أُخرى.
- من الأنشطة الواسعة للمركز:

(الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهرية، مع إقامة مسابقات القراءة

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقية و مكتبية، قابلة للتشغيل في الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثَلَاثِيَّة الأبعاد، المنظر الشامل (=بانوراما)، الرسوم المتحركة و... الأماكن الدينية، السياحية و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي "القائمة" www.Ghaemiyeh.com و عدة مواقع أُخرى

(ه) إنتاج المنتجات العرضية، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

(و) الإطلاع و الدعم العلمي لنظام إجابة الأسئلة الشرعية، الاخلاقية و الاعتقادية (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائي و اليدوي للبلوتوث، ويب كاشك، و الرسائل القصيرة SMS

(ح) التعاون الفخري مع عشرات مراكز طبيعية و اعتبارية، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلمية، الجوامع، الأماكن الدينية كمسجد جيمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسة" الخاص بالأطفال و الأحداث المُشارِكين في الجلسة

(ي) إقامة دورات تعليمية عمومية و دورات تربية العرشي (حضوراً و افتراضاً) طلبة السنة

المكتب الرئيسي: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد" / ما بين شارع "بني زَمَضان" و"مفتوح" و"فاني" / بنابه "القائمة"

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (=١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المَنتَجَر الانترنتي: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠٢٣-٢٣٥٧٠٢٣ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٢-٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التَّجَارِيَّة و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزانية الحالية لهذا المركز، شَعْبِيَّة، تبرعية، غير حكومية، و غير ربحية، اقتبست باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنّها لا تُوافي الحجم المتزايد و المتبَع للاُمور الدينية و العلمية الحالية و مشاريع التوسعة الثقافية؛ لهذا فقد تَرَجَّى هذا المركزُ صاحبَ هذا البيت (المُسَمَّى بالقائمة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقية الله الأعظم (عجلَ الله تعالى فرجه الشريف) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزاناً لإعانتهم - في حدِّ التمكن لكلِّ أحدٍ منهم - إِيَّانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و اللهُ وليُّ التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
الغمامة اصحمان

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

